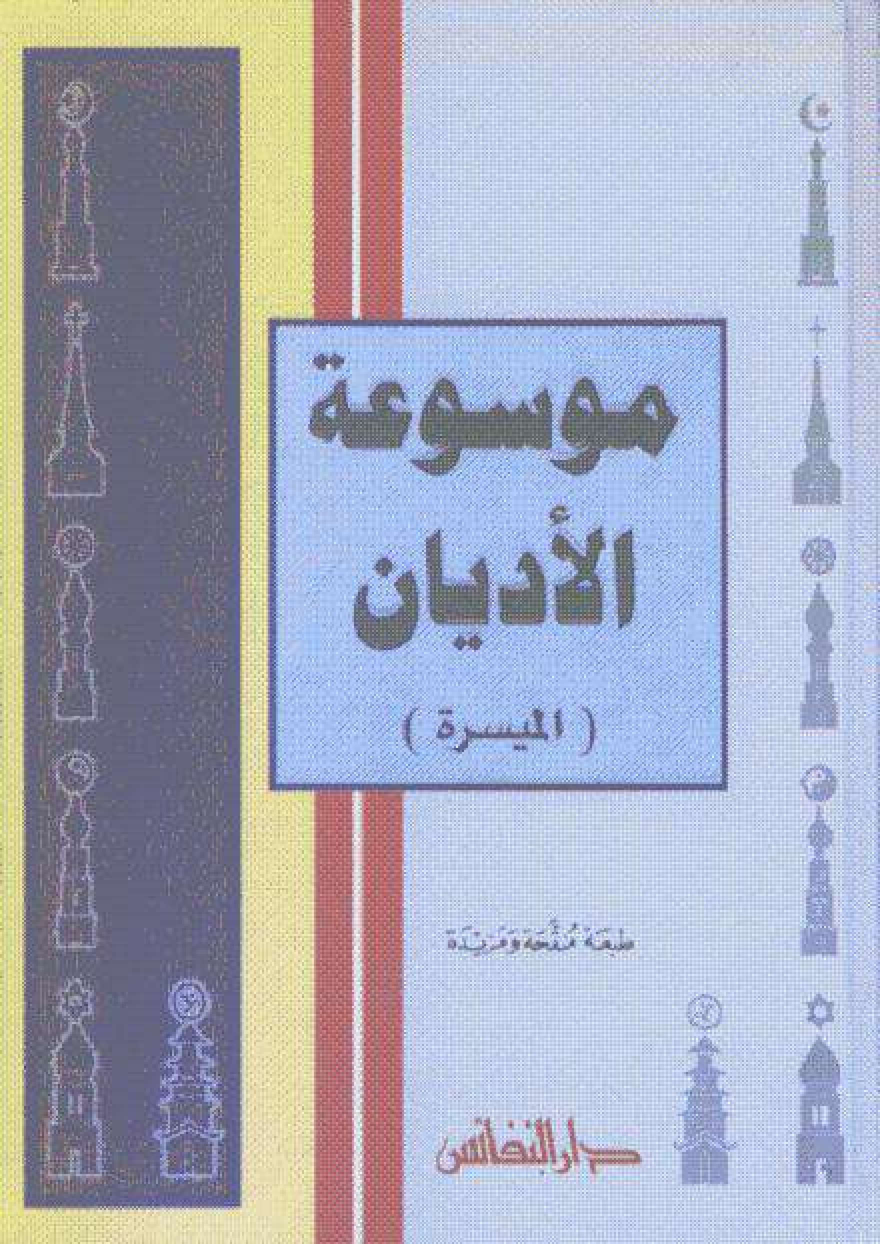
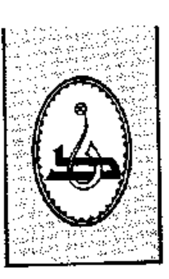

موسوعة
الأديان
(الميسرة)
طبعة منقحة ومزيدة
دار النفائس





موسوعة الأديان
الميسَّرة

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة الأديان

(الميسرة)

دار النفائس

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م




للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص . ب ٥١٥٢-١٤
الرمز البريدي : ٢٠٢٠-١١٠٥
فاكس : ٨٦١٣٦٧ - ١ ٠٠٩٦١
هاتف : ٨٠٣١٥٢ - ٨١٠١٩٤
بيروت - لبنان

DAR AN-NAFAÉS

Printing-Publishing-Distribution

Verdun St. Saffi Aldeen Bldg.
P.O. Box 14-5152
Zip Code 1105-2020
Fax: 00961 1 861367
Tel: 00961 1 803152 - 810194
Beirut - Lebanon

Web Site :www.alnafaes.com

Email:books@alnafaes.com

اللجنة المشرفة

مدير الموسوعة	أحمد راتب عرموش
رئيس التحرير	أ.د. أسعد السحمراني
مدير التحرير	أ.د. محمد الإسكندراني

المشاركون في التحرير[1]

- أحمد راتب عرموش : كاتب ـ ماجستير اختصاص دراسات إسلامية ـ مؤسس دار النفائس ومديرها.
- أحمد عمران الزاوي : الدكتور، الكاتب الإسلامي، نقيب المحامين في طرطوس سابقاً.
- أحمد كفتارو : الشيخ الدكتور، المفتي العام للجمهورية العربية السورية.
- أسعد السحمراني : الأستاذ الدكتور، أستاذ العقائد والأديان المقارنة في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية.
- أسعد السكاف : الأستاذ الدكتور، مدير كلية التربية في الجامعة اللبنانية وأستاذ فيها.
- بسام الصباغ : الشيخ الدكتور، أستاذ في جامعة أم درمان.
- بولس الفغالي : الخوري. كاتب وباحث في الكتاب المقدس
- بولس وهبة : الأب ـ كاهن رعية ـ ماجستير في الدراسات الشرق أوسطية ـ أستاذ جامعي وناشط في الحركة المسكونية.
- جان بول أبو غزالة : الخوري، كاهن في أبرشية بيروت المارونية ومدير في مدرسة الحكمة.
- حسن نور الدين : الدكتور، أستاذ في الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب.
- زكريا المصري : الشيخ الدكتور، أستاذ في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية.
- صلاح الدين أرقه دان : الشيخ الدكتور، أكاديمي وكاتب إسلامي.
- عبد الصبور مرزوق : الأستاذ الدكتور نائب رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف ـ القاهرة.

---

(١) أوردنا أسماء الكتّاب بحسب تسلسلها الألفبائي. وذكرنا المراكز التي يشغلونها، أو شغلوها، وألقابهم العلمية للتعريف بكل كاتب، وحذفنا هذه الألقاب في بقية الموسوعة للاختصار.

ـ عبد الفتاح كبارة	:	الأستاذ الدكتور، أستاذ الفقه المقارن وأصول الفقه في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية.
ـ عبد المجيد الحر	:	الدكتور، أستاذ في الجامعة اللبنانية ـ كلية الآداب.
ـ عماد الدين خليل	:	الأستاذ الدكتور، أكاديمي وكاتب إسلامي، أستاذ في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، علوم الشريعة ـ الشارقة.
ـ فوزي أدهم	:	الدكتور القاضي، محاضر في كليتي الحقوق بالجامعتين اللبنانية والعربية ـ بيروت ـ لبنان.
ـ كريستيان الحلو	:	الدكتور، منسق وأستاذ في مدرستي الحكمة ببيروت وبعبدا.
ـ محمد الإسكندراني	:	الأستاذ الدكتور، مدير كلية إدارة الأعمال الإسلامية وأستاذ فيها وفي كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية ـ لبنان.
ـ محمد رواس قلعه جي	:	الأستاذ الدكتور، الباحث في الموسوعة الفقهية سابقاً. أستاذ في كلية الشريعة ـ جامعة الكويت.
ـ محمد الزحيلي	:	الأستاذ الدكتور، وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية في جامعة دمشق.
ـ محمد الزعبي	:	الشيخ الدكتور، رئيس الجمعية الحميدية الخيرية الإسلامية وكاتب إسلامي.
ـ محمد السمّاك	:	كاتب ومفكر إسلامي.
ـ محمد الطيب الإبراهيم	:	الأستاذ الدكتور، أستاذ في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، وفي كلية أصول الدين (جامعة أم درمان الإسلامية ـ دمشق).
ـ محمد عبد اللطيف الفرفور	:	الشيخ الأستاذ الدكتور، رئيس جامعة العلوم الإسلامية والعربية بدمشق، عضو مجمع الفقه الإسلامي ـ بجدة.
ـ محمد منير سعد الدين	:	الأستاذ الدكتور، أستاذ في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية.
ـ محمود أحمد كفتارو	:	الدكتور، مدير مجمع أبي النور في دمشق (سابقاً).
ـ ناصر الصالح	:	الشيخ، رئيس المحاكم الشرعية السنّية في لبنان سابقاً.
ـ نايف معروف	:	الأستاذ الدكتور، أستاذ في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية.
ـ هنري كريمونا	:	الدكتور، أستاذ في جامعة الروح القدس ـ الكسليك ومدرسة الحكمة في بيروت.

تقديم

الإنسان متديِّن بالفطرة، يتعصَّب لمعتقده، ويدافع عنه، ويثيره التعرض له بسوء، حتى إنَّه ليضحِّي بنفسه في سبيله، في وقت ربما كان هذا المعتقد تافهاً في نظر الآخرين. هكذا خلق الله الإنسان. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود/١١٨]، وهو فرَّقهم أمماً لغاية قدَّرها سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات/١٣].

وبما أن التقدم العلمي يَسَّر الانتقال والاتصال، وجعل الكرة الأرضية أشبه بمدينة صغيرة، يختلط سكانها، ويتعارفون، ويتزاوجون، ويعيش بعضهم مع بعض على اختلاف أديانهم، ومعتقداتهم، وعاداتهم، أصبح من الضروري لكل إنسان أن يلمَّ بعقائد الآخرين، فلا يسيء إلى مواطن، أو صديق، أو ضيف، أو مضيف، بل يتفهَّم ما يصدر عنه، ويدرك دافعه، فتصبح المناقشات هادئة والاحترام متبادلاً، وربما أدَّى حسن التعامل بين مختلفَيْن إلى تقارب الأفكار؛ وفي أضعف الإيمان تعايش أصحابها بتفهُّم وتفاهم مريحين.

وهذا ما دفعنا إلى وضع هذه الموسوعة الميسَّرة، فهي تعطي فكرة عامة عن كل معتقد ورد فيها، وترشد القارئ إلى مصادر مختلفة لمن يريد الاستزادة والتعمق في أي موضوع تضمنته.

وبما أن الأديان والفِرَق والمذاهب تعدُّ بالآلاف، فقد وضعنا لهذه الموسوعة الميسَّرة منهجاً يقضي بأن تتضمن الأديان والعقائد وكل فكرة دينية حيَّة لها أتباع معاصرون، أو تأثير فكري، أو مهَّدت لظهور «دين وضعي» أو فرقة دينية. وقد اقتضى ذلك الحديث عن الأنبياء، والرسل، وأصحاب الدعوات الذين لهم أتباع كثيرون، والكتب المقدسة عند أتباع كل دين أو معتقد.

وبما أن الموسوعة باللغة العربية، وغالبية الناطقين بها يدينون بالإسلام، ثم بالمسيحية، فقد جرى التوسع في مصطلحات هذين الدينين أكثر من غيرهما.

فضمَّنّا الموسوعة المذاهب الإسلامية والمسيحية الحية، والطوائف، والفِرق، ومن بينها الفرق الصوفية الشهيرة.

وحيث إن بعض الكلمات التي غدت مصطلحات يتم تداولها بين الناس، وكثيرون منهم لا يعرفون معناها فقد أضفنا أكثر المصطلحات الفقهية والصوفية انتشاراً من دون توسع كبير، وذكرنا المعارك الفاصلة في تاريخ المسلمين، والدول المسلمة بإيجاز كبير. ولم نتطرق إلى مصطلحات علم القراءات أو الحديث وكثير من المصطلحات الصوفية.

وقد حاولنا، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، أن يكتب في كل دين أو طائفة أو مذهب باحثون مرموقون من أتباع ذلك المعتقد، طالبين من الكتّاب تقرير الوقائع العلمية والابتعاد عن إثارة الخلافات الطائفية والدينية، وأن تكون الكتابة تقريرية بعيدة عن الآراء الشخصية.

وقد واجهتنا مشكلة أن بعض الطوائف معتقداتها سرية لا ترغب بإعلانها، ولم نجد من أتباعها من يرغب بالكتابة عنها، فأخذنا المعلومات عنها من كتبها المعلنة أو الكتب التي وضعها أتباعها ونشرت ولم يُعترض عليها، أو مما يعلنه وجهاؤها. وحاولنا قدر المستطاع، انتقاء الكتّاب من مختلف البلدان من رجال دين وأكاديميين وباحثين، ممن استطعنا الاتصال بهم، ووافقوا على المساهمة معنا، مشكورين، في هذا المشروع، الذي يهدف إلى تعارف الناس بعضهم ببعض.

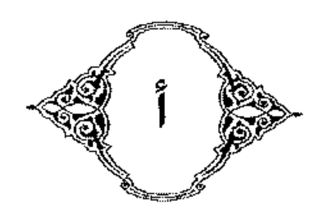
واضطررنا، أثناء التحرير، إلى بعض الحذف لتجاوز المادة المكتوبة منهج الموسوعة، أو لضرورات معروفة، ولم نتدخل في الأفكار الواردة في أية مادة. وبما أن المرجع الواحد قد يُعتمد من قبل كتاب عدّة، فقد جمعنا المراجع في آخر الموسوعة، وأعطينا كل مرجع رقماً هو المذكور في ذيل كل مادة، وذلك تحاشياً للتكرار، واختصاراً لحجم الموسوعة.

لم يكن العمل سهلاً، ولكن ما لا يُدرك كله لا يُترك جلُّه، ولذلك نرحب بأي اقتراح أو تصويب أو إضافة لكي نتلافى أي نقص في الطبعات القادمة.

وختاماً نأمل أن تؤدي هذه الموسوعة غرضها، وأن تجد سبيلها إلى جميع البلاد العربية والإسلامية، وألّا يحول رقيب دون الإفادة منها، فغايتها تعريفية لا دعائية، وما تحويه يمثل وجهة نظر كاتبه لا وجهة نظر اللجنة المشرفة.

والله من وراء القصد

اللجنة المشرفة



الآباء البيض، (جمعية مرسلي إفريقيا)
La Société des Missionnaires d'Afrique «Pères Blancs»

جمعية إرسالية تبشيرية كاثوليكية، أسسها في «الجزائر» عام ١٨٦٨، المطران شارل ألمان «لافيجري» (Charles Allemand Lavigerie) أسقف الجزائر منذ ١٨٦٧، والقاصد الرسولي للصحراء الغربية والسودان منذ ١٨٦٨، غايتها نشر المسيحية في القارة الإفريقية.

استطاع مؤسسها، بعد جهد متواصل، أن يجمع عشرة من المتطوعين للتبشير، وأطلق عليهم لقب «مرسلي الجزائر» ومن بعدها «الآباء البيض» ثم ثبتت تسميتهم «جمعية مرسلي إفريقيا ـ الآباء البيض» «La Société Missionnaires d'Afrique - Pères Blancs». ويرجَّح أن التسمية «الآباء البيض» ناجمة عن الثوب الأبيض الذي اتخذوه زيّاً لهم انسجاماً مع الزي التقليدي الذي كان يرتديه سكان شمالي إفريقيا. ويتألف لباسهم من جلباب «قمباز» وعباءة «برنس» وسبحة طويلة تحيط بالرقبة يتدلى من طرفها صليب فوق الصدر، تشبه «مسبحة الدراويش» المسلمين.

ولم تكن نشأة الجمعية، واستمرارها، بالأمر السهل؛ فإن أول بعثة تبشيرية أرسلتها الجمعية باتجاه الصحراء الكبرى لاقى أعضاؤها الثلاثة حتفهم ذبحاً على أيدي أدلَّتهم من سكان الصحراء. كما كان لانتشار وباء الكوليرا في شمالي إفريقيا، وما نجم عنه من فاقة ويتم، أثر سلبي على الجمعية فجعل اهتمامها بالأيتام العرب محفوفاً بالصعاب. كما أن حرب (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) بين فرنسا وألمانيا وما نجم عنها من ضيق اقتصادي، وما تبعها من إضرابات شتى في الجزائر، انتهت إلى تمرد البربر، أدّت بالمؤسس Lavigerie إلى بذل الجهود المتواصلة للحيلولة دون تسرب اليأس إلى نفوس الأعضاء، وبخاصة بعد أن فرَّ عدد من الأيتام من مركز الجمعية قرب الجزائر العاصمة، وبعد أن تخلى عن عضوية الجمعية ثلاثة من كبار الأركان العاملين فيها، فحاول دعم الجمعية بإنشاء جمعيات مساندة، فأسس جمعية من المزارعين، والممرضين، سرعان ما تخلى بعض أعضائها عن عضويتهم واندمج بعضهم الآخر في جمعية «الآباء البيض».

كذلك أسس «لافيجري Lavigerie» عام ١٨٦٩ وفي الجزائر، جمعية «الأخوات البيض» «Soeurs Missionnaries de Notre - Dame d'Afrique» «Soeurs Blanches» والتي لم تكن تربطها بالآباء البيض علاقة قانونية أو إدارية، إنما كانت تسيِّر الجمعيتين في عملهما التبشيري والإنساني روح رسولية واحدة، جعلتهما يتلاقيان في الكثير من المجالات.

وتضم جمعية الآباء البيض بين أعضائها: الكهنة، والرهبان، والعلمانيين (الرجال العاديين من غير رجال الدين) وهم في عضويتهم على نوعين: أعضاء عاملين «Membres Actifs»، وأعضاء مشاركين «Membres Associés».

وجمعية «الآباء البيض» غير مقيدة بقوانين الرهبنات المعروفة، إنما لها قوانينها الخاصة التي طفقت تصوغها، وتعدِّل فيها منذ قيامها ١٨٦٨ وحتى استوت في صيغتها النهائية ١٩٠٨، وهذا ما

سمح لها بحرية التحرك، وبحرية وضع سلم الأولويات؛ فأعطت، منذ ١٨٧٩، تعليم الفلسفة وتعلّمها الأولوية، وقدمتها على حياة الترهب والعزلة، كما جعلها تنفتح على العالم الخارجي وتولي العمل الإنساني الاهتمام الذي يستحقه، ولم تقصر عملها على التبشير، كما لم تحصر نشاطاتها داخل جدران الأديرة والمعابد، عاملة بوحي من فلسفة مؤسسها وسيرته، اللتين مال فيهما إلى البساطة المفرطة بعيداً عن الطقوس الشرقية التي رأى أنها تباعد عن حقيقة الدين ولا تقرّب!.

وقد اختارت الجمعية القارة الإفريقية ميدان عمل لها، وجعلت عملها قائماً على التبشير بالإنجيل ودعوة غير المسيحيين إلى الإيمان بالمسيح وبتعاليمه التي يتضمنها الإنجيل. وقد وجهت الجمعية اهتماماً خاصاً إلى العالم الإسلامي، كما جعلت اللقاء مع الإسلام طليعة أهدافها، فدُعي.. بعض المبشرين بـ «المختصين بالإسلام»، حتى أن بعضاً من الدارسين يربط بين نشأة «المعهد البابوي للدروس العربية» «Institut Pontifical des Etudes Arabes»، وبين غاية الآباء البيض في توجههم نحو تبشير المسلمين.

واهتمام الآباء البيض بالقارة الإفريقية لم يحل دون امتداد نشاطاتهم التبشيرية إلى خارج القارة السوداء، فقد وصلت دائرة اهتماماتهم إلى الشرق الأوسط، فأنشأوا في فلسطين دير القديسة حنة منذ ١٨٧٨ وكان لهم مقراً، ضمَّ مركزاً لإعداد رجال الدين الكاثوليك، كما كان لهم في لبنان مركزان في رياق ١٩٤٧، وفي بيروت ١٩٦٧، وكانوا قبل ذلك قد أسسوا في كندا أول مركز لهم عام ١٩٠١ في مدينة كيبيك، ثم تبعته المراكز في مونريال، وأوتاوا، وتورنتو.

وتضم الجمعية اليوم ما يربو على الألفي عضو (٢٠٠٠) ينتمون إلى عشرين جنسية من بينهم ثلاثمئة عضو عامل من أصل كندي يعملون في اثنين وعشرين (٢٢) بلداً إفريقياً، غير أن هذا الانتشار لم يباعدهم عن اهتمامهم الأول: القارة الإفريقية، وعن غايتهم الأولى: اللقاء مع الإسلام، وتبشير المسلمين.

نشاطات الجمعية والتزاماتها:

تصنَّف جمعية الآباء البيض بين الجمعيات التبشيرية، التي تهدف إلى التبشير بالمسيحية ونشر تعاليمها. غير أن الآباء البيض، وإن صُنِّفوا تبشيريين، كانت لهم اهتمامات إنسانية عامة تجلَّت في احتضان المشرَّدين واليتامى وتعليمهم، كما تجلَّت في إيواء المرضى والمصابين وتقديم العلاج لهم، وحتى نشاطاتهم التبشيرية لم تكن قائمة على الخطب والمواعظ بقدر ما كانت تقوم على الأعمال المثمرة، كالتعليم العام، والتعليم المهني، والاهتمام الأساسي بإعداد رجال الدين إعداداً لاهوتياً وفلسفياً عميقاً يمكّنهم من أداء مهماتهم الروحية والاجتماعية على الوجه الأكمل، لذلك سعوا إلى إنشاء مركز لإعداد رجال الدين الكاثوليك في القدس (دير القديسة حنة) كما مرَّ، وسعوا عند دخولهم لبنان ١٩٤٧، إثر حرب فلسطين، إلى إنشاء المراكز الإكليريكية في كل من رياق، وزحلة، وحريصا، تهتم بإعداد رجال الدين وتزويدهم بسلاح المعرفة والعلم.

أما التزاماتها، فيمكن أن يجمعها شعار يتجلى في تبشير الجمعية وفي سلوك أعضائها، وهو «البحث عن الله في خدمة الآخرين»، لذا هم ملتزمون التزاماً كلياً بالأعضاء الذين قبلوا الانضمام إليهم يتعهدونهم ليكونوا آباء وإخوة فاعلين، كما هم ملتزمون بالحياة البسيطة القريبة من حياة الناس العاديين لأنها تقربهم منهم وبالتالي من الله.

الآباء البيض في لبنان:

كان لحرب فلسطين ١٩٤٧/١٩٤٨، أثرها السلبي في نشاطات الجمعية في القدس، وفي المركز الذي أقامته في دير القديسة حنة منذ

١٨٧٨، لإعداد رجال الدين الكاثوليك. فاتجهت الجمعية إلى لبنان، وأسست في «رياق» ١٩٤٧ مدرسة تهتم بالتعليم الديني لإعداد رجال الدين، عرفت بالمدرسة الإكليريكية الصغرى لأنها كانت تعدُّ للمرحلة الأولى التي تمتد من مستوى الصف الابتدائي الثالث إلى مستوى الثانوي الأول. ومَنْ تخرَّج في هذه المدرسة، كان يتابع تحصيله العالي، في دير القديسة حنة في القدس.

وقد تولى إدارة هذه المدرسة الآباء البيض منذ نشأتها وحتى ١٩٦٧، إذ انتقلت المدرسة إلى طائفة الروم الكاثوليك في لبنان. وكان قد تولى العمل فيها قبل الانتقال سبعة من الآباء البيض، يعاونهم أربعة كهنة من الروم الكاثوليك، يستعينون بمن يحتاجون من أساتذة علمانيين، وقد بلغ عدد طلاب المدرسة ما يقارب المئتين والعشرين طالباً، منهم السوريون ومنهم اللبنانيون.

ثم ما لبثت أن انتقلت المدرسة الإكليريكية الكبرى من القدس إلى «حريصا» إلى دير الآباء البولسيين، ١٩٦٧، ودامت رئاستها للآباء البيض سنة واحدة، انتقلت بعدها إلى رجال الدين الكاثوليك.

أما مقرُّ الآباء البيض في لبنان، فقد كان أول الأمر في رياق، ثم في دير يسوع الملك، في كسروان، ثم في الأشرفية، ومن بعدها في مقر البطريركية الكاثوليكية في الربوة. وما زال منهم حتى الآن ثلاثة آباء يواصلون نشاطاتهم من مقرهم في الأشرفية، منهم اثنان يعملان في التعليم الجامعي، في المراكز والكليات الدينية التابعة لجامعتي الروح القدس والقديس يوسف، كما يواصل الثلاثة كذلك عملهم الرعائي والإرشادي عبر اتصالاتهم المباشرة بالرعايا، وعبر وسائل الإعلام التي يشارك بعضٌ منهم في إصدارها وتحريرها.

أسعد السكاف

المراجع: ٦٠٤، ٦٠٧، ٦١١، ٦١٣، ٦١٧، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٧.

آباء الكنيسة

كتّاب مسيحيون قدماء امتازوا بجودة تعليمهم وقداسة حياتهم وموافقة الكنيسة. لهذا، فإنهم يُعدُّون مُعلمين للكنيسة، أي معلمين لحقائق الإيمان. يمتاز هؤلاء باستقامة العقيدة التي شرحوها في كتاباتهم، والتي أسهمت في توضيحها وشيوعها، مما حدا بالكنيسة إلى إسباغ لقب «أب من آباء الكنيسة» على كل واحد منهم. هذا، ولم تقتصر كتاباتهم على نواحي العقيدة لناحية شرحها بصورة مجرَّدة بل كتب الكثير منهم شروحات مهمة لأجزاء من الكتاب المقدس، وتعاليم روحية. لم يكونوا كلهم من الأساقفة كيوحنا، الذهبي الفم، أو باسيليوس الكبير، أو غريغوريوس اللاهوتي، بل كان بعضهم رهباناً، كيوحنا الدمشقي، أو علمانيين كمكسيموس المعترف. دراسة هؤلاء تسمى اليوم بعلم «الآبائيات».

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩، ٥٩٧، ٦١٤.

* * *

الآخرة

الآخرة في اللغة: كل ما ينتهي إليه الأمر، وفي العقيدة الإسلامية هي الحياة الآخرة التي تقابل الحياة الدنيا، وهي ما بعد الموت. وتدخل في أمور عالم الغيب الذي يؤخذ من النصوص القطعية الثبوت والدلالة، فلا يصح فيه الاجتهاد لأنه رجم بالغيب. وقد أجمعت الرسالات السماوية وأتباعها على الإيمان باليوم الآخر، وبالدار الآخرة التي تكون بعد الحساب، وهي إما نعيم مقيم أو عذاب وجحيم، يحدده عمل الإنسان، فالدنيا دار عمل والآخرة دار حصاد.

وفي التنزيل: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟

يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٦٤]، أي دار الحياة الدائمة!.

وقال أبو موسى لأنس: «عُجلت الدنيا وغُيبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا ميَّلوا» يعني: لم يشكوا ولم يترددوا.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٤٠٧، ٤٤١، ٤٦٥.

* * *

آدم

شاءت إرادة الله أن يخلق آدم وذريته ليسكنوا الأرض ويعمروها، فسوَّى آدمَ من صلصال من حمأ مسنون، ثم نفخ فيه من روحه فسرت فيه نسمة الحياة وصار بشراً سوياً.

ثم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم فاستجابوا لربهم خاضعين، وأقبلوا على آدم معظمين، إلا إبليس كان من الكافرين، فجازاه الله على عصيانه بالطرد، فاعتزم إغواء آدم وذريته وفتنتهم. وأسكن الله آدم الجنة وزوجه وأباح لهما أن يأكلا في الجنة رغداً حيث شاءا ونهاهما أن يقربا شجرة من بين أشجارها الكثيرة.

وصار آدم يتمتع بما في الجنة من كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وشاركته هذه النعمة زوجه، وعاشا كذلك مدة يرشُفان من مناهل السعادة، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ [طه/ ١١٨، ١١٩].

عَزَّ على إبليس أن ينعم آدم وزوجه، وهو مطرود من رحمة الله، فَدَلَفَ إلى الجنة وحدَّثه في خفاءٍ وأوهمه بأنه صادق الود مشفق عليهما من زوال النعمة، وأقسم لهما أنه من الناصحين لا يقصد إلى ضررهما، فاغترَّا بقوله، وزلاَّ بإغوائه، فلما خرجا عن أمر ربهما سلبهما نعمته وحرمهما جنته: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف/ ٢٢]. فأنابا إلى الله وندما على فعلتهما فتاب الله عليهما وغفر لهما زلتهما، فأثلج ذلك صدرهما وقرَّت به أعينهما، فأمرهما الله بالهبوط من الجنة وأنبأهما أن العداوة بينهما وبين إبليس ستظل قائمة ليحذرا فتنته ولا يصغيا إلى إغوائه، وجعل لهما مأرباً في الحياة وأملاً يُسعى إليه، وأخبرهما أنه قد انتهى طور النعيم الخالص والراحة التامة، ودخلا في طور جديد لهما فيه طريقان: هدى وفلاح أو ضلال وخسران، فمن اتبع هدي الله فلا خوف عليه، ومن أعرض عن ذكر الله فسيكون عيشه ضنكاً.

ويبدأ نظام الحياة يستكمل حينما تهيَّأت حواء لتستقبل أولادها، ولقد كان آدم حفياً بأبنائه مستبشراً بقدومهم، ووضعت حواء توائم عدَّة منها قابيل وأخته، وهابيل وأخته، وشبَّ الإخوة في رعاية الأبوين وانتشر منهم النسل البشري.

وآدم عليه السلام هو أول البشر، خلقه الله بيده وأسجد له الملائكة وعلمه أسماء كل شيء.

قال ﷺ: (خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أُخرج منها، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾) [الأعراف/٢٣]، [رواه مسلم].

وقال ﷺ: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأبيض والأحمر والأسود) [رواه الإمام أحمد].

خلق الله آدم، ثم خلق له زوجه حواء، كما جاء في الآيات: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ [الأعراف/ ١٨٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [النساء/ ١]، (ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث بما أمره الله به) [رواه ابن حبان].

أحمد كفتارو

المراجع: ٩٨، ١٢٢، ٤١٢، ٤١٣.

* * *

آدوناي

كلمة عبرانية ومعناها «سيدي أو ربي». آدوناي هو واحد من الأسماء التي تطلق على الله في الكتاب المقدس بعهده القديم. وهذه الكلمة تلفظ دائماً في صيغة الجمع (مفردها آدوني)، وهذا الجمع هو للدلالة على العظمة واحتراماً للألوهة ولتكريم اسم الله عز وجل، كما هو الحال مع لفظة إيلوهيم. هذه اللفظة لا تستعمل إلا في صيغة المخاطبة: (يا سيدي! يا ربي!) متوجهين إلى الله نفسه. وبعد العودة من السبي إلى بابل، بدأت هذه الكلمة تستعمل تدريجياً مكان كلمة يهوه، فكان العبرانيون يكتبون اسم الله يهوه ويلفظونه آدوناي لأنه لا أحد يستطيع، ولا حتى يجرؤ، أن يتلفظ باسم الله.

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٢/٤٥٦، ٤٩٩، ٥٠٥، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣.

* * *

آريوس

أحد رجال الكنيسة في القرن الرابع الميلادي، أصله ليبي، وقد عاش في مصر وفيها حاول مقاومة فكرة ألوهية المسيح، وأن الابن مساوٍ للأب التي بدأ يتداولها بعض رجال الكنيسة.

أظهر آريوس مواقفه وآراءه في عهد بطريرك الإسكندرية ألكسندر الذي حاول مقاومة ما يطرحه آريوس.

يقول جون لوريمر: «من الواضح أن الدافع لآريوس هو الحفاظ على كمال الله الآب وسرمديته وألوهيته، وفي الوقت نفسه نسب دوراً هاماً للمسيح الابن، يفرزه عن الآخرين. على أن آريوس لم يستطع أن يقبل وجود تغيير أو انقسام في الآب الذي كان الجوهر النهائي».

وآريوس يقول: «إن المسيح عليه السلام مخلوق وهو دون الآب وفوق مستوى سائر المخلوقات. وأن هذا المسيح الكلمة «Logos» مهما سما فوق المخلوقات فهو بالنتيجة مخلوق خاضع للتغيير، وأن ما فيه من صفات فإنها ممنوحة له من الآب».

وتنقل نصوص مجموعة الشرع الكنسي أن آريوس «أنكر لاهوت المسيح وزعم أنه مخلوق من العدم وغير مساوٍ للآب في الجوهر، وأنه لم يكن أزلياً وهو دون الرتبة الألوهية، ويسمى مجازاً ابن الله وحكمته وقوته».

فالمسيح والآب عند آريوس ليسا من جوهر واحد، والروح القدس عنده وُلِد من الكلمة وهو أقل ألوهية من الكلمة (المسيح ـ الابن) نفسها.

لقد أراد آريوس توحيد الله وتنزيهه وتساميه، لذلك رفض فكرة تقول بتألُّه المسيح وأن الابن إلّه حق من إلّه حق، وأراد كذلك وضع فاصل بين الخالق والمخلوقات، وعنده الابن من ضمن المخلوقات وفي عدادها، ووافق فقط على القول بأن المسيح خليفة عليا، ولكنه خليفة فقط.

ترافق مع ظهور آريوس والتفاف الأتباع حوله استلام قسطنطين الثاني السلطة، وكان أن دخل قسطنطين هذا في المسيحية، وعمل، بعد طلب من بعض الأساقفة، لعقد مجمع كنسي عام. وكان أن نفذ قسطنطين ودعا في العام ٣٢٥م إلى مجمع مسكوني في نيقية بآسية الصغرى، وكان هذا المجمع الأول من نوعه، وبعده توالى انعقاد المجامع.

أدان مجمع نيقية كل الآراء القائلة بعدم أُلوهية المسيح وفي المقدمة آراء آريوس ورموه بالهرطقة وبأن مواقفه بدعة. وصدر عن هذا المجمع ما عُرف، فيما بعد، باسم «دستور الإيمان النيقاوي»، وفي نص هذا الدستور: إن المسيح «إلّه حق من إلّه حق»، وأنه «مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر».

بعد مجمع نيقية تمَّ نفي آريوس وعزله لوقف تأثيره، أما الحكم عليه فإنه، حسب الشرع الكنسي،

على الوجه التالي: «استقرَّ الرأي على إبساله هو ورأيه الكفري وكل افتراضاته وبراهينه الباطلة التي اندفع يتفوَّه بها مجدِّفاً على ابن الله وزاعماً أنه مخلوق من العدم».

أسعد السحمراني

المراجع: ٦١، ١٤٥، ٣٨٠، ٤١٤، ٤٣٧، ٤٥٦، ٤٥٨، ٥١٦، ٥٢٤

* * *

الآغاخانية

فرقة من الإسماعيلية النزارية الذين أيَّدوا نزاراً، الابن الأكبر للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، الذي نصَّ على خلافته من بعده، إلا أن الوزير الأفضل ابن بدر الجمالي أمير الجيوش استبعد نزاراً ونصَّب أخاه الأصغر أبا القاسم أحمد خليفة بعد أبيه ولقبه المستعلي بالله. ولما رفض نزار مبايعة أخيه أسرع إلى الإسكندرية حيث أعلنه واليها ناصر الدين أفتكين وأهلها خليفة باسم المصطفى لدين الله. ووقعت حروب بين نزار والأفضل وقتل نزار في الإسكندرية سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥ م. وتذكر المصادر الإسماعيلية النزارية أن نزاراً استطاع أن يغادر الإسكندرية سراً مع أهل بيته واتجه إلى بلاد فارس حيث استقر في جبال طالقان بين رجال دعوته، وعمل مع الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية، وتوفي سنة ٤٩٠ هـ/ ١٠٩٧ م، بعد أن أوصى بإمامة ابنه علي. وتقول رواية أخرى: إن الداعية حسن بن الصباح ظل يدعو للمستنصر بالله في فارس وخراسان إلى أن جاءته الأخبار بوفاة المستنصر وتولية المستعلي، الابن الأصغر، دون نزار صاحب الحق الشرعي في الإمامة، فرفض ابن الصباح الاعتراف بالمستعلي وخطب باسم نزار. ثم استفحل أمر النزارية في حلب واستولوا على بانياس وقلاع قدموس ومصياف والكهف والخوابي، ودخلوا في معارك مع السلاجقة والخوارزمية ومع التتار إلى أن انتهت دولتهم على يد هولاكو، فسلَّموا قلاع الشام وخرِّبت قلعتهم ألموت. ثم انتقلت النزارية إلى فارس، وانضم إليها إسماعيليون من السند والهند، وعقيدتهم هي عقيدة الإسماعيلية النزارية، غير أنهم يعتقدون في الآغاخان، وهو اللقب الذي أطلقوه على إمامهم المعصوم حسن علي شاه المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ/ ١٨٨١م، وكان قد أعلن انتسابه إلى نزار بن المستنصر الفاطمي، وخرج في إيران، إلا أنه فشل وتم نفيه بمساعدة الإنكليز، وفي بومباي بالهند اعترفت به الطائفة الإسماعيلية إماماً ولقب بالآغاخان.

والآغاخانية يقولون بعصمة الآغاخان ويقدسونه ويؤدون إليه خُمس ما يتكسبون، وهم موجودون في الهند وباكستان وإيران وشرقي إفريقيا وفي سورية.

وبوفاة الآغاخان الأول تولى ابنه آغا علي شاه، ثم حفيده محمد الحسيني ابن آغا علي شاه، وهذا أوصى بدوره لحفيده الهمام الحالي كريم شاه الحسيني المعروف بآغاخان الرابع، مخالفاً القاعدة الإسماعلية في تولي الابن البكر. وكان لقب هؤلاء جميعاً «آغاخان» الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع. وقيل: إن محمد الحسيني تزوج أربع مرات، وأنجب الأمير علي خان من إيطالية، وهو زوج الممثلة الأميركية المعروفة ريتا هيوارث، وأنجب منها ابنته ياسمين، كما تزوج من فرنسية وأنجب منها ولده صدر الدين خان.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١، ١٣٢/ ١.

* * *

آلاء

الآلاء ـ كالعلاء ـ يمد ويقصر، وقد سمع بهما: شجر ورقه وحمله دباغ، وهو حسن المنظر مرٌّ

الطعم، لا يزال أخضر شتاءً وصيفاً، واحدته ألاءة، بوزن ألاعة.

والآلاء: النِّعم، واحدها أَلْيٌ وإِلْيٌ وإلى، وقال الجوهري: قد تكسر وتكتب بالياء مثل مِعًى وأمعاء، وقول الأعشى:

أبيض لا يرهب الهُزَال ولا
يقطع رِحماً ولا يَخُونُ أَلا

قال ابن سيده: يجوز أن يكون إلَى هنا واحدَ آلاء الله، ويخون: يكفر، مخففاً من الإلِّ الذي هو العهد، وفي الحديث: (تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله)، قال النابغة:

هم الملوك وأبناء الملوك لهم
فضل على الناس في الآلاء والنعم

وأرض مألأة: كثيرة الآلاء.

وفي الآية: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن/ ١٣]، وهي نِعَم الله على العباد المتوالية الكثيرة، أي: فبأيِّ نِعَم الله السابغة تنكران وتكفران.

ومنها التسمية بـ (آلاء) فتكون بمعنى النعم، كما سُمِّي بـ (نُعْم) قال ابن أبي ربيعة في مطلع قصيدته الرائية:

أمن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمبكر
غداة غدٍ أم رائح فمهجر

محمد الطيب الإبراهيم

المراجع: ٢٣٦، ٣٣١، ٤٣٣، ٤٤١.

* * *

آمين

نقول آمين بعد الدعاء، إذا أمَّنا تأميناً، ويعبر بالتأمين بدلاً من قولنا آمين.

وقد نقل الفقهاء فيه لغات منها، المد والقصر والمد مع الإمالة والتخفيف، وهي اسم فعل بمعنى استجب. فقد قال ابن عباس: سألت النبي ﷺ عن معنى آمين، فقال: افعل. وقال قتادة: كذلك يكون. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلوات الله عليه أنه قال: (آمين خاتمُ رب العالمين على عباده المؤمنين). وقال عطاء: آمين دعاء. وعن النبي ﷺ أنه قال: (ما حسدكم اليهود على شيء ما حسدوكم على آمين وتسليم بعضكم على بعض). قال ابن العربي: هذه الكلمة لم تكن لمن قبلنا، خصنا الله تعالى بها.

وحقيقة التأمين - أي قول آمين - الدعاء، لأن المُؤَمِّن يطلب من الله أن يستجيب الدعاء.

وحكم التأمين أنه سنة وقد يخرج إلى غيرها، كالتأمين على دعاء مُحرَّم، يكون حراماً.

وآمين ليست من القرآن، بل هي مأثورة عن النبي عليه الصلاة والسلام، وقد واظب عليها، وأمر بها في الصلاة وخارجها.

والتأمين - أو قول آمين - يكون في الصلاة، وخارج الصلاة.

ويكون في الصلاة عقب قراءة الفاتحة، وعلى الدعاء في القنوت والنازلة.

ويكون خارج الصلاة عقب قراءة الفاتحة، والتأمين على الدعاء في الخُطبة، وفي الاستسقاء.

فالتأمين في الصلاة عقب الفاتحة للمنفرد سنة، في الصلاة السرية والجهرية، ومثله الإمام والمأموم في السرية، والمقتدي في الجهرية. أما الإمام في الصلاة الجهرية فالعلماء فيه على آراء ثلاثة: **ندب التأمين**، وهو قول الشافعية والحنابلة والحنفية، عدا رواية الحسن عن أبي هريرة، وهو رواية المدنيين من المالكية، لحديث رسول الله ﷺ: (إذا أمَّن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه). **وعدم الندب**، وهو رواية المصريين من المالكية، والحسن عن أبي حنيفة، للحديث: (إذا قال الإمام: غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا آمين، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه). **ووجوب التأمين**، وهو رواية عن أحمد، قال: آمين، أمر من النبي ﷺ.

وقد اتفقت المذاهب الأربعة على أن التأمين

سنة عند سماع قراءة الإمام، ولا يتحرى المقتدي الاستماع للإمام، على الأظهر عند المالكية، وقال الشافعية: يتحرى.

ولا خلاف بين المذاهب الأربعة في أن الصلاة إن كانت سرية، فالإسرار بالتأمين سنة في حق الإمام والمأموم والمنفرد، واختلفوا في الجهرية.

وللفقهاء ثلاثة اتجاهات في **التأمين على قنوت غير النازلة:**

الأول: التأمين جهراً، إن سمع الإمام، وإلا قنت لنفسه، وهو قول الشافعية والصحيح عند الحنابلة، وهو قول محمد بن الحسن في القنوت، وفي الدعاء بعده. ومنه الصلاة على النبي ﷺ كما نص الشافعية، وهو المتبادر لغيرهم لدخوله في الشمول.

والثاني: ترك التأمين، وإليه ذهب المالكية، وهو الأصح عند الحنفية، ورواية عن أحمد، وقول ضعيف عند الشافعية.

الثالث: التخيير بين التأمين وتركه، وهو قول أبي يوسف، وقول ضعيف للشافعية.

أما التأمين على قنوت النازلة:

فإنه لا فرق بين قنوت النازلة وقنوت غيرها، عند الشافعية والحنابلة.

ولا قنوت في النازلة عند المالكية على المشهور.

ولا تأمين في النازلة عند الحنفية لإسرارهم بالقنوت فيها، فإن جهر الإمام أمَّنَ المأموم. قال ابن عابدين: والذي يظهر لي أن المقتدي يتابع إمامه إلا إذا جهر فيؤمن.

ولو اقتدى المأموم بمن يقنت في صلاة الصبح أجاز له الحنابلة التأمين، ومعهم في ذلك ابن فرحون من المالكية.

أما التأمين خارج الصلاة:

يسن التأمين **على دعاء الخطيب** عند المالكية والشافعية والحنابلة، ويكون عند المالكية والحنابلة سراً، وبلا رفع صوت عند الشافعية، ولا تأمين باللسان جهراً عند الحنفية، بل يؤمن في نفسه. ونص المالكية على تحريم ما يقع على دَكة المبلغين بعد قول الإمام: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» من رفع أصوات جماعة بقولهم: «آمين. آمين. آمين» واعتبروه بدعةً محرمة.

واستحب الشافعية والحنابلة **التأمين على دعاء الاستسقاء** عند جهر الإمام به، وهو قول للمالكية، ولا يخالفه الحنفية، وفي قول المالكية أن يدعو الإمام والمأمومون. وقيل بعد دعائهم معاً يستقبلهم الإمام، فيدعو ويؤمِّنون.

قال بعض المالكية **بالتأمين على دعاء الإمام بعد الصلاة**، وكرهه الإمام وجماعة من المالكية لما يقع في نفس الإمام من التعاظم.

ناصر الصالح

المراجع: ١٧/ ١، ٨٤، ٩٢، ١٧٥، ٢٠٥، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١١، ٣٧١، ٤٢٩، ٤٨٩، ٤٩١، ٥١٠، ٥٧٥.

* * *

آمين (عند المسيحيين)

كلمة عبرانية الأصل، تعني ما هو ثابت وراسخ، ما هو حق وأكيد. عندما نقول «آمين» في القداس نعلن أن ما قيل وما سمعناه هو حق ونحن نؤمن به. في سفر الرؤيا، يوحنا الرسول يسمي المسيح «آمين» أي الشاهد الصادق والأمين.

جان بول أبو غزالة

* * *

آيـــة

الآية: العلامة الظاهرة، وحقيقته: أن لكل شيء ظاهراً هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدركُ الظاهرَ منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمهما سواءً، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمتى علم بملازمة

العلَم للطريق المنهج، ثم وجد العلَم علم أنه وجد الطريق، وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً عَلم أنه لا بد له من صانع.

واشتقاق الآية من أيٍّ؛ فإنها هي التي تبين أيًّا من أيٍّ، أو من قولهم: أوى إليه.

وقيل للبناء العالي: آية ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء/ ١٢٨].

وقيل: لكل جملة من القرآن دالة على حكم: آيةٌ، سورة كانت، أو فصولاً، أو فصلاً من سورة.

وقد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي: آية، وعلى هذا اعتبار آيات السورة، التي تعدُّ بها السورة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر/ ٧٧]، فهي من الآيات المعقولة التي تتفاوت بها المعرفة بحسب تفاوت الناس في العلم، وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت/ ٤٩]، وذكر في مواضع آية، وفي مواضع آيات، وذلك لمعنى مخصوص يقتضيه ذلك المقام.

وإنما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾ [المؤمنون/ ٥٠]، ولم يقل: آيتين؛ لأن كل واحد صار آية الآخر، وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء/ ٥٩]، فالآيات هنا قيل: إشارة إلى الجراد والقمَّل والضفادع ونحوه من الآيات التي أرسلت إلى الأمم المتقدمة، فنبَّه أن ذلك إنما يفعل بمن يفعله تخويفاً، وذلك أخس المنازل للمأمورين؛ فإن الإنسان يتحرى فعل الخير لأحد ثلاثة أشياء:

إما أن يتحراه رغبة أو رهبة، وهو أدنى منزلة.

وإما أن يتحراه لطلب مَحْمَدَة.

وإما أن يتحراه لفضيلة، وهو أن يكون ذلك الشيء في نفسه فاضلاً، وذلك أشرف المنازل.

فلما كانت هذه الأمة خير أمة - كما قال - رفعهم عن هذه المنزلة، ونبَّه أنه لا يعمهم العذاب، وإن كان الجهلة منهم كانوا يقولون: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال/ ٣٢].

وقيل: الآيات إشارة إلى الأدلة، ونبَّه أن يقتصر معهم على الأدلة، ويصانون عن العذاب الذي يستعجلون به في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج/ ٤٧].

وقال المعيني: وردت الآية في القرآن على وجوه:

الأول: بمعنى العلامة: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُم﴾ [الروم/ ٢٣]، ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم/ ٢٢]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ﴾ [يس/ ٣٣].

الثاني: بمعنى آيات القرآن: ﴿ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران/ ٧].

الثالث: بمعنى معجزات الرسل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ [القصص/ ٣٦].

الرابع: بمعنى عبرة المعتبرين: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾ [المؤمنون/ ٥٠].

الخامس: بمعنى الكتاب والبرهان: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون/ ٦٦].

السادس: بمعنى الأمر والنهي: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ﴾ [البقرة/ ١٨٧]، يعني الأمر والنهي، وله نظائر.

وحينئذ تصير جملة الآيات في القرآن من طريق الفائدة والبيان اثني عشر نوعاً:

الأول: آية البيان والحكمة: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا﴾ [البقرة/ ١٥١].

الثاني: آية العون والنصرة: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾ [آل عمران/ ١٣].

الثالث: آية القيامة: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا﴾ [القمر/ ٢].

الرابع: آية الابتلاء والتجربة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ [سبأ/ ١٥].

الخامس: آية العذاب والهلكة: ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف/ ٧٣].

السادس: آية الفضيلة والرحمة: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [آل عمران/ ٩٧].

السابع: آية المعجزة والكرامة: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [المائدة/ ١١٤].

الثامن: آية العظة والعبرة: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ [يوسف/ ٧].

التاسع: آية التشريف والتكريم: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة/ ٢٥٩].

العاشر: آية العلامة: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ [آل عمران/ ٤١].

الحادي عشر: آية الإعراض والنكرة: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام/ ٤].

الثاني عشر: آية الدليل والحجة: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت/ ٥٣].

قال ابن فارس: هذه آية مَأْيَاةٌ كقولك: علامة مَعْلَمَة، وقد أَيَّيْتُ، قال:

ألا أبلغ لديك بني تميم
بآية ما يحبون الطعاما

قالوا: وأصل آية أَأْيَة بوزن أعية مهموز همزتين، فخففت الأخيرة، فامتدت.

قال سيبويه: موضع العين من الآية واو؛ لأن ما كان موضع العين منه واواً واللام ياء أكثر مما موضعُ العين واللام منه ياءان مثل شويت، وهو أكثر في الكلام من حييت.

وقيل: أصلها فاعلة، فذهبت منها اللام أو العين تخفيفاً، ولو جاءت تامة لكانت آيية، وقوله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ﴾، قال الزجاج: معناه: نريهم الآيات التي تدل على التوحيد في الآفاق، أي: آثار من مضى قبلهم من خلق الله عز وجل في كل البلاد، وفي أنفسهم من أنهم كانوا نُطفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عظاماً كسيت لحماً، ثم نُقلوا إلى التمييز والعقل، وذلك كله دليل على أن الذي فعله واحد ليس كمثله شيء تبارك وتقدس.

والآية: طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاع معناها عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وعن الكلام الذي قبلها في آخره، وعن الكلام الذي قبلها والذي بعدها في غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك.

وقولهم: الآية: هو بإعراب ثلاثة تأويلها: اقرأ الآية، أو أتمها، أو الآية إلى آخرها، أو إلى آخر الآية.

محمد الطيب الإبراهيم

المراجع: ١٠١، ٤٣٣، ٤٤١، ٥١٩.

* * *

أبابيل

أبابيل: أي جماعات، جمع إِبَّالة ـ بكسر الهمزة، وتشديد الباء الموحدة ـ وحكى الفرّاء: آبالة مخففاً، وهي حزمة الحطب الكبيرة، شُبِّهت بها الجماعة من الطير في تضامها.

وتستعمل أيضاً في غيرها، ومنه قوله:

كادت تهد من الأصوات راحلتي
إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

وقيل: واحدة أبول، مثل عجول. وقيل: إبيل، مثل سكين.

وقيل: أبال.

وقال أبو عبيدة والفراء: لا واحد له في لفظه، كعباديد، الفرق من الناس الذاهبون في كل وجه.

وجاءت هذه الطير ـ على ما روي عن جمع ـ من جهة البحر، ولم تكن نجدية، ولا تهامية، ولا حجازية، وزعم بعض: أن حمام الحرم من نسلها، ولا يصح ذلك [تفسير الآلوسي ٣٠/ ١٣٦، ٢٣٧].

وقال الطبري في تفسيره: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل/٣]، [تفسير الطبري ٣٠/ ٢٩٦ ـ ٢٩٨]: «وأرسل عليهم ربك طيراً متفرقة يتبع بعضها بعضاً من نواح شتى»، وهي جمع لا واحد لها، مثل: الشماطيط والعباديد، ونحو ذلك.

وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى، أنه لم ير أحداً يجعل لها واحداً...

وقال الفراء: لم أسمع من العرب في توحيدها شيئاً. قال: وزعم أبو جعفر الرؤاسي، وكان ثقة، أنه سمع أن واحدها: إبالة.

وكان الكسائي يقول: سمعت النحويين يقولون: أبول، مثل: العجول. قال: وقد سمعت بعض النحويين يقول: واحدها: أبيل.

ومن تفسير أهل التأويل لها:

قال عبد الله بن مسعود: فرق.

وقال ابن عباس: هي التي يتبع بعضها بعضاً.

وقال إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل: هي الأقاطيع، كالإبل المؤبلة.

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى: هي المتفرقة.

وقال الحسن البصري: هي الكثيرة.

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: هي الزمر.

وقال مجاهد بن جبر: هي شتى متتابعة مجتمعة.

وقال قتادة: هي الكثيرة.

وقال الضحاك: هي المتتابعة بعضها على أثر بعض.

وقال ابن زيد: هي المختلفة، تأتي من ها هنا، وتأتي من ها هنا، أتتهم من كل مكان.

وذكر أنها كانت طيراً أخرجت من البحر. وقال بعضهم: جاءت من قبل البحر.

وعن ابن عباس: هي طير، وكانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير، وأنف كأنف الكلاب.

وعن عكرمة: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع.

وعن عبيد بن عمير: هي طير سود بحرية، في مناقرها وأظافرها الحجارة.

وعن سعيد بن جبير: طير خضر لها مناقير صفر تختلف عليهم.

وقال الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٨٦: أبابيل: حزائق، الواحدة إبالة. وفي أمثالهم: ضغث على إبالة، وهي الحزمة الكبيرة، شبهت الحزمة من الطير في تضامها بالإبالة.

وقيل: أبابيل مثل عباديد وشماطيط، لا واحد لها.

وقال ابن النحاس «في إعراب القرآن ٥/ ٢٩١، ٢٩٢»: ومعروف في كلام العرب: جاؤوا أبابيل: أي جماعة بعد جماعة عظيمة كثيرة بعد جماعة. مشتق من أبل عليه، إذا كثر وجمع، ومنه سميت الإبل، لعظم خلقها.

وأصح ما قيل في واحد الأبابيل، ما قاله محمد ابن يزيد، قال: واحدها إبيل، كسكين وسكاكين.

وقال القاسمي «في محاسن التأويل ١٧/ ٢٥٦»: والتنكير في (طيراً) إما للتحقير، فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر. أو للتفخيم، كأنه يقول: وأي طير ترمي بحجارة صغيرة فلا تخطىء المقتل.

وقال ابن فارس «في مجمل اللغة ١/ ٨٤»: «والإبالة: الحزمة من الحطب. والإبيل: راهب النصارى، وكانوا يسمون عيسى عليه السلام: أبيل الإبيلين.

وطير أبابيل: جماعات، واحدها إبيل. وسمعت: أبولا مثل عجول».

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ٦١/ ١، ٤٢٨.

* * *

الإباضية

فرقة انبثقت بالأساس من الخوارج في الربع الأخير من القرن الأول للهجرة، وتعود أصل النشأة إلى جابر بن زيد الأزدي العماني، وكان قد واكب التأسيس عبد الله بن إباض، فاشتهرت حركتهم باسمه فدعيت: إباضية.

وجدت هذه الدعوة في عُمان تربة خصبة، وهي بلد جابر بن زيد، ولا تزال الإباضية، حتى اليوم، منتشرة في عمان، وكذلك انتشرت، في أول عهدها، في اليمن وحضرموت وزنجبار، وانتقلت إلى المغرب حيث انتشرت ولا تزال في كل من الجزائر وليبيا وتونس.

وقد حكمت أسرة إباضية، هي الأسرة

الرستمية، في تاهرت (تاكدمت) بالجزائر أكثر من ١٣٠ عاماً إلى حين زوال حكمها على أيدي الفاطميين، وقد عاشت الدولة الرستمية ما بين عامي (١٦٢هـ - ٢٩٧هـ).

أورد الشهرستاني عنهم قولهم: إن مخالفي الإباضية من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السِرِّ غيلة، إلا بعد نصب القتال، وإقامة الحجة.

وقالوا كذلك: إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، وقالوا في مرتكبي الكبائر: إنهم موحدون لا مؤمنون.

وقد التزموا في اختيار الإمام الصفات المتوافق عليها عند سائر المذاهب وهي العلم والعدالة والكفاية وسلامة الأعضاء.

وقال ابن حزم: وأقرب فرق الخوارج إلى أهل السنَّة أصحاب عبد الله بن يزيد الإباضي الفزاري الكوفي.

ومن الإباضية اليوم، إضافة إلى عُمان، مجموعات متماسكة لها نظامها في كل من ورجلة ومزاب وجبل نفوسة وجزيرة جربة وسواها في بلدان المغرب العربي.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٨٠، ٥٠٢، ٥٢٤، ٥٧٠.

* * *

الأبدال

لغة: هم قومٌ من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر، والواحد بديل. وفي اصطلاح الصوفية: هم قوم ذكروا الله عز وجل بقلوبهم تعظيماً لربهم لمعرفتهم بجلاله، فهم حجج الله على خلقه، ألبسهم النور الساطع من محبته، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته، وطهَّر أبدانهم بمراقبته، وطيَّبهم بطيب أهل مجاملته، وكساهم حللاً من نسج مودته، ووضع على رؤوسهم تيجان مسرَّته، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلته، فهمومهم إليه ثائرة، وأعينهم إليه بالغيب ناظرة، قد أقامهم على باب النظر من قربه، وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته، فهم الشغوفون به وبوده، والكلفون بخطابه وعهده.

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: (خيار أمتي خمس مئة، والأبدال أربعون، فلا الخمس مئة ينقصون ولا الأربعون ينقصون، كلما مات بَدَلٌ أبدل الله من الخمس مئة مكانه وأدخل في الأربعين مكانهم، فلا الخمس مئة ينقصون ولا الأربعون ينقصون، فقالوا: يا رسول الله دلَّنا على أعمال هؤلاء؟ فقال: هؤلاء يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويواسون مما آتاهم الله، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾) [آل عمران/ ١٣٤] [رواه ابن عساكر].

ومن أخلاق الأبدال استقصاء الوَرَع وتصحيح الإرادة وسلامة الصدر للخلق والنصيحة لهم. وورد في بعض الآثار أنهم في بلاد الشام.

أحمد كفتارو

المراجع: ٣٤٣، ٤٣٤.

* * *

الأبرار

البِرُّ: الصدق والطاعة، والبر: الصلاح، والخير، وفي التنزيل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٩٢]، فجَمَع كل خير وعمل صالح يتقرب الإنسان به إلى الله في هذه اللفظة.

وقالوا: البر: خير الدنيا والآخرة؛ فخير الدنيا ما ييسره تبارك وتعالى للعبد من الهدى والنعمة والرزق، وخير الآخرة الفوز بنعيم الجنة الدائم. ويقال: رجل بَرٌّ بذي قرابته، وبارٌّ من قوم بررة، وأبرار.

وقد وردت لفظة (أبرار) في القرآن خمس مرات، تَدور كلها على معاني الوفاء والصلاح وطاعة الله تعالى واجتناب المعاصي. ففي التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار/ ١٣، ١٤].

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ: (إنما سماهم الله أبراراً لأنهم بروا الآباء والأبناء). وقال ابن عمر: «كما أن لك على ولدك حقاً كذلك لولدك عليك حق». وذكروا من ذلك أن يحسن اختيار الزوجة، واختيار الاسم الحسن، وتأديب الولد (ذكراً وأنثى) وتعليمه.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٤٤١، ٤٦٤.

* * *

إبراهيم (عليه السلام)

جاء إبراهيم على فترة من النبوة بعد نوح عليه السلام، وكان مولده في بلاد ما بين النهرين في زمن الملك «نمرود»، وكان آزر والد إبراهيم عليه السلام يحترف صناعة الأصنام التي يعبدها قوم نمرود، ولما شبَّ إبراهيم كان يعطيه الأصنام ليبيعها في الأسواق، وكان إبراهيم يخرج بها ويهزأ منها ويقول: من يشتري ما لا يضره ولا ينفعه؟ فلا يشتريها منه أحد.

بعد أن أشهر عبادته لله الواحد، وأنكر على قومه عبادة الأصنام وصل أمره إلى نمرود، وجادله، وبعدها جمع نمرود حطباً وأوقد ناراً كبيرة ليحرق بها إبراهيم، ورموه عليه السلام فيها، فكان تأييد الله تعالى لخليله بالأمر الإلهي: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء/ ٦٩]، وكان ذلك، فنجا إبراهيم من نار نمرود، وخرج بعدها إلى بلاد الشام فأورشليم ومنها إلى بلاد مصر ومعه زوجه سارة.

في مصر أعطته زوجه سارة جاريتها هاجر ليرزق منها ولداً حيث كانت هي عقيماً، ودعا ربّه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الصافات/ ١٠٠]، فكان أمر الله وحملت هاجر ووضعت له إسماعيل. وبعدها بسنوات أربع أو أكثر حملت سارة ووضعت له إسحاق.

وتجمع المصادر على أن قوم إبراهيم في بلاد ما بين النهرين كانوا يعبدون الكواكب ويهتمون بالتنجيم، ومن معبوداتهم نانار إلّه القمر وزوجه ننجال.

ولكن إبراهيم آمن بالله الواحد مالك السموات والأرضين، وهو السرمدي الأبدي. من النصوص التي أوردها كتاب التوراة في هذا الباب ما يلي:

«فقال أبرام (إبراهيم) لملك سدوم: رفعت يدي إلى الرب الإلّه العليِّ مالك السماوات والأرض».

«وغرس شجراً في بئر سبع ودعا هناك باسم الرب الإلّه السرمدي».

وإبراهيم عليه السلام اختتن بعدما تجاوز التسعين من عمره، وكذلك اختتن ولداه إسماعيل وإسحاق. وفي نصوص العهد القديم الموجودة بين أيدينا أن هذا الختان كان علامة للعهد مع الله. والنص: «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يُختن كل ذكر منكم. وابن ثمانية أيام يُختن كل ذكر منكم مدى أجيالكم المولود في منازلكم والمشترى بفضة من كل غريب ليس من نسلكم».

والعهد الجديد جاءت نصوصه على توحيد إبراهيم وإيمانه. ففي رسالة بولس إلى أهل رومية: «فالآن، ماذا يقول الكتاب: آمن إبراهيم بالله فحسب له ذلك برّاً».

أما إظهار الدور الرسالي في الدعوة إلى عقيدة التوحيد وهجر ما كان عليه قوم إبراهيم في بلاد ما

بين النهرين من تقديس وعبادة للكواكب، فقد ورد في النص القرآني على شكل حوار ذاتي خاضه إبراهيم عليه السلام على شكل نجوى وانتهى الحوار بإعلان الإيمان بالله تعالى الواحد.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ *فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام/ ٧٤ ـ ٧٨].

هذا الحوار دليل لإزالة الشك عند كل متشكك، ودليل لكل داعية كي يتَّسع صدره عندما يحاور متشككاً، فإبراهيم عليه السلام قد تبرَّأ أصلاً مما يعبد قومه وآمن بوحدانية الله، ولكن هذا الحوار جاء تعليمياً بلسانه، والله أعلم.

إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن والمكرَّم على الكبر بمولودين هما: إسماعيل وإسحاق، جاءه بلاء عظيم وامتحان لا امتحان أصعب منه حين أُمر أن يذبح ابنه وسلَّم أمره لله تعالى، ففدى الباري سبحانه الذبيح بكبش عظيم من الغنم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ * فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ * وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ * وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات/ ١٠٢ ـ ١٠٧].

وإذا كانت المواقف قد تباينت في تحديد الذبيح، وهل هو إسماعيل أم إسحاق؟ فإن المستفاد من الأمر هو ذلك الاستعداد عند إبراهيم عليه السلام، وتلك الطاعة لله تعالى بأن يضحي الإنسان بأعز ما يخصه، ابنه. والوجه الآخر هو طاعة الذبيح الذي أنطقه الله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات/ ١٠٢].

ولأمر أراده الله تعالى كان أمر انتقال إبراهيم بزوجته هاجر وولده إسماعيل إلى مكة المكرمة، وأبقى سارة مع ولده إسحاق في بلاد الشام. وفي الانتقال إلى أرض مكة، رغم كرامتها ومكانتها، مخاطرة بالمولود وأمه بسبب طبيعة الأرض الجرداء وندرة الماء فيها أو انعدامه.

ولكن الغاية كانت التقرُّب إلى الله، لذلك لم يجد إبراهيم مشكلة في تنفيذ الأمر. قال الله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم/ ٣٧].

وكان ما كان من أمر خروج ماء زمزم إكراماً لإسماعيل وأمه، واعتماد ما كان لهما في شعائر الحج في الإسلام. والكعبة التي تقادَم عليها الزمن وتداعت جدرانها، وتهدَّم بعض بنيانها كان لها نصيب في هذا المسار، حيث قام إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام برفع بنيانها وتجديده. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة/ ١٢٧].

إنها تضحية من نوع آخر أن يترك إبراهيم زوجته وابنه ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ ولكن الأمر يكون مقبولاً، والاستعداد يكون تاماً حين يكون الأمر إلهياً، فما على العبد إلاّ أن يطيع، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف/ ٦٤]، ولن يضيِّع عباده الأصفياء.

إن في الدور الرسالي الذي كُلِّف به إبراهيم عِبَرٌ كثيرة أبرزها:

١ ـ التضحية بالنفس حين قَبِل أن يُلقى في النار ولم يتراجع عن معتقده، ولم تخفه النار التي أوقدها نمرود ما دام الله حسبه. وتلت ذلك تضحيات أخرى بالاستعداد لذبح ابنه قبل أن يُفدى بالذبح العظيم، ويترك زوجته وابنه بوادٍ غير ذي زرع.

٢ ـ الثبات على الدور الرسالي، والإصرار على

إنجاز ما أمره به الله تعالى في دعوة الأقوام إلى الله تعالى، وعندما كانوا يتمردون ويتمسكون بشركهم وعقائدهم الفاسدة كان موقفه عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات/ ٩٩]، وثباته هذا منحه وصفاً تميَّز به، حيث قال الله تعالى عنه بأنه أمة دون الناس، وما ذلك إلا للتدليل على مكانته عند الله تعالى، ففي الآية الكريمة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل/ ١٢٠].

وبعد وفاته دفن في حبرون التي سميت بالخليل نسبة إليه عليه السلام وفيها مسجد ومزار.

أسعد السحمراني

المراجع: ٨٣، ١٢٢، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤.

* * *

إبليس

إبليس لفظ مشتق من الفعل بَلَس، بفتح الباء الموحدة واللام، إذا انقطع خيره، ومنه الإبلاس، وهو الانكسار والحزن، يقال: أبلس فلان إذا سكت غماً، ويجمع على أباليس وأبالسة، وسمي إبليس بذلك لأنه انقطع عن رحمة الله تعالى، لأن الله تعالى لعنه.

واختلف أهل العلم في إبليس هل هو من الملائكة أم من الجن؟ فذهب الجمهور إلى أنه من الملائكة، وبه يقول ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وابن المسيب وقتادة وغيرهم، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري، وبه يقول الطبري، وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٣٤].

قال ابن عباس: كان إبليس من الملائكة فلما عصى الله غضب عليه فلعنه فصار شيطاناً. وقال قتادة: إنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجِنَّة. وعليه حملوا قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف/ ٥٠].

وذهب الحسن وقتادة وابن زيد وابن عباس، في رواية عنه، وابن مسعود وغيرهم: إلى أن إبليس من الجن. قال قتادة: إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو البشر ولم يكن ملكاً، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف/ ٥٠]، وحملوا الاستثناء في الآية السابقة على أنه منقطع.

والظاهر القول الثاني لما استدلوا به، ولأن الملائكة لا تتأتى منهم المعصية وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم/ ٦]، بخلاف الجن والإنس فإن فيهم المؤمنين والكافرين وفيهم العصاة والصالحون.

ومجمل قصة إبليس التي أدَّت به إلى حلول لعنة الله تعالى عليه، أن الله تعالى حين خلق آدم عليه السلام وجعله مهيأً ليكون خليفة في الأرض يعمرها بما أودع الله تعالى فيه من القوة العقلية والقوة العضلية كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود/ ٦١]، أمر الملائكة بالسجود لهذا المخلوق تكريماً له، فاستجاب الملائكة كلهم أجمعون لأمر الله تعالى، لكن إبليس امتنع عن ذلك حسداً منه لآدم وتكبراً عليه، فغضب الله تعالى على إبليس وطرده من رحمته وتوعَّده بنار جهنم يوم القيامة، وأنظره إلى قيام الساعة، وأكرم آدم فأدخله الجنة ونهاه عن الأكل من شجرة معينة فيها وحذَّره من إبليس وعداته لآدم وزوجته، وأخبرهما بأن إبليس حريص على إخراجهما من الجنة لينتقم من آدم الذي كان سبباً في شقائه. فتمكن إبليس من تزيين الأكل من الشجرة لآدم وزوجه فوقعا في المخالفة فأخرجهما الله تعالى من الجنة، وأُهبط الجميع إلى الأرض، وزوِّد آدم بتوجيهات لحفظه وذريته من وساوس

الشيطان الذي يسعى إلى إضلال بني آدم ليكونوا معه في نار جهنم يوم القيامة انتقاماً من هذا المخلوق الذي تسبب في جعله من أهل النار.

وقد ورد مجمل هذه القصة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف/ ١١ ـ ١٨].

وكما حذر الله تعالى آدم وحواء من عداء الشيطان لهما كي لا يتمكن من إيقاعهما في المخالفة حين أدخلهما الجنة ونهاهما عن الأكل من شجرة معينة فيها، فقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه/ ١١٧]، كذلك فقد نبّه الله تعالى بني آدم على هذه الأرض إلى عداء الشيطان لهم، وأنه يسعى إلى إضلالهم عن شرائع الله تعالى ليصيروا شركاء له في المصير المحتوم الذي ينتظره يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر/ ٦].

والذي يعصم من وساوس الشيطان وتزييناته هو الاستعاذة بالله تعالى والذكر كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٠، ٢١].

وليس لإبليس سلطان وهيمنة على المؤمن الذي يذكر الله تعالى كما شرع الله عز وجل، وإنما تحصل هيمنته على الغافلين عن الله تعالى حيث يصبحون منقادين لوساوسه وتزييناته، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل/ ٩٩، ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم/ ٢٢].

زكريا المصري

المراجع: ١٩٧، ٤٦٢.

* * *

ابن السبيل

هو المسافر، المنقطع في سفره، وهو يريد الرجوع إلى بلده، ولا يجد ما يتبلّغ به. وقد سُمّي ابناً للسبيل لكثرة سفره، وملازمته الطريق، وتأويله الذي قُطع عليه الطريق.

وفي الحديث الشريف: (حريمُ البئر أربعون ذراعاً من حواليها لأعطان الإبل والغنم، وابن السبيل أَوْلى شاربٍ منها)، أي: عابر السبيل المجتاز بالبئر أو الماء أحقُّ به من المقيم عليه، يُمكَّن من الوِرْد والشرب، ثم يدعه للمقيم فيه. وأعطان الإبل والغنم: جمع عَطَن، وهو مَبْرَك الإبل ومَرْبِض الغنم.

وقد حثَّ اللَّهُ تعالى المسلمين على مساعدة ابن السبيل، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم/ ٣٨]، وجعل له نصيباً في الزكاة فقال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا... وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة/ ٦٠].

نايف معروف

المراجع: ٣٣٤، ٤٤١.

* * *

ابن حزم

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. ولد في قرطبة في شهر رمضان من سنة ٣٨٤هـ ونشأ فيها، وكانت وفاته في شعبان من سنة ٤٥٦هـ.

ترعرع ابن حزم في ظل عائلة ميسورة مما ساعده على التحصيل، وقد غادر قرطبة سنة ٤٠٤هـ، على أثر فتن ومشاكل، إلى المرية حيث أقام فيها حتى سنة ٤٠٧هـ، حين اضطر لتركها بعد أن خُلع أميرها سليمان الأموي من قبل علي بن حمود بالاشتراك مع «خيران» صاحب المرية.

وخيران هذا سجن ابن حزم ظناً منه أنه يؤيد الأمويين، ومن ثم أطلق سراحه فرحل إلى بلنسية حيث كان قد نودي بعبد الرحمن الرابع المرتضى خليفة، وهناك كرّم ابن حزم وعيّنه المرتضى وزيراً له وشارك في حرب غرناطة مع جيش المرتضى ووقع في الأسر.

بعدها، وفي عام ٤٠٩هـ، رجع ابن حزم إلى قرطبة بعد أن استلم السلطة فيها عبد الرحمن الخامس المستظهر صديق ابن حزم، فاستوزر عنده، وكان ذلك سنة ٤١٤هـ، وبعد شهرين على الوزارة اغتيل عبد الرحمن وأُودع ابن حزم السجن.

بعد هذه الحياة السياسية المتقلبة انتقل ابن حزم إلى شاطبة سنة ٤١٨هـ، ليخلد إلى الراحة ويتفرغ للتصنيف والكتابة حيث ترك تراثاً قيّماً، ولا تزال مصنفاته مصادر أساسية وأبرزها:

- **الإحكام في أصول الأحكام**: حدد فيه أصول المذهب الظاهري مع المقارنة بمذاهب أخرى.
- **المحلّى**، وهو موسوعة فقهية على المذهب الظاهري.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، وهو كتاب في العقائد والفرق ومدارس علم الكلام.
- **الأخلاق والسير في مداواة النفوس**، وهو في فلسفة الأخلاق.
- **طوق الحمامة**، وهي في التحليل النفسي لحالات العشق والعلاقات بين الجنسين، صاغها بطريقة قصصية منبهاً من مسائل كثيرة بطريقة إبراز الشناعات.

وغير ذلك كثير.

كان فقيهاً وأديباً وفيلسوفاً وعالم تربية ورجل سياسة، وتميَّز بسعة العلم والاطلاع. أورد ابن خلكان عنه ما يلي: «قال ابن بشكوال في حقِّه: كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة بعد توسُّعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسِّير والأخبار. أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه أربعمائة مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة».

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي: «ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين».

ابتدأت دراسته بالمذهب المالكي، وانتقل بعدها إلى المذهب الشافعي، وأعجب به، ومال إليه، لكنه لم يلبث أن غادره ليلتزم مذهب داود الظاهري، وليصبح بعدها أبرز أعلام هذا المذهب، وما كتبه هو المصدر الأساسي فيه.

مذهب ابن حزم على ما كان عليه داود بن علي الظاهري أي الأخذ بالظاهر وبحرفية النص حتى في السياسة، ولم يعتمد البحث العقلي إلا في إثبات الرسالة والألوهية، فإذا ثبت ذلك، فما وراء ذلك سوى المنقول والأخذ بظواهره من غير بحث عن علل الأحكام ونحوها.

ليس عنده أخذ بالرأي، ولا مصدر سوى الكتاب والسنّة لفقهه.

يصرح بذلك في كتابه «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» حيث يقول:

«وجملة الخير كله أن تلتزموا ما نصَّ عليه ربكم تعالى في القرآن بلسانٍ عربي مبين لم يفرِّط فيه من شيء تبياناً لكل شيء، وما صحَّ عن نبيكم ﷺ

برواية الثقاة من أئمة أصحاب الحديث رضي الله عنهم مسنداً إليه عليه السلام، فهما طريقان يوصلانكم إلى رضى ربكم عزَّ وجلَّ.

ونحن نبتدىء من هنا، إن شاء الله تعالى، بالكلام في المعاني التي هي عمدة ما افترق المسلمون عليه، وهي: التوحيد، والقدر، والإيمان، والوعيد، والإمامة، والمفاضلة، ثم أشياء يسميها المتكلمون اللطائف».

وعلى هذا المنوال ينسج ابن حزم مواقفه كلها ملتزماً حرفية النص فيقول مثلاً وهو يتحدث عن صفات الله تعالى قائلاً: «لولا النص الوارد بتسميته حيّاً وقديراً وعليماً ما سميناه بشيء من ذلك، **لأن الوقوف عند النص فرض**».

أما ما حصل من انحراف عن دين الإسلام فسببه أن بعض من أزعجهم ظهور العرب من خلال حمل الدعوة للإسلام، فعمدوا إلى المكائد. يقول ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»:

«الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون الأحرار والأبناء، وكانوا يعدُّون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى».

وكان ابن حزم صاحب لسان كحدِّ السيف حتى أن بعضهم عدَّه قرين سيف الحجاج.

ونختم بأن ابن حزم هو من خلَّد المذهب الظاهري من خلال مؤلفاته التي لا تزال من المصادر والأمهات في أصول الفقه، والفقه، والعقائد، وفلسفة الأخلاق.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٥١، ٣٨٠، ٥٨١.

أبو بكر الصديق

اسمه «عتيق بن أبي قحافة» واشتهر «بالصدِّيق» لأنه كان أول من صدَّق رسول الله ﷺ وآمن به من الرجال، ولأنه كان يسارع إلى تصديقه فيما يقول حينما يتريَّث غيره أو يرتاب. فيوم رجع من تجارة له في بلاد الشام وأخبره أهل مكة بأن محمداً يقول: (إن الله أرسله لنعبده وحده) أجابهم: «إن كان قال فقد صدق».

ويوم ضجَّ الناس بخبر الإسراء والمعراج، وقف أبو بكر يقول: «إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء يأتيه في غدوة أو روحة، إن كان قال فقد صدق».

ولد سنة ٥٠ق.هـ ـ ٥٧١م، وأسلم سنة ١٣ق.هـ، وهو أول المسلمين من الرجال، كان صديق الرسول ﷺ، ورفيق دربه في هجرته من مكة إلى المدينة، وثاني اثنين إذ هما في الغار، ووالد زوج الرسول ﷺ عائشة أم المؤمنين.

ويوم توفي الرسول ﷺ ضجَّ الناس، حتى إن عمر بن الخطاب وقف يتوعد كل من يقول إن محمداً مات، فوقف الصديق، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران/ ١٤٤]، فهدأ الناس.

واجتمع كبار الصحابة في سقيفة بني ساعدة، وانتخبوا أبا بكر خليفة، وبايعه الناس. وفي أول خطبة له حدَّد، بإيجاز، نظام الحكم في الإسلام، فقال: «ولِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله ﷺ يطيق. وإنما أنا متَّبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى

آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يَدعُ قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمَّهم الله بالبلاء، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله».

وكان أول ما واجهه ارتداد كثير من القبائل عن الإسلام وعصيان أخرى، وبعضهم طلب إعفاءه من الزكاة، فقال قولته المشهورة: «لو منعوني عقال بعير لقاتلتهم عليه»، ووجه إليهم أحد عشر جيشاً قضت على الردَّة وأعادت الجزيرة العربية إلى حظيرة الإسلام.

وبعد الانتهاء من حروب الردة لم يترك المقاتلين يهنوا، ويشتغل بعضهم ببعض بعد حرب أهلية شرسة، فوجه الجيوش لفتح بلاد الشام والعراق ولم يقبل فيها مرتداً، فمضت تلك الجيوش تحقق النصر تلو النصر، وهو يديرها ويوجهها بحكمة ومقدرة لا تتوفران إلا لرجال خصهم الله بعنايته. ولما اشتد عليه المرض، وشعر بدنوِّ أجله، استشار كبار الصحابة فيمن يستخلف، ثم اختار عمر بن الخطاب، وكتب عهده بذلك عثمان بن عفان، ثم خرج على الناس فقال: «أترضون بمن أستخلف عليكم، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا ولَّيت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا»، فقالوا: سمعنا وأطعنا. ومضى إلى جوار ربه راضياً مرضياً في سنة ١٣هـ - ٦٣٤م، وأنجز هذه الإنجازات العظيمة كلها في سنتين وثلاثة أشهر.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ١/٢٥١، ٢٩٩، ١/٣٤٦، ١/٤٨٦.

* * *

أبو الحسن الأشعري (٢٦٠هـ - ٣٣٣هـ)

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن بلال بن أبي بُرْدة عامر بن أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ.

نشأ الأشعري أولاً على مذهب الاعتزال، وأخذ عن أبي علي الجبائي المعتزلي وسواه، والتزم مواقف المعتزلة في موضوعات عديدة كالتوحيد والعدل وخلق القرآن وغيرها، إلى أن قارب الأربعين حيث اعتكف في بيته عدة أيام خرج بعدها إلى المسجد الجامع بالبصرة ليعلن توبته عن مذهب الاعتزال وأقاويله في علم الكلام، ومما قاله على المنبر:

«من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أُعرِّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم».

بعد هذا الموقف أصبح لأبي الحسن الأشعري مذهبه الخاص في علم الكلام، وهو مذهب معتدل أخذ بما جاء به الكتاب والسنَّة من عقائد، وأخذ بنصوص القرآن كما هي من دون أن يدخل نفسه في تأويل المتشابه منها.

وفي موضوع النقل والعقل، أنكر على المعتزلة أقوالهم بضرورة تأويل الآيات القرآنية اتباعاً لما أوصل إليه العقل، وعنده الواجب أن يتم الأخذ بالنقل والعقل معاً. فالشرع نور من خارج، والعقل نور من داخل «نور على نور»، والعقل كالمصباح والشرع كالزيت.

وفي موضوع الجبر والاختيار قال الأشعري بأن الله تعالى قادر على كل شيء وخالق كل شيء، وكل ما يقع أو يكون إنما هو بإرادة الله تعالى، وهو سبحانه الذي يخلق في الناس القدرة على أداء الأفعال والعبد له الاختيار في الكسب، والنصوص القرآنية تؤيد ذلك أي أن القدرة على الفعل من الله والكسب من العبد. ففي القرآن الكريم: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة/ ٢٨٦]، ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور/ ٢١].

والمعتزلة ينفون رؤية الله في العالم الآخر، ويتأولون النص القرآني: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة/ ٢٢، ٢٣]، بينما يرى الأشعري بأن رؤية الله في العالم الآخر أمر حقيقي، ولكننا لا نعرف الطريقة التي تتم بها.

والمعتزلة قالوا بخلق القرآن بينما الأشعرية تقول: «كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى». والخلاصة: إن القرآن عنده قديم غير مخلوق.

وحول مسألة الاستواء والعرش، فبعد أن استعرض الأشعري الآيات الدالة على ذلك عقَّب قائلاً: «فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء، مستوٍ على عرشه في السماء. فإجماع الناس أنه ليس على الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستوٍ على عرشه، استواءً منزهاً عن الحلول والاتحاد».

وبعد أن كان للمعتزلة سلطانهم في العصر العباسي، استطاع الأشعري أن يواجههم، ويخفف من تأثيرهم، وكان حاسماً فيما ذهب إليه. فقد قال في مقدمة كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»:

«فإن كثيراً من الراغبين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فأوَّلوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل به الله سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين، وخالفوا روايات الصحابة - رضي الله عنهم - عن النبي ﷺ في رؤية الله بالإبصار وأنكروا شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين».

ويقول الأشعري: «وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون».

إن بُعد الأشعري عن الغلو واعتماده الطريق الوسط جعل له أتباعاً، ونصره كثيرون في حربه ضد المعتزلة وأهل البدع والأهواء، ونال لقب إمام أهل السنة والجماعة، وعرف مذهبه بمذهب أهل السنَّة والجماعة.

واشتهر من أتباع الأشعرية: أبو بكر الباقلاني، والراغب الأصفهاني، وأبو حامد الغزالي، وسواهم.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧، ١٥١، ٣٨٠، ٥٤٣، ٥٨١.

* * *

الأتابكة

إن لفظة أتابك، تركية تعني المربي (أتا: أب، وبك تعني: الأمير)، وكانت في الأصل تعني تربية أولاد السلطان، ثم أصبحت مع الأيام رتبة من الإمارة العسكرية والحكم. ولعل أول من استخدمها كلقب تشريف هو ملكشاه السلجوقي الذي خاطب بها وزيره، ووزير أبيه ألب أرسلان من قبله، نظام الملك، يريد أن يجعله بمنزلة المربي له، وسرعان ما استخدمها السلاجقة الآخرون. وقد منحه تاج الدولة تتش، أخو ملكشاه، لمملوكه طغتكين وكلَّفه تربية ابنه دقاق، كما منحه ولاية ميافارقين سنة ٤٨٠هـ، أو قبلها بقليل، فكان لاقتران اللقب بمنح الولاية لطغتكين، أن أُسبغ على اللقب المعنى السياسي العسكري لأول مرة.

وفي مطلع القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي وجد المماليك أمراء الجيش السلجوقي في هذا اللقب نوعاً من المطمح، لأنه بالتربية لأحد أبناء السلطان يمنح الأمير مكانة أعلى من غيره من الأمراء. وكان زنكي من أشهر مَن حمل اللقب بعد طغتكين، وفي أيامه توطد نظام الدولة الأتابكية، ومُنح هذا الاسم لعدد من الدول التي جاءت بعد السلاجقة العظام، فظهر، بعد أتابكة دمشق، بنو طغتكين والأتابكة الزنكيون، أتابكة إربل (أسرة بكتكين) والأتابكة بنو إيلدكز في أذربيجان وأتابكة

فارس السلغرية (المظفريون) في فارس، وأتابكة لورستان (بنو فضلويه)، وأتابكة لورستان الصغرى (بنو خورشيد)، وأتابكة شبانكارة وأتابكة يزد وكرمان. وتميزت جميع هذه الدويلات بأنها أعادت تقسيم الأمبراطورية السلجوقية الواحدة إلى ما يشبه دول «الطوائف»، حتى كان المد المغولي الذي اجتاح آسيا كلها، ولم يكن بإمكان أي أمير محلي الوقوف في وجه هذا المد.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٦٢، ٤٢٤.

* * *

الاتحاد

الاتحاد، لغة: هو ارتباط بين شيئين.

وفي المصطلح، هو ارتباط بين الخالق والمخلوق بحيث يحل الخالق في المخلوق وتتحد ذاتاهما، ولا شك أن هذا القول كفرٌ صريح يخالف عقائد الأمة. فالاتحاد لا يكون إلا بالأجناس، والله تعالى ليس بجنس حتى يحل بالأجناس، وكيف يحل القديم في الحادث والخالق في المخلوق؟ وبما أن الاتحاد بين المخلوقات محال، إذ لا يمكن أن يصير رجلان رجلاً واحداً لتباينهما في الذات، فالتباين بين الخالق والمخلوق، وبين الصانع والصنعة، وبين الواجب الوجود والممكن الحادث أعظم وأولى لتباين الحقيقتين.

فالله تعالى واحد بالإجماع، ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء أو يتحد في شيء، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد:

ودعْ مقالةَ قومٍ قالَ عالِمُهُم
بأنَّهُ بالإلَهِ الواحدِ اتحدا
الاتحادُ محالٌ لا قبولَ بهِ
إلا جهولٌ بهِ عن عقلِه شردا
وعَنْ حقيقتِهِ وعن شريعتِهِ
فاعبد إلهكَ لا تشركْ بهِ أحدا

وأما ما ورد من كلام الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهره الاتحاد فهو إما مدسوس عليهم، وإما أنهم لم يقصدوا به القول بهذه النحلة الدخيلة. وهذا الاتحاد مشترك، فيطلق على المعنى المذموم كالحلول، وهو كفر، ويطلق على مقام الفناء الذي هو محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه، وفناء العبد في مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد إذا عمل كل منهما بمراد صاحبه، والمقصود هنا اتحاد المراد الديني الأمري بين العبد وربه لا المراد الكوني القدري.

ومن قال بالاتحاد فقد شابه بقوله هذا النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام: اتحد ناسوته بلاهوته.

وقد وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد، فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد فاشتبه ذلك على من لا يعرفه.

ومن تحقق بهذا الفناء لا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا فيه ولا يوالي إلا فيه ولا يعادي إلا فيه... فيكون دينه كله ظاهراً وباطناً لله، ولا يواد من حادَّ الله ورسوله ولو كان أقرب الخلق إليه، فالله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

أحمد كفتارو

المراجع: ٢٢٨، ٤٦٨، ٥٩٠.

* * *

الإثبات

الإثبات، لغة: هو تأكيد الحق بالبيِّنة، أي بالدليل والحجَّة.

والإثبات، قانوناً: هو تأكيد حق مُتنازع فيه، له أثر قانوني بالدليل الذي أباحه القانون لإثبات ذلك الحق، لأن المشترع لم يبح التمسك بأي دليل، وحتَّم توفُّر أدلة معيَّنة دون أخرى لإثبات بعض الحقوق، مثال ذلك: لا يسمح القانون بالإثبات

بشهادة الشهود فيما تعدَّت قيمته مبلغاً معيناً (وهو عادة ضئيل جداً يتفاوت من تشريع لآخر)، بل أوجب الإثبات بالكتابة، إلا في المواد التجارية وفي بعض الحالات الاستثنائية.

والإثبات في الشريعة الإسلامية لا يخرج عن التعريف الوارد أعلاه، لأن الشارع سبحانه وتعالى، في جميع المواضيع، يقصد ظهور الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التي هي أدلة عليه وشواهد له.

وقد أجمع علماء القانون في فرنسا على أنه لا يجوز للقاضي أن يقضي بعلمه الشخصي، وحسب القانون الإنجليزي لا يستطيع القاضي الجالس لنظر دعوى أن يكون شاهداً فيها، فالقاضي ليس إلا بشراً غير معصوم، والناس كلهم مهما سمت مراكزهم، ومهما عُرف عنهم من الورع والتديُّن، معرَّضون للخطأ والنسيان وعدم النزاهة المطلقة، كذلك، فيجب عدلاً تمكين القاضي الذي يفصل في الدعوى والخصم من مناقشة أي شاهد، ولذلك يجب على القاضي أن يتنحَّى عن نظر قضية له فيها معلومات شخصية علم بها خارج مجلس القضاء. وهذا هو الرأي المعوَّل عليه في الشريعة الإسلامية.

مرَّ الإثبات القضائي في العالم بأدوار ثلاثة:

الدور الأول: هو العهد الذي لم تكن فيه شريعة، ولا قانون ولا قاض يقضي بين الناس فيما كانوا يختلفون فيه، فكان كل شخص يقضي لنفسه بنفسه.

الدور الثاني: هو عهد الدليل الإلّهي، فكان المشكو يُعطى السُّمَّ، فإذا كان بريئاً حَمَته الآلهة من فعله، أو كان يُلقي في النهر، أو يُصَبُّ عليه زيت أو ماء مغلي، أو يضع لسانه على النار، أو يعرَّض لعضِّ الثعابين بإلقائه بينها، وكان البعض يجرِّب السمَّ في حيوان الخصم، فإذا عاش، اعتبر صاحبه بريئاً وإلا فيُعطى السم للخصم نفسه. وكان الكاهن يخفف من مضار ذلك بالغش في العمل، فكان لا يعطي إلا كمية قليلة من السم مثلاً. وكان عند بعضهم أمر غريب، وهو أنه إذا اتهمت عروس يوم زفافها بأنها لم توجد بكراً، سُقيت ماءً فيه تراب من الهيكل، فإذا شلَّ ذلك الفخذين أو نفخ الأمعاء كان ذلك إثباتاً عليها. ومن أغرب طرق الإثبات في ذلك الوقت أنه كان يحضر كل طرف ديكاً، وتجري معركة بين الديوك، والديك الغالب إثبات لمصلحة صاحبه.

الدور الثالث: وهو عهد الدليل الإنساني، فعندما ترقى العقل البشري قام بتفضيل الإثبات بالشهود، ولكن كانت هناك شهادة الزور أو الامتناع عن الشهادة أو عدم وجود شهود، فكان يُلجأ إلى أخذ الاعتراف بالتعذيب، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر العظيم، إذ كان الحال ينتهي دائماً بالمعذَّب إلى الاعتراف بما نُسب إليه سواء أكان مذنباً أم بريئاً. وعندما انتشر التعليم وأخذت الأمية تزول، لجأ الناس إلى الكتابة في الإثبات وحصر شهادة الشهود وقرائن الأحوال في دائرة ضيقة. ثم ترقّى الإثبات بالكتابة من الكتابة المعرفية إلى الكتابة الرسمية، وهي أقوى كثيراً في الإثبات وفي التنفيذ، ويُلجأ إليها في المسائل المهمة عند من يعتنون بتنظيم معاملاتهم وبنائها على قواعد متينة، وقد حققها المشترع في بعض الأمور. هذا في المسائل المدنية، أما في المسائل الجنائية، فإن شهادة الشهود والقرائن لها المقام الأول لتعذُّر الكتابة فيها، إذ من النادر أن يقرَّ المجرم كتابة بما اقترف.

وهناك ثلاثة مذاهب في الإثبات:

المذهب الأول: وهو مذهب الإثبات المقيَّد الذي يحتِّم توفر أدلة معينة بحيث لا يجوز للخصم إثبات الحق الذي يدعيه بأي دليل آخر غيره، وهذا المذهب يهدر الحقوق. وقد ساد مذهب الإثبات المقيد في الشرائع اللاتينية، وفي بعض الفقه الإسلامي حيث تحدد نصاب الشهادة وتحددت قواعد ترجيح البينات في المواد ١٨٥٦ ـ ١٧٧٠ من مجلة الأحكام العدلية، إلا أن ثمة

بعض الفقهاء المسلمين الذين يقولون بأن للقاضي حق تقدير شهادة الشهود.

المذهب الثاني: وهو المذهب المطلق. ففي هذا المذهب لا تقييد لطرق الإثبات، وللقاضي الحرية في تكوين قناعته من أي دليل يتوافر لديه بمبادرة منه، أو من قبل المتخاصمين دون أن يكونوا مقيَّدين بوسائل معينة.

وهذا ما يجعل الإثبات القضائي كالإثبات الأدبي المطبَّق في العلوم الطبيعية والتاريخ حيث لا قيود في البحث والاستقصاء التماساً للحقيقة، وقد ساد هذا المذهب لدى بعض رجال الفقه الإسلامي وفي القانون الألماني والقانون السويسري.

وقد ثار الفقيه ابن قيِّم الجوزية على تحديد الفقهاء للأدلة في الإثبات تحديداً جامداً، وتقيدهم بشهادة الشهود وأخذهم بها دون القرائن والأدلة الأخرى، ونادى بوجوب ترك الإثبات حراً، «فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثمَّ شرع الله».

إلا أنه يُعاب على مذهب الإثبات المطلق عدم الاطمئنان إلى الحقوق، كما يعطي القاضي سلطة مطلقة في التقدير يُخشى معها الوقوع في الخطأ أو الانقياد إلى الأهواء والنزوات.

المذهب الثالث: وهو المذهب المختلط. فهذا المذهب هو مزيج من الإثبات المقيَّد والإثبات المطلق. فالإثبات المقيد هو القاعدة في الأعمال القانونية والعقود المدنية. أما الإثبات المطلق فيتناول المسائل التجارية لأنها تستوجب السرعة، ولا تأتلف غالباً مع إجراءات شكلية قد تعيق حركتها وتسارع أعمالها. كما يتناول هذا المذهب أيضاً الوقائع المادية التي تفاجىء الشخص فيتعذر عليه تهيئة وسائل إثباتها.

ومن أمثلة ذلك الأعمال التي تلحق ضرراً بالغير وأخصّها الجرائم.

لقد جمع المذهب المختلط بين مزايا المذهبين المقيد والمطلق، مراعياً في ذلك ما يفرضه منطق الأشياء والتعامل الجاري بين الناس، تاركاً للقضاء حرية التقدير في وسائل الإثبات، وقد أخذت معظم التقنينات العربية بهذا المذهب.

والإثبات حق وواجب، وهو من متمِّمات حق اللجوء إلى القضاء، وقد أجمعت كلٌّ من الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية على القول إن البيِّنة على المدَّعي، وكل من يطالب الغير بموجب مترتب بذمته أن يثبت دعواه، ذلك لأن الأصل هو براءة الذمة، وعلى المدعى عليه تقديم البينة المعاكسة، فلا يُكتفى بالإنكار المجرد لنفي الواقعة الثابتة موضوع الدعوى، وهذا ما كرَّسته مجلة الأحكام العدلية في المادة ١٦٩٩ حين نصت على أنه: «لا تُقبل الشهادة بالنفي الصرف» كالقول مثلاً: إن فلاناً غير مدين أو لم يبرح مكان إقامته، فلو اتهم شخص بارتكاب جريمة، فلا يمكنه دفع الاتهام بقوله: إنه لم يذهب أبداً إلى مكان الجريمة، بل يمكنه إثبات وجوده في غير مكان أو زمان وقوعها.

فوزي أدهم

المراجع: ٦٤، ٢٧٠، ٤٠٨، ٤٧٣، ٥٧٩.

* * *

الأثر

الأثر، بفتح الهمزة والتاء المثلثة، هو الخبر، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمعه النبي ﷺ يحلف بأبيه ونهاه عن ذلك، قال: فما حلفت به ذاكراً ولا آثراً، أي مخبراً عن غيري أنه حلف بذلك.

والأصل في الأثر أنه يُطلق على ما بقي من رسم الشيء، فيُطلق على ما بقي من البناء بعد تهدُّمه، ويُطلق على ما يبقى من ضرب السيف بعد شفاء الجرح منه، ونحو ذلك.

ويطلق الأثر على ما روي عن النبي ﷺ من السنن القولية والفعلية، أو التقريرية عند المحدثين،

فهو مرادف للحديث والخبر عند أكثرهم، فيطلق الأثر على المرفوع من الأخبار إلى النبي ﷺ، كما يطلق على الموقوف من الأخبار أيضاً، وهو ما نسب إلى غير النبي ﷺ من صحابي وغيره.

وذهب فقهاء خراسان إلى التفريق بين الأثر والخبر، فأطلقوا الأثر على الموقوف والخبر على المرفوع.

وقيل: بين الأثر والخبر عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر من غير عكس، والأثر ما روي عن الصحابة، ويجوز إطلاقه على كلام النبي ﷺ.

والأظهر اختصاص الحديث بما نُسب إلى النبي ﷺ، والأثر بما نُسب إلى غيره ﷺ للتمييز بينهما، والله تعالى أعلم.

زكريا المصري

المراجع: ١٦٢، ١٨٠، ٤١٨، ٤٦٢.

* * *

الإثم

الهمزة والثاء والميم تدل على أصل واحد، وهو: البطء والتأَخُّر. يقال: ناقة آثمة، أي: متأخرة. قال الأعشى:

إذا كَـذَّبَ الآثِـمـاتُ الـهـجـيـرا

والإثم مشتق من ذلك؛ لأن ذا الإثم بطيء عن الخير متأخر عنه.

والإثم: الذنب الذي يستحق العقوبة عليه، ولا يصح أن يوصف به إلا المحرَّم، سواء أريد به العقاب، أو ما يُسْتَحَقُّ به من الذنوب.

وبين الذنب والإثم فرق من حيث إن الذنب مطلق الجرم عمداً كان أو سهواً، بخلاف الإثم، فإنه ما يستحق فاعله العقاب، فيختص بما يكون عمداً، ويسمى الذنب: تبعةً، اعتباراً بِذَنَبِ الشَّيْءِ، كما أن العقوبة باعتبار ما يحصل من عاقبته.

والهمزة فيه من الواو، كأنه يثم الأعمال، أي يَكْسِرُها.

والأثام كسلام: الإثم وجزاؤه، و ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان/ ٦٨]، أي: عقاباً.

و ﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان/ ٤٤]: كثير الإثم، والإثم والوزر: هما واحد في الحكم العرفي، وإن اختلفا في الوضع؛ فإن وضع الوزر للقوة؛ لأنه من الإزار، وهو ما يقوي الإنسان، ومنه: الوزير، لكن غلب استعماله لعمل الشر، لمكان أن صاحب الوزر يتقوى ولا يلين للحق.

ووضع الإثم للَّذة، وإنما خص به فعل الشر؛ لأن الشرور لذيذة.

وتأثم: تجنب الإثم، تقول: فلان يتأثم من الصغائر، وتأثم: تاب منه واستغفر، وهو على السلب، كأنه سلب الإثم بالتوبة والاستغفار، أو رام ذلك بهما، وفي حديث معاذ: «فأخبر بها عند موته تأثماً»، أي تجنباً للإثم، يقال: تأثم فلان إذا فعل فعلاً خرج به من الإثم، ومنه حديث الحسن: «ما علمنا أحداً منهم ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة تأثماً».

والإثم: الخمر عند بعضهم، قال الشاعر:

شـربـت الإثـم حـتـى ضـل عـقـلـي
كـذاك الإثـم تـذهـب بـالـعـقـول

والإثم: القمار، وهو أن يهلك الرجُلُ ويذهبَ مَالُهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة/ ٢١٩]، قال ثعلب: كانوا إذا قامروا فقمروا أطعموا منه وتصدقوا، فالإطعام والصدقة منفعة.

محمد الطيب الإبراهيم

المراجع: ٤٣٣، ٤٤١، ٥١٩.

* * *

الإثنا عشرية

الإثنا عشرية نعتٌ يُطلق على الشيعة الإمامية القائلة بإثني عشر إماماً تعيِّنهم بأسمائهم،

ويستمدون عقيدتهم هذه من نص الحديث المرويّ عن رسول الله ﷺ في مرض موته: (أيّها الناس، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، فيُنطلق بي وقدمتُ إليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلِّفٌ فيكم كتابَ الله عزَّ وجل، وعترتي أهل بيتي).

فالسنة يتفقون مع الشيعة في أن الخلافة لا بدَّ منها، وأنها في قريش دون غيرهم، ويختلفون معهم في أمرين:

الأول: في حصر الخلافة بالهاشميين، وهو ما يقول به الشيعة، استناداً إلى ما رواه مسلم في صحيحه بعنوان: (كتاب الفضائل، ج ٢)، أن النبي ﷺ قال: (إن الله اصطفى كنانة من إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم).

والثاني: في تعيين الأئمة الإثني عشر بأسمائهم وأنسابهم عند الشيعة. أما السبب لتسمية هذه الفرقة من الشيعة بالإثني عشرية دون غيرها، فهو أن هذه الفرقة قد أجمعت على تعيين الـ (١٢) بأسمائهم وأعيانهم.

واختُلف في ذلك. ففي العودة إلى تفسير «الثقلين» و «عترتي» نجد في لسان العرب عن ثعلب: سُمّيا - أي القرآن والعترة - ثقلين، لأن الأخذ بهما ثقيل. قال: وأصل الثقل: أن العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون ثَقَل. فسماهما الثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما.

وأصله في بيض النعام المصون. وقال الإمام النووي في شرح هذه الرواية: قال العلماء: سُميا ثقلين لعظمهما وكبر شأنهما. وقيل للثقل العمل بهما. وقال ابن حجر (في صواعقه ص ٩٠): سمى رسول الله ﷺ القرآن وعترته - وهي بالمثناة الفوقيّة - الأهل والنسل والرهط والأدنون، ثقلين، لأن الثقل كل شيء نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية الأسرار، والحكم العليَّة والأحكام الشرعية. وقيل: سمّيا ثقلين، لثقل وجوب رعاية حقوقهما.

عبد المجيد الحر

المراجع: ٣٢٧، ٣٣٨، ٣٦٢، ٣٧٢.

* * *

اثنين الرماد

اثنين الرماد هو الاثنين الذي يلي أسبوع المرفع، وبه يبدأ زمن الصيام المقدس الذي يمتدّ أربعين يوماً وينتهي في أسبوع الآلام وعيد الفصح والقيامة.

في هذا اليوم، يوضع الرماد بشكل صليب على جبين المؤمن علامة على التوبة والانسحاق. هكذا اعتاد المؤمنون أن يفعلوا في العهد القديم: يصرخون بمرارة، يذرُّون فوق رؤوسهم التراب، ويتمرَّغون في الرماد. أما المثل الأهم، فهو ما صنعه أهل نينوى حين دعاهم يونان إلى التوبة لئلاَّ تُدَمَّر المدينة. قام الملك عن عرشه وخلع عنه رداءه، ولبس مسحاً وجلس على الرماد، وبعد ذلك، نادى بالصوم.

حين يوضع الرماد على جبين المؤمن في رتبة دينيَّة خاصة يقال له: اذكر يا إنسان أنك من تراب وإلى التراب تعود. نشير هنا إلى أن اللاتين يذرون بعض الرماد على رؤوسهم، لا يوم الاثنين، بل يوم الأربعاء، الذي يقع بعد غداة الاثنين.

جان بول أبو غزالة

* * *

إجارة

الإجارة مصدر من أَجَّر وآجَر، إجارَةً وإيجاراً. وفي الاصطلاح: عقد معاوضة على تمليك منفعة بعوض. ولأنها عقد معاوضة يجوز للمؤجر استيفاء

الأجر قبل انتفاع المستأجر، وإذا عجلت الأجرة تملكها المؤجر دون انتظار استيفاء المنفعة. وهي عقد لازم عند الجمهور، فلا يملك أحد المتعاقدين فسخه منفرداً، إلا لمقتضى من ظهور عيب لقوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة/ ١]، والإجارة مشروعة لقوله تعالى/ ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق/ ٦]، ولحديث الرسول ﷺ: (من استأجر أجيراً فليُعلمه أجرَه)، وقوله: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقُه)، وللإجماع، وللمعقول، لأن الإجارة تيسر للناس الحصول على ما يحتاجون إليه من منافع ما لا يملكونه.

وأركان عقد الإجارة، عند الجمهور: الإيجاب والقبول، والعاقدان والمعقود عليه. وذهب الحنفية إلى أن الإيجاب والقبول، هما ركناها، وأما العاقدان والمعقود عليه فأطراف ومقومات الإجارة، فلا يقوم العقد إلا باجتماعها كلها. وعليه فلا ثمرة للخلاف، والإجارة تنعقد بلفظ أجر وأكرى، وكل لفظ دال عليها، وكل عبارة دالة عليها، وتصح بالمعاطاة في الأشياء الخسيسة. والأصل في الإجارة أن تكون منجزة تبدأ من وقت العقد، ويجوز عند الجمهور إضافتها إلى المستقبل، في إجارة العين، والإجارة الثابتة في الذمة، وهي الواردة على منفعة موصوفة مع التزامها في الذمة، والإجارة غير قابلة للتعليق، إلا إذا كانت في صورة إضافة، كما لو قال: «إن فعلت لي هذا الأمر اليوم فبدرهم وإن فعلته غداً فبنصف درهم»، ويُشترط في صيغة العقد أن تكون واضحة الدلالة، وأن يوافق القبولُ الإيجابَ، واتصاله به في المجلس، وإلا في مجلس العلم إذا كان أحدهما بعيداً عن الآخر، كما يُشترط عدم تقييد الصيغة بشرط ينافي مقتضى العقد، أو بشرط لا يقتضيه العقد، كأن يشترط المؤجر لنفسه منفعة العين فترة، ويشترط لنفاذ العقد صدور صيغته ممن له ولاية التعاقد، وخلو الصيغة من شرط الخيار ومن أي خيار، وقد أجاز الجمهور اشتراط الخيار خلافاً للشافعية بالنسبة للإجارة في الذمة.

ويشترط في العاقدين، لانعقاد الإجارة، العقل، والرضا، وولاية إنشاء العقد، ويعتبر الحنفية والمالكية الولاية من شروط النفاذ، ويجوز للصبي المميز أن يؤجر نفسه من دون عَين إن كان مأذوناً، خلافاً للشافعي، فإن وقعت استحق الأجر المسمى أو أجر المثل، ولولي الصبي أن يؤجر الصبي أو مالَه وهو عقد صحيح ونافذ، ولكن في لزوم العقد ـ إذا بلغ الصبي قبل انتهاء مدة الإجارة ـ قولان: أحدهما: يعتبر لازماً على خلاف الآخر. والمنفعة هي محل العقد، سواء كانت منفعة أعيان أو منفعة في الذمة. ويُشترط فيها أن تقع الإجارة على المنفعة لا على العين واستهلاكها، إلا إذا كان استبقاء المنفعة لا يحصل إلا بإتلاف العين أو بعضها كاستئجار الشمعة للإضاءة، كما يشترط أن تكون المنفعة متقومة ومقصودة الاستيفاء بموجب العقد، فلا تنعقد إجارة ما هو مباح بدون ثمن كاستئجار الشجرة للاستظلال بها أو تجفيف الثياب عليها؛ كما يشترط أن تكون المنفعة مباحة الاستيفاء، ليست معصية ولا طاعة مطلوبة، فلا تجوز إجارة للزنى والنوح، وهي باطلة ولا تستحق بها الأجرة. وإجارة نقل الخمرة والخنزير كذلك إلا إذا كان نقلها لإتلافها، كما لا يجوز الاستئجار في كل طاعة يختص بها المسلم، كالإمامة والأذان وتعليم القرآن والجهاد، لما روي من أحاديث النهي عن ذلك، ولأن فيها تقرباً إلى الله، فلا يجوز أخذ الأجرة عليها، وقد أجاز المتأخرون إجارة من يعلِّم القرآن ويقيم الشعائر للحاجة ولقلة المتبرعين، كما أجاز ذلك مالك والشافعي وغيرهما لما روي عن رسول الله ﷺ تزويج رجل بما معه من القرآن، وقوله: (إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله) [متفق عليه].

والمستأجَر ملزم بأجر المؤجر بمجرد تسليم نفسه ولو لم يعمل فعلاً، شرط أن لا يمتنع عما يُطلب منه، فإذا امتنع بغير حق فلا يستحق أجره،

ولا تحسب العطية من الأجرة، وينبغي أن تكون الأجرة معلومة، فإن كانت التسمية فاسدة وجب أجر المثل، وأجاز العلماء أن تكون الأجرة طعام المؤجر وكسوته، أو يكون الطعام والكسوة إلى جانب أجرة معلومة، وشرطوا أن لا توجد جهالة في قيمة الطعام والكسوة، لقوله ﷺ فيما ورد في سورة القصص، عن استئجار شعيب لموسى عليهما السلام: (إن موسى آجر نفسه على عِفَّة فرجه وطعام بطنه)، ويجوز استئجار المرضعة (الظئر) لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق/٦]، ويجب تحديد الأجرة، وإجارتها تشمل الإرضاع والخدمة للرضيع، ويجب عليها إرضاعه، ولا يجزىء إعطاؤه لبن شاة، ويمكن تأمين إرضاعه من امرأة أخرى، ويجوز استئجار المرضعة بإذن زوجها، وللزوج حق طلب فسخ العقد إذا تم بدون علمه، صيانة لحقه، وله أن يطلبها عنده، وليس لمستأجرها منعها من ذلك. ويشترط في المنفعة لصحة الإجارة القدرةُ على استيفاء المنفعة حقيقة وشرعاً، فلا تصح إجارة الدابة الفارَّة ولا المغصوبة لتعذر التسليم، وعدم جواز استئجار الفحل للإنزاء والكلب للصيد، وإجارة المرضع دون إذن زوجها، لعدم قدرة المستأجر على استيفاء المنفعة إلا بتدخل غيره. كما يشترط في المنفعة وفي الأجرة أن تكون معلومة علماً ينفي الجهالة المفضية إلى النزاع. وكل ما يصلح ثمناً يصلح أجرة، ويشترط فيها ما يُشترط في الثمن، وإذا وجدت جهالة مفضية للنزاع في الأجرة وجب أجر المثل عند استيفاء المنفعة، ويجوز أن تكون الأجرة منفعةً من جنس المنفعة المعقود عليها، كإجارة دار مقابل إجارة دار أخرى للحاجة. وتبطل الإجارة إذا اختل شرط من شروط انعقادها، ويجب أجر المثل في حالة استيفاء المنفعة. وتتوجب على الإجارة أحكام تبعية إلى جانب الأصلية. فعلى المؤجر تسليم العين المؤجرة للمستأجر وتمكينه من الانتفاع بها، وعليه القيام بالعمل موضوع الإجارة مع المحافظة على العين، وتسليمها بعد انتهائه من العمل وهو ضامن من غصب العين المؤجرة، ومن عيوب العين.

ويكون المستأجر مخيراً بين استبقاء المنفعة ناقصة بتمام الأجر وبين فسخ الإجارة. وعلى المستأجر دفع الأجرة، فإن كانت معجلة ـ ولم يدفعها ـ جاز للمؤجر حبس ما وقع عليه العقد حتى يستوفي أجرته، وفي قول للشافعية إنه يجوز الحبس للعين إذا كان للمؤجر أثر في العين كالقصار والصباغ.

وعلى المستأجر استعمال العين المؤجرة وفق ما أُعدت له، والتقيد بشروط العقد وبالعرف، ولا يحق له تجاوز ذلك، فإذا استأجر داراً لسكناه فليس له أن يستعملها مدرسة. وعلى المستأجر إصلاح ما تلف من العين بسبب منه، ولكنه لا يضمن تلف العين من دون اعتداء منه، لأنها أمانة في يده. وعلى المستأجر التخلي عن العين المؤجرة عند انتهاء الإجارة وللمؤجر استردادها، ولا يلزم المستأجر بردها وتسليمها خلافاً للشافعي. وتنقضي الإجارة بانتهاء مدتها أو بهلاك المأجور المعين وبالإقالة، وأضاف الأحناف إليها موت أحد المتعاقدين أو لعذر مانع من الانتفاع بالعين، وعلَّل الأحناف انقضاء الإجارة بموت المؤجر، لأنه لم يعد مالكاً للمأجور فتبطل إجارته، وبالنسبة للمستأجر تنقضي إجارته لأن الإجارة منفعة، والمنفعة لا تورث، لأن المنفعة المتجددة ـ بعد موت المستأجر ـ لم تكن ضمن تركته، ويرى الجمهور أن موت أحد المتعاقدين لا تنفسخ بسببه الإجارة لأنها عقد لازم ولفعل الرسول ﷺ والصحابة في إعطاء خيبر لأهلها منذ عهد النبي ﷺ وبقائها معهم في خلافة أبي بكر ثم عمر رضي الله عنهما دون ذكر أن أياً منهما جدد الإجارة. وعلَّل الأحناف لرأيهم بفسخ الإجارة لعذر طارىء بأحد العاقدين أو بالمأجور لأن الحاجة تدعو إلى فسخ الإجارة عند طروء العذر، وإلا للزم صاحب العذر ضرر لم يلتزمه بالعقد فكان الفسخ دفعاً للضرر،

فمن استأجر من يقلع له ضرسه الذي يشكو منه، من حقه إذا سكن ألم ضرسه أن يمتنع عن قلعه وفسخ الإجارة، ولا يجوز إلزامه بقلعه عقلاً وشرعاً.

ولكن جمهور الفقهاء يرون لزوم الإجارة وعدم جواز فسخها للأعذار، إلا باتفاق المتعاقدين. أما بيع العين المؤجرة من غير المستأجر، فإنه لا يفسخ الإجارة عند جمهور الفقهاء، لأن المعقود عليه في البيع هو العين، وفي الإجارة المنافع، فلا تعارض بين العقدين، فلا فسخ للإجارة.

ولقد بحث فقهاؤنا، رضي الله عنهم، أنواع الإجارات من حيث نوع ما يؤجر، مثل العقارات المبنية والأراضي الزراعية، وإجارة الإنسان وإجارة الحيوان، وفصلت أحكامها تفصيلاً دقيقاً لم تسبق إليه.

ناصر الصالح

المراجع: ٧٤، ٩٦، ٢٠٦، ٣٠٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧١، ٤٢٩، ٤٤٨، ٥١٠، ٥٣٨، ٥٤١، ٥٧٢.

* * *

إجازة

الإجازة، لغة: الإنفاذ، مصدر من أجازه يجيزه إجازة، إذا أنفذه، وهذا متفق مع الاستعمال الفقهي. وقد يُراد بالإجازة: الإذن بالتدريس أو الإفتاء أو رواية الحديث أو الكتاب.

والإجازة بمعنى الإنفاذ، لها أركان هي:

١ ـ **المجازُ تصرفه**: وهو من تصرف من دون ولاية المتصرف، كالفضولي، ويشترط فيه أن يكون ممن ينعقد به التصرف، كالبالغ العاقل أو الصغير المميز في الأمور الدائرة بين النافع والضار.

٢ ـ **المجيز**: وهو من يملك التصرف، أصلاً أو وكيلاً أو ولياً أو وصياً أو قيماً أو ناظراً على وقف.

٣ ـ التصرف المجاز القولي والفعلي.

٤ ـ صيغة الإجازة، من قول أو فعل أو موقف إيجابي أو سلبي دال على الإجازة، والحنفية يعتبرون الصيغة، أو ما يقوم مقامها، هي الركن الوحيد للإجازة.

ويشترط في المجاز تصرفه لكي تكون الإجازة معتبرة صحيحة، إلى جانب أن يكون ممن ينعقد به التصرف، كالبالغ العاقل، أن يكون حياً عند صدور الإجازة إذا كانت طبيعة التصرف مما ترجع حقوقه إلى المباشر، كالشراء والاستئجار، دون التصرفات التي يعتبر فيها المتصرف، سفيراً ومعبراً ولا تعود حقوق التصرف إليه بحال كالزواج، فلو زوَّج الفضولي شخصاً ثم مات الفضولي، وبعد وفاته أجاز الشخص الزواج كانت الإجازة صحيحة معتبرة.

ويشترط في مجيز التصرف، ليكون التصرف معتبراً صحيحاً، أن يكون أهلاً لمباشرة التصرف وقت الإجازة، كأهلية التبرع في إجازة الهبة، وأهلية التعاقد في إجازة العقود، لأن الإجازة لها حكم الإنشاء، كما يشترط أن يكون المجيز موجوداً عند حصول التصرف المتوقف على الإجازة، كخيار الشرط لأجنبي عن العقد، لأن كل تصرف يقع دون وجود مجيز له عند وقوعه يقع باطلاً والإجازة لا تلحق الباطل، فإذا باع الصغير المميز ماله ثم بلغ قبل إجازة وليه للبيع، فأجاز هو تصرفه بنفسه جاز وصح التصرف وصحت الإجازة، لأنه كان له وليٌّ حال العقد لإجازته. أما إذا طلَّق الصغير المميز زوجته ثم بلغ فأجاز الطلاق بنفسه، لم يصح الطلاق ولا الإجازة، لأنه ليس للولي حق تطليق زوجة الصغير، فلم يوجد مجيز للطلاق وقت وقوعه. كما يُشترط في المجيز أن يكون عالماً بالتصرف وببقاء محل التصرف، فلو أجاز المالك تصرف الفضولي في ماله وهو لا يعلم حال المبيع وبقاءه، لا تصح الإجازة، لأن الشك وقع في شرط الإجازة فلا تثبت مع الشك.

ويشترط لصحة إجازة التصرف المجاز القولي:

١ - أن يكون التصرف القولي قد وضع صحيحاً، فبيع الميتة تصرف غير منعقد أصلاً، فلا تلحقه الإجازة.

٢ - أن لا يَرُدَّه مَنْ له حق الإجازة، لأن التصرف الموقوف يبطل بالرد ولا تلحقه الإجازة بعد ذلك لأن المردود لا يعود.

٣ - أن يكون التصرف المجاز موقوفاً غير نافذ، كتصرف الفضولي، وهبة المريض مرض الموت فيما زاد على ثلث تركته.

٤ - أن يبقى محل العقد (المعقود عليه) قائماً وقت الإجازة، فإن فات محل العقد لا تصح إجازته، لأن الإجازة تصرف في العقد فيجب قيام العقد حال الإجازة بقيام ووجود المعقود عليه.

٥ - أن يكون التصرف المجاز، أحق التصرفات بالإجازة، إذا وقعت عدة تصرفات وعقود على محل واحد فقط، فلو باع فضولي مال غيره، ورهنه وأجره ووهبه، ثم أجاز المالك كل هذه التصرفات، لحقت الإجازة البيع دون غيره، لأنه أحق من التصرفات الأخرى.

أما التصرفات الفعلية المتلفة: فإن الإجازة لا تلحقها عند جمهور الفقهاء ولا تنفذ، فإن وهب ولي الصغير ماله ثم بلغ الصبي فأجاز الهبة، لم تلحق الإجازة الهبة فلا تصح، لأن تصرف الولي منوط بمصلحة الصغير، والهبة والتبرع إتلاف وضرر بالصغير فيقع التصرف باطلاً، والباطل لا تلحقه وتصححه الإجازة.

وأما التصرفات الفعلية الموجدة: فالراجح أن الإجازة لا تلحقها، فلو أعطى الغاصبُ المغصوب لغيره ثم أجاز المالك التصرف، فإن الإجازة لا تلحقه، ولا تبرأ ذمة الغاصب ويبقى ضامناً، لأن الإجازة لا تلحق الأفعال، ولأن رضاء المالك بتصرف الغاصب لا يجعل يد الغاصب يد أمين، ولأن تصرف الغاصب في المغصوب حرام، ولا يملك أحد إجازة التصرف الحرام. وذهب الإمام محمد إلى جواز إجازة تصرف الغاصب، وإبرائها لذمته وإسقاطها لضمانه، وهذا هو الراجح عند الحنفية.

والأصل في صيغة الإجازة: أن تكون قولية معبِّرة، مثل: أجزنا وأمضينا ورضينا وأنفذنا. فإن وردت الإجازة بلفظ يحتملها ويحتمل غيرها، فالحكم في ذلك للقرينة، فإن لم توجد حُمل اللفظ على حقيقته. ويعتبر بمثابة الإجازة القولية، الإجازة بالكتابة وبالإشارة المعبرة عند العجز عن الإجازة القولية، وقد يكون الفعل طريق إعلان الإجازة، كتسليم ولي الصغير المميز ما باعه الصغير إلى المشتري، ومضي المدة المحددة، دون استعمال الحق، كمضي مدة الخيار في خيار الشرط - دون خيار - يعتبر صيغة وطريقة لإجازة التصرف بموقف سلبي.

والقرائن طريقة لصيغة الإجازة أو عدمها، فتبسم البكر البالغة وسكوتها عند إعلامها من وليها أنه زوَّجها من فلان، قرينة واضحة على إجازتها للعقد، وبكاؤها بكاء ألم وحزن، قرينة على الرفض.

والإجازة يرجع أثرها إلى وقت إنشاء التصرف: فالإجازة اللاحقة كالإذن السابق كما يقول الفقهاء، ويترتب على ذلك أنه إذا باع الفضولي مال امرىء، وأجاز المالك البيع كان للمالك أن يطالب الفضولي بثمن المبيع لأن الفضولي بالإجازة أصبح وكيلاً، وليس للمالك حق مطالبة المشتري، وإذا باع الفضولي مال غيره بثمن معين ثم خفض الثمن، ثم أجاز المالك البيع، ثبت البيع وتخفيض الثمن بحقه سواء علم بالتخفيض أم لا، ولا يلزم المالك بالتخفيض إذا تم ذلك بعد إجازة المالك للبيع، لأن الإجازة لم ترد على التخفيض.

ولا يجوز الرجوع عن الإجازة متى صدرت

صحيحة، فإذا علم المالك بأن فضولياً باع شيئاً من ملكه ولم يعرف الثمن فأجاز البيع، لزمه البيع، ولا يجوز له الرجوع عن الإجازة عندما يعلم بالثمن، لأن الفضولي صار كالوكيل منذ مباشرة تصرفه ولا يردُّ تصرف الوكيل.

ناصر الصالح

المراجع: ٤٥، ٤٧، ٧٤، ٩٦، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٣٧١، ٥١٠، ٥٧٢، ٥٧٥.

* * *

الاجتهاد

الاجتهاد أحد الوسائل الرئيسة لمعرفة الأحكام الشرعية، ويقع غالباً فيما لم يرد فيه نص شرعيٌّ، لأنه لا اجتهاد في مورد النص؛ ويقع أيضاً في النصوص الشرعية الظنيَّة في ثبوتها للتأكد من صحتها وسلامتها، والظنيَّة في دلالتها وتحديد المراد منها. فإن كانت النصوص في القرآن والسنة قطعيَّة الدلالة فلا مجال للاجتهاد فيها، مثل ألفاظ العدد ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور/ ٢]، ﴿ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور/ ٤]، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال/ ٤١]، ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ [النور/ ٤]، ومثل آيات المواريث: ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ [النساء/ ١٧٦]، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء/ ١١]. والألفاظ التي حدَّد معناها رسول الله ﷺ بقوله وفعله، فتصبح قطعيَّة، كالمراد من الزكاة، والصلاة، والصيام، والحج، وقطع اليد اليمنى من رسغ السارق.

كما أن الاجتهاد من أهم عوامل توسع الفقه الإسلامي، ونمو التشريع الإسلامي، وازدهاره، ليلبي حاجات الناس في مختلف الأزمان والأماكن، ويستجيب لتطور الحياة؛ مما نتج عنه ثروة فقهية عظيمة عند المسلمين، لا نظير لها في تاريخ الشرائع والأنظمة والقوانين.

والاجتهاد في اللغة: بذل المجهود، واستفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور، ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة ومشقة، وجهد ونَصْب. وله عدة تعريفات في أصول الفقه، منها تعريف الغزالي بأنه «بذل المجتهد وسعَه في طلب العلم بأحكام الشريعة». وعرَّفه البيضاوي بأنه «استفراغ الجهد في دَرْك الأحكام الشرعية»، فالاجتهاد: هو عملية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية في الشريعة.

وقد يقترن الاجتهاد بالقياس، والصحيح أن الاجتهاد أعم من القياس، ويقع في العمومات ودقائق الألفاظ، وتحديد معانيها، كما يقع في مصادر التشريع الأخرى، كالاستحسان، والاستصلاح، والاستصحاب، والعُرْف، وسدِّ الذرائع، وغيرها.

وجاء الأمر بالاجتهاد صراحة وإشارة في القرآن الكريم والسنة الشريفة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء/ ١٠٥]، أي: بأن تجتهد لمعرفة حكم الله تعالى. وروى البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر).

وروى أبو داود والترمذي والدارمي وأحمد: أن رسول الله ﷺ بعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وسأله: (كيف تحكم إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي، ولا آلو) أي لا أقصر، فأقره رسول الله ﷺ وضرب على صدره، وقال: (الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي الله ورسوله). والتزم الصحابة طريق الاجتهاد فيما لم يعثروا فيه على نص قرآني أو سنَّة، وأجمعوا على ذلك دون مخالف أو منازع.

ويشترط في المجتهد أن يكون مؤمناً بالله ورسوله ومكلفاً وعالماً بمدارك الأحكام الشرعية، فيعرف معاني آيات الأحكام المذكورة في القرآن

الكريم لغةً وشرعاً، وأن يعرف أحاديث الأحكام أيضاً، لغةً وشرعاً، وأن يعرف الناسخَ والمنسوخ من القرآن والسنَّة، وأن يكون مطَّلعاً على مسائل الإجماع ومواقعه، وأن يعرف وجوه القياس وشرائطه المعتبرة، وأن يكون عالماً باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وجاء بها الحديث الشريف، حسب علوم العربية من لغة ونحو وصرف ومعان وبيان وأساليب، وأن يكون عالماً بأصول الفقه في معرفة مصادر التشريع، والأحكام الشرعية الكلية، ومباحث الدلالات من العامِّ والخاص والمطلق والمقيد، والحقيقة والمجاز، ومعاني الحروف، وشروط المجتهد، وأن يكون مدركاً لمقاصد الشريعة العامة في استنباط الأحكام، وأهدافها الكبرى لتحديد فهم النصوص وتطبيقها على الوقائع حسب مقتضى مقاصد الشرع في حفظ مصالح الناس بجلب النفع لهم، ودفع الضرر عنهم في العاجل والآجل.

ويتحدد مجال الاجتهاد بما بدأنا به الكلام في كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي الثبوت والدلالة، فلا يجوز الاجتهاد في الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة كأركان الإسلام، وما ثبت بدليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة، كجرائم الحدود، والقتل والجهاد والكفَّارات المقدرة، ويجوز الاجتهاد في الأحكام التي ورد فيها نص ظني الثبوت، أو ظني الدلالة، أو ظني فيهما، والأحكام التي لم يرد فيها نص ولا إجماع.

ويكون الاجتهاد فرض عَيْن على المجتهد الذي توفَّرت فيه شروط الاجتهاد، ولم يوجد غيره، لمعرفة حكم الحوادث التي طرأت، والمسائل التي وقعت، والأسئلة التي توجه إليه وخاف فوت الحادثة، فإن وجد مجتهد آخر، ولم يخف فوت الحادثة فيكون الاجتهاد واجباً كفائياً عليه؛ فإذا اجتهد أحد المجتهدين سقط الطلب عن الباقين، وإن تركه الجميع أثموا، ويكون الاجتهاد مندوباً في الحوادث التي لم تحصل، ويكون حراماً إذا لم تتوفر في الشخص شروط المجتهد، أو كان الاجتهاد في مقابلة النص القاطع أو الإجماع.

وثبت وقوع الاجتهاد من رسول الله ﷺ، ويكون اجتهاده تحت إشراف الوحي، لتأييده، أو إرشاده للصواب، ولذلك كان معصوماً، ولا يقع منه الخطأ في الأمور الشرعية. كما ثبت وقوع الاجتهاد من الصحابة، ثم من التابعين، والعلماء والأئمة، حتى نضب الجدُّ، وفقدت شروط الاجتهاد في الغالب، وحاول بعض الناس الولوج إليه بدون تحقق شروطه، فقال بعض العلماء: بسدِّ باب الاجتهاد حتى يتوفَّر أصحابه، والواقع أن الاجتهاد لم ينقطع في تاريخ المسلمين، ولكن تفاوتت نسبته، وعاد الاجتهاد اليوم ليحتل مكانه مع فتح الجامعات الإسلامية وكليات الشريعة، وتوافر العلماء المختصين بالشريعة عامة، والفقه خاصة، وقام العلماء المعاصرون بالاجتهاد لمعرفة الأحكام الشرعية في الأمور المستجدة إلى حد كبير، مع الأخذ بمبدأ جواز تجزؤ الاجتهاد، وأنه لا يشترط في المجتهد أن يكون مجتهداً مطلقاً وفي جميع المسائل، كما ظهر في تاريخ التشريع الإسلامي مراتب للمجتهدين، أهمها: المجتهد المستقل، والمجتهد المطلق غير المستقل، والمجتهد المقيد، ومجتهد التخريج، ومجتهد الترجيح، ومجتهد الفتيا، وتحقق ذلك في كل مذهب فقهي على حدة.

ووضع العلماء شرط الاجتهاد في الأشخاص الذين يتولون بعض الوظائف الشرعية كالإمامة العظمى (الخلافة)، ووزارة التفويض، والقضاء، ونواب القاضي، والمفتين، وقاضي المظالم، وقاضي الحسبة.

والاجتهاد في الدين، يحتمل الخطأ والصواب، ولذلك كانت قوته ظنية، وكان سبباً لاختلاف الفقهاء بما يحقق السعة على المسلمين.

محمد الزحيلي

المراجع: ٣١، ٥٩، ٤٨٤.

الأجل

الأجل، لغة: المدة والوقت، وهو مصدر أَجِل من باب تَعِب، وأجَّلت الشيء وتأجيلاً، جعلت له أجلاً، والآجِل خلاف العاجل.

والأجل مصطلح قرآني ورد في عدة معان، منها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف/ ٣٤]، أي نهاية الحياة، ومنها قوله تعالى في آية المداينة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة/ ٢٨٢]، أي: إلى مدة محددة لأداء الدين، ومنها قوله تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج/ ٥]، أي زمن أو مدة.

كما أن الأجل مصطلح فقهي شائع بكثرة في كتب الفقه وأبوابه وأحكامه، ويعرِّفونه بأنه المدة المستقبلة التي يضاف إليها أمر من الأمور للأداء والوفاء والإنهاء، ولذلك يكون في زمن مستقبل ومحقق الوقوع وزائد على أصل التصرف.

وتحديد الأجل وتقديره إما أن يكون مصدره الشرع، أو القضاء، أو الاتفاق، فهو ثلاثة أنواع:

أولاً: الأجل الشرعي، وهو المدة التي حدَّدها الشرع الحكيم في حكم شرعي، ويختلف ذلك باختلاف الأحكام، فمن ذلك مدة الحمل التي يمكثها الجنين في رحم أمه، وأقلها ستة أشهر، استنباطاً من النص القرآني في آيتين، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة/ ٢٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف/ ١٥]، واختلف الفقهاء في أكثر مدة الحمل، كما هو معروف في كتب المذاهب الفقهية، ومنها مدة تعريف اللقطة التي حددها رسول الله ﷺ بسنة (ثم عرِّفها سنة)، ثم يحق له أن يتملكها بعد ذلك، ومنها مدة الزكاة في السوائم والنقود والتجارة بسنة، وهو حوَلان الحول على المال في ملك صاحبه، ومنها تأجيل الزوج العنِّين لسنة فيها الفصول الأربعة لفصل النزاع بينه وبين زوجته بالبقاءأو التفريق، ومنها مدة الإمهال في الإيلاء وهو أن يحلف على عدم قربان الزوجة، فأمهله القرآن مدة أربعة أشهر، فإن عاد حنث في يمينه ولزمته الكفارة وسقط الإيلاء بالإجماع، وإن لم يقربها حتى مضت الأربعة الأشهر بانت منه زوجته في قوله، وخيَّره القاضي في الرجوع أو الطلاق عند الجمهور، ومنها مدة الرضاع التي ثبتت بالنص القرآن كحد أقصى، وهي سنتان، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة/ ٢٣٣]، وروى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (لا رضاع إلا ما كان في الحولين). ومنها أجل العدَّة التي حدَّدها الشرع للمطلقة أو المتوفى عنها زوجها، فأجل العدة للحامل بوضع الحمل، وأجل المتوفى عنها زوجها غير الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام، وأجل المطلقة المدخول بها غير الحامل والآيسة والصغيرة ثلاثة قروء، وهي الأطهار أو الحيضات على اختلاف بين الفقهاء، وعدة الصغيرة والآيسة ثلاثة أشهر، ومنها أجل في خيار الشرط فيرى جمهور الفقهاء أنه محدد بثلاثة أيام، وقال آخرون بجواز الزيادة على ذلك، ومنها مدة الحيض فإنها محددة شرعاً مع الاختلاف بين الفقهاء في أقل مدة الحيض، وفي أكثره، ومنها مدة الطهر فأقلها خمسة عشر يوماً عند الجمهور، وثلاثة عشر يوماً عند الحنابلة، ولا حدَّ لأكثره، ومنها مدة النفاس فلا حدَّ لأقله باتفاق، واختلف الفقهاء في أكثره، ومنها مدة المسح على الخفين فأكثرها للمقيم يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها، وخالف المالكية في ذلك وقالوا بعدم التأقيت، ومن ذلك مدة السفر للقصر والإفطار والمسح على الخفين، لكن اختلف الفقهاء في تقديرها.

ثانياً: الأجل القضائي، وهو الذي يضربه القاضي في الدعوى، لحضور الخصوم، وإحضار البيِّنة، وإحضار الكفيل، وتأجيل المعسر إلى

ميسرة، وللنظر والتعمق في الخصومة، وكل ذلك موكول تقديره إلى تقدير القاضي بحسب طبيعة النزاع، وظروف المتخاصمين والحاجة، والمصلحة، بشرط أن لا يكون فيه تهرب، أو مماطلة، أو تحايل، ويرجع ذلك إلى اجتهاد القاضي بتحقيق المصلحة.

ثالثاً: الأجل الاتفاقي، وهو المدة التي يحددها الأطراف لوفاء الالتزام وأدائه، ويكون إما بالإضافة إلى زمن معين، ووقت خاص، وإما إلى توقيت الأجل كشرط في التصرفات، ويختلف بحسب طبيعة التصرُّف. فقد اختلف الفقهاء في جواز اشتراط تأجيل تسليم العين في التصرفات الناقلة للملكية كالبيع، فقال المالكية والحنابلة بجوازه، ومنعه الشافعية والحنفية، وأخذت القوانين المعاصرة بالرأي الأول، واتفق الفقهاء على جواز تأجيل الديون إلى وقت مضاف في المستقبل لثبوت ذلك في النصوص الشرعية وبالإجماع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة/ ٢٨٢]، ومن ذلك عدم تأجيل رأس مال السلم باتفاق، وعدم جواز تأجيل بدل الصرف، ويجب التقابض في مجلس العقد، مع جواز تأجيل بدل السلم وهو المسلم فيه باتفاق الفقهاء، وجواز تأجيل بدل القرض باتفاق، لكن للمقرض حق المطالبة في الحال عند الجمهور، وقال المالكية: إن أعطى المقرِض أجلاً للقرض فهو وعد ملزم ولا يحق له المطالبة إلا بعد انتهاء الأجل.

وتثبت بعض الديون مؤجلة بحكم الشرع كالدية في القتل شبه العمد عند الجمهور، ودية القتل الخطأ باتفاق، والمسلم فيه، كما سبق، وتوقيت القرض لأجل عند المالكية فقط.

وهناك عقود وتصرفات في الفقه الإسلامي لا تصح إلا مع أجل التوقيت، ويكون الأجل والمدة عنصرين أساسيين في العقد كالإجارة، وهناك عقود تصح مطلقة عن الأجل، وتصح مقيدة بأجل كالعارية، والوكالة باتفاق، والمضاربة، وهي شركة القراض، فيجوز توقيتها بأجل عند الحنفية والحنابلة، ولا يجوز عند المالكية والشافعية. كما اختلف الفقهاء في جواز الأجل والتوقيت وعدمه في الكفالة، والوقف لأجل، واتفقوا على بطلان التوقيت والأجل في البيع، ولكن يوجد عند المالكية بعض بيوع الآجال، واتفقوا على بطلان الأجل في الهبة، والنكاح، والرهن.

ويشترط في الأجل الذي قرره الشرع وأجازه في بعض العقود والتصرفات أن يكون معلوماً بالنص عليه وتحديده كأول المحرم، أو أول رمضان، أو لمدة ثلاثة أشهر، وفي هذه الحالة الأخيرة تحسب الأشهر بالهلالية القمرية، ومثله التأجيل إلى عيد الفطر أو عيد الأضحى فيصح، وقال الجمهور بعدم صحة التأجيل إلى المواسم المعتادة كالحصاد، وقطع الثمار، وأجازه المالكية، واتفقوا على عدم جواز التأجيل لأجل مجهول غير منضبط كنزول المطر، وهبوب الريح، وسفر فلان، ويجوز للمدين إسقاط الأجل غالباً، كما يجوز إسقاطه بتراضي الدائن والمدين، واختلف الفقهاء في سقوط الأجل وعدمه بسبب الموت، والإفلاس، والإعسار، والجنون والوقوع في الأسر أو الفقد، واتفقوا على سقوط الأجل بانتهاء مدته فينتهي العقد، ويعود الحق لصاحبه.

محمد الزحيلي

المراجع: ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٦٨، ٤٢٩، ٥١٢.

* * *

الإجماع

الإجماع أحد مصادر الشريعة الإسلامية المتفق عليها، ويبحثه علماء أصول الفقه بإسهاب وتفصيل، ويعتمد عليه الفقهاء في الاستدلال والاحتجاج على صحة الأحكام الشرعية ومشروعيتها.

والإجماع، لغة، له معنيان، أحدهما: العزم على الأمر والقطع به، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس/ ٧١]، أي اعزموا عليه، ومنه الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن، وصححه ابن خزيمة وابن حبان: (من لم يجمع الصيام من الليل فلا صوم له) أي يعزم عليه وينويه، والثاني: الإجماع هو الاتفاق، من قولهم: أجمع القوم على كذا، أي اتفقوا عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف/ ١٥]، أي اتفقوا على ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ﴾ [يوسف/ ١٠٢]، أي اتفقوا عليه.

والإجماع في اصطلاح علماء الأصول هو: اتفاق مجتهدي عصر من أمة محمد ﷺ على أمر شرعي، فالإجماع اشتراك في الأقوال والأفعال تصدر عن العلماء، وهم أهل الحل والعقد، الذين توفرت فيهم شروط الاجتهاد في الأحكام الشرعية، والموجودون في زمن واحد تقع فيه قضية ومسألة واقعة لم يرد فيها نص شرعي لبيان حكمها، فيجتهدون في معرفة حكمها من المصادر والأدلة الشرعية، وهذا الإجماع لمصدر الأحكام خاص بأمة محمد ﷺ تكريماً لها، لما ورد في شأنها من القرآن الكريم أن الله جعلها أمة وسطاً شاهدة على الأمم الأخرى.

والإجماع حجة شرعية في جميع الأحكام الفقهية من عبادات، ومعاملات، وعقوبات، وسياسة شرعية، وحكم، وأحوال شخصية، وغير ذلك من الحلال والحرام، ويكون الإجماع دليلاً على أن المُجْمَع عليه هو الحكم الشرعي في الواقعة، كإجماع الصحابة على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وإجماع العلماء على توريث الجدة السدس، وإجماعهم على حجب ابن الابن من الميراث بوجود الابن.

ويطلق الإجماع كثيراً على المعلوم من الدين بالضرورة مما هو متفق عليه، وهو ما صرح به الإمام الشافعي رحمه الله، ويطلق على اتفاق جميع الأمة من أهل الحل والعقد، وهذا لا غبار عليه، كما يطلق أحياناً وتجوزاً على اتفاق علماء مذهب فقهي، وقد يطلق على اتفاق المذاهب الأربعة، أو على ما لم يرد فيه خلاف مقبول.

واتفق المسلمون على كون الإجماع حجة شرعية، ومصدراً من مصادر التشريع الإسلامي في بيان الأحكام الشرعية، وأنه لا تجوز مخالفته، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء/ ١١٥]، فالآية تحرم مخالفة الطريق التي سلكها المؤمنون، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة/ ١٤٣]، فالآية تزكي هذه الأمة بأنها وسط بين الأمم لتشهد عليهم، فيجب عصمتها عن الخطأ، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران/ ١١٠]، فالله وصف هذه الأمة بأنها تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر عن طريق علمائها ودعاتها، وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء/ ٥٩]، وأولو الأمر في الأحكام هم العلماء والفقهاء.

ووردت أحاديث كثيرة تدل على معنى واحد، وهو عصمة الأمة عن الخطأ والضلالة، وهذا المعنى المشترك بلغ حد التواتر، وهي قوله ﷺ: (لا تجتمع أمتي على الخطأ)، (لن تجتمع أمتي على الضلالة)، (أمتي لا تجتمع على الخطأ)، (ولم يكن الله بالذي يجمع أمتي على الضلالة)، (وسألت الله تعالى أن لا يجمع أمتي على الضلالة فأعطانيه) وغيرها كثير، مثل قوله ﷺ: (يد الله مع الجماعة)، (فليلزم الجماعة)، (عليكم بالسواد الأعظم)، (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم خلاف من خالفهم، ومن خرج من الجماعة وفارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه...)، وكلها تدل على تعظيم هذه

الأمة وعصمتها من الخطأ، وأن ما اتفق عليه العلماء فهو حجة شرعية يجب العمل بها والالتزام فيها.

والإجماع قسمان رئيسيان:

الأول: الإجماع الصريح الحقيقي المتفق عليه بالقول أو بالفعل وهو المراد عند إطلاق العلماء لفظ الإجماع.

الثاني: الإجماع السكوتي، وهو أن يصدر حكم من بعض المجتهدين في مسألة، ويسكت الآخرون دون إقرار أو إنكار، وهو حجة عند جمهور المذاهب الثلاثة الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض الشافعية، وغير حجة عند الشافعية والظاهرية.

ويشترط في الإجماع أن يكون مستنداً إلى دليل شرعي، لأن المجتهد مقيد باجتهاده في الحدود الشرعية، وأن لا يعارضه نص من القرآن والسنة أو إجماع سابق، وأن يوجد عدد من المجتهدين في عصر واحد ليؤمَن تواطؤهم على الكذب، وأن يكون الإجماع باتفاق جميع المجتهدين، لا بأكثريتهم، وأن يكون الإجماع على أمر شرعي.

ومتى توفر ركن الإجماع، وهو الاتفاق على الحكم من جميع المجتهدين مع اختلاف أجناسهم وطوائفهم وبلادهم، وتحققت شروطه السابقة فيصبح حكماً شرعياً، وحكماً يجب العمل به على كل مسلم، وأنه يفيد القطع في إثبات الحكم، ولا مجال لمخالفته، ولا لنسخه، ولذلك يأتي الإجماع في المرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وهناك أنواع من الإجماع مختلف فيها، وقال بها بعض المذاهب فقط، كإجماع أهل المدينة المنورة، فهو حجة شرعية عند الإمام مالك خلافاً للجمهور، وإجماع الأكثرية مع مخالفة الأقلية فاعتبره الطبري الشافعي، والرازي الحنفي، وابن حمدان الحنبلي، والغزالي، والجويني والسرخسي، اعتبروه حجة، خلافاً لجمهور العلماء، وذهب الظاهرية إلى قصر الإجماع على عهد الصحابة فقط، ولا إجماع بعدهم، وقال الشيعة بإجماع العترة، وقال غيرهم: بإجماع الخلفاء الراشدين، أو إجماع الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

والواقع أنه يصعب تحقق الإجماع في عصرنا الحاضر، ولكن يقع اليوم «الاجتهاد الجماعي» في المجامع الفقهية، والندوات والمؤتمرات الإسلامية، ومسائل الإجماع في الفقه الإسلامي محدودة ومحصورة، وجمعها ابن المنذر الشافعي في كتاب، وليست كل مسائله متفق عليها في الحقيقة، وقام المحامي المستشار سعدي أبو جيب في عصرنا الحاضر بتدوين «موسوعة الإجماع»، والمراد من ذلك الأحكام الفقهية التي قال الفقهاء إنها محل اتفاق، وليس المقصود بالإجماع بمعناه الشرعي في أصول الفقه.

محمد الزحيلي

المراجع: ٥٩، ٤٨٤، ٥٧٣.

* * *

إجهاض

الإجهاض لغة، إلقاء الحمل ناقص الخلق أو ناقص المدة، من المرأة أو غيرها تلقائياً أو بفعل فاعل، ولا يخرج فقهاً عن هذا، ويرادف الإجهاض، الإلقاء والإسقاط والطرح والإملاص.

والإجهاض بعد نفخ الروح أي مضي مئة وعشرين يوماً، لحديث ابن مسعود مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، حرام إجماعاً لأنه قتل بلا خلاف، سواء كان في بقاء الجنين خطر على حياة أمه أم لم يكن، ذلك أن موت الأم ـ عند عدم الإجهاض ـ موهوم، ولا يجوز قتل إنسان لأمر موهوم.

أما قبل نفخ الروح، فقد قيل بالإباحة مطلقاً وهو ما ذكره بعض الحنفية، وقال المالكية بالإباحة قبل بلوغ الجنين أربعين يوماً وكذلك بعض الشافعية. وقال الحنابلة بالإباحة في أول مراحل

الحمل. وقد أجازه الرملي إذا كانت النطفة من زنى.

وأباحه بعض الفقهاء لعذر أو ضرورة. ومن الفقهاء من قال بالكراهة مطلقاً لأن الماء بعدما وقع في الرحم مآله إلى الحياة فيكون له حكم الحياة.

وقال آخرون بالتحريم، فلا يجوز إخراج المني المتكوّن في الرحم ولو قبل الأربعين يوماً، وهو المعتمد عند المالكية. والقول الأوجه عند الشافعية لأن النطفة بعد الاستقرار آيلة إلى التخلق مهيأة لنفخ الروح.

والواجب في الجناية على الجنين، غرة، أي عبد أو وليدة، لقضاء رسول الله ﷺ بذلك، ومقدار الغرة نصف عشر الدية الكاملة، ويوجب ذلك انفصال الجنين عن أمه ميتاً، نتيجة جناية فعل أو قول أو امتناع، عمداً وخطأً.

ويرى الشافعية والحنابلة وجوب الكفارة، مع الغرة، لأن الكفارة تجب حقاً لله تعالى، لا للعبد. والكفارة هي عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يكن فصيام شهرين متتابعين. ويرى الحنفية والمالكية أن الكفارة مندوبة وليست واجبة، لأن الرسول ﷺ حكم بالغرة فقط ولم يحكم بالكفارة.

والغرّة الواجبة عند الفقهاء تتعدد بتعدد الأجنة، فإن أجهضت جنينين وجبت غرتان، كما تتعدد الكفارة عند من يقول بتوجب الكفارة مع الغرة.

والغرة واجبة على العاقلة في سنة، لأن الإجهاض ليس قتلاً عمداً، ولا يَرِثُ الجاني فيها. وقيل الغرة على الجاني، أو في بيت المال.

والإجهاض بعد تمام الخلق تترتب عليه الأحكام الشرعية التي تترتب على الولادة، من حيث الطهارة وانقضاء العدة ووقوع الطلاق المعلق على الولادة، لتيقن براءة الرحم بذلك.

ولا أثر للإجهاض فيما يتوقف فيه استحقاق الجنين على تحقق الحياة وانفصاله عن أمه حياً، كالإرث والوصية والوقف.

واختلف الفقهاء في آثار الإجهاض قبل التخلق، فذهب بعضهم إلى اعتبار أمه نفساء ووجوب التطهر عليها، خلافاً لآخرين، وكذلك بالنسبة لوقوع الطلاق واقتضاء العدة.

ناصر الصالح

المراجع: ٩٢، ٩٧، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٣١١، ٣٧٣، ٤٠٧، ٤٤١، ٤٨٩، ٥١٠، ٥٧٢، ٥٧٣.

* * *

أحد الشعانين

أحد الشعانين هو الأحد الذي ينهي زمن الصوم ويبدأ أسبوع الآلام وأحد الفصح والقيامة.

تعود اللفظة إلى «هوشعنا» أي يا ربُّ خلِّص. يتذكر المؤمنون [بالمسيحية] في هذا اليوم، الذي يلي قيامة لعازر من القبر، مسيرة التلاميذ في موكب المسيح الداخل إلى أورشليم. حملوا سعف النخل والزيتون، فرشوا ثيابهم على الأرض، وركب يسوع حماراً، لا فرساً، والفرس تدلُّ على القوّة والحرب. فيسوع يدخل مدينة أورشليم وديعاً متواضعاً. هتفت له الجموع: هو شعنا (أي يا ربُّ خلِّص)، مبارك الآتي باسم الربِّ. اعتبر مرافقو يسوع أنه الملك الآتي كي يخلِّص شعبه من سلطة الرومان ويحطِّم الأعداء.

أما يسوع فهو ملك من نوع آخر، ومملكته ليست من هذا العالم.

وإذ يحتفل المسيحيون بعيد الشعانين، يسيرون في طواف مع الأطفال الذين استقبلوا يسوع أحسن استقبال وهتفوا له. ولما أراد الفريسيون أن يسكتوهم، قال يسوع: إن سكت هؤلاء هتفت الحجارة، وذكر المزمور الذي يقول: بأفواه الأطفال والرضَّع هيَّأت لك تسبيحاً.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

«الأحباس» أو «الأوقاف»

الأحباس، جمع حَبْس، والفعل حَبَسَ، وهي الأوقاف، جمع وَقْف، والفعل وَقَفَ، إذا حبس. ووقف الدابة إذا حَبَسَها على مكانها، ومنه الموقف لأن الناس يوقفون فيه، أي يُحْبَسون للحساب. وفي الاصطلاح: حَبْسُ شيء معلوم بصفة معلومة، وإجماع الأمة على مشروعية أصل الوقف، لما روي أن الرسول محمداً ﷺ: (تصدَّق بسبع حوائط في المدينة)، ولأن الصحابة رضوان الله عليهم وقفوا أوقافاً، ولأن أبا الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقف أوقافاً باقية جارية. وشرط جواز الوقف عند أبي حنيفة وزفر «أن يكون موصًى به» أو إذا قال: «إذا متُّ فقد وقفته»، فإذا لم يوصِ به، لا يصح الوقف ويبقى على ملكه يورث عنه، ويجوز بيعه، أما إذا أجازه الورثة بعد موت المورث، صار الوقف جائزاً وتأبد. ولو قضى القاضي بلزوم الوقف نفذ ولزم لأنه قضاء في مجتهد ولا يجوز لغيره إبطاله.

وقال أبو يوسف ومحمد: لا يُشترط لجوازه شيء من ذلك، لأن الوقف عندهما هو إزالة العين عن ملك الواقف إلى الله تعالى وجعله محبوساً على حكم ملك الله تعالى على وجه يصل نفعه إلى عباد الله، فوجب أن يخرج عن ملكه ويخلص لله تعالى ويصير محرراً عن التمليك ليستديم نفعه ويستمر وقفه وحبسه للعباد، ولأن الحاجة ماسة إلى لزوم الوقف ليصل ثوابه إلى الواقف على الدوام، وهذا يحصل بإسقاط ملكه وجعله لله تعالى كالمسجد، ولما روي أن رسول الله ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: (تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن تنفق ثمرتُه على المساكين)، فتصدق به عمر في سبيل الله وفي الرقاب والمساكين وابن السبيل وذوي القربى. ويحتج أبو حنيفة وزفر بقول رسول الله ﷺ: (لا حبس عن فرائض الله)، ولما رواه عبد الله بن زيد أنه تصدق بضيعة له فشكاه أبوه إلى الرسول ﷺ، فقال الرسول لعبد الله: (ارجع في صدقتك)، ولأن شروط الواقف تراعى في الوقف، فإذا زال ملك الواقف لم تراعَ شروطه.

ولا يجوز وقف المشاع إلا إذا حكم القاضي بجوازه، ولا يجوز الوقف إلا إذا جعل آخره لجهة لا تنقطع أبداً، وقيل: إن التأبيد في الوقف شرط بالإجماع. ويجوز وقف العقار لما ذكر من أدلة، ولا يجوز وقف المنقول إلا فيما جرى فيه التعامل بوقفه، كالفأس والمنشار والقدر والمصاحف والكتب والكراع والسلاح والخيل والإبل. ولا يجوز بيع الوقف ولا تمليكه، ويُبْدَأ بعمارة الوقف ولو لم يشرطها الواقف، تحصيلاً لمقصود الواقف بالمحافظة على الموقوف ووصول المنفعة على الدوام واستمرارها، فإن كان الموقوف له غنياً عَمَّرَ الوقف من ماله، وإن كانوا فقراء، فلا تُقدَّر عليهم، وتجب العمارة في غلة الوقف، فإن أبى الغني أو كان الموقوف له فقيراً، أجَّر القاضي الموقوف وعَمَّرَه بأجرته وسلمه إلى الموقوف له، وما انهدم من بناء الوقف وآلته صُرِفَ في عمارته، وللواقف أن يجعل غلة الوقف كلها أو بعضها لنفسه وأن يجعل الولاية إليه، وإن كان الواقف غير مأمون على الوقف نزعه القاضي منه وولى غيره، حتى لو شرط الواقف في حجة الوقف عدم جواز عزله من القاضي، لأنه شرط باطل لمخالفته حكم الشرع. ومن بنى مسجداً لم يَزُلْ ملكُهُ عنه حتى يفرزه عن ملكه بطريقة ويأذن بالصلاة فيه، وقال أبو يوسف: إنه بمجرد قوله جعلت هذا العقار مسجداً يصير مسجداً، ومن بنى سقاية للمسلمين أو خاناً لأبناء السبيل أو رباطاً أو حوضاً أو حفر بئراً أو جعل أرضه مقبرة أو طريقاً للناس، لا يلزم الوقف ما لم يحكم به حاكم أو يعلن الواقف الوقف بموته، والوقف في فترة مرض الموت وصية لأنه تبرُّع فصار كسائر التبرعات. وإذا استُغني عن رباط يصرف الوقف إلى أقرب رباط إليه، وإذا ضاق

المسجد وبجانبه طريق عامة يوسّع المسجد من الطريق، كما يوسع الطريق العام، إذا ضاق، من أرض المسجد عملاً بالأصلح، لأن المسجد والطريق هما للمسلمين.

ولا يجوز الوقف على الأغنياء وحدهم لأنه ليس بقربة ولا يجلب الثواب، ولو وقف على من يحصى من الأغنياء ثم من بعدهم إلى الفقراء جاز الوقف والشرط نافذ. وله أن يوقف على ولده وولد ولده ونسله وعقبه ويكون الوقف مؤبداً، غير مقيد بعدد من الطبقات. وبتاريخ ١٠ آذار/ مارس سنة ١٩٤٧م صدر قانون لبناني يتعلق بالأوقاف على الذرية، منع فيها الوقف الذري على التأبيد وحصر جوازه بطبقتين اثنتين. وقضى بانتهاء الوقف بانتهاء الطبقة أو الطبقتين الموقوف عليهما، وبرجوع الوقف إلى ملكية الواقف إن كان لا يزال حياً، وإلى ورثته إن كان ميتاً، فإذا لم يكن له ورثة عاد الوقف إلى إدارة الأوقاف العامة إذا لم يشترط الواقف في وقفه جهة بر مؤبدة. وأجاز القانون المذكور للواقف أن يرجع في وقفه الذري كله، وبعضه، وأن يغير في شروطه ومصارفه، كما أجاز للواقف اشتراط الشروط العشرة المعروفة شرعاً لنفسه أو لغيره، وأجاز وقف العقار والمنقول وأسهم الشركات، ومنع وقف المشاع في عقار غير قابل للقسمة، وأجاز القانون قسمة الوقف الذري، وقسمة الوقف المشترك بين الذري والخيري، قسمة لازمة بناء لطلب مستحق في الوقف إذا كان قابلاً للقسمة دون حصول ضرر محقق ظاهر. كما أجاز القانون الموصوف، تصفية الوقف إذا تخرّب عقاره وتعذّر عمارته على وجه يحقق المصلحة للمستحقين، أو إذا أصبح ما يصيب المستحق من الغلة ضئيلاً جداً، وقد نظم القانون آلية محاسبة المتولين.

ناصر الصالح

المراجع: ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٨٨.

* * *

أُحُـد (غزوة)

أُحُد جبل يشرف على المدينة المنورة من جهة الشمال، ويرى منها بالعين المجردة، وإليه تنسب غزوة أحد، وهي معركة مهمة في التاريخ الإسلامي، وقعت بعد غزوة بدر بعام تقريباً (بدر ١٧ رمضان سنة ٢هـ وأحد في ٧ شوال سنة ٣هـ)، وسببها المباشر شعور كفار قريش بمرارة هزيمتهم ببدر، ورغبتهم بالثأر لقتلاهم فيها. وهي تقع في سياق خطة قريش الهادفة إلى القضاء على المسلمين، القوة الناشئة التي تهدد مركزهم الديني في جزيرة العرب، وطرق تجارتهم، مع بلاد الشام.

لذلك قرروا التبرع بأموال القافلة التجارية التي نجت من قبضة المسلمين في بدر لتجهيز غزو المسلمين مجدداً. فحشدوا جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل بينهم ٧٠٠ دارع يقوده أعيان قريش وفرسانها، وساروا نحو المدينة مصطحبين عدداً من النساء من اللواتي فجعن بأحبابهن في بدر تقودهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان سيد قريش. ولما وصلوا مكاناً اسمه «عينين» بالقرب من جبل أحد نزلوا فيه.

علم الرسول ﷺ بأمرهم، فاستنفر أصحابه وشدد الحراسة على المدينة، وبدأ بإجراء مشاورات عامة لاتخاذ القرار المناسب. وكان القرار النزول عند رغبة الشباب والمتحمسين إلى الخروج من المدينة لملاقاة المشركين حيث نزلوا.

خرج الرسول ﷺ يقود ألفاً من أهل المدينة متوجهاً نحو أحد، وبعد خروجه من المدينة بقليل انسحب عبد الله بن أُبيّ بن سلول، وانسحب معه ثلث الجيش تقريباً.

ولما كان المذكور رأس المنافقين لم يكترث الصحابة لانسحابه، بل تابعوا مسيرتهم حتى نزلوا شعباً من شعاب أحد، بحيث يكون الجبل خلفهم، وهم على سفحه، وإلى يسارهم مرتفع صغير وضع عليه الرسول ﷺ رماة النبال لمنع خيل المشركين من مهاجمة المسلمين من الخلف.

بدأت المعركة بتفوق المسلمين على الرغم من استشهاد حمزة بحربة عبد اسمه وحشي. ولما بدت الهزيمة واضحة في صفوف المشركين ترك معظم الرماة مراكزهم على الجبل ليشاركوا في مطاردة العدو المنهزم، فاستغل الفرصة خالد بن الوليد والتف على جيش المسلمين من وراء الجبل، فقتل قائد الرماة مع من بقي معه. ولاحت الهزيمة في صفوف المسلمين عندما سمع صوتٌ ينادي: «إن محمداً قد قتل»، ولكن ثبات بعض المؤمنين، وتعليمات الرسول ﷺ بالتجمع في مكان حدده في الشعب، قضت على آمال المشركين بالنصر، وبخاصة أن عمر بن الخطاب استطاع منعهم بمن معه من تسلُّق الجبل، وكان التعب أنهكهم فقرروا الاكتفاء بما حققوه، وتواعد الطرفان على اللقاء في العام القادم. وانسحب المشركون باتجاه مكة بينما عاد المسلمون إلى المدينة ليقوموا بحركة استعراض قوة في اليوم التالي بعدما لملموا جراحهم، أفادتهم في عدم عودة المشركين إلى استثمار ما حققوه في المعركة.

لم تكن أحدٌ نصراً للمشركين، ولكنها شكلت نكسة للمسلمين، ولولا تفوق قيادة المسلمين الكبير على قيادة المشركين لكانت النتيجة غير ذلك. خسر المسلمون سبعين قتيلاً بينهم فارس بدر وعم الرسول «حمزة بن عبد المطلب»، وخسر المشركون ثلاثة وعشرين. ولكن المسلمين استفادوا درساً في الانضباط العسكري، فهم ضغطوا لخروج الرسول ﷺ من المدينة، وكان يميل إلى مقاتلتهم فيها، وترك الرماة مراكزهم مخالفين أمر رسولهم وقائدهم فكادت حركتهم تؤدي إلى كارثة كبيرة تحيق بهم، وكان لا بد بعد هذه المعركة من إجراءات لتقوية الوضع الداخلي في المدينة بعدما كاد يتخلخل نتيجة لها.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٩٨، ١٢٢، ٢٥١، ٢٩٩، ٤٢١، ٤٢٤.

الإحرام = (انظر: الحج).

* * *

الإحسان

الإحسان ضد الإساءة. والإحسان يُقال على وجهين: أحدهما: الإنعام على الآخرين فنقول: أحسن إلى فلان. والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم الفرد علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً. وقد قيل: الناس أبناء ما يحسنون؛ أي: أنهم منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة. والإحسان أعمُّ من الإنعام.

وقد كان مدار فهم الإحسان ما ورد في الحديث النبوي في تعريف الإحسان حين سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ: (ما الإحسان يا رسول الله؟ فقال ﷺ: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

وهذا الحديث جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ٩٠].

والإحسان هنا الإخلاص، وهو شرط في صحة الإيمان والإسلام معاً. ويكون بذلك من تلفَّظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير إخلاص غير محسن، وإن كان إيمانه صحيحاً. والإحسان، وفق الحديث الشريف، هو ما تكون معه المراقبة والطاعة. ويميِّز ابن منظور في لسان العرب بين الإنعام والإحسان. فالإنعام يكون للآخرين، أما الإحسان فيكون لنفس الإنسان ولغيره.

وفي العودة إلى الآية الكريمة يمكن القول: إن الإحسان فوق العدل. فالعدل هو أن يعطي الإنسان ما عليه ويأخذ ما له. والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد على العدل، وتحري العدل واجب، أما تحري الإحسان فإنه ندب وتطوع. وقد جاء في النص القرآني:

﴿وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة/١٧٨]، إذن، الإحسان هو فعل كل مندوب إليه والتكميلات من الأعمال.

وقد ذهب القشيري في «لطائف الإشارات» مذهباً آخر حيث يفسر الإحسان أنه بمعنى العلم ـ والعلم مأمور به ـ والعلم المقصود هو علم الإنسان بحدوث نفسه، ومن خلال ذلك العلم بالخالق وصفات جلاله، ثم العلم بالأمور الدينية على حسب مراتبها. وبالنسبة للأفعال فإن كل فعل يكون وفق ما أمر الله تعالى به يدخل تحت باب الإحسان.

والإحسان يقال حين يقوم الإنسان بكل حق وجب عليه حتى لو كان لطير في ملك الإنسان أو لحيوان، فلا يصح أن يقصِّر في شأنه.

فالإحسان عماده السماحة وإنفاق العفو عن الناس. أما إذا يممنا شطر التصوف فإن المستفاد من الحديث في تعريف الإحسان يقود إلى حالين هما: حال المراقبة وحال المشاهدة، فالعبد الذي بلغ مرتبة الإحسان تلازمه المراقبة من الخالق سبحانه وهو ينعم بمشاهدة الحق فيصبح كل ما يصدر عنه هو بتدبير إلّهي فلا تكون منه زلات ولا هفوات.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٥٠٣.

* * *

إحصان

الإحصان هو مجموع الصفات الواجب توافرها في الشخص ليقام عليه حد الرجم في الزنا وليستحق قاذفه حد القذف.

١ ـ **أنواع الإحصان:** مما تقدم نرى أن الإحصان على نوعين: إحصان الرجم، وإحصان القذف.

أ ـ **أما إحصان الرجم:** فهو الذي يشترط توفره في الزاني حتى يقام عليه حد الرجم.

(١) **شروطه:** لا يجب رجم الزاني حتى يكون محصناً، ولا يكون محصناً حتى تتوافر فيه الشروط التالية:

أ ـ العقل: لأن المجنون غير مكلَّف.

ب ـ البلوغ: لأن الصغير الذي لم يبلغ غير مكلف أيضاً.

جـ ـ الحرية: فلا يقام حد الرجم على الرقيق، لأن حدَّه على النصف من حد الحر، سواء كان قِنّاً أم مكاتباً، أم مدبراً، أم أُمَّ ولد، لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ [النساء/ ٢٥].

د ـ الوطء في القبل في نكاح صحيح دون غيره.

هـ ـ أن يكون الوطء حلالاً، فإن كان حراماً فإنه لا يُحصِن، كالوطء في الحيض، أو الوطء في حالة الإحرام.

و ـ ويشترط لإحصان الزوجة أن يكون واطئُها بالغاً، لأن وطء غير البالغ لا يحصن الزوجة البالغة، كما يشترط لإحصان الزوج أن تكون زوجته بالغة عاقلة ـ فيما يرجحه الباحث من مذاهب الفقهاء ـ.

ز ـ ولا يشترط إسلام الشخص حتى يكون محصناً ـ فيما يرجحه الباحث من مذاهب الفقهاء ـ وعلى هذا فإنه إن تزوج المسلم ذمية، ودخل بها، فقد صار محصناً، لأن رسول الله ﷺ رجم اليهوديين اللذين زنيا، ولأن عقوبة الزنا عقوبة على الاعتداء على النظام العام، فلا يفرق فيها بين المسلم وغيره.

(٢) **آثاره:**

أ ـ إذا وطىء المحصنُ رجلاً أو امرأة فإنه يرجم بالحجارة حتى الموت، ولا يجلد قبل الرجم شيئاً.

ب ـ لا يلزم من رجم أحد المتزانيين لإحصانه

إحصان الآخر، وعلى هذا فإنه لو زنى محصن بامرأة غير محصنة، رُجِم الرجل لأنه محصن، وجلدت المرأة لأنها غير محصنة.

ب ـ إحصان القذف:

(١) **شروطه**: لا يُقام حد القذف بالزنا على القاذف حتى يكون القاذف محصناً، ولا يكون القاذف محصناً حتى تتوفر فيه الشروط التالية:

أ ـ العقل والبلوغ: لأن المجنون والصغير لا يتصور منهما قصد الزنا.

ب ـ الحرية: فلا حد على قاذف الرقيق عبداً كان أو أمة.

جـ ـ الإسلام: فلا حد على من قذف ذمياً، يهودياً أو نصرانياً، ولا حد على من قذف مرتداً أو مشركاً؛ وبذلك نرى أن الفقهاء قد فرَّقوا بين إحصان الرجم وإحصان القذف، فاعتبروا الإسلام شرطاً لإحصان المقذوف، لإقامة حد القذف على قاذفه، ولم يعتبروه شرطاً في الزاني لإقامة حد الرجم عليه، لأن الزنا جريمة مادية، بينما القذف جريمة معنوية، فيها انتقاص لحرمة المقذوف، فافترق فيها المسلم عن الكافر.

د ـ العفة عن الزنا: ويعتبر المرء عفيفاً عن الزنا إذا لم يثبت عليه أنه وطيء وطئاً غير صحيح، كالزنا، والوطء في النكاح الفاسد المتفق على فساده.

هـ ـ أن يتصور منه الوطء الموجب للحد، فإن كان لا يتصور منه الوطء الموجب للحد فلا حد على قاذفه، وعلى هذا فلا حد على من قذف مجبوباً ـ أي: مقطوع القضيب من أصله ـ ولا على من قذف شيخاً فانياً لا شهوة له، ولا يكون منه انتصاب للقضيب.

(٢) **آثاره**: إذا توفرت في المقذوف الشروط السابقة حين القذف وجب على قاذفه عقوبتان: الأولى: حد القذف؛ والثانية: رد الشهادة.

٢ ـ إثبات الإحصان: يثبت الإحصان بإثبات شروطه، وشروطه تثبت بما يلي:

أ ـ **العقل**: ويثبت بالشهادة.

ب ـ **البلوغ**: ويثبت بالإقرار أو بالعلامات أو بالسن.

جـ ـ **الحرية**: وهي الأصل في الإنسان، والرق عارض عليه، ويثبت الرق بالشهادة.

د ـ **الإسلام**: ويثبت بالإقرار أو بالشهادة.

هـ ـ **العفة عن الزنا**: وهي الأصل في الإنسان، والزنا عارض، ويثبت الزنا بالإقرار وبالشهادة كما هو مفصل في كتب الفقه.

و ـ **تصور أن يقع منه الوطء الموجب للحد**: ويثبت ذلك بالشهادة، وبقول أهل الخبرة من الأطباء.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

* * *

الأحكام

الأحكام جمع حكم، وهو في اللغة بمعنى المنع، ومنه الحكمة التي تمنع صاحبها من وضع الشيء في غير محله، والحاكم الذي يمنع المعتدي عن عدوانه.

والحُكم في الاصطلاح الشرعي له أربعة معان: اثنان في أصول الفقه، واثنان في الفقه، وهي:

أولاً: الحُكم التكليفي، وهو الوصف الشرعي للفعل، وهو عند علماء الأصول: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلَّفين اقتضاءً أو تخييراً، فيوصف الفعل بأنه واجب، أو مندوب، أو مباح، أو مكروه، أو حرام، ويضيف الحنفية: الفرض، والمكروه التحريمي.

فالواجب: هو ما طلب الشارع فعله طلباً جازماً، ويثاب فاعله ويعاقب تاركه، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأمر بالمعروف، والحكم بما أنزل الله.

والمندوب: هو ما طلب الشارع فعله طلباً غير جازم، ويثاب فاعله، ولا يعاقب تاركه، كسنن الصلاة، والصدقة، وإلقاء السلام.

والمباح: هو ما خيَّر الشارع بين فعله وتركه، ولا يثاب فاعله ولا يعاقب، ولا يثاب تاركه ولا يعاقب، ولكن قد يثاب فاعل المباح إن نوى به التقرب إلى الله تعالى، كالأكل، والنوم، والخروج إلى الجبال، والنزهة.

والمكروه: هو ما طلب الشارع تركه طلباً غير جازم، ويثاب تاركه إن قصد به القربى، ولا يعاقب فاعله، وقد يعاتب، كترك السنن في الصلوات، وكثرة الكلام، وإضاعة المال.

والحرام: ما طلب الشارع تركه طلباً جازماً، ويعاقب فاعله، كشرب الخمر، والزنا، والقتل، والردة.

والفرض عند الحنفية: هو ما طلب الشارع فعله طلباً جازماً بدليل قطعي، كالصلاة وغيرها، فإن ثبت بدليل ظني فهو واجب كالوتر.

والمكروه تحريماً عند الحنفية: هو ما طلب الشارع تركه طلباً جازماً بدليل ظني، فإن كان الطلب بدليل قطعي فهو الحرام عندهم.

ثانياً: الحكم الوضعي: وهو صفة الفعل الصادر من المكلَّف من حيث الصحة والفساد، والرخصة والعزيمة، كما أنه خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بجعله مرتبطاً بغيره، كالسبب والشرط والمانع.

فالسبب: هو ما ارتبط به غيره وجوداً وعدماً، فإن وُجد السبب وجد الحكم الشرعي، وإذا انعدم السبب انعدم الحكم الشرعي، مثل دخول الوقت سبب لوجوب الصلاة، وملك النصاب الشرعي من الأموال سبب لوجوب الزكاة، والقتل سبب لوجوب القصاص، وإتلاف مال الغير سبب للضمان.

والشرط هو ما ارتبط به غيره عدماً لا وجوداً، فإذا عُدم الشرط فُقد الحكم الشرعي، أما إن وجد الشرط فقد يوجد الحكم الشرعي وقد لا يوجد، مثل الوضوء شرط لصحة الصلاة، فإذا عُدم الوضوء بطلت الصلاة، وحولان الحول شرط لإخراج الزكاة، فلا تخرج الزكاة قبل حَولان الحول، وإن وجد الوضوء فقد توجد الصلاة وقد لا توجد، وإن حال الحول فقد تجب الزكاة على الغني، وقد لا تجب الزكاة على الفقير.

والمانع: حكم شرعي، وهو ما ارتبط به غيره وجوداً، لا عدماً، أي إذا وجد المانع، وهو حكم شرعي، عدم حكم شرعي آخر، وإذا امتنع المانع وفُقد فقد يوجد الحكم، وقد لا يوجد، كالقتل مانع من الميراث، فإذا وجد القتل امتنع الميراث، وإن فقد المانع فقد يوجد ميراث للقريب، وقد لا يوجد ميراث للبعيد، أو للقريب المحجوب، ووجود الدين يمنع الزكاة عند الجمهور.

والصحيح هو الحكم الشرعي على تصرف توفرت أركانه وشروطه، وترتبت عليه آثاره المقررة شرعاً، فإن فقد ركنه أو شرطه فيحكم على التصرف بالفساد والبطلان ولا تترتب الآثار في الأصل، عند الجمهور، وفرَّق الحنفية بين البطلان الذي يقع الخلل في الركن، وبين الفساد الذي يترتب الخلل في الشرط وغيره.

والحكم الشرعي قد يكون عزيمة، وهي ما شرعه الله لعبادة العباد من الأحكام ابتداء، كوجوب الظهر أربع ركعات، والجهاد في سبيل الله، والصوم في شهر رمضان، وقد يكون الحكم الشرعي رخصة وهي الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر، كصلاة الظهر ركعتين في السفر، والفطر في شهر رمضان للمريض والمسافر والحامل والمرضع.

وهذه الأحكام العشرة في الحكم التكليفي والوضعي يواصلها ويبينها علماء الأصول، ويطبقها عملياً علماء الفقه في أبواب الفقه المختلفة.

ثالثاً: الحكم عند الفقهاء: وهو الأثر المترتب على التصرف الذي يصدر عن الإنسان. فالعقد تصرف من الشخص تترتب عليه أحكام شرعية يبينها الفقهاء، فالبيع عقد تترتب عليه أحكام كانتقال ملكية المبيع للمشتري، ووجوب تسليم الثمن على البائع، ووجوب تسليم المبيع إلى المشتري، وضمان المبيع إن ظهر فيه عيب، والنكاح عقد تترتب عليه أحكام وهي حل الاستمتاع والنظر بين الزوجين، والوصية تصرف يترتب نقل ملكية الموصى به إلى الموصى له بعد الموت، والعارية عقد يترتب عليه ملك منفعة المعار إلى المستعير مدة معينة، فأحكام العقود والتصرفات هي الآثار التي تترتب عليها عند الفقهاء، ويسمونها أحكام العقد مثلاً.

رابعاً: الحكم في القضاء: وهو فصل الخصومة بقول أو فعل يصدر عن القاضي، ومن في حكمه، بطريق الإلزام، لمنع المنازعات، وإنهاء الخلافات، ومنع العدوان، والحد من الظلم، ورد الحقوق إلى أصحابها، وهذا ما يسمّى بالحكم القضائي الشائع والمنتشر في العالم والأنظمة والدول والقوانين، ويستعمله الفقهاء في تنظيم القضاء الشرعي لإقامة العدل، ومنع الظلم والعدوان.

ونشير أخيراً إلى الحكم الذي يرد في الشرع باصطلاح المناطقة، وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، فيقال: زيد موجود، فهذا حكم عليه بالوجود، وبكر قائم، فهذا حكم عليه بالقيام، وعمرو غير موجود، فهذا حكم عليه بعدم الوجود.

والأحكام الشرعية تطلق غالباً على الأحكام الفقهية العملية المستنبطة من الأدلة الشرعية، ولكنها تطلق أيضاً على جميع أحكام الدين، لتشمل أحكام العقيدة، وأحكام الأخلاق، ولكن هذا الاستعمال نادر وقليل، ولكنه صحيح شرعاً ولغة.

محمد الزحيلي

المراجع: ٣١، ١/٤٤٧، ٤٨٤.

* * *

أحمد بن حنبل (١٦٤هـ - ٢٤١هـ)

محدِّث وفقيه صاحب مذهب، وقد اضطرب بعضهم في تصنيفه أهو محدث، وقد وضع مسنده الشهير في الحديث، أم أنه فقيه وهذا بديهي وهو مجتهد صاحب مذهب.

خرجت أمه من مرو وهي حامل به، فولدته في بغداد، في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة للهجرة، وقيل: إنه وُلد بمرو وحُمل إلى بغداد وهو رضيع.

درس الفقه، وكان من أصحاب الإمام الشافعي وخواصِّه، ولازمه حتى كان رحيل الشافعي إلى مصر، وقال الشافعي: «خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من أحمد بن حنبل».

وقد جمع أبو الفرج ابن الجوزي في موسوعته «صفة الصفوة» أقوال عدد من العلماء كلها تقرُّ بمكانة الإمام أحمد بن حنبل وعلمه، منها:

«عن إبراهيم الحربي، قال: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويمسك ما شاء».

و «قال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل».

و «عن أبي داود السجستاني، قال: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذكر العلم تكلَّم».

و «عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، قال: ما أعلم أني رأيت أحداً أنظف ثوباً، ولا أشدَّ تعاهداً لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوباً وأشدَّه بياضاً من أحمد بن حنبل».

و «عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنت

أسمع أبي كثيراً، يقول في دبر كل صلاة: اللهم كما صُنْت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك».

تجمع هذه الأقوال في الإمام أحمد خلاصة قيِّمة تبيِّن سيرته. فهو العالم الورع، والمحدِّث المدقِّق، والفقيه المتبع، والعفيف عزيز النفس الذي لا يمد يده لغير الله، والكيِّس أنيق الملبس.

الإمام أحمد صاحب «المسند»، وهو كتاب جامع عظيم القيمة في الحديث النبوي رتَّبه على حسب الرواة من الصحابة ـ وهي طريقة المسانيد ـ فلكل صحابي أحاديثه التي رواها. هذا المنهج في التدوين يستدعي ممن أراد البحث عن حديث ما أن يكون على معرفة باسم الصحابي الذي رواه، وعندها يبحث عن الحديث في مسنده، بينما لو ذهب الباحث إلى صحيح البخاري أو مسلم فإنه يصل إلى الحديث من خلال الموضوع.

يشتمل مسند أحمد بن حنبل على ثلاثين ألف حديث، ولا يوازيه مسند من المسانيد في وفرة محتواه. وإن كان اختلاف قد وقع في مدى تطرق الضعف أو الوضع إلى أحاديث المسند إلا أنه اشتهر عن الإمام أحمد اشتراطه بأنه لم يجمع في المسند من الأحاديث إلا ما هو صحيح.

أما في مسألة التوحيد وعلم الكلام فيعد الإمام أحمد إمام أهل السلف أهل النص والحديث الذين امتنعوا عن الخوض في التأويل للمتشابهات من الآيات، وأخذوا الآيات على ظاهر نصها كما هي.

أصابه بلاء في حياته زمن الخليفة العباسي المأمون وامتحان صعب كان موضوعه يدور حول القرآن الكريم وهل هو مخلوق أم لا؟ وكانت الأزمة بسبب تحريض المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن.

وقد أورد المؤرخون أن المأمون كلَّف، في ربيع الأول من عام ٢١٨ للهجرة، إسحاق بن إبراهيم ببغداد كي يمتحن العلماء والقضاة في مسألة خلق القرآن، وما رواه المؤرخ ابن الأثير وسواه يبيِّن لنا حقيقة موقف الإمام أحمد. جاء في الموضوع: «ثم قال لأحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: كلام الله ما أزيد عليها. فامتحنه بما في الرقعة، فلما أتى إلى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى/١١] قرأ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى/١١]، وأمسك عن: ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر، فقال: أصلحك الله، إنه يقول: سميع من أذن وبصير من عين، فقال إسحاق لأحمد: ما معنى قولك: سميع بصير؟ قال: هو كما وصف نفسه، قال: فما معناه؟ قال: لا أدري هو كما وصف نفسه».

واستمر الابتلاء بهذا الأمر للإمام أحمد زمن الخليفة المعتصم وبعده الواثق فعل الأمر نفسه وفي عهدهم جميعاً أصابه ما أصابه من السجن والجلد والتعذيب، إلى أن كانت خلافة المتوكل الذي رفع المحنة عنه وأكرمه.

أما بالنسبة لفقهه، فإن فقه الإمام أحمد يتكيء على الحديث النبوي، وفقهاء المذهب الحنبلي اعتمدوا منهجه في الأصول التي بنى عليها فقهه والتي لخَّصها ابن القيم وحصرها بخمسة:

١ ـ النصوص: من قرآن وسنَّة، وإن وجدت فإنه لا يتطلع إلى سواها من أقوال منسوبة للصحابة أو آراء.

٢ ـ ما أفتى به الصحابة ولا يعلم له مخالفاً، فإذا وجد لأحدهم فتوى ولم يعرف مخالفاً لها لم يتركها إلى غيرها.

٣ ـ إذا اختلف الصحابة كان يأخذ من أقوالهم ما يكون موافقاً للكتاب والسنَّة.

٤ ـ الأخذ بالحديث المرسل الذي لم يذكر فيه الصحابي الذي رواه، والحديث الضعيف الذي لم يثبت وضعه إذا لم يكن في الباب ما يدفعه، ويقدمه على القياس.

٥ ـ القياس، وكان يذهب إليه إذا لم يجد نصاً من كتاب أو سنة، ولم يجد قول صحابي أو

تابعي على الرواية المشهورة، ولا أثر مرسل أو ضعيف.

والقياس في أصول الفقه الحنبلي بمعناه الواسع يشمل كل وجوه الاستنباط من غير النصوص ويدخل في بابه: الإجماع - القياس - المصالح المرسلة - الاستحسان - سد الذرائع - الاستصحاب.

لم يكتب الإمام فقهه إلا بعض المذكرات الخاصة أحياناً، وقد نقل فقهه تلامذته وأبرزهم ابنه صالح وابنه عبد الله ومن أصحابه: أبو بكر الأثرم، وعبد الملك الميموني، وأبو بكر المروذي... الخ.

والسادة الحنابلة لا يوافقون على إغلاق باب الاجتهاد، ويرون أن وجود مجتهد مطلق فرض كفاية لا يصح أن يخلو منه عصر.

حياة جهاد ومثابرة وفقه وحديث، وسلوك عماده الورع والزهد، هكذا عاش الإمام أحمد رحمه الله تعالى إلى أن كانت وفاته في الثاني من ربيع الأول في سنة إحدى وأربعين ومائتين للهجرة بعد مرض لازمه تسعة أيام قبل وفاته.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٥١، ٣٣٥، ٤٢٤، ٤٤٣، ٥٨١.

* * *

الأحمدية = (انظر: القاديانية).

* * *

أبو حنيفة (٨٠هـ - ١٥٠هـ)

١ - نسبه ومولده: هو النعمان بن ثابت، ولد عام ثمانين من الهجرة وتوفي عام خمسين ومائة للهجرة، من أصل فارسي إذ كان جده من أهل بابل.

٢ - مكانته العلمية: أحد أعلام المسلمين وإمام من أكبر أئمة الفقه الإسلامي. يقول فيه الإمام الشافعي: من أراد أن يعرف الفقه فليلتزم أبا حنيفة وأصحابه فإن الناس كلهم عيال عليه في الفقه.

٣ - منهج أبي حنيفة في الفقه: يقول أبو حنيفة مبيّناً مذهبه وطريقته: إذا جاء الحديث عن النبي ﷺ لم نمل عنه إلى غيره وأخذنا به، وإذا جاء عن الصحابة تخيرنا، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم. ومن المفهوم أنه يريد بالحديث الذي يجيء عن الصحابة والتابعين هو الآثار التي تحمل أقوالهم وآراءهم في الفقه لا الأحاديث التي يروونها عن الرسول ﷺ. ويقول الشيخ محمد زاهد الكوثري عن هذا المنهج في كتابه «النكت الطريفة في التحدث عن ردود ابن أبي شيبة على أبي حنيفة»: إن أبا حنيفة كان يأخذ بالأحاديث الصحيحة المستجمعة لشروط الصحة المعتبرة عنده في بيان مجمل الكتاب والسنة وفيما لا معارض له أقوى، كمعلومات الكتاب أو ظواهره أو الخبر الصحيح المحتف بالقرائن أو الخبر المشهود أو المتواتر... وعند وجود معارض كهذه يأخذ بالمعارض الأقوى عملاً بأقوى الدليلين فيؤول الخبر الآخر بوجوده تأويل تظهر له مما يستسيغه أهل الفقه والدين ويحتم الأخذ بما يبرىء الذمة بيقين عند اختلاف الروايات، ويسعى جهده في عدم إهدار تصرف العاقل بقدر ما يمكن..

ويرعى جانب الفقراء والأرقاء وسائر الضعفاء في الأحكام المختلف فيها جرياً على الرفق بالضعيف المطلوب بالشرع. ويفسر الأدلة المحتملة بما هو في مصلحة من توقع عليه العقوبات أخذاً بقاعدة درء الحدود بالشبهات، ويعتمد على القواعد العامة باعتبار أن القواعد العامة يقينية في الشرع، وخبر الآحاد الذي له معارض في أدنى درجات النظر...

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ٩، ١٢٤.

* * *

إحياء الموات

الأرض الموات: هي الأرض التي خلت من العمارة والسكان. وقيل: هي الأرض التي لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد. ويكون إحياؤها ببناء أو غرس أو حراثة أو سقاية.

ونص الحنابلة وغيرهم على أن للإمام إقطاع الموات لمن يحييه، فيكون أحق به، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ: (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) [رواه الترمذي]، وقوله ﷺ: (من أحيا أرضاً ميتة فله فيها أجر) [رواه أحمد والنسائي وابن حبان].

ويذهب جمهور العلماء إلى أن المحيي يملك ما أحياه من الأرض إذا توافرت الشروط، وأبرزها ألا تكون الأرض مملوكة لأحد، وأن لا يكون لأحد فيها حق خاص داخل البلد أو خارجها، وألا تكون من مرافق أهل البلد، كالمرعى، والمحتطب، وأرض الملح، والقار، وما أشبهها، مما يعتبر حقاً عاماً. ويمنع في أرض عرفة، ومزدلفة، ومنى، لحاجة الحجاج إليها في أداء مناسكهم.

وأن يكون الإحياء بالبناء أو الزراعة.

واختلفوا في إذن الإمام (الدولة) فمنهم من اشترط إذن الإمام، ومنهم من لم يشترطه.

ولا شك أن تشريع إحياء الأرض الموات في الإسلام ينسجم مع تعاليم الدين الحنيف في تحقيق ما يعود على الكون ومخلوقاته بالخير، ويحقق مصالح الناس، كزيادة الأقوات والحفاظ على البيئة، وغيرها.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٢٠٦، ٤٠٧، ٥٤٨، ٥٤٩.

* * *

إحياء الموتى

إحياء الموتى: بعثهم من الموت للحساب، وقد يقع معجزة لنبي أو رسول. وهو (البعث) وأصله: إثارة الشيء وتوجيهه، وقوله تعالى: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام/٣٦]، أي يحييهم ويخرجهم من قبورهم ويسيرهم إلى القيامة. وهو نوعان: أحدهما: إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع من العدم، ويختص به الباري سبحانه وتعالى. والثاني: إحياء الموتى، وقد خص الله به بعض أصفيائه كعيسى عليه السلام: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران/٤٩].

صلاح الدين أرقه دان

* * *

اختلاس

الاختلاس هو اغتيال مال الغير بدون رضائه، وكل من اختلس مالاً منقولاً مملوكاً لغيره فهو سارق.

يميل الفقه الجنائي الوضعي إلى نظرية نادى بها الفقيه القانوني «غارسون» الذي ربط الاختلاس بفكرة الحيازة المادية، وهذه النظرية تتفق وما قاله فقهاء الشريعة الإسلامية، إلا أن الفقه الإسلامي اعتبرها ذات شقين، أما الفقه القانوني فقد أخذ بشق واحد منها، إذ التسليم في الفقه الإسلامي يمنع من قيام جريمة السرقة، ولكنه لا يمنع من قيام جريمة أخرى من نفس الفعل يعتبر معصية يعاقب مرتكبها بعقوبة تعزيرية، أما في الفقه القانوني فإن التسليم يمنع من قيام جريمة السرقة كما يمنع من قيام أية جريمة أخرى حتى ولو كان التسليم عن غش أو تدليس.

والنظرية التي قال بها «غارسون» وهي ربط فكرة الاختلاس بفكرة الحيازة المادية، تعني أن الحيازة في المنقول يقصد بها السيطرة المادية عليه بحيث تبيح لحائز المنقول أن يتصرف فيه باعتباره مالكاً له. والحيازة تتكون من عنصرين:

العنصر المادي: وهو يشمل جميع الأفعال المادية التي تفيد معنى الحيازة مثل: استعمال

الشيء وبيعه ورهنه والتصرف فيه بالهبة أو الوصية، أو أي تصرف آخر.

العنصر المعنوي: ومؤداه أن يعتقد الحائز بأنه يحوز الشيء بصفته مالكاً له.

وللحيازة طبقاً لنظرية «غارسون» ثلاث صور:

الحيازة التامة: وهي التي يتوافر فيها العنصر المادي والمعنوي.

والحيازة الناقصة: وهي التي يتوافر فيها العنصر المادي فقط دون العنصر المعنوي؛ وتكون للحائز غير المالك وتتطلب عقداً يفيد الملكية لعقد الحائز، مثال ذلك: حيازة المستأجر للعين المؤجرة، وحيازة الدائن المرتهن رهناً حيازياً، وحيازة المستعير في عارية الاستعمال، وحيازة المودع لديه في عقد الوديعة وهكذا. . .

والحيازة العارضة: وهي أضعف أنواع الحيازة بحيث يضع الحائز يده على المال بطريقة عارضة دون أن تكون له أي سلطة عليه.

وترتيباً على ذلك، فإن التسليم إذا نقل الحيازة التامة فإنه يمنع من قيام الاختلاس ومن قيام أي جريمة أخرى، وإذا نقل الحيازة الناقصة فإنه يمنع من قيام الاختلاس، ولكنه لا يمنع من قيام جريمة إساءة الأمانة. أما إذا نقل التسليم الحيازة العارضة فإنه لا يمنع من قيام جريمة الاختلاس وجريمة السرقة.

أما الشريعة الإسلامية فقد عرفت مصطلحاً يماثل في مضمونه مصطلح الاختلاس، وهو مصطلح «الأخذ خفية». والمقصود بالأخذ خفية هو أن يؤخذ المال دون علم المجني عليه ودون رضاه، كمن يسرق ماشية مملوكة للمجني عليه في غيبته أو أثناء نومه، فإذا أخذ المال في حضور المجني عليه وليس على سبيل القهر والمغالبة، فالفعل اختلاس لا سرقة، أما إذا أخذ في غيبة المجني عليه ولكن برضاه فلا جريمة في الأمر.

ومن هذا يتبين لنا أن السرقة المعاقب عليها بالحد شرعاً هي أخذ مال الغير خفية، وهذا هو تعريف السرقة عند فقهاء الشريعة الإسلامية، ومن هذا التعريف يتضح أن أركان الجريمة هي:

أولاً: الأخذ خفية: الأخذ خفية في الشريعة الإسلامية يقابل الاختلاس في القانون الوضعي، ذلك أن السرقة عند فقهاء الشريعة الإسلامية هي أخذ مال الغير خفية، وتسمى السرقة الصغرى، وعقوبتها قطع اليد تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة/٣٨]، أما إذا أخذ المال دون استخفاء، فلا تقع جريمة السرقة وإنما تقع به جريمة أخرى، فإن كان أخذ المال على سبيل القهر والمغالبة أي بالإكراه كانت الجريمة حرابة، وإن كان دون استخفاء وبغير إكراه كانت الجريمة اختلاساً عقوبته التعزير.

ويقوم الأخذ خفية على عنصرين:

الأول: هو خروج الشيء المسروق من حرزه المعد لحفظه.

والثاني: هو دخول المسروق في حيازة السارق.

ثانياً: أن يكون المأخوذ مالاً للغير: يشترط أن يكون الشيء المسروق مالاً وما ليس بمال لا تقع به جريمة السرقة، فالإنسان لا يعتبر مالاً، ومن ثم لا يعتبر محلاً لجريمة السرقة. هذا ما اتفق عليه الفقهاء الثلاثة أبو حنيفة والشافعي وابن حنبل بالنسبة لوقوع السرقة على إنسان، أما الإمام مالك والظاهريون فيرون أن خطف الطفل غير المميز في حكم سرقة المال.

ثالثاً: القصد الجنائي: تكلم فقهاء الشريعة الإسلامية في العصيان وقَصْد العصيان، وعرَّفوا العصيان بأنه فعل المعصية؛ وبعبارة أخرى إتيان فعل محرم أو الامتناع عن فعل واجب دون أن يقصد الفاعل العصيان. وعنصر العصيان يجب أن يتوافر في كل جريمة سواء كانت الجريمة عمدية أو غير عمدية، فإذا لم يتوفر عنصر العصيان فلا يعتبر الفعل جريمة.

والمقصود بقصد العصيان هو تعمد القيام بفعل حرَّمته الشريعة الإسلامية، أو ترك فعل أوجبته الشريعة، مع العلم بأن المشرع يحرم الفعل أو يوجبه.

وبناءً على ذلك، فإن قصد العصيان لا يكون إلا في الجرائم العمدية، فمن يلقي حجراً من نافذة ليتخلص منه فيصيب إنساناً ماراً في الطريق يعتبر فاعلاً لمعصية هي إصابة الغير، ولكنه لم يكن يقصد فعل هذه المعصية. أما إذا ألقى الحجر بقصد إصابة شخص معين فإنه يكون قد قصد المعصية.

فقصد العصيان في الشريعة الإسلامية يقابل القصد الجنائي في القانون. وبناءً عليه يجب أن يتوافر في جريمة الاختلاس أو الأخذ خفية قصدان: قصد عام، وهو أن يأخذ المختلس المال وهو يعلم أنه يأخذ محرماً، أي يعلم أنه يرتكب معصية. وقصد خاص وهو النية في تملك المال المختلس. وعلى ذلك، إذا أخذ شخص مالاً معتقداً أنه مال مباح أو متروك فلا يعتبر مختلساً لانعدام قصد الاختلاس.

فوزي أدهم

المراجع: ١٦٧، ٢٠٠، ٣٦٧، ٥٦٦، ٥٦٩.

* * *

الأخدود (أصحاب)

الأخدود في لغة العرب: يقال: الخَدُّ والخُدَّة: الحفرة تحفرها في الأرض مستطيلة، والخَدُّ والأخدود: شقّان في الأرض غامضان مستطيلان.

وقد ورد ذكر الأخدود في سورة البروج في قول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج/ ٤ ـ ٨].

قُتِل: أي لُعِن أصحاب الأخدود أولئك الذين حفروا في الأرض شقين مستطيلين، وأوقدوا في الأخدود ناراً ليعذبوا بها من آمن بالله ثابتاً على إيمانه ولم يستجب لدعوة أصحاب الأخدود بالعود إلى الكفر.

وأصحاب الأخدود هم يهود من اليمن ملكهم ذو نواس، وكانوا في مرحلة الفَتْرة قبل الإسلام، وكان يعيش معهم قوم في اليمن في منطقة نجران يدينون بالمسيحية. سار ذو نواس مع قومه وجنده إلى مسيحيي نجران، وغلبهم ومن ثمَّ حفر أخدوداً في الأرض وأوقد فيه ناراً ثم عرض عليهم اليهودية فمن فعل خلّى سبيله، ومن أبى قذفه في النار، حتى كان دور امرأة معها ابنها وعمره سبعة أشهر، فأبت أن تتخلى عن دينها، فأدنيت من النار، فجزعت، فأنطق الله عز وجل الطفل، فقال: يا أمَّهْ! امضي على دينك فلا نار بعد هذه، فألقاها ذو نواس في النار. وجاء في الأثر: أن هؤلاء القوم لثباتهم على إيمانهم عوَّضهم الله الجنة، وأدخلت نفوسهم الجنَّة قبل أن تصل أجسادهم إلى النار التي أوقدها ذو نواس وقومه.

وفي السورة عِبْرة ودعوة. عِبْرة لكل من تسوَّل له نفسه أن يجبن أو أن يتخاذل بأن المؤمن ثابت العقيدة لا يرهبه شيء، حتى لو كان الإحراق بالنار، ودعوة لكل مؤمن على امتداد حركة الأمم في التاريخ كي يتأسّى المؤمنون بحالة المؤمنين الذين تلقوا التعذيب من ذي نواس. وفي السورة بلاغ بأن العنف منهج يهودي، والعنصرية أسلوب ملازم لهذا الشعب حتى تمكنوا وكانت السلطة لهم. وإذا كانت الحكاية هنا عن تعذيب مارسه يهود ضد مسيحيين قبل الإسلام، فما ذكرها في النص القرآني إلا توجيه رباني للمسلمين والمسيحيين كي يتعاونوا لردع كيد يهود والقضاء على عنصريتهم التي لا توفر أحداً ولا ترعى حرمة أو ذمّة، وأن يهود ملعونون من الله تعالى حيث يذكرون، وكان النبي إذا ذُكر أصحاب الأخدود تعوَّذ بالله من جهد البلاء، لأن الاختبار لمن أحرقوا في هذه الأخدود لم يكن اختباراً سهلاً.

وجاء عند القرطبي في تفسيره: «قال علماؤنا: أعلم الله عزَّ وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية، ما كان يلقاه من وحَّد قبلهم من الشدائد، يؤنسهم بذلك».

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٢٠٤، ٤٤١، ٤٨٠.

* * *

أصحاب الأخدود، ورد ذكرهم في سورة البروج عند قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البروج/ ٤]، وقد اختلف العلماء فيهم على ستة أقوال:

أحدها: أن ملكاً كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلّمه السحر، وكان الغلام يمر على راهب فأعجبه أمره فتبعه، فعلم به الملك فأمره أن يرجع عن دينه فقال: لا أفعل، فاجتهد الملك في إهلاكه فلم يقدر، فقال الغلام: لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. اجمع الناس في صعيد واحد واصلبني على جذع وارمني بسهم من كنانتي وقل بسم الله رب الغلام. ففعل، فمات الغلام. فقال الناس: آمنا برب الغلام. فخدَّ الأخاديد وأضرم فيها النار وقال: من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، ففعلوا. وهذا مختصر الحديث، وهو طويل.

الثاني: أن ملكاً من الملوك سكر فوقع على أخته فلما أفاق قال لها: ويحك كيف المخرج؟ فقالت له: اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله عز وجل قد أحلَّ نكاح الأخوات. فإذا ذهب هذا في الناس وتناسَوه خطبتَهم فحرَّمته. ففعل ذلك، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه، فبسط فيهم السوط ثم جرَّد السيف فأبوا، فخدَّ لهم أخدوداً وأوقد فيه النار وقذف من أبى قبول ذلك. [قاله علي بن أبي طالب].

الثالث: إنهم ناس اقتتل مؤمنوهم وكفارهم فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يغدر بعضهم ببعض، فغدر كفارهم فأخذوهم فقال لهم رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً واعرضوهم عليها، فمن تابعكم على دينكم فذاك الذي تحبون ومن لم يتبعكم أُقحم في النار فاسترحتم منه. ففعلوا. فجعل المؤمنون يقتحمونها. [قاله قتادة].

الرابع: أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبار من عبدة الأوثان فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا فخدَّ لهم أخدوداً وألقاهم فيه. [قاله الربيع بن أنس].

الخامس: أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعدما رُفع عيسى عليه السلام فخدَّ لهم أخدوداً وأوقد فيه النار فأحرقهم كلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ وهم: يوسف بن ذي نواس وأصحابه. [قاله مقاتل].

السادس: أنهم قوم كانوا يعبدون صنماً ومعهم قوم يكتمون إيمانهم، فعلموا بهم، فخدُّوا لهم أخدوداً وقذفوهم فيه. [حكاه الزجاج].

وقد اختلفوا في الذين أُحرقوا على أقوال خمسة:

أحدها: أنهم كانوا من الحبشة. قاله الإمام علي بن أبي طالب.

والثاني: أنهم من بني إسرائيل. قاله ابن عباس.

والثالث: أنهم من أهل اليمن. قاله الحسن. وقال الضحاك: كانوا من نصارى اليمن وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة.

والرابع: أنهم من أهل نجران. قاله مجاهد.

والخامس: أنهم من النبط. قاله عكرمة.

وفي عددهم ثلاثة أقوال:

أحدها: اثنا عشر ألفاً. قاله وهب.

والثاني: سبعون ألفاً. قاله ابن السائب.

والثالث: ثمانون رجلاً وتسعة نسوة. قاله مقاتل. والله أعلم.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٧٤، ١٩٧، ٣٧٣.

* * *

الأخشيديون (الدولة الأخشيدية)

(٣٢٣ - ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م)

٣٢٣هـ	محمد الإخشيد أبو بكر بن طغج	٩٣٥م
٣٣٥هـ	أبو القاسم أنوجور بن أحمد	٩٤٦م
٣٤٩هـ	أبو الحسن علي بن محمد	٩٦٠م
٣٣٥هـ	أبو المسك كافور (خصي)	٩٦٦م
٣٥٧ - ٣٥٨هـ	أبو الفوارس أحمد بن علي	٩٦٨م - ٩٦٩م

أسسها محمد بن طغج أبو بكر (٣٢٣هـ - ٩٣٥م) الذي أوكل إليه الخليفة العباسي الراضي أمر مصر، فنظم أحوال البلاد المضطربة. وفي سنة ٣٢٧هـ - ٩٣٩م منحه الخليفة العباسي لقباً أميرياً إيرانياً - تركياً هو «الأخشيد» يعني الأمير، وكان يحمله الحكام الإيرانيون المحليون في فرغانة وبلاد الصغد.

وفي السنتين التاليتين سلك الأخشيد محمد الطريق الذي سلكه قبله أحمد بن طولون، فاستقل بالأمر نوعاً ما واستولى على سوريا وفلسطين، ولم تمض سنة أخرى حتى ضم مكة والمدينة المنورة إلى دولته.

ولكن حكمه لم يكن هادئاً بعد ذلك، فقد ثار عليه بعض العلويين في مصر وناوأه الحمدانيون في شمالي الشام بعد أن استولوا على حلب وحاربوه حتى ترك لهم منطقة حلب وقنسرين، وتعهد لهم بدفع مبلغ من المال مقابل احتفاظه بدمشق.

وبعد وفاته سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٥م عهد بالولاية من بعده لابنه أنوجور أبو القاسم ومن بعده لأخيه أبو الحسن علي، وقد ناب عنهما في الحكم كافور أبو المسك الذي ارتفع شأنه، وحكم مصر والشام مدَّة تقارب ٢٣ سنة، وكان من أحسن الولاة وأكثرهم عدلاً وإحساناً، وله حرمة ورأي وخبرة بالسياسة.

وكان آخر أمراء الدولة الأخشيدية أبو الفوارس أحمد بن علي (٣٥٧ - ٣٥٨هـ/ ٩٦٨ - ٩٦٩م) الذي كان في الحادية عشرة من عمره، ولما اختار الجند عمه وصياً عليه أسرف في ظلم الناس واستبد فاضطروه إلى البقاء في الرملة، ووجدت مصر في الفتح الفاطمي وسقوط الدولة الأخشيدية بيد جوهر الصقلي قائد الفاطميين سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م فرجاً لها من الفوضى والمجاعة.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١٢٢، ٤٢٤.

* * *

أخناتون

هو أمنحوتب الرابع كما سمّاه والداه وهما: تحوتمس الرابع وتي، أو تايي، ابنة يوسف عليه السلام. ولد أمنحوتب الرابع في أوائل عام ١٣٨٠ق.م، وكانت وفاته عام ١٣٤٩ق.م.

بعد وفاة أبيه استلم الملك وكان أول ما فعله هو الثورة على معتقدات قومه وإيمانهم بـ «أمون»، وكان الملك الشاب يحيا حياة طهر وأمانة، وقد أزعجه ما كان عند قومه باسم الدين من قرابين مبالغ فيها، إلى عهر في المعابد، وكما جاء عند ديورانت: «ثارت روحه الفتية على الفساد الذي تدهور إليه دين شعبه، وكره المال الحرام والمراسم المترفة التي كانت تملأ الهياكل»، كما أنه ثار على أساليب الكهنة المرتزقة الذين مارسوا المتاجرة بموقعهم وباسم دين أمون.

لقد ثار أخناتون على كهنة أمون إله «طيبة» عاصمة مصر، وخرج عليهم بدعوته إلى التوحيد والإيمان بإله واحد أعظم، وأطلق عليه اسم «أتون».

لقد حاول أخناتون إجبار «كهنة أمون» على الاعتراف بدعوته والإيمان بالإله «رع» كأحد معبودات معبد الكرنك القلعة الحصينة «للمعبود أمون» فقبلوه على حذر، وسمحوا له أن يشيِّد معبداً له في رحاب الكرنك، وأضافوا اسم «رع» إلى المعبود «آمون» فتحول اسمه إلى «آمون رع»؛

أي: رب الأرباب. ولكن أخناتون عمل فيما بعد مع زوجته نفرتيتي على تخطيط مدينة جديدة أطلقا عليها اسم «أخت أتون» وفيها أقاموا معبداً لديانتهم الجديدة، وقد أنجز بناء المدينة بسرعة فائقة وانتقل إليها مع أسرته.

أخناتون صاحب دعوة للتوحيد مبكرة قد يكون استفادها من تعاقب الدعوات التي جاء بها رسل وأنبياء عاشوا في المنطقة العربية ومصر منها، وفي تاريخ مصر طرح قبله أوزوريس التوحيد حوالي عام (٩٥٠٠ ق.م).

لقد صاغ أخناتون المرهف الحس والشاعري الخطاب عقيدته في أناشيد منها قوله: «أنت الواحد الأحد، خلقت الكون ولم يكن بجوارك أحد. تفضلاً منك خلقت السماوات والأرض رغبتك، خلقت جميع ما في الأرض ما يمشي على رجليه أو يزحف على بطنه أو ما يطير بأجنحته أو ما يغوص في الماء.

.. أنت الذي خلقت الشعوب مختلفة الأجناس وفرقت بين لغاتهم وألوانهم وطبائعهم.

أنت الذي خلقت النيل لحياة أبنائه وأنعشتهم بعذوبة مائه..

أنت الذي تسوق الأرزاق للبلاد النائية والقاصية، وتنزل الأمطار من أنهار السماء على جبالها ووديانها هامية فتنحدر المياه إلى الحقول والبلاد لتخصبها وترويها وتحييها، لقد ارتفعت في علو سمائك لتبرز منها أشعتك وترى منها ملكوتك».

ومن أقواله: «أيها الإله الأوحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانه.

يا من خلقت الأرض كما يهوى قلبك».

ومن أقواله: «ألا ما أعظم تدبيرك، يا رب الأبدية».

لم يرضِ كهنة «أمون» ما دعا إليه أخناتون وما قام به، لذلك بدأوا يحيكون له المؤامرات، وسعى هو بالمقابل لنشر عقيدة توحيد واستقطب المؤمنين بها إلى عاصمته الجديدة الدينية والسياسية «أخت أتون».

وأخناتون مع ثورته على عقائد قومه الفاسدة ثار كذلك على مناهجهم، فرفض نظام السخرة والاسترقاق الذي كان سائداً، ودعا إلى المساواة والعدل والحق.

مات أخناتون عام ١٣٤٩ ق.م.، عن اثنين وثلاثين عاماً قضى منها ثمانية عشر عاماً في السلطة، وقد اكتنف موته الغموض، وطرحت حوله أسئلة: هل مات أخناتون نتيجة مرض ألمَّ به؟ أم أن المتآمرين عليه اغتالوه على غفلة من حراسه ليتخلصوا منه؟.

مات أخناتون بعد انقضاء قرابة خمسة عشر عاماً على تأسيس عاصمته «أخت أتون» فقام الكهنة القدامى وأصحاب شهوة السلطة واستعباد الناس بانقلاب حاقد على ما دعا إليه أخناتون من توحيد، وأزالوا مدينته من الوجود حيث هدموها وتركوها أطلالاً، ولكن عقيدة التوحيد بقيت في «طيبة» وسواها من المدن بعد أخناتون، ولكن تحول أتباعها إلى السرية خوف الأذى.

أسعد السحمراني

المراجع: ٢١، ٤١٤.

* * *

إخوان الصفاء

هم جماعة سريَّة باطنية دينية فلسفية سياسية، اختلف الباحثون في هويَّتها وحقيقة أمرها. فمن قائل: إنهم من الشيعة الإسماعيلية، إلى قائل: إنهم أصحاب مذهب فلسفي دينيٍّ فحسب. إلاَّ أنَّ الباحث في أفكارهم وعقائدهم - من خلال رسائلهم - يرجِّح أنهم لم يكونوا أصحاب مذهب دينيٍّ محدد، إذ هم أقرب إلى الفلسفة منهم إلى الدين. ونزعتهم الفلسفية هذه هي خليط من الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية، لا بل

حاولوا إخضاع الدين للفلسفة. ومن هنا فقد أوّلوا القرآن تأويلاً رمزياً، لكي يتمشّى مع تصوُّرهم الروحي للأديان بعامّة.

وهم يذهبون إلى أنَّ الأديان جميعاً يجب أن تتفق مع الحكمة الفلسفية. فقد زعموا أنَّ الشريعة قد دُنِّست بالجهالات واختلطت بالضلالات، وأنه لا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلاّ بالفلسفة، فهي - في نظرهم - حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، ومن أجل ذلك فقد صنَّفوا أكثر من خمسين رسالة في جميع أجزاء الحكمة، بعد أن أخذوا من كل مذهب فلسفي بطرف، كما جمعوا فيها معارف عصرهم المختلفة، من رياضيات، ومنطق، وعلوم طبيعية، وتصوُّف، وسحر، وتنجيم، وبحثوا فيما بعد الطبيعة، وقد سمّوها (رسائل إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء) في الوقت الذي كتموا فيها أسماءهم، ولجأوا إلى استخدام الرموز والإشارات لإخفاء حقيقة أمرهم، خشية الإفصاح عن مراميهم الفكرية والعقدية والسياسية، ثم بثّوها بين الناس هِبةً عن طريق الورّاقين.

والمحور الذي يدور عليه مذهبهم الفلسفي هو فكرة الأصل السماوي للأنفس وعودتها إلى الله. فهم يزعمون - متأثّرين بنظرية الفيض الأفلوطينية - أنَّ العالم صدر عن الله كما يصدر الكلام عن المتكلِّم أو الضوء عن الشمس، ففاض عن وحدة الله بالتدرُّج: العقل، ومن العقل النفس، ثم المادَّة الأولى، ثم عالَم الطبائع، ثم الأجسام، ثم عالَم الأفلاك، ثم العناصر، ثم ما يتركَّب منها وهي المعادن والنبات والحيوان. والمادة في هذا الفيض تبدو أساساً للتشخيص ولكلٍّ شرٌّ ونقص. وليست النفوس الفردية إلاّ أجزاء من النفس الكلية، تعود إليها مطهَّرة بعد الموت، كما ترجع النفس الكلية إلى الله ثانية يوم المعاد. والموت عند إخوان الصفاء يُسمّى البعث الأصغر، بينما تُسمَّى عودة النفس الكلية إلى بارئها البعث الأكبر.

أمّا لجهة تسميتهم فلعلَّ كتاب (كليلة ودمنة) هو الذي أوحى لهم بها، وربما أُخذ من قصَّة (الحمامة المطوَّقة) التي تذهب إلى أنَّ الحيوانات إذا صدقت نواياها، وصفت أخوَّتها، وتبادلت العون فيما بينها، تستطيع الخلاص من شِباك الصيّاد وغيرها من المخاطر، علماً أنهم كانوا معجبين بهذا الكتاب أشدَّ الإعجاب، وقد اقتبسوا كثيراً من حكاياته وأوَّلوها لتخدم أغراضهم.

وقد تكون هذه التسمية جاءت تعبيراً عن واقع حالهم، حين امتزجت الأهداف والأهواء في نفوسهم، فصاروا إخواناً في المسير والمصير.

وكانت نشأة إخوان الصفاء في مدينة البصرة، مع أنَّ الزمن الذي نشأت فيه هذه الجماعة يصعب تحديده يقيناً، وبخاصَّة أنّ تلك النشأة كانت سريَّة للغاية، وبالتالي فلم يُسمع بـ (إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء) قبل سنة ٣٣٤هـ، إذ يبدو أنهم تجرّأوا على إعلان أمرهم بمجيء آل بويه إلى سدَّة الحكم، فأظهروا ما كان خافياً. وبذلك يمكن القول: إنَّ ظهورهم العلني كان في أواسط القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ثم فشا أمرهم في النصف الثاني من ذلك القرن.

نايف معروف

المراجع: ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٣٦٤، ٥٤٦.

* * *

الأدارسة (١٧٢ - ٣١٩هـ/ ٧٨٩ - ٩٣١م)

١٧٢هـ	إدريس الأول عبدالله	٧٨٨م
١٧٧هـ	إدريس الثاني بن إدريس الأول	٧٩٣م
٢١٣هـ	محمد بن إدريس	٨٢٨م
٢٢١هـ	علي الأول بن محمد	٨٣٦م
٢٣٤هـ	يحيى الأول بن محمد	٨٤٩م
٢٥٠هـ	يحيى الثاني بن يحيى الأول	٨٦٤م
نحو ٢٧٠هـ	علي الثاني بن عمر بن إدريس الثاني	نحو ٨٨٣م
٢٩٢هـ	يحيى الثالث بن القاسم بن إدريس الثاني (المقدام)	٩٠٤هـ

٢٥٢هـ	يحيى الرابع بن إدريس بن عمر	٩٠٤
٣١٠هـ	الحسن الحجام بن محمد	٩٢٢م
٣١٣هـ	موسى بن أبي العافية. صار ملكاً على مكناس واستولى على فاس	٩٢٢
؟	كنون بن محمد بن القاسم	؟
٣٣٧هـ	أبو العيش أحمد	٩٤٨م
٣٤٣هـ ـ ٣٦٤هـ	الحسن بن كنون	٩٥٤م ـ ٩٧٤م

تأسست دولة الأدارسة في مراكش، وكانت أول دولة مستقلة عن العباسية في المشرق وأول دولة علوية شيعية في التاريخ الإسلامي. أسسها إدريس ابن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، وكان قد فرَّ من الحجاز إلى مصر ثم إلى المغرب الأقصى، بعد فشل ثورة الحسين بن الحسن بن الحسن سنة ١٦٩هـ، في المدينة، وفي معركة فخ قرب مكة وهرب من استطاع الهرب من رجالها ومنهم عمَّان من أعمام الحسين، يحيى وإدريس، فهرب يحيى إلى طبرستان، وإدريس إلى المغرب. وقد لقي إدريس دعماً ومناصرة من بعض قبائل البربر في المغرب الأقصى فبايعوه في سبتة إماماً سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨هـ. واستمر يغزو ويكثر جمعه وتجتمع إليه قبائل البربر، خاصة من زناتة، حتى أصبح خلال سنوات معدودة قوة تمتد من تلمسان إلى أواسط المغرب الأقصى، ثم قتل مسموماً سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م، وخلفه ابنه إدريس الثاني. وبايعه البربر إماماً فبنى مدينة فاس سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٧م، وجعلها عاصمة دولته. وبعد وفاة إدريس الثاني، وكان قد أعقب أحد عشر ولداً، تولى أكبرهم محمد مدينة فاس ووزع على ثمانية من الباقين أعمال الإمارة، وكانوا كلهم أحداثاً، ومع ذلك فقد دب التخاصم بينهم ودبت الحروب، وبدأت دولتهم بالانحطاط تحت ضغط الفاطميين من جهة والأمويين في الأندلس من جهة ثانية. وقد انتهت دولتهم سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م حين احتل أمويو الأندلس سبتة ووقع آخر أمرائها، أبو القاسم الحسن بن محمد بن القاسم بن كنون، أسيراً في أيديهم.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٤٣، ١١٧، ١٢٢، ٤٢٤.

* * *

الأدب الصوفي

سمي الأدب أدباً لأنه يأدِب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة.

والأدب على نوعين: أدب النفس وأدب الدرس. والأدب: الظرف وحسن التناول، وهو على هذا النحو يتمثل أشكالاً عدة عند الصوفيين تتمحور حول ضربين اثنين هما: أدب أهل الدين، وأدب أهل الخصوصية. يقول السراج الطوسي: أما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات. وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب.

هذا وقد انعكست هذه المقاصد على أقوالهم وسلوكهم فترتب من ذلك نوعان من الأدب، هما: أدب القول، وأدب السلوك.

أدب القول:

تعددت فنونهم في أدب القول شعراً ونثراً. ولا عجب، فالصوفي فنان وفنان موهوب كما تقول الكاتبة قمر كيلاني، التي تحدثت عن هذا الموضوع وهي حائرة من أين تدخل إلى هذا المتحف الجميل: من باب الغزل السامي الرفيع، أم من باب التصوير والإيحاء، أم من باب القصص الغريب والمواعظ المشرقة، وأدعيتهم الرفيعة،

وصلواتهم الحارة الصادقة وتسبيحهم الطويل الممتع لله عز وجل.

وبالرغم من هذه الحيرة فإننا لا نعجز عن تصنيف هذا الأدب العذب والذي تجلّى فيما يلي:

١ ـ أدب الحب: أدب الفناء في الذات الإلٓهية، أدب الغزل العذري الرقيق، أدب النشوة من سكر بلا عار ولا إثم.

قال بعضهم: المحبة على وجهين: محبة الإقرار وهو للخاص وللعام، ومحبة الوجد من طريق الإصابة، فلا يكون فيه رؤية النفس والخلق، ولا رؤية الأسباب والأحوال، بل يكون مستغرقاً في رؤية ما لله وما فيه.

يقول الجنيد في المحبة: عبد ذاهب عن نفسه، متّصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس ودّه وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله وإن سكت فمع الله فهو بالله، ولله، مع الله.

وتقول رابعة العدوية:

أحبك حبين: حب الهوى
وحب لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى
فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له
فلست أرى الكون حتى أراكا
فما الحمد في ذا وذاك لي
ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

٢ ـ أدب الدعاء والمناجاة والاستغاثة: وقد تضمن أورادهم وأحزابهم الموزعة على أيام الأسبوع وأوقات الصلاة، أو المختصة بأمر من الأمور.

يقول عبد القادر الجيلاني في وِرد الإشراق:

أشرق نور الله، وظهر كلام الله، وثبت أمر الله، ونفذ حكم الله، وتوكلت على الله، ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. تحصنت بخفي لطف الله، وبلطف صنع الله، وبجميل ستر الله، وبعظيم ذكر الله، وبقوة سلطان الله، دخلت في كنف الله... تبرأت من حَوْلي وقوتي واستعنت بحَوْل الله وقوته. اللهم استرني واحفظني في ديني ودنياي وأهلي ومالي وولدي وأصحابي وأحبابي... يا أرحم الراحمين احجبني عن القوم الظالمين... يا سابق الغوث يا سامع الصوت يا كاسي العظام لحماً بعد الموت أغثني وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣ ـ أدب الوعظ والإرشاد: وقد تضمن مواعظهم ووصاياهم لمريديهم ولأبنائهم وللمسلمين.

قال عبد القادر الجيلاني يوصي ولده: اعلم يا ولدي، وفقنا الله تعالى وإياك والمسلمين آمين. أوصيك بتقوى الله وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده.

وتعلم يا ولدي إن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدور وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عن عثرات الأخوان. وأوصيك يا ولدي بالفقر وهو حفظ حرمات المشايخ وحسن العشرة مع الأخوان والنصيحة للأصاغر والأكابر وترك الخصومة إلا في أمور الدين... الخ.

٤ ـ أدب المتون: وهو شعر اختصروا فيه بعض العلوم التي أوجبوا على المريد حفظها.

جاء في كتاب نشر المحاسن الغالية اختصاراً للعقيدة:

علا ربنا عن كيف وأين أو متى
وعن كل ما في بالنا يتصوَّر
ونقص وشبه أو شريك ووالد
وولد وزوجات هو الله أكبر
قديم كلام حين لا حرف كائن
ولا عرض حادث وجسم وجوهر
مريدٌ وحيٌ عالم متكلم
قدير على ما شاء سميع ومبصر

بسمع وعلم مع حياة وقدرة
كذلك باقيها على الكل مصدر
وليس عليه واجب بل عِقابه
بعدل وعن فضل يثيب ويغفر
محكم شرع دون غفل وقد قضى
بخير وحشر للجميع مقدَّر

أدب السلوك:

أدب التربية والأخلاق الحسنة، أدب الخصال الخيِّرة، أدب المعاملة والصحبة، أدب المراقبة الدقيقة. (أدب العلاقات العامة) وقد صنفها الصوفيون على شكل منهاج تربوي رسموا فيه مجمل الخطوط التي يجب على الصوفي سلوكها في كل أحيانه.

وإليك مقتطفات من هذا المنهاج عند عبد القادر الجيلاني، حيث يقول:

ثم يجب أن يخلص مع الله عز وجل عهداً بأن لا يرفع قدماً في طريقه إليه ولا يضعها إلا بالله...

ومن آداب المريد أن لا يتكلم بين يدي شيخه إلا في حالة الضرورة، وأن لا يظهر شيئاً من مناقب نفسه بين يديه...

وأما ما يجب على الشيخ في تأديب المريد فهو أن يقبله لله عز وجل لا لنفسه؛ فيعاشره بحكم النصيحة ويلاحظه بعين الشفقة... فيربيه تربية الوالدة لولدها، والوالد الشفيق الحكيم لولده وغلامه.

وأما الأدب في صحبة الإخوان، فبالإيثار والفتوة والصفح عنهم والقيام معهم بشرط الخدمة، لا يرى لنفسه على أحد حقاً...

وأما آداب الصحبة مع الأجانب فبحفظ السرّ عنهم، وبالنظر إليهم بعين الشفقة والرحمة وأن يسلم أحوالهم إليهم...

وأما الصحبة مع الأغنياء فبالتعزز عليهم، وترك الطمع فيهم...

وأما الصحبة مع الفقراء فبإيثارهم وتقديمهم على نفسك في المأكول والمشروب، والملبوس والملذوذ وكل شيء نفيس، وترى نفسك دونهم...

ومن آدابهم مع الأهل والولد فبحسن الخلق والإنفاق عليهم بالمعروف بما أمكنه، ويعتقد ذلك أداءً لأمر الله وطاعته...

ومن آدابهم في السفر: أن يرضي المسافر خصومه ويستأذن والديه أو من هو في حكمهما...

ومن آدابهم في السماع: أن لا يتكلفوا السماع، ولا يستقبلوه بالاختيار فإذا اتفق السماع فمن حق المستمع أن يقعد بشرط الأدب ذاكراً لربه بقلبه...

ومن آدابهم في الأكل: أن لا يأكلوا بالشره ولا على الغفلة، بل يذكر الله عز وجل بقلوبهم عند الأكل...

هذا وقد أجمل أبو عثمان الحيري أدب السلوك بقوله: الصحبة مع الله سبحانه بدوام الهيبة والمراقبة، ومع الرسول ﷺ باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، ومع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة، ومع الإخوان بدوام البشر ما لم يكن إثماً، ومع الأهل بحسن الخلق، ومع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم.

محمد الزعبي

المراجع: ١٧١، ٢٦٥، ٢٧١، ٣٦٩، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٤١.

* * *

إدريس (عليه السلام)

في اللغة: جاء في لسان العرب: ويقال: سمِّي إدريس عليه السلام لكثرة دراسته كتاب الله تعالى.

في القرآن: ذُكر إدريس في آيتين من القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم/ ٥٦، ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء/ ٨٥].

في السنة الشريفة: في رواية أنس بن مالك عن

أبي ذر أن رسول الله ﷺ رأى، لمّا عُرج به، إدريس في السماء الرابعة. قال له إدريس: (مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح. قال: من هذا يا جبريل؟ قال: إدريس).

في التوراة: جاء أن شيثاً وُلِد وعمر أبيه آدم مائة وثلاثون سنة، ووُلِد لشيث ابنه أنوش وعمره مائة وخمسون سنة، وولد لأنوش ابنه قينان وعمره تسعون سنة، وولد لقينان ابنه مهلئيل وعمره سبعون سنة، وولد لمهلئيل ابنه يارد وعمره خمس وستون سنة، وولد ليارد ابنه أخنوخ وعمره مائة واثنان وستون سنة، وأخنوخ هذا هو إدريس النبي كما يرى المؤرخون.

في كتب التاريخ: جاء في سيرة ابن هشام أن نسب سيدنا محمد ﷺ من بعد نبي الله نوح عليه السلام هو كالآتي: ابن نوح بن لمك بن متوشلح ابن أخنوخ وهو إدريس النبي فيما يزعمون، والله أعلم. وكان أول بني آدم أُعطي النبوة وخط بالقلم ابن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم ﷺ.

وجاء في تاريخ اليعقوبي: ثم قام بعد يرد أخنوخ ابن يرد فقام بعبادة الله سبحانه. وكان أخنوخ أول من خطَّ بالقلم وهو إدريس النبي، فأوصى ولده أن يخلصوا عبادة الله ويستعملوا الصدق واليقين. ثم رفعه الله بعد أن أتت له ثلثمائة سنة.

وجاء في تاريخ الطبري: ولِد ليرد أخنوخ وهو إدريس، فنبأه الله عز وجل وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنتان وعشرون سنة، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة وهو أول من خطَّ بعد آدم وجاهد في سبيل الله وقطع الثياب وخاطها وأول من سبى من ولد قابيل فاسترق منهم.

ومما جاء فيه: أن رسول الله ﷺ قال: (يا أبا ذر! أربعة - يعني من الرسل - سريانيون: آدم وشيث ونوح وأخنوخ...) إلى أن يقول: وقد زعم بعضهم أن الله بعث إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه وجمع له علم الماضين.

وجاء في مروج الذهب: وقام بعد لود (يرد) ولده أخنوخ وهو إدريس النبي والصابئة تزعم أنه هرمس.

وجاء في الكامل في التاريخ: أن إدريس أول من نظر في علوم النجوم والحساب.

وتوفي آدم بعد أن مضى من عمر إدريس ثلثماية وثمان سنين ورفع إدريس إلى السماء بعد ثلاثماية سنة وخمس وستون وبعد أن مضى من عمر أبيه خمسماية سنة وسبع وعشرين سنة.

وجاء في تاريخ المطران الدبس: وأخنوخ الذي يسميه العرب إدريس. وجاء أيضاً إلا أن أكثر الآباء والمفسرين على أنه لم يمت بل حجبه الله عن مرأى الناس.

وجاء أيضاً: أخنوخ سابع آدم (أي السابع بعده).

وجاء في قصص الأنبياء: اختلف الحكماء في مولده ومنشئه فقالت فرقة: ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة ومولده بمنف. وقالت فرقة أخرى: إن إدريس ولد ببابل وبها نشأ، وبابل بالسريانية تعني النهر. ثم أمر أتباعه بالرحيل إلى مصر. وفي زمانه تكلم الناس باثنين وسبعين لساناً، وقد رسم لهم تمدين المدن. فكانت عدة المدن التي أنشئت في عهده مائة مدينة وثمانياً وثمانين. وقسم الأرض أربعة أرباع، وجعل على كل ربع ملكاً وأسماء الملوك هم: إيلاوس، وزوس، اسقلبيوس، زوس أمون. أمر بتقريب ثلاثة أشياء: البخور، الذبائح، الخمر.

كان إدريس متأنياً في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء. له مواعظ وآداب كثيرة منها: «الصبر مع الإيمان يورث الظفر». «حب الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان في قلب أبداً». «حياة النفس الحكمة». «خير الدنيا حسرة وشرها ندم». «من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء». «لا تحسدوا الناس على مؤاتاة الحظ فإن استمتاعهم به قليل».

محمد الزعبي

المراجع: ١٢٢، ١٣٦، ١٥٣، ٢٩٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤١٢، ٤٢٤، ٤٤١، ٤٨٠.

الأذان

الأذان لغة: الإعلام، وشرعاً: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة، وهو فُرِض في المدينة في السنة الأولى هجرية. وكان المسلمون لما كثر عددهم طلبوا من الرسول ﷺ أن يختار لهم وسيلة تعلمهم بوقت الصلاة، فرأى أحد الصحابة (عبد الله بن زيد) في منامه من علّمه نص الأذان، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له: (إنها لرؤيا حق).

ومن ذلك الوقت أصبح الأذان من شعائر المسلمين، ويؤذن للصلوات الخمس عند دخول الوقت، وألفاظه واحدة واختلف في عددها، والأرجح المتّبع في معظم بلاد الإسلام: «الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إلّه إلاّ الله، أشهد أن لا إلّه إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح. الله أكبر، الله أكبر. لا إلّه إلا الله».

ويسن للمؤذن أن يقول في أذان الصبح بعد «حي على الفلاح»: «الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم» وهذه ليست من صيغة الأذان.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٢٩٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٥٥٣.

* * *

الارتفاق

المرفق: ما يرتفق به وينتفع، ويستعان، والجمع: مرافق. وحقوق الارتفاق تسمية حادثة ابتدعها قدري باشا، وعرَّف حق الارتفاق بأنه: حق مقرر على عقار لمنفعة عقار آخر مملوك لمن لا يملك العقار الأول.

ومن الارتفاق: **حق الشرب**، وهو في اللغة: النصيب من الماء، وفي الاصطلاح: النصيب المستحق من الماء، أو نوبة الانتفاع بالماء، لسقي الشجر والزرع، ويلحق به ما يسمى **بحق الشرب**. ويعني: حق شرب الإنسان، والدواب، من الماء، والاستغلال المنزلي على وجه العموم. **وحق السبيل**: وهو صرف الماء الزائد عن الحاجة أو غير الصالح بإرساله في مجرى سطحي، ونحوه حتى يصل إلى مقرّه من مصرف عام أو مستودع، وإن كان المجرى يمر في أرض أخرى. **وحق المرور**: من أرض معينة للوصول إلى أرض أخرى. **وحق التعلي**: وهو أن يكون لشخص الحق في أن يعلو بناؤه بناء غيره بأن يقيمه عليه فعلاً، كما في دار مكونة من طبقة سفلى وأخرى عليا، فيكون لصاحب العليا حق القرار على ذلك السفل والانتفاع بسقفه من غير أن يكون مالكاً له. **وحق الجوار**: وهو أن لا يفعل المالك في جداره ما يضر بجاره المجاور بجانبه.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٦، ١٢٧، ٢٣٥، ٣٠٩، ٣١٢، ٤٠٤، ٤٧٨.

* * *

إرث

الإرث هو تملك بتمليك الله تعالى ينتقل به مال الميت إلى ورثته بمجرد موته.

١ ـ خصائص نظام الإرث في الإسلام:

أ ـ الإرث حق شرعي: وتمليك من الله تعالى، ولا يملك أحد أن يحرم أحداً منه، وليس لأحد أن يردَّ الإرث، ولكن له أن يقبله، ثم يتبرع به لمن شاء.

ب ـ مساعدته في تحقيق النظرية الإسلامية في توزيع الثروة: يحرص الإسلام على التوزيع

الأفقي للثروة، بتوسيع القاعدة المستفيدة من الثروة، والإرث يساعد في تحقيق هذه النظرية، حيث ينقل الثروة من يد واحد ـ وهو الميت ـ إلى يد جماعة ـ وهم الورثة ـ.

جـ ـ تناسب حصص المستحقين للميراث مع درجة وقوة قرابتهم من الميت.

د ـ إن نظام الإرث ذكر في القرآن مفصَّلاً، ولم يفصل القرآن في نظام كتفصيله في الإرث.

٢ ـ أسباب الإرث: يُستحق الميراث بواحد من الأسباب التالية:

الأولى: القرابة النسبية للميت، ويرث بها أصول الميت، وفروعه، وفروع أبيه، وفروع جده.

والثانية: النكاح، وبه يرث الزوجان من بعضهما.

والثالثة: الإحسان، وبه يرث الملتقط من اللقيط، والداعية ممن أسلم على يديه، وأنصار الرجل منه، إذا لم يترك هؤلاء وارثاً.

٣ ـ شروط الإرث: لا يرث شخص من آخر إلا إذا توفرت الشروط التالية وهي:

وجود أحد أسباب الإرث التي ذكرناها، وموت المورث في حياة الوارث، وأن لا يوجد مانع من موانع الإرث التالية:

٤ ـ موانع الإرث: يمنع الوارث من الإرث أحد الموانع التالية:

قتل الوارث المورث، واختلاف دين الوارث عن دين المورث، وإقامة الوارث في دار الحرب إذا كان المورث مقيماً في دار الإسلام.

٥ ـ الوارثون: الوارثون ثلاثة أنواع:

وارثون بالفرض، ووارثون بالتعصيب، ووارثون بالرحم.

٦ ـ الوارثون بالفرض:

أ ـ الأب: وله الأحوال التالية:

السدس إن لم يكن معه ولد أو ولد ولد؛ والسدس وما فضل عن أصحاب الفروض إن كان معه من الورثة بنات للميت، أو بنات ابن؛ ويؤخذ ما زاد عن حصص أصحاب الفرائض إن لم يكن للميت أولاد، ولا أولاد أولادٍ.

ب ـ الجد أب الأب: وهو كالأب في جميع أحواله، ولكنه لا يرث شيئاً إذا كان أب الميت حياً.

جـ ـ البنات: إن ترك الميت بنتاً واحدة أخذت النصف، وإن ترك بنتين فأكثر أخذتا الثلثين، وإن كان مع البنات أخ لهن أخذ الجميع ما فضل عن حصص أصحاب الفرائض يقتسمونه بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

د ـ بنات الابن: إن بنات الابن لا يرثن شيئاً إن كان للميت ابن، أو كان له بنتان فأكثر، ويرثن السدس إن كانت له بنت واحدة، فإن لم يكن للميت أولاد، فإن بنت الابن إن كانت واحدة أخذت النصف، وإن كانتا اثنتين أخذتا الثلثين، وإن كان مع بنت الابن أو بنات الابن أخ لهن، فإنهن يأخذن معه ما فضل عن حصص أصحاب الفرائض، ويقتسمونه بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

هـ ـ الأخت الشقيقة: الأخت والأخوات الشقيقات لا يرثن شيئاً إن كان للميت ابن، أو ابن ابن، أو أب، أو جد لأب، فإن لم يترك واحداً من هؤلاء، وترك بنتاً أو أكثر، فإن الأخت الشقيقة تأخذ ما فضل عن حصص أصحاب الفروض، فإن لم يترك بنتاً أيضاً وكان له أخت واحدة أخذت النصف، وإن كانتا اثنتين أخذتا الثلثين، وإن كان معهن أخ لهن فإنهن يأخذن معه ما فضل عن حصص أصحاب الفروض، يقتسمونه بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

و ـ الأخت لأب: الأخت أو الأخوات لأب لا يرثن شيئاً إن ترك الميت ابناً، أو ابن ابن، أو

أباً أو جداً أو أخاً شقيقاً، أو أختين شقيقتين فأكثر، فإن لم يترك الميت واحداً من هؤلاء، وترك أختاً لأب واحدة ليس معها أخ لأب، فإن لها النصف، وإن كانتا اثنتين فإن لهما الثلثين، وإن كان معها أخ لأب أخذت معه ما فضل عن حصص أصحاب الفروض، يقتسمونه بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، وكذلك إن كان معهن أحد من البنات، فإنهن يأخذن ما فضل عن حصص أصحاب الفروض. .

ز ـ **الإخوة لأم**: إن الإخوة لأم يستوي ذكورهم مع إناثهم في مقدار ما يستحقونه من الميراث، بحيث يكون للواحد منهم ـ ذكراً أو أنثى ـ السدس، وللاثنين منهم فأكثر الثلث، ولكنهم لا يرثون شيئاً إن ترك الميت أحداً من الأولاد ذكراً أو أنثى، أو ترك أباً أو جداً.

ح ـ **الأم**: تستحق الأم السدس إن ترك الميت أحداً من الأولاد ذكراً أو أنثى، أو ترك أكثر من أخ أو أخت؛ وتستحق الثلث إن لم يترك واحداً من هؤلاء؛ أما إن ترك الميت أباً وأمّاً وزوجة أو زوجاً فإن الأم تستحق في هذه الحالة ثلث الباقي بعد أخذ الزوج أو الزوجة فرضه.

ط ـ **الزوج**: يستحق الزوج النصف إن لم يكن للزوجة ولد منه أو من غيره، ويستحق الربع إن كان لها ولد.

ي ـ **الزوجة**: تستحق الزوجة الربع إن لم يكن للزوج أولاد، وتستحق الثمن إن كان له ولد، وإن كان للرجل أكثر من زوجة، فإن جميع زوجاته يشتركن في هذه الفريضة.

٧ ـ **الوارثون بالتعصيب**:

أ ـ العصبات يأخذون ما فضل عن حصص أصحاب الفروض.

ب ـ العصبات ثلاثة أنواع:

أ ـ عصبة بنفسه وهم موزعون على أربع جهات، مرتبة بحسب أولوياتها بالميراث:

ـ الجهة الأولى: وهي جهة البنوة، الأبناء وأبناؤهم وإن نزلوا.

ـ الجهة الثانية: جهة الأبوة، وهي أب الميت وجده، وإن علا.

ـ الجهة الثالثة: جهة الأخوّة، وهي الإخوة وأولادهم، وإن نزلوا.

ـ الجهة الرابعة: جهة العمومة، وهي العم وأبناء العم، وإن نزلوا.

فإذا اتحدت الجهة وتساووا في القرب من الميت، اشتركوا جميعاً في الميراث، أما إن اختلف القرب من الميت، قُدم منهم من كان أقرب إلى الميت، فيرث الأخ، ولا يرث معه ابنه ـ أي: ابن الأخ ـ.

وإذا تساووا في القرب، واتفقوا في قوة القرابة اشتركوا جميعاً في الميراث، وإن اختلفوا في قوة القرابة قدم منهم من كان أقوى قرابة، فيقدم الأخ الشقيق على الأخ لأب.

ب ـ عصبة بغيره: وهن البنت، وبنت الابن، والأخت الشقيقة، والأخت لأب، فإنهن يصرن عصبات مع إخوتهن، ويأخذن معهم ما فضل عن حصص أصحاب الفروض، فيقتسمونه بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

جـ ـ عصبة مع غيره: وهن الأخوات إذا اجتمعن مع البنات، حيث يأخذ الأخوات ما فضل عن حصص أصحاب الفروض.

٨ ـ **الوارثون بالرحم**: هم الأقارب الذين ليسوا من ذوي الفروض، ولا من العصبات، كالجد أبِ الأم، والخال، ونحوهم، وهؤلاء يرثون على نحو ما يرث به العصبات، فإن اختلفت جهاتهم فإنه ينزل كل واحد منهم بمنزلة من يدلي به إلى الميت، فيجعل الخال والخالة بمنزلة الأم، وتجعل بنت البنت بمنزلة البنت، وهكذا.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

أرثوذكسية

كلمة يونانية تعني «استقامة الرأي» وهي تطلق على الفكر اللاهوتي الذي بقي أميناً، دون تغيير، لتعليم الرسل والكنيسة الأولى.

بعد انشقاق الكنيسة بين كنيسة الشرق وكنيسة الغرب، صارت كلمة «أرثوذكسية» تطلق على الكنائس الشرقية التي يحكم كل منها مجمع أساقفتها وعلى رأسه البطريرك الذي هو أسقف المدينة الأم أو الأهم، والتي ترتبط في شركة الإيمان والممارسة الكنسية الواحدة، فيما أطلقت كلمة «كاثوليكية» على كنيسة الغرب المنضوية تحت سلطة بابا روما.

بولس وهبة

المراجع: ٦١٥، ٦٢٢، ٦٣١، ٦٣٨، ٦٣٩.

* * *

إرجاف

الإرجاف لغة: الاضطراب الشديد أو الخوض في الأخبار السيئة وذكر الفتن لما ينشأ عن ذلك من اضطراب بين الناس. واصطلاحاً: الإرجاف: التماس الفتنة وإشاعة الكذب والباطل لاغتمام الناس.

والإرجاف أعم من التخذيل الذي هو تثبيط الناس عن القتال وتزهيدهم في الخروج إليه بلفت أنظارهم إلى الحر الشديد والمشقة وغير ذلك.

والإرجاف بين المسلمين حرام لما فيه من الإضرار بالمسلمين، وفاعله يستحق التعزير أي عقوبة يترك تحديدها للإمام. يقول الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾. [الأحزاب/ ٦٠، ٦١] ولقد ورد في تفسير القرطبي: [لنغرينك بهم: أي لنسلطنك ـ يا محمد ـ عليهم فتستأصلهم بالقتل]. ولما بلغ رسولَ الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يثبطون الناس عنه في غزوة تبوك، بعث إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمرهم أن يحرقوا عليهم البيت ففعل طلحة ما أمره به رسول الله ﷺ.

ولا يجوز للأمير أن يستصحب معه إلى الجهاد المرجفين لقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾. [التوبة/ ٤٦، ٤٧] ولا يُسهم للمرجفين من الغنيمة ولا يرضخ لهم منها إلا خرجوا للقتال مع جيش المسلمين.

ناصر الصالح

المراجع: ١٧، ٢١٥، ٤٤١، ٥٠٩.

* * *

أرشمندريت

الكلمة تعني في الأصل «رئيس دير» فيما هي في الاستعمال المعاصر في الكنائس الشرقية لقب شرفي يُعطى لبعض الكهنة غير المتزوِّجين. لا تعتبر هذه «الرتبة» رتبة كنسية لأن حاملها يُصنَّف كاهناً، فيما لا تزال في استعمال الأديرة حالياً الرتبة التي تعطى لرئيس الدير.

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩.

* * *

إرم

قرأ الجمهور بتنوين عاد في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر/٦] على أن يكون قوله:

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر/٧] عطف بيان لعاد، والمراد بعاد اسم أبيهم وإرم اسم القبيلة أو بدلاً منه. وامتناع صرف إرم للتعريف والتأنيث، وقيل: المراد بعاد أولاً عاد وهم عاد الأولى، ويقال لمن بعدهم عاد الأخرى فيكون ذكر إرم على طريقة عطف البيان أو البدل للدلالة على أنهم عاد الأولى لا عاد الأخرى.

ولا بد من تقدير مضاف على كلا القولين أي أهل إرم أو سبط إرم، فإن إرم هو جد عاد، لأنه عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وقرأ الحسن وأبو العالية بإضافة عاد إلى إرم، وقرأ الجمهور إرم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم، وقرئ بفتح الهمزة والراء، وقرأ معاذ بسكون الراء تخفيفاً، وقرئ بإضافة إرم إلى ذات العماد.

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ١/٣٧٢.

* * *

الأزارقة

فرقة من رؤساء الخوارج تنسب إلى نافع بن الأزرق، وكان أصله رومياً. وهي من أشد فرق الخوارج خطراً، ظهروا في البصرة وانتشروا في البلاد، ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً وأشد شوكة وبطشاً.

وقد كفَّروا علياً وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس وسائر المسلمين معهم وقالوا بخلودهم في النار؛ ولهم مقالات فارقوا بها المحكِّمة الأولى وسائر الخوارج، منها أنهم قالوا: إن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك، والمحكِّمة كانوا يقولون: إن مخالفهم كافر ولا يسمونه مشركاً. ويقولون أيضاً: إن أطفال مخالفيهم مشركون ويُخلَّدون في النار. كما أسقطوا الرجم عن الزاني وأسقطوا حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحدِّ على قاذف المحصنات من النساء، وقالوا: إن التقية غير جائزة في قول ولا عمل. وقد هزمهم المهلب بن أبي صفرة في معركة دولاب بالأهواز ومات نافع في تلك الهزيمة، فبايعت الأزارقة بعده عبيد الله بن مأمون التميمي. وقاتلهم المهلب بالأهواز وقُتل عبيد الله وأخوه عثمان بن مأمون فبايعوا قطري بن الفجاءة. واستمر المهلب وبنوه في قتالهم تسع عشرة سنة حتى لم يبقوا منهم أحداً. أما زعيمهم الأخير قطري بن الفجاءة فقد قتله سفيان بن الأبرد الكلبي وبعث برأسه إلى الحجاج.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ٤٢٤.

* * *

الأزلام

الأزلام جمع زِلم (بكسر الزاي)، وهي القدح التي كان عرب الجاهلية يستقسمون بها ليعرفوا القدر في زعمهم، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة/ ٣]. وكانت قريش تستخدم السهام وقد كتب سادن الكعبة (الكاهن) عليها كلمات: (أمر، ونهي، وافعل، ولا تفعل)، فمن أراد السفر أو القتال أو الزواج أو التجارة أو أي عمل من أعمال الدنيا جاء إليه ليرى له قدره المقدور ليُقْدم أم يحجم، فيلقي بهذه القِداح أو السهام، ويأخذ أحدها ويعمل بما يخرج له، فإذا كان (افعل) تفاءل ففعل، وإذا كان (لا تفعل) يتشاءم فلا يفعل، وهكذا.

وهو أمر حرَّمه الإسلام وأمر بالأخذ بالأسباب والمضي متوكلاً على الله بعيداً عن أجواء التشاؤم والتردد قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٤٤١.

الأزهر (الجامع)

بناه القائد جوهر الصقلي، قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م، وأقيمت أول صلاة فيه سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م. ويعتبر الجامع الأزهر أكبر وأقدم جامعة إسلامية، وقد خُصِّص في الأصل لإقامة الصلاة، وحلقات الدرس التي عُقدت فيه بعد سنوات من تأسيسه، وكانت مقتصرة، في بادىء الأمر، على الدعاية للحكم الفاطمي ونشر الفقه الشيعي الإسماعيلي. وكان الوزير ابن كلِّس في طليعة الذين جلسوا فيه للتدريس، وهو الذي عين ٣٧ فقيهاً إسماعيلياً للقراءة والتدريس، ورتب لهم جرايات شهرية ومساكن، فكانوا أول أساتذة يعملون بانتظام تحت إشراف الدولة. وأصبح الأزهر مدرسة إسلامية يقصدها الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها، ويعيش أهل كل بلد في رواق خاص بهم.

وقد تقلبت الظروف على الأزهر في العصور التالية، فكانت الدروس فيه تنشط وتزدهر أحياناً وتتراجع وتتأخر أحياناً أخرى. وظلت الدراسة بالأزهر تسير على طريقة الحلقات وقراءة المتون وشرحها دون نظام للقبول والامتحانات والشهادات ودون تمييز بين مختلف المراحل وتحديد المناهج حتى قامت الدعوة إلى إصلاح الأزهر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وصدر أول قانون سنة ١٨٧٢م ينظم طريقة الحصول على الشهادة العالمية، ويرتب درجاتها ويقرر مواد الامتحان. وتألفت في زمن الشيخ محمد عبده لجنة إدارية دائمة للنظر في شؤون التدريس ونظام الأروقة.

وصدر سنة ١٨٩٦م قانون كَسَاوى العلماء ودرجاتهم، وتبعته لائحة المرتبات، ثم نُظمت شؤون الأساتذة والطلاب، وأُضيفت إلى المناهج مواد جديدة كالأخلاق والحساب والجبر والهندسة والتاريخ الإسلامي وتقويم البلدان وغيرها.

وفي سنة ١٩١١م، صدر القانون الذي قسَّم الدراسة إلى مراحل لكل منها نظام ومواد خاصة، وكان القانون الذي صدر سنة ١٩٣٠م خطوة حاسمة في جعل الأزهر جامعة إسلامية، كما صدرت القوانين (في الأعوام ١٩٣٦م، ١٩٣٧م، ١٩٣٨م) التي تضمنت النظام الذي ظل سائداً حتى صدور القانون الجديد في العام ١٩٦١م، والذي ينص على أن الأزهر هو المعهد الديني الإسلامي الأكبر، وأن الغرض منه:

١ ـ حفظ الشريعة واللغة العربية ونشرهما.

٢ ـ تخريج علماء لتدريس علوم الدين واللغة أو تولي الوظائف الشرعية، ويقبل فيه الطلاب المسلمون أياً كانت جنسيتهم، ويتبعه معهد ابتدائي لمدة أربع سنوات، وآخر ثانوي لمدة خمس سنوات.

أما الدراسة العالية فمدتها أربع سنوات في إحدى الكليات الثلاث (أصول الدين، الشريعة، اللغة العربية)، ثم المرحلة النهائية لنيل شهادة العالمية مع الإجازة (مدتها سنتان) في قسم القضاء الشرعي أو الدعوة والإرشاد أو التدريس، وبعدها شهادة العالمية من درجة أستاذ (مدتها ٥ ـ ٧ سنوات) في أقسام التخصص: الفقه والأصول، التوحيد والفلسفة، علوم القرآن والحديث، التاريخ الإسلامي، النحو والبلاغة.

وينشر الأزهر مجلة تحمل اسمه، وأخرى باسم «نور الإسلام». وتحتوي مكتبته على أكثر من ١٠٠٠٠٠ مجلد بينها آلاف المخطوطات. ومنذ العام ١٩٦١م حلَّ مجمع البحوث الإسلامية محل هيئة كبار العلماء التي أنشئت في العام ١٩١١م.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٣٢، ١١٦، ١٢٩.

* * *

أسباط = (انظر: سبط).

* * *

استحاضة

الاستحاضة هي الدم الخارج من قبل المرأة من غير حيض ولا نفاس.

١ ـ تحديد وقت الاستحاضة: المستحاضة لا يخلو أمرها من احتمالين: الأول: أن يكون دم حيضها متميزاً عن دم الاستحاضة، والثاني: أن يكون دم حيضها غير متميز عن دم الاستحاضة.

أ ـ فإن كان دم حيضها متميزاً عن دم استحاضتها بلونه أو ريحه أو تدفقه أو يبسه بتعرضه للهواء، فإنها تعمل بتمييز الدم، لا تتجاوز بأيام حيضها أو نفاسها أكثر أيام الحيض أو النفاس، وعلى هذا فإنه إذا رأت الدم مدة ثلاثين يوماً، وهي غير نفساء، وكان الدم في ثمانية أيام متصلة منها بنياً غامقاً ذا رائحة خاصة متجلطاً تبقى فيه طراوة إذا تعرض للهواء، وكان الدم في باقي الأيام أحمر فاتحاً، ليست له رائحة، يتصلب إذا يبس، حكمنا أن الأيام التي كان فيها الدم بنياً هي أيام حيض، والأيام التي كان فيها الدم أحمر فاتحاً هي أيام استحاضة.

ب ـ وإن كان دم حيضها غير متميز: فإن المرأة إما أن تكون مبتدأة ـ أي: تحيض لأول مرة ـ أو تكون قد عاودها الحيض، أي: ذات عادة، وتمييز، أو ذات عادة ولا تمييز لها، أو لا عادة لها ولا تمييز، أو متحيرة نسيت عادتها.

١ ـ فإن كانت مبتدأة تحيض لأول مرة وقد استمر بها الدم إلى ما بعد أكثر مدة الحيض ـ أي: إلى أكثر من عشرة أيام ـ على صفة واحدة، لا يتميز عندها دم حيض من دم استحاضة، فإنها تعتبر أيام حيضها هي أيام حيض أهلها من أمها أو أختها، فإن كانت عادة أمها في الحيض ستة أيام، فإنها تعتبر حيضها ستة أيام من أول يوم ترى فيه الدم، والباقي أيام استحاضة.

٢ ـ وإن كانت قد عاودها الحيض مرات قبل ذلك، ولها فيه عادة معروفة، واستمر الدم أكثر من أيام عادتها، وقد تميز دم الحيض عندها عن دم الاستحاضة بصفاته، فإن الأيام التي كان فيها بنياً ذا رائحة خاصة تكون أيام حيض، وباقي الأيام تكون أيام استحاضة ـ وهو ما يقره النظر الطبي ـ.

٣ ـ وإن كانت قد عاودها الحيض مرات قبل ذلك، ولها فيه عادة معروفة، واستمر الدم أكثر من أيام عادتها، ولكنه استمر على صفة واحدة، لم يتغير فيها، فإنها تعتبر الأيام التي كان يأتيها فيها الحيض قبل ذلك أيام حيض، وتعتبر باقي الأيام أيام استحاضة.

٤ ـ وإن كانت لا عادة لها ـ أي: مضطربة العادة ـ ولم يتميز دم الحيض عندها من دم الاستحاضة، فإنها تعتبر أيام حيضها هي الأيام التي يأتيها فيها الدم، بشرط أن لا تتجاوز أكثر أيام الحيض، فإن استمر الدم أكثر من عشرة أيام ـ أكثر أيام الحيض ـ فإن الأيام الزائدة عن العشرة تكون أيام استحاضة.

٥ ـ أما المتحيرة ـ وهي التي نسيت أيام عادتها ـ فإنها إن كانت مميزة الدم عملت بالتمييز، بحيث تعتبر الأيام التي يكون فيها الدم بنياً غامقاً متميز الرائحة أيام حيض، وما سواها أيام استحاضة، وإن كانت غير متميزة الدم فإنها تعتبر أيام حيضها هي الأيام التي يأتيها فيها الدم، بشرط أن لا تتجاوز أكثر أيام الحيض، فإن استمر الدم أكثر من عشرة أيام ـ وهي أكثر أيام الحيض ـ فإن الأيام الزائدة عن العشرة تكون أيام استحاضة.

٢ ـ أحكام الاستحاضة:

أ ـ ما تمتنع عنه المستحاضة: دم الاستحاضة نزيف عادي كدم الجرح من اليد، وهو لا يمنع المستحاضة من صوم ولا صلاة ولا طواف ولا وطء، ولكن إن كان يترتب على الوطء في حالة الاستحاضة ضرر بالمرأة كزيادة النزيف ونحو ذلك، فعلى الزوج الامتناع عنه للضرر لا للاستحاضة.

ب ـ طهارة المستحاضة: المستحاضة تغتسل عند انتهاء الحيض ـ وغسلها هذا غسل فرض ـ ثم تتوضأ لوقت كل صلاة، وتصلي بوضوئها هذا ما شاءت من الفرائض والنوافل، ولا يبطل هذا الوضوء بدم الاستحاضة، ولكنه يبطل بالنواقض الأخرى للوضوء، ويبطل بخروج وقت الصلاة.

جـ ـ اعتبار الاستحاضة عيباً في المرأة: الاستحاضة الدائمة التي لا علاج لها، عيب في المرأة، فلو تزوج الرجل امرأة مستحاضة لا يرجى برؤها، ولم يعلم بحالها إلا بعد عقد النكاح، فإن له فسخ النكاح قبل الدخول بها، واستعادة المهر كاملاً، وله فسخ النكاح أيضاً بعد الدخول بها، ولكنها في هذه الحالة تستحق المهر كاملاً، وللزوج أن يعود بما دفعه لها من المهر على من غرَّه بها.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

* * *

الاستحسان

الاستحسان لغة: لفظة مشتقة من (الحسن) وهو عدُّ الشيء واعتقاده حسناً.

والاستحسان عند علماء أصول الفقه يعني عدول المجتهد عن الحكم في مسألة بمثل ما حكم به في نظائرها لوجه أقوى يقتضي هذا العدول. وهو بهذا المعنى تغليب قاعدة أو دليل خفي في الفقه على قاعدة أو دليل جلي.

ومن صور الاستحسان: الحكم بطهارة سؤر سباع الطير (وهو فضول ماء شربها في الإناء)، كالصقر والبازي وغيرهما، قياساً على سؤر الإنسان، مع أن القياس يقتضي نجاسته إلحاقاً بسؤر سباع البهائم وهي الحيوانات المفترسة كالأسد والنمر ونحوهما، لكون منقار الطير عظماً جافاً لا يختلط لعابه بالماء خلافاً للبهائم فإنها تشرب بلسانها وهو مختلط باللعاب المتولد مما تأكله من لحم الحيوانات النجس الذي هو علة تحريم استخدام ما تبقى من الماء القليل بعد شربها.

والاستحسان حجة عند جمهور الحنفية والمالكية والحنابلة خلافاً للشافعية.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١١٢، ١٥٥، ١٥٩، ١٨٢، ٥٧٧.

* * *

الاستخارة

الاستخارة طلب الخيرة، يقال: (استخرِ الله يخرْ لك).

وفي دعاء الاستخارة: «اللهم خرْ لي»، أي: اختر لي أصلح الأمرين واجعل لي الخيرة فيه. واستخار الله: طلب منه الخيرة. وخار لك في ذلك: جعل لك فيه الخيرة.

وفي الحديث: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في كل شيء).

وصلاة الاستخارة ودعاؤها معروف مشهور، فعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: (إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة (أي يصلِ ركعتين نافلة) ثم ليقل: «اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر (يسمي الأمر هنا) خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر (يسميه هنا كذلك) شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري

وآجله ـ فاصرفه عني واصرفني عنه. واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به») [البخاري].

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٣٣٢، ٤٤١، ٤٦٢.

* * *

الاستدلال

الاستدلال لغة، مشتق من الدليل. فهو استفعال من طلب الدليل، والطريق المرشد إلى المطلوب.

والاستدلال في معناه العام: ترتيب اعتقادات أو ظنون، ليتوصل بها إلى الوقوف على الشيء باعتقاد أو ظن. أو هو: ترتيب علوم يتوصل بها إلى علم آخر، فكل ما وقف وجوده على ترتيب علوم فهو مستدل عليه. أو هو: طلب الدليل من قبل معارف العقل ونتائجه، أو من قبل إنسان آخر. فلفظ الاستدلال يطلق على العقليات والشرعيات معاً.

وقد تفاوتت ألفاظ العلماء في تعريفه، فقيل عنه بأنه: التفكر في حال المنظور فيه طلباً للعلم بما هو نظر فيه، أو لغلبة الظن، إن كان مما طريقه غلبة الظن.

وقيل بأنه: طلب الدليل، أو هو: طلب الدلالة. أو هو: ترتيب علوم، يتوصل بها إلى علم آخر، فكل ما وقف وجوده على ترتيب علوم فهو مستدل عليه. أو هو: عبارة عن استحضار العلم بأمور يلزم من وجودها وجود المطلوب، واستحضار العلم بالشيء متوقف على وجود ذلك الشيء، فالاستدلال متوقف على وجود الدليل.

وهو في اصطلاح الفقهاء، قد يطلق تارة بمعنى ذكر الدليل، سواء كان هذا الأخير نصاً، أو إجماعاً، أو قياساً، أو غيره. وقد يطلق على نوع خاص من أنواع الأدلة الفقهية التبعية.

واختلف الفقهاء في أنواعه، والمختار أنه ثلاثة هي:

الأول: التلازم بين الحكمين من غير تعيين علة وإلا كان قياساً.

والثاني: استصحاب الحال.

والثالث: شرع من قبلنا.

وقالت الحنفية: والاستحسان أيضاً. وقالت المالكية: والمصالح المرسلة أيضاً.

والاستدلال الشرعي مبني على مقدمتين: إحداهما شرعية، وفيها من النظر ما فيها. ومقدمة نظرية تتعلق بتحقيق المناط، وليس كل مناط معلوماً بالضرورة، بل الغالب أنه نظري.

وطرق الاستدلال قد تكون: بالاستقراء، وقد تكون بالمعنى، وبدلالة الاقتضاء، وقد تكون بأقل ما قيل ـ على خلاف فيه ـ وقد تكون بدلالة النص، وقد تكون بعبارة النص، وقد تكون بمعيَّن على عام، أو بمعين على معين، وقد يكون الاستدلال على عِلِّيَّة الحكم، وقد يكون على فساد الشيء.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٣، ١٧٢، ٣٠٢، ٤٢٧، ٤٤١، ٤٥٩، ٥٣٤.

* * *

استسقاء

الاستسقاء لغة: طلب السُقْيا، وإنزالِ الغيثِ على البلاد والعباد، واستسقى فلان فلاناً طلبَ منه أن يسقيَه. واصطلاحاً: طلب إنزال المطر من الله تعالى بكيفية مخصوصة عند الحاجة إليه.

والاستسقاء مشروع ودليل ذلك. قوله تعالى في سورة نوح: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح/ ١٠ ـ ١٢]، وكذلك عمل رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والمسلمين إلى يومنا هذا، فقد دعا نبينا ﷺ عند حصول القحط رافعاً يديه قائلاً: (اللهم اسقنا غياثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً غدقاً مغدقاً عاجلاً غير رائث)، كما استسقى عمر رضي الله عنه وغيره كثير.

والاستسقاء أنواع منها:

١ ـ الدعاء بلا صلاة ولا بعد صلاة مجتمعين وفرادى، في المسجد أو غيره.

٢ ـ الدعاء بعد الصلاة، الجمعة أو غيرها أو في خطبة الجمعة.

٣ ـ صلاة ركعتين وخطبتين واستعداد لها ثم دعاء الاستسقاء. وهذا النوع أفضلها.

وقت الاستسقاء: إذا كان بالدعاء فقط يكون في أي وقت ولو في أوقات الكراهة لأن الدعاء جائز في كل الأوقات.

أما إن كان الاستسقاء بالصلاة والدعاء فلا يجوز أداؤها في أوقات الكراهة، ويجوز في أي وقت آخر من ليل أو نهار، وقيل وقتها من وقت الضحى إلى الزوال، وقيل وقتها وقت صلاة العيد، وقيل يمتد الوقت إلى صلاة العصر.

مكان الاستسقاء: المسجد وخارج المسجد، وقبل الخروج أفضل، وقال المالكية بالخروج وقت الشدة إلى الغيث، وقال الحنفية بالاستسقاء في البيت الحرام وبيت المقدس ومسجد الرسول، لأهل مكة والقدس والمدينة، لأنها من أشرف بقاع الأرض، وقيل: تصلى في الصحراء، لفعل رسول الله ﷺ، ولأنه يحضرها كثير من الناس، والصبيان والحيض والبهائم وغيرهم والصحراء أوسع لهم وأرفق.

ويستحب قبل الاستسقاء:

١ ـ أن يعظ الإمام الناس ويأمرهم بترك المظالم والتوبة من المعاصي وأداء الحقوق لأصحابها، ليكونوا أقربَ إلى الإجابة لأن المعاصي سبب الجدب والطاعة سبب البركة.

٢ ـ الصيام لأنه مظنة إجابة الطلب، ومدته ثلاثة أيام.

٣ ـ الصدقة في حدود الطاقة.

٤ ـ الغسل والسواك، ويلبس ثياب مهنته ولا يتطيَّب ولا يتزين. ويخرج خاشعاً متواضعاً متذللاً متضرعاً ماشياً غير راكب، إلا لحاجة أو عذر.

حكم الاستسقاء: أنه سُنَّة مؤكدة عند بعضهم بجميع أنواعه، وعند أبي حنيفة، الدعاء فقط سُنَّة وغير الدعاء جائز، وقال مالك: تعتريه الأحكام الثلاثة: فهو سُنَّة مؤكدة إذا كان الاستسقاء بسبب المَحْل والجدب، وهو مندوب إذا كان بسبب آخرين حل بهم الجدب، وهو مباح لمن كانت عندهم المياه ولكنهم لا تكفيهم، فلهم أن يسألوا الله من فضله.

وإذا كان الاستسقاء بصلاة وخطبة، قال جماعة الفقهاء بتقديم الصلاة على الخطبة مثل العيد، لحديث أبي هريرة: «صلى رسول الله ﷺ ركعتين ثم خطبنا»، ولحديث ابن عباس. وقيل بتقديم الخطبة لحديث عائشة وأنس: «أن رسول الله ﷺ خطب وصلى» وقيل الأمر على التخيير لورود الأخبار بالأمرين.

وصلاة الاستسقاء ركعتان مع التكبير في كلتيهما مثل العيد، وقيل ـ بدون تكبير ـ مثل النافلة والتطوع.

ويجهر في القراءة لأنها صلاة ذات خطبة.

وخطبة الاستسقاء، خطبتان مثل العيد، وقيل: خطبة واحدة، مع التكبير والاستغفار.

وصيغة دعاء النبي ﷺ:

(اللهم اسقنا غياثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً غدقاً مجللاً سحاً عاماً طبقاً دائماً. اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهم إن بالبلاد والعباد والخلق من اللأواء والضنك ما لا نشكو إلا إليك.

اللهم انبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض. اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فأرسل السماء علينا مدراراً).

ويرفع عند الدعاء للاستسقاء يديه حتى يرى بياض إبطيه ويدعو سراً وجهراً مستقبلاً القبلة متضرعاً متذللاً خاشعاً تائباً.

ويستحب الاستسقاء بأقارب النبي ﷺ وبالصالحين المعروفين بالتقوى، كما استسقى عمر بالعباس وكما استسقى معاوية بيزيد بن الأسود،

كما يستحب توسل المسلم بعمله الصالح كما توسّل أصحاب الغار الثلاثة حين أطبقت عليهم الصخرة، كل بصالح عمله فكشف الله عنهم الصخرة وخرجوا سالمين.

ويستحب تحويل الرداء للإمام والمأموم من الرجال لفعل رسول الله ﷺ. وقيل: تحويل الرداء خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام. وقال أبو حنيفة: لا يسن تحويل الرداء، لأن الاستسقاء دعاء كسائر الأدعية.

ويستحب إخراج الشيوخ والضعفاء والصبيان والعجزة والدواب، لقول رسول الله ﷺ: (هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم)، وقوله ﷺ: (لولا عباد لله ركّع وصبيان رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً).

ويكره خروج الكفار وأهل الذمة للاستسقاء، وقيل يمنعون من الخروج لاحتمال أن يسقوا فيفتتن بهم الضعفاء والهوام.

ناصر الصالح

المراجع: ٢٠، ٢٠٦، ٢٠٩، ٣٠٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧٣، ٤٢٩، ٤٤١، ٥١٠، ٥٤١، ٥٧٢.

* * *

الاستصحاب

الاستصحاب في اللغة: المصاحبة أو استمرار الصحبة. تقول: استصحبت في سفري الكتاب أو الرفيق، أي جعلته مصاحباً لي. وهو في الاصطلاح: ثبوت أمر في الزمان الثاني بناء على ثبوته في الزمان الأول. أو بتعريف آخر: الحكم ببقاء الشيء على ما كان عليه في الماضي حتى يقوم الدليل على تغيره. فإذا ثبت أن فلاناً زوج فلانة فإنه يحكم بقيام الزوجية بينهما حتى يقوم الدليل على زوالها.

وقد اختلف الفقهاء في حجية الاستصحاب من حيث كونه دليلاً فقهياً مقبولاً، فذهب الجمهور إلى كونه حجة في كثير من أقسامه، فيحكم عندهم ببقاء الحكم الذي ثبت في الماضي حتى يوجد ما يغيره. وذهب الحنفية إلى عدم اعتباره كذلك في إثبات الأحكام، وذكر بعضهم أن الاستصحاب حجة في الدفع لا في الإثبات، ومرادهم أن الحال الثابتة بالاستصحاب حجة لدفع ما يخالفها حتى يقوم الدليل على هذا المخالف.

وقد بني على الاستصحاب بعض القواعد الفقهية ومن ذلك: الأصل في الأشياء الإباحة، الأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يطرأ ما يغيره، ما ثبت باليقين لا يزول بالشك، الأصل براءة الذمة.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ١٦، ٣١، ٤٧، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٦٤، ٣٠٢، ٣٠٣، ٤٣٠، ٤٥٩، ٤٨٤، ٥٣٤.

* * *

الاستصلاح

الاستصلاح: اتباع المصلحة المرسلة. وهو نوع من الحكم بالرأي المبني عليها.

والمصلحة مصدر بمعنى الصلاح، كالمنفعة بمعنى النفع، أو هي اسم للواحدة من المصالح. ويمكن تعريف المصلحة بأنها: المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، طبق ترتيب معين فيما بينها.

والمصلحة المرسلة أو الاستصلاح، هي: المصالح الملائمة لمقاصد الشارع الإسلامي، ولا يشهد لها أصل خاص بالاعتبار أو الإلغاء.

وقد حمل الإمام مالك لواء الأخذ بالمصلحة المرسلة، واشترط للأخذ بها شروطاً ثلاثة هي مفهومة من التعريف.

أولها: الملاءمة بين المصلحة التي تعتبر أصلاً قائماً بذاته، وبين مقاصد الشارع، فلا تنافي أصلاً من أصوله، ولا تعارض دليلاً من أدلته

القطعية، بل تكون متفقة مع المصالح التي يقصد الشارع إلى تحصيلها، بأن تكون من جنسها ليست غريبة عنها، وإن لم يشهد لها دليل خاص.

ثانيها: أن تكون معقولة في ذاتها، وجرت على الأوصاف المناسبة المعقولة، التي إذا عرضت على أهل العقول، تلقتها بالقبول.

ثالثها: أن يكون في الأخذ بها رفع حرج لازم، بحيث لو لم يؤخذ بالمصلحة المعقولة في موضعها لكان الناس في حرج.

ويرجع الأخذ بقاعدة الاستصلاح إلى أربعة عوامل:

الأول: جلب المصالح، وهي الأمور التي يحتاج إليها المجتمع لإقامة حياة الناس على أقوى أساس.

الثاني: درء المفاسد، وهي الأمور التي تضر بالناس أفراداً أو جماعات، سواء كان ضررها مادياً أو أدبياً، ومقياس الفساد هي: قواعد الشريعة ومقاصدها المستفادة من نصوصها الثابتة، والتي يتألف منها نظام الإسلام.

الثالث: سد الذرائع، أي منع الطريق التي تؤدي إلى إهمال أوامر الشريعة، أو الاحتيال عليها، أو تؤدي إلى الوقوع في محاذير شرعية ولو عن غير قصد.

الرابع: تغير الزمان، أي اختلاف أحوال الناس، وأخلاقهم، وأوضاع الحياة العامة عما كانت عليه، وهذا ما يدعو إلى سلوك طريق الاستصلاح، بإحداث أحكام جديدة على أصلح منهاج.

وللمصلحة الشرعية ضوابط هي: اندراجها في مقاصد الشارع، وعدم معارضتها كتاب الله تعالى، وعدم معارضتها السنة المطهرة، وعدم معارضتها للقياس، وعدم تفويتها مصلحة أهم منها.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٣٥، ٥٧، ٢٨٠، ٣٤٠، ٤١٧، ٥٤٠.

* * *

الاستنباط

الاستنباط: الاستخراج، وأصله من النبط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر. وفي التنزيل العزيز: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء/ ٨٣].

واصطلاحاً: استخراج المعاني من النصوص بقرط الذهن، وقوة القريحة. فهو عملية اجتهادية لاستخراج الحكم الشرعي أو الفقهي من دلائل الفقه إجمالاً، بما هي شاملة للأدلة الشرعية المقطوع بها، أو من أمارات الفقه، كالعمومات، وأخبار الآحاد، والقياس، والاستصحاب، وغيرها.

وعلم أصول الفقه هو بيان طريق الاستنباط. ومن هنا كان للاجتهاد شروط يتعلق بعضها بذات المجتهد، ويتعلق بعضها الآخر بالمنهاج الذي يرسم له ليتقيد به لئلا يخرج عن الجادة أو الطريق الصحيح في استنباطه الأحكام الشرعية العملية.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٣١، ٥٧، ١٧٢، ٣٠٢، ٤٤١، ٥٣٤.

* * *

إسحاق (النبي) عليه السلام

تزوج إبراهيم عليه السلام هاجر نزولاً عند رغبة سارة، ولما حملت هاجر بإسماعيل، كانت بعدها نعمة الله تعالى على سارة ببشرى أنها ستحمل بإسحاق، ويكون لها نسل رغم تقدمها في السن.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۞ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۞ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود/ ٧٠ ـ ٧٢]، وفي نص قرآني آخر قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات/ ١١٢].

كان إنجاب سارة لإسحاق أمراً إلهياً ومعجزة، حيث كانت قد قاربت التسعين من العمر، وإبراهيم

قد أناف عمره على المئة وعشرين.

وقد ورد في «سفر التكوين» من العهد القديم في «الإصحاح الثامن عشر»: «ثم قالوا له (إبراهيم): أين سارة امرأتك؟ قال: هي في الخيمة. قال: سأعود إليك في مثل هذ الوقت، ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة تتسمع عند باب الخيمة الذي وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين طاعنين في السن، وقد انقطع عن سارة ما يجري للنساء. فضحكت سارة في نفسها قائلة: أبعد هرمي أعرف اللذة، وسيِّدي قد شاخ».

هكذا إذن كان أمر الله تعالى وتحققت البشرى، وجاء إسحاق إلى الحياة وكانت له النبوة، وقد تزوج رفقة بنت بتويل فولدت له عيسو ويعقوب توأمين. ومن سلالة إسحاق كان أنبياء كثيرون أولهم يعقوب عليه السلام.

وقد جاء النص القرآني يبيِّن القضية التي أراد إسحاق عليه السلام أن يحملها أولاده، إنها الدعوة إلى عقيدة التوحيد، وإفراد الله تعالى بالعبودية، إنها الحنيفية التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام الجد. قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة/١٣٣].

فيعقوب عليه السلام واسمه الثاني «إسرائيل»، وهي كلمة من مقطعين: إسرا: عبد؛ إيل: الإله؛ عبد الإله، كانت له النبوة بعد إسحاق عليهما السلام، وكان أن أخذ ميثاقاً من أولاده أن يكونوا على الدرب والمنهاج الذي سلكه الآباء.

وبالنسبة للذبيح، الذي افتُدي بالذبح العظيم (كبش من الغنم) فإنه إسحاق عليه السلام حسب «العهد القديم»، وفي الإسلام المسألة خلافية بين أن يكون الذبيح إسماعيل وهو المشهور أو إسحاق عليهما السلام.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤.

الإسراء

في لسان العرب لابن منظور: السُّرى: سير الليل عامَّته. وقيل: السُّرى سير الليل كلِّه، تذكِّره العرب وتؤنِّثه.

وفي الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء/١]؛ أي: سيَّر عبده ليلاً.

الإسراء معجزة أيّد بها الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ. كان الإسراء بعد وفاة خديجة رضي الله عنها وبعد وفاة أبي طالب عم رسول الله واشتداد أذى المشركين للرسول وصحبه. والإسراء كان في العام الثاني عشر بعد بعثة رسول الله، وقد حدده المسعودي على الوجه التالي: «وأسريَ به وهو ابن إحدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يوماً».

ورحلة الإسراء كما حددها النصُّ القرآني كانت من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس، ونص الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء/١].

ويقول ابن هشام: «كلٌّ يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أُسريَ به ﷺ، وكان في مسراه، وما ذكر عنه بلاء وتمحيص، وأمر من أمر الله عز وجل في قدرته وسلطانه، فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدَّق، وكان من أمر الله تعالى على يقين، فأسرى به سبحانه وتعالى كيف شاء، ليريه ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد».

والمعلوم أن جبريل عليه السلام قد أحضر دابة اسمها البُراق تطوي المسافات بسرعة، وعليها انتقل رسول الله إلى القدس. وهنا لا بد من تحليل الأمر بالقول: في عالم الرحلة والسفر المعلوم أنه كلما ازدادت قوة وقدرة وسيلة النقل تزداد سرعتها وبذلك يتناقص الوقت المطلوب للوصول إلى هدف ما. ورحلة الإسراء كانت معجزة، أو انتقال

رسول الله من مكة المكرمة إلى بيت المقدس كان بقدرة الله تعالى وهي قدرة مطلقة، إذن السرعة مطلقة، وبذلك لا وقت تحتاجه الرحلة وإنما تُطوى الأرض والمسافات بأمر الله سبحانه، وما استغرقته الرحلة من وقت لم يكن سوى مراعاة لبشرية رسول الله ليتمكن من رؤية ما أراد الله أن يريه من آياته وعظيم قدرته، ومن معالم ومحطات ليحدث عنها الناس بعد الرحلة.

وإذا كانت آراء ومواقف قد طرحت حول أمر الإسراء، وهل هو بالروح فقط أم بالجسد والروح معاً؟ فإن أغلب أهل الأمة على أن الإسراء كان بالجسد والروح معاً، لأن رؤية الآيات تحتاج لأدوات جسدية.

ويستفاد ما يؤيد هذا المذهب من النص القرآني عن الإسراء، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾؛ إذن الإسراء بكل رسول الله جسداً وروحاً والله أعلم. عطفاً على أنه لا يقال لمن كانت له رؤيا في نومه: «أسرى»، وإنما الإسراء رحلة وانتقال وهذا يكون بكل الإنسان جسداً وروحاً.

والإسراء الذي كان تأييداً لرسول الله جاء ليؤكد التواصل بين دعوات الأنبياء والرسل جميعاً صلوات الله عليهم، وأن الإسلام هو الرسالة الخاتمة ولهذا ثبت في السنّة الصحيحة أن رسول الله قد صلى في إخوانه الأنبياء ركعتين حين وصوله إلى بيت المقدس.

إن هذا التواصل الذي يعمل أصحاب الأهواء والأطماع من استعمار وصهيونية وشعوبية على ضربه، يحتاج الأمر حياله، وكما قال الشيخ محمد الغزالي: «ومن الممكن ـ لو خلصت النيات ونُشِد الحق ـ أن توضع أسس عادلة لوحدة دينية، تقوم على احترام المبادىء المشتركة، وإبعاد الهوى عن استغلال الفروق الأخرى، إلى أن تزول على الزمن، أو تنكسر مدتها. والإسلام الذي يعدُّ تعاليمه امتداداً للنبوات الأولى، ولبنة مضافة إلى بنائها العتيد أول من يرحب بهذا الاتجاه ويزكيه».

ثم إن يهوداً وبني إسرائيل الذين حاولوا التخريب قديماً وحديثاً في القدس وعملوا وما زالوا يعملون على تدنيس طهر بيت المقدس فيها أتتهم رحلة الإسراء لتقول لهم: بيت المقدس ثاني بيت وضع للناس في الأرض بعد بيت الله الحرام في مكة المكرمة، والإسراء مع رسول الإسلام جاء ليؤكد احترام الإسلام وإيمان المسلمين بالرسل جميعاً ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٨٥]، وأما اليهود والصهاينة فلا علاقة لهم بذلك، والإيمان الحق ظهر وسيظهر في بيت المقدس على كل مزاعمهم وافتراءاتهم.

إن الإسراء إلى بيت المقدس جاء ليؤكد أهمية القدس، ولهذا استمات المسلمون في جهادهم لإجلاء الصليبيين عنها خائبين.

وكأن التوجيه الإلّهي يأتي ليأمر المؤمنين في هذا العصر بضرورة العمل من أجل تحرير القدس واستعادتها لتكون مواطن حج لكل مؤمن مسلماً كان أم مسيحياً.

ولأن القدس محط أطماع، فلعل العبرة في أن تكون الرحلة إليها «إسراء» هي أنه يجب أن يتجند كل مؤمن للجهاد والتحرير، وأن يسير إلى الأهداف، والجيوش عادة تنتقل ليلاً إسراءً لتغير صبحاً مع ساعات الفجر على الأعداء ﴿فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا﴾ [العاديات/ ٣]، حتى إذا ما تحقق النصر يكون قد انبلج الفجر وتبعه شروق الشمس.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٢٩٩، ٣٨٦، ٣٨٧، ٤٨٠.

* * *

إسرائيل

الكلمة من مقطعين: إسرا، إيل. والكلمة غير عربية وقد تكون كنعانية الأصل. وإسرائيل هو الاسم الثاني ليعقوب بن إسحاق عليهما السلام.

وقد نقل القرطبي في تفسيره قولاً لابن عباس رضي الله عنهما فيه: «إسرا بالعبرية عبد، وإيل هو الله، وقيل: إسرا هو صفوة، وإيل هو الله». ولكن الأصح، أن نقول إيل: الإله. وبذلك يكون معنى إسرائيل: عبد الإله. وبنو إسرائيل يُقصد بهم سلالة يعقوب عليه السلام. فإسرائيل رابطة نسب لا رابطة دين.

ولكن يهود شوّهوا كعادتهم مدلول الكلمة وزعموا أن صراعاً قد حصل بين يعقوب والرب كما ورد في «سفر التكوين» في «الإصحاح» (٣٢)، وفيه قول الرب ليعقوب حسب زعمهم: «لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذا رَؤُست مع الله فعلى الناس أيضاً تستظهر». وهذا التركيز على جانب القوة في مفهومهم إنما يقصد به أنهم يستظهرون على الناس كما كانت حال يعقوب عليه السلام.

وأطلق المصطلح على مملكة الأسباط وكانت في الشمال مقابل مملكة يهوذا وبنيامين في الجنوب. وتنقل المصادر التاريخية إن رئيس هذه المملكة «ياهو» كان يدفع جزية لملك أشور المدعو شلمناصر، حتى تمَّ القضاء عليها فيما بعد إبان حكم تفلت فلاسر (٧٤٦ ق.م. ـ ٧٢٨ ق.م.).

وفي أيامنا هذه، أعاد الصهاينة طرح الاسم فقالوا عن فلسطين المحتلة بأنها أرض إسرائيل، وأطلقوا على كيانهم الذي يقوم على أرض مغتصبة اسم دولة إسرائيل، وما هذا الربط الذي جاء في غير مكانه إلا لربط مشروعهم الاستعماري التوسعي برابط ديني فاختاروا لذلك اسم إسرائيل الذي هو الاسم الثاني ليعقوب عليه السلام، وهذا الربط لا دليل له ولا برهان.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٢٦، ٥٠٦، ٥٢٨.

* * *

الأسرار السبعة

كلمة سر (Sacrement) من اللاتينية ومعناها الحرفي: حقيقة مقدسة. ولكي نفهم هذا التعبير يجب أن نعي معنى الخلاص الذي تم في المسيح.

فالخلاص [عند المسيحيين] قد تحقق بموت وقيامة المسيح، كلمة الله المتجسد في تاريخ البشر. لذلك فإن الكلمة التي تبشر الإنسان بخلاصه، بواسطة المسيح، تتخذ طابعاً مطلقاً، أي أنها لا تتعلق فقط باستعدادات الإنسان، بل هي عمل النعمة التي يهبها الله للإنسان والتي تحل عليه.

فعندما تلتزم الكنيسة وتعمل باسم المسيح، وتوجِّه للإنسان بشارة الخلاص، حينئذ يتحقق هذا العمل في ذاتيته ويُدعى سراً.

وطبقاً لطابع الكنيسة الاجتماعي، فإن السر، ككل عمل رسمي واحتفالي في جماعة، يتطلب بعض الاحتفال، وهذا الشرط هو ضروري كي يكون التزام الكنيسة نهائياً ومطلقاً في تحقيق الخلاص في المسيح.

بإرادته المعلنة بوضوح، فقد أسس المسيح الكنيسة كحضور فعلي يمثل عمله الخلاصي. والأسرار هي تحقيقات مطلقة لحضور النعمة في خدمة الإنسان. وباستطاعتنا أن نقول إن المسيح عندما أسس الكنيسة قد أسس معها الأسرار.

فالسر هو إذاً: علامة فعَّالة للنعمة، تعمل في مَن يقبلها فعل الخلاص في المسيح. والكنيسة تعد سبعة أسرار وهي:

١ ـ «العماد»: الذي يُدخل الإنسان في الكنيسة.

٢ ـ «التثبيت»: الذي يمنحه الروح القدس.

٣ ـ «التوبة»: وهو فعل المصالحة والغفران مع الله ومع الكنيسة.

٤ ـ «الأفخارستيا»: وهي الاحتفال بالذبيحة التي تمت في العشاء الأخير للمسيح وعلى الصليب، وهي الاحتفال بالمحبة التي هي وحدة الكنيسة واستباق الوليمة الأبدية.

٥ ـ «مسحة المرض»: التي تساعد المريض والمشرف على الموت بإنعام الشفاء والتوبة.

٦ ـ «الكهنوت»: وهو نقل الخدمة إلى مَن تهيأ لها بالعلم والفضيلة.

٧ ـ «الزواج»: وهو تقديس الحب الزوجي في الصلة التي تشركه بسر الحب الذي به يتّحد المسيح بكنيسته.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٠٥، ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *

إسرافيل (عليه السلام)

إنّه مَلَكٌ عظيمُ الشأنِ، وهو صاحب الصُّور (البُوق) الذي ينفخُ فيه بأمر الله تعالى النفخة الأولى، فإذا نفخَ صَعِقَ مَن في السموات ومَن في الأرض إلاّ من شاء الله استثناءهم من الموت في هذه النفخة، لأنَّ الله تعالى يتولّى قبض أرواحهم بدون وساطة نفخة الصُّور. ثمَّ ينفخ فيه النفخة الثانية للإحياء والبعث إلى الحياة بعد الموت؛ وذلك استعداداً للحساب والجزاء. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر/٦٨].

نايف معروف

المراجع: ٣٣٥، ٣٤٨، ٣٦٠.

* * *

الأسقف، المطران

الأسقف كلمة تعود إلى اليونانية، وتعني ذاك الذي يراقب، ينظر من علٍ. ولفظ المطران هو إيجاز لكلمة يونانية تدلُّ على المسؤول عن «أم المدن» (متروبوليس). يتحدَّث العهد الجديد عن الأسقف أربع مرات ويذكره قبل الشماس. أما مضمون الأسقفيّة فيتوضَّح مع أغناطيوس الأنطاكي في بداية القرن الثاني.

هناك أسقف واحد في المدينة، هو الراعي الأول في الكنيسة المحلّية، وممثّلها في علاقاتها مع سائر الكنائس. هو يقف في خطِّ الرسل. لم يكن شاهداً مثلهم للقيامة، ولكنه يتمتّع مثلهم بسلطة تعود إلى يسوع المسيح الذي قال لرسله: من سمع عنكم سمع مني، ومن رفضكم رفضني.

في التراتبيَّة الكنسية، يقف الأسقف في قمَّة الهرم، وقبل الكاهن والشماس. هو وحده يمنح سرَّ الكهنوت للشماس فيصير كاهناً، كما يُعطى له أن ينظِّم المنطقة التي يقيم فيها والتي تُسمَّى الأبرشيَّة (كما تسمَّى المنطقة التي يعمل فيها الخوري الرعية)، والتي تضمُّ عدداً من الرعايا.

يعمل الأسقف مع الكهنة على المستوى المحلّي، ويمكنه أن يعمل مع سائر الأساقفة في ما يُسمَّى سينودس أو مجمع يحدّد العقيدة المسيحيَّة وينظِّم أمور الكنيسة.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

الإسلام

الإسلام هو الدين الذي أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ. ويرى المسلمون أن جميع الأنبياء إنما جاؤوا بالإسلام، لقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج/٧٨] ولأن جوهر الديانات واحد، هو توحيد الخالق ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص/١ ـ ٤]. والمختلف فيه هو الشرائع التي جاءت كل منها لتتلائم مع زمنها، وأن النبوات ختمت بمحمد ﷺ، والديانات السماوية بالإسلام.

وكتاب المسلمين الذي أنزله الله على قلب رسوله بوساطة جبريل هو القرآن الكريم. وهو يتضمن آيات تدعو إلى الإسلام، وإلى الإيمان بالله، والتفكر في خلق السماوات والأرض، والمخلوقات كافة، وأخذ العبرة من قصص الأولين.

وآيات تنظم علاقات الإنسان بخالقه، وبغيره من البشر، وتنظم الأسرة، والمجتمع، من دون الدخول في التفصيلات الدقيقة، وذلك سر صلاح الإسلام لكل زمان ومكان.

وقد حدد الرسول ﷺ أركان الإسلام فقال: (الإسلام أن تشهد أن لا إلّه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) [رواه النووي في الأربعين]، وقال في المعنى ذاته: (بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلّه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) [رواه البخاري ومسلم].

وهذه هي أركان الإسلام، أي دعائمه الأساسية، ولكنها ليست كل الإسلام، فالإسلام عقيدة، وعبادة، ومنهاج حياة.

فالركن الأول: وهو شهادة أن لا إلّه إلا الله ينشأ عنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله، وهذا يمثل الجانب العقيدي، أما الصلاة والزكاة والصوم والحج فهي تمثل الجانب التعبدي.

وشهادة أن لا إلّه إلا الله يجب أن تكون بالعقل واللسان، ويترتب عليها طاعة الله والالتزام بأوامره، كالجهاد، واجتناب ما نهى عنه، كالقتل والزنى، وغيرهما.

وشهادة أن محمداً رسول الله ينتج عنها الإيمان بما جاء به محمد ﷺ، ويتضمن ذلك الإيمان بالملائكة والرسل والكتب...

والإيمان لا يتجزأ في الإسلام، فلا يجوز أن يؤمن الإنسان ببعض أركان الإسلام ويكفر بأخرى.

والركن الثاني: وهو الصلاة فرضت بآيات كثيرة منها: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم/ ٣١]، وتفصيلات أدائها حددتها السُّنَّة النبوية.

وقد صلى الرسول ﷺ الصبح ركعتين، والظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، وجمع أحياناً بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء. والصلاة عبادة لا ترتبط بمكان، ولكنها مشروطة بالطهارة والوضوء، أو التيمم، لمن لا يتيسر له الوضوء. وتفضل صلاة الجماعة. وأما صلاة الجمعة فهي ركعتان جماعة ظهر الجمعة، بعد خطبة الإمام.

ويفترض في العبادة في الإسلام أنها وسيلة لغاية أعمق من الطقوس والحركات الظاهرة، هي وسيلة للتقوى وتطهير النفوس، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت/ ٤٥]. فمن لم تنههُ صلاته عن الفحشاء والمنكر يصدق فيه قول الرسول ﷺ: (كم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر، وكم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) [رواه النسائي].

الركن الثالث: الزكاة: وقد فرضها الله على المسلمين، وقرن بينها وبين الصلاة في أكثر المواضع ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة/ ١١٠]، وهي عبادة تنظم دورة ثروة الأمة، وتفضي إلى التعاون والتلاحم بين أفراد المجتمع، ومقدارها ٢,٥٪ من مجموع المال الذي يحول عليه الحول (السنة)، وتشمل جميع الممتلكات، وتفصيلات ذلك يمكن الاطلاع عليها في كتب الفقه. وتقوم الدولة الإسلامية بجباية الزكاة وتوزيعها على مستحقيها. ومن ميزات نظام الزكاة تحرك رأس المال، وتأمين التضامن الاجتماعي والتكافل بين أفراد المجتمع.

الركن الرابع: صوم شهر رمضان من كل عام،

والصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى مغيب الشمس طيلة الشهر، فرضه الله تعالى بقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة/ ١٨٥]. والصوم كالصلاة عبادة غايتها تهذيب النفوس حتى إن الأستاذ محمود شلتوت يقول: وتنفيذ الصوم على ثلاث مراتب:

الأولى: الإمساك عن الطعام والشراب والشهوة.

والثانية: بالإضافة إلى الأولى، صوم الجوارح عن الآثام.

والثالثة: بالإضافة إلى الاثنتين، صوم القلب وتطهيره عن كل ما لا يناسب الإنسان.

الركن الخامس: الحج: وقد فُرض بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران/ ٩٧]، وشروط وجوبه: البلوغ والعقل والحرية والاستطاعة، أما كيفية أدائه فيمكن الرجوع إليها في كتب الفقه، وانظر الحج في هذه الموسوعة.

والإسلام نظام متكامل من مقاصده: حفظ النفس، والدين، والعقل، والنسل، والمال. وهو يضمن حرية المعتقد، والمساواة بين المسلمين في جميع الحقوق والواجبات، والعدل بين المواطنين، مسلمين وغير مسلمين، وينهى عن الظلم من أية جهة أتى، ويأمر بالشورى ويمنع توريث الحكم لظالم، ويجعل الولاية للأمة، والسيادة للشرع ويحثُّ على التعلم ووحدة المجتمع، وتكافله، وتضامنه، ويطالب بالاعتدال في كل أمر من أمور الدنيا والدين.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٢٩٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٩٧/ ١.

* * *

إسماعيل (النبي) عليه السلام

لقد تقدَّم إبراهيم الخليل عليه السلام في السن ولم يرزقه الله تعالى ولداً، وقاوم قومه دعوته إلى عقيدة التوحيد، وتمسكوا بما هم عليه من الشرك وعبادة الأصنام، فما كان منه إلا أن هجرهم، ومعه زوجته سارة إلى بلاد مصر.

هناك، كان عندهما جارية مصرية اسمها هاجر، فطرحت سارة مع إبراهيم عليه السلام أمر زواجه من هاجر، وقالت له: «إنّي أراها امرأة وضيئة، فخذها لعلّ الله تعالى أن يرزقك منها ولداً». وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنَّت، فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام.

ورد في «سفر التكوين» من «العهد القديم» الإصحاح السادس عشر ما يلي:

«وأما ساراي، امرأة أبرام، فلم تلد له. وكانت لها خادمة مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراي لأبرام: هوذا قد حبسني الرب عن الولادة، فادخل على خادمتي، لعل بيتي يُبنى منها. فسمع أبرام لقول ساراي». «وولدت هاجر لأبرام ابناً، فسمَّى أبرام ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. وكان أبرام ابن ست وثمانين حين ولدت هاجر إسماعيل لأبرام».

وقد ورد في القرآن الكريم نص البشرى لإبراهيم عليه السلام بولده إسماعيل في أكثر من موقع منها ما كان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات/ ٩٩ - ١٠١].

وعندما شب إسماعيل وقارب البلوغ، وكان منه السعي مع والده أُتي الأمر ابتلاء بأن يقوم بذبحه، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات/ ١٠٢].

وإذا كان الراجح عند المسلمين أن الذبيح هو إسماعيل، وفي ذلك قرائن منها أنه في سياق النص

القرآني في سورة الصافات، وبعد أن حصل التسليم لأمر الحق سبحانه من الأب والابن، وكان الفداء بالذبح العظيم، جاء في النص القرآني بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات/ ١١٢].

وكذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم/ ٥٤]، إلى غير ذلك من النصوص.

إلا أن القول الآخر الذي يفيد بأن الذبيح هو إسحاق، حسب ما ورد في اليهودية والمسيحية، قول نقله عن رسول الله ﷺ أكثر من واحد من الصحابة، وبذلك بقيت القضية خلافية عند المسلمين، وقد أورد القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» كلا الرأيين.

وسياق قصة إسماعيل عليه السلام يفيد بأن أباه إبراهيم عليه السلام انتقل به وبأمه هاجر إلى مكة المكرمة حيث أسكنهما هناك، ثم انصرف، وقالت له هاجر: إلى من تكلنا؟ فلم يرد عليها، فقالت: هل أمرك الله تعالى بهذا؟ قال: نعم. فقالت: إنه إذاً لا يضيعنا.

وقد جاء قول الله تعالى في هذا: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم/ ٣٧].

وكان بعد الإقامة ظمأ إسماعيل وبحث هاجر عن الماء في حركة سعي ذهاباً وإياباً بين الصفا والمروة، وبعدها تفجر ماء بئر زمزم الذي لا يزال حتى يومنا هذا.

وإسماعيل عاون أباه عليهما السلام في رفع القواعد من البيت العتيق، بيت الله في مكة المكرمة، وليطهراه من الرجس والأوثان، ويعود إلى أصل استخدامه، فهو أول بيت وضع للناس في الأرض كي تقام فيه العبادة لله تعالى. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة/ ١٢٥].

ترعرع إسماعيل حتى بلغ أشدَّه وشبابه في مكة المكرمة، وتزوج امرأة من «جرهم»، وأخذ لسان العرب وتعرَّب وأولاده العرب المتعربة. وتوالت الأجيال من ذرية إسماعيل جد العرب إلى أن كان من نسله النبي محمد ﷺ.

تأكيداً لهذه الصلة، قال رسول الله ﷺ: (إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً). يقول محمد بن إسحاق: فسألت الزهري: ما الرحم الذي ذكر رسول الله ﷺ؟ فقال: «كانت هاجر أم إسماعيل منهم».

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤.

* * *

الإسماعيلية

وهم المنسوبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب.

والإسماعيلية فرقة يطلق عليها عدة ألقاب: كالباطنية، لقولها: إن النص القرآني فيه ظاهر وباطن، وبناءً عليه يكون لكل تنزيل تأويل، ويقال لها: السبعية، لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة.

وقد بيَّن المحدث الشيعي القمِّي في كتاب «المقالات والفرق» أن الإسماعيلية ينقسمون إلى ثلاث فرق:

١ - فرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل ابن جعفر، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا: كان ذلك يلتبس على الناس لأنه خاف على نفسه منهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمور الناس.

٢ - فرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر، محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأمه أم ولد فقالوا: إن الأمر

كان لإسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن إسماعيل، وكان الحق له، ولا يجوز غير ذلك لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد حسن وحسين.

٣ ـ أما الإسماعيلية الخالصة فهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب، محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع... وأنهم قد أظهروا الإباحات ودعوا الناس إلى نبوة ابن الخطاب.

ويقول أبو الحسن الأشعري عن الخطابية: أصحاب أبي الخطاب بن أبي زينب وهم خمس فرق كلهم يزعمون أن الأئمة الأنبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسول واحد ناطق والآخر صامت، فالناطق محمد ﷺ والصامت علي بن أبي طالب.

وذهب المذهب نفسه في الإسماعيلية النوبختي في كتابه «فرق الشيعة». وكذلك قال البغدادي: وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل وافترق هؤلاء فرقتين:

١ ـ فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه.

٢ ـ وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد ابن إسماعيل بن جعفر، حيث إن جعفراً نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل.

وقد برز في التاريخ من فرق الإسماعيلية الخطابية المباركية التي خرج منها القرامطة اتباع حمدان قرمط. ويقول النوبختي: وإنما سميت بهذا لرئيس لهم من أهل السواد من الأنباط كان يلقب: قرمطويه. قالوا: لا يكون بعد محمد النبي ﷺ إلا سبعة أئمة: علي بن أبي طالب وهو إمام رسول، والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، ومحمد بن إسماعيل بن جعفر وهو الإمام القائم المهدي وهو رسول، وزعموا أن النبي ﷺ انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب للناس بغدير خم، وقد أباحوا واستباحوا دماء المسلمين، وقد أسسوا دولة اليمن على يدي الحسين بن حوشب الملقب «منصور اليمن» حوالي سنة ٢٦٦هـ، وأتباع هذه الدولة هم الذين استباحوا الكعبة وهتكوا أستارها وقتلوا الحجاج فيها، وحملوا الحجر الأسود معهم إلى هجر في البحرين، وقد هاجموا من لا يوافقهم رأيهم من الإسماعيلية، ومن ذلك هجومهم على السلمية في سورية حيث فرَّ بعض الإسماعيلية من وجههم، منهم عبيد الله المهدي الذي أعلن نفسه بعدها في مناطق المغرب العربي. ويطول الكلام لو أراد المرء تعداد ما حملته هذه المجموعة من أفكار كانت لها سلبيات شوَّش عقائد الكثير من الناس. ولا نعلم لهم وجوداً في هذا العصر.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٧٧، ٣٧٨، ٥١٧، ٥١٨.

* * *

إسناد

الإسناد لغة: إمالة الشيء إلى الشيء حتى يعتمد عليه، أو رفع القول إلى قائله ونسبته إليه. واصطلاحاً عند المحدثين والأصوليين، هو ذكر سند الحديث وعدم إرساله، أو هو رفع الحديث إلى النبي عليه الصلاة والسلام وعدم وقفه على الصحابي أو قطعه على التابعي.

والسند هو سلسلة رواة الحديث بين القائل والراوي الأخير، فهو الطريق الموصل إلى متن الحديث. ومتن الحديث هو ألفاظ الحديث المروية عن الرسول ﷺ وإسناد الحديث هو ذكر الطريق وحكايته والإخبار به. وقد استعمل بعض المحدثين الإسناد والسند بمعنى واحد.

ولا حاجة للإسناد في الحديث المتواتر ـ

للاحتجاج به ـ لأن تواتره يغني عن ذكر إسناده، وكذلك في الحديث الذي يرويه الصحابي، لسماعه الحديث من النبي ﷺ مباشرة ورؤية أفعاله، أما بالنسبة إلى العلماء، فإن الاحتجاج بالحديث موقوف على السند، فكما يقول ابن المبارك: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»، وكما قال الشافعي: «الذي يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري»، ولأن الحاجة ماسة للإسناد لضبط الأحاديث والتوثق منها، خصوصاً بعد أن بدأ أهل الأهواء في وضع الأحاديث لتقوية ما يذهبون إليه.

والإسناد يوصف بصفات مختلفة، فهو إسناد عالٍ إذا كانت الوسائط قليلة، وهو إسناد نازل إذا كانت الوسائط كثيرة، وهو إسناد قوي أو ضعيف وهو صحيح أو حسن، وهو معنعن ومدلس وغريب.

والإسناد لا يذكر غالباً في أيامنا، اكتفاء من العلماء بتواتر كتب الحديث عن مؤلفيها كالبخاري ومسلم، أو شهرتها عنهم، ولكن في ذكر الأسانيد خيراً عظيماً وإحياء لخصيصة من خصائص أمتنا الإسلامية لم توجد عند غيرنا.

ناصر الصالح

المراجع: ١١٥، ١٦٢، ٢٠٩، ٢٦٨، ٣٠٧، ٣١١، ٤٤١، ٤٥٠.

* * *

الإسينيُّون

فرقة يهودية يبدو أنها انقرضت مع القرن الأول للميلاد، وكان هذا أمراً طبيعياً لأن أتباعها عاشوا نظام زهد وتنسك ورهبانية في الكهوف والمغاور، واعتزلوا الناس، وكان لهم نظام حياة خاص لا نساء فيه.

كانوا يضمّون إلى جماعتهم من أعرض عن الزواج، ويعيشون حياة جماعية شبه اشتراكية لجهة الموارد والإنفاق، على ضآلة ذلك. وكانوا يقيمون بعيداً عن المدن في مناطق نائية، ومعاشهم من الرعي والزراعة.

التزم الإسينيون نظام طهارة قاسٍ نسبياً حيث درجوا على الاغتسال بالماء البارد كل صباح شرط أن يكون هذا الماء من منابعه مباشرة. عاشوا حياة تأمل مقرونة بهذا الزهد مع الاهتمام بالاغتسال لذلك رجحت بعض المصدر أن يكون يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) مقرباً من «الإسينيين» أو أنهم التفوا حوله بداعي الاشتراك في الاهتمام بمسألة الاغتسال والتطهر.

والوجه الآخر للموضوع الذي ترجحه المصادر هو الربط بين «لفائف البحر الميت» وبين الإسينيين، وأن تكون هذه اللفائف من تصنيع الإسينيين.

لفائف البحر الميت هي مخطوطات تحوي نصوصاً توراتية تعود إلى القرنين الثاني والأول قبل الميلاد. بدأت حكاية اكتشافها مع أحد الرعاة من البدو هو محمد الديب من عشيرة التعامرة الذي وجد لفائف لم يدرك قيمتها وهو يبحث عن بعض غنماته، واكتشافه كان في كهف عند مصب وادي قمران في الساحل الغربي الشمالي من البحر الميت، ويبعد المكان عن «أريحا» حوالي اثني عشر كيلومتراً. والحدث كان عام ١٩٤٥م وتوالت بعدها في مغاور مجاورة حالة العثور على لفائف مماثلة، وتواصل ذلك حتى العام ١٩٥٦م. واللفائف المكتشفة مخطوطة بأكثر من لغة فمنها ما كان بالآرامية وأخرى باليونانية وثالثة بالنبطية، وعدد منها بالعبرية.

وتكمن أهمية هذه اللفائف بأنها أقدم ما عثر عليه من مخطوطات للعهد القديم. الطريقة التي تم دفن هذه اللفائف بها تدل على أن أتباعها كانوا ملاحقين وهذا ما دفع إلى القول بأنها كانت من صنع فرقة الإسينيين.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨٧، ٣٥٤، ٥٢٨.

الإشراق

ضرب من المعرفة اللَّدنية التي تفيض على العقل البشري من مصدر إلَهي، فهي غير مكتسبة، بل تكون على شكل هبة، ويدرك فيها العارف الحقائق وكأنَّها من ذاته ودفعة واحدة دون الانتقال من حدٍّ إلى حد في الفكرة المدركة.

وقد تحدث عن المعرفة الإشراقية فلاسفة يونان، ما عدا أرسطو وأتباعه، وانتقلت إلى المدارس المنتشرة في المحيط العربي قبل الإسلام، وجاءت مطعَّمة بالمسيحية، ومن ذلك كان ظهور نظرية الفيض لأفلوطين التي تقول بالعقل الفعَّال الذي هو عقل سماوي قائم في فلك القمر يمدُّ العقل البشري بالمعارف، ومنها ما يكون فيضاً من العقل المسمى عند أفلوطين واهب الصور أو الروح القدس.

والإشراق ضرب من المعرفة عماده التأمل العقلي الذي يقود العقل إلى درجة من الكمال والاستعداد بحيث يكون قادراً على تلقي المعرفة المطلقة، والمعقولات المحضة، وفي الإشراق تأتي المعارف إلى النفس مباشرة من الملأ الأعلى.

والإشراق هو لحظة تجلي للمعرفة، وهذا الضرب يسمى عند الصوفيين الكشف أو العرفان، والحكمة في هذا الباب كشفية ذوقية نسبت إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشراقات على النفس عند تجردها عن كل ما هو من لواحق المادة، أو علائق الحياة الدنيوية.

فالإشراق يسبقه الزهد والتصوف العقلي أو التأمل، وقد تحدث الفرس في معتقدهم بثنائية الإلَه، إلَه النور وإلَه الظلمة، عن شيء من هذا، وقد تأثر بهم السهروردي الإشراقي حيث قال بمشرق الأنوار وبمغرب يدل على الظلمة.

وابن سينا، في كتابه «حكمة المشرقيين»، تحدث عن هذا النوع من المعرفة متأثراً بجذور نشأته الإسماعيلية حيث الإسماعيليون يقرُّون بهذا النوع من المعرفة.

ويعده أصل مفهوم الإشراق شهاب الدين يحيى السهروردي (ت ٥٨٨هـ - ١١٩١م)، والملقب بالمقتول أو الشهيد بسبب مواقفه العقدية.

واستمر في تأصيل العرفان أو الإشراق المنبثق من نور الأنوار الواجب الوجود الله تعالى، فيلسوف فارسي هو صدر الدين الشيرازي المشهور باسم «ملاَّ صدرا» (ت ١٦٤١م). ويشير الشيرازي على غرار السهروردي في الاعتقاد بوحدة الحق الذي تواتر في سلسلة متصلة منذ آدم عليه السلام عبر الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم، ومنهم إلى حكماء اليونان فالفلاسفة والمتصوفة، وكل من تحدث عن المعرفة العرفانية.

وقد تحدث الفلاسفة عن معرفة قريبة من الإشراق سمَّوها: الحَدْس. وهي إدراك بديهي مباشر أو استبصار بالأمور بصورة فجائية دونما حاجة إلى خبرة سابقة.

وقد حمل النص القرآني ما يفيد بأن علماً إلَهي المصدر قد يعطى للصالحين أو غير الوحي الذي يكون للأنبياء صلوات الله عليهم. ففي سورة الكهف قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف/ ٦٥]. هذه المعرفة تكون بمدد إلَهي أشار إليه الحديث النبوي الشريف: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله).

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤١، ١٤٢، ١/١٤٢، ١/٥٠٢.

* * *

الأشعرية = (انظر، أبو الحسن الأشعري).

* * *

أشكناز

كلمة «شكناز» ألمانية معناها اليهودية الحديثة. وعلى أساسها سميت طائفة يهود «الأشكناز»،

وأغلبهم من أصل ألماني، وقد انتشروا في المناطق الأوروبية التي كانت تتكلم الألمانية في العصور الوسطى، وحافظوا عليها حتى وقت قريب وكانت تعرف باسم اليديش Viadish، وقد تكونت لها لهجات متعددة حسب بلدان انتشار اليهود.

وقد باتت لفظة «أشكناز» تطلق على أكثر يهود أوروبا. والأشكناز يشكلون بين المستعمرين اليهود في فلسطين المحتلة ما يقارب ٢٥٪، ولكن السلطة بيدهم ومنهم أغلب القيادات الحكومية منذ قيام الكيان الإسرائيلي حتى اليوم، ويمارسون الاستعلاء على المجموعات اليهودية الأخرى.

وكلمة «أشكناز» وردت في «سفر التكوين» في «الإصحاح العاشر»: «وبنو جومر أشكناز وريفات وتوجرمة». ولفظ الأشكناز كان مرادفاً ليهود ألمانيا وبولندة وروسيا. وقد تطور الصراع بينهم وبين السفارديم، في أواخر القرن الثامن عشر، ووصل الأمر إلى حد أن السفارديم استصدروا قراراً بطرد الأشكناز من مدينة بوردو الفرنسية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٥٤، ٤١٤.

* * *

الأشهر الحرم

في اللغة: الحرام نقيض الحلال وجمعه حُرمٌ. والأشهر الحُرُم أربعة: ذو القعدة وهو اسم الشهر الذي يلي شوال وهو شهر كانت العرب تقعد فيه، وتحج في ذي الحجة. وقيل: سُمّي بذلك لقعودهم في رحالهم عن الغزو والميرة وطلب الكلأ، وذو الحجة شهر الحج سُمي بذلك للحج فيه.

والمحرم: شهر الله سمّته العرب بهذا الاسم لأنهم كانوا لا يستحلّون فيه القتال وأضيف إلى الله إعظاماً له.

ورجب: شهر سمّوه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية عن القتال فيه. والترجيب: التعظيم. وكانت العرب ترَجّب وكان ذلك نسكاً لهم أو ذبائح في رجب.

في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة/ ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ٥].

في السنة الشريفة: قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع: (وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان). وفي رواية الغنية: ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. وواحد فرد وهو رجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان.

على أن تقييد رجب بمُضر فذلك تمييز له عن رجب ربيعة التي كانت تظنه بين شعبان وشوال، ولأن مُضر كانت تبالغ في تعظيمه وتحريمه وتكبيره.

وأما تحديده بين جمادى وشعبان فقطعاً للطريق على من يريد تأخير حرمة هذا الشهر أو تقديمه. ذلك أن العرب في الجاهلية كانوا قد درجوا على هذا الصنيع في شهر المحرم حيث يحلّونه عاماً ويحرمونه عاماً وهو ما يسمى بالنسيء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة/ ٣٧].

والذي دعاهم إلى هذا الفعل حتى لا تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها وقد كانت معايشهم من الإغارة.

وأول من نسأ لهم الشهور القلمَّس حذيفة بن عبد فُقَيْم من كنانة، ثمَّ قام بعده على ذلك ابنه عبّاد، ثم من بعد عبّاد ابنه قلع، ثم ابنه أميّة بن قلع، ثم ابنه عوف بن أمية، ثم ابنه أبو ثمامة جنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام. وقيل: كان اسمه نُعيم بن ثعلبة وكان رئيس القوم يقوم فيقول: أنا الذي أُجاب ولا أُعاب ولا يرد لي قضاء، فيقولون له: صدقت انسئنا شهراً، يريدون أخِّر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر.

أصل التحريم:

اختار الله عز وجل الكعبة المطهَّرة لكي يجتمع فيها الناس من أجل الحج والعمرة، ولكي تتم مناسكها على أحسن ما يرام لا بد من توفير جو أمني مناسب.

وهذا يستوجب حرمتين: حرمة المكان الذي يتم فيه أداء هذه المناسك، وحرمة الزمان اللازم للحجاج والمعتمرين من لدن انطلاقهم من ديارهم وحتى وصولهم إليها عائدين، وهذا يستغرق ثلاثة شهور متتالية من أجل الحج، وشهراً واحداً في وسط السنة من أجل العمرة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة/ ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٧].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت/ ٦٧].

وجاء في التفسير: وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، فحرِّم ذو القعدة لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرِّم بعده شهر آخر وهو المحرَّم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين. وحرِّم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقوم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمناً.

محمد الزعبي

المراجع: ١٧٤، ٢٩٩، ٣٩٦، ٤٤١.

* * *

أصحاب الفيل

أصحاب الفيل عنوان تعالج من خلاله المواضيع التالية:

الحدث، النماذج البشرية، المحطة التاريخة ـ المنّة الإلٓهية.

الحدث بزمانه ومكانه وأشخاصه:

قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل/ ١ ـ ٥].

في السنة الشريفة: ورد ذكر الحديث بشكل عرضي ومقتضب. فيوم الحديبية عندما بركت ناقة رسول الله ﷺ وقال الناس: قد خلأت القَصْواء، قال عليه السلام: (ما خلأت القَصْواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل).

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين، وأنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب).

أما الحدث في كتب التاريخ: فإن أبرهة الحبشي بنى في صنعاء كنيسة سمّاها القُلَّيس ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لملك كان قبلك ولست بمنتهٍ حتى أصرف إليها حج العرب.

أثار هذا الصنيع حفيظة قريش، فخرج رجل من بني كنانة حتى أتى القلّيس وأحدث فيه. فغضب أبرهة وحلف ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه الفيل. وقد وصل إلى مكة نهار الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان، وثمانمائة واثنين وثلاثين سنة للإسكندر، وست عشرة سنة ومائتين من تاريخ بعض قبائل العرب الذي أوله حجة الغدر (٥٣ق. هـ/ ٥٧٠م).

وهو في زحفه اعترضه ذو نفر من أشراف اليمن فهزمه وأخذه أسيراً، وكذلك هزم نُفَيْل بن حبيب الخثعمي وأخذه أسيراً أيضاً. أما ثقيف فقد سالمته وأرسلت أبا رغال يدله على الطريق إلا أنه مات في مكان يقال له: المغمّس فرجمت قبره العرب.

ومن المغمّس دفع أبرهة بالأسود بن مقصود على رأس خيل فأغار على عير لقريش فاستاقها وفيها مائتي بعير لعبد المطلب.

ومن ثم بعث حناطة الحميري فأتى بعبد المطلب هذا وأدخله عليه فأكرمه غاية الإكرام لما علم عنه من كرم ورفعة في قومه، أخبره بذلك أنيس سائس الفيل وكان من المقرَّبين إليه. لكنه زهد فيه بعدما رآه يصرُّ على رد إبله ولا يكلمه ولو كلمة واحدة بشأن البيت. ولما ذكَّره بذلك قال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه. عندها قال أبرهة: ما كان ليمتنع مني. قال عبد المطلب: أنت وذاك.

وانتهت المقابلة عند هذا الحد ليزحف أبرهة بجيشه إلى مكة يتقدمه فيل عظيم اسمه محمود، وليذهب عبد المطلب إلى الكعبة مع نفر من قريش فيأخذ بحلقة بابها يدعو الله ويستنصره على هذا العدو الغاشم.

وقد استجاب الله دعاء عبد المطلب وخذل جند الحبشة، ذلك أن الفيل برك بأمر الله فكان بروكه شؤماً عليهم حيث امتلأ الجو بطيور تشبه الخطاطيف يحمل كل منها ثلاثة أحجار أمثال الحمص والعدس ويلقي بها فوق رؤوس الجيش الذي لم يصب أحد منهم الحجر إلا هلك، وقد أصيب الكثير وبينهم أبرهة الطاغية الذي أصيب في جسده فخرجوا به حتى قدموا صنعاء وهناك مات بعد أن سقطت أعضاؤه وانصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

حَدَث الفيل محطة تاريخية:

كان العرب في الجاهلية يؤرخون بحسب الأحداث المهمة وحادثة الفيل كانت في نظرهم غاية في الأهمية لعلاقتها بكعبتهم التي هي محط أنظارهم جميعاً ومهوى أفئدتهم. ثم لا ننسى أن عام الفيل هو العام الذي ولد فيه سيدنا محمد ﷺ مما زاد في أهميته وخلود ذكراه، حيث أجمعت الكتب التاريخية على أنه ولد عليه السلام صباح الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل.

المنَّة الإلّهية على قريش:

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمداً ﷺ كان مما يعدُّ الله على قريش من نعمه عليهم وفضله ما ردَّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

محمد الزعبي

المراجع: ١٧٤، ٢٩٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٢٤، ٤٨٠.

* * *

أصول الفقه

الأصل لغة: ما يبنى عليه غيره، أو أنه: منشأ الشيء. واصطلاحاً: الدليل، أو: الرجحان، أو: القاعدة المستمرة.

والفقه لغة: فهم غرض المتكلم من كلامه. أو هو: فهم الأشياء الدقيقة. أو هو: العلم بالشيء والفهم له ـ مطلقاً ـ والفطنة. ويشهد لهذا المعنى

الأخير، ما ورد في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هـود/ ٩١].
أما اصطلاحاً فهو: العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من أدلتها التفصيلية. وعلم أصول الفقه: معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد.

أما دلائل الفقه: فإنها تستغرق الأدلة الشرعية المتفق على الاحتجاج بها عند العلماء، فلا تشمل المعلومات، وأخبار الآحاد، والقياس، والاستصحاب، وشرع من قبلنا، والمصالح المرسلة، وغيرها، لأنهم وإن سلموا العمل بها، فليست عندهم أدلة للفقه، بل هي أمارات له، فالدليل عندهم لا يطلق إلا على المقطوع به من: الكتاب، والسنة، والإجماع، ولهذا قال فخر الدين الرازي: أصول الفقه: مجموع طرق الفقه. ثم قال: وقولنا: طرق الفقه، يتناول الأدلة والأمارات.

والمراد بقولهم (إجمالاً): معرفة الأدلة من حيث الإجمال، ككون الإجماع حجةً، وكون الأمر للوجوب. وفي هذا احتراز عن علم الفقه وعلم الخلاف، لأن الفقيه يبحث عن الدلائل من جهة دلالتها على المسألة المعينة.

والمراد بقولهم (كيفية الاستفادة منها): أي معرفة دلائل الفقه ومعرفة كيفية استفادة الفقيه من تلك الدلائل، أي استنباط الأحكام الشرعية منها، وذلك يرجع إلى معرفة شرائط الاستدلال، كتقديم النص على الظاهر، والمتواتر على الآحاد، وغيرهما. فلا بد من معرفة تعارض الأدلة، ومعرفة الأسباب التي يترجح بها بعض الأدلة على بعض.

والمراد بقولهم: (حال المستفيد): أي طلب الفقيه المجتهد والمقلد: حكم الله تعالى، لأن المجتهد يستفيد الأحكام من الأدلة، والمقلد يستفيدها من المجتهد.

وعلم أصول الفقه هو: بيان طريق الاستنباط. ومن هنا كان للاجتهاد شروط يتعلق بعضها بذات المجتهد، ويتعلق بعضها الآخر بالمنهاج الذي يرسم له، ليتقيد به، لئلا يخرج عن الجادة، أو الطريق الصحيح في استنباطه الأحكام الشرعية العملية.

وقد نشأ هذا العلم الهام في القرن الثاني الهجري، بعد أن احتدم الجدال بين مدرستي الحديث والرأي، واجتراء بعض أهل الأهواء على الاحتجاج بما لا يحتج به، وإنكار بعض ما يحتج به، وهذا ما دعا إلى وضع ضوابط وبحوث في الأدلة الشرعية، وشروط الاستدلال بها، وكيفية الاستدلال بها، وهذا ما انطوى على ضوابط أصولية.

ويعتبر الإمام الشافعي أول من دوَّن في علم الأصول، وذلك في كتابه الهام: الرسالة، فضلاً عما جاء فيما طبع مع كتابه الأم، مثل: جماع العلم، وإبطال الاستحسان، واختلاف مالك والشافعي.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ١٦، ٣١، ٣٣، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٣٠٢، ٤٠٧، ٤٥٩، ٤٨٤، ٥٣٤.

* * *

الأصولية

لا تقتصر الأصولية على الإسلام بشكل خاص، وهي لا تقتصر على الدين بشكل عام. هناك أصولية شيوعية (تتمثل في تعاليم ماركس ـ لينين) فهي وإن كانت تمرُّ الآن في حالة انحلال وتمزُّق، إلا أنها هيمنت على مناطق واسعة من العالم لمدة تزيد على نصف قرن، كانت كتابات فلاديمير لينين وكارل ماركس بمثابة الكتاب المقدس لهذه الأصولية، فقد بقيت كتاباتهما الأكثر ترجمةً والأوسع انتشاراً طوال سبعين عاماً.

دعت الأصولية الشيوعية إلى الإلحاد، وأقفلت المساجد والكنائس وحوّلت معظمها إلى أندية للرقص ومرائب لتصليح السيارات. ولكن الشيوعية سقطت، وعاد جرس الكنيسة يدعو المؤمنين إلى الصلاة، وارتفع صوت المؤذن داعياً إلى الله من جديد.

وهناك الأصولية الرأسمالية حيث الإيمان المطلق بقوى السوق كحل لكل المشاكل الإنسانية. قامت مؤسسات كبيرة ذات نفوذ وقوة ضغط مثل Heritage foundation في الولايات المتحدة و Adam Smith Institute في بريطانيا و Kiel Economic Institute في ألمانيا و Fraser Institute في كندا.

استطاعت هذه المؤسسات وغيرها من قوى الأصولية الرأسمالية أن ترسم استراتيجية عمل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وأن تؤثر على قراراتهما بشأن اقتصاديات دول العالم الثالث، وإخضاعها لمعطيات الازدهار في دول العالم الأول، حتى أن البابا يوحنا بولس الثاني يصفها بأنها «رأسمالية متوحشة».

أما على الصعيد الديني فلا يخلو أي دين من حركة أصولية:

١ ـ هناك حركة أصولية أرثوذكسية تعتصم في أحد المناطق الجبلية في شمال اليونان والتي أعلنتها منطقة مغلقة حتى على الدولة. وتدعو هذه الحركة إلى حكم الكنيسة كما تدعو إلى معاداة الإسلام. وقد أطلق أتباعها على البطريرك السابق بارثانيوس الذي كان يدعو إلى حب الإسلام وإلى التعاون معه لقب «محمد بارثانيوس».

٢ ـ وهناك أصولية كاثوليكية قامت بأدوار سياسية جوهرية بدءاً من إسقاط نظام الحكم الشيوعي في بولندة، حتى إسقاط الشيوعية كلها ومعها الاتحاد السوفياتي.

٣ ـ وهناك أصولية إنجيلية تؤمن بالنبوءات الدينية بالنسبة لنهاية التاريخ (راجع: الصهيونية المسيحية).

٤ ـ وهناك أصولية هندوسية يتزعّمها الحزب الهندوسي الذي تولى السلطة في الهند بعد فشل حزب «المؤتمر». وكانت هذه الحركة قد قامت في تشرين الثاني عام ١٩٩٠م بتدمير المسجد التاريخي بابري في مدينة أيودها لإقامة معبد للإله الهندوسي راما في مكانه ومن حجارته، وهي تهدد بتدمير ثلاثة آلاف مسجد آخر في الهند لإقامة معابد مكانها.

٥ ـ وهناك حركات أصولية إسلامية، فقد دخل العالم الإسلامي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية من بوابة مختلفة عن تلك التي دخل منها العالم الغربي. ففي الغرب عززت النخبة الثقافية مشاعر الثقة بالنفس والاستقرار المجتمعي، ونفخت روحاً جديدة في أدبيات الحداثة والعصرنة. أما في العالم الإسلامي فإن المشاعر التي ولدتها الكوارث السياسية والعسكرية بعد التحرر من الاستعمار تركت بصماتها عميقة في بنية المجتمعات العربية ـ الإسلامية: من الهزيمة العربية في حزيران ١٩٦٧م على يد إسرائيل، إلى الهزيمة الباكستانية في عام ١٩٧١م على يد الهند.

جرى التعامل مع سلسلة النكسات والنكبات العربية والإسلامية بما خلّفته من مشاعر بالمهانة والدونية على أنها دليل عملي على إفلاس الأنظمة المدنية الحديثة. فقد شهد العالم الإسلامي سلسلة طويلة من الانقلابات العسكرية والديكتاتوريات الأتوقراطية، كما شهد نماذج مخزية من الفساد الإداري والمراهقة السياسية. إضافة إلى ذلك أدى سوء توزيع الثروة وفشل مشاريع التعاون والتنسيق إلى تمكن الشركات المتعددة الجنسيات من الهيمنة على مقدرات دول العالم الإسلامي وإمكاناتها، فكان من نتيجة ذلك حدوث تراجع اقتصادي واسع النطاق أدى بدوره إلى هجرة واسعة من الريف إلى المدينة ومن المدينة إلى أي مكان في العالم بحثاً عن مورد رزق.

إن من طبيعة الأشياء أن تؤدي هذه التداعيات إلى الحالة الأخطر المتمثلة في الانحدار الثقافي والتربوي والتعليمي.

تزامن عاملان أساسيان في توجيه الضربة التي دفعت بالمجتمعات العربية ـ الإسلامية إلى حالة الترنح. العامل الأول هو فشل الأنظمة في بناء

مؤسسات الدولة العصرية، أما العامل الثاني فهو تكريس الحداثة والعصرنة بطابع غربي، وبالتالي ربط التحديث بالتغريب.

كان طبيعياً أن يتساءل مفكرون وناشطون مسلمون: هل تخلى الله عنا؟.. أم أننا نحن الذين تخلينا عن الله؟.. إذا كان الله هو الذي تخلى عنا، فلا بد أن نكون ارتكبنا خطيئة كبيرة، لذلك لا بد من تصحيح هذه الخطيئة حتى يشملنا الله برحمته ورعايته ونصره، والطريق إلى ذلك لا تكون إلا بالعودة إلى الله. أما إذا كنا نحن الذين تخلينا عن الله، فإن الطريق الوحيد أمامنا هو بالتراجع عن هذا التخلي وبالعودة إلى الله عبر الالتزام بأحكامه وشريعته.

هذه الحركة، حركة العودة، ربما تكون انطلقت في السبعينيات: من حرب رمضان ١٩٧٣م (لاحظ الاسم: حرب رمضان) إلى فرض الحظر على تصدير النفط إلى الولايات المتحدة وأوروبا بقرار موحد، إلى اعتلاء الجنرال ضياء الحق الحكم في الباكستان في عام ١٩٧٧م حيث حاول تطبيق برنامج الأسلمة على نطاق واسع (التعليم - التربية - القضاء... الخ) إلى قيام حركة الجهاد ضد الاحتلال الروسي لأفغانستان في عام ١٩٧٩م، إلى نجاح الثورة الإسلامية في إيران. وقد ارتفعت رايات الحركات الإسلامية من أندونيسيا حتى نيجيريا ومن مصر حتى المغرب.

في الأساس شاع استخدام كلمة الأصولية سياسياً وليس دينياً، بمعنى اعتبار الأصولية حركة سياسية تتوسل الدين لبلوغ أهدافها، وليس بمعنى العودة إلى أصول الدين.

هناك ثلاث دوائر تجد فيها الأصولية ميداناً واسعاً لتحركها:

الدائرة الأولى: دولية، وذلك من خلال ما تتعرض له الأقليات الإسلامية في العالم من اضطهاد وقمع: في البلقان وخاصة في البوسنة وكوسوفو. وفي الاتحاد السوفياتي السابق، وخاصة في الشيشان وطاجكستان، وقبل ذلك في أذربيجان. وفي الهند، وخاصة في كشمير. وفي أوروبا الغربية حيث ارتفعت وتيرة الحركات العنصرية المعادية للمهاجرين المسلمين من تركيا وشمالي إفريقيا.

والدائرة الثانية: إقليمية، وهي تتخذ عدة أوجه. منها: فرض أحكام دولية بالعقاب الجماعي الذي يلحق ضرراً جسيماً بحياة الناس وينتهك حقوقهم، كما جرى في العراق وليبيا والسودان تحديداً، وذلك بحجة معاقبة أنظمة سياسية سيئة. ومنها استعمال سياسة ازدواجية المنطقين المتناقضين بين العرب وإسرائيل. ولعل آخر تجليات ذلك يتمثل في الضغط على الدول العربية لتجديد التزامها بمعاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية في الوقت الذي تأكدت صحة المعلومات عن امتلاك إسرائيل ترسانة نووية ربما يزيد حجمها على ١٥٠ قنبلة من مقاييس متعددة. ومنها كذلك، بل لعل في مقدمتها، أن التسوية السياسية التي يجري إقرارها لم تأت استجابة لمبادرة عربية، بل إن الدول العربية وجدت نفسها في وضع المضطر للتجاوب تحت ضغوط معادلات ما بعد الحرب الباردة. وبالتالي، فإن التسوية في مضمونها لا تضمن استرجاع الحقّ العربي بقدر ما تعكس الاضطرار العربي للخضوع للأمر الواقع الجديد خوفاً من الأسوأ، ولا شك في أن تسوية من هذا النوع لا تخلق حالة من الاطمئنان إلى المستقبل بل تولد شعوراً بالقهر لا بد أن يعرب عن نفسه بطريقة أو بأخرى.

أما الدائرة الثالثة: فداخلية، وتتمثل في الصراع على السلطة في بعض الدول العربية، أو بالصراع معها.

من حيث الشكل، تنظم دول العالم المتقدم نفسها من خلال الأحزاب السياسية ومن خلال مؤسسات ديمقراطية تمثيلية يكون الحكم بموجبها للأكثرية فيما تتمتع الأقلية بحق المعارضة. أما في دول العالم المتخلِّف فإن التنظيم السياسي

المجتمعي يتم غالباً بإحدى وسيلتين، إما بالفرض العسكري أو بالاستقطاب الديني. إذا كانت الصيغة الأولى تقود إلى دوّامة الانقلابات والانقلابات المضادة (سوريا والعراق في الخمسينيات) فإن الصيغة الثانية تؤدي إلى الأصولية (الجزائر اليوم).

إن الأصولية كحركة سياسية في تطلعها إلى السلطة تستخدم الدين أداة لتحقيق أهداف سياسية توصلها إلى السلطة، وهي لا تستخدم السلطة بالضرورة للتبشير بالدين ونشر تعاليمه. وبقدر ما تتعاطف دول أجنبية مع هذه السلطة يصبح رعايا هذه الدول أهدافاً للاعتداء، ليس لأن دينهم مختلف، بل لأن الاعتداء عليهم يشكل أداة ضغط على حكومات دولهم.

يفتقر العالم العربي إلى «ثقافة حوارية» بين السلطة والقوى المعارضة لها، كالحركة الأصولية مثلاً. فثقافة الحوار تنطلق من محاولة البحث عن الحقيقة من وجهة نظر الآخر، بمعنى إن هذه الثقافة تتطلب الإقرار الواقعي بأن الحقيقة ليست ملكاً مطلقاً لأي طرف، وإن الاعتقاد بصوابية أي طرف لا يعني بالضرورة أن الآخر على ضلال. فالحوار يجب أن ينفتح على وجهات النظر الأخرى وأن يحترمها وإن اختلف معها، وأن يتقبلها بدون أن يعني بالضرورة الالتزام بها إلا بمقدار الاقتناع بصوابيتها.

أما تصرف السلطة أو الحركة الأصولية على أساس احتكار الحقيقة الكاملة والمطلقة، وإهمال وجهات نظر الآخر أياً تكن، فإنه يؤدي إلى احتقان في المجتمع يعبّر عن نفسه بوسائل عديدة، أبسطها النكتة، وأسوأها الهروب إلى المخدرات، وبينهما الاحتماء بالأصولية كأداة لتوظيف الدين، في إضفاء هالة من الاحترام على وجهات نظر ومواقف سياسية مفتوحة على الخطأ والصواب.

محمد السماك

المراجع: ٥٥٤، ٥٩٣، ٦٢١.

* * *

الأضحية

الأضحية ما يذبحه المسلم قربةً إلى الله تعالى من الأنعام، كالغنم والماعز والبقر والإبل، وهي إحياء لسنة إبراهيم عليه السلام، إذ استجاب لله تعالى في تقديم ولده فافتداه تعالى بكبش، فكانت سنّة بين المسلمين.

وللأضحية أحكام وشروط ومستحبات ومواصفات فصّلها الفقهاء. وبعضهم يراها واجبة في عيد الأضحى على كل مسلم مكلّف يفيض ثمنها عن ضرورياته.

ويضحّي الحاج في أيام التشريق تكفيراً عن ذنبه. قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج/ ٣٧]، أو جبراً لنسكه إن كان قد وقع فيما لا يجوز من المحرم. وتفصيل ذلك في كتب الفقه.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٢٤١، ٤٤١، ٤٦٢.

* * *

الاضطهادات الرومانية

بدأت الاضطهادات الرومانية ضد المسيحيين سنة ٦٤م، وانتهت سنة ٣١٣م. لكنها لم تكن متواصلة طيلة ٢٤٩ عاماً عرفت خلالها الكنيسة ١٢٩ سنة من الاضطهاد و ١٢٠ سنة من السلم النسبي. وقد أحصيت خلال هذه الفترة عشر اضطهادات أساسية ارتبطت بالأباطرة الذين أمروا بها ولم يعرف عدد الذين استشهدوا خلالها بطرق مختلفة كالصلب والحرق والحيوانات المفترسة وغيرها:

- اضطهاد نيرون سنة ٦٤م، والذي بدأ على أثر اتهامه المسيحيين بإحراق روما، وكان أشهر ضحاياه القديسين بطرس وبولس.

- اضطهاد دوميسيانوس سنة ٩٥م، والذي ذهب ضحيته عدد من أرستقراطيي روما، ونُفي خلاله القديس يوحنا إلى باتموس.
- اضطهاد ترايانوس بين سنتي ١٠٨م و ١١٢م، وكان أشهر ضحاياه القديس أغناطيوس الأنطاكي.
- اضطهاد ماركوس أوريليوس سنة ١٧٧م، وكان أشهر ضحاياه شهداء مدينة ليون الفرنسية والقديس يوستينوس.
- اضطهاد سبتيموس ساويروس سنة ٢٠٣م، والذي منع المسيحيين من نشر إيمانهم والتبشير به، وكان أشهر ضحاياه القديستين القرطاجيتين برپتوا وفليسيته (Ferpetue, Felicite).
- اضطهاد مكسمينوس سنة ٢٣٦م ضد الأساقفة والكهنة الذين اتُّهموا بإضعاف الروح القتالية في الأمبراطورية لرفضهم التجنيد الإجباري. وكان من أبرز ضحاياه البابا بنطيانوس والقديس هيبوليتوس.
- اضطهاد دافيوس بين سنتي ٢٤٩م و ٢٥١م، والذي كان الأقسى والأكثر شمولاً واتساعاً إذ أجبر جميع المسيحيين من رجال ونساء وأطفال في القرى والمدن على تقديم الأضاحي للآلهة.
- اضطهاد ڤالريانوس بين سنتي ٢٥٨م و ٢٦٠م، والذي أجبر الأساقفة والكهنة على التخلّي عن إيمانهم المسيحي ومنع المؤمنين من ممارسة شعائرهم الدينية. وقد تمكّن الأمبراطور، بنتيجة اضطهداده، من سدّ العجز في خزينة الدولة بعد أن صادر أملاك المسيحيين الأغنياء. كان أشهر ضحايا هذا الاضطهاد البابا سكستوس الثاني وشمامسته، وأسقف قرطاجة القديس قبريانوس.
- اضطهاد أورليانوس بين سنتي ٢٧٠م و ٢٧٥م.
- اضطهاد ديوقلسيانوس وخلفائه بين سنتي ٣٠٣م و ٣١٣م، والذي بدأ بطرد المسيحيين من الإدارة والجيش، ثم أمر الأمبراطور بهدم الكنائس وإحراق الكتب المقدسة وسجن الأساقفة. وبعد تنحّي ديوقلسيانوس عن العرش سنة ٣٠٥م، توقّف الاضطهاد في الغرب لكنه استمرّ واشتدّ في أوروبا الشرقية وآسيا الصغرى وسورية ومصر.

انتهت الاضطهادات سنة ٣١٣م، لما أصدر الأمبراطور قسطنطين مرسوم ميلانو الذي سمح للمسيحيين لأول مرّة بممارسة شعائرهم الدينية بحريّة في الدولة الرومانية.

أما أسباب هذه الاضطهادات فكانت في معظمها سياسية، إذ أن رفض المسيحيين المشاركة في عبادة الآلهة جعلهم خارج وحدة الأمبراطورية المقدسة التي جسّدها الأمبراطور وجعلهم بالتالي أعداءً للدولة.

وقد عانى المسيحيون في القرنين الأولين من عدم فهم الرأي العام الروماني أكثر ممّا عانوا من قرارات الأباطرة، فاتّهموا مثلاً بعبادة رأس حمار وبعلاقات سفاح وأكل اللحم البشري.

أدّت الاضطهادات إلى بدء تكريم الشهداء والقديسين وذخائرهم إذ اعتُبر الشهداء أنهم تمثلوا بالمسيح من حيث بذل الذات في سبيل الآخرين، فبُنيت فيما بعد الكنائس على ضرائحهم وبدأ المؤمنون يحجّون إليها للتبرُّك منها على مرّ العصور.

كريستيان الحلو

المراجع:

* * *

الاعتكاف

الاعتكاف لغة: لزوم الشيء وحبس النفس عليه أو الدوام عليه خيراً أو شراً، ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف/١٣٨]، وقوله:

﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء/ ٥٢]، وقوله: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة/ ١٨٧].

والاعتكاف شرعاً: اللبث في المسجد للعبادة على وجه مخصوص. وقد أجمع العلماء على مشروعيته معتمدين على الكتاب والسنة والإجماع، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة/ ١٨٧]، ومثله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة/ ١٢٥].

والاعتكاف ليس له وقت محدد ـ إن لم يكن نذراً ـ فهو يتحقق بالمكث في المسجد، وملازمة العبادة، وحبس النفس فيه بنية الاعتكاف، والتقرب إلى الله. ويستحب للمعتكف التشاغل قدر الاستطاعة ليلاً ونهاراً بالعبادة، ولا يخرج من المسجد إلا لعذر شرعي أو ضرورة أو حاجة، ويفضل له الصيام، وعلى المعتكف ترك الأقوال التي تشغله عن العبادة حتى الاشتغال بعلم ولو كان شرعياً إلا للضرورة، وعلى المعتكف أن يؤدي للمسجد حرمته من آداب، وللمصلين حقهم من حسن المعاملة. وورد الاستحباب في الاعتكاف في أوقات مخصوصة كالاعتكاف في شهر رمضان ولا سيما العشر الأخير منه، وفي عشر ذي الحجة لغير الحاج ولا سيما يوم عرفة، وليلتي العيد، وكلما ارتكب ذنباً أو غفلة أو شعر بقسوة في قلبه وأتيح له الاعتكاف.

ومن نذر اعتكاف يوم أو أيام مسماة وجب عليه الإيفاء بالنذر لقول رسول الله ﷺ: (من نذر أن يطيع الله فليطعه)، وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: (يا رسول الله! إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال: أوفِ بنذرك).

ويبحث علماء الإسلام في التربية والتزكية على الاعتكاف، واستعمل كثير منهم مصطلح الخلوة، التي تعني الانقطاع لعبادة الله كما أمر في المسجد وغيره، بينما الاعتكاف مخصوص في المساجد ولا سيما التي تقام فيها الجمعة، أو مخصوص بفضائلها، كالمسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى، وكل كتب الفقه ألحقت الاعتكاف في أحكام الصيام، وقلّ أن نرى كتاب تربية وتزكية لم يتحدث عن الاعتكاف والخلوة.

بسام الصباغ

المراجع: ٢٦٨، ٣١١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧٣، ٤٢٩، ٥١٠، ٥١١.

* * *

الأغالبة (بنو الأغلب) (١٨٤ـ ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ ـ ٩٠٩م)

١٨٤هـ	إبراهيم الأول	٨٠٠م
١٩٦هـ	أبو العباس عبد الله الأول	٨١٢م
٢٠١هـ	أبو محمد زيادة الله الأول	٨١٧م
٢٢٣هـ	أبو عقال الأغلب	٨٣٨م
٢٢٦هـ	أبو العباس محمد الأول	٨٤١م
٢٤٢هـ	أبو إبراهيم أحمد	٨٥٦م
٢٤٩هـ	زيادة الله الثاني الأصغر	٨٦٣م
٢٥٠هـ	أبو الغرانق محمد الثاني	٨٦٤م
٢٦١هـ	إبراهيم الثاني	٨٧٥م
٢٨٩هـ	أبو العباس عبد الله الثاني	٩٠٢م
٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ	أبو مضر زيادة الله الثالث	٩٠٣ ـ ٩٠٩م

أنشأها إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي (١٨٤هـ/ ٨٠٠م) بعدما قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد عرضه في أن يحصل على ولاية إفريقيا على أن يدفع للخلافة العباسية أربعين ألف دينار سنوياً، وأعطاه الرشيد لقب الإمارة ومنحه نوعاً من الاستقلال الذاتي بحيث لا تكون صلته مع الخليفة العباسي لتزيد على الخطبة له على المنابر، وضرب السكة باسمه مع اسم الأغلبي. ثم نال إبراهيم حق توارث الإمارة في أولاده مما أمن له الاستقرار، وجعل القيروان عاصمة دولته.

وقد استطاع إبراهيم أن يوفر المال لحملاته العسكرية ضد الخوارج وضد الأدارسة في

المغرب الأقصى. وكان حسن السيرة والإدارة، رؤوفاً بالرعية ووفياً بالعهد مما مهَّد له الطريق بين القبائل البربرية وجعله ينتصر على الثورات التي قامت ضده. وأنشأ قوة بحرية كبيرة وغزا صقلية.. وقد استمرت الحملة على صقلية خمسين سنة حتى تم للأغالبة فتحها سنة ٢٦١هـ، كما استولوا في السنة نفسها على جزيرة مالطة، ثم عبروا مضيق مسينا وغزوا كالابريا (قلورية) في شبه الجزيرة الإيطالية، والتحقت صقلية بتونس حتى نهاية العصر الأغلبي، ثم تكونت بها إمارة إسلامية في عهد الفاطميين.

وقد عمل الأغالبة على تجهيز الجيوش لغزو روما والقسطنطينية، غير أن عقبات حالت دون أمنيتهم وردَّتهم على أعقابهم إلى إفريقيا.

وفي أيام أبو مضر زيادة الله (الثالث) بن إبراهيم الثاني (٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ) كانت الدولة الأغلبية في منتهى الضعف، ولم يكن ينقصها سوى ظهور قوة أخرى تقف في وجهها لتسقط، وقد وجدت هذه القوة في داعية الفاطميين أبي عبد الله الشيعي الذي ظل يتقدم من المغرب الأوسط والمدن تتساقط أمامه، وما كان من زيادة الله إلا أن جمع أمواله وعبيده وهرب بها إلى مصر، في حين نهب الناس ما في قصور رقادة، التي بناها إبراهيم بن أحمد الأغلبي سنة ٢٦٣هـ، وكان ذلك نهاية الأغالبة.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٤٣، ٩٨، ١١٧، ٤٢٤.

* * *

الإفاضة = (انظر: الحج).

* * *

الإفتاء

الإفتاء لغة: الإبانة. يقولون: أفتاه في الأمر: أي أبانه له. وأفتى الرجلُ في المسألة واستفيته فيها فأفتاني إفتاءً. وفي الحديث: (أن قوماً تفاتوا إليه) معناه: تحاكموا إليه وارتفعوا إليه في الفتيا.

وفي المصطلح: الإفتاء: إحداث الحكم. يقولون: أفتى المفتي إذا أحدث حكماً. وفي الحديث النبوي: (الإثمُ ما حكَّ في صدرك وإن أفتاك الناسُ وأفْتوْك)، أي: وإن جعلوا لك فيه رخصة وجوازاً.

وللإفتاء في الإسلام مكانة هامة بوصفه بياناً لحكم الله تعالى في أمور الدين والدنيا، ولذلك ترى أهل الفتوى يتحرَّجون كل التحرُّج عند استفتائهم مخافة تبعات الفتوى، وقد حذَّر تعالى في كتابه من القول على الله بغير علم. وقرر العلماء أن التقوُّل على الله بغير علم قرين الشرك بالله، لأنه يحل الحرام ويحرم الحلال. وفي الحديث الشريف: (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار).

شروط ينبغي توفرها في المفتي:

تستدعي خطورة الفتوى والخوض في الأحكام الشرعية بغير علم، الرجوع إلى العالم ذي الاختصاص الشرعي والكفاءة العلمية، الذي يتحلى بالأمانة العلمية بالإضافة إلى التالي:

١ ـ علمه باختلاف أعراف الناس، واختلاف مصالحهم، وتعدد حاجاتهم، وتغيرها عبر الزمان والمكان.

٢ ـ أهليته للنظر في اختلاف المذاهب الفقهية وتعدد الآراء العلمية، وكون بعضها أنسب للمجتمع، وأصلح للتطبيق في مكان أو زمان معين.

٣ ـ معرفته بانطباق الحكم على الواقعة بذاتها أو عدم انطباقه، ذلك لأن الشريعة لم تنص على حكم كل جزئية بخصوصها، وإنما أتت كلية وبعبارات مطلقة تناولت أعداداً لا تنحصر من الوقائع، ولكل واقعة معينة خصوصية ليست في غيرها.

٤ ـ أن يكون حر الرأي مستقل الإرادة ليس ممن

يخشى الناس فيغير الحكم طمعاً في ترغيب أو خوفاً من ترهيب.

٥ - أن يكون واسع الصدر لا يضيق بجهل السائل ولا بإلحاحه أو تطويله.

والفتوى في الإسلام قديمة قِدَم الإسلام نفسه، فالصحابة، رضي الله عنهم، كانوا يسألون النبي ﷺ ليتعلموا منه أمور دينهم، ثم ليعلّموا غيرهم امتثالاً لقوله ﷺ: (فليبلغ الشاهد منكم الغائب). وبعد وفاة النبي ﷺ لم يأنف الصحابة أن يسأل بعضهم بعضاً.

وبالرغم من وجود مفتين معينين من قبل أولياء الأمور في بلاد المسلمين، فإن المسلمين لم يتركوا عادتهم في سؤال كل من يثقون بعلمه ودينه من العلماء ولو لم يكن له صفة رسمية.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٢٥، ٣٨٩، ٤٤١، ١/٤٥٦، ٥٤٨.

* * *

الأفخارستيا

كلمة أفخارستيا من اليونانية وتعني الشكر. ويدل هذا المفهوم على فعل الشكر أي على التعبير عن عرفان الجميل عند مَن قَبِل عطية ثمينة.

في المعنى الكنسي، تعني الأفخارستيا: «جسد المسيح» تحت الشكل المنظور للخبز والخمر.

إن هذه الحقيقة تتأصل في العشاء السري (انظر: لوقا ٢٢/١٩، ومرقس ١٤/٢٢، و I كورنتس ١١/٢٣) فمن كلماته بالذات يعطي المسيح جسده مأكلاً ودمه مشرباً تحت أشكال الخبز والخمر الملموسين.

هذا الطعام الذي قدمه المسيح في العشاء الأخير، هو جسده المصلوب، وبهذا عندما نأكله نعلن موت المسيح مع فعاليته الخلاصية، ونجعلها فعّالة. هو جسد ودم من اعتلى صليبه، وكل من يقبلونه يتحدون معه ليؤلفوا جماعة جسد المسيح السري.

إن ديمومة هذا الطعام في الكنيسة، ينبع من الأمر الذي أعطاه المسيح: «اصنعوا هذا لذكري»، وهذا الأمر يضمن أن حقيقة المسيح كلها هي دائماً موجودة بصورة فعّالة حيث يتمم التلاميذ هذا الأمر بصورة شرعية.

فإن احتفال الكنيسة الأفخارستي هو وليمة حقاً، لأن جسد ودم المسيح حاضران كطعام حقيقي وكذبيحة حقيقية في آن.

ذلك أن ذبيحة المسيح الفريدة تظل تعمل بصورة دائمة في التاريخ، وتصبح حاضرة حضوراً فعّالاً وعملياً بواسطة العمل الطقسي في القداس، أي بواسطة كلام التقديس الذي يلفظه الكاهن، كصورة السر، تلك الكلمات التي قالها يسوع بالذات.

وهذا التقديس يكتمل في المناولة التي يقبل فيها المؤمنون القربانة، فيتغذون من جسد المسيح ودمه، ويقدِّمون فعل عرفان وشكر لله حيث تتحقق نعمة الإرادة الإلّهية الخلاصية، وتجعل من جماعة المؤمنين علاقة شركة ومحبة.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *

الإفك، وحديث الإفك

الإفك: الكذب، وقد أفِك يأفِك بالكسر، ورجل أفّاك، أي: كذّاب. والأَفْك، بالفتح على وزن ضرب: مصدر أفكه، أي: قلبه وصرفه عن الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا﴾ [يونس/٧٨]، أي لتصرفنا عما كانوا عليه وتخرجنا إلى أمر لم نعتده.

وحديث الإفك ما وقع من إشاعة المنافقين للأراجيف والأكاذيب عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، بعدما تخلّفت عن القافلة في غزوة بني المصطلق (غزوة المريسيع) في قصة طويلة برّأها الله تعالى منها في القرآن، وانظر تفسيرها في

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور/١١]. وملخص القصة: أن أم المؤمنين، رضي الله عنها، خرجت لقضاء حاجة، وكانت آية الحجاب قد ألزمت زوجات النبي ﷺ بالاحتجاب الكامل عن أعين الرجال، فلما ارتحل القوم عائدين حسب المسؤولون عن جناح النساء أن أم المؤمنين، رضي الله عنها، قد عادت إلى هودجها، فيما كانت تبحث عن عقد فقدته، وكانت خفيفة الوزن، فحملوا الهودج على البعير وساروا مع القافلة، فلما عادت، رضي الله عنها، ولم تجدهم، جلست ملتفحة بثوبها، حتى مر بها صفوان بن المعطل السلمي (أحد الصحابة)، وكان يتخلف عن القوم متفقداً ما يمكن أن يكون قد نسوه أو وقع منهم سهواً، فلما اقترب بحيث يسمعها وتسمعه، وعلم أنها أم المؤمنين، أناخ بعيره وابتعد، حتى ركبت فأمسك بالبعير وحث سيره وراء القوم، حتى وصلا متأخرين عن الركب، فوجدها أهلُ النفاق فرصةً للنيل من رسول الله ﷺ باختلاق الأقاويل على زوجته أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها. وانتهت القصة ببراءتها فيما نزل من الوحي.

وكانت الواقعة درساً اجتماعياً وأخلاقياً مهماً للمجتمع الناشىء الذي يضم تحت جناحه تنوعاً كبيراً تتفاوت عناصره في ثقافتها وفهمها والتزامها. وبذلك تحول حديث الإفك من محنة للنيل من النبي ﷺ وآل بيته، إلى منحة لتوظيف ما جرى في تهذيب وتربية النفوس على كيفية معالجة مثل هذا الافتراء ومواجهة الإشاعات، مما ظهرت آثاره في معارك المجتمع المسلم الوليد القادمة مع مشركي مكة ويهود خيبر وغيرهما.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٢٢، ٢٩٩، ٣٣٢، ٤٦٥.

* * *

الأقباط

دخلت المسيحية مصر على يد القديس مرقس الرسول، كاتب الإنجيل الثاني في العهد الجديد، في وقت كان يعاني فيه المصريون من وطأة الحكم الروماني القاسي. وقد أدى تحول المصريين إلى المسيحية بشكل جماعي إلى أن تتكون جماعة مسيحية ممتدة وضخمة ومنظمة صارت تسمى، فيما بعد، «الكنيسة القبطية الأرثوذكسية». ومنذ بداية تأسيسها حدث تطابق بين الموقف الديني والروح الوطنية، فاحتضنت الكنيسة كلاً من الشعب والأرض. أما كلمة «قبطي» فتعني «مصري» باللغة المصرية القديمة وهو ما حافظ عليه المسيحيون في مصر حتى اليوم.

حدثت منازعات بين هذه الكنيسة وكنيستي روما والقسطنطينية حول عدد من القضايا اللاهوتية، وبلغت ذروتها في مجمع خلقيدونية الشهير (٤٥١م)، وهو المجمع المسكوني الرابع في سلسلة سبعة مجامع تمثلت فيها كل الكنائس لبحث أمور العقيدة، فسميت «مسكونية» واعتمدها الشرق والغرب.

اسم الكنيسة الرسمي هو «كنيسة الإسكندرية (حيث كرسي البطريرك) والكرازة المرقسية للأقباط الأرثوذكس» ويرأسها بطريرك له لقب «بابا»، وتشمل رقعتها كل إفريقيا ورعاية الأقباط في المهاجر عبر أساقفة يرسلون لهذا. حصل انقسامان داخل الكنيسة منذ القرن الماضي أدّيا إلى نشوء الكنيسة القبطية الكاثوليكية والكنيسة القبطية الإنجيلية نتيجة تدخل الإرساليات الأجنبية.

بولس وهبة

المراجع: ٢٥٤.

* * *

الإقرار

الإقرار لغة: الإثبات. وفي الاصطلاح: إخبار عن ثبوت حق للغير على نفسه. والإقرار حجة على المقر لا تتعدى إلى الغير. وهي من أقوى وسائل الإثبات، وأظهر لرجحان الصدق، لأن المرء لا يتهم فيما يعترف به على نفسه.

وقد اشترط الفقهاء شروطاً للإقرار هي: كمال الأهلية بالبلوغ والعقل، خلافاً للحنفية في البلوغ، والطواعية أو الاختيار، وعدم التهمة كما في إقرار الملاطفة، وأن يكون المقر معلوماً كما في إقرار اثنين معاً بدين لرجل.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٢٤٥، ٣١١، ٤٤١، ٤٥٥، ٥١٠، ٥١١.

* * *

الإكراه

الإكراه لغة: القهر والإلزام، وحمل الإنسان على شيء يكرهه ولا يريد مباشرته لولا الحمل عليه. يقال: أكره فلان على الأمر إكراهاً: قهره عليه. وفي التنزيل: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة/ ٢٥٦].

والإكراه عارض من عوارض الأهلية يؤثر في تبعة الأقوال والأفعال، وإن كان لا يزيل أصل الأهلية.

والإكراه شرعاً: فعل يوجد من المكره فيحدث في المستكره معنى يصير به مدفوعاً إلى الفعل الذي طلب منه، أو هو: اسم لفعل يفعله الإنسان بغيره فينتفي به رضاه أو يفسد به اختياره. أو هو: حمل المرء غيره على أمر كان يمتنع عنه قبل الإكراه بسبب تخويف المكره ـ بكسر الراء ـ وغلبة ظن المكره ـ بفتح الراء ـ أن يقع عليه ما هدد به.

وجاء في مجلة الأحكام العدلية: هو إجبار أحد على أن يعمل عملاً بغير حق من دون رضاه بالإخافة. ويقال له المكره ـ بفتح الراء ـ ويقال لمن أجبر: مجبر، ولذلك العمل مكره عليه، وللشيء الموجب للخوف مكره به.

والإكراه عند الحنفية نوعان: تام أو ملجىء، وغير ملجىء.

أما الملجىء فهو: الذي يعدم الرضا ويفسد الاختيار، وذلك بتعريض النفس، أو عضو من أعضائها، ولو أنملة، إلى التلف، سواء نتج ذلك عن التهديد بالقتل، أو القطع، أو الضرب الشديد، الذي يؤدي غالباً إلى تلف النفس، أو عضو منها. ويعتبر هذا الإكراه: أعلى الأنواع وأشدها.

وأما غير الملجىء فهو: الذي يزيل أصل الرضى، وهو التهديد بإتلاف بعض المال، والتهديد بضرب لا يتلف الأعضاء، وكالتهديد بالحبس والقيد، ونحو ذلك.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٥٧، ٩٦، ٢٠٨، ٤٤١، ٥١٠، ٥١١، ٥٤١.

* * *

الإلهام

في اللغة: جاء في لسان العرب: ألهمه الله خيراً لقّنه إياه؛ واستلهمه إياه: سأله أن يلهمه إياه. والإلهام ما يُلْقَى في الروع ويستلهم اللّهَ الرشادَ وألهم اللّهُ فلاناً. وفي الحديث: (أسألك رحمة من عندك تلهمني بها رشدي). الإلهام أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل والترك وهو نوع من الوحي يخصُّ الله به من يشاء من عباده.

في القرآن الكريم: جاءت كلمة الإلهام في القرآن الكريم في آية واحدة فقط. قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس/ ٨]، أي: أرشدها إلى فجورها وتقواها، وبيّن لها ذلك وهداها إلى ما قدر لها. وقال ابن عباس: بيّن لها الخير والشر. وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري وسعيد ابن جبير.

هذا وما دام الإلهام يعني: الإلقاء في الرّوْع والتلقين والوحي فإنه ورد على هذا النحو في أكثر

من آية، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف/ ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم٣/ ٤،].

في السنة الشريفة: قال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)، ودعا رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس فقال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل). وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: (العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه، وعلم في القلب فذلك العلم النافع).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر). والمحدثون: الملهَمون.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط إني لأظنه إلا كان كما يظن.

الإلهام عند الغزالي:

جاء في إحياء علوم الدين: اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية، وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحال في حصولها، فتارة تهجم على القلب كأنه أُلقي فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم. فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمّى إلهاماً. وينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل ومن أين حصل؟، وإلى ما يطلع معه على السبب الذي من أجله استفاد ذلك العلم، وهو مشاهدة المَلَك الملقي في القلب. والأول يسمى إلهاماً ونفثاً في الرَّوْع، والثاني يسمى وَحْياً وتختص به الأنبياء، والأول يختص به الأولياء والأصفياء.

محمد الزعبي

المراجع: ١٨، ١٧٤، ٤٤١.

الإلهام (مسيحياً)

الوحي عمل الله في عقل الكاتب الملهم وفي إرادته، يدفعه إلى أن يكتب ما يجب أن يكتب، يحفظ عقله من كل خطأ وضلال. يكتب الكاتب متأثّراً بحضور الله وعمله. ليس الكاتب شخصاً يُملى عليه النص إملاء، بل هو حرٌّ في ما يعمل بحيث تظهر شخصيته في ما يترك من أثر. هو مشارك كل المشاركة في عملية تدوين كلام الله. وهكذا نستطيع القول إن الكتاب المقدس هو كله من الله وهو كله من الكاتب البشري سواء كان أشعيا وأرميا أو متى ومرقس ويوحنا. يرسل الله أنواره العلويَّة فيساعد الإنسان على التعرُّف إلى حقائق لا يستطيع وحده أن يعرفها ويعبِّر عنها. والإنسان يحتفظ بطبعه وشخصيته، ويلجأ إلى اللغة والصور والتعابير التي حوله لكي يقدِّم حقيقة الله الذي لا يُرى في لغة البشر التي نسمعها ونقرؤها لنصل إلى خبرة روحيَّة تجعلنا نشعر حقاً أننا نسمع صوت الله من خلال صوت البشر.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

إلياس (النبي) عليه السلام

تنقل المصادر التاريخية أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن هارون بن عمران، بُعث إلى بني إسرائيل نبياً بعد أن نسوا عهد الله إليهم في التوراة، ومالوا إلى عبادة الأصنام من دون الله تعالى، وكان الأنبياء يُبعثون بعد موسى عليه السلام مذكِّرين بأحكام التوراة ولم يحملوا رسالات سماوية جديدة.

كان بنو إسرائيل قد عبدوا صنماً اسمه بعل بعد وفاة النبي حزقيال، فكانت بعثة إلياس عليه السلام. وكان لهم ملك اسمه «لاجب» فقال له إلياس: ما أرى الذي تدعو إليه إلا باطلاً.

وقد ورد في النص القرآني قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات/ ١٢٣ ـ ١٣٢].

وكان من مظاهر فسادهم الظلم والقتل. فالملك لاجب، المعاصر للنبي إلياس، كان له امرأة شريرة وكافرة، فعملت على الإيقاع بجار لهم كان صالحاً فقتلوه واستولوا على بستان له، فدعاهم النبي إلياس كي يردوا البستان على ورثة صاحبه فأبوا.

وبسبب مظاهر الشرك والفساد دعا عليهم إلياس عليه السلام فاحتبس المطر ثلاث سنوات حتى هلكت المواشي والمزروعات وأصابهم عناء شديد، أما إلياس، عليه السلام، فقد اعتزلهم أثناء هذه الحادثة خوف أن يتوجهوا إليه بالأذى.

ومما ورد في كتب السير والتاريخ أن الله تعالى أنزل عليه لباساً من الريش النور فطار مع الملائكة إلى أجل أراده الحق سبحانه.

وذكر من طريق مكحول عن أنس قال: غزونا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بفجّ الناقة عند الحجر، إذا نحن بصوت يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة، المغفور لها، المتوب عليها، المستجاب لها. فقال رسول الله ﷺ: (يا أنس انظر ما هذا الصوت)، فدخلت الجبل، فإذا أنا برجل أبيض اللحية والرأس، عليه ثياب بيض، فلما نظر إليّ قال: أنت رسول النبي؟ قلت: نعم. قال: ارجع إليه فأقرئه مني السلام وقل له: هذا أخوك إلياس يريد لقاءك. تقدّم النبي ﷺ وتأخرت، فتحدّثا طويلاً، فنزل عليهما شيء من السماء شبه السُّفرة فدعواني فأكلت معهما.

هذا هو إلياس النبي عليه السلام الذي قاوم فساد بني إسرائيل وتلقى منهم الأذى، واستمروا في ضلالهم، وهذا حال عدد من الأنبياء، وفي ذلك عبرة لمن أراد عن تمسك هؤلاء القوم بمنهج الظلم والغصب والفساد والرذائل.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٤١٣، ٤٢٤.

* * *

الإمام

هادٍ، مرشد، من يُقتدى به في الصلاة. والنبي ﷺ أول إمام في الإسلام، والخلفاء الراشدون أئمة من بعده. ثم أريد بالإمامة ما يساوي الخلافة. فالإمام رئيس السلطة القضائية والإدارية والحربية، ولا بد أن تتوفر فيه صفات أخصُّها الشجاعة والفصاحة والاجتهاد. يختار من بين المسلمين. لكن الشيعة صعدوا به إلى مستوى أعلى فقصروه على نسلٍ معين، ورأوا أنه معصوم يوحى إليه، ملمٌّ بعالم الظاهر والباطن، ووضعوه في مصاف الأنبياء، وربما ألّهه غلاتهم. والإمامة من أولى المشاكل التي أثيرت بين الفرق الإسلامية.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٧٢، ٤٠٤.

* * *

قيل: كل من ائتم به قوم فهو إمام لهم.

وقيل: الإمام: المؤتم به، إنساناً كان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً أو غير ذلك، محقاً كان أو مبطلاً، وجمعه أئمة.

وذكر الفيروزآبادي أن الإمام يأتي على خمسة أوجه هي:

١ ـ بمعنى مقدم القوم وقائد الخيرات: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة/ ١٢٤].

٢ ـ بمعنى اللوح المحفوظ المشتمل على جملة الأقوال والأفعال والأحوال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس/ ١٢].

٣ ـ بمعنى الراحة والرحمة: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ

مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف/ ١٢].

٤ ـ بمعنى الطريق الواضح: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر/ ٧٩]، طريق واضح.

٥ ـ بمعنى الكتاب التوراة والإنجيل والصحف والزبور والفرقان: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء/ ٧١].

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ١٠١، ٤٣٣، ٥١٤.

* * *

الإمامة

الإمامة مصدر: أممت الرجل: أي جعلته أمامي، ثم جعلت عبارة عن رياسة عامة تتضمن حفظ مصالح العباد في الدارين.

وعرفها التهانوي بأنها خلافة الرسول ﷺ في إقامة الدين وحفظ حوزة الإسلام بحيث يجب اتباعه على الكافة.

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ٤٨، ٤٣٣.

* * *

الإمامية

الإمامية نسبةٌ إلى الإمام، والإمامية تجمع الرئاسة الزمنية والدينية لرجل يتولاها خلافةً عن النبي ﷺ. فالسلطات بكاملها تنحصر بالإمام، وهو وحده يعيِّن القضاة والولاة وقادة الجيش وأئمة الصلاة، وجباة الأموال وسائر الموظفين. ويجري تعيين من ذكرنا من قبل الإمام، أو من ينوب عنه بمرسوم خاص. وهناك اختلاف في كيفية تنصيب الإمام. تقول الشيعة: يجب على الله أن ينصب إماماً للناس. ومن هذا القول والاعتقاد الراسخ به، أطلق على الشيعة الإثني عشرية: الشيعة الإمامية.

وتقول السنة: لا يجب تنصيب الإمام على الله، وإنما يجب على الناس. ويصرُّ الإمامية الإثنا عشرية، أنه لا بد من أن يكون نصٌّ من قبل الله على الإمام، لأن الإمامة من أصل الدين، بينما يقول السنة: إن الإمامة من فروع الدين. ويؤكد الشيعة بوجوب تنصيب الإمام من الله، لأن الدليل الذي اقتضى تنصيب النبي من الله، اقتضى وجوب نصب إمام ينصبه الله على العباد. ولا يكون نصبه موكولاً إلى اختيار الأُمّة، ولا بد من أن يكون كل من النبي والإمام معصومين، والدليل الذي اقتضى عصمة النبي عن المعصية والخطأ والسهو، اقتضى أيضاً وجوب عصمة الإمام لأن العلّة التي اقتضت عصمة النبي المبلِّغ عن الله تعالى موجودة في الإمام الحافظ [عند الشيعة] للشريعة بعد النبي، فيجب أن يكون مثله في العصمة. ويجب الوقوف لتعريف العصمة الإمامية لدى الشيعة الإثني عشرية. فالعصمة في أصل اللغة هي ما اعتصم به الإنسان من الشيء، فإنه امتنع به من الوقوع فيما يكره. والعصمة من الله تعالى، هي التوفيق الذي يسلم به الإنسان مما يكره، إذا أتى الطاعة. وذلك مثل إعطائنا رجلاً غريقاً حبلاً ليتثبّت به فيسلم، فهو إذا أمسكه واعتصم به سمّى ذلك الشيء عصمة. وكذلك سبيل اللطف، إن الإنسان إذا أطاع سمي توفيقاً وعصمةً، وإن لم يطع لم يسمَّ توفيقاً ولا عصمة.

فالعصمة عند الشيعة على جميع اعتباراتها وتفاسيرها، كما يقول الشيخ المفيد: «لا تكون مانعةً للمعصوم من القدرة على القبيح، ولا مضطرة له إلى الحسن، ولا ملجئة إليه. بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبدٍ من عبيده لم يؤثر منه معصية له».

واستدل الشيعة الإمامية على أن الاختيار في تنصيب الإمام لله وحده بوجوه:

الأول: بأن تنصيبه لطف من الله في حق عباده، لأن الإمام يقربهم من الطاعة بإرشادهم إليها وحثِّهم عليها، ويبعدهم عن المعصية بنهيهم عنها وتخويفهم من عواقبها، واللطف منه

واجب، فيكون تعيين الإمام وتنصيبه واجباً عليه.

الثاني: أن الله ورسوله قد بيَّنا جميع الأحكام، حقيرها وخطيرها، ولم يهملا شيئاً من أقوال العباد وأفعالهم، إلاّ بيَّنا حكمه بلفظ خاص أو عام، فكيف يترك بيان هذا المنصب الهام الذي تتعلق به جميع الشؤون الدنيوية والأخروية.

الثالث: أن اختيار النبي بيد الله، لأن النبوّة سرٌّ لا يطلع عليه سواه، فهو وحده، يعلم حيث يجعل رسالته، كذلك اختيار الإمام يرجع إلى الله، لأن الإمامة سرٌّ أيضاً لا يطلع عليه إلاّ هو، بالنظر لخطرها ونيابتها عن النبوّة.

وقد اتخذ الشيعة من صفات علي شروطاً أساسية للإمامة يجب أن يتصف بها كل من يتولّى الخلافة بعد الرسول؛ وعلي لم يسجد لصنم قط، ولم يشرك بالله طرفة عين، ولم تصدر منه خطيئة في حياته كلها لا عمداً ولا سهواً. فخليفة الرسول يجب أن يكون كذلك، تماماً كالأنبياء في وجوب العصمة عن جميع الفواحش والقبائح من الصغر إلى الموت. ومن أدلتهم أن الأئمة هم حفظة الشرع والقوامون كالأنبياء؛ فلو جازت عليهم المعصية انتفت الفوائد من وجودهم، وأن الله سبحانه قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة/ ١٢٤].

فقد دلّت الآية أن عهد الله، وهو الإمامة، لا يكون لمن ظلم وعصى الله في حياته ولو مرّة واحدة. ويجب أن يكون الإمام أفضل من رعيته في جميع صفات الكمال والجلال، لأن الأعلم الأتقى لا يجوز أن ينقاد لمن هو دونه علماً وتقًى. وبهذا جاء القرآن الكريم: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس/ ٣٥].

عبد المجيد الحر

المراجع: ٢٧٥، ٣٢٧، ٣٢٨/ ١، ٤٧٤.

* * *

الأمة

الأمة: كل جماعة يجمعها أمر أو دين أو زمان أو مكان واحد سواء كان الأمر الجامع تسخيراً أم اختيارياً فهي أمة.

وأم كل شيء أصله، قال الخليل: كل شيء ضم إليه ما يليه يسمى أمة.

وقال التهانوي: إن الأمة تطلق على الجماعة من أي جنس، ولهذا قالوا: الأمة جمع، لهم جامع من دين أو زمان أو مكان أو غير ذلك.

وتطلق الأمة على الدين والملة والطريقة التي تؤم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف/ ٢٢]، كما تطلق على الرجل الجامع لخصال الخير والمتفرد بها.

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ٤٨، ٤٣٣.

* * *

أمهات المؤمنين

قال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب/ ٦].

وقد ذكر الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي أن ذلك من قبيل التشبيه البليغ، وذلك عند قول البيضاوي: «أي منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم، وفيما عدا ذلك كالأجنبيات». وأورد قول عائشة: لسنا أمهات النساء.

وذكر ابن كثير في وجه الشبه «الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام» ثم قال: ولا تجوز الخلوة بهن، وهل يقال لهن أمهات المؤمنات فيدخل النساء في جمع المذكر تغليباً فيه قولان وصح عن عائشة أنه لا يقال ذلك، وهو أصح الوجهين في مذهب الشافعي.

وأعاد الأمر في كونه هل يقال في معاوية خال المؤمنين؟ فنص أن فيه قولين وأن مذهب الشافعي أنه لا يقال ذلك.

وقد همّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يرجع المستعيذة وأشعث بن قيس عندما تزوجا، حتى قيل له إن الرسول ﷺ لم يمسها.

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ١٧٤، ٢١١.

* * *

الأمويون (الدولة الأموية)
(٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م)

٤١هـ	معاوية بن أبي سفيان	٦٦١م
٦٠هـ	يزيد الأول	٦٨٠م
٦٤هـ	معاوية الثاني	٦٨٤م
٦٤هـ	مروان الأول	٦٨٤م
٦٥هـ	عبد الملك	٦٨٥م
٨٦هـ	الوليد الأول	٧٠٥م
٩٦هـ	سليمان	٧١٥م
٩٩هـ	عمر	٧١٧م
١٠١هـ	يزيد الثاني	٧٢٠م
١٠٥هـ	هشام	٧٢٤م
١٢٥هـ	الوليد الثاني	٧٤٣م
١٢٦هـ	يزيد الثالث	٧٤٤م
١٢٧ ـ ١٣٢هـ	مروان الثاني (الحمار)	٧٤٤ ـ ٧٥٠م

ينتسب الأمويون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان أمية هذا سيداً من سادات قريش في الجاهلية، وكان هو وعمه هاشم بن عبد مناف يتنافسان على الرياسة والشرف. وكان بنو أمية من المتأخرين في دخول الإسلام، وقد أظهروا بعد دخولهم الإسلام حماسة بالغة وبطولة في الدفاع عنه.

وحين قُتل الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وانتهت بمقتله خلافة الراشدين، كان معاوية ابن أبي سفيان قبل ذلك قد أعلن نفسه خليفة في القدس سنة ٤٠هـ وبايعته مصر والشام؛ وباعتلائه عرش الخلافة انتقلت العاصمة من قلب جزيرة العرب الصحراوية مكة إلى دمشق التي صارت عاصمة الخلافة. وبقي معاوية بن أبي سفيان في الحكم عشرين سنة بعد عشرين سبقتها في ولاية دمشق. وما من شك في أن معاوية كان يعتبر من كبار الرجال الدهاة لأنه استطاع أن يجمع شتات المجموعات العربية التي توزعت فاتحة بين الشرق والغرب ودانت له الكثير من الأهواء التي ظهرت من بعده. وفي أيامه حوصرت القسطنطينية مرتين إحداهما بقيادة ابنه يزيد سبع سنين، وفتح المغرب العربي كله بقيادة عقبة بن نافع، وبنيت مدينة القيروان كمركز حربي تجاري متقدم في إفريقيا، وهوجمت جزيرتا قبرص ورودس، وقوي الأسطول البحري العربي قوة كبيرة.

وينقسم العهد الأموي إلى فترتين:

- العهد السفياني الذي توالى فيه معاوية ثم يزيد ثم الحفيد معاوية الثاني الذي تنازل عن الحكم.
- العهد المرواني الذي تولاه أولاً مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وقد تولى الحكم من بعده أولاده وأحفاده، كان آخرهم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الذي انقضت بقتله الدولة الأموية.

وقد مرت الدولة الأموية بعدة أزمات كان أعنفها أزمة عبد الله بن الزبير الذي ظل خليفة، وبايعته معظم الأقطار عدا الشام، سبع سنوات حتى استطاع عبد الملك بن مروان الانتصار عليه ثم على أخيه مصعب سنة ٧٢هـ، واستقرت الأمور لبني مروان.

وقد شهدت الدولة الأموية اتساعاً كبيراً لحركة الفتح الإسلامي، وبلغت الدولة الإسلامية في هذا العهد أقصى اتساع لها، إذ وصل الفاتحون إلى حدود الصين بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي وإلى وسط فرنسا في أوروبا حيث وقعت معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ، فكانت الأمبراطورية الأولى

والوحيدة في العالم سواء من حيث المساحة الجغرافية أو في عدد السكان أو في القوة.

كما عرفت الدولة الأموية الانقسامات السياسية الكبرى في تاريخ الإسلام، فقامت عدة ثورات، منها ثورة الخوارج بقيادة قطري بن الفجاءة وشبيب ابن زيد الشيباني، وثورة الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وثورة زيد بن علي بن الحسين، وقد انتهت كلتا الثورتين الأخيرتين نهاية مأساوية جرَّت على آل البيت وأنصارهم المآسي الكبيرة. ففي ١٠ محرم سنة ٦٠هـ، وقعت معركة كربلاء التي انتهت بمقتل الحسين بن علي بن أبي طالب ومعظم من معه من آل البيت، وفي سنة ١٢٢هـ، انتهت ثورة زيد بن علي بقتله مصلوباً وقتل ابنه يحيى بخراسان سنة ١٢٥هـ. كما قامت في ذلك العهد أيضاً ثورة المختار الثقفي وحركة التوابين في العراق.

كما شهدت الدولة الأموية حركة عمرانية كبيرة فبُنِيت عدة مدن جديدة، منها واسط في العراق والقيروان في تونس، ومدينة عين جر (عنجر) في البقاع، وتعد قبة الصخرة في القدس والمسجد الأموي بدمشق وحلب من أشهر الآثار الأموية والإسلامية.

وقد نظم الأمويون إدارة أمبراطوريتهم، وعرَّب عبد الملك بن مروان النقود، كما عرَّب الدواوين من الفارسية والبيزنطية والقبطية إلى العربية؛ كما أخذ العلماء بتدوين العلوم وبدأت حركة الترجمة، وإن كانت بشكل طفيف، وبدأت الفرق الكلامية بالظهور كالمعتزلة والمرجئة والجبرية.

وقد ساهمت عوامل عديدة في إنهاء هذه الدولة، فقد واجهت نقمة شديدة من جماعات العرب المقيمين على الحدود في خراسان وفي المواقع البعيدة في المغرب والأندلس بسبب العطاء وقصره على المحاربين فقط، وبسبب ظلم بعض الحكام ومحاولات مروان بن محمد، الملقب بالحمار، الإصلاحية التي حرمت مركز الدولة في الشام من الامتيازات والوظائف بعد نقل العاصمة إلى حران، وبعد تشكيل الجيش على الأساس التطوعي لا القبلي، وغير ذلك من العوامل التي استغلها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ثم ابنه إبراهيم من بعده، واستطاع أن يهزم الخليفة الأموي مروان بن محمد في معركة الزاب قرب الموصل، فهرب إلى مصر حيث قُتل على أيدي العباسيين في قرية أبي صير في الصعيد أواخر سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠هـ.

وكذلك كان مصير الأمويين في الشام، فقد قُتل زعماؤهم في مذابح معروفة وصودرت أملاكهم وسجن الكثير منهم، ولم ينج إلى القليل، من بينهم عبد الرحمن، حفيد هشام بن عبد الملك الملقب بالداخل، الذي فر إلى الأندلس وأقام فيها ملكاً لبني أمية توارثه أبناؤه وأحفاده، واستمر ملكه هناك حتى سنة ٤٢٢هـ، حتى زال ملك الأمويين من الأندلس وبدأ عصر الدول والطوائف فيها.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١٨، ١٢٢، ١٣٢، ١٣٧.

* * *

الأنباط

قبائل بدوية في الصحراء الواقعة شرقي ما يسمى اليوم بشرق الأردن، ظهروا لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد. وفي القرن الرابع قبل الميلاد كانوا قوماً رحَّلاً يعيشون في الخيام ويتكلمون العربية ولا يهتمون بالزراعة. وفي القرن الثالث ق.م. تركوا حياة التنقُّل إلى حياة الاستقرار وعملوا بالزراعة والتجارة. وأول تاريخ ثابت للأنباط يرجع إلى سنة ٣١٢ق.م، حين صدُّوا حملتين عن سوريا بقيادة أنتيغوس، أحد خلفاء الإسكندر، وكانت عاصمتهم البتراء. ووسع الأنباط سلطتهم ومراكزهم إلى المنطقة الشمالية المجاورة، حيث أعادوا بناء المدن الأدومية والمؤابية القديمة.

وبدأ عهد ملوك الأنباط منذ سنة ١٦٩ق.م، ومنهم الحارث (أرثياس) الذي تحالف مع ملوك سوريا السلوقيين ثم أصبح منافساً لهم. وساعد الحارث الثاني (إيروتيموس ١١٠ ـ ٩٦ق.م.) غزة حين حاصرها إسكندر جنايوس الموكابي سنة ٩٦ق.م. وانتصر خلفه عبيدة (أوبوداس الأول) على جنايوس. واستغل عبيدة وخَلَفه الحارث الثالث (٨٧ ـ ٦٢ق.م.) انحطاط جيرانهما السلوقيين والبطالمة فوسَّعا الحدود العربية إلى الشمال. وكان الحارث هذا أول من سك النقود النبطية التي اقتبس لها النموذج المعروف عند البطالمة. ويمثل مالكومالكوس الأول (٥٠ ـ ٢٨ق.م.) عصر الأنباط الذهبي الذي انتهى بموته. وبلغت مملكتهم ذروتها في عهد الحارث الرابع (٩ق.م.ـ ٤٠م) الذي تابع نشر الحضارة الرومانية. وكانت مملكة الأنباط تضم في أقصى اتساعها جنوب فلسطين وشرقي الأردن وسوريا الجنوبية الشرقية وشمالي الجزيرة العربية، وكانت حضارة الأنباط عربية في لغتها، آرامية في كتابتها، سامية في ديانتها، ويونانية رومانية في فنها وهندستها المعمارية.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٢٢.

* * *

إنجيل

لفظة دخيلة إلى العربية ذات أصل يوناني؛ «أونجيليون» ومعناها «الخبر الطيب»، أو «النبأ المفرح» أي: البشارة.

وهذه البشارة على ما لها من أهمية، وعلى ما تحمله من رجاء بالخلاص، ومع أن الذي حملها إلينا هو المسيح عليه السلام، فبشرنا بها بنفسه (مر، ١٤:١) كما بشر بها، مع المسيح وبعده، تلاميذه وحواريوه الذين أرسلهم إلى الناس مبشرين (أع ١٠:١٦)، وعلى ما للإنجيل من قدسيّة لما يحمله من أقوال المسيح ومواعظه، ومن أخبار تحيط بعجائب قام بها، مظهراً مجد الرب، ومحققاً مشيئته، ومع أن المسيح الذي بشر بالإنجيل.. والذي هو موضوع الإنجيل الأول، هو كلمة الله، فإن الكنيسة (جماعة المؤمنين بالمسيح وتعاليمه) لا تعتبر الإنجيل كتاباً منزلاً، إنما هو كتاب مقدَّس وضعه أبرار قدِّيسون بإلهام من الروح القدس، وهو منبع العقيدة المسيحية، ودستور العبادة وليس مصدر تشريع اجتماعي متكامل. وما يصادفه القارىء من آيات إنجيلية ذات طابع تشريعي أرضي، إنما هي في الغالب تذكير ببعض ما جاء في العهد القديم من تنظيم وتشريعات، أو تكملة لها وشروح.

وتطلق على الإنجيل تسميات شتى هي في حقيقتها نعوت وصفات أطلقها الرسل والمبشرون والمؤمنون الأوائل، إعراباً عما رأوه في الإنجيل من آيات، وعما كان له في نفوسهم من مكانة. فهو، مجازاً مرسلاً، «العهد الجديد» قياساً إلى التوراة، التي هي «العهد القديم»، وهو «إنجيل الله» (رومية، ١:١) و«إنجيل المسيح» (مر، ١:١)، و«إنجيل نعمة الله» (أع، ٢٤:٢) و«إنجيل السلام» (أفسس، ١٥:٦) و«إنجيل مجد المسيح» (كو ٤:٢) و«إنجيل الملكوت» أو «بشارة الملكوت» (متى ٤ :٢٣).

والأناجيل الأربعة، جزء من العهد الجديد الذي يشتمل على أجزاء ثلاثة إلى جانب الأناجيل، وهي:

١ ـ «أعمال الرسل» ويتضمن سيرة المسيحية في أيامها الأولى، من القيامة وحتى نهاية تبشير بولس الرسول.

٢ ـ «الرسائل» وهي إحدى وعشرون رسالة توجه بها المبشرون والرسل، وعلى رأسهم القديس بولس، إلى المؤمنين، محاولين فيها نقل المسيحية من المبادىء والعقائد إلى حيز الممارسة اليومية، وتطبيق تعاليم الكنيسة في معالجة المشكلات التي واجهتها جماعة المؤمنين في عهود المسيحية الأولى.

٣ ـ «رؤيا يوحنا» وهو السفر الوحيد الذي يتضمن النبوءات والرؤى التي رافقت انتشار المسيحية في أيامها الأولى (دائرة المعارف البريطانية، ج/ ٢، ص ٩٣٨).

وباختصار شديد نقول: الإنجيل كتاب مقدس يتضمن سيرة المسيح على الأرض وأقواله، قام بكتابته غير واحد من تلاميذ المسيح والرسل، كلٌّ كما رأى وسمع وعاش وشهد، فجاءت الأناجيل غير موحدة الصوغ وإن كان الصحيح الموثوق منها موحد الجوهر والمضمون. وهناك بعض الأناجيل غير الموثوق بدقة مضامينها لعدم الثقة بنزاهة الذين كتبوها وجمعوا أخبارها، ولتباينها الجوهري مع الأناجيل الموثوق بها، ولتناقض واضح بين فصل فيها وفصل آخر، إن من حيث تناولها العقيدة، أم من حيث تناولها الأحداث والطقوس، ولتناقضها كذلك مع شخصية المسيح كما مثلتها لنا الأناجيل الأربعة الموثوق بها، والتي تعتمدها الكنيسة الجامعة، وترفض الأخذ بسواها. وهذه الأناجيل هي التي وضعها كل من: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وهؤلاء الأربعة من الرسل القديسين الذين لا يدانيهم شك ولا تجريح. وقد تسلمت الكنيسة هذه الأناجيل واتخذتها دستوراً تسير على هديه، وتعمل بوحي منه، لأنه يتضمن شهادة الرسل على حياة المسيح وتعاليمه.

مصادر الإنجيل:

استقى الإنجيليون الأربعة مادتهم مما سمعوه وعاينوه، ثم بالنقل عمن شاهد وسمع من الثقات. فمتّى ويوحنا رسولان تبعا يسوع ولازماه، ومن هنا كان ما دوَّناه مصحَّحاً لا شك فيه، لأنهما عايشا المسيح ونقلا عنه. أما مرقس، وقد كان رفيقاً لبطرس، فقد ضمَّن إنجيله ما بشر به بطرس عن المسيح. ولوقا يشير إلى أنه استقى مادة إنجيله من شهود عيان (لو، ١:١ ـ ٤). وهناك فريق من النقاد يسمون «نقاد الشكل» يؤكدون أن مادة الأناجيل تنوقلت أول الأمر شفاهاً، ثم أخذها الإنجيليون ودوَّنوها. ومرقس هو أول المدوِّنين ثم تلاه متى، ولوقا، ويوحنا. ويعتمد بعض الدارسين في ترجيح كتابة الأناجيل المبكرة على وجود بعض البقايا الآرامية في الأناجيل، كما يتخذون من هذه الظاهرة دليلاً أيضاً على صحة الأناجيل وصدقها وبخاصة أن المسيح تكلم الآرامية واتخذها لغة خاطب بها المؤمنين.

أما مصادرنا نحن، فنميز فيها بين نوعين من المخطوطات:

الأول: مخطوطات متفرقة غير كاملة، وهي الأقدم تاريخياً، والأقرب إلى الحقبة التي عاشها واضعوها.

الثاني: المخطوطات الكاملة، وأقدمها يرقى إلى منتصف القرن الرابع الميلادي، كالمخطوطات «السينائية» التي وجدت في دير القديسة «كاترينا»، والمخطوطات «الإسكندرانية»، التي تعود إلى القرن الخامس، وموجودة في المتحف البريطاني، و«الفاتيكانية» التي تعود إلى القرن الرابع وقد نسخت في مصر، وهي موجودة في مكتبة الفاتيكان منذ ١٤٧٥م، وإلى جانب هذه المخطوطات المصادر، هناك ما أتى لاحقاً لها، وينتمي إلى القرنين السادس والسابع، وقد كتب بلغات عدة كالسريانية، والحبشية، والقبطية، واللاتينية، والأرمنية وسواها.

لغة الإنجيل:

دُوِّنت معظم أسفار العهد الجديد باليونانية، حتى أن بعضهم يقول: «إن الإنجيل كتاب يوناني من أوله حتى آخره»، ومثل هذا الزعم لا يخلو من مبالغة وتعميم، إذ المرجح أن لغة بعض الأناجيل كانت الآرامية.

أما السبب في اتخاذ اليونانية لغة في بعض الأناجيل فعائد إلى انتشار اليونانية في تلك المناطق

منذ الفتح الإسكندري (٣٣٦ ـ ٣٢٣ق.م.) وبخاصة في سوريا، وآسيا الصغرى، ومصر أيام البطالسة.

غير أن انتشار المسيحية وخروجها من فلسطين إلى الأقطار الأخرى دفع إلى ترجمة الأناجيل إلى اللغات التي كانت سائدة في تلك المناطق، كالسريانية والقبطية، والحبشية، واللاتينية، والأرمنية، والعربية وسواها.

والإنجيل اليوم يقرأ بألفين ومئة وسبع وستين لغة ولهجة محلية (بحسب إحصاء ٣١ كانون الأول ١٩٩٦م)، وإذا استثنينا المحكيات ولهجاتها، ربما وقعنا على رقم معقول وهو ألف وثمانمئة وستون لغةً تقريباً.

الإنجيل بالعربية:

يصعب التحديد على وجه الدقة متى تمت أول ترجمة للإنجيل إلى العربية وأين؟ غير أن هناك من يرجح أن أول ترجمة إلى العربية تمت أيام المأمون العباسي (٨١٣ ـ ٨٣٣م) قام بها أحمد بن عبد الله ابن سلام، ومنهم من يعيدها إلى ما قبل ذلك، إلى أوائل القرن الثامن الميلادي على يد أحد الأساقفة الأسبان واسمه يوحنا، وقد نقلها عن اللاتينية إلى العربية. والمرجح أن الترجمات العربية في معظمها منقولة عن اليونانية أو عن السريانية. وهناك ترجمة عربية مأخوذة عن الترجمة القبطية، موجودة في مكتبة الفاتيكان، النص فيها باللغتين القبطية والعربية، وقد تأثرت بها كل الترجمات التي تلتها...

وأهم الترجمات العربية ترجمة ابن العسال، الأسعد هبة الله، المحفوظة بالمتحف البريطاني.

الأناجيل المنحولة «Apokryphos»:

من الطبيعي أن يلم التحريف بالآثار المتناقلة شفاهاً، دينية كانت تلك الآثار أم غير دينية، فكيف إذا كانت تلك الآثار المتناقلة تتضمن عقائد الناس الذين يتناقلونها وعباداتهم، وإذا كانت حياة تلك الجماعات قد عرفت الكثير من الاضطهادات والتنكيل؟! وهذا ما لحق بالأناجيل نتيجة الاضطهادات التي رافقت انتشار المسيحية، ونتيجة التكتم والسرية اللذين رافقا جماعات المؤمنين الهاربين من جور الأباطرة الظالمين. فكان أن ألم التحريف ببعض الأناجيل نتيجة ذلك، ونتيجة ظهور بعض البدع والهرطقات التي حاولت التحريف والتأويل لتجد في الإنجيل دعماً لمواقفها المتطرفة. فعرفت بعض هذه الأسفار التي داخلها التحريف بالـ: «Apocryphos»؛ أي الأناجيل المنحولة.

ويربو عدد هذه الأناجيل المنحولة [بحدود علمنا] على العشرين، والمشهور منها لا يزيد على العشرة، وهي:

١ ـ إنجيل يعقوب الأول، القرن الثاني.

٢ ـ إنجيل متى المنحول (إنجيل العبرانيين)، وقد كتب بالآرامية ولكن بحروف عبرية، وقد يكون هو إنجيل متى الذي ذهب محمد فريد وجدي إلى أنه مكتوب بالعبرية. (دائرة معارف القرن العشرين، ج/١، ٦٥٥).

٣ ـ إنجيل توما، القرن الخامس، وهو متأثر بإنجيل يعقوب.

٤ ـ إنجيل بطرس، قبل سنة ١٥٠م.

٥ ـ إنجيل نيقوديموس، القرن الرابع.

٦ ـ إنجيل توما، بين ١٤٠ ـ ١٥٠.

٧ ـ إنجيل الحقيقة، قبل ١٨٠.

٨ ـ إنجيل فيليبس، القرن الثاني.

٩ ـ إنجيل جمبئيل، ضد اليهود الكافرين بالمسيح.

١٠ ـ إنجيل برنابا، وهو أحدث الأناجيل المنحولة لم يرد ذكره بينها قبل القرن السابع عشر، واضعه في الأرجح يهودي إيطالي...

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الأسفار المنحولة تظل من نتاج الفكر الديني الذي كان سائداً في عهود المسيحية الأولى، وهي مع ما يحاوله

أصحابها من تسلح بالمنطق والحجة، ومع ما يمكن أن يقدمه لها صوغها الفني في بعض الحالات من شفاعة، تظل، وإن أدخلت الأدب المسيحي، بعيدة عن أن تصنف في حقل الكتب التاريخية اللاهوتية، لما يشوبها من مبالغات وخوارق تكاد تجعلها إلى الأسطورة أقرب منها إلى الكتب الدينية العقائدية الرصينة.

أسعد السكاف

المراجع: ١٤٦، ١٧٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٤٠٦، ٤٢٦، ٤٣٨، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٢٦، ٦٣٠.

* * *

الأندلس، (فتح)

بدأ افتتاح المسلمين لشبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا) في سنة ٩٢هـ/ ٧١١م، وفي أقل من خمس سنوات حلُّوا محل القوط وسيطروا على معظم شبه الجزيرة تقريباً. ففي أوائل عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ/ ٧١٥م) تولى موسى بن نصير، الذي بنى مدينة ترشيش (وهي تونس اليوم)، حكم المغرب خلفاً لحسان بن النعمان الغساني، الذي عُزِل لخلاف بينه وبين والي مصر. وقد ثار البربر مع بداية حكم موسى بن نصير، ولكنه قمع ثورتهم وافتتح طنجة التي اعتصم بها آخر فلولهم، وولى عليها طارق بن زياد. وانتهج موسى بن نصير سياسة حكيمة لوقف انتفاضات البربر وثوراتهم المتكررة، وهي أسلمة البلاد (إدخالها في الإسلام)، ونجح في استمالة البربر إلى الإسلام وانخرط منهم الآلاف في جيشه. وأنشأ أسطولاً ضخماً لحماية الثغور من هجمات الروم، وبدأ بمهاجمة الجزر والقواعد البحرية قبالة الساحل الإفريقي، فغزا جزر البليار، وهاجم صقلية وسردينيا ودمَّر الكثير من قواعد الروم في تلك الجزر، وأخضع ساحل شمالي إفريقيا كله لسلطان المسلمين، ولم يبقَ خارج نفوذه سوى ثغر سبتة، شرقي طنجة، إذ كانت حصينة، وكانت تابعة لملوك القوط الغربيين حكام إسبانيا يعينون عليها حكامها. ولكن سبتة ما لبثت أن خضعت لموسى بن نصير صلحاً، بعدما فاوضه حاكمها المسمَّى يوليان على الصلح، وعرض عليه أن يساعده على حرب أمبراطور إسبانيا المدعو رودريك، ويسميه المسلمون لذريق. واستشار موسى بن نصير الخليفة الوليد بن عبد الملك في هذا العرض، فوافق ونبَّه موسى إلى أهمية أخذ الحذر والاحتياط، خشية أن يكون في الأمر خدعة.

وحين عبر طارق بن زياد بحر الزقاق الذي عرف باسمه، مضيق جبل طارق، عام ٩٢هـ/ ٧١١م أرسى سفنه عند صخرة الأسد التي تعرف الآن باسم جبل طارق، ثم أخذ في التقدم إلى الداخل حتى وصل بحيرة لاينده. وعندما علم بحشود أمبراطور القوط رودريك لملاقاته، طلب المدد من موسى بن نصير فأمده بسفن وخمسة آلاف جندي ليبلغ جيشه اثني عشر ألفاً، وانضم إليه يوليان حاكم سبتة في قوة صغيرة، وكان جيش القوط ضعف هذا العدد.

وقد التقى الجيشان في وادي لكة، أو شذونة، في أواخر رمضان من عام ٩٢هـ (تموز/ يوليو ٧١١م)، ودارت المعركة الفاصلة على مدى ثمانية أيام، وهُزِم القوط، وهرب الملك رودريك، الذي يذكرون ـ لإيجاد العذر له ـ أن بعض جيشه خانه، لكن الأوضاع العامة المتردية للمملكة الإسبانية هي التي تفسِّر هزيمته ومصرعه وتفسِّر سرعة الفتح الذي تم بعدها.

فقد تتبع طارق القوط، وحال بينهم وبين الاجتماع مرة أخرى، وتقدم إلى الداخل بعد تقسيم جيشه إلى أربع فرق، احتلت إحداها مدينة قرطبة، واحتلت الثانية غرناطة، واحتلت الثالثة مالقة، واحتلت الفرقة الرابعة، بقيادة طارق نفسه، مدينة طليطلة عاصمة القوط. كما تتبَّع حامية العاصمة

التي فرّت إلى مدينة المائدة ففتحها واستولى على كنوز طليطلة المخبأة بها. وبهذا كانت معركة وادي لكة مفتاحاً لفتح بلاد الأندلس (إسبانيا). وقد أراد موسى بن نصير أن يكون له شرف فتح الأندلس ونيل نصيب من غنائمها، لذا طلب من طارق التوقف عن الزحف، ولكن طارقاً رأى أن من الحكمة العسكرية الاستمرار في الغزو، ولم يرَ موسى بداً من اللحاق بالأندلس. فبدأ زحفه، بجيش من ١٨ ألف جندي سنة ٩٣هـ/ ٧١٢م، فاستولى على مدينة شذونة ثم قرمونة ثم أشبيليا عاصمة الرومان القديمة وأعظم مدن إسبانيا، ثم ماردة، والتقى بطارق بن زياد ونزلا معاً في طليطلة. وعاقب موسى طارقاً وسجنه، وتدخل الخليفة لإطلاقه. ثم سارا لفتح شمالي الأندلس مثل أرغونة وقشتالة وكتالونيا وسرقسطة وبرشلونة حتى بلغا جبال البرانس، فتم بذلك فتح الأندلس ما عدا الأقاليم الجبلية في الشمال الغربي التي لجأ إليها أشراف القوط.

كان من نتائج هذا الفتح أن صار حوالي ثلثي شبه الجزيرة الإيبيرية قطعة من الولاية الإفريقية المغربية، وتدفقت إليها جموع مهاجرة من العرب والبربر تابعت الفتح شمالاً، في حين استُدعي موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى الشام ولم يعرف مصيرهما في خريف سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ١٢٢، ١٥٢، ٤٢٤.

* * *

الأنس

خلاف الوحشة، وأنِسْت بفلان أي فرحت به، وأنّسته إذا أحسسته ووجدته في نفسك. واستأنست: استعلمت. والإيناس هو الإبصار. والأنيس هو المؤانس الذي به تذهب الوحشة.

وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في الآية: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء/ ٦]، والخطاب موجه إلى الوصي على الأيتام بأن واجبه أن يختبرهم، فإذا علم منهم الرشاد والقدرة يسلمهم أموالهم. ومعنى آنستم هنا: أبصرتم ورأيتم أو علمتم.

ووردت في سورة طه: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [طه/ ١٠]، أي: أبصرت. والنار هنا أتت لتحل مشكلة لموسى عليه السلام وقومه في ليلة باردة حيث جاء قول الله تعالى بلسان موسى عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه/ ١٠]. وهكذا يكون الإبصار قد ترافق مع الفرحة والارتياح لما أبصر.

وجاء عند الكلاباذي: سئل الجُنَيْد عن الأنس ما هو؟ فقال: الأنس: ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة، ومعنى ارتفاع الحشمة: أن يكون الرجاء أغلب عليه من الخوف.

وسئل ذو النون المصري عن الأنس فقال: هو انبساط المحب إلى المحبوب.

وسئل إبراهيم المارستاني عن الأنس، فقال: هو فرح القلب بالمحبوب.

وقال بعضهم: الأنس هو أن يستأنس بالأذكار فيغيب به عن رؤية الأغيار.

والأنس حال عند الصوفية إيجابي الطابع لأنه يزيل الوحشة والشعور بالغربة.

والأنس مع الله تعالى هو أول باب المحبة لأنه يعني أن الخوف قد انتفى، وأن خشية المكروه ودخول الشيطان في الطريق قد انمحت، وأن الأنس بالأهل والبشر قد حلَّ محله الأنس بالله تعالى.

والأنس يرتبط عند الذاكر المتقرب إلى الله تعالى بالهيبة والإحساس بجلال الله تعالى، والجلال من وجوه معاني الجمال الإلّهي، ومتى تداخل الجلال مع الجمال تولدت عنهما الهيبة، ومعها يحصل الأنس فيشعر العبد بالاطمئنان في حمى الخالق سبحانه، وبذلك يبلغ مرتبة اليقين.

كل متبصر متدبر لكتاب الله وملتزم بالشريعة وسالك لطريق الولاية ومداوم على ذكر الله والإحساس بالهيبة والجلال الإلّهي يصل إلى الأنس وتزول عنه الوساوس وكل أشكال الخوف، وتنفسح أمامه مساحة الأمل والرجاء، ولا يكون عنده محل لليأس أو القنوط، وبذلك يكون الأنس بالله تعالى مطلب كل مؤمن وليس مخصوصاً بالصوفيين فقط، وإن كانوا هم الذين يركزون عليه.

وتذكر كتب الصوفية شعراً لِرُوَيْم فيه:

شغلت قلبي بما لديك فما ينفك طول الحياة من فكري
آنستني منك الوداد وقد أوحشتني من جميع ذا البشر
ذكر لي مؤنس يعارضني يوعدني عنك منك بالظفر
وحيث ما كنت يا مدى هممي فأنت مني بموضع النظر

ولعل البيت الأخير جاء بإعلان الالتزام من قبل الشاعر بالحديث الشريف الذي جاء فيه: ما الإحسان يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك).

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧١، ١٩٧، ٢٢١، ٤٤١.

* * *

أنغليكان

إن تعبير «أنكليكان» يطلق على أتباع «الكنيسة الأنغليكانية» التي تسمى أيضاً «كنيسة إنكلترة» والتي هي كنيسة وطنية لها أتباع خارج حدود إنكلترة من جنسيات مختلفة، وينتظمون في أبرشيات لكل منها أسقف وقسس يعاونونه، مرجعهم الأعلى هو السلطة الكنسية في البلد الأم.

نشأت هذه الكنيسة عندما انفصل الملك هنري الثامن عن الكنيسة الكاثوليكية (حوالي ١٥٣٢ ـ ١٥٣٤م) عندما رفض البابا إعطاءه الطلاق من امرأة بغية الزواج من أخرى. عندها نادى به البرلمان «الرئيس الأعلى للكنيسة الإنكليزية»، مؤسساً بذلك القاعدة التي ما زالت متبعة حتى اليوم لجهة كون ملك أو ملكة إنكلترة رئيس الكنيسة الأنكليكانية. وقد ظلّت هذه الكنيسة كاثوليكية الطابع والمظهر إلى أيام الملك إدوار السادس الذي أمر بإصدار كتاب الصلوات الخاص بها عام ١٥٤٩م، والذي ظهر في طبعته الثانية عام ١٥٥٢م أكثر ميلاً إلى البروتستانتية. هذا التيار قوي إبان حكم الملكة إليزابيث الأولى والملك يعقوب الأول اللذين قاوما محاولات إحياء التوجه الكاثوليكي للكنيسة الأنغليكانية.

إن هذين الاتجاهين، أي الكثلكة والبروتستانتية ما زالا حيين داخل الكنيسة الأنغليكانية، وهما يتسببان ببعض التأزم بن أتباع هذا أو ذاك مما يجعل الشكلين يتعايشان داخلها.

إن هذه الكنيسة تضم ٤٤ أبرشية في مقاطعتين داخل إنكلترة وهما كانتربري ويورك، وتضم كل منهما رعايا يخدم كل منها كاهن أو قس.

كما أن للكنيسة جمعيات ومؤسسات ولها علاقة حميمة مع كنيستي ويلز وسكوتلندة. هذا، ويعتبر رئيس أساقفة كانتربري رئيس المجمع الذي يضم كل أساقفة الكنيسة.

بولس وهبة

المراجع: ٥٩٧، ٦١٤.

* * *

الأنفال

مفردها نفل وتجمع على نوافل وأنفال.

النفل نوع من النبات، والنفل كلمة تدل على الزيادة، ولهذا سميت الغنيمة نفلاً لأنه زيادة على ما هو المقصود من شرعية الجهاد، وهو إعلاء

كلمة الله وقهر أعدائه.

وفي الشرع: النفل اسم لما شرع زيادة على الفرائض والواجبات وهو المسمَّى بالمندوب والمستحب والتطوع.

وعند علماء اللغة: النفل الغنيمة والهبة. والنفل الزيادة على الواجب، كما أن ولد الولد (الحفيد أو السبط) يسمى نفلاً لأنه زيادة على الولد.

ففي الآية الكريمة قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء/ ٧٢]. وفي التطوع زيادة على الواجب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء/ ٧٩] ويقال: رجل نوفل للكثير العطاء.

أما الأنفال بمعنى الغنائم فقد جاءت في سورة تحمل الاسم، هي من السور السبع الطوال هي سورة «الأنفال»؛ والآية الأولى من هذه السورة فيها قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال/ ١].

لقد سألوا عن الأنفال لأنها كانت حراماً على من كان قبل المسلمين فأحلَّها الله تعالى لهم. وقال ابن منظور: سميت الغنائم أنفالاً لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحلّ لهم الغنائم.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧٢، ١٩٧، ٤٤١، ٥١٤.

* * *

أهل البيت

أهل البيت: سكانه، وأهل بيت الرجل: أخصُّ الناس به. وأهل بيت النبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره؛ أي علي كرم الله وجهه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

وقال الزجَّاج: قيل: يراد به نساء النبي ﷺ. وقيل: يراد به نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته. وردَّ جماعة بأنه لو كان المقصود نساءه لكان النص في ﴿عَنكُمُ﴾ و ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ ورد «عنكن» و «يطهركن» بصيغة التأنيث.

وقال الكلبي: أهل البيت هم: عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال عن هذه الآية: نزلت في خمسة: فيَّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين.

وقد أخرج الترمذي وغيره عن أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: نزلت هذه الآية في بيتي، فدعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فدخل معهم تحت كساء خيبري، وقال: (اللهم أذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً).

ومن الناس من توسع في إطلاق التعبير فقال: أهل بيت النبي ﷺ هم بنو هاشم عامة، وهذا يدل على أن أهل البيت يراد بهم النسب.

وأهل البيت تقال: آل البيت، ويبقى المعنى نفسه. فآل الرجل أهله. وآل الله وآل رسوله: أولياؤه.

وأصلها لغة: أهل أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأْل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً فأصبحت: آل.

والمشهور أن تعبير آل البيت أو أهل البيت بات تعبيراً ذا دلالة مخصوصة فالمقصود به آل أو أهل بيت رسول الله ﷺ.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٢٠٤، ٤٤١.

* * *

أهل الحقيقة

مصطلح يطلقه علماء التصوُّف على من تحصَّل شرح الصدر بعد سلوك طريق الولاية من خلال التصوف، ويمقابلهم هناك الفقهاء ويسمونهم: علماء الشريعة.

وعند الصوفيين: إن الفقهاء أهل حكومة الظاهر،

إذ دورهم استنباط الأحكام وفق الأصول المبينة في النصوص، أما أهل الحقيقة فهم أهل حكومة الباطن الذين يسعون لتنوير القلوب بالعرفان.

وقد ميَّز الحكيم الترمذي بين أهل الحقيقة وأهل الشريعة حيث قال: وليس كل من يكون فقيهاً في الفروع فقيهاً في الأصول، لأن الفقه في علم الأحكام كثير، وهو فقيه بالتفقه وهو حامل الفقه والعلم، والفقه اسم للعلم يعبَّر بهذه اللفظة عنه، يقال فلان يتفقه ويتعلم، وأما الفقه في الحقيقة فهو فقه القلب، كما قال رسول الله ﷺ: (ربَّ حامل فقهٍ لا فقه له، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

إن استنباط الفقيه في الأحكام هو استنباط المسائل على موافقة السنة وإقامة الشريعة، وأما استنباط الفقيه في باطن العلوم فهو استنباط الخواطر على موافقة الحقيقة.

وفي الحديث الشريف: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله). وفي حديث آخر: (إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضلَّ).

الحقيقة النورانية يستنير بها الفؤاد بفضل ونعمة من الله تعالى، تتحصل لمن طلبوا القرب فداوموا على الذكر والطاعات، وبذلك صفت قلوبهم ونفوسهم وتجهزوا كي يحصل لهم شرح الصدور لتكون لهم معارف لا تكون بالاكتساب ونظم البراهين والأدلة. والعارف من أهل الصور الحقيقية هو من يشغله علم الله تعالى عن جميع الأسباب.

وأهل الحقيقة يسمون علمهم: العلم اللَّدنيَّ، والذي ورد في النص القرآني عندما ذكرت حكاية العبد الصالح الذي التقاه موسى عليه السلام عند مجمع البحرين. قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف/٦٥]، وهذه العلوم النورانية لا تقبل إلا إذا وافقت الكتاب والسنَّة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٩، ١٠٨، ٢١٨.

أهل الحل والعقد

هم أعيان المجتمع، وأهل الرأي والكفاءة والخبرة في الأمة الذين يشهد لهم الناس بالعدالة والأخلاق والاستقامة والتزام المصلحة العامة.

إن اختيار الحاكم وإدارة شؤون البلاد يحتاج لمن يتولى هذه المهمة، وهؤلاء الذين اصطلح على تسميتهم أهل العقد والحل.

والمصطلح لم يرد تحديد دقيق له في القرآن والسنَّة، ولذلك تنوعت الآراء في تحديد من هم أهل العقد والحل؟ والماوردي في «الأحكام السلطانية» سمّاهم أهل الاختيار وحدد لهم الشروط التالية:

أحدها: العدالة الجامعة لشروطها.

والثاني: العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها.

والثالث: الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح، وبتدبير المصالح أقوم وأعرف.

وأبو يعلى الفرّاء الحنبلي قال الأمر نفسه في «الأحكام السلطانية»، وعنده أن شروط أهل الاختيار هي:

أحدها: العدالة.

والثاني: العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة.

والثالث: أن يكون من أهل الرأي والتدبير المؤديين إلى اختيار من هو للإمامة أصلح.

والدكتور عبد الحميد إسماعيل الأنصاري يناقش الموضوع ويخلص إلى القول: «ومما سبق نستطيع أن نقرر الآتي:

١ - إن المصطلحات التالية (أهل الشورى)، (أهل الحل والعقد)، (أهل الاختيار)، (أهل الاجتهاد)، عند علماء السياسة الشرعية تؤدي إلى معنى واحد.

٢ ـ إن المقصود بأهل العقد والحل عند علماء السياسة الشرعية، هم زعماء الأمة وأهل المكانة فيها، وقد عرفوا بالخبرة في شؤونها والمعرفة بسياستها، فنالوا رضى وثقة السواد الأعظم فيها».

ويقول الدكتور منير العجلاني: «كل مسلم جمع صفات العدالة والعلم والرأي أهل للاختيار».

إن شؤون العصر السياسي، وتشابك المصالح في داخل الأوطان، كما في العلاقات الدولية، لم يعد يسمح بتبسيط المصطلح والشروط، ولا بد أن يكون أهل العقد والحل هذه الأيام عدداً كبيراً من أهل الأمة منضوين في مؤسسات توظف طاقاتهم في إطار الاختيار والمحاسبة، وليس الاختيار فقط.

يقول فوزي خليل، الذي بحث هذا الموضوع في رسالة جامعية تدور حول «أهل العقد والحل»: «إنه جاء وليد التنظير لتجربة الخلافة الراشدة في نقل السلطة حيث أُطلق على الجماعة التي تختار الإمام من بين المرشحين والعقد له، ثم مراقبته في الممارسة، حتى إذا خرج عن الشرعية تعيَّن عليهم محاسبته وعزله، واقتصر استخدام المصطلح في هذا النطاق الوظيفي مع اختلاطه وتشابكه مع عدد من المفاهيم الأخرى التي ترتبط به.

أما استخدام المصطلح في الفقه السياسي الحديث فقد انتهى إلى توسيع النطاق الوظيفي للمفهوم بحيث يضم العناصر الفاعلة في النموذج الإسلامي لنظام الحكم، والتي تقوم على مصالح الأمة، بحيث يرقى المفهوم إلى اشتماله على الجماعة التي تقوم بجميع الواجبات التي يتعيَّن على النموذج الإسلامي لنظام الحكم أن ينهض بها في حياة الأمة وواقعها تجسيداً لمقاصد الشريعة الإسلامية».

وإذا كان الكلام لا يزال عاماً، فإن بعضهم ناقش موضوع «البرلمانات» وهل هي في مقام أهل العقد والحل؟ وحصل خلاف حول ذلك لما قد يداخل انتخاب البرلمانات من غش وخداع ورشوة وتزوير وما يشبه ذلك.

لذا، فإن توفير مناخ الحرية مرتكز أساسي يساعد على أن يمارس أهل العقد والحل صلاحياتهم وأدوارهم بتجرد وموضوعية ودقة بعيداً عن الضغوطات والمصالح الذاتية.

ثُمَّ بالنسبة لأهل العقد والحل اليوم فإنهم يتوزعون في قطاعات عديدة قد تشكل البرلمانات أحدها، لكن منهم كذلك العلماء وقادة النقابات ورؤساء المؤسسات، وكل مسؤولي مؤسسات المجتمع المدني، لأن هؤلاء جميعاً أهل رأي وكفاية وشركاء في قرار الأمة وشؤونها جميعاً، ومنهم كذلك أعضاء المجامع العلمية الفقهية والاقتصادية والإعلامية وما إلى ذلك.

نخلص إلى القول: إن الأمر يحتاج لمزيد من البحث والتتبع وصولاً إلى رؤية واضحة حوله.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤، ١٥، ٢٥٥، ٢٦٦، ٣٢٣، ٣٤٧.

* * *

أهل الرأي

هم أهل الفقه والاجتهاد الذين يحاولون استقراء النصوص لاستنباط الأحكام الشرعية منها. وكان الصحابة إذا لم يجدوا نصّاً في كتاب الله ولا في سنَّة نبيِّه لجأوا إلى الرأي والاجتهاد، مسترشدين بالقواعد العامَّة للدين، كقول رسول الله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)، وقوله أيضاً: (دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك).

وحِرصاً على هذا الدين فإنَّ التابعين والفقهاء ـ فيما بعد ـ ضيَّقوا دائرة الرأي، واشترطوا للمستنبط أن يعتمد أصلاً معيَّناً يرجع إليه في فتواه؛ وذلك الأصل، إمّا كتاب، وإمَّا سنَّة. وهذا هو (القياس) الذي اعتبروه أصلاً من أصول الشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة، والإجماع. وقد برعَ فيه فقهاء العراق، وفي مقدَّمهم الإمام أبو حنيفة النعمان وأصحابه الذين أخذوا الشهرة بأنهم (أهل الرأي).

واجتهاد الصحابة الذي ذكرناه آنفاً لا يعني القول بالرأي المجرَّد من الدليل، فهذا أمر مذموم عندهم، فإنَّه قد أُثر عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أنه قال: «أيُّ أرضٍ تُقلّني، وأيُّ سماءٍ تُظلّني إن قلت في كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم». وكان إذا اجتهد قال: «هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمنّي، وأستغفر الله». وأُثِر عن عمر رضي الله عنه، نحو ذلك، وأنه قال: «إيّاكم والرأي». وروي مثل هذا عن عثمان رضي الله عنه أيضاً. كما نُقل عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخفّ أولى بالمسح من أعلاه».

وإذا كان قد أُثر عن الصحابة ذمُّهم للرأي، فالمراد بذلك هو الرأي الباطل بأنواعه، كالرأي المخالف للنص، والكلام في الدين بالظنّ من غير تبصُّرٍ بالنصوص وتفهُّمٍ لها لاستنباط الأحكام منها، أو تحكيم الهوى فيما يستجدُّ من بدع. أمّا الرأي الذي يكون عن نظر في الأدلّة والاجتهاد في فهمها فهو الذي كان من الصحابة.

وقد سار عبد الله بن مسعود على طريقة عمر، وتأثَّر به في آرائه. وكان عمر قد أرسله إلى الكوفة ليعلِّم الناس هناك، فتوسَّعت دائرة الاجتهاد. ونهج تلاميذه من بعده على نهجه، فعُدَّت مدرسة ابن مسعود في العراق نواة لمدرسة (أهل الرأي)، وقد نُسب إليها بعض التابعين حتى قيل عن ربيعة بن عبد الرحمن (شيخ الإمام مالك) (ربيعة الرأي).

وقد تميَّز أهل الرأي بكثرة تفريعهم للقضايا التي تعرض لهم، إذ كانوا يقلّبون المسألة الواحدة على سائر وجوهها؛ وذلك استجابة لوقائع الحياة المتعددة في الحضارة الجديدة، خاصة في المدن. كما تميَّزوا بقلّة روايتهم للحديث، واشتراطهم لقبوله شروطاً قاسية، لا يسلم معها إلاّ القليل من الأحاديث الشريفة. فهم يتهيَّبون من الرواية عن رسول الله ﷺ، ولا يتهيَّبون من الرأي، وهم ـ بموقفهم هذا ـ على خلاف مع (أهل الحديث) الذين يرون أنَّ الشريعة أجلُّ وأرفع من أن تكون مجالاً لآراء أهل الرأي من العباد، لأنَّ الشريعة من الله، كتاباً وسنَّة، وما كان كذلك يكون أبعد من الخطأ والاختلاف، بينما الرأي من الإنسان، وهو عرضة لأن يخطيء وأن يصيب. وهنا يكون الاختلاف والفرقة، وقد نُهينا عنهما.

عِلماً أنَّ الناظر في مواقف المدرستين (أهل الرأي وأهل الحديث) معاً، يجد أنَّ إحداهما تكمل الأخرى، فجميعهم يستهدون بكتاب الله وسنَّة نبيِّه. فهذا الإمام أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ) كان يقول دوماً: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط». وفي مقام آخر يقول: «هذا رأيي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن فهو أولى بالصواب منّا». كما روي عن الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، قوله: «إذا وجدتم سنَّة من رسول الله خلاف قولي، فخذوا بالسنَّة ودعوا قولي».

نايف معروف

المراجع: ٥٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٥١، ٢٩٣.

* * *

أهل الكتاب

يكاد يتَّفق المفسِّرون على أنَّ أهل الكتاب الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم يشمل الناس المتمسِّكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، وتحديداً اليهود والنصارى والصابئة، مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة/ ٦٩].

واليهود ـ في الأصل ـ هم أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم. وقيل: جاءت تسميتهم من الهوادة وهي المودَّة أو التهوُّد وهو التوبة، كقول موسى عليه السلام: «إنَّا هُدنا إليك» أي تبنا، فكأنَّما سُمُّوا بذلك لتوبتهم ومودَّتهم في بعضهم لبعض. وقيل

أيضاً: سُمّوا بذلك لنسبتهم إلى (يهودا) أكبر أولاد يعقوب.

أمّا النصارى فقد سُمّوا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقيل: إنهم سُمّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضاً يُقال لها (الناصرة) في فلسطين.

أمّا الصابئة فقد اختلف العلماء بشأنهم، فقال مجاهد بن جَبْر (٢١هـ/ ٦٤٢م ـ ١٠٤هـ/ ٧٢٢م): الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين. [راجع الصابئة في موقع آخر من الموسوعة].

نايف معروف

المراجع: ١٧٤، ١٧٥، ١٩٣، ١٩٧، ٤٦٩.

* * *

أهل الكهف

يسن للمسلم أن يقرأ كل يوم جمعة سورة الكهف، وبذلك يتذكر قصة الفتية الذين آمنوا بالله تعالى وكفروا بكل ما دونه مما افتراه الناس على الله والدين، ويبين جهادهم بالكلمة، وتفضيلهم العزلة على ارتكاب المعصية. فمن هم أصحاب الكهف؟ وما هي قصتهم؟.

يقول تعالى في سورة الكهف: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا * نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ٩ ـ ١٣].

قال ابن كثير في قصتهم: «أما الكهف فهو الغار في الجبل، وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون. وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس: هو وادٍ قريب من أيلة. وقال الضحاك: أما الكهف فهو غار الوادي، والرقيم اسم الوادي. وقال مجاهد: الرقيم كتاب بنيانهم. ويقول بعضهم: هو الوادي الذي فيه كهفهم. وقال عبد الرزاق: أخبرنا الثوري عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ كان يزعم كعب أنها القرية. وقال سعيد بن جبير: الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه: أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف».

ومختصر القصة: أن فتية في زمن سابق وحّدوا الله تعالى وآمنوا به مخالفين قومهم وما كانوا عليه، فلما شعروا بالخطر يحيط بهم لجأوا إلى كهف وباتوا فيه مع كلب لهم، وجعلهم الله آية من آياته وحجة على الناس تبين قدرته، فناموا في كهفهم مدة ثلاثمائة وتسع سنوات وهي مدة لا ينامها الإنسان عادة، ثم بعثهم وقد تغير كل ما كانوا يعرفونه، فالناس غير الناس، والزمن غير الزمن. فلما أفاقوا من سباتهم واتصلوا بالناس، أخذ الجميع العبرة وفهموا الحجة، وتيقنوا قدرة الله تعالى، وكانت تجربة واقعية على الموت والنشور بالإضافة إلى الحِكَم الأخرى المترتبة على قصة الفتية المؤمنين. ثم توفاهم الله تعالى في نفس الكهف الذي شهد معجزة نومهم الطويل وحفظ الله لهم طوال تلك الفترة. واقترح بعض المؤمنين الذين رأوهم أن يبنوا مسجداً على الكهف المذكور. وفي سورة الكهف وتفسيرها مزيد إيضاح.

وقد أورد الرحالة الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٢/ ٨٠٣) قصة عجيبة فيهم، قال: «ووهم أهل الأندلس في أصحاب الرقيم حين زعموا أن أصحاب الكهف هم الشهداء الذين في مدينة لوشة. قال المؤلف: رأيت القوم في هذا الكهف عام ٥١٠هـ، فنزلنا إليهم على فم بئر عميقة نحواً من قامة وزائد، ثم مشينا فيه في سرب فيه ظلمة خطوات قلائل ثم اتسع الغار فألفينا هناك الموتى وهم رقود على جنوبهم وعددهم سبعة وعند أرجلهم كلب ملتوٍ وقد ذهب لحمه وجلده وبقيت عظامه في فقاراته كما هي في الحياة، ولا

يعلم أحد في أي زمن دخلوا هذا الكهف أو أدخلوا إليه».

ويؤكد الإدريسي خطأ الأندلسيين وأن الكهف المذكور في القرآن ما ذكره سابقاً (٢/ ٨٠٢) في رستاق بين عمورية ونيقية (بتركيا حالياً) في جبل يعلو أقل من ألف ذراع، وله سرب من وجه الأرض كالمدارج ينفذ إلى الموضع الذي فيه أصحاب الكهف.

وفي بلاد الشام أكثر من مسجد يدعي أهل كل منها أن مسجدهم هو مسجد أهل الكهف، ولا دليل لهم على دعواهم، والقرآن الكريم لم يحدد مكانهم ولم يطلب ذلك، لأن العبرة في القصة نفسها وليس في المكان.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٧٤، ١٩٧.

* * *

الأوتاد

الأوتاد في اللغة: ما ثبت به الشيء، ومفرده وتد. وعند علماء الصوفية: ورد تصنيفهم في المرتبة الثانية بعد الأئمة في أصحاب مراتب الولاية الذين يحصرهم عدد.

أحمد كفتارو

المراجع: ١٩٦، ٣٧٥.

* * *

أورشليم

الاسم من أصل كنعاني وهو «يروشالايم». والكلمة من مقطعين: أور، وشالم. أور: أي موضع أو مدينة. وشالم: اسم إله وثني عند الكنعانيين، وفي اختصاصات الآلهة عند الوثنيين، شالم هو إله السلام أو السلامة، من هنا عُرفت القدس باسم مدينة السلام.

وأورشليم سميت كذلك «يبوس» نسبة لسكانها من اليبوسيين في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد، وكان من أبرز أمرائهم سالم اليبوسي الذي أقام قصره على جبل صهيون في القدس حوالي عام ٢٥٠٠ق.م.

يؤكد ذلك ما جاء في سفر القضاة من العهد القديم، ومنه: «فلم يرضَ الرجل أن يبيت بل قام وانصرف حتى انتهى إلى مقابل يبوس التي هي أورشليم».

وسميت القدس، أي بلد الطهر، فالفعل تقدس معناه تطهر. وفيها مسجد بيت المقدس.

إذن المدينة هي: أورشليم أو يبوس أو القدس.

وقد سكنها الكنعانيون الوافدون من جزيرة العرب منذ الألف الخامس قبل الميلاد. ونصوص يهود في العهد القديم تقر بعروبة القدس. من ذلك ما جاء في سفر نبوءة حزقيال في قولهم: «وكانت إليَّ كلمة الرب قائلاً: يا ابن البشر أخبر أورشليم بأرجاسها، وقل هكذا قال السيِّد الرب لأورشليم معدنك ومولدك من أرض الكنعانيين وأبوك أموري وأمك حثية».

القدس عربية، ويهود عاشوا فيها مواطنين كالحال في أية مدينة حيث يعيش تنوع سكاني ليس له وحدة انتماء ديني أو عرقي. ولكن غير صحيح أن لليهود حقاً في القدس. وقد حكموا القدس مدة وجيزة قياساً على سيطرة العرب عليها هذه الحقبة هي مدة حكم داود وسليمان، وهذه المدة لا تتجاوز السبعين عاماً من حوالي سنة ١٠٣٠ق.م. إلى سنة ٩٦٠ق.م.

ومدينة القدس تهم كل مؤمن لأن في أرجائها ولد ودفن عدد كبير من الأنبياء، وهي عند المسيحيين تتمتع بمكانة دينية متميزة، وأبرز ما فيها كنيسة القديسة هيلانة أو كنيسة القيامة التي بنتها هيلانة أم قسطنطين الثاني وانتهى العمل فيها في ١٣ سبتمبر (أيلول) ٣٣٥ق.م.

وكما جاء عند القاضي مجير الدين الحنبلي:

«أوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء في بيت المقدس... وماتت مريم عليها السلام في بيت المقدس... وولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد في بيت المقدس، وأُنزلت عليه المائدة في أرض بيت المقدس. ورفعه الله إلى السماء من بيت المقدس».

ولأن أورشليم كانت هدفاً لدعوة السيد المسيح، وتطهيرها مما انتشر فيها من فساد كان من ضمن غاياته فقد احتلت مكاناً مميزاً بين الكنائس، هذا ما تمَّ التأكيد عليه في القانون (٧) من مجموعة الشرع الكنسي، وقد جاء عن ذلك ما يلي/ «ليكرم أسقف إيليا (أورشليم) دون أن تمسَّ حقوق المتروبوليت، لا غرابة في أن المدينة المقدسة يليق لها أن تتمتع بمركز خاص ممتاز بين الكنائس المسيحية».

وكذلك تتمتع القدس بمكانة مميزة عند المسلمين وفيها المسجد الأقصى الذي بارك الله تعالى حوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء/ ١].

وفي الحديث النبوي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)؛ أي مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة.

وفي حديث آخر عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أهلَّ بحجَّة أو عمرة من المسجد الأقصى غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه).

والمسجد الأقصى في القدس هو أول القبلتين وثالث الحرمين.

والقدس بعد الاحتلال الإسرائيلي لها في يونيو/ حزيران ١٩٦٧م تتعرض لعملية تهديد خطيرة تنفيذاً لما قاله تيودور هرتزل متوعداً بتغيير معالم المدينة، حيث صرح بما يلي: «إذا حصلنا يوماً على القدس، وكنت لا أزال حيّاً وقادراً على القيام بأي شيء فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها، وسوف أدمر آثارها التي مرت عليها القرون».

وفعلاً نفَّذ ذلك يهود بعد احتلال المدينة حيث دمروا، ولا يزالون، بعض أحياء المدينة، وبعض كنائسها وأديرتها ومساجدها وزواياها أو سرقوها، وأغرقوها بالمستعمرات بحيث بات يهود في القدس بنسبة أكثر من ٧٥ بالمئة ممن يسكنونها، هذا عدا عن التشويه المتعمد من خلال الحفريات أو الحرائق.

والقدس - أورشليم - ويبوس، اشتهرت زمن البيزنطيين باسم إيلياء أو إيليا كابيتولينا. وقد جاء عند ياقوت الحموي: أن إيلياء: اسم بيت المقدس؛ قيل: معناه بيت الله.

أسعد السحمراني

المراجع: ٦، ٨٣، ٤٥٦، ٤٨٧، ٥٥٠.

* * *

أيام التشريق = (انظر: الحج).

* * *

إيل، إيلوهيم، آدوناي، يهوه

أسماء وردت في نصوص العهد القديم، وتدلُّ على المعبود الخالق، وكان كل اسم منها يرمز إلى دلالة معينة.

إيل أكثر الأسماء انتشاراً في مختلف اللغات التي سادت المنطقة العربية، وعُرفت باسم اللغات السامية. فقد وردت في اللغات السريانية والآرامية والأكادية والبابلية تلفظ إلو (Ilu). وفي نصوص العهد القديم تستخدم لفظة «إيل» مفردة، وتستخدم كذلك مضافة إلى صفة؛ مثل: إيل عليون؛ أي: الله العلي. وقد تستخدم جزءاً من اسم، مثل: إليعازر؛ أي: الله قد أعان.

أما إيلوهيم فقد وردت في أسفار العهد القديم، وكان يشار بهذا الاسم إلى صفة الخالق العظيم للشعوب كافة، وأنه مطلق القدرة والقوة، وهي صفات عامة ليست مخصوصة لله تعالى فقط، وهو مصطلح عام يدلل على عظمة وسلطان الخالق حسب نصوص العهد القديم. ولفظة إيلوهيم تستخدم بصيغة الجمع هكذا على أنها للدلالة على «مفرد» تعبيراً عن الكمال في الطبيعة الإلّهية.

ويهوه عندهم اسم شخصي للخالق، ويشير إلى الإلّه القادر على كل شيء، وخالق الكون، وهذا الاسم عندهم أبلغه الرب لموسى عليه السلام وقت كان على جبل سيناء، وأبلغه أن هذا الاسم خاص لأتباعه، ولا يجوز الإكثار من استخدامه. وقد كتبوا في سفر الخروج: «وكلم الله موسى وقال له: أنا الرب، أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلّهاً قادراً على كل شيء، وأما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم». فيهوه هو إلّه تابوت العهد والرؤيا عند يهود، ولذلك لا يُكثرون من استخدام هذا الاسم.

لذلك برزت عندهم الحاجة إلى اسم آخر يستخدمونه بحرية وساعة يشاؤون فكان الاسم «آدوناي»، وآدوناي تستخدم لمخاطبة الخالق بوقار وخشوع.

و «أدون» أو «أدوناي» معناه: الرب، السيّد.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٥٠٦.

* * *

الإيلاء

الإيلاء في اللغة: الحلف، وهو يمين. وكان والظهار طلاقاً في الجاهلية، ويقصد به الإضرار بالزوجة، عن طريق الحلف بترك مقاربتها جنسياً سنة فأكثر، ثم جاء الشرع فغير حكمه، وجعله يميناً.

والأصل في تنظيم الإيلاء وحكمه، ما جاء في التنزيل العزيز: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٢٦، ٢٢٧].

وقد قرأ عبد الله بن مسعود: «آلوا من نسائهم»، وقرأ ابن عباس: «يقسمون من نسائهم» أي يبعدون من نسائهم مؤلين مقسمين.

والإيلاء حرام عند جمهور الفقهاء لما فيه من الإيذاء، ولأنه يمين على ترك واجب، وهو عند الحنفية مكروه. وقد تفاوت الفقهاء في مفهوم الإيلاء، وكذا الحكم الفقهي المترتب عليه.

أما عن المفهوم، فهو عند الحنفية: اللفظ الدال على منع النفس عن الجماع أربعة أشهر فصاعداً، مؤكداً باليمين بالله تعالى أو بصفاته، أو باليمين بالشرط والجزاء، أو بعبارة أخرى: بما يشق حصوله في حال ما إذا قارب زوجته جنسياً.

وهو عند المالكية: حلف زوج مسلم مكلف ممكن الوطء، بما يدل على ترك وطء زوجته غير المرضع، أكثر من أربعة أشهر، سواء كان الحلف بالله تعالى، أم بصفة من صفاته، أم بالطلاق، أم بمشي إلى الكعبة، أم بالتزام قربة.

وهو عند الشافعية: حلف زوج يصح طلاقه على الامتناع من وطء زوجته مطلقاً أو فوق أربعة أشهر، سواء كان حلفاً بالله تعالى أم بصفة من صفاته، أم باليمين بالطلاق.

وهو عند الحنابلة: حلف زوج يمكنه الجماع، بالله تعالى، أو بصفة من صفاته، على ترك وطء امرأته الممكن جماعها، ولو كان الحلف قبل الدخول، مطلقاً أو أكثر من أربعة أشهر، أو ينويها.

وأما عن الحكم الفقهي: فقد ذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة، إلى أنه إذا انقضت مدة أربعة أشهر، ورفعت الزوجة أمر زوجها المولي إلى القاضي، أمره بالمعاشرة الجنسية معها، فإن أبى أمره بالطلاق ولا تطلق زوجته بمضي المدة.

وذهب الحنفية والأوزاعي إلى أنه إذا مضت

المدة دون مقاربة جنسية زوجية، وقعت طلقة بائنة.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٦، ٢٦٨، ٤٢٠، ٤٢٨، ٤٤١، ٥١٠، ٥١٢، ٥٤١.

* * *

إيلوهيم

اسم من أسماء الله في العبرية، أُطلقت عليه في العهد القديم. وهذه اللفظة تستعمل في صيغة الجمع، جمع التفخيم والتعظيم مثل لفظة آدوناي مع إبداء الاحترام التام للألوهة. مفردها ألوها، وفي اللغة العربية إلاه، ومع ال التعريف تصبح ألله، وتصغيرها إيل. ولفظتا إيل وإيلوهيم كانتا تطلقان على الله كما على باقي الآلهة الوثنية لدى الشعوب السامية.

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٢/٤٥٦، ٤٩٩، ٥٠٥، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣.

* * *

أيوب (النبي) عليه السلام

الصبر على المكاره والبلاء أمر لا يقوى عليه إلا القلة النادرة، وقد مضى بين الناس مثل يضرب على كل صابر فيقال: صبر أيوب.

وأيوب الذي كان يعود إلى الله تعالى في أمره كله مستعيناً ومحتسباً جاء في الثناء عليه انطلاقاً من صبره قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص/٤٤].

وقد جاء «سفر أيوب» في العهد القديم يقص حكاية أيوب عليه السلام، وكيف كانت له الثروات ورغد العيش، ثمَّ كيف فَقَدَ كل ما عنده، وبعدها أصابه المرض وألحَّ عليه، ولم يكن هذا البلاء عقاباً على خطيئة، فهذه قاعدة ليست صحيحة، فأيوب بعيد عن الخطيئة، ولعل درس أيوب جعل قاعدة بعده بين الناس. إنها اعتبار البلاء بأنواعه اختباراً، وإن الصبر عليه سبيل الأجر والثواب، وإن الإنسان الثابت الإيمان مهما أصابه يبقى على إيمانه واتكاله على الله تعالى.

وفي الحديث النبوي: (إن نبي الله أيوب لبث في بلائه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان).

لقد أمر الله تعالى النبي محمداً ﷺ أن يذكر ويذكِّر بحال أيوب عليه السلام لتكون سيرته أساساً في تعوُّد الصبر والثبات على الإيمان الراسخ مع عظم البلاء، يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص/٤١].

وذهب بعض المفسرين أن النصب ما أصابه في بدنه حيث تفطر جلده من ثآليل وتساقط لحمه، والعذاب ما أصابه في ماله حيث فَقَدَ كل ما كان يملك.

وما دمنا في فضل المبتلي الصابر وثناء الله عليه حيث جاء قوله تعالى عن أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص/٤٤]. فأيوب توّاب مطيع وصابر على البلاء، والثناء على الصبر يقابله الثناء نفسه على الشكر.

سئل سفيان عن عبدين ابتُلي أحدهما فصبر، وأُنعم على الآخر فشكر؛ فقال: كلاهما سواء؛ لأن الله تعالى أثنى على عبدين، أحدهما صابر والآخر شاكر ثناءً واحداً؛ فقال في وصف أيوب: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص/٤٤].

وقال في وصف سليمان وقد أعطاه الكثير وسخر له الجن والطير والنمل وغيرها فشكر: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص/٣٠].

وقد اشتهر قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه: «لو كان الصبر والشكر بعيرين لا أبالي أيهما أركب».

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤.

الأيوبيون (الدولة الأيوبية)

١ - أيوبية مصر

من سنة ٥٦٩ - ٦٥٠هـ/ ١١٧٤ - ١٢٥٢م

٥٦٩هـ الناصر صلاح الدين يوسف (زمن الولاية) ١١٧٤م
٥٨٩هـ العزيز عماد الدين عثمان ١١٩٣م
٥٩٥هـ المنصور محمد ١١٩٨م
٥٩٦هـ العادل الأول سيف الدين أبو بكر ١١٩٩م
٦١٥هـ الكامل ناصر الدين محمد ١٢١٨م
٦٣٥هـ العادل الثاني سيف الدين أبو بكر ١٢٣٨م
٦٣٧هـ الصالح نجم الدين أيوب ١٢٤٠م
٦٤٧هـ المعظم توران شاه ١٢٤٩م
٦٤٨هـ شجرة الدر (زوجة الصالح نجم الدين أيوب) ١٢٥٠م
٦٤٨ - ٦٥٠هـ الأشرف مظفر الدين موسى ١٢٥٠ - ١٢٥٢م

٢ - أيوبية دمشق

من سنة ٥٨٩ - ٦٥٨هـ/ ١١٩٣ - ١٢٦٠م

٥٨٩هـ الأفضل نور الدين علي ١١٩٣م
٥٩٣هـ العادل الأول سيف الدين أبو بكر ١١٩٧م
٥٩٥هـ - ٦١٥هـ اتحد مع مصر ١١٩٩م - ١٢١٨م
٦١٥هـ المعظم شرف الدين عيسى ١٢١٨م
٦٢٤هـ الناصر صلاح الدين داود ١٢٢٧م
٦٢٥هـ الأشرف مظفر الدين موسى ١٢٢٨م
٦٣٣هـ الصالح عماد الدين إسماعيل ١٢٣٧م
٦٣٣هـ الكامل محمد ١٢٣٧م
٦٣٧هـ الصالح نجم الدين أيوب ١٢٤٠م
٦٣٧هـ الصالح عماد الدين إسماعيل ١٢٤٠م
٦٤٣هـ الصالح نجم الدين أيوب ١٢٤٥م
٦٤٧هـ المعظم توران شاه ١٢٤٩م
٦٤٨ - ٦٥٨هـ الناصر صلاح الدين يوسف ١٢٥٠ - ١٢٦٠م

٣ - أيوبية حلب

من سنة ٥٨٩ - ٦٥٨هـ/ ١١٩٣ - ١٢٦٠م

٥٨٩هـ الظاهر غياث الدين غازي ١١٩٣م
٦١٣هـ العزيز غياث الدين محمد ١٢١٦م
٦٣٣ - ٦٥٨هـ الناصر صلاح الدين يوسف ١٢٣٦ - ١٢٦٠م

٤ - أيوبية حماة

من سنة ٥٧٤ - ٧٤١هـ/ ١١٧٩ - ١٣٤١م

٥٧٤هـ المظفر الأول تقي الدين عمر ١١٧٩م
٥٨٧هـ المنصور الأول محمد ١١٩١م
٦١٧هـ الناصر قلج أرسلان ١٢٢٠
٦٢٦هـ المظفر الثاني تقي الدين محمود ١٢٢٩م
٦٤٢هـ المنصور الثاني محمد ١٢٤٤م
٦٨٣ - ٦٩٨هـ المظفر الثالث محمود ١٢٨٤ - ١٢٩٨م
ثم حكم ولاة مماليك مصر من أيوبية حماة
المؤيد عماد الدين إسماعيل أبو الفدا
٧١٠هـ الأفضل عماد الدين إسماعيل أبو الفدا ١٣١٠م
٧٣٣ - ٧٤٢هـ الأفضل ناصر الدين محمد بن إسماعيل
١٣٣٢ - ١٣٤١م

٥ - أيوبية حمص

من سنة ٥٤٧ - ٦٦١هـ/ ١١٧٨ - ١٢٦٢م

٥٧٤هـ محمد بن شيركوه ١١٧٨م
٥٨١هـ المجاهد صلاح الدين شيركوه الثاني ١١٨٥م
٦٣٦هـ المنصور إبراهيم بن شيركوه الثاني ١٢٣٩م
٦٤٣ - ٦٦٠هـ الاشرف مظفر الدين موسى بن إبراهيم
١٢٤٥ - ١٢٦٢م

٦ - أيوبية ميافارقين

من سنة ٥٦٩ - ٦٥٨هـ/ ١٢٠٨ - ١٢٦٠م

في الجزيرة

٥٩٦هـ الأوحد نجم الدين أيوب ١٢٠٠م
٦٠٧هـ الأشرف مظفر الدين موسى ١٢١٠م
٦١٧هـ المظفر شهاب الدين غازي ١٢٢٠م
٦٢٨هـ استيلاء المغول المؤقت ١٢٣٠م
٦٤٢ - ٦٥٨هـ الكامل ناصر الدين محمد ١٢٤٤ - ١٢٦٠م

٧ - أيوبية حصن كيفا

٦٦٩هـ الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ١٢٣٢م
٦٣٦هـ المعظم توران شاه الرابع بن أيوب ١٢٧٣م
٦٤٨هـ الموحد تقي الدين عبد الله بن تورانشاه ١٢٥٠م
٦٥٨هـ (استيلاء المغول) ١٢٦٠م
٦٥٨هـ الكامل أبو بكر الأول ١٢٦٠م

٦٥٨هـ العادل مجير الدين محمد ١٢٦٠م
٦٥٨هـ العادل شهاب الدين غازي ١٢٦٠
٧٨٠هـ الصالح أبو بكر الثاني بن غازي ١٣٧٨م
٧٨٠هـ العادل فخر الدين (أو عز الدين) سليمان الأول ١٣٧٨م
؟ الأشرف شرف الدين أحمد الأول ؟
٨٣٦هـ الصالح (ومن بعده الكامل) صلاح الدين خليل الأول ١٤٣٢م
٨٥٦هـ الناصر ١٤٥٢م
٨٥٦هـ الكامل أحمد الثاني بن خليل ١٤٥٢م
٨٦٥هـ العادل خلف بن محمد بن أحمد ١٤٦١م
٨٦٥ـ٩٣٠هـ خليل الثاني بن سليمان بن أحمد و سليمان الثاني بن خليل بن سليمان و خليل الثاني (مرة ثانية) وحسين بن خليل بن خليل وسليمان الثاني (مرة ثانية) ثم كان حكم العثمانيين ١٤٦١ـ١٥٢٤م

٨ ـ أيوبية اليمن

من سنة ٥٦٩ ـ ٦٢٦هـ/ ١١٧٣ ـ ١٢٢٩م

٥٦٩هـ المعظم شمس الدين تورانشاه ١١٧٣م
٥٧٧هـ سيف الإسلام طغتكين أحمد ١١٨١م
٥٩٣هـ معز الدين إسماعيل بن طغتكين ١١٩٦م
٥٩٨هـ الناصر أيوب بن طغتكين ١٢٠٢م
٦١١هـ المظفر سليمان بن سعد الدين هنشاه ١٢١٥م
٦١٢ـ٦٢٦هـ المسعود صلاح الدين يوسف ١٢١٥ـ١٢٢٩م

٩ ـ أيوبية بعلبك

نجم الدين أيوب (٥٣٣ ـ ٥٤١هـ)

١ ـ المعظم توران شاه
(٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) نور الدين شاهنشاه العادل الأول أبو بكر
٢ ـ عز الدين فروخ شاه (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)
٣ ـ الأمجد بهرام شاه (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)
٤ ـ الأشرف موسى (٦٣٠هـ/ ١٢٣٠م)
٥ ـ الصالح إسماعيل (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م)

الأيوبيون أسرة من الحكام المسلمين من قبيلة الهذبانيين الأكراد توزعت حكم الجزيرة في الشام ومصر واليمن فترة تصل إلى ما بين سبعين إلى ثمانين سنة. وينتسب الأيوبيون إلى نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، الذي كان حاكماً لقلعة تكريت من قِبل السلاجقة.

وفي عام ٥٣٢هـ، عزل نجم الدين أيوب عن ولاية تكريت فهاجر إلى الموصل حيث برز كأحد رجال عماد الدين زنكي حاكم الموصل، كما كان له ولأخيه شيركوه وابنه صلاح الدين دور كبير في تدعيم ملك نور الدين زنكي الذي استلم الحكم بعد وفاة والده عماد الدين.

وفي العام ٥٥٩هـ، سيَّر نور الدين زنكي شيركوه، الذي اصطحب معه ابن أخيه صلاح الدين، في حملة إلى مصر لحمايتها من المطامع الصليبية. وفي عام ٥٦٤هـ، توفي شيركوه فخلفه صلاح الدين في حكم مصر نائباً عن نور الدين زنكي.

في عام ٥٦٧هـ، أعلن صلاح الدين نهاية الدولة الفاطمية الشيعية، ثم استقل بملك مصر عام ٥٦٩هـ، بعد وفاة نور الدين، ودانت له الحجاز واليمن. وبحلول عام ٥٧٢هـ، دانت له الشام والموصل، ثم حلب، وبذلك امتدت الدولة الأيوبية من مصر إلى الفرات باستثناء المناطق التي كانت تحت سيطرة الصليبيين.

وكان لجهاد الأيوبيين ضد الصليبيين دور كبير في تحرير قسم كبير من بلاد الشام، حيث استطاع صلاح الدين سحق قوات الصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وتحرير المدن والبلاد التي احتلها الصليبيون واحدة إثر أخرى: طبرية، وعكا ونابلس والرملة وقيسارية وأرسوف ويافا وعسقلان وغيرها، وصولاً إلى تحرير بيت المقدس.

وفي عام ٥٨٩هـ، توفي صلاح الدين الأيوبي فتولى ابنه الأفضل ملك دمشق وجنوبي سوريا، واستقل ابنه العزيز بمصر وابنه الثالث الظاهر في حلب، وأخوه الملك العادل في العراق وديار بكر. وبعد الخلافات التي نشبت بين أبناء صلاح

الدين سيطر الملك العادل على كل أرجاء الدولة الأيوبية، ما عدا حلب التي بقيت بيد أولاد صلاح الدين.

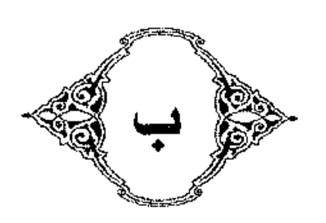
وانتقل مركز الدولة الأيوبية إلى مصر واستمر هناك حتى قتل طوران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب على يد المماليك عام ٦٤٨هـ. ولم تلبث الإمارات الأيوبية الأخرى أن انهارت بعد عشر سنوات أو نحوها في الجزيرة والشام، بعد أن كانت انتهت منذ زمن في اليمن، نتيجة للزحف المغولي الذي انهارت أمامه الخلافة العباسية في بغداد. وقد ترك الأيوبيون عدداً واسعاً من الآثار العمرانية والحربية سواء في مصر أم في بلاد الشام فيها المدارس والمساجد وخانقاوات الصوفية والأضرحة والمزارات المتعددة.

ولعل من أهم ما بقي منها قلعة صلاح الدين في القاهرة، وسور القاهرة نفسه، وقلعة حلب وغيرها.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١٦٤، ٢٨١، ٤٢٤، ٥١٣.

* * *



الباءة

الباءة على وزن الباعة: النكاح. وفي الحديث الشريف: (من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وُجاء)، أي: وقاية. أراد بالباءة: النكاح والتزويج. والأصل في الباءة المنزل ثم قيل لعقد التزويج باءةٌ لأن من تزوج امرأة بوّأها منزلاً. وتجمع الباءة على الباءات. والناس يقولون في الباءة: الباه ويقصدون به القدرة الجنسية على مقاربة المرأة.

وفي الحديث: (عليكم بالباءة) يعني النكاح والتزويج.

وقيل: الباءة تكاليف الزواج نفسها من سكنى ونفقة والتزامات مالية، لأنه ﷺ أرشد في الحديث أعلاه من لا يقدر عل النفقة اللجوء إلى الصوم لتخفيف اندفاعه، فالصوم يعين الرجل والمرأة على شهوة الجسد ورغباته.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٤٠٧، ٤٤١.

* * *

البابا PAPE

هذه التسمية الرسمية التي تطلق حالياً على أسقف روما - بالإضافة إلى لقبي الحبر الأعظم والأب الأقدس - كونه رئيساً للكنيسة الكاثوليكية بأسرها. ومن هنا أطلقت التسمية بابا روما على الحبر الأعظم نسبة إلى مقر إقامته في روما، وبالتحديد في حاضرة الفاتيكان. أما اختيار هذا المكان ليكون مقر البابوية فذلك يعود إلى من أسس كنيسة روما ومات فيها ألا وهو بطرس الرسول، أول أسقف على كنيسة روما. اختاره السيد المسيح من بين تلاميذه الاثني عشر، ليكون الصخرة التي تبنى عليها الكنيسة. الحبر الروماني هو خليفة القديس بطرس بالسلطة والمهام الموكلة إليه وفق تعاليم الإيمان الكاثوليكي، وهو رأس جماعة الأساقفة ونائب المسيح على الأرض، وراعي الكنيسة جمعاء. والبابا بنعمة الله له الامتياز بأن يكون معصوماً عن الخطأ في إعلان العقيدة الكنسية وشرحها. وله وحده أن يدعو إلى عقد مجمع مسكوني، وأن يوقفه ويحلّه أو يثبّت قراراته.

وهذه التسمية، أي بابا، [بحسب الديانة المسيحية] كانت تطلق سابقاً على جميع الأساقفة نظراً إلى أبوتهم الروحية، ثم حصرت، في النصف الأول من القرن الثالث، في أسقف الكرسي الإسكندري، وفي الربع الأخير من القرن السادس أطلق أيضاً على أسقف روما.

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٢/٤٥٦، ٤٩٩، ٥٠٥، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣.

* * *

البابوية

البابا هو خليفة القديس بطرس الذي أقامه المسيح رأساً للكنيسة. وللقديس بطرس مكانة مميَّزة تبرز في النصوص الإنجيلية، فهو «الصخرة» التي ستبنى عليها الكنيسة وأساس استقرارها، فمفاتيح ملكوت السماء بحوزته وله سلطة الحلّ

والربط. هو زعيم الرسل، وقد ترأس اجتماعات الكنيسة الناشئة.

منذ القرون الأولى للمسيحية اعترفت الكنيسة بسلطة الحبر الروماني، فكنيسة روما هي كنيسة القديسين بطرس وبولس، والقديس بطرس هو أسقف روما الأول واستشهد فيها.

وبالرغم من تدخل الأباطرة في إدارة شؤون الكنيسة ابتداءً من القرن الرابع كانت الكلمة الفصل دائماً لأسقف روما، بخاصة في القرارات التي كانت تصدر عن المجامع.

من ناحية أخرى، وبالرغم من الاستقلالية التي تميَّزوا بها، اعتبر بطاركة الشرق الحبر الروماني المرجع الأخير في بتِّ القضايا المهمة والخطيرة، وفي مجمع القسطنطينية سنة ٣٨٠م اعترف آباء الكنيسة بأولوية كرسي روما.

ومع تفاقم الجدل اللاهوتي حول شخص المسيح في القرن الخامس، كان المتنازعون يرفعون شكواهم دائماً إلى روما، وهذا ما فعله نسطوريوس بطريرك القسطنطينية وكيرلّس بطريرك الإسكندرية، وأفطيخوس صاحب البدعة المونوفيزية وفلاڤيانوس بطريرك القسطنطينية. وكان تدخل البابا لاون الكبير في عقد مجمع خلقيدونيا ومقرراته حاسماً سنة ٤٥١م، وقد جاء في النص الختامي للمجمع أن القديس بطرس تكلم بفم البابا.

في القرون الوسطى، وبخاصة بعد الانشقاق الكبير سنة ١٠٥٤م، رسَّخ البابوات سلطتهم على الكنيسة الغربية وبلغت ذروتها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر على الصعيدين الديني والسياسي، فأطلق البابا إينوشنسيوس الثالث على الحبر الروماني لقب «نائب الله»، وقد تكرَّست هذه السلطة في مجمع اللاتران الرابع سنة ١٢١٥م.

ابتداءً من القرن الرابع عشر ضَعُفت السلطة البابوية بعد انتقال الكرسي الرسولي إلى أفينيون (Avignon) في فرنسا سنة ١٣٠٩م حيث وقعت تحت هيمنة ملوك فرنسا.

ومع الانشقاق الغربي بين سنتي ١٣٧٨م و ١٤١٧م برزت تيارات رفضت السلطة البابوية وقالت بأولوية السلطة المجمعية في الكنيسة.

من ناحية أخرى، فقد أدّى انشغال باباوات القرن الخامس عشر بالأفكار النهضوية وتشجيعهم لها إلى ابتعادهم عن رسالتهم الروحية وضرورة الإصلاح الداخلي التي كانت الكنيسة بحاجة ماسَّة إليه.

بعد سنة ١٥١٧م انفرط عقد الوحدة المسيحية الغربية مع بروز التعاليم الإصلاحية التي نشرها لوثر وكالڤن وقيام الكنائس البروتستانتية. جاء ردُّ البابوية متأخراً مع انعقاد المجمع التريدنتيني سنة ١٥٤٥م، وكان من نتائج الأزمة البروتستانتية أنها رصَّت الصفوف حول البابوية فاتجهت سلطة البابوات إلى مزيد من المركزية طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر. وبعد سنة ١٥٢٣م أصبح البابوات وجميع أعضاء الكوريا [هي مجمع الكرادلة الذي يلتف حول البابا، ويضم رجال دين كاثوليك، من جميع أنحاء العالم، يعينون من قبل البابا شخصياً، ويشكل مجلساً استشارياً قراراته توصيات للبابا] جميعهم إيطاليين. ترافق ذلك مع تراجع السلطة السياسية للبابا فلم يعد له دور فعّال في سياسة الدول الأوروبية وحروبها.

لم تتمكن البابوية من التأقلم مع تراجع نفوذها في أوروبا بخاصة مع اندلاع الثورة الفرنسية وانتشار أفكارها الليبرالية التي تعارضت مع سلطة البابا الزمنية. وقد أعلن البابوان غريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع رفضهما للأفكار الديموقراطية بين سنتي ١٨٣٢م و ١٨٦٤م.

ومع تحقيق الوحدة الإيطالية سنة ١٨٧٠م وإلحاق ممتلكات الكنيسة بالدولة الإيطالية، تحرَّرت البابوية من إرثها الزمني وتفرَّغت لرسالتها الروحية خصوصاً بعد أن أعلن المجمع الڤاتيكاني الأول سنة ١٨٧٠م عصمة البابا.

في الحرب العالمية الأولى لم يتمكن البابا بندكتس الخامس عشر من التأثير في مجرياتها

والحدِّ من مآسيها. أما البابا بيوس الحادي عشر فقد أرسى أسس العلاقة بين البابوية والدولة الإيطالية في اتفاقية اللاتران سنة ١٩٢٩م التي وضعت حداً لقطيعة بين الجانبين دامت حوالي ستين عاماً، كذلك وقف البابا ضد الأنظمة التوتاليتارية والنظام العرقي النازي سنة ١٩٣٧م.

بعد الحرب العالمية الثانية فرضت تطورات العالم المعاصر على البابوية إعادة نظر في مواقفها قام بها البابا يوحنا الثالث والعشرون بدعوته إلى عقد المجمع الفاتيكاني الثاني بين سنتي ١٩٦٢م و ١٩٦٥م وأدَّت إلى انفتاح الكنيسة على العالم فبدأت حواراً مع الكنائس المنشقة وأعطت دوراً أكبر للعلمانيين في حياة الكنيسة.

استمرَّ البابا بولس السادس في تطبيق هذه التوجهات الجديدة فالتقى البطريرك المسكوني أثيناغوراس ورئيس الكنيسة الأنغليكانية الدكتور رامسي، وزار الأمم المتحدة والأراضي المقدسة ووقف ضد حرب فيتنام ودعا إلى تنمية شعوب العالم الثالث.

ومع وصول البابا يوحنا بولس الثاني إلى السدَّة البطرسية أخذت البابوية تلعب دوراً أساسياً في تطور البشرية نحو الأفضل عن طريق تفعيل الحوار بين الشعوب والأديان.

كريستيان الحلو

* * *

البابية

مؤسس البابية هو علي محمد الشيرازي، إيراني من مواليد شيراز في أول محرم ١٢٣٥هـ/ ٢٠ أكتوبر (تشرين الثاني) ١٨١٩م. عمل في التجارة مهنة أبيه ومعها حصَّل العلوم الدينية، ودراسته كانت على يدي بعض من كانوا غير مستقيمي العقيدة من أمثال كاظم الرشتي وأحمد الأحسائي وحسين البشروئي.

بدأت تراوده فكرة ادعاء المهدوية حوالي سنة ١٢٥٩هـ، وما كان إلا أن أعلن دعوته في ٤ جمادى الأولى ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م) وفيها يزعم أن دعوته هي القيامة وكل من لا يؤمن بمزاعمه كافر ودمه مباح.

كان أتباعه يلقبونه: حضرة الأعلى ـ مظهر الرب الأعلى ـ السيد الباب ـ نقطة البيان. صاغ أفكاره في كتاب سمّاه «البيان»، وبدأت فتنته تنتشر مما دفع السلطة في إيران إلى ملاحقته، وإعدامه رمياً بالرصاص في ٢٧ شعبان ١٢٦٦هـ/ ٨ تموز (يوليو) ١٨٥٠م.

زعم الشيرازي أنه «الباب» للقرن التاسع عشر الميلادي لأن كل عصر تحتاج فيه الشريعة إلى باب انطلاقاً من الآية الكريمة: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة/ ١٨٩]. وانطلاقاً من الحديث النبوي الشريف: (أنا مدينة العلم وعلي بابها). وهذا الباب يكون اسمه علياً، وهو علي. وبذلك أطلق على نفسه اسم «الباب» ودعوته عُرفت بالبابية.

أهم آثاره كتابه «البيان» الذي يزعم بأنه جاء به لينسخ القرآن. وتبريره يبنيه على الآيات الأولى من سورة الرحمن وفيها: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ* عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن/ ١ ـ ٤]، ويقول: كما كان عصر النبي ﷺ عصر القرآن فإن عصره هو عصر «البيان».

اعتمد الباب ضمن مزاعمه حساب الجمل، ويقوم هذا الحساب على إعطاء الحروف الأبجدية قيماً عددية على الوجه التالي:

أ	١	ح	٨	س	٦٠	ت	٤٠٠
ب	٢	ط	٩	ع	٧٠	ث	٥٠٠
جـ	٣	ي	١٠	ف	٨٠	خ	٦٠٠
د	٤	ك	٢٠	ص	٩٠	ذ	٧٠٠
هـ	٥	ل	٣٠	ق	١٠٠	ض	٨٠٠
و	٦	م	٤٠	ر	٢٠٠	ظ	٩٠٠
ز	٧	ن	٥٠	ش	٣٠٠	غ	١٠٠٠

والبابية دعت لتقديس الرقم «١٩» وربطت به كثيراً من تشريعاتها، وكان الباب يسمي نفسه مع أتباعه «واحد»، ووفق حساب الجمل: واحد هي: و= ٦، أ= ١، ح= ٨، د= ٤، والمجموع هو ١٩.

ودعا الباب كسواه من أصحاب الحركات الهدامة إلى هدم مكة والقدس وسائر مقامات الأنبياء والأولياء، وجميع الأماكن المقدسة، حيث المقدَّس عندهم هو مكان مولد الباب ومدفنه.

ومما جاء عندهم في كتاب «البيان»: «لا يجوز أن يتعايش البابي مع غير المؤمن بالبابية فهذا أمر غير مشروع يدلل على عدم الالتزام عند البابي، لأن شرط الصداقة هو طهارة الدين ولا شيء آخر. ومن واجب الناس أن يخشوا الله كما يجب وذلك يتبلور بأن يصبحوا جميعاً بابيين».

تبع الباب مجموعة من الأشخاص أبرزهم حسين علي المازندراني مؤسس البهائية، وبعد تأسيس البهائية لم يعد ثمة وجود للبابية، لذلك نكتفي بهذا القدر عن البابية ليكون الحديث أكثر تفصيلاً عن البهائية فهي حركة لا زالت موجودة.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٠٤، ٢٤٦، ٥٨٢، ٥٩٤.

* * *

الباطنية

تسمية متداولة عند شعوب كثيرة قبل الإسلام، حيث كان يسود مفهوم مفاده أن نصوص الدين أيّاً كانت لها معانٍ قريبة ظاهرة، وأخرى باطنة لا يعلمها إلا القلة. وهذا العلم بالباطن في النص يختص به قلائل ممن يتزعمون فرقة أو مجموعة معينة كما يظنون.

وفي النص القرآني قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/٣]. وتفسير ذلك في الحديث النبوي الشريف: (اللّهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء). وقيل فيه عند المفسرين: بأن الله تعالى الباطن؛ أي العالم بكل ما بطن، وأنه سبحانه المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به تصور، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام/١٠٣]. وقد ظهرت فرق إسلامية متعددة المشارب والمصادر أطلقت عليها هذه التسمية.

وقد كتب الغزالي (أبو حامد) كتابه «المستظهري» المعروف باسم «فضائح الباطنية»؛ وقد حاول أن يوضح سبب إطلاق اسم الباطنية على القوم بسبب «دعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللبّ من القشر... وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار، والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها مسارعاً إلى الاغترار، كان تحت الأواصر والأغلال معنّى بالأوزار والأثقال».

يتبين مما أورده الغزالي أن الباطنية يشددون على أهمية اعتماد تأويل النصوص لأن من يسلم بالمعاني الظاهرة معرضاً عن التأويل كأنه قيَّد نفسه. فمقولتهم هي أنه «لكل تنزيل تأويل».

وممن ذهبوا هذا المذهب الفيلسوف ابن رشد حيث صرح في كتابه فصل المقال: إن النص القرآني فيه ظاهر وباطن، ويعلل ذلك قائلاً: «والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق».

ويكمل ابن رشد فيقول: «فإن الظاهر هو تلك الأمثال المضروبة لتلك المعاني، والباطن هو تلك المعاني التي لا تنجلي إلا لأهل البرهان».

ومن المفيد أن نشير بأن ما ورد في النص القرآني يبيِّن مخاطر اعتماد التأويل، ويوجه إلى ضرورة تسليم العلماء دون أن يذهبوا بعيداً في تأويلاتهم مخافة الفتنة. يقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ

﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران/ ٧].

ولعل تعريف عبد الرحمن بدوي للباطنية يشكل بياناً مقبولاً في هذا الباب، إذ يقول: «الباطنية لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلاً يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حدَّ التناقض الخالص، فهو يعني أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكنونة؛ وأن الطقوس والشعائر، بل والأحكام العملية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن».

أسعد السحمراني

المراجع: ١/ ٣٨٠، ٣٨٢، ٤٧٥، ٥١٧.

* * *

بتل (التبتل)

وزنها: تَفَعُّل مصدر تَبَتَّلَ والثلاثي منها بَتَل، وهو أصل واحد يدل على: إبانة الشيء إذا أبنته من غيره.

يقال: طلقها بتّةً، بَتْلَة، ومنه يقال لمريم العذراء: «البتول»؛ لأنها انفردت فلم يكن لها زوج، وفاطمة بنت سيد المرسلين؛ لانقطاعها عن نساء زمانها ونساء الأمة فضلاً وديناً وحسباً، وانقطاعها إلى الله تعالى.

والبتيلة: كل عضو بلحمه مكتنز اللحم، الجمع بتائل، كأنه بكثرة لحمه بائن عن العضو الآخر، ومنه قولهم: امرأة مُبَتَّلة الخَلْقِ.

ويقال: نخلة مُبْتِل، إذا انفردت عنها الصغيرة النابتة معها، قال المتنخل الهذلي:

ذَلِكَ مَا دِينُكَ إِذْ قُرِّبَتْ
أَحْمَالُهَا كَالبُكُرِ المُبْتِلِ

والتبتل: الانقطاع. قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل/ ٨]، فالتبتل: الانقطاع إلى الله في العبادة، وإخلاص النية انقطاعاً يختص به، كالتعلم والتفهم، ولكن جاء على التفعيل مصدر بَتَّلَ تبتيلاً لسر لطيف؛ فإن في هذا الفعل (تَبَتَّل) إيذاناً بالتدريج، وفي التفعيل (التبتيل) إيذاناً بالتكثير والمبالغة، فأتى بالفعل الدال على أحدهما، والمصدر الدال على الآخر، كأنه قيل: بَتِّلْ نفسك إليه تبتيلاً، وتَبَتَّلْ أنت إليه تَبَتُّلاً، ففهم المعنيان من الفعل ومصدره، وهذا كثير في القرآن الكريم، وهو من أحسن الاختصار والإيجاز: ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [الحديد/ ١٨]، ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ [التغابن/ ١٧]، ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات/ ٥٥].

هنا المعنى للتبتل، وهو: الانقطاع إلى الله في العبادة، وإخلاص النية انقطاعاً يختص به، هو ما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام/ ٩١]، وليس هذا منافياً لما صح عن النبي ﷺ: (لا رهبانية ولا تبتل في الإسلام) وهو بعض حديث رواه عبد الرزاق عن طاووس مرسلاً كما في الجامع الصغير.

والتبتُّل يجمع أمرين: اتصالاً وانفصالاً لا يصح إلا بهما.

فالانفصال: انقطاع قلبه عن حظوظ النفس المزاحمة لمراد الرب منه، وعن التفات قلبه إلى ما سوى الله خوفاً منه، أو رغبة فيه، أو مبالاة وفكراً فيه، بحيث يشتغل قلبه عن الله تعالى.

والاتصال لا يصح إلا بعد هذا الانفصال، وهو اتصال القلب بالله، وإقباله عليه، وإقامة وجهه له حباً وخوفاً ورجاءً وإنابة وتوكلاً، وهذا إنما يحصل بحسم مادة رجاء المخلوقين من قلبك، وهو الرضا بحكم الله، وقَسْمِه لك، وبحسم مادة الخوف، وهو التسليم لله، فإن من سلم لله واستسلم له عَلِمَ أن ما

أصابه لم يكن ليُخْطِئَه، فلا يبقى للمخلوقين في قلبه موقع، فإن نفسه التي يخاف عليها قد سلمها إلى مولاها، وأودعها عنده، وجعلها تحت كَنَفِهِ، حيث لا تنالُهُ يَدُ عادٍ، ولا بَغْيُ باغٍ، وبِحَسْمِ مادة المُبَالاةِ بالنَّاسِ، وهذا إنما يَحْصُلُ بِشُهُودِ الحقيقةِ، وهو رُؤْيَةُ الأشياء كلها من الله وبالله، وفي قبضته، وتحت قهر سلطانه، لا يتحرك منها شيء إلا بحوله وقوته، ولا ينفع ولا يضر إلا بإذنه ومشيئته فما وجه المبالاة بالخَلْق بعد هذا الشهود؟.

محمد الطيب الإبراهيم

المراجع: ١٠١، ١٣٣، ٥١٩.

* * *

البدّ

قال صاحب لسان العرب: «البدُّ: بيت فيه أصنام وتصاوير، وهو إعراب بُتّ بالفارسية...». وقال ابن دريد: «البُدُّ: الصنم نفسه الذي يعبد، لا أصل له في اللغة، فارسي معرَّب. والجمع البِدَدَة».

أما البراهمة من الهنود، وهم الذين ينتسبون لـ «برهما» وهو الإلّه الأكبر حسب معتقد الهنود، في ثالوث الآلهة: برهما ـ فيشنو ـ شيفا، فإنهم حسب الشهرستاني توزعوا في فرق، إحداها أصحاب البَدَدة.

ويشرح الشهرستاني مفهوم «البد» حسب معتقدهم، فيقول: «ومعنى البد عندهم شخص لا يولد، ولا ينكح، ولا يطعم، ولا يشرب، ولا يهرم، ولا يموت. وأول بدٍّ ظهر في العالم اسمه «شاكمين» وتفسيره: السيِّد الشريف، ومن وقت ظهوره إلى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة. قالوا ودون مرتبة البدّ مرتبة البوريسعية ومعناه الإنسان طالب الحق».

ويزعم أصحاب البددة من البراهمة بأن البددة أتوا على عدد هياكل العبادة عندهم، ومصدرهم نهر الغانج الذي يزعمون قداسته ويحجون إليه، وفيه يلقون رماد جثث موتاهم بعد حرقها. وتجدر الإشارة إلى أن البراهمة هندوس تسموا بهذا الاسم لأهمية برهما عندهم في ثالوث الآلهة حيث نسبوا له عملية الخلق. وأورد الجرجاني في كتاب التعريفات: «البُدْ: هو الذي لا ضرورة فيه».

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٤١، ٥٢٤.

* * *

البداء

كلمة مرادفة لكلمة «النسخ» وقد اتفق المسلمون على جواز النسخ، ووقوعه في الشريعة الإسلامية. ومعناه في اصطلاح المفسرين وأهل التشريع، أن الله يُشرِّع حكماً كالوجوب أو التحريم، ويبلِّغه لنبيِّه، وبعد أن يعمل النبيُّ وأُمته بموجبه يرفع الله هذا الحكم وينسخه ويجعل في مكانه حكماً آخر، لانتهاء الأسباب الموجبة لبقاء الأول واستمراره، وهذا النوع من النسخ ليس بعزيز، فإنه موجود في الشرائع السماوية والوضعية. واستدل المسلمون على جوازه ووقوعه بأدلَّة، منها: أن الصلاة كانت في بدء الإسلام لجهة بيت المقدس، ثم نسخت، وتحوَّلت إلى جهة البيت الحرام، كما نطقت الآية الكريمة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة/ ١٤٤]. وهنا يتبادر إلى أذهاننا: إذا جاز النسخ على الله بهذا المعنى في الأمور التشريعية، فهل يجوز عليه ذلك في الأشياء الكونية والطبيعية، وذلك بأن يقدِّر الله، ويقضي بإيجاد شيء في الخارج، ثم يعدل ويتحوَّل عن قضائه وإرادته؟ اتفق المسلمون جميعاً على عدم جواز النسخ في الطبيعيات، لأنه يستلزم الجهل وتجدُّد العلم لله، وحدوثه بعد نفيه عنه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ويسمى هذا بالبداء الباطل. وقد نسبه بعضهم إلى «الإثني عشرية»، رغم تصريحاتهم المتكرِّرة بنفيه، وقد روى الشيخ الصدوق عن الإمام جعفر الصادق

أنه قال: من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه.

وبعد أن نفى المسلمون جميعاً البداء بهذا المعنى، أجازوا بداءً لا يستدعي الجهل، وحدوث العلم بذات الله، وهو أن يزيد الله في الأرزاق والأعمار، أو يُنقص منهما بسبب أعمال العبد، وبهذا قال الشيخ المفيد، شيخ الشيعة الإمامية في كتاب «أوائل المقالات» باب القول في البدء والمشيئة: «البداء عند الإمامية هو الزيادة في الآجال والأرزاق، والنقصان منهما بالأعمال». وتدل على هذا الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر/ ٦٠]. وروى الترمذي في سننه باب لا يرد القدر إلاّ الدعاء، أن النبي ﷺ قال: (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاّ البر)، وبالتالي، فقد اتفق السنة والشيعة بكلمة واحدة، على أن أية صفة تستدعي الجهل وتجدد العلم فهي منفية عن الله بحكم العقل والشرع، سواء أعبَّرنا عنها بالبداء أو بلفظٍ آخر. وعليه فلا يصدق القول بأن الشيعة أجازوا البداء على الله دون السنة، لأن المفروض أن البداء المستلزم للجهل باطل عند الفريقين. والبداء بالمعنى الذي ثبت لدى المسلمين هو ذو جانبين: جانب من قبله تعالى، فيكون إظهاراً لما كان أخفاه علينا، وجانب من قبل الخلق فيكون ظهوراً لهم منه سبحانه.

فهو إظهارٌ من الله بشيء لم نكن نتوقعه، أو كنا نتوقع خلافه، وهو ظهور لنا لأنا لم نعلم به من قبل.

فالبداء من خلاصة ما تقدم، توضيحاً وتسهيلاً، هو أن له تعالى أن يبدأ بشيءٍ من خلقه فيخلقه قبل شيء، ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره، أو يأمر بأمر ثم ينهي عن مثله، أو ينهي عن شيء ثم يأمر ما نهى عنه، وذلك مثل تحويل القبلة، وعدة المتوفى عنها زوجها، ونسخ الشرائع. أما تحويل القبلة فسبق الحديث عنها في قولنا: إن القبلة كانت في صدر الدعوة الإسلامية هي بيت المقدس، وكان المسلمون يتجهون في صلاتهم إليها، ثم نسخ هذا الحكم، وحوِّلت القبلة إلى الكعبة. أمّا عدة المتوفى عنها زوجها، ما يراه جماعة من الفقهاء، من أن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها كانت إلى حولٍ كامل، وفهموه من الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة/ ٢٤٠]، ثم نسخ هذا الحكم بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة/ ٢٣٤]، الدال على أن عدتها أربعة أشهر وعشرة أيام. ومن هذا المنطلق يبدو لنا نسخ الشرائع، إذ أن هناك من يرى أن الآية تدل على وجوب الإنفاق على الزوجة المتوفى عنها زوجها، إلى عام كامل من صلب التركة ولا ميراث لها. إذ كان الرجل إذا مات أُنفق على امرأته من صلب المال حولاً، ثم أُخرجت بلا ميراث، ثم نسختها آية الربع والثمن. وما أورده الفقهاء عن البداء نتيجة حتمية لقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد/ ٣٩].

عبد المجيد الحر

المراجع: ٧٣، ٨٦، ١٠٩، ٢٧٥، ٣٢٧، ٣٧٢.

* * *

كلمة، والفعل «بدا» ومعنى: بدا الشيء بَدْواً وبداءً أي ظهر ظهوراً بيناً، وقد جاء في قول الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ۝ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ [الزمر/ ٤٧، ٤٨]، ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [طه/ ١٢١].

وعند ابن منظور: كانت العرب تمدح بهذه اللفظة فيقولون للرجل الحازم ذو بَدَوَاتٍ، أي ذو آراءٍ تظهر له فيختار بعضاً ويسقط بعضاً. وقال: «وبدا لي بداءٌ أي تغيَّر رأيي على ما كان عليه. ويقال: بدا لي من أمرك بداءٌ؛ أي ظهر لي.

ونقل ابن منظور عن ابن الأثير في حديث الأقرع والأبرص والأعمى: بدا لله عز وجل أن يبتليهم، أي قضى بذلك. وهو معنى البداء ههنا لأن القضاء سابق، والبداء استصواب شيء عُلم بعد أن لم يعلم، وذلك على أنه غير جائز.

ويهود كانوا ممن فسروا البداء بأنه محال مطلقاً في أمرَي التكوين والتشريع ولذلك رفضوا فكرة النسخ، وكان ذلك من قبلهم ليقولوا: بأنه ما دام الله تعالى قد أرسل موسى عليه السلام ومعه شريعة في رسالة سماوية فإنه لا يكون بعده رسل وأنبياء وشرائع أخرى وإلا كان ذلك بداء، وهذا غير جائز بحق الله. فالبداء عند العرب هو القضاء ـ كما سبق القول ـ وهم أعطوه معنى التبديل والتغيير وهذا محال على الله تعالى، أي لا يكون أن يشرع الله شرعاً أو يقضي أمراً ثم يبدله.

ومما نقل عنهم: أن البداء بمعنى أن يبدو لله أمر فيبدل كأنه اتهام بعدم المعرفة، وهذا لا يصح في حق الله تعالى. فالتبديل يكون إما لعدم حكمة أو لجهل، وكل ذلك لا يصح في حق الله تعالى. لهذا رفض يهود أية شريعة أو نبوة بعد موسى عليه السلام.

أما الإمامية من الشيعة فقد قالوا وبمفهوم مختلف، هذا البداء يكون بأن تدخل العبد بالطاعة لله والعمل الصالح والتقرب إلى الخالق سبحانه قد يؤدي إلى رد القضاء والقدر واستبداله، وكلا الحالين صادران عن الله تعالى.

يقول الشيخ جعفر السبحاني من الشيعة الإمامية ما يلي: «ليس المراد من البداء إلا تغيير المصير والمقدر بالأعمال الصالحة أو الطالحة، فليس الإنسان في مقابل التقدير مسيَّر، بل هو ـ بعد ـ مخيَّر في أن يغيِّر التقدير بصالح أعماله، أو بطالح أفعاله، وأن هذا، أي تمكن الإنسان من تغيير المصير بعمله، هو أيضاً جزء من تقديره سبحانه».

ويكمل هذا العالم الشيعي الإمامي مؤكداً على البداء بقوله: «وبما أن العبد مختار لا مسيَّر، وحرٌّ لا مجبور، فله أن يغيِّر مصيره وقدره بحسن فعله، ويخرج نفسه من عداد الأشقياء ويدخلها في عداد السعداء، كما أن له عكس ذلك».

ويكمل كذلك: «فإن الله سبحانه يغيِّر قدر العبد بتغيير من العبد بحسن عمله أو سوء عمله، ولا يعد تغيير هذا القضاء الإلّهي بحسن الفعل، وتغيير القدر بسوء العمل، معارضاً لتقديره الأول سبحانه بل هو أيضاً جزء من قدره وقضائه تعالى وسننه».

وما عليه الشيعة الإمامية في هذا الباب ينفردون به إذ إن غيرهم من فقهاء المسلمين وأئمة المذاهب لم يوافقوهم على ذلك، وإنما الموقف بأن البداء في شأن القضاء والقدر هو القضاء نفسه ولا رادَّ لأمر الله تعالى.

أسعد السحمراني

المراجع: ٩٤، ٤٤١، ٥٠٣.

* * *

بدر (غزوة)

«بدر» اسم مكان فيه نبع ماء، جنوب المدينة، على طريق القوافل بينها وبين مكة، يبعد عن المدينة ٢٨ فرسخاً (حوالي ١٥٥ كلم). وفي هذا المكان حصلت أول معركة بين المسلمين وقريش في ١٧ رمضان سنة ٢هـ/ شباط ٦٢٣م، فسميت «غزوة بدر». فقد كانت قريش تسلك طريق القوافل المعتاد في ذلك الزمان بين مكة وبلاد الشام، وعلم الرسول ﷺ في المدينة أن قافلة كبيرة لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب قادمة من بلاد الشام، متجهة إلى مكة، فعزم على مهاجمتها، والاستيلاء عليها، لإشعار قريش بقوته، وليتقوى بها المسلمون، ويعوِّض عليهم بعض أموالهم التي تركوها عند هجرتهم وصادرتها قريش. فخرج على

رأس ٣١٤ رجلاً بقصد الاستيلاء على القافلة، ولكن أبا سفيان علم بخروجه، فسارع إلى طلب النجدة من قريش، وراوغ المسلمين فسلك طريقاً فرعياً لا تسلكه القوافل عادةً، فنجا من جيش المسلمين، وأرسل إلى قريش يعلمهم بنجاته، وسلامة أموالهم، ولكن أبا جهل، أبرز أعيان المشركين، أصرَّ على التَّوجه لملاقاة المسلمين، والوصول إلى بدر، والإقامة فيها، لكي تستعيد قريش هيبتها التي زعزعتها سرايا المسلمين التي كانت تجوب المنطقة منذ وصول الرسول إلى المدينة.

كان يدور في ذهن أبي جهل إرهاب المسلمين، وبخاصة أن جيشه يتألف من ٩٥٠ مقاتل ويضم فرسان قريش وصناديدها الشجعان، بينما كان الرسول ينوي كسر شوكة قريش وتلقينها درساً لا تنساه. فاستشارأصحابه، فلاقى عندهم السمع والطاعة والاندفاع في تنفيذ أوامره. ولما أدرك متانة جبهته وصلابة جيشه، خاض المعركة بقواته الصغيرة في العدد، الكبيرة في الإيمان، وحقق نصراً غيَّر وجه التاريخ، فانسحبت قريش مخلفة وراءها سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، بينهم أبو جهل وكثير من قادة قريش وفرسانها، ولم يخسر المسلمون سوى سبعة عشر شهيداً، بينهم تسعة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. ويعود الفضل في ذلك النصر إلى قيادة الرسول العسكرية الفذَّة، وأسلوب القتال الجديد الذي لم يألفه العرب (قتال الصف) وقوة إيمان المسلمين، وروحهم المعنوية العالية، وسموُّ الغاية التي يقاتلون من أجلها، يقابل ذلك عكسه في صفوف المشركين.

وكان من نتائج المعركة كسر شوكة قريش، وضعف مكانتها بين العرب، وعلوُّ شأن المسلمين، وتمهيد الطريق أمامهم لنشر الإسلام بين القبائل العربية المحيطة بالمدينة. وكانت مناسبة لتشريع خُمُس الغنائم لبيت مال المسلمين، بنص القرآن الكريم، وبقي الخمس عماد ميزانية الدولة الإسلامية حتى نهاية الفتوحات.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٢٥١، ٢٩٩، ٣٣٢، ٤٢١، ٤٢٤.

* * *

البدعة

البدعة، لغة، اسم هيئة من الابتداع، كالرفعة من الارتفاع، وهي كل شيء أُحدِث على غير مثال سابق، سواء كان محموداً أو مذموماً.

والبِدع، بكسر الباء، الأمر الذي يكون أولاً، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف/٩]، أي ليس أول من جاء بالوحي من عند الله تعالى وحمل الرسالة إلى الناس، بل قد أرسل قبلي مبشرون ومنذرون.

والبديع من أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، فيكون بمعنى مبدع، أو من بدع الخلق أي بدأه.

والبديع: المبتدَع أو المبدَع، بفتح الدال، يقال: جئت بأمر بديع، أي محدث عجيب لم يُعرَف من قبل.

أما في الاصطلاح، فقد اختلف العلماء في تحديد معنى البدعة في الشرع، وتنوعت تعبيراتهم عنها، فمنهم من توسع في هذا التحديد، فاتسع عنده مدلول البدعة وما يندرج تحت هذا المفهوم، ومنهم من ضيق هذا المدلول وما يندرج تحته من الصور والأحكام.

فالإمام الشافعي، رحمه الله، يقسم البدعة إلى محمودة ومذمومة، حسنة وسيئة، فيقول: «البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة. فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم». وابن حزم، رحمه الله، يقول: البدعة في الدين كل ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله ﷺ، إلا أن منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر بما قصد إليه من

الخير، ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسناً، وهو ما كان أصله الإباحة، كما روي عن عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه». ومنها ما يكون مذموماً ولا يعذر صاحبه وهو ما قامت الحجة على فساده. وكذلك يقول ابن الأثير: البدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلال... ويقول ابن حجر: وهي ـ أي البدعة ـ لغة: ما كان مخترعاً.. وشرعاً: ما أحدِث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام.

وقد عرَّف الشاطبي البدعة في كتابه «الاعتصام» بتعريفين:

الأول: البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى.

الثاني: البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

أما أسباب الابتداع فكثيرة وبواعثه متعددة لا مجال لتحديدها، إلا أنه من الممكن إرجاع هذه الأسباب والبواعث إلى أساسين رئيسيين هما:

١ ـ الزيادة في الدين، قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً، بإثبات ما لم يذكره الله ورسوله من أمور الدين.

٢ ـ النقص منه بنفي بعض ما ذكر الله تعالى ورسوله، أو إهماله بالتأويل الباطل والتمويه الكاذب، أو ضرب بعضه ببعض والتوسل بذلك إلى ترك ما يراد تركه منه.

وللبدعة تقسيمات متعددة باعتبارات متنوعة، فلها تقسيم من ناحية معناها اللغوي أو على رأي من يقول بعمومها في كل حادث، وتقسيم على رأي من يخصصها بما قصد به مضاهاة الشرع، وهو الشاطبي ومن وافقه حيث قسمها إلى حقيقية، وإضافية وهو تقسيم على جميع الآراء لأنه تقسيم من ناحية المرتبة أو من ناحية الكيف أو ما إلى ذلك.

وعلى هذا يختلف حكم البدعة باختلاف مفهومها، فمن عمَّ البدعة في كل حادث، مذموماً كان أو محموداً، فلا شك في أن البدع عنده ليست على مرتبة واحدة، بل تختلف فيما بينها من ناحية القبول والرد، فمنها ما هو واجب، ومنها ما هو حرام، وهكذا... على أن هناك من يرى أن البدعة من حيث الجملة مكروهة. قال القرافي، بعد أن ذكر أقسام البدعة الواجبة، والمندوبة، والمباحة، والحرام، والمكروهة: «فالبدعة إذا عرضت تعرض على قواعد الشرع وأدلته، فأي شيء تناولها من الأدلة والقواعد ألحقت به من إيجاب أو تحريم أو غيرهما... وإذا نظر إليها من حيث الجملة بالنظر إلى كونها بدعة، مع قطع النظر عما يتقاضاها، كُرِهت، فإن الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع».

محمد الإسكندراني

المراجع: ٣٧٢، ٣٧٩، ٥٧١.

* * *

البرامكة

أسرة فارسية بوذية من طبقة الكهان، لعبت دوراً أساسياً في شؤون الدولة العباسية زمن الخلفاء الأربعة الأول (١٣٢ ـ ١٩٣هـ/ ٧٥٠ ـ ٨٠٩م) أسسها خالد بن برمك (ت ١٦٥هـ) الذي كان أبوه سادناً (برمكياً) لمعبد بوذي في بلخ. ولي خالد ديوان الخراج وديوان الجند ثم أصبح وزيراً للمنصور، وعهد إليه المهدي بتربية ابنه هارون. فلما توفي خالد خلفه ابنه يحيى أبو الفضل على تربية ابن الخليفة وأقره الخليفة الهادي في وظيفته.

وفي أيام هارون الرشيد تولى يحيى الوزارة والدواوين فكادت سلطته تكون مطلقة. وقرَّب الرشيد الفضل وجعفر ابني يحيى، فولى الفضل ولايات هامة وندبه لإخماد ثورة يحيى بن عبد الله العلوي فأخمدها دون سفك دماء، كما عهد إليه

الرشيد بتربية ابنه الأمين واتخذه نديماً له وأشركه في النظر في المظالم.

وبهذا عظم شأن الأسرة وتدفقت عليها الأموال وقصدها ذوو الحاجات ووفد على رجالها الشعراء والأدباء. ثم تغير عليهم الرشيد لأسباب مختلفة منها تعاظم نفوذهم وميولهم الشيعية، ونكاية أعدائهم بهم، فنكبهم سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م وقتل جعفراً وصادر أموالهم ومنع الشعراء من رثائهم.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١٦، ١٣٤، ٤٢٤.

* * *

برنابا الرسول

رسول قبرصي، زميل بولس ومرقص في أثناء رحلاتهما. يقال: إنه استشهد في قبرص: (أعمال الرسل ٤: ٣٦، ٣٧ ـ ٩: ٢٧، ١١ ـ ١١: ٢٢ ـ ١٥: ٤١).

عيده في ١١ حزيران/ يونيو، ويعزى إليه إنجيل برنابا، وفيه يصرح على لسان عيسى أنه إنما جاء مبشراً بمحمد ﷺ.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٥٤٣.

* * *

بروتستانت (انجيليون)

إن كلمة «بروتستانت» تشير إلى أولئك الذين اعتنقوا نمطاً معيناً في التعبير عن الإيمان المسيحي، الذي نشأ عن حركة الإصلاح التي قامت في القرن السادس عشر، احتجاجاً على بعض ممارسات ومعتقدات الكنيسة الكاثوليكية. يشتق التعبير من الكلمة اللاتينية «بروتستاري» التي لا تعني فقط المعارضة بل وأيضاً المجاهرة بالإيمان. لقد أراد أتباع هذا الخط العودة إلى ما اعتبروه الشكل النقي لإيمان الكنيسة الأولى، فشددوا على سلطة الكتاب المقدس الوحيدة في ما يختص بالإيمان والمعتقدات والممارسات، ونادوا بأن الإنسان يتبرأ أمام الله بالإيمان فقط، بغض النظر عن كونهم مستحقين لذلك أم لا، وبمبدأ «كهنوت جميع المؤمنين»، نافين بذلك السلطان الخاص الذي يتمتع به رجال الدين.

إن كلمة «إنجيليين» هي مرادف لكلمة «بروتستانت»، وهي صارت تعني أتباع الكنائس البروتستانتية التي يفضل أبناؤها تعبير «الكنائس الإنجيلية». إلا أن تعبير «الإنجيليون» فيه بعض الخصوصية اليوم لأنه يشير، عند الكثيرين، إلى البروتستانت المتشدِّدين الذين يشددون على «الولادة الثانية» للمؤمنين وعلى العمل التبشيري حتى تجاه غيرهم من المسيحيين وعلى المبادىء الأخلاقية الصارمة.

بولس وهبة

المراجع: ٦١٤، ٦٢٤.

* * *

البَسْل

لفظة ذات دلالات شتّى، وهي من الأضداد، تستخدم للدلالة على الحرام وعلى الحلال، ومن دلالاتها:

١ ـ بَسَل الرجل يبسُل بسولاً.. عَبَس من الغضب أو الشجاعة.

٢ ـ بَسَل النبيذ، إذا اشتدَّ وحمُض.

٣ ـ بَسَل اللحم، إذا خَمَّ.

٤ ـ بَسُل بالضم بسالة... فهو باسل أي بطل.

٥ ـ بَسَلتُ الراقي، أي أعطيته أجرته.

٦ ـ أبسل: حرَّم، والإبسال: التحريم.

٧ ـ البَسلُ: الشدَّة.

٨ ـ البَسلُ: نَخلُ الشيء بالمنخل.

٩ ـ البَسلُ: عصارة الحناء.

١٠ ـ البَسلُ: التوكيد في الملام.

١١ ـ البَسلُ: الحرام والحلال.

قال الأعشى:

أجارتكم بَسلٌ علينا محرَّمٌ
وجارتنا حلٌّ لكم وحليلُها؟!

وهي في هذا البيت بمعنى الحرام. أما في قول ابن همّام:

أيثبت ما زدتم وتلغى زيادتي
دمي إن أُحلَّت هذه لكم بَسلُ

فهي بمعنى الحلال.

١٢ ـ والبَسلُ في الدعاء تستخدم في وجهين:

أ ـ للدعاء بالشرّ وهي كقولك: تبّاً وويلاً؛ يقال: بسلاً له، كما يقال ويلاً له.

ب ـ للدعاء بالخير كقولك آمين؛ وفي الحديث كان عمر يقول في آخر دعائه: آمين وبسلاً. أي إيجاباً يا ربّ.

١٣ ـ المباسلة: المصاولة في القتال.

١٤ ـ باسِلُ القول: شديده وكريهه، ويوم باسل: شديد.

كما في قول الأخطل، غيّاث بن غوث التغلبي:

نفسي فداء أمير المؤمنين إذا
أبدى النواجذَ يومٌ باسِلٌ ذَكَرُ

وكما في قول عنترة بن شداد العبسي:

وإذا ظُلمت فإن ظلمي باسِلٌ
مرٌّ مذاقته كطعم العلقم

١٥ ـ استبسل الرجل، استثقل، ووطّن نفسه للهلاك.

١٦ ـ أبسلتُ فلاناً: إذا أسلمته للهلكة، وأبسلته بجريرته أسلمته بها.

وفي تفسير الآية الكريمة: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام/ ٧٠].

يقول الزمخشري في الكشاف (١/ ٥١١): «﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾، مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال المنع، ومنه: هذا بَسلٌ عليك أي حرام محظور».

ويقول ابن كثير في «مختصر تفسير ابن كثير» (١/ ٥٩٨): «﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ...﴾ أي: لئلا تبسل: تُسلَم، تُفتَضح، وقيل: تحبس، وتؤاخذ، وتجزىء، وكل هذه العبارات متقاربة في المعنى وحاصلها: الإسلام للهلكة والحبس عن الخير، والارتهان عن درك المطلوب.

وفي تفسر السمرقندي (١/ ٤٩٣): ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾ «يعني أهلكوا، ويقال: أسلموا بذنوبهم إلى النار».

وفي «الميزان في تفسير القرآن» للطباطبائي (٧/ ١٦٢): «وقوله تعالى: ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ أي تحرم الثواب. و ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾ أي حرموا الثواب».

١٧ ـ والبَسْل لقب بني عامر بن لؤي ،وهم يَدٌ من قريش الظواهر، وكانت قريش الظواهر يدين: البَسل، واليَسل. (الشيخ أحمد رضا، «متن اللغة»، ١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦).

وقريش الظواهر فريق من القرشيين، يقابلهم فريق آخر هم قريش البطاح الذين كانوا يسكنون المدينة (مكة)، وينزلون الدور في أحياء خصصت لهم عرفت بالرباع، وعرفت امتداداتها خارج البلد بالشعاب. أما قريش الظواهر فكانوا يعيشون في الخيام خارج البلد أو في ظاهرها، ومنهم بنو عامر ابن لؤي الذين لقبوا بالبُسل.

١٨ ـ البَسل: قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلّها. «والبسل ـ فيما يزعمون ـ ثمانية أشهر

حرم لهم (أي لقوم من غطفان وقيس) من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب، لا ينكرونه ولا يدفعونه، يسيرون به إلى أي بلاد العرب شاؤوا لا يخافون منهم شيئاً، قال زهير بن أبي سلمى، يعني بني مرّة:

تأمّل فإن تُقوِ المرورات منهم ... وداراتها لا تقوِ منهم إذاً نخلُ

بلاد بها نادمتهم وألفتهم ... فإن تقويا منهم فإنهم بَسلُ

يقول: ساروا في حرمهم» (سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧).

ويؤيد قول ابن هشام الذي يسنده في السيرة النبوية لابن إسحاق، ما جاء في تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٣٥٥) في تفسيره الآية: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾ [التوبة/ ٣٦]. يقول ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾، فهذا مما كانت العرب أيضاً في الجاهلية تحرمه وهو الذي كان عليه جمهورهم إلا طائفة منهم يقال لهم البُسل كانوا يحرِّمون من السنة ثمانية أشهر تعمقاً وتشديداً».

ويؤيدهما ما جاء به المؤرخ جواد علي، في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (٢/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤): ولكن البُسل عنده هي الأشهر الثمانية التي كان يحرِّمها هؤلاء القوم وليس القوم الذين كانوا يحرِّمونها: «البُسل: ثمانية أشهر حُرُم كانت لقوم لهم صيت وذكر...». وهو ما نراه عند ابن منظور، في لسان العرب منسوباً إلى ابن إسحاق: «البَسلُ ثمانية أشهر حرم كانت لقوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس يقال لهم الهباءات».

والملفت حقاً، أن المصادر والمراجع التي تشير إلى هذه الدلالة: أنها ثمانية أشهر حرم، أو أنها جماعة كان لها صيت وكانت تحرم ثمانية أشهر من السنة، لا تحدِّد هذه الأشهر الحرم، كما لا تشير صراحة ما إذا كانت الأربعة المتعارف على تحريمها جاهلية، والمؤكد تحريمها إسلامياً، هي من بينها، إنما تتركنا نستنتج أن هذه الأشهر الأربعة هي من ضمنها، معتمدين على قول ابن كثير: «منها أربعة حرم» «فهذا مما كانت العرب أيضاً في الجاهلية تحرمه...» أما الأربعة الإضافية فلا نعثر بتسميتها أو بما يحدِّدها. وهذا يدفعنا إلى التساؤل ما إذا كانت أشهراً بعينها، وما إذا كان لتحريمها أسباب بعينها، كما كانت الأربعة المعروفة محددة وأسباب تحريمها معروفة مشروحة، أم أن هؤلاء القوم الذين أقرَّتهم العرب على ما حرَّموه من أشهر إلى جانب الأربعة المتعارف على تحريمها، كانوا يحرِّمون أشهراً غير محددة بل غير ثابتة التحديد، إنما كانوا يحرِّمون منها ما وافق تحريمه مصلحة لديهم أو غاية يسعون إليها، وهي في الغالب العيش بسلام؛ لا يغير عليهم أحد ولا يغيرون على أحد، لينصرفوا إلى شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية يولونها الاهتمام الأول. ولعل عدم العثور بتحديد دقيق للشهور الثمانية، بل الأربعة الإضافية عند هؤلاء القوم يرجع ما انتهينا إليه، وإلا كانت حُددت كما حددت الأربعة الثابت تحريمها في الإسلام: «وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سرد، وواحد فرد، لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، فحرِّم شهر قبل أشهر الحج وهو ذو القعدة، لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهر آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرِّم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه آمناً».

وأياً كان الأمر، فالمرجح أن تحريم الشهور في الجاهلية، كان يتطلب توافقاً من القبائل عليه، وإذا

خرجت قبيلة أو جماعة على ذلك المتعارف عليه بإضافة أو بتعديل، وجب أن تكون تلك الجماعة ذات سطوة ومهابة لتقرها العرب على ما أضافت، أو عدّلت، حتى إذا ما جاء الإسلام ثبّت الأربعة الحرم، فألغى تحريم ما سواها.

أسعد السكاف

المراجع: ١٤٤، ١٧٣، ١٧٤، ١٩٣، ٢٩٩، ٤٢٨، ٤٤١، ٤٥٠، ٤٦١، ٤٦٣، ٥١٥، ٥٥٥.

* * *

بشارة

الإنجيل في المسيحية هو الخبر السّارُّ، أو البشرى السارة التي تحمل معنى الانتصار. والبشرى السارة أصبحت ولادة المسيح نفسه ومجيئه إلى العالم.

وعمل المسيح في هداية الناس وتوجيههم سمّي في النص الإنجيلي تبشيراً. ففي إنجيل لوقا: «فقال لهم إنه ينبغي لي أن أبشّر المدن الأُخر بملكوت الله لأني لهذا أُرسلت. وكان يكرز في مجامع الجليل».

ونجد في النص: «وكان يكرز»، وفعل كرز في المسيحية يعني التبشير بالخلاص. والكرازة في المسيحية تعني أولاً التبشير بأن يسوع مخلص ثم تمتد لتشمل الينبوع الذي يُستقى منه كل وعظ وتعليم الذي هو سرُّ الفصح. والكرازة تستلزم التوبة والهداية.

ولذلك جاءت تسمية مبشر ومبشرين لمن يمارسون الدعوة إلى المسيحية، وسمّي فعلهم تبشيراً، والمبشر في المسيحية يستلم رسالته وسلطته في الهداية من المسيح نفسه عن طريق كنيسته.

وكل مبشر وفق المسيحية بحاجة لأن يكون مستعداً للفداء والتضحية بالنفس وكأنه يقبل الموت وهو في الحياة. فقد ورد في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس: «بل تظهر في كل شيء أنفسنا كخدّام الله في الصبر الكثير والمضايق والضرورات والمشقات».

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٢٦، ٥٠٦.

* * *

البشارة LA BONNE NOUVELLE

أصلها اليوناني «أوَنغِليون» ومعناه البشرى السعيدة أو الخبر السار والمفرح. هذه البشارة تلقتها مريم العذراء من الملاك جبرائيل، حين بشرها بالحبل الإلهي من الروح القدس، وبتجسيد كلمة الله يسوع المسيح موعود الأنبياء وانتظار الشعوب (لوقا ١/ ٢٦ - ٣٨). ولهذا أطلقت هذه التسمية على الإنجيل المقدس لأنه حمل لنا بشرى الخلاص، بشرى ميلاد المسيح المخلص، وفيما بعد بشرى قيامته، إذ خلصنا من الخطيئة بصلبه، ومن الموت بقيامته. وهذه البشارة، أي الإنجيل المقدس، تحمل في طياتها تعليم المسيح - بشارة الحياة وخلاص النفس - الذي أعلنه الرسل فيما بعد، وكرزوا به الأمم والشعوب، ودوّنه الإنجيليون الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

كل الأسرار والعبادات وأفعال التقوى تنحو في اتجاه هذا السر العظيم حيث تلتقي الكنيسة عروسها الإلهي، ويكمل كل إنسان ذاته بشخصية يسوع المسيح.

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٤٥٦/٢، ٤٩٩، ٥٠٥، ٦٠٠، ٦٠٢، ٦٠٣.

* * *

بطريرك PATRIARCHE

لقب أطلق، منذ القرن الخامس، على أساقفة

كراسي المسيحية الخمسة الكبرى، وهي روما والقسطنطينية والإسكندرية وأورشليم وأنطاكية، وصار يستعمل، مع الوقت، لتعريف كبير الأساقفة في كنيسة ما، بمعنى أنه بين إخوته في منطقة جغرافية معينة يشكلون معاً مجمع أساقفتها. يعتبر الأول بين متساوين بالنسبة لهم لكونه يرأس المجمع وليس رئيساً على كل أسقف بمفرده.

الكلمة بالأصل تعني رئيس عائلة أو قبيلة، وقد وردت في العهد القديم للدلالة على أجداد الجنس البشري قبل الطوفان (تك ٥) وفيما بعد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأبنائه الإثني عشر (تك ١٢ ـ ٥٠) وعلى خلفائهم فيما بعد.

بولس وهبة

المراجع: ٦١٥، ٦٢٢، ٦٣١، ٦٣٨، ٦٣٩.

* * *

أصل الكلمة في اليونانية يعني القدامى أو آباء البدء، وهو اسم أطلق على الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ الخلاص، أمثال الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وهو أيضاً لقب أطلق، منذ مجمع نيقيا سنة ٣٢٥م، على الأساقفة رؤساء الكنائس الخمس الكبرى، وهي القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم في الشرق، وروما في الغرب. وامتد هذا اللقب فيما بعد إلى كراسي أخرى من الغرب أمثال البندقية ولشبونة. أما بطريرك أورشليم فهو ما زال تابعاً للكنيسة الغربية أي الرومانية ولو كان كرسيُّه في الشرق.

يُنتخب البطريرك شرعاً في سنودس أساقفة الكنيسة البطريركية. والبطريرك هو أسقف له سلطان على جميع الأساقفة ورؤساء الأساقفة، وعلى المؤمنين من الكنيسة البطريركية التي يرأسها. والبطاركة هم متساوون في السلطة، فيما يترأس بينهم بطريرك أو أسقف روما، ويقال له المترأس بين متساويين Primus inter paris في اللغة اللاتينية.

جان بول أبو غزالة

المراجع:

* * *

بطريركية أنطاكية

لما بدأ اليهود باضطهاد المسيحيين في فلسطين هرب قسم منهم نحو الشمال ووصلوا إلى أنطاكية حيث وافاهم القديس بطرس حوالي سنة ٤٠م، وأسَّس الكنيسة الأولى، فدُعي المسيحيون لأول مرَّة، كذلك في أنطاكية التي أقام عليها القديس بطرس الأسقف الأول وهو أوديوس، كما عقد فيها أول مجمع استبدل الختان بالعماد.

أول من حمل لقب بطريرك أنطاكية كان أُسطاتيوس في بداية القرن الرابع، أما سلطة البطريرك الأنطاكي في القرون الخمسة الأولى للمسيحية فامتدت من البحر المتوسط غرباً إلى الهند شرقاً ومن أرمينيا شمالاً إلى فلسطين جنوباً.

عرفت البطريركية الأنطاكية أوج تألقها بين سنتي ٣٨٠م و ٤٣٠م حيث بلغ تأثيرها الروحي واللاهوتي أقصى درجاته مع ديودورس أسقف طرسوس، ويوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية، وثيودوروس أسقف المصيصة، وتعتبر هذه الحقبة مفصلاً تاريخياً أساسياً في حياة الكنيسة الشرقية عموماً والبطريركية الأنطاكية خصوصاً.

أدَّت الظروف السياسية والخلافات العقائدية إلى انشقاقات في البطريركية الأنطاكية. فلما انعقد مجمع خلقيدونيا سنة ٤٥١م، وثبُت الإيمان بطبيعتين في المسيح رفض بعض الكنائس هذا القول وتمسَّكت بالإيمان بطبيعة واحدة في المسيح هي الإلهية. أما الذين رفضوا قرارات مجمع خلقيدونيا فكانوا:

ـ السريان الأرثوذكس، أو اليعاقبة، الذين أسَّسوا كنيسة منفصلة سنة ٥٣٨م.

ـ الأرمن الأرثوذكس، أو الغريغوريين، الذين انفصلوا عن أنطاكية سنة ٥٥١م. فمنذ القرن السادس أصبحت كنيسة أنطاكية كنيستين: كنيسة عُرفت بالملكية لأنها تبعت الأمبراطور البيزنطي مرقيانوس الذي دعا إلى عقد مجمع خلقيدونيا وتبنّى قراراته، وكنيسة دُعيت بالمونوفيزية أي القائلة بالطبيعة الواحدة، هي الكنيسة السريانية الأرثوذكسية.

وكانت الكنيسة الكلدانية أو كنيسة المشرق قد انفصلت عن الكرسي الأنطاكي سنة ٤٩٨م بعد أن اعتنقت العقيدة النسطورية. وفي القرن السابع نشأت الكنيسة المارونية في بطريركية مستقلة وكانت جزءاً من كنيسة أنطاكية الملكية التي قبلت قرارات مجمع خلقيدونيا واعتبر بطاركتها بطاركة أنطاكية الكاثوليك.

فأصبح هناك في القرن السابع ثلاث كنائس مستقلة متفرعة عن بطريركية أنطاكية: الكنيسة الملكية الأرثوذكسية، الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة المارونية.

وفي القرن الرابع عشر انفصل الروم الملكيون في بطريركية أنطاكية نهائياً عن الكرسي الرسولي بعد أن كان الانشقاق الكبير سنة ١٠٥٤م قد حصل بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، ونقلوا كرسي البطريركية إلى دمشق سنة ١٣٦٠م فعرفوا بالروم الأرثوذكس.

وفي سنة ١٦٦٢م نشأت الكنيسة السريانية الكاثوليكية.

أما سنة ١٧٢٤م فانقسمت كنيسة أنطاكية الملكية إلى كنيستين: كنيسة أرثوذكسية وكنيسة كاثوليكية.

وهكذا أصبحت كنيسة أنطاكية خمس كنائس: ملكية أرثوذكسية، ملكية كاثوليكية، سريانية أرثوذكسية، سريانية كاثوليكية، ومارونية.

وأصبح هناك ستة بطاركة يحملون لقب بطريرك أنطاكية، إذ إن هناك بطريركية أنطاكية لاتينية أُنشئت سنة ١٠٩٨م، لكنها زالت بزوال الحكم الصليبي سنة ١٢٦٧م وبقي اللقب شرفياً.

أما اليوم فقد أدّى الحوار بين الخلقيدونيين وغير الخلقيدونيين إلى اعتبار أن الخلاف لم يكن حول جوهر الإيمان بل على التعبير اللاهوتي عن هذا الإيمان.

كريستيان الحلو

المراجع:

* * *

البعث

جاء في لسان العرب (مادة بعث): البعث في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: الإرسال ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ [الأعراف/١٠٣] معناه: أرسلنا، والبعث إثارة بارك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار.

والبعث أيضاً: الإحياء من الله للموتى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة/٥٦] أي أحييناكم.

وبعث الموتى: نشرهم ليوم البعث.

وبعث الله الخلق يبعثهم بعثاً: نشرهم من ذلك.

ومن أسمائه عزَّ وجلَّ الباعث. هو الذي يبعث الخلق، أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة.

وفي حديث حذيفة: (إن للفتنة بعثات ووقفات) أي: إثارات وتهيجات. جمع بعثة، وكل شيء أثرته فقد بعثته.

وفي دائرة معارف القرن العشرين ـ لفريد وجدي ـ بعثه: أرسله مع غيره. وبعثه: أثارة وهيَّجه. وبعث الله الموتى أي أحياهم. وتباعثوا على الأمر: بعث بعضهم بعضاً إليه. وانبعث: اندفع.

تفسير البعث على سبعة أوجه:

الإلهام «الإحياء» في الدنيا.. اليقظة من النوم، التسلط والإرسال.. البيان والنصب.. النشور من القبور. فوجه منها، البعث يعني: الإلهام، فذلك قوله

تعالى في سورة المائدة: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ..﴾ [المائدة/ ٣١] يعني فألهم الله غراباً.

والوجه الثاني: البعث: الإحياء في الدنيا: لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة/ ٥٦]، ولقوله تعالى فيها: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة/ ٢٥٩] يعني ثم أحياه في الدنيا.

والوجه الثالث: البعث: اليقظة من النوم، قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾أي من النوم ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام/ ٦٠].

والوجه الرابع: البعث، التسليط، فذلك قوله تعالى في سورة بني إسرائيل: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ [الإسراء/ ٥].

والوجه الخامس: البعث يعني إرسال الرسول، قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة/ ٢]، يعني: أرسل رسولاً، مثلها في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة/ ١٢٩]، ولقوله تعالى - مذكور ذلك - في سورة الكهف: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الكهف/ ١٩] يعني أرسلوا.

والوجه السادس: البعث بمعنى: النصب والبيان، قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا﴾ انصبوا حكماً. ﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء/ ٣٥]، وكقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ [البقرة/ ٢٤٦]، أي بيِّن لنا ملكاً، ومثلها فيها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة/ ٢٤٧] يعني: قد نصب وبيَّن موضعه.

والوجه السابع: البعث يعني: النشور من القبور، قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج/ ٧] يعني ينشر من في القبور، ونظائرها كثير.

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ٢٤٣، ٤٤١.

بلاط الشهداء

في العام ١١٤هـ/ ٧٣٢م كان والي الخليفة هشام بن عبد الملك على الأندلس قائداً محنَّكاً هو «عبد الرحمن الغافقي»، وكان مع السمح بن مالك الخولاني في غزوة «كلُّوزة». ولما استشهد السمح تولى الغافقي قيادة جيش المسلمين، وعاد به إلى الأندلس، ثم آلت الإمارة إليه. والغافقي نسبة إلى «غافق» وهي قبيلة من الأزد. ذكر المقَّري في نفح الطيب أنه كان من التابعين، وتولى إمارة الأندلس سنة ١١٠هـ، وهو من أبطال المسلمين المعدودين. كان يفكر في قيادة حملة كبيرة يجتاز بها فرنسا وإيطاليا وألمانيا، حتى يصل القسطنطينية. وكان مقرُّه في قرطبة، واشتهر بمعاملة المسيحيين واليهود بحسب العهود المبرمة معهم.

وكان في الغرب مملكة الفرنج، وهم شعبة من القبائل البربرية التي غزت روما وتقاسمت تراثها. وأما المنطقة التي شهدت المعركة فقد كانت تضم مجتمعاً متنافراً لم تستقر قواعده، ولكن الصراع على السلطة في مملكة الفرنج حمل قائداً قديراً هو «شارل بين ببين»، الذي لقب بعد معركة بواتييه بـ «شارل مارتل» - ومارتل تعني المطرقة -، إلى مركز «محافظ القصر» وهو مركز يشبه مركز السلطان بوجود الخليفة في عهد الانحطاط، وقد أمضى الغافقي سنتين وهو يتأهب لحملة كبيرة، ثم انطلق على رأس جيش جرار سنة ١١٤هـ/ ربيع ٧٣٢م، في أرجح الأقوال، باتجاه جبال البيرينِّيه، وجعل طريقه من أرغون، ونابارة، ودخل فرنسا من أودية بيغور، وافتتح بوردو عنوة، فأقبل «أود» دوق «أكيتانيا» محاولاً صدَّه، في ممر «دوردوفاون» فهُزم. ولما رأى أنه لا طاقة له على الثبات أمامه استصرخ شارل مارتل، الذي بدأ بحشد جيش كبير، بينما أوغل العرب في التقدم حتى وصلوا إلى «بواتييه»، وقد وضعوا نصب أعينهم مدينة «تور» التي فيها دير «سان مارتين» الشهير بنفائسه الثمينة،

وهناك في بواتييه تلقوا خبر قدوم شارل مارتل.

وكان الجيش العربي محملاً بالغنائم، مشغولاً بها، ولم يشأ الغافقي أن يأمر بترك الغنائم لكي لا يثير نقمة الجيش، ولكنه كان خائفاً من ذلك، ومن الانشقاق بين قبائل البربر في جيشه.

وعندما انقض جيش المسلمين على مدينة «تور» كان شارل مارتل قد وصل بجيشه إلى «اللوار»، وعسكر بالقرب منهم من دون أن يشعروا به. وقد أخطأ الغافقي بتقدير قوة جيش العدو، لكنه عرف قوته عند ملاقاته وهو يهمُّ باقتحام نهر اللوار لملاقاته على ضفته اليمنى، فارتد من ضفاف النهر إلى السهل الواقع بين تور وبواتييه. وعبر شارل مارتل اللوار غربي تور، وعسكر بجيشه إلى يسار جيش المسلمين بأميال قليلة.

وبدأ القتال في يوم ١٢ أو ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ٧٣٢م، ودامت المناوشات مدة سبعة أو ثمانية أيام، احتفظ فيها كل طرف بمواقعه. وفي اليوم التاسع دارت معركة شاملة استمرت حتى دخول الليل، واستؤنفت في اليوم التالي حتى بدا الإعياء على الفرنج، ولاح النصر للمسلمين، ولكن حدث عندئذ أن افتتح الفرنج ثغرة إلى معسكر الغنائم، فارتدت قوة كبيرة من فرسان المسلمين إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم، فدب الخلل في صفوف المقاتلين، وعبثاً حاول الغافقي تهدئة الجند، وإعادة النظام، ولكن سهماً أصابه وهو في الصفوف الأولى يحاول تنظيمها، فسقط شهيداً، ودبَّ الذعر في صفوف المسلمين، واشتدت وطأة الفرنج، حتى إذا جاء الليل افترق الجيشان من دون فصل. وكان ذلك أوائل رمضان ١١٤هـ/ ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ٧٣٢م.

وناقش قادة المسلمين الوضع، فكان قرارهم الانسحاب تحت جنح الظلام إلى قواعدهم في «سبتمانيا»، تاركين غنائمهم للعدو. وفي اليوم التالي تقدم الفرنج فوجدوا المعسكر خاوياً، فخشي شارل مارتل أن يكون في الأمر خديعة، فلم يقم بمطاردة المسلمين واكتفى بما حققه.

وكانت هذه المعركة آخر تقدم للمسلمين في تلك المناطق، وانهار حلمهم في فتح القسطنطينية من الغرب. وقد أطلقوا على هذه المعركة اسم «بلاط الشهداء» لكثرة ما استشهد فيها منهم، بينما يسميها الغربيون باسم المنطقة التي دارت فيها «بواتييه».

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٤٢٤، ٥٢٠، ١/٥٧٠.

* * *

بنو الأحمر (أو بنو نصر)
(٦٢٩ ـ ٨٩٧هـ/ ١٢٣٢ ـ ١٤٩٢م)

٦٢٩هـ	محمد الأول، الغالب بالله	١٢٣٢م
٦٧١هـ	محمد الثاني، أبو عبد الله الفقيه	١٢٧٣م
٧٠١هـ	محمد الثالث، أبو عبد الله المخلوع	١٣٠٢م
٧٠٨هـ	نصر، أبو الجيوش	١٣٠٩م
٧١٣هـ	إسماعيل الأول، أبو الوليد	١٣١٤م
٧٢٥هـ	محمد الرابع	١٣٢٥م
٧٣٣هـ	يوسف الأول، النيار أبو الحجاج	١٣٣٣م

تنتسب هذه الأسرة إلى محمد الغالب بالله بن يوسف بن محمد بن نصر بن الأحمر الخزرجي الأنصاري، مؤسس الإمارة الغرناطية في كورة البيرة، وآخر حكام المسلمين في غرناطة والأندلس. وقد أعلن نفسه أميراً على الأندلس بعد أن استولى على جيان ووادي آش وبسطة، ثم استولى سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م، على غرناطة وجعلها عاصمة لإمارته التي شملت القسم الجنوبي من الأندلس القديمة، من ما وراء نهر الوادي الكبير جنوباً حتى شاطىء المتوسط في الشرق ومضيق جبل طارق في الجنوب، وفيها ثلاث ولايات: غرناطة والمرية ومالقة، وتَلَقَّب بالغالب بالله.

بنى محمد بن يوسف حصن الحمراء بغرناطة، وتعاون مع بني مرين، ملوك المغرب الأقصى،

ضد الإسبان فترة، ثم عقد صلحاً مع المسيحيين واستعان بهم ضد بني هود وبني مرين. وطال عهده ٤٢ سنة عاصر خلالها سقوط المدن الأندلسية واحدة بعد الأخرى. وحين توفي سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م خلفه في الملك ابنه أبو عبد الله محمد بن محمد (محمد الثاني) الملقب بالفقيه لعلمه وتقواه. وقد رتب محمد الثاني رسوم الملك للدولة ووضع ألقاب خدمتها ونظم دواوينها وجبايتها، كما كان بعيد الهمة واسع الأفق وبارع السياسة. وقد عاصره ملك قشتالة ألفونسو العاشر المعروف بالحكيم الطامع في المملكة المسلمة الناشئة. وقد استهل الفقيه عهده بنجدة من المرينيين نزلت الأندلس وهزمت جيش قشتالة هزيمة شنيعة (سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م) ذكَّرت بموقعتي الزلاقة والأرك، وكانت أول نصر يحرزه المسلمون بعد سلسلة من الهزائم وسقوط مدن الأندلس، فكان لها الصدى الضخم الذي أحيا آمال الناس، لكنه أدخل التوجس على الفقيه فأخذ يتقرب من ملك قشتالة. وشكلت الدول الثلاث على مدى عشرين سنة ثالوثاً من الأعداء المتوازنين.

وقد توفي الفقيه سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م، بعد ثلاثين سنة من الحكم بعد أن زادت مملكته توطداً وقوةً، ومن بعده تعاقب بنو الأحمر إلى سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م حيث تولى الحكم محمد بن علي المعروف بأبي عبد الله الصغير، الذي تعاون مع فرناندو الأراغوني ملك أراغون وإيزابيلا ملكة قشتالة لإسقاط عمه محمد بن سعد الزغل. فلما تم النصر للإسبان على محمد بن سعد اتجهت جيوشهم إلى محمد بن علي الصغير فحاصرت مدينته غرناطة. وطلب الملكان الإسبانيان تسليم غرناطة وأسسا مدينة (سانتافي) قرب غرناطة تأكيداً لعزمهما على الحصار النهائي.

واضطر أبو عبد الله الصغير إلى التسليم بعد مفاوضات طويلة وإلى مغادرة غرناطة إلى المغرب، وانتهى معه الحكم الإسلامي كله في الأندلس بعد ثمانية قرون.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٥٢، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٧.

* * *

بنو الأفطس (٤١٣ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٢٢ ـ ١٠٩٤م)

٤١٣هـ	عبد الله المنصور بن محمد بن الأفطس	١٠٢٢م
٤٣٧هـ	أبو بكر محمد المظفر بن عبد الله	١٠٤٥م
٤٦٠ ـ ٤٧٣هـ	يحيى المنصور بن المظفر	١٠٦٨ ـ ١٠٨١م
٤٦١ ـ ٤٨٧هـ	عمر المتوكل بن المظفر	١٠٦٩ ـ ١٠٩٤م

إحدى الأسر الحاكمة في الأندلس من ملوك الطوائف. وقد حكمت هذه الأسرة مدينة بطليوس، وتنسب إلى عبد الله المنصور بن محمد بن مسلمة الأفطس (٤١٣هـ/ ١٠٢٢م). وقد ولي ابن الأفطس الوزارة لأمير بطليوس سابور، وكان هذا الأخير قد استقل بها بعد انتهاء حكم الأمويين على الأندلس، فلما مات سابور استأثر ابن الأفطس بالحكم حتى وفاته، وخلفه من بعده ابنه أبو بكر محمد المظفر، وكان أديباً شاعراً ومحارباً شجاعاً، وكان بينه وبين صاحب إشبيلية المعتمد بن عباد منافسات. وبعد وفاته سنة (٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) خلفه ابنه يحيى المنصور ابن المظفر (٤٦٠ ـ ٤٧٣هـ/ ١٠٦٨ ـ ١٠٨١م) ثم عمر المتوكل ابن المظفر (٤٦١ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٦٨ ـ ١٠٩٤م). وبعد هزيمة القشتاليين في معركة الزلاقة أمام المرابطين زحف يوسف بن تاشفين إلى بطليوس فخلع المتوكل عنها وقتله مع ابنيه بعدما بلغه أن المتوكل قد اتصل بألفونسو ملك قشتالة.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٥٢، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٧.

* * *

بنو حمود (٤٠٧ - ٤٤٩هـ/ ١٠١٧ - ١٠٥٧م)

في مالقة

٤٠٧هـ علي الناصر لدين الله	١٠١٧م
٤٠٨هـ القاسم المامون	١٠١٨م
٤١٢هـ يحيى المستعلي بالله	١٠٢٢م
٤١٣هـ القاسم (مرة ثانية)	١٠٢٣م
٤١٦هـ يحيى (مرة ثانية)	١٠٢٥م
٤٢٧هـ إدريس الأول المتأيد بالله	١٠٣٦م
٤٣١هـ الحسن المستنصر بالله	١٠٤٠م
٤٣٤هـ إدريس الثاني العالي بالله	١٠٤٣م
٤٣٨هـ محمد الأول المهدي بالله	١٠٤٧م
٤٤٤هـ إدريس الثالث الموفق بالله	١٠٥٣م
٤٤٥هـ إدريس الثاني (مرة ثانية)	١٠٥٤م
٤٤٥هـ القاسم المستعلي بالله	١٠٥٤م
٤٤٦هـ - ٤٤٧هـ محمد الثاني المستعلي بالله	١٠٥٥ - ١٠٥٦م
٤٤٩هـ ثم ولي الموحدون	من سنة ١٠٥٧م

في الجزيرة

من سنة ٤٣١هـ - ٤٥٠هـ/ ١٠٣٩م - ١٠٥٨م

٤٣١م محمد المهدي	١٠٣٠م
٤٤٠ - ٤٥٠هـ القاسم الواثق	١٠٤٨ - ١٠٥٨م

إحدى الأسر الحاكمة في الأندلس من ملوك الطوائف، وهي تنتمي إلى الأدارسة الحسنيين العلويين الذين ثاروا على الدولة العباسية واستقلوا في شمالي إفريقية.

وتنتسب هذه الأسرة إلى علي الناصر لدين الله ابن حمود بن ميمون الإدريسي الذي كان من قواد الخليفة الأموي الأندلسي سليمان المستعين بالله بن الحكم، فولاه سليمان مدينتي سبتة وطنجة سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م فكاتب علي بن حمود البربر فبايعوه بالخلافة، فزحف إلى قرطبة وقتل سليمان المستعين سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٧م وتلقب بالناصر لدين الله، واستتب له الأمر سنة وعشرة أشهر، وبعدها ثار عليه أنصاره وقتلوه سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م فخلفه أخوه القاسم الأول. وفي سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م ثار عليه ابن أخيه يحيى بن علي (يحيى الأول) وسجنه حتى توفي سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م. ثم ثار البربر على يحيى بن علي وخلعوه ونصبوا عبد الرحمن بن هشام الأموي خليفة سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م باسم المستظهر بالله، ثم خلعوه وبايعوا المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن في السنة نفسها.

وفي سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م استعاد يحيى بن علي قرطبة من المستكفي بالله محمد لفترة وجيزة، رحل بعدها إلى مالقة وظل بها حتى مقتله سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٦م على أيدي بني عبّاد. ثم تولى الأمر الموحدون سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٥٢، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٧.

* * *

بنو طاهر (الدولة الطاهرية) (٢٠٥ - ٢٥٩هـ/ ٨٢١ - ٨٧٣م)

٢٠٥هـ أبو الطيب طاهر (الأول) ابن الحسين ذو اليمينين	٨٢١م
٢٠٧هـ طلحة بن طاهر	٨٢٣م
٢١٣هـ ابو العباس عبد الله بن طاهر	٨٢٨م
٢٣٠هـ طاهر (الثاني) بن عبد الله	٨٤٥م
٢٤٨هـ محمد بن طاهر الثاني	٨٦٢م

مؤسس هذه الدولة طاهر بن الحسين الخراساني، وهو القائد الذي عينه الخليفة المأمون على الجيش فحقق له النصر في النزاع الذي نشب بينه وبين أخيه الأمين. وقد ذُكر أن هذا القائد، وأصله من الموالي الفرس، كان يضرب بالسيف في قتاله بيسراه كما يضرب بيمناه، بحيث لقبه المأمون «ذا اليمينين».

وكان المأمون يثق به فكافأه على مناصرته له بأن استعمله سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢١م على خراسان وكل البلاد الواقعة شرقي بغداد، فجعل مرو عاصمة ولايته، وظهرت لديه بعض الميول الانفصالية لكنه توفي بعد سنتين (سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م) فأقر المأمون ابنه طلحة على الولاية نفسها في حين تولى أخوه عبد الله الشرطة في بغداد. وقد برهن الطاهريون في المنصبين على الإخلاص للخلافة فترة طويلة واحتفظوا بالولاية حتى سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م. وكانوا يتعصبون للسنة ولبني العباس رغم أنهم كانوا يحكمون الولاية مستقلين تماماً. وقد قاوموا التشيُّع في ولايتهم بحماسة وتعقبوا العلويين وبخاصة الحسن بن زيد العلوي الذي ظهر في طبرستان واجتمع إليه الديلم، سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م. وكثيراً ما كان الطاهريون يتعاونون مع قوات الخلافة ضد أعدائها، كما تعاونوا معها في قمع الثائرين على العباسيين. كما حارب الطاهريون الصفاريين الذين كانت قوتهم تزداد في سجستان وتهدد دولة بني طاهر في خراسان، إلا أنهم فشلوا أمامهم مما أدى إلى ضعف بني طاهر ثم إلى دخول يعقوب بن الليث الصفّار مدينة نيسابور سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م وإنهاء الدولة الطاهرية.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٢٢، ٤٢٤.

* * *

بنو مهدي (٥٥٤ ـ ٥٧٠ هـ/ ١١٥٩ ـ ١١٧٤م)

أبو الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي بن داود الحميري الرعيني ٥٥٣ ـ ٥٥٤هـ/ ١١٥٨ ـ ١١٥٩م

مهدي بن علي (توفي في مستهل ذي القعدة سنة ٥٥٨هـ) ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م

عبد النبي بن علي (حتى سنة ٥٦٩هـ) ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م

هزم توران شاه الأول بن أيوب الأخ الأكبر لصلاح الدين ثم قتله سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)

ينتسب المهديون، أو بنو مهدي، إلى أبي الحسن علي بن مهدي بن محمد بن علي الحِمْيَري الرعيني الذي كان والياً على تهامة، وجذب إليه أتباعاً، ونزل حصن الشرف وسمّى أصحابه، وهم من خولان، بالأنصار، بينما سمّى كل من صعد إليه من تهامة بالمهاجرين، ثم جعل للأنصار نقيباً سماه شيخ الإسلام وللمهاجرين مثله، واحتجب فلا يخاطبه أحد إلا من خلال الشيخين. وفي سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م بدأ يحتل الحصون ويُخضع البلاد، واستطاع سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م احتلال زَبيد، لكنه لم يتمتع بالملك سوى شهرين وبعض الشهر وتوفي، فخلفه ابنه المهدي (٥٥٤ ـ ٥٥٨هـ/ ١١٥٩ ـ ١١٦٣م) ثم ابنه الثاني عبد النبي الذي خُلع، وخلفه أخوه عبد الله، لكن الحكم ما لبث أن عاد إلى عبد النبي من جديد، وقد بسط نفوذه على جميع بلاد اليمن إلا عدن التي ظلت تدفع له الجزية. وبوصول توران شاه بن أيوب الأخ الأكبر لصلاح الدين الأيوبي الذي قتل عبد النبي بن علي وأخويه أحمد ويحيى سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م انتهت دولة بني المهدي.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١٧، ٤٢٤.

* * *

بنو نجاح (٤١٢ ـ ٥٥٤هـ/ ١٠٢٢ ـ ١١٥٩م)

٤١٢هـ رشيد الحبشي المؤيد نجاح (اغتاله علي الصليحي سنة ٤٥٢هـ) ١٠٢٢م

٤٥٤هـ علي الداعي الصليحي

٤٧٣هـ سعيد الأحول بن نجاح (توفي سنة ٤٨١هـ) ١٠٨٠م

(فترات تغلب الصليحيين سنة ٤٧٣ ـ ٤٧٥ ـ ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ـ ٤٨١هـ)

٤٨١هـ	جياش بن نجاح نصير الدين أبو الطامي	١٠٨٨م
٤٩٩هـ	الفاتك الأول بن جياش	١١٠٦م
٥٠٣هـ	المنصور بن فاتك	١١١٠م
٥١٧هـ	الفاتك الثاني بن المنصور	١١٢٣م
٥٣٠هـ	الفاتك الثالث بن محمد بن الفاتك الأول	١١٣٦م

(حتى عام ٥٥٣ ـ ٥٥٤هـ ثم بنو مهدي بعد ذلك)

ينتسب بنو نجاح، عبيد العباسيين، إلى المؤيد نصير الدين نجاح الحبشي الذي استقل سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م بحكم زَبيد ومملكة بني زياد العباسيين في اليمن. وقد أبدى من الدهاء والسياسة البارعة ما مكنه من البقاء مدة طويلة مالكاً لتهامة اليمن حتى عدن، إلى أن قتله علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦١م، وطرد أولاده الثلاثة من تهامة وزبيد وألجأهم إلى جزر دهلك. ولكن سعيداً الأحول ابن نجاح عاد إلى زبيد متنكراً متستراً. ثم استطاع سعيد أن يقتل علي بن محمد الصليحي وأن يسترد سلطان بني نجاح على زبيد وما يجاورها من بلاد اليمن. وقد تقلبت زبيد أكثر من مرة في خلال حياة سعيد الأحول بين أسرتين، النجاحية والصليحية. وبعد سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م استمرت زبيد بصفة دائمة تحت حكم بني نجاح حتى أفسحت دولتهم الطريق إلى بني المهدي (المهديين) سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م. وقد وقعت دولة بني نجاح بعد وفاة جياش بن نجاح، أخي سعيد الأحول، تحت حكم سلطان الوزراء من الأحباش الذين كانت لهم السلطة الفعلية في عهد فاتك بن جياش وابنه المنصور بن فاتك، ومن هؤلاء الوزراء أنيس الفاتكي الذي استضعف سيده منصوراً وضرب السكة باسمه، فتآمر عليه منصور وقتله. وقد خلف أنيس الفاتكي عدة وزراء امتاز عهدهم بالمنافسة على الوزارة وقامت الفتن في البلاد، ومن هؤلاء الوزراء أبو منصور مفلح الفاتكي، وكان حبشياً كذلك، امتاز بالأدب والكرم والشجاعة. وبعد وفاته سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م تقلد الوزارة طائفة من العبيد حتى زالت دولة بني نجاح وقضى عليها علي بن مهدي سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ٤٢٤.

* * *

البهائية

مؤسس البهائية حسين علي نوري بن عباس بن بُزُرْك المازندراني من بلاد فارس، ولد عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، كان وشقيقه يحيى من أركان البابية، وقد بدأ ينشط للبروز بين البابيين بعد إعدام الباب.

أعلن دعوته عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م في أواخر شهر أبريل (نيسان)، أما مكان إعلان دعوته فهو في الكرخ ببغداد، وزعم المازندراني أنه المقصود بدعوة «البيان» التي جاء بها علي محمد الشيرازي (الباب)، وأنه قد حلت فيه بعض ألوهية.

عندما ظهرت فتنته نفي إلى تركيا ومنها إلى عكا بفلسطين عام ١٨٦٨م، وبقي فيها حتى وفاته في ٢ ذي القعدة ١٣٠٩هـ/٢٨ مايو (أيار) ١٨٩٢م، وقبره بعكا، وإليه يتجه البهائيون في صلاتهم.

بعده تولى زعامة البهائية ابنه عباس الذي لقبوه «عبد البهاء» وهذا يدلّل على تأليههم «البهاء». وبعد عباس تولى زعامة البهائية سبطه شوقي أفندي الذي درس في الجامعة الأميركية ببيروت، وقد تزوج من أميركية اسمها ماري ماكسويل تحولت إلى البهائية باسم: روحية خانم. وبعد وفاة شوقي أفندي في لندن في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٧م، تحولت القيادة عند البهائيين إلى مجموعة تقيم بحيفا في فلسطين المحتلة حيث مركزهم العالمي الذي يسمونه «بيت العدل البهائي العالمي».

والبابية التي أخلت مكانها للبهائية بقي منها كتاب «البيان» الذي تعود إليه معظم معتقدات وتشريعات البهائية.

ومعتقدهم في البهاء غريب ويحمل زعماً

يجعلهم منحرفي العقيدة، فهو عندهم مظهر أو منظر الله الذي يتجلّى في طلعته جمال الذات الإلّهية، ومن أقوالهم عنه: «لولا البهاء من يقدر أن يتكلم أمام الوجوه، أنصفوا ولا تكونوا من الظالمين، به ماجت البحار، وظهرت الأسرار، ونطقت الأشجار، الملك والملكوت لله منزل الآيات ومظهر البيّنات».

أما البهاء نفسه فيقول في كتاب «الأقدس»: «يا قوم لا يأخذكم إلا الاضطراب إذا غاب ملكوت ظهوري وسكنت أمواج بحر بياني، إنَّ في ظهوري لحكمة وفي غيبتي حكمة أخرى، ما اطلع بها إلا الله الفرد الخبير. ونريكم من أفقي الأبهى وننصر من قام على نصرة أمري بجنود من الملأ الأعلى وقبيل من الملائكة المقربين».

وتقوم دعوة البهائية على أنها جاءت لنسخ الإسلام، وما قاله «البهاء» نفسه يحمل الاتهام الصريح لكل مسلم لم يترك الإسلام ليلتحق بدعوته.

يقول «البهاء» في كتابه «الإتقان»: «إن ما تمسك به اليهود والنصارى وكانوا يعترضون به على الجمال الأحمدي هو بعينه ما قد تشبث به أصحاب الفرقان في هذا الزمان، ويعترضون به على نقطة البيان روح من في ملكوت الأمر فداه. فانظر إلى هؤلاء الغافلين الذين يقولون اليوم ما قاله اليهود وهم لا يشعرون».

ويقولون كذلك: البهائية «ليست ديناً جديداً: إنَّها الديانة المجدَّدة والتي تقوم على قمة أهرامات الديانات البروتستانتية والكاثوليكية والإسلامية واليهودية والبوذية... الخ، التي تتصارع بعضها مع بعض، وهي تحاول أن تجلب الجميع رغم أنوفهم إلى صفوفها، لأنها وحدها فقط الديانة الحقيقية، وكل الديانات الأخرى خاطئة وغير صحيحة». نرى في هذا النص اتهاماً وقحاً من البهائية للمسلمين وسواهم من أتباع الديانات.

والبهائيون قدَّموا ويقدِّمون خدمة مهمة للاستعمار والصهيونية من خلال دعوتهم لنسخ الجهاد وعدم استخدام السلاح، فإنهم بذلك يشلُّون طاقات من يتبعهم عن المواجهة ومقاومة الأعداء، ويزعمون بأن ظهور «البهاء» هو الإيذان بعصر سلام تتوقف فيه كل أشكال القتال والصراع.

يقول أتباعه: «وقد أسس (البهاء) أساساً يكون قاعدة متينة لاتحاد جميع العالم، وشيَّد بنيان هذا العصر المجيد عصر السلام على الأرض والصلاح بين الأنام». ويصرحون كذلك قائلين: «إن البهائيين تركوا بالكلية استعمال الأسلحة النارية لمصلحتهم حتى في أمور الدفاع المحضة وذلك بناء على أمر صريح من بهاء الله».

هذا الموقف المتخاذل الهارب من المواجهة هو الذي دفع الاستعمار كي يحتضن حركة «البهاء»، وهو نفسه الذي جعل العدو الإسرائيلي يدعم البهائية، فمركزه الرئيسي هو في حيفا وقبر البهاء في عكا، لقد صرحت زوجة شوقي أفندي ـ السابق الذكر ـ وهي الأميركية ماري ماكسويل (روحية خانم) قائلة عام ١٩٦١م: «إذا كان لنا الاختيار كبهائيين فإننا نقول بأن نمو المعتقد الجديد ـ البهائي ـ في العالم عامة، وفي المنطقة خاصة، لا يتم إلا إذا ارتبط البهائيون مع إسرائيل برباط يشبه حلقات سلسال معلَّقة بعضها ببعض».

وللبهائية عباداتهم الخاصة، ومنها صلاتهم المخالفة للإسلام كل المخالفة. وعندهم كذلك تقديس الرقم «١٩» به يربطون أموراً كثيرة، فالتقويم المعتمد عندهم أن الشهر ١٩ يوماً، والسنة ١٩ شهراً والسنة ٣٦١ يوماً وما يتبقى منها وهو أربعة أيام يسمونها أيام النسيء. والسنة عندهم تبدأ في ٢١ مارس (آذار) وهذا شأن من تراث الفرس.

وعندهم عيد نهاية الصوم والسنة وهو في ٢١ مارس (آذار)، وهذا إحياء لعيد النيروز الفارسي. وعيد الرضوان ويستمر ١٢ يوماً من ٢١ أبريل (نيسان) إلى ٣ مايو (أيار) وهذه مناسبة إعلان البهاء لدعوته.

وعندهم المهر في المدن ١٩ مثقالاً من الذهب وفي الأرياف ٩٥ مثقالاً من الفضة وهي ١٩ × ٥. والزكاة ١٩ بالمئة من الربح الصافي... الخ.

والرقم (١٩) هذا ترك إشكالات عديدة، منه ما جاء به البهائي محمد رشاد خليفة حين ربط الإعجاز القرآني بالرقم ١٩، والإشكال الآخر هو ما قاله بسام جرار عن إعجاز الرقم ١٩ وعن زوال دولة إسرائيل سنة (٢٠٢٢م) بناء لحسابات تعتمد هذا الرقم، وكل ذلك نهج بهائي مبني على المزاعم والمعتقد الفاسد.

والبهائية حركة هدّامة ومتبعها مرتد. ومما ورد في حق هذه الردة من لجنة الفتوى في الأزهر الشريف: «نفيد بأن مذهب البهائية مذهب باطل ليس من الإسلام في شيء، بل إنه ليس من اليهود ولا النصرانية، ومن يعتنقه من المسلمين يكون مرتداً مارقاً عن دين الإسلام، فإن هذا المذهب قد اشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأباها كل الإباء منها: ادِّعاء النبوة لبعض زعماء هذا المذهب. ومن المقرر شرعاً أن المرتد لا يرث المسلم ولا غيره، وعلى ذلك، فمعتنق البهائية لا يرث غيره مطلقاً».

إن البهائية ناشطة هذه الأيام في فلسطين المحتلة وتسوِّق لها أجهزة أمن العدو الإسرائيلي وسط المسلمين لتشل المقاومة، ورغم حظرها منذ أكثر من أربعين عاماً، إسلامياً وعربياً، فلا تزال تسعى للتسلل إلى صفوف الشعب.

وفي لبنان يبدو أن الجامعة الأميركية في بيروت، ومنذ درس فيها شوقي أفندي، سبط عباس عبد البهاء، خليفة البهاء في الثلاثينيات من القرن العشرين، كانت نقطة الانطلاق للبهائية، ووصل الأمر أن أعطيت ترخيصاً من وزارة الداخلية باسم «الجامعة البهائية في لبنان»، وكانت لهم مقبرة قبل اندلاع الأزمة عام ١٩٧٥م في منطقة عرمون يقوم عليها نصب يحمل شكلاً مثمن الأضلاع وهو المعتمد عندهم. ودائرة المعارف البريطانية تقول في العام ١٩٨٥م بأن للبهائية ما لا يقل عن سبعة محافل في لبنان.

والبهائية لم تكتفِ بالعمل لنسخ الجهاد بل استخدمت التحذير من خلال ما قاله بسام جرار عن نهاية محتومة لدولة إسرائيل، وذلك معناه ألا يعمل الناس للتحرير. يقول في دراسة لجريدة اللواء اللبنانية ليوم الثلاثاء ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٣م الموافق فيه ١٧ جمادى الثانية ١٤١٤هـ، ما يلي:

«تدوم إسرائيل وفق النبوءة الغامضة ٧٦ سنة، أي ١٩× ٤. ويفترض أن تكون الـ ٧٦ سنة هي سنوات قمرية لأن اليهود يتعاملون بالشهر القمري... عام ١٩٤٨م هي ١٣٦٧هـ. على ضوء ذلك إذا صحت النبوءة فإن إسرائيل ستدوم حتى ١٣٦٧هـ + ٧٦ = ١٤٤٣هـ. وهذه السنة هي ٢٠٢٢م».

أسعد السحمراني

المراجع: ٩٠، ٩١، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ٢٣٠، ٢٤٦، ٤١١، ٤٩٥، ٥٥٦، ٦١٠.

* * *

البُهرة (الإسماعيلية المستعلية)

فرقة من الشيعة الإسماعيلية الفاطمية، وقد أطلق عليهم اسم البُهرة تمييزاً لهم عن الإسماعيلية النزارية الآغاخانية. فبعد انقسام الإسماعيلية الفاطمية إلى مستعلية: وهم المؤيدون لإمامة أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله، ونزارية: وهم المؤيدون لإمامة نزار أخيه الأكبر والمستحق للإمامة (انظر: الآغاخانية)، صارت القاهرة مركزاً للمستعلية، بينما صارت شمال إيران قاعدة للنزارية. وبعد وفاة المستعلي سنة ٤٩٥هـ، تولى بعده ابنه الآمر بأحكام الله الذي بقي في الإمامة نحو ثلاثين سنة وقتله النزارية سنة ٥٢٤هـ. وقيل: إن الآمر دخل كهف الستر والغيبة فتسلم الإمامة

من بعده أربعة وكلاء هم على التوالي: الحافظ لدين الله ابن الآمر، والظافر بأمر الله ابن الحافظ، والفائز بنصر الله ابن الظافر والعاضد لدين الله الذي كان آخر أئمة الفاطميين، وبوفاته سنة ٥٦٧هـ، انتهى حكم الفاطميين في مصر. لكن المستعلية لم تنته بسقوط الخلافة الفاطمية واستمرت تحت اسم البُهرة (وهي كلمة هندية معناها التاجر). وكانت هذه الفرقة قد انتقلت إلى اليمن بعد اغتيال الآمر ابن المستعلي بأيدي النزارية، وكانوا يقومون بالتجارة بين اليمن والهند، فقاموا ببث الدعوة بين الهندوس وخاصة في جنوبي بومباي حيث انتقلت الدعوة إلى هناك، لكنها انقسمت إلى فرقتين: البهرة السليمانية، والبهرة الداوودية، ولهم الآن في الهند ما يزيد على مائة مسجد أفخمها مسجد بومباي المعروف بغرَّة المساجد، ولهم تكايا منظمة في جميع البلاد التي يقصدونها إما للحج وإما للزيارة. وقد أطلقوا على مشرفيهم الدينيين في مختلف بلاد العالم وحيثما كان لهم أتباع اسم العامل.

وهم يسوقون الإمامة في ولد إسماعيل بن جعفر الصادق حتى ينتهوا إلى شخص يقولون: إنه المهدي المنتظر وأنه غائب، أما الذي يطلقون عليه اسم سلطان البُهرة فيبدو أنه من قبيل النائب عن الإمام الغائب.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٣٢/١، ٥٤٣.

* * *

بوذا

مؤسس ديانة وضعية ينتشر أتباعها في معظم دول القسم الشرقي من القارة الآسيوية. اسمه الأصلي «غوتاما سيدهارتا»، وقد ولد في منطقة تضمها حالياً جمهورية النيبال قريبة من جبال الهملايا، وكانت ولادته عام ٥٦٤ق.م. ووفاته عام ٤٨٣ق.م.

غوتاما سيدهارتا من أبوين ينتميان لطبقة الكشاتريا حسب توزيع الطبقات عند الهندوس، وهذه الطبقة تتولى القيادة السياسية.

ولادة غوتاما سيدهارتا حسب «إنجيل بوذا»، كتابهم المقدس، نسجوا حولها تصوراً تشبه ما جاء عن ولادة بعض الأنبياء. وعندهم أن أم «بوذا» عندما شارف وضع حملها استأذنت زوجها الحاكم بأن تذهب لتضع حملها في منزل والديها وأذن لها فتحركت وكان حملها من دون دنس كما يزعمون.

يقولون في إنجيل بوذا: «ولما أن جاءها المخاض، وأحست بقرب الوضع، سألت الملك أن يبعثها إلى بيت أبويها، وكان هو قلقاً من أجل امرأته والمولود المزمع أن يشهد النور، فأجابها إلى ما طلبت، وبينما هي تجتاز بستاناً من شجرة الملبيني الغض فاجأها ألم الوضع فلجأت إلى ظل شجرة حرير، وإذا تحتها طفل كامل معافى، يحكي الشمس إشراقاً، فانتشر نوره، وملأ العالم، فتفتحت عيون المكفوفين وشاهدوا المجد الآتي من العلاء، وحُلَّت عقدة ألسنة الخرس وسمعت آذان الصم».

وتكمل الأسطورة عندهم فيقولون: «لم تكد تنهض حتى كان تحتها طفل تلقته أيدي أربعة من البراهمة في شبكة نسجت خيوطها من أسلاك الذهب. ووقف المولود فجأة وتقدم إلى الأمام سبع خطوات ثم صاح في صوت عذب: «أنا سيِّد هذا العالم.. وهذه الحياة هي آخر حياة لي». تربى غوتاما سيدهارتا في قصر والده، وتزوج في شبابه، وكان له من زوجته المولود الأول حين حصل التحول المفصلي في حياته.

كان يتجول بين الناس حين شاهد مريضاً يتألم، ورجلاً متقدماً في السن أحنت السنون ظهره، وإنساناً تلاشى بدنه لجوعه، وجنازة يشيِّع الناس فيها ميتاً، هزته هذه المشاهد، مشاهد الألم، وبدأ يفكر بطريق الخلاص.

غادر أسرته وطبقته وزوجته وولده وهامَ على

وجهه قاصداً الغابات في جبال الهملايا ليحيا هناك مع رهبان الهندوسية حياة قاسية لا تحفل بمطالب البدن، وكان يكتفي من الطعام ببعض حبيبات تحفظ له الحياة حتى نحل بدنه وساءت حالته البدنية، وكان مع هذا النظام المعيشي يعيش حياة تفكير وتأمل وبحث عن الحقيقة، تلك الحقيقة التي تسعف الإنسان كي يتخلص من الآلام والمعاناة.

استمر بوذا على هذه الحال حتى كان ذات يوم تحت شجرة «بو» تشبه التين فكان ما كان من حالة فكرية حلَّت عليه وكأنه حصَّل الحكمة التي كان ينشدها، وعندها أصبح «البوذا» أي المستنير، وبعد هذه الواقعة بات غوتاما سيدهارثا بوذا.

حسب زعمهم حلت فيه في ذلك الموقف حالة علوية حولته إلى «تتفاتا»، أي الرجل الكامل. وزعم أتباعه بعده أن ظهور بوذا كان بينهم هو ظهور الحقيقة العلياء وأعطوه صفة تألُّه لم يقل بها هو نفسه. نسب البوذيون لأحد من خلفوا بوذا في قيادة جماعته واسمه «آنورودا» أنه قال:

«إن غوتاما شودهادانا كان الحقيقة المنظورة بيننا، إنه الواحد المقدس الكامل، وهو الواحد المبارك، وقد حلت فيه الحقيقة العليا وصارت إنساناً وأعلنها لنا.

إن تتفاتا (بوذا) علمنا أن الحقيقة كانت في البدء قبل أن يولد في هذا العالم وهي هي بعد أن صار إلى النيرفانا المباركة.

إن تتفاتا (بوذا) قال: أنا الواحد المبارك، أنا الحقيقة الممثلة والموجود الخالد الذي ظهر في العالم. ولنحفظ جيِّداً أن ليست الشريعة هذه ولا تلك... بل هي بوذا الحقيقة الخالدة التي ظهرت بيننا بمجد عظيم».

بوذا الذي قال عنه أتباعه هذا الكلام لم يهتم هو شخصياً بموضوع الإلّهيات ولا وضع نظاماً لشعائر وعبارات، وإنما جلّ ما فعله أنه وضع نظاماً فلسفياً يعنى بالأخلاق، وبانتهاج سلوك يمكن صاحبه من تحقيق الخلاص، وأتباعه بعده اعتبروا أن هذا الخلاص يتحقق عندما يتنزه الإنسان ويحقق الطهارة فيتيسر له حينها الاتحاد ببوذا المخلص.

لكن الأمر يبدأ بقرار ذاتي يتخذه من يطلب الخلاص. وينسبون إلى بوذا أنه قال: «إنه لمن الحمق أن تظن أن سواك يستطيع أن يكون سبباً في سعادتك أو شقائك، لأن السعادة والشقاء دائماً نتيجة سلوكنا نحن وشهواتنا نحن؛ وهو يأبى أن يبني تشريعه الخلقي على عقوبات تفرضها قوة وراء الطبيعة، كائناً ما كانت تلك العقوبات».

وضع بوذا تجربة روحية تبدأ من نية عند الإنسان نفسه بأن يطهر نفسه، ويخلصها من دورة حضورها في الأبدان من خلال التناسخ، وهذا الأمر يحتاج لرياضة «اليوغا» التي تقسو على البدن مع عمل لإخماد شهوات البدن ومطالبه، وما أن تتلاشى هذه الأبدان وتنطفىء سلاطين الشهوة والأهواء في الإنسان حتى يكون في مرتبة تتحقق له فيها مسألة الخلاص بالنيرفانا، ويغادر هذا الحضور ليتحد بالحقيقة العلوية وبالكامل أي بـ «بوذا».

والناس في البوذية إما أنهم طالبو خلاص ونيرفانا، وإما طائعون لمارا (الشيطان)، وهؤلاء يتلاعب بهم (مارا) هذا. قالوا في إنجيل بوذا: «إن الذين يعيشون لمسراتهم ويهتمون بما يأكلون ويشربون، قد قيَّدهم مارا بقيوده وجعل يتلاعب بهم تلاعب الريح بالشجرة الضعيفة التي لا تصمد فتسقط. إن الذين لا يهتمون بما للجسد من أكل وشرب، فهم كصخرة ثابتة في أصل جبل لا تقوى الرياح على زعزعتها».

وقد صاغ بوذا نظاماً أخلاقياً متكاملاً أراد من خلاله صقل النفس وتوليد اليقين والقناعة في الفكر، وملاشاة البدن بالزهد ومقاومة الأهواء. ومما جاء عندهم في هذا الباب: «وإذا كانت الرياح لا تستطيع أن تؤثر شيئاً في الجبل الأشم فإن الأحداث كذلك لن تؤثر في الشخص الذي أبعد

عن فكره الهوى والشهوة، ووجه طاقته لليقين والحياة الزاهدة».

والفضيلة في البوذية تتحقق من خلال طريق تصله بثمانية ممرات هي:

١ ـ صحة الفهم واستقامته.
٢ ـ النتيجة التي تعقب الطمأنينة.
٣ ـ الكلام الحق.
٤ ـ الأعمال الصالحة.
٥ ـ الطريق السوي لكسب العيش.
٦ ـ الجهد الحسن في الخير.
٧ ـ الأفكار الصالحة.
٨ ـ سلامة العقل والضمير.

بوذا إذن وضع فلسفة أخلاقية ولم يقل إنه وضع ديناً، لكن ما حصل بعده ومع انتشار البوذية أن الأتباع قد نسجوا، حول بوذا ما نسجوا وأقاموا المعابد وشرّعوا الطقوس والشعائر. وكانت البوذية تكتسب بعض تراث من اعتنقوها في بلاد شرقي آسيا.

والبوذية تنتشر اليوم في البلدان التالية: الهند، نيبال، الصين، بورما، بوتان، تايلاند، تايوان، سري لانكا، سنغافورة، كمبوديا، كوريا، لاوس، منغوليا، أندونيسيا، ماليزيا. ويبلغ عدد البوذيين في العالم قرابة ٤٠٠ مليون نسمة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٢٧، ٢٨، ٨١، ٣٩١، ٤١٤.

* * *

بولس

هو شاوول، وكان يهودياً من فرقة الفريسيين، وكان عدواً للمسيحية في حياة المسيحية، وخرج في العام ٣١ للميلاد إلى نواحي دمشق ليطارد كلّ من اعتنق المسيحية، وقال: إنه هناك، وهو في الطريق، سمع صوتاً يقول: لِمَ تضطهدني؟ وبعدها تنصّر وتحوّل إلى داعية ومبشر بالمسيحية من الطراز الأول وبات اسمه بولس.

لقد كتب بولس رسائل عديدة وجّهها إلى أقوام ومناطق. وكان بولس يقول بأن الكنيسة كائن عضوي كالجسم البشري رأسها المسيح الذي دعا إلى كنيسته كل الناس.

وقد صنفت الكنيسة بولس بين رسلها وبات اسمه بولس الرسول، ورسائله التي كتبها هي أربع عشرة رسالة، وردت بالتفصيل مع أعمال الرسل في العهد الجديد في موقع آخر من هذه الموسوعة.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤٥، ٢٨٢، ٤٢٦.

* * *

البويهيون (الدولة البويهية)
(٣٢٠ ـ ٤٥٤ هـ/ ٩٣٢ ـ ١٠٦٢م)

(١) بنو بويه في فارس

٣٢٠هـ عماد الدولة أبو الحسن علي	٩٣٢م
٣٣٨هـ عضد الدولة أبو شجاع خسرو	٩٤٩م
٣٧٢هـ شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل	٩٨٣م
٣٧٩هـ صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان	٩٨٩م
٣٨٣هـ بهاء الدولة (من شعبة العراق)	٩٩٨م
٤٠٣هـ سلطان الدولة أبو شجاع	١٠١٢م
٤١٥هـ عماد الدين أبو كاليجار المرزبان	١٠٢٤م
٤٤٠ ـ ٤٤٧هـ أبو النصر خسرو فيروز الرحيم	١٠٤٨ ـ ١٠٥٥م

(٢) حكام العراق والأهواز وكرمان

٣٢٠هـ معز الدولة أبو الحسين أحمد	٩٣٢م
٣٥٦هـ عز الدولة بختيار	٩٦٧م
٣٦٧هـ عضد الدولة	٩٧٩م
٣٧٢هـ شرف الدولة	٩٨٣م
٣٧٩هـ بهاء الدولة أبو النصر فيروز	٩٨٩م
٤٠٤ ٤٠٥هـ سلطان الدولة	١٠١٣ ـ ١٠١٤م

(٣) في ولايات متفرقة في العراق

٤١١هـ مشرف الدولة ١٠٢١م
٤١٦هـ جلال الدولة ١٠٢٥م
٤٣٥هـ عماد الدين ١٠٤٤م
٤٤٠ ـ ٤٤٧هـ أبو نصر خسرو فيروز ١٠٤٨ ـ ١٠٥٥م

(٤) في كرمان

٤٠٣هـ قوام الدولة أبو الفوارس ١٠١٢م
٤١٩هـ عماد الدين ١٠٢٨م
٤٤٠ ـ ٤٤٨هـ أبو منصور فولادستون ١٠٤٨ ـ ١١٥٦م
٣٢٠هـ ركن الدولة أبو علي حسن ٩٣٢م
٣٦٦هـ ـ ٣٧٣هـ مؤيد الدولة أبو منصور ٩٧٦م ـ ٩٨٣م
٣٦٦ فخر الدولة أبو الحسن ٩٧٦
٣٨٧هـ ـ ٤٢٠ مجد الدولة أبو طالب ٩٩٧ ـ ١٠٢٩م
٣٨٧هـ شمس الدولة ٩٩٧م
٤١٢ ـ ٤١٤هـ سماء الدولة أبو الحسن ١٠٢٢ ـ ١٠٢٤م

بدأت الدولة البويهية بالظهور في أوائل القرن الرابع الهجري، عندما تمكن الإخوة علي بن بويه (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) والحسن بن بويه (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) وأحمد بن بويه (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) من إخضاع أغلب الأمصار الشرقية من الدولة العباسية لسلطتهم، ومن ثم توجهوا إلى بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م فاستقبلهم الخليفة العباسي آنذاك المستكفي بالله (٣٣٨هـ/ ٩٤٩م) بحفاوة بالغة، وشرَّع حكمهم عندما لقب علياً صاحب بلاد فارس، عماد الدولة، ولقَّب الحسن صاحب بلاد الري والجبال، ركن الدولة، ولقب أحمد صاحب العراق، معز الدولة، ثم أمر أن تسكَّ هذه الألقاب على النقود المتداولة في تلك البلاد.

وقد فرضت أسرة بني بويه سلطانها على خلفاء الدولة العباسية ما بين عامي (٣٣٣ ـ ٤٤٧هـ/ ٩٤٥ ـ ١٠٥٥م) وشمل حكمهم خلافة خمسة هم: المستكفي، والمطيع، والطائع، والقادر، والقائم. وعرف هذا العصر بعصر بني بويه لأن السلطان الفعلي كان في أيديهم وكان يشمل حكم العراق والأهواز وكرمان وفارس وبلاد الديلم. وقد بدأ بنو بويه حكمهم متحدين متفاهمين على حدود دويلاتهم، إلا أن هذا الاتحاد وهذا التوافق لم يعمر طويلاً، إذ سرعان ما دبت الخلافات فيما بينهم، وقاتل بعضهم بعضاً طمعاً في الجاه والسلطان، وتوسيع حدود إماراتهم كل على حساب الآخر. وقد أدى هذا التناطح بين سلاطين بني بويه إلى ضعف حكمهم، ومن ثم زوال دويلاتهم بعد ظهور أمراء العسكر الجدد من آل سلجوق، فأقام هؤلاء العسكر دولتهم على أنقاض دولة بني بويه.

وقد اعتنق البويهيون المذهب الشيعي، لذا عملوا جاهدين على نشر هذا المذهب في مناطق نفوذهم بعامة وفي بغداد بخاصة. لكن تشيُّعهم وتفردهم بالسلطة الحقيقية لم يدفع بهم إلى إسقاط الخلافة العباسية السنية في بغداد، ولم يقدهم إلى التحالف العلني مع الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر، ذلك أنهم وعوا أن ذلك يؤدي إلى فقدانهم السلطة بانحياز عساكرهم إلى عسكر الخليفة الفاطمي وامتثالهم لأمره.

وقد اشتهر من سلاطينهم عضد الدولة فنا خسرو بن الحسن بن بويه (٣٢٤ ـ ٣٧٢هـ/ ٩٣٦ ـ ٩٨٣م) وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الإسلام بشاهنشاه، وهو الذي أظهر قبر الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في النجف وبنى عليه المشهد.

إلا أن أهم حدث سرَّع في زوال دولة بني بويه، هو مجاهرة البساسيري (٤٥١هـ/ ١٠٥٩م)، أحد قادة عسكرهم بالدعوة والخطبة للخليفة الفاطمي على منابر بغداد نفسها سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، واستمر ذلك لمدة سنة تقريباً، بدعم قوي من المستنصر بالله خليفة الفاطميين في مصر آنذاك، إذ أمدَّ البساسيري بالجند والأموال والدعاة الحذقين في المذهب الشيعي الإسماعيلي، مما شجعه على شق عصا الطاعة والخروج على

الخليفة العباسي القائم بأمر الله ومناصريه، ثم قبض على الخليفة وسجنه، فكان ذلك إيذاناً بنهاية دولة بني بويه، إذ تمكن الخليفة من الاستنجاد بالسلطان السلجوقي طغرلبك الذي سارع إلى نجدة الخليفة فدخل بغداد في رمضان سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، وقتل البساسيري وأطاح بالسلطان البويهي الملك الرحيم آخر أمراء بني بويه، وأعاد الخليفة العباسي إلى قصره معززاً مكرماً، منهياً بذلك حكم هذه الأسرة.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ١٣٤، ٤٢٤.

* * *

البيت الحرام (العتيق) = (انظر: الحج ومكة).

* * *

بيت الطاعة أو الزوجية

البيت، لغة: المسكن، وبيت الرجل: داره.

وبيت الطاعة أو الزوجية: محل منفرد معين مختص بالزوجة، لا يشاركها أحد في سكناه من أهل الزوج المميزين، وله غلق يخصه ومرافق سواء كانت في البيت أو في الدار، على ألا يشاركها فيها أحد إلا برضاها، وهذا في غير الفقراء الذين يشتركون في بعض المرافق.

ويرى الحنفية والحنابلة وهو رواية عند الشافعية أن بيت الطاعة يكون بقدر حال الزوجين في اليسار والإعسار، فليس مسكن الأغنياء كمسكن الفقراء، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة/ ٢٣٣]، فقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يقتضي مراعاة حالهما. ولأن بيت الطاعة للدوام والاستقرار، جرى مجرى النفقة والكسوة، يراعي الحاكم حالهما عند النزاع.

ويرى المالكية أن محل الطاعة يكون حسب العادة الجارية بين أهل بلد الزوجين بقدر وسع الرجل وحال المرأة، فإن تساويا فقراً أو غنى اعتبر حالهما، وإن كان فقيراً لا قدرة له إلا على أدنى الكفاية، فالعبرة بوسعه فقط. وإن كان غنياً ذا قدر، وهي فقيرة، أجيبت لحالة أعلى من حالها ودون حاله. وإن كانت غنية ذات قدر، وهو فقير، إلا أن له قدرة على أرفع من حاله، ولا قدرة له على حالها رفعها بالقضاء إلى الحالة التي يقدر عليها.

ويرى الشافعية على المعتمد عندهم: أن بيت الزوجية يكون بما يليق بحال المرأة عادة، إذ هو إمتاع، سواء كان داراً أو حجرة أو غيرهما.

وظاهر الرواية عند الحنفية: اعتبار حال الزوج فقط لقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق/ ٦]، وهو خطاب للأزواج، وبه قال جمع كثير منهم ونص عليه محمد وكذا في قول للشافعية: إن مسكن الطاعة يكون على قدر يسار الزوج وإعساره وتوسطه كالنفقة.

ويرى الفقهاء أن بيت الطاعة يراعى فيه ما يأتي:

أ ـ أن يكون خالياً عن أهل الزوج، سوى طفله غير المميز، لأن المرأة تتضرر بمشاركة غيرها في بيتها الزوجي ولا تأمن على متاعها، ويمنعها ذلك من معاشرة زوجها، وهذا بالنسبة إلى بيت الطاعة متفق عليه بين الفقهاء. أما سكنى أقارب الزوج أو زوجاته الأخريات في الدار التي فيها بيت الطاعة، إذا لم ترضَ بسكناهم معها، فقد قال الحنفية: إنه إذا كان لها بيت منفرد في الدار له غلق ومرافق خاصة كفاها، ومقتضاه أنه ليس لها الاعتراض حينئذ على سكنى أقاربه في بقية الدار، إن لم يكن أحد منهم يؤذيها. وقالوا أيضاً: له أن يسكن ضرتها حينئذ في الدار ما لم تكن المرافق مشتركة لأن هذا سبب للتخاصم. ومثله في الجملة مذهب الشافعية. وفي قول عند بعض الحنفية ارتضاه ابن عابدين: أنه يفرق بين الشريفة، والوضيعة، ففي الشريفة ذات اليسار لا بد من إفرادها في دار، ومتوسطة الحال

يكفيها بيت واحد من دار.

وينحو هذا قال المالكية على تفصيل ذكروه، كما نص عليه صاحب الشرح الكبير، قال: للزوجة الامتناع من أن تسكن مع أقارب الزوج كأبويه في دار واحدة، لما فيه من الضرر عليها باطلاعهم على حالها، إلا الوضيعة فليس لها الامتناع من السكنى معهم وكذا الشريفة إن اشترطوا عليها سكناهم معهم، ومحل ذلك فيما لم يطلعوا على عوراتها.

ونص المالكية أيضاً على أن له أن يسكن معها ولده الصغير من غيرها، إن كانت عالمة به وقت البناء، أو لم يكن له حاضن غير أبيه وإن لم تعلم به وقت البناء.

وقال الحنابلة: إن أسكن زوجتيه في دار واحدة، كل واحدة منهما في بيت، جاز إذا كان بيت كل واحدة منهما كمسكن مثلها. وهذا يقتضي أنه إذا كان مسكن مثلها داراً مستقلة فيلزم الزوج ذلك.

أما خادم الزوج أو الزوجة، سواء من جهته أو من جهتها، فيجوز سكناه في الدار، لأن نفقته واجبة على الزوج، ولا يكون الخادم إلا ممن يجوز نظره إلى الزوجة كالمرأة الحرة.

ب ـ أن يكون خالياً من سكنى ضرتها، لما بينهما من الغيرة، واجتماعُهما يثير الخصومة والمشاجرة، إلا إن رضيتا بسكناهما معاً، لأن الحق لهما، ولهما الرجوع بعدئذ.

جـ ـ أن يكون ـ بيت الطاعة ـ بين جيران صالحين، وهم من تقبل شهادتهم، وذلك لتأمن فيه على نفسها ومالها، ومفاده أن البيت بلا جيران ليس مسكناً شرعياً، إن كانت لا تأمن فيه على نفسها ومالها.

د ـ أن يكون مشتملاً على جميع ما يلزم لمعيشة أمثالهما عادة، وعلى جميع ما يحتاج إليه من المرافق.

ويرى الفقهاء أن المرأة إذا امتنعت عن الإقامة في بيت الطاعة بغير حق، سواء كان بعد خروجها منه، أم رفضت المجيء إليه بعد إيفائها معجل صداقها، وطلبِ زوجها منها الإقامةَ فيه، فلا نفقة لها ولا سكنى حتى تعود إليه، لأنها بالامتناع قد فوتت حق زوجها في الاحتباس الموجب للنفقة، فتكون ناشزاً.

ناصر الصالح

المراجع: ٤٦، ٩٦، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٦٨، ٢٧٩، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٧٣، ٤٢٩، ٤٤١، ٤٨٩، ٤٩١، ٥١٠، ٥٣٨، ٥٧٢.

* * *

بيت لحم

بلدة قريبة من القدس عامرة حافلة، وهي مكان مهد عيسى ابن مريم عليه السلام. وحسب ياقوت الحموي يصح أن تلفظ بالخاء فيقال: بيت لخم. بها ولد المسيح عليه السلام. وكان فيها نخلة لا تثمر رطباً وجُعِلت فيها آية لمريم عليها السلام.

ويوم دخل الخليفة عمر رضي الله عنه بيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم وقال للخليفة: معي أمان منك، ولما أظهره أقرَّه عليه عمر رضي الله عنه.

وحسب قاموس الكتاب المقدس: بيت لحم كلمة عبرية معناها بالعربية: بيت الخبز. وبيت لحم على ربوة صغيرة، وتبعد ستة أميال إلى الجنوب من القدس محاطة بالأشجار وفيها ينابيع مياه عذبة. ومريم عليها السلام من الناصرة وعندما اعتزلت قومها انتقلت إلى بيت لحم وفيها وضعت المسيح عليه السلام.

وبيت لحم بلدة عريقة، يعود تأسيسها إلى آلاف السنين قبل الميلاد، وقد تصدعت أسوارها وقام يوستنياس بترميمها، وفي سنة ٣٣٠م بنت فيها الأمبراطورة هيلانة، أم قسطنطين الثاني، كنيسة تعد من أقدم كنائس العالم. وأما عن ولادة المسيح عليه

السلام في مغارة فيها أو في موقع غير المغارة فالأمر مختلف فيه.

ورد في إنجيل متى: «ولما ولد يسوع في بيت لحم في أيام هيرودوس الملك»، وفي نص آخر من الإنجيل نفسه: «ثم أرسلهم إلى بيت لحم قائلاً اذهبوا وابحثوا عن الصبي متحققين...».

وبسبب اختصاص بيت لحم أنها مكان ولادة المسيح عليه السلام فقد كان لها نصيب من التكريم في رحلة الإسراء التي كانت للنبي محمد ﷺ، وفي حديث طويل نقله ابن الأثير أن الرسول عندما كان يركب دابة البراق كان يتوقف وفق توجيه إلّهي ينقله الأمين جبريل عليه السلام، ومن ذلك ما جاء في الحديث، وفيه: (ثم سرنا فقال: إنزل فصلِّ. فنزلت فصلَّيت، فقال: هذا بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام).

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٢٤، ٥٠٠.

* * *

بيت المقدس (أورشليم)

الكلمة مشتقة من قدَّس، والتقديس معناه: التطهير والتبريك.

وبيت المقدس هو البيت الذي بُني بعد الكعبة في مكة، في أورشليم القدس، وقد بارك الله تعالى القدس بسبب وجوده فيها.

وقد ورد ذكر بيت المقدس في النص القرآني، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون/ ٥٠]، والربوة هنا هي بيت المقدس.

وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ٧١]، وهذه الأرض هي بيت المقدس في القدس، ومنهم من قال بيت المقدس وما حوله من بلاد الشام، وهذا ما أكدته الآية الكريمة الأولى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء/ ١].

وقد أورد القاضي مجير الدين الحنبلي: «وقيل: باركنا حوله بمقابر الأنبياء وغير ذلك، وقيل: سمّاه مباركاً لأنه مقر الأنبياء وقبلتهم ومهبط الملائكة والوحي».

«ومعناه بيت الله المقدس وبيت المقدس، بفتح الميم وسكون القاف، أي المكان المطهر من الذنوب واشتقاقه من القدس وهي الطهارة والبركة، فمعنى بيت المقدس المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب، ويقال المرتفع المنزه عن الشُّرك. والبيت المقدس، بضم الميم وفتح الدال المشددة، أي: المطهر وتطهيره إخلاؤه من الأصنام».

وقد ذكر ياقوت الحموي: أن سليمان عليه السلام دعا ربَّه قائلاً: «يا رب أسألك أن تغفر لمن جاء هذا البيت يريد الصلاة فيه، وأن تُخرجه من ذنوبه كيوم وُلد»، وفي الحديث النبوي الشريف: (لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس).

وما ورد في فضل بيت المقدس وفير، كيف لا، وفيه كلَّم المسيح عليه السلام الناس في المهد ومنه رفع، وفيه كانت تنزل فاكهة الصيف شتاء وفاكهة الشتاء صيفاً على مريم عليها السلام، وفيه كنيسة القيامة، وفيه المسجد الأقصى الذي أسرى الله تعالى إليه بالنبي محمد ﷺ، وفيه محيا ومدفن عدد كبير من الأنبياء والرسل، وهو عند المسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين.

وفي الأثر كما ذكر ياقوت الحموي أن جميع الأنبياء عليهم السلام زاروا بيت المقدس تعظيماً له.

وعن ابن عباس أنه قال: البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو قام فيه ملك.

إن هذا الموقع المتميز لبيت المقدس يكفي

ليكون حافزاً لكل مؤمن كي يعد ما استطاع من أجل تحريره من رجس الصهيونية التي تعبث به وتعمل على تهويده وتخريبه.

أسعد السحمراني

المراجع:٨٣، ١٧٤، ١٧٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٥٠٠.

* * *

بيع التلجئة

البيع لغة مصدر باع، وهو مبادلة مال بمال، أو مقابلة شيء بشيء، أو دفع عوض وأخذ ما عوض عنه. وفي الاصطلاح الفقهي هو مبادلة مال بمال بالتراضي أو بالاكتساب، أو هو عقد معاوضة على غير منافع ولا متعة لذة، أو هو مقابلة مال بمال على وجه مخصوص. والبيع مشروع على سبيل الجواز، بالكتاب والسنة والإجماع والقياس. يقول تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ويقول ﷺ: (وكل بيع مبرور) وثبت الإجماع على جوازه، وقضى العقل بذلك، لحاجة الإنسان إلى ما في يد غيره.

وللبيع تقسيمات عديدة لاعتبارات مختلفة ومنها بيع التلجئة.

والتلجئة لغة: الإكراه والاضطرار، واصطلاحاً الإكراه التام الملجىء، ويكون بتهديد شخص لآخر بإيذائه في نفسه أو جسده إيذاءً كبيراً إذا لم يفعل ما يطلبه منه، وهو يختلف عن بيع المكره والهازل وبيع الوفاء وغيرها. ففي بيع التلجئة يظهر الطرفان بيعاً لم يريداه باطناً بل خوفاً من ظالم دفعاً له، أو يتفقان على أن يظهرا العقد، خوفاً من ظالم ونحوه، ويتفقان على أنهما إذا أظهراه لا يكون بيعاً، ثم يعقدان البيع، فهو بيع في الظاهر فقط لا في الحقيقة، والدافع إليه الإكراه لا الهزل ولا الرهن والوفاء.

وبيع التلجئة أقسام:

١ ـ التلجئة **في إنشاء البيع**: وذلك بأن يتواضعا ـ سراً ـ لأمر ملجىء، على أن يظهرا البيع، وليس بينهما في الحقيقة بيعٌ، وإنما هو رياء وسمعة، كأن يقول شخص لآخر ـ بسبب خوف ملجىء ـ: «إني أظهر أنني بعت لك داري، وليس ببيع في الحقيقة، وإنما أفعل ذلك لسبب ملجىء» ثم يتبايعان، **وهذا البيع باطل**، للتواطؤ عليه، ولأنهما تكلما بصيغة البيع دون قصد حقيقة البيع، فكان كالهزل الذي يمنع الجواز لإعدامه الرضا ولدلالة الحال على أنهما لم يريدا البيع. أما إذا اتفق الطرفان على التلجئة، ثم اتفقا عند البيع على أن كل شرط كان بينهما باطل بطلت التلجئة **وصار البيع جائزاً**. وإذا اختلف المتعاقدان ـ بعد العقد ـ فادعى أحدهما التلجئة وأنكر الآخر مدعياً أن البيع بدون تلجئة، فالقول قول منكر التلجئة ـ لأن الظاهر يشهد له ـ مع يمينه، وإن أقام مدعي التلجئة البينة قبلت بينته وحكم له.

٢ ـ والتلجئة إذا كانت **في الإقرار بالبيع**: فالبيع باطل ولا يجوز بإجازتهما، لأن الإقرار بالبيع إخبار وصحة الإخبار تكون بثبوت المخبر به حال وجود الإخبار. فإذا لم يكن المخبر به ثابتاً كان الإخبار كاذباً، وهو هنا ليس بثابت فلا يحتمل الإجازة لأن الإجازة لا تلحق المعدوم، وصورة هذا العقد ـ إذا اتفقا على أن يقرا ببيع لم يكن فأقرا بذلك ثم اتفقا على أنه لم يكن.

٣ ـ وإذا كانت التلجئة **في قدر الثمن**: كما إذا تواضعا في السر والباطن على أن ثمن البيع هو ألف درهم، ثم تبايعا في الظاهر أنه ألفان، كان المتوجب الثمن المعلن وليس ثمن السر والباطن لأن العبرة بالظاهر، ولأن الثمن المذكور في العقد هو الذي يصح العقد به، وثمن السر لم يذكر حالة العقد فيسقط حكمه ولأن ثمن الباطن والاتفاق عليه ملغي، بإبرام العقد دون ذكر له. وفي قول لمحمد والمالكية: أن العبرة لثمن السر.

٤ ـ وإذا كانت التلجئة **في جنس الثمن**: كما إذا

اتفقا في السر على أن الثمن ألف درهم ثم يتبايعان على أن الثمن مائة دينار، فالعبرة بثمن العقد والعلن استحساناً، لأن المتعاقدين أرادا بيعاً صحيحاً، لا بيعاً باطلاً، فيحمل العقد على الصحة وبثمن العلانية.

٥ ـ وإذا اتفقا سراً وتعاقدا سراً على البيع بثمن ثم تواضعا على إظهار العقد بثمن أكثر أو جنس آخر:

أ ـ فإن لم يصرحا بأن العقد الثاني رياء وسمعة: فإن العقد الثاني يلغي الأول، ويحكم بالثمن المذكور في العقد الثاني، لأن إجراءهما للعقد الثاني إبطال للأول.

ب ـ وإن صرحا بأن العقد الثاني هو رياء وسمعة: فإن كان **الثمن من جنس واحد**، فالعبرة للعقد الثاني ولكن بالثمن الوارد في العقد الأول، لأن العقد الأول ألغي بالثاني، ولا تجب **الزيادة** في الثمن المذكور في البيع الثاني لأنها باطلة ببطلانه، إذ وردت الزيادة على سبيل هزلهما والرياء والسمعة. أما **إن كان الثمن من جنس آخر**، فالعبرة للعقد الأول، لأنهما أبطلا الثمن المذكور في العقد الثاني بذكرهما الرياء والسمعة فيكون العقد الثاني باطلاً ويبقى العقد الأول وبالثمن الوارد فيه.

وإذا اختلف المتبايعان، فادعى أحدهما التلجئة وأنكر الآخر، فإن جاء الأول بالبيِّنة قبلت منه، وإلا فالقول قول المنكر بيمينه، وإذا جاء كل منهما بالبينة، رجحت بيِّنة من يدَّعي التلجئة لأنه يثبت خلاف الظاهر.

ناصر الصالح

المراجع: ٢٠، ٤٥، ٨٤، ٨٥، ٩٦، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٦٨، ٣٣١، ٣٧١، ٤٠٧، ٤٢٩، ٤٥٥، ٤٨٩.

* * *

بيع التولية

البيع مصدر باع، وهو مبادلة مال بمال أو شيء بشيء، وله عدة تقسيمات، ومن أقسامه: بيع الأمانة، ومن أنواع بيع الأمانة، بيع التولية. وهي، لغة، مصدر ولى، يقال: وليت فلاناً البلد وعلى البلد بمعنى جعلته والياً عليه، وفي الاصطلاح بنفس المعنى. وفي بيع التولية «أن يشتري المرء سلعة بثمن معلوم، ثم يبيعها إلى آخر بنفس الثمن بقوله وليتك إياها، دون زيادة في الثمن أو نقصان». فبيع التولية هو نقل جميع السلعة المشتراة إلى المُوَلَّى بمثل الثمن دون نقصان أو زيادة بلفظ وليتك أو نحوه. وبيع التولية مشروع جائز، لأن جميع شرائط البيع متوفرة فيه ولتعامل الناس به حتى يومنا هذا بسبب الحاجة إليه، ولأن النبي ﷺ طلب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي اشترى بعيرين أن يوليه أحدهما بقوله: **(ولني أحدهما)**. وقوله عليه الصلاة والسلام: (من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يقبضه ويستوفيه إلا أن يشترك فيه أو **يُوَلِّيَهُ** أو يقبله).

وذهب جمهور الحنفية والشافعية وبعض المالكية، إلى أن بيع التولية غير جائز في المنقول قبل قبضه، إذ جعلوا بيع التولية كالبيع المستقل، وقال المالكية: بجواز بيع التولية قبل القبض في الطعام لحديث: (من ابتاع طعاماً...). وقال الحنابلة: بجواز بيع التولية قبل القبض في غير المكيل والموزون وما يحتاج في قبضه إلى كيل أو وزن. ويشترط الجمهور في بيع التولية أن يكون الثمن في البيع الأول معلوماً للمشتري الثاني لأن العلم به شرط لصحة البيع، ولأن بيع التولية يعتمد على أساس الثمن في البيع الأول، فإذا علم صح البيع وإلا فبيع التولية فاسد إلا إذا علم المشتري الثاني بالثمن في المجلس ورضي، فإذا انفض المجلس وعلم بعده بالثمن كان البيع فاسداً. وقال المالكية: إن بيع التولية ـ إذا كان على غير وجه

الإلزام - جاز ولو لم يذكر المبيع أو الثمن، وللمشتري الثاني الخيار إذا رأى المبيع وعلم الثمن، لأن بيع التولية ملزم للبائع وليس ملزماً للمشتري. وجوز المالكية بيع التولية وإن كان الثمن غير معين، إلا في الطعام قبل القبض فلا بد من بيان الثمن، كما بينا سابقاً لحديث: (من ابتاع **طعاماً** فلا يبعه حتى يقبضه ويستوفيه). ومن شروط هذا البيع أن يكون الثمن من المثليات، فإن لم يكن مثلياً كالعرض، فلا يجوز بيع التولية إلا ممن كان العرض في ملكه، لأن التولية تكون بمثل الثمن الأول - أي ثمن الشراء - فإن لم يكن العرض - الثمن - في ملكه لا يصح بيع التولية، لأن البيع إن وقع على عين العرض فعينه ليست في ملكه، وإن وقع على قيمته فقيمته مجهولة.

وإذا ظهرت خيانة من البائع **في صفة الثمن**، فللمشتري الثاني الخيار بين الأخذ - إن كان المبيع لا زال موجوداً بكامله - فإذا اشترى رجل شيئاً نسيئة ثم باعه تولية بنفس الثمن دون بيان النسيئة ثم علم المشتري، كان الأخير بالخيار بين أخذ المبيع بالثمن أو رد المبيع، لأن بيع التولية عقد أمانة، وقد اعتمد المشتري الثاني على أمانة البائع في بيان الثمن، فكانت صيانة بيع التولية عن الخيانة مشروطة، فإذا لم يتحقق شرط الأمانة - أي عدم الخيانة - ثبت الخيار كما في حالة عدم سلامة المبيع عن العيب.

أما إذا كان المبيع غير قائم فلا خيار للمشتري الثاني، ويلزمه الثمن حالاً، لأن الخيار سقط بتعذر الرد للهلاك، وقال الحنابلة: إذا ظهرت الخيانة في صفة الثمن، أي ثمن مؤجل، أخذ المشتري المبيع بالثمن مؤجلاً، وإذا ظهرت **الخيانة في قدر الثمن**، كما إذا اشتراه بتسعة ثم باعه تولية بعشرة ثم ظهرت الخيانة فإن المشتري الثاني يأخذ المبيع بثمن الشراء الأول أي بتسعة، وليس له الخيار ويكون البيع ملزماً للبائع والمشتري، والمالكية يقولون: إذا رضي البائع بالثمن الحقيقي لزم العقد المشتري بالثمن الحقيقي، وإذا لم يرض البائع بذلك فالمشتري مخير بين رد المبيع والأخذ بالثمن المبين في عقد التولية.

ناصر الصالح

المراجع: ٤٥، ٩٦، ١٥٧، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٦٨، ٢٩٧، ٣٧٣، ٤٢٩، ٤٤٨، ٤٥٥، ٤٨٩، ٥١٠، ٥٧٢.

* * *

بيع الخيار

البيع، لغة، مصدر من باع، وهو مبادلة مال بمال، أو مقابلة شيء بشيء، واصطلاحاً: قيد التعريف اللغوي للكلمة بالتراضي أو بالاكتساب أو على وجه مخصوص. وقيل: هو عقد معاوضة مالية تفيد ملك عين أو منفعة على سبيل التأبيد، لا على وجه التعرية.

والخيار، لغة، مصدر من الاختيار. واختار، أي: انتقى واصطفى. وفي الاصطلاح: هو حق العاقد في فسخ العقد أو إمضائه، لظهور مسوغ شرعي، أو بموجب اتفاق عقدي، وعليه، فالخيار غير عدم اللزوم في العقود غير اللازمة، والخيار غير الفسخ للفساد في العقد الفاسد، والخيار مختلف عن الفسخ للتوقف في العقد الموقوف لسبب معين.

كما أن الخيار مخالف للإقالة من البيع. والخيار نوعان: حكمي وإرادي. والأول ما ثبت بمجرد حكم الشارع، فيوجد الخيار عند وجود السبب الشرعي وتحقق الشروط، مثل خيار العيب. وأما الخيار الإرادي فهو الذي ينشأ عن إرادة العاقدين، مثل خيار الشرط والتعيين والنقد. وقسمها بعضهم مثل الغزالي وغيره، بحسب الغاية من الخيار، إلى خيار النقيصة وخيار التروي. وسمى بعضهم هذين القسمين: خيار النقص وخيار الشهوة. والخيارات أنواع كثيرة منها: خيار الشرط، والقبول، والمجلس، والرجوع، والعيب، والهلاك،

والاستحقاق، وتفرق الصفقة، والتعيين، وكشف الحال، والرؤية، والكمية، والتدليس، والنجش، وتلقي الركبان، والغبن، وفوات الوصف، واختلاف المقدار، والتأخير، وتعذر التسليم، والنقد، والتفليس، وتسارع الفساد وغيرها.

والحكمة من تشريع الخيارات الإرادية هي إعطاء فرصة للتروي والتأمل والتشاور والاختبار، للحاجة الماسة إليها، أما في الخيارات الشرعية أو الحكمية، فالحكمة هي تلافي النقص الحاصل بعد تخلف شريطة لزوم العقد، رغم تحقق شروط الانعقاد والصحة والنفاذ، أي إن تشريع الخيارات الحكمية هو لتخفيف مغبة الإخلال بالعقد في البداية لعدم المعلومية التامة أو لوجود الغبن واللَّبس وغيرها التي تؤدي إلى الإضرار بالعاقد، أو في النهاية مثل الاختلال في التنفيذ.

فالخيارات الحكمية الغاية منها دفع الضرر عن العاقد كما في خيار النقيصة، أو جلب النفع له كما في خيار التروي. وقد يتعدد غرض المشتري من الخيار، فيكون للنقيصة والتروي والاستشارة والاختبار، وينحصر غرض البائع في الاستشارة، دون غيرها من الأغراض لأن هدفه من العقد هو ثمن المبيع، وهو يحتاج للاستشارة ليعلم أن الثمن المتفق عليه هو الثمن المناسب دون غبن له. والخيار يجعل العقد اللازم غير لازم، أي إن الخيار يسلب العقد قوة اللزوم، ولكنه مع سلب الخيار للزوم العقد، وجعله مشابهاً للعقد غير اللازم كالعارية، فإنه يمكن التمييز بين النوعين، بأن عدم اللزوم في العقد غير اللازم ناشىء عن طبيعة هذا العقد، أما في الخيار فإن عدم اللزوم طارىء بسبب الخيار.

والخيار عموماً يثبت للمتعاقدين، طالما أنهما في مجلس العقد، وهو مشروع لحديث رسول الله ﷺ: (المتبايعان كل منهما بالخيار على صاحبه ما لم يتفرقا). ويمكن أن تمتد فترة الخيار بالشرط الواضح في العقد إلى ثلاثة أيام لما ورد من زيادة على الحديث السابق هو: (إلا بيع الخيار). ولحديث رسول الله ﷺ للتاجر الذي كان يغبن في تجارته: (إذا بعت فقل لا خلابة، ثم أنت في كل سلعة تبتاعها بالخيار ثلاث ليال فإن رضيت فامسك وإن سخطت فارددها على صاحبها).

وقد نقل الإجماع على مشروعية الخيار للشرط، وقيد بعضهم صحة الخيار إذا كانت مدة الخيار معلومة في العقد، وقد تكون مدة الخيار المشروط دقيقة أو ثواني معدودة، وقد تكون المدة مفوضة لاتفاق المتعاقدين مطلقاً، أو في حدود المتعارف عليه، ولا يجوز أن تكون المدة طويلة جداً كمائة سنة، لأنها تؤدي إلى منع البائع من التصرف بالثمن وبالمبيع، وهذا المنع ينافي العقد. وقد قاس العلماء مشروعية كثير من الخيارات على مشروعية خيار الشرط، وأوردوا أدلة خاصة ببعض الخيارات. ولقد توسع العلماء في بيان تأثير الخيارات على العقود، من ناحية العقد في الحال وفي المآل، ومن ناحية ضمان محل الخيار في يد البائع أو المشتري، ومن جهة زيادة المبيع وغلته والنفقة عليه، وما إذا كانت الزيادة متصلة أو منفصلة عن المبيع، وما إذا كانت متولدة عن الأصل أم لا، كما بحثوا بتفصيلات رائعة عن أسباب سقوط الخيارات، كجنون من له حق الخيار قبل انتهاء مدة الخيار، وهلاك المبيع قبل الاختيار، قبل القبض أو بعد القبض، وإمضاء شريك من شريكين ـ لهما الخيار ـ العقد وإجازته، وموت صاحب الخيار، وهي أبحاث مستفيضة أثْرَت الفقه وجعلته موضع الاعتزاز والافتخار، وتطلب في المراجع وما أكثرها.

ناصر الصالح

المراجع: ٣٣، ٩٢، ٩٦، ١١٥، ٢٠٩، ٢٦٨، ٢٩٥، ٣٣٢، ٣٧٣، ٤٠٧، ٤٨٩، ٥١١، ٥٢٣، ٥٧٢.

* * *

بيع الغرر

الغرر، لغة: الخطر. وأصل الغرر في اللغة: ما له ظاهر محبوب، وباطن مكروه، ولعل هذا من أسباب تسمية الدنيا بدار الغرور. فالغرر تعريض المرء نفسه أو ماله للهلاك من غير أن يعرف.

والغرر، فقهاً، يتناول الغش والخداع والجهالة بالمعقود عليه وعدم القدرة على التسليم. وقد تقاربت ألفاظ الفقهاء القدامى في تعريفه، ويجمعها: أنه البيع المتضمن خطراً يلحق أحد المتعاقدين، فيؤدي إلى ضياع ماله. وأولى تعريف له للسرخسي حيث قال: الغرر: ما يكون مستور العاقبة. وعرفه الأستاذ الزرقا من المعاصرين بأنه: بيع الأشياء الاحتمالية غير المحققة الوجود أو الحدود، لما فيه من مغامرة وتغرير يجعله أشبه بالقمار.

وقد اتفق الفقهاء على عدم صحة بيع الغرر، ومنه: بيع المضامين، والملاقيح، والملامسة، والمنابذة، والحصاة، وبيع ضربة القانص.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٣٣، ٦٤، ٩٦، ٢٠٨، ٣٧٠، ٤٤١، ٤٤٨، ٤٥٥، ٤٧١، ٥١٠، ٥١١، ٥٤١.

* * *

بيع المرابحة

البيع، لغة، مصدر باع، وهو مبادلة مال بمال أو مقابلة شيء بشيء بالتراضي. وله تقسيمات عديدة، ومن أقسامه بيع الأمانة. ومن أنواع بيع الأمانة بيع المرابحة. والمرابحة مصدر من الرِبْح ورابَحَ، يقال: باع المتاع مرابحة، إذا سمى لكل قدر من الثمن ربحاً، واصطلاحاً بيع ما ملكه بالثمن الذي قام به مع فضل أو ربح، أو بيع السلعة التي اشتراها بالثمن الذي اشتراها به مع زيادة ربح معلوم للمتبايعين، وهو من البيوع الجائزة عند الجمهور.

وذهب المالكية إلى أن بيع المرابحة خلاف الأولى لكثرة ما يحتاج فيه البائع إلى البيان، والأولى عندهم البيع بالمساومة، وشرط الحنفية لجواز بيع المرابحة أن يكون الثمن مثلياً أو مكيلاً وموزوناً، وأن يكون المبيع عرضاً، فلا يصح بيع النقدين مرابحة.

وللبيع مرابحة، وجهان:

الوجه الأول: أن يساومه على **أن يعطيه ربحاً عن كل مائةٍ، عشرة مثلاً**، ولهذا الوجه صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون البائع قد اشترى السلعة بثمن معين **ولم ينفق شيئاً عليها زائداً** على الثمن، فيكون على المشتري أن يدفع الثمن ـ ثمن الشراء ـ مضافاً إليه الربح المتفق عليه.

الصورة الثانية: أن يكون البائع مرابحة قد اشترى السلعة **وأنفق عليها زيادة على ثمنها**:

أ ـ فإذا كان ما أنفقه عيناً ثابتة قائمة بالسلعة، **كصباغة الثوب، أو تطريز** الثوب، أو **فتل** الصوف المنفوش، فالصباغة والتطريز والفتل صفات ثابتة قائمة بالسلعة، فيضاف ما أنفقه على الثمن الأصلي، وتحسب نسبة الربح إلى الثمن الأصلي والمضاف، بشرط أن يكون البائع مرابحة قد بيَّن الثمن وما أنفقه على السلعة. وعليه لا يستحق البائع أجرة مضافة إلى الثمن ولا نسبة ربح عليها، إذا كان البائع صباغاً قد صبغ الثوب بنفسه أو خياطاً وخاط الثوب بنفسه الخ.

ب ـ وإذا كان ما أنفقه البائع على السلعة **غير قائم بالمبيع ولا يختص به**، كأجرة خزن **السلعة في داره** فإن ذلك لا يحسب من أصل الثمن ولا يضاف إليه ولا يحسب له ربح منه. أما إذا استأجر مخزناً بخصوص السلعة ليخزنها فيه، فإن أجرة المخزن تحسب من الثمن وتضاف إليه ولا يحسب لها ربح.

جـ ـ وإذا كان ما أنفقه البائع مرابحة على السلعة **غير قائم بالمبيع ولكنه يختص به: وهذا إن كان**

العمل مما يعمله التاجر بنفسه عادةً كطي الثوب وشده، ولكن البائع لم يعمل ذلك بنفسه ـ خلافاً للعادة ـ واستأجر غيره ليقوم بذلك، فإن الأجرة لا تضاف إلى أصل الثمن ولا في الربح.

وأما إذا كان مما لا يتولاه التاجر بنفسه عادة، كالنفقة على الحيوان، فإن هذه النفقة تضاف إلى الثمن ولا يحسب عنها ربح، ويشترط بيان هذه النفقة.

وإذا شرط البائع مرابحة على المشتري أن يعطيه ربحاً على ما أنفقه على السلعة في كل الحالات المبينة، فإنه يعمل بشرطه إذا سماها جميعها.

الوجه الثاني في بيع المرابحة: أن يبيع السلعة بربح معين على جملة الثمن: أي يبيعها مرابحة بالثمن مع ربح عشرة مثلاً، ويبين الثمن وما يتبعه من نفقة على السلعة بأنواعها، ويشترط إضافتها إلى أصل الثمن، فيصح البيع ويجب أصل الثمن وما أنفقه عليها مع الربح المعين.

الخيانة في بيع المرابحة: إذا ظهر أن البائع كاذب في صفة الثمن، كمن اشترى سلعة بنسيئة، وباعها مرابحة على الثمن الأول ولم يذكر النسيئة ثم علم المشتري فله الخيار بالإجماع، لأن بيع المرابحة عقد مبني على الأمانة، فكان عدم الخيانة مشروطاً دلالة، وفواته يوجب الخيار.

وإن كانت الخيانة في قدر الثمن، فالأظهر أنه لا خيار، ويحط قدر الخيانة وحصة هذا القدر من الربح، وقال أبو حنيفة: المشتري بالخيار، الأخذ بكامل الثمن أو الترك. وبذلك قال الشافعية ومحمد. وقال المالكية: إن حط البائع الزائد المكذوب وربحه لزم البيع المشتري، وإن لم يحط، فالمشتري بالخيار بين الأخذ والرد.

ناصر الصالح

المراجع: ٩٢، ٩٦، ٢٠٩، ٢٦٨، ٣٧١، ٣٨٨، ٤٢٩، ٤٨٩، ٥٠٩.

* * *

بيع المزابنة

البيع، لغة، مصدر باع، وهو مبادلة مال بمال أو مقابلة شيء بشيء بالتراضي. ومن أنواعه بيع المزابنة، وهي من الزَّبْن، وهو لغة: الدفع، لأن المزابنة تؤدي إلى النزاع والمدافعة، بسبب الجهالة والغبن. وفي الاصطلاح: بيعُ الرطبِ على النخيل بتمرٍ مجذوذ، مثل كيله خَرْصاً أي ظناً وتقديراً وحزراً، ويكون ذلك بأن يُقدر الرطب الذي على النخل بطريق الظن والحزر بمائة صاع مثلاً، فيبيع بقدره من التمر، فإذا لم يكن الثمن رطباً فهو جائز بسبب اختلاف الجنس. وعرفها المالكية بأن بيع المزابنة: بيع مجهول بمعلوم، ربوي أو غيره، أو بيع مجهول بمجهول من جنسه، وعرفها البعض أنها بيع شيء رطب بيابس من جنسه، ربوي أو غير ربوي. وقد اتفق الفقهاء على أن هذا البيع بيع فاسد ولا يصح وذلك لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «نهى رسول الله ﷺ عن المزابنة والمحاقلة» لشبهة الربا، لأن بيع مكيل بمكيل من جنسه مع احتمال عدم المساواة بينهما بالكيل، أو لعدم العلم بالمماثلة، وللغرر. ومن أمثلة بيع المزابنة، بيع العنب بالزبيب، والتمر بخرصه، لزيادة في رواية حديث جابر، بذكر النهي عن البيعين الأخيرين. وقال المالكية بعدم جواز بيع أي رطب بيابس من جنسه، لا متفاضلاً ولا مثلاً بمثل، حتى في الحبوب.

ناصر الصالح

المراجع: ١٥٧، ٢٦٨، ٣١١، ٣٧٣، ٤٣٢، ٤٦٢، ٤٨٩، ٥٧٥.

* * *

بيع المزابنة هو بيع شيء من المطعومات بجنسه إذا دخل على أحد البدلين النقص أو الزيادة.

١ ـ أحكامه:

أ ـ الربا نوعان: ربا فضل وربا نسيئة. وربا الفضل هو بيع شيء من الربويات بجنسه متفاضلاً،

وهو محرم بقوله ﷺ: (الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبرُّ بالبرِّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثلٍ، سواء بسواء، يداً بيدٍ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد).

ب ـ وبناءً على ذلك فإنه لا يجوز بيع الرطب بالتمر كيلاً ـ وهو المزابنة ـ لعدم إمكان التساوي بينهما، فإن الرطب إذا جف وصار تمراً نقص، ولذلك لا يجوز بيعه بمثل كيله رطباً، ويستثنى من ذلك إذا أراد الشخص أن يشتري حمل نخلة رطباً بالتمر، خرصاً ـ أي: مقدراً مساواة الرطب للتمر باجتهاده ـ بشرط أن يكون يريد الرطب لأكل عياله، لا للتجارة، وسبب هذا الاستثناء هو دفع الحرج عن الناس، فعن سهل بن حثمة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمر بالتمر، ورخص في العريَّة أن تباع بخرصِها، يأكلها أهلها رطباً.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٣٣٣.

بيع الملامسة والمنابذة

البيع، لغة، مصدر باع، وهو مبادلة مال بمال أو مقابلة شيء بشيء بالتراضي. والأصل في البيع الحل، إلا لدليل لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة/ ٢٧٥]، والملامسة، لغة،مصدر لامس، وفي الاصطلاح كما قال أبو هريرة في رواية مسلم: «أما الملامسة: فأن يلمس كل واحد منهما ـ البائع والمشتري ـ ثوب صاحبه بغير تأمل». وبيع الملامسة من بيوع الجاهلية وهو بيع فاسد عند عامة الفقهاء دون مخالف، فقد ثبت النهي عنه بحديث أبي هريرة رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ نهى عن الملامسة...». وبالحديث عن أبي سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ نهى عن بيعتين ولبستين: نهى عن الملامسة والمنابذة في البيع». والملامسة هي: «لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو بالنهار ولا يقلبه إلا بذلك، ويكون بذلك البيع من غير نظر ولا تراض».

وفسر الفقهاء الملامسة بصور:

١ ـ أن يلمس ثوباً مطوياً، أو في الظلام، ثم يشتريه على أن لا خيار له إذا رآه اكتفاء بلمسه عن رؤيته، أو يلمس كل منهما ثوب صاحبه بغير تأمل.

٢ ـ أن يكون الثوب مطوياً فيقول البائع للمشتري: إذا لمستَه فقد بعتُكهُ، اكتفاء بلمسه عن الصيغة، أو يقول البائع للمشتري إذا لَمَسْتَ ثوبي فقد وجب البيع.

٣ ـ أن يبيع الرجلُ لآخر شيئاً على أنه متى لمسه لزم البيع وانقطع خيار المجلس وغيره.

وهذه البيوع بصورها المبينة كلها فاسدة عند الفقهاء دون مخالف، وذلك لعدم الرؤية في الصورة الأولى مع لزوم البيع اكتفاء باللمس عن الرؤية، ولعدم وجود الصيغة في الثانية، ولتعليق التمليك على أنه متى لمسه وجب البيع وسقط الخيار في الصورة الثالثة لأنه يؤدي إلى معنى القمار. فهذه البيوع فاسدة فقهاً للجهالة والغرر وإبطال خيار المجلس. ونص المالكية على أن الاكتفاء باللمس في لزوم البيع من غير أن ينشر الثوب ويعلم، هو المفسد لهذا البيع، فلو باع الثوب قبل التأمل فيه، على أن ينظر فيه بعد ذلك فإن أعجبه أمسكه وإلاَّ ردَّه كان جائزاً.

أما بيع المنابذة: وهو من بيوع الجاهلية، المنهي عنه في الحديث النبوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «نهى عن الملامسة والمنابذة». والمنابذة أن ينبذ كل منهما ثوبه إلى الآخر ولا ينظر أي منهما إلى ثوب صاحبه، أو هي أن ينبذ الرجل إلى الرجل ثوبه، وينبذ الآخر إليه ثوبه ويكون بذلك بيعهما من غير نظر ولا تراضٍ. ومن صوره:

١ ـ أن يجعل الطرفان النبذ بيعاً، اكتفاء به عن

الصيغة فيقول أحدهما: أنبذُ إليك ثوباً بعشرة، فيأخذه الآخر.

٢ ـ أو يقول أحدهما للآخر: بعتك هذه بكذا، على أني إذا نبذتك إياها لزم البيع وانقطع الخيار.

٣ ـ أو يقول لصاحبه: أي ثوب نبذتَهُ إليَّ فقد اشتريتُه بعشرة.

وبيع المنابذة بكل صوره فاسد، وذلك للنهي الوارد عن رسول الله ﷺ، أو للجهالة وتعليق التمليك بالخطر وهذا يؤدي إلى معنى القمار، أو لعدم الرؤية أو عدم الصيغة أو للشرط الفاسد، حسب الصور الحاصلة وتعليلات الفقهاء.

ناصر الصالح

المراجع: ١٥٧، ٢٦٨، ٣١١، ٣١٣، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧٣، ٤٢٩، ٥١٠، ٥٧٣.

* * *

بيع المواصفة

هو بيع الغائب إذا وصف. وقد أثبت فيه الفقهاء ـ على تفصيل بينهم ـ خيار الرؤية، مستدلين في هذا بقول النبي ﷺ: (من اشترى ما لم يره، فله الخيار إذا رآه). وبما روي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه باع أرضاً بالبصرة من طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فقيل لطلحة بن عبيد الله: إنك قد غبنت، فقال: لي الخيار، لأني اشتريت ما لم أره. وقيل لعثمان: إنك قد غبنت، فقال: لي الخيار لأني بعت ما لم أره. فحكَّما بينهما جبير بن مطعم، فقضى بالخيار لطلحة، وكان ذلك بمحضر من الصحابة.

فذهب الحنفية إلى جواز بيع العين الغائبة من غير صفة، ويثبت للمشتري حينئذ خيار الرؤية، أو بصفة مرغوبة ويثبت له خيار الوصف، لأن جهالة الوصف تؤثر في الرضا، فتوجد خللاً فيه.

وأجاز المالكية والحنابلة والظاهرية خيار الوصف، ومنع الشافعي بيع الغائب مطلقاً، سواء وصف أم لم يوصف.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٧، ٢٤٥، ٣٠٩، ٤٥٥، ٤٦٠، ٥١٠، ٥١١، ٥٥٩.

* * *

البَيعة

البَيعة، في اللغة، المبايعة على الطاعة. وتطلق على صفقات البيع كذلك. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح/١٠]. وفي البخاري: أن مجاشع رضي الله عنه سأل النبي ﷺ: علامَ تبايعنا؟ فأجابه ﷺ: (على الإسلام والجهاد). فالبيعة في الحديث تعني المعاقدة والمعاهدة. والبَيْعة، بفتح الباء، أما بكسرها على وزن شيعة بسكون الياء، فهي معبد النصارى.

والبيعة، في المصطلح، الطاعة في المنشط والمكره. يقول ابن خلدون في مقدمته الشهيرة: «اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره».

وكانت البيعة في العهود الإسلامية تتم بالمصافحة. فيقول ابن خلدون: «وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي بيعة، مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي. هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع، وهو المراد في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة، وعند الشجرة، وحيثما ورد هذا اللفظ.

وقد ميَّز الفقهاء في حكم البيعة بين العامة والخاصة، فقالوا: إن أهل الحل والعقد يجب عليهم بيعة من يختارونه للإمامة ممن قد استوفى الشروط الشرعية لها.

وأما العامة، فالأصل وجوب البيعة على كل واحد منهم بناء على بيعة أهل الحل والعقد، لقول النبي ﷺ: (من مات وليس في عنقه بيعة الإمام، مات ميتة جاهلية).

وذهب المالكية إلى أنه يكفي سائر الناس أن يعتقدوا أنهم تحت أمر الإمام المبايع، وأنهم ملتزمون بطاعته.

أما الذي وقع عليه الاختيار لمنصب الإمامة، فيجب عليه قبول البيعة إن تعينت إمامته، بأن لا يوجد غيره مستوفياً للشروط، فإن تعدد المستوفون للشروط، صار قبول البيعة فرض كفاية في حقهم.

والبيعة عقد مراضاة واختيار، لا يصح أن يدخله إكراه ولا إجبار. وهي عقد بين طرفين: أهل الحل والعقد من جهة، والشخص الذي أدّاهم اجتهادهم إلى اختياره ممن استوفوا شرائط الإمامة. وللعلماء في قضية الإكراه وأثرها على شرعية الإمام أقوال معروفة مشهورة، أبرزها قول الإمام مالك في عدم صحة عقود الإكراه، والبيعة منها. يقول ابن خلدون: «وكان الإكراه فيها أكثر وأغلب ولهذا لما أفتى مالك، رضي الله عنه، بسقوط يمين الإكراه، أنكرها الولاة عليه، ورأوها قادحة في أيمان البيعة، ووقع ما وقع من محنة الإمام رضي الله عنه».

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٤، ١٥، ١١١، ٢٠٦، ٣٢٢، ٤٤١، ٥٢٠، ٥٤٨، ٥٦٠.

* * *

البينونة

الطلاق، لغة: الحل ورفع القيد. وفي الاصطلاح: رفع قيد النكاح في الحال أو المآل بلفظ مخصوص، وهو ملك الزوج وحده بعبارته المنفردة، وقد يقوم به غير الزوج إذا أنابه أو وكله، وتملك الزوجة تطليق نفسها بعبارتها، إذا فوضها زوجها وليس له حق الرجوع عن التفويض، كما تملك الزوجة بأن تطلب من القاضي إنهاء علاقتها الزوجية لمبرر شرعي، كغيبة الزوج أو إعساره بالنفقة، أو سوء العشرة.

والطلاق أنواع مختلفة تختلف بحسب النظر إليه: منها الصريح والكنائي، والرجعي والبائن، والبائن بينونة صغرى، والبائن بينونة كبرى.

والصريح هو ما لم يستعمل إلا في الطلاق غالباً، لغة أو عرفاً، وما ثبت حكمه الشرعي علانية. والكنائي، ما لم يوضع اللفظ له واحتمله غيره، وبالصريح يقع الطلاق بغير نية. أما الكنائي فلا يقع به الطلاق إلا مع النية، لأنه يحتمل الطلاق وغيره فيصرف إلى الطلاق بالنية.

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن طلاق الزوج لزوجته يكون رجعياً دائماً بحيث يكون للزوج حق مراجعة زوجته بقوله المنفرد أو فعله، ضمن عدة المرأة المطلقة رجعياً، ولا يكون الطلاق بائناً إلا في أحوال ثلاث هي:

١ ـ الطلاق قبل الدخول، ويكون بائناً.

٢ ـ الطلاق على مال، ويكون بائناً ضرورة وجوب المال به على الزوجة، ذلك أنها لم تبذل المال له إلا من أجل بينونتها.

٣ ـ الطلاق الثلاث وذلك لضرورة وقوع البينونة الكبرى به بنص الآية الكريمة: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة/ ٢٣٠]، وبعد قوله تعالى في صدر الآية: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة/ ٢٢٩].

٤ ـ والتفريق ـ بحكم القاضي ـ للغيبة أو للإيلاء وللعيب، وللشقاق والنزاع والضرر وللإعسار بالنفقة.

٥ ـ والطلاق بألفاظ الكناية ـ عند الحنفية ـ إلا ألفاظاً قليلة ـ فيكون رجعياً ـ مثل اعتدّي واستبرئي رحمك وأنت واحدة ـ وذلك لتقدير وجود لفظ الطلاق الصريح فيها.

٦ ـ والطلاق المكمل للثلاث، تقع به البينونة الكبرى.

وبالطلاق البائن يرتفع قيد النكاح في الحال. فليس له مراجعتها، ولا بد لردها إلى مطلقها بائناً من عقد زواج رضائي جديد سواء ضمن العدة أو بعدها، وبالطلاق الرجعي والبائن تحل للزواج من غير مطلقها بعد انقضاء العدة. أما في الطلاق قبل الدخول ـ وهو طلاق بائن ـ فإنها تحل لغيره فوراً لأنها لا عدة عليها مطلقاً، أما المطلقة طلاقاً بائناً بينونة كبرى، وهي المطلقة بالثلاث بلفظ واحد أو بألفاظ كررت ثلاث مرات، أو بطلاق واحد ـ رجعي أو بائن ـ مكمل للثلاث، أي مسبوق بطلقتين ـ رجعيتين أو بائنتين ـ فإنها تحل لغيره من الأزواج فور انتهاء عدتها، ولا يمكن أن تعود إليه مطلقاً، إلا إذا حصل أمر غاية في الندرة، وهو أن يتزوجها رجل بعد انتهاء عدتها ـ لا بقصد التحليل ـ زواجاً مقصوداً، ويدخل بها، ثم لسبب من الأسباب وبعد فترة تطول، أو تقصر، طلقها زوجها وانقضت عدتها، ثم اتفقت مع مطلقها الأول، طلاقاً بائناً بينونة كبرى، على الزواج مجدداً بإجراء عقد شرعي رضائي، ويملك عليها من جديد ثلاث طلقات.

ناصر الصالح

المراجع: ٩٧، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٤٥، ٢٧٩، ٣١١، ٤٠٧، ٤٦٢، ٤٨٩، ٥١٠، ٥١١.

* * *

البيوريتانية Puritanism

حركة دينية يقوم فكرها على التزمت والتشدد، نشأت في بريطانيا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وقد انطلقت هذه الحركة من رحم البروتستانتية، ولكن أثر الأدبيات العبرية كان بالغاً في البيوريتانية أو حركة التطهر، والتطهر عند هؤلاء جاء من عملهم لاستئصال ما تبقى من آثار كاثوليكية في بريطانيا.

وقد غالى البيوريتانيون في إجلال الكتاب المقدس مع إعطاء الأولوية للعهد القديم، وقد نادت الحركة بالحد من دور القساوسة والإكليروس، وذهبوا إلى أن مجالس مشيخية يجب أن تحل محل الأساقفة.

توزعوا في بريطانيا باتجاهات عديدة. فقسم قصد أمريكا الشمالية وأسس للكنيسة المعمدانية وللصهيونية المسيحية في أمريكا، وقسم رحل إلى هولندا وأسسوا مستعمرة بليموث تعرف حالياً باسم ماساشوسيتس وكان ذلك عام ١٦٢٠م، وانتقل قسم إلى جزيرة روول حيث تحولوا إلى معمدانيين، وقد انتشر البيوريتانيون بشكل أقوى بعد العام ١٦٦٠م حيث كان قد استلم عرش بريطانيا تشارلز الثاني.

والبيوريتانيون هم أول من أطلقت عليهم تسمية الأصوليين Fondimentalisme وكانت الكلمة بمنحى سلبي حيث رمزت إلى التعصب والتزمت والانغلاق الديني.

الدعوة إلى التغيير التي حملها البيوريتانيون جاءت ممزوجة مع مبدأ التوجه المسبق المتوارث في المذهب البروتستانتي القائل بأن الخلاص يكون بنعمة الله لا بالأعمال.

عرف البيوريتانيون حالات مدٍّ وجزر في حرية حركتهم في بريطانيا وهذا ما دفعهم أو دفع بعضهم كي ينتشروا حيث نشروا مفاهيمهم التزمتية المتعصبة.

وهذا الفريق أي «البيوريتان» لعبوا دوراً أساسياً منذ بداية الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في التأسيس للصهيونية. وتقول المصادر إن قسماً كبيراً من المهاجرين الأول كانوا من البيوريتانيين (التطهريين) الذين حملوا معهم التقاليد العبرية، وكانوا يجيدون العبرية ويسمون أولادهم ومستوطناتهم بأسماء عبرية وتقوم فكرتهم على أساس ضرورة تنصير يهود، وأن التقرب إلى يهود واسترضاءهم يجعل ذلك ممكناً، لهذا شكل هؤلاء ولا يزالون ركيزة مؤثرة في مسار الحركة الصهيونية.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٠٢، ٣٣٦، ٥٤٥، ٦٢٩.



التابعي

التابعي من صحب صحابياً. وقيل: من رآه وتلقى عنه، وهو الأظهر، ويقال للواحد: تابعي وتابع.

قال الحاكم: هم خمس عشرة طبقة أعلاهم من أدرك العشرة المبشرين بالجنة، ويليهم من ولد للصحابة في حياة النبي ﷺ كمحمد بن أبي بكر، وعبد الله بن أبي طلحة الخولاني.

ومن أكابر التابعين فقهاء المدينة السبعة وهم: ابن المسيب، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، والسابع: أبو سلمة. وقال ابن المبارك: سالم بن عبد الله. وقال أبو الزناد: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٥٣٦.

* * *

تابوت العهد

تعبير يهودي يزعمون أنهم يعنون به صندوقاً استخدمه موسى ليحفظ فيه لوحين عليهما الوصايا العشر وعصاه ومعهما المنَّ.

وتابوت العهد من خشب أبعاده ١٢٥ × ٧٥ × ٧٥ سنتيمتراً. وقد جاء وصفه على الشكل التالي في قاموس الكتاب المقدس: «كان مصنوعاً من خشب السنط ومغشّى بصفائح ذهب نقي من داخل ومن خارج، ويحيط برأسه إكليل من ذهب فوقه غطاء من ذهب نقي. وفوق كل طرف من الغطاء كروب من ذهب يظلِّل الغطاء، وعلى كل من جانبي التابوت حلقتان من ذهب لعصوي التابوت المصفحتين بالذهب لحمل التابوت».

عن هذا التابوت جاء في سفر تثنية الاشتراع: «في ذلك الوقت قال لي الرب: إنحتْ لك لوحين من حجر كالأولين واصعدْ إلى الجبل واصنعْ لك تابوتاً من خشب. فاكتبْ على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما وضعهما في التابوت. فصنعتُ تابوتاً من خشب السنط ونحتُّ لوحين من حجر كالأولين وصعدت الجبل واللوحان في يدي، فكتبت عليهما كالكتابة الأولى العشر الكلمات التي كلمكم الرب بها في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع ودفعهما الرب إليَّ».

أما ما كتب على اللوحين اللذين وضعا في تابوت العهد فهو الوصايا العشر، وقد وردت صيغتها في سفر الخروج في الإصحاح العشرين على الشكل التالي: «لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي. لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من أسفل، ولا مما في المياه من تحت الأرض. لا تحلف باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرَّب لا يزكي من يحلف باسمه باطلاً. أذكر يوم السبت لتقدسه.. أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرَّب إلهك. لا تقتل. لا تَزْنِ. لا تَسْرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. ولا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أَمَته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك».

تابوت العهد هذا كان ينقله يهود معهم حيث ارتحلوا، ويوم دخل داود أورشليم أمر من معه أن يحملوه علناً وسط مظاهر الفرح. بعد السبي البابلي ليهود من المقيمين في أورشليم فُقِد تابوت العهد هذا، ويورد قاموس الكتاب المقدس أنه «يوجد تقليد عند الأثيوبيين يفتقر إلى إثبات وهو أن تابوت العهد موجود بأكسوم بأثيوبيا».

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٢٦، ٥٠٦.

* * *

التأويل

التأويل، لغة، مصدر من أوَّل، يؤوِّل تأويلاً، وأصله من آل أي رجع، ويستعمل في الاصطلاح في ثلاثة علوم شرعية، وهي علم التفسير، وعلم الكلام والعقائد، وعلم أصول الفقه، وله في كل علم معنى خاص.

أولاً ـ التأويل في علم التفسير:

اختلف علماء التفسير في تحديد المراد من تأويل القرآن على ثلاثة آراء:

١ ـ التأويل بمعنى التفسير، وهو مرادف له، وهما يدلان على بيان كتاب الله تعالى وفهم المراد منه، وتوضيح ألفاظه ومعانيه.

٢ ـ التأويل: هو بيان الكتب السماوية وفهمها، ويغلب في الجمل والمعاني، أما التفسير فيشمل المعنى في الكتب السماوية وفي غيرها، فهو أعم من التأويل، ويغلب التفسير في المفردات.

٣ ـ التأويل: هو استنباط العلماء لمعاني القرآن الكريم بالاجتهاد، ويكون بالفهم والاستنباط والدراية، أما التفسير فيبين معنى كتاب الله تعالى من المنقول في القرآن نفسه، أو من السنة النبوية، وعن طريق الرواية والنقل.

وهذا المعنى الثالث هو أكثر المعاني انتشاراً ومراداً عند أكثر العلماء المفسرين.

وورد التأويل في القرآن الكريم بمعنيين، الأول: بمعنى التفسير في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف/ ٦]، أي تفسيرها. والثاني: بمعنى ما يؤول إليه الأمر المخبر به، ويصير إليه، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف/ ٥٣]، وذلك بوقوع المخبر به كما وعد الله تعالى.

ثانياً ـ التأويل في علم الكلام والعقائد:

يقع التأويل في علم الكلام والعقائد عند وجود غموض في النص الشرعي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو الألفاظ المتشابهة، أو اللفظ المتشابه، ويقع كثيراً في صفات الله تعالى التي تستلزم البيان والتوضيح بما يتفق مع جلال الله تعالى وذاته وعظمته، لذلك عرَّفوا التأويل: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، كالمعية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد/ ٤]، فتحتمل المعية الجسمية والحسية، والمعية المعنوية، فيتم تأويلها بالمعنى الثاني لتجنُّب التشبيه والتجسيم لله تعالى، ومثل تأويل الأحرف الواردة في أوائل السور، مثل: «حم»، «ألم»، «طسم»، «كهيعص» بأنها لافتتاح السور، أو لدلالة إعجاز القرآن الكريم المؤلف من الأحرف العربية التي يستعملها العرب أنفسهم، ومع ذلك يعجزون عن الإتيان بمثل القرآن، أو بمثل عشر سور منه، أو بمثل سورة منه.

وينحصر التأويل في الآيات والألفاظ المتشابهة التي ذكرها القرآن الكريم بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران/ ٧].

ويحاول العلماء صرف الالتباس عن الأمور المتشابهة في النصوص، ويظهر ذلك بكثرة في تأويل صفات الله تعالى التي اختلف العلماء في تأويلها، فذهب معظم علماء السلف إلى تفويض

معناها لله تعالى، والتسليم بها كما وردت، دون تأويل، وذهب معظم العلماء فيما بعد إلى تأويل هذه الصفات بما يليق بجلال الله وكماله، لمنع التماثل بينه وبين خلقه، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١]، فنفى الله تعالى عن نفسه المثلية للأشياء، ثم أثبت لنفسه السمع والبصر، ومثل قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح/ ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه/ ٣٩]، وقوله: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود/ ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور/ ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر/ ١٤]، فالسلف قالوا بإثبات العين مع التسليم بذلك، والتفويض فيه، والخلف أوّلوا ذلك بالعطف والرعاية والعناية.

واتفق علماء الكلام والعقائد على وجوب تأويل الصفات التي تلازم المخلوقين، ولا تليق بذات الله تعالى قطعاً بحسب الظاهر، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال/ ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة/ ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة/ ١٥]، والمراد يردُّ مكر الكفار في نحورهم، أو يفعل بهم فعلاً من جنس فعلهم، وأن اللفظ جاء لمجرد التجانس في اللغة، مع اختلاف المضمون.

ثالثاً ـ التأويل في علم أصول الفقه:

يتفق علماء الأصول مع علماء الكلام في تعريف التأويل بأنه صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر غير ظاهر، لقرينة تقتضي ذلك، وهو وارد في نصوص الشريعة في آيات الأحكام الفقهية لتأمين وضوحها، وتحديد دلالتها، مثل تقييد المطلق وحمله على المقيد وصرفه عن الشيوع، مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء/ ٩٢]، الواردة في كفارة اليمين، أو في الظهار، وتأويلها برقبة مؤمنة، ومثل تخصيص العام، لصرفه عن العموم، وإرادة بعض أفراده بدليل، ومثل صرف المعنى الحقيقي إلى المجاز بقرينة مقبولة، فيأتي التأويل لبيان المراد على سبيل الظن، مع وجوب اعتماده على دليل يقتضيه، ويشترط فيه أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي يؤول إليه، ولو احتمالاً مرجوحاً، وأن يكون الناظر في النص مجتهداً من علماء الشريعة ليوافق تأويله اللغة أو العرف الشرعي أو الاستعمالي، كتأويل القرء بالحيض أو بالطهر دون غيرهما.

ويرد التأويل أيضاً في «مختلف الحديث» أو «مشكل الحديث» الذي يحتمل عدة معان فيؤول الحديث بحمله على أحد المعاني الصحيحة، ويوفَّق بين النصوص المتعارضة ظاهراً بالجمع بينها.

ومما سبق يتبين أن التأويل إما أن يكون صحيحاً مقبولاً مستوفياً لشروطه، وإما أن يكون فاسداً بعيداً مردوداً، وهو ما يستغله أنصاف العلماء أو أعداء الدين، أو المرجفون وأصحاب الأهواء والنزعات الخبيثة، ويحمِّلونه للدين ليثيروا ما تشابه، ويسكتوا عن المحكم والصريح كما وصفهم القرآن الكريم سابقاً.

محمد الزحيلي

المراجع: ٤٤، ٥٩، ٤٥٩، ٥٢١.

* * *

التبتُّل = (أنظر: بَتَل).

* * *

التبني

التبني من بنى، وهو اتخاذ الشخص ولد غيره ابناً له، واصطلاحاً: أن يدَّعي شخص بنوَّة ولد آخر، سواء أكان معروف النسب من آخر، أو مجهول النسب، ويستلحقه به، مصرحاً باتخاذه ولداً، ومعترفاً بأنه ليس ابناً له، وإنما يريد إنشاء بنوَّة مفترضة، فيعطيه نسبه، ويعتبره كابن حقيقي

مولود له، ويدعوه الناس إليه، ويرث ميراث الأولاد، ويختلي بالنساء المحارم.

ويستعمل العرب لفظ «ادعاء» بدلاً من التبني، فيقولون: ادعى فلان فلاناً، ومنه الدَّعِيُّ وهو المتبنَّى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب/ ٤].

وكان التبني شائعاً في جاهلية العرب قبل الإسلام، واستمر الأمر كذلك بعد ظهور الإسلام فترة، وكان الباعث على التبني أن يتوفر في الولد صفة خاصة يميل إليها الشخص، وتدفعه لإلحاق الولد به لتحقيق هواه في هذه الصفة كالبياض، أو الظرافة والذكاء، أو الخفة، أو العرق، فيضمه إلى نفسه، وينسبه إليه، ويتم ذلك في الأرقاء والعبيد، والسبي والأسرى، واللقطاء، وقد تبنى محمد رسول الله ﷺ زيد بن حارثة على عادة الجاهلية، وكان يسمى زيد بن محمد، ولما نزل التشريع السماوي، وفيه مقاصد الشريعة، وبناء المجتمع الإسلامي، والحرص على النسب والعرض والشرف، وبناء الأسرة التي تعتبر عماد المجتمع، ولبنة الأمة، نزل تحريم التبني والنهي عن استلحاق الأولاد بغير آبائهم، مع الأمر بإلحاقهم بآبائهم الحقيقيين، دون تزييف أو تغيير أو تبديل في النسب، إن كانوا معروفي النسب، فإن كانوا مجهولي النسب فهم إخوة في الدين. وأبطل الإسلام جميع الآثار المترتبة على التبني في الجاهلية، فلا يعتبر المتبنى ابناً حقيقة، ولا توارث في التبني، ولا تسري عليه أحكام التحريم بالنسب من الاختلاط بالنساء، والخلوة بهن، ويجوز للشخص أن يتزوج مطلقة المتبنى، لأنه ليس ابناً، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب/ ٤،٥].

وأكد رسول الله ﷺ تحريم التبني، مع وجوب الحفاظ على النسب الحقيقي، فروى البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام)، وفي لفظ مسلم: (ليس رجل ادعى لغير أبيه، وهو يعلم إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار)، وروى البخاري في «التاريخ» أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يريحون رائحة الجنة: رجل ادعى إلى غير أبيه، ورجل كذب عليَّ، ورجل كذب على عينيه) أي بشهادة الزور. وروى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن علي رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الصحيفة عن رسول الله ﷺ: (ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً، ولا صرفاً) ولأن الانتماء إلى غير الأب يدخل في باب عقوق الوالدين، وترك الإحسان والبر لهم، ولأن التبني اعتداء على نسب الآخرين، وسرقة دمهم الذي انتقل إلى أولادهم، ولأنه شهادة زور وكذب، مخالفة للحقيقة والواقع، ونهى رسول الله ﷺ عن إنكار الولد وجحد نسبه، فقال: (أيما رجل جحد ولده، وهو ينظر إليه «أي يعلم حقيقة نسبه» احتجب الله منه يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الخلائق)، وحرم رسول الله ﷺ على المرأة أن تنسب ولداً أجنبياً إلى زوجها، وهي تعلم أنه ليس منه، فقال عليه الصلاة والسلام: (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء، ولن يدخلها جنته)، وبدأ رسول الله ﷺ بنفسه، فأبطل تبني زيد، ثم أمره الله تعالى أن يتزوج مطلقته بعد عدتها لتأكيد إنهاء آثار التبني الباطلة، فقد ذكر القرطبي في «تفسيره»: أنه أجمع أهل التفسير على أن الآية السابقة نزلت في زيد بن حارثة، وروى الأئمة عن ابن عمر قال: «ما كنا نعد زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزلت: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب/ ٥]، أي أعدل، وأحق عند الله.

ويجب التفريق بين التبني وبين الإقرار بالنسب، وهو أن يقر الأب أو الأم بالبنوة دون ذكر السبب، مع عدم إلحاق الضرر أو العار بالولد، ولا يكون الإقرار بالنسب إلا لمجهول النسب، وبشروط أخرى، ويقبل قول المقر على نفسه، ومسؤولية صدقه أو كذبه عليه، وهو مسؤول عنها شرعاً مسؤولية شديدة، كما سبق في الأحاديث، ولا يستفسر من المقر عن السبب، ويحمل على الستر والخير والصواب، ولذلك يصح الإقرار بالنسب في الشرع حتى الآن، ولا يصح الرجوع فيه، ولا يجوز نفي نسبه بعد صدوره بحال من الأحوال، أما التبني فيكون لمجهول النسب، ولمعلوم النسب، ويعترف المتبني أن الولد ليس ابنه في الحقيقة والواقع، وأنه كاذب في ادعائه لذلك أبطله الإسلام.

وتظهر الحكمة من إبطال التبني في حرمان الأب الحقيقي من نسله وذريته، وقطع أواصر القرابة بينهما وما يترتب عليها من ميراث وولاية ونفقة ودية، وحتى في اللقيط ومجهول النسب قد يرجع الأب عن تقصيره السابق، ويستلحق ولده من جديد، فإن كان آخر تبناه فقد قطع عليه الطريق إلى الحق والصواب والرشد، والتبني يضيع حقوق الورثة الحقيقيين من الأب المتبني بعد موته فيشاركهم الولد المتبنى في الميراث، وقد يحرم المتبني بقية الأقارب من الإرث نهائياً، وأن التبني سبب لارتكاب المحرم وإهدار الأعراض، لأن المتبنى يدخل على زوجة المتبني وبناته وأخواته باسم البنوة الكاذبة، وقد يتزوج المتبنى من بنت تكون أخته حقيقة في النسب والتبني في الواقع كذب وسرقة للنسب والدم.

كما يجب التفريق بين التبني الذي أبطله الإسلام وبين وجوب رعاية اليتيم التي ترتقي بصاحبها إلى الجنة، ووجوب رعاية اللقطاء وكفالتهم وتأمين حوائجهم وتعليمهم، وضمهم إلى الأولاد الحقيقيين في الرعاية والتربية، فإن كبروا اعتمدوا على أنفسهم، وحجبوا بعد البلوغ، أو قبله بقليل، عن المحارم والزوجة، مع استمرار الإحسان إليهم حتى يصلوا إلى الدرجات العليا.

وينتشر التبني في الغرب، وتقره بعض الشرائع، على أنه من الدرجة الثانية، وله أحكامه وتطبيقه حتى على الولد المعروف النسب، ويتسرب بعض ذلك إلى البلاد الإسلامية وخاصة من المحروم من الولد بعدم الإنجاب ليلبي مطامعه، ويتسلى بأولاد الآخرين، وتتم سرقة الأولاد من المستشفيات، ويتوفر بعض السماسرة للجنس البشري، وعن طريق العيادات، أو دار الأيتام، ومبرَّة اللقطاء لقاء الجشع المادي.

محمد الزحيلي

المراجع: ١٩٧، ٢٢٥، ٣٨٤.

* * *

التجلي

لغة: هو الكشف وضده الخفاء. واصطلاحاً: تجلي صفات المحبوب في نفس المحب فلا يرى سواه، فهو رفع حجاب البشرية فيما بين العبد وربه، وضده الاستتار بأن تكون البشرية حائلاً بين العبد وشهود الغيب.

وتجلي صفات الخالق على المخلوق بأن تتجلى له قدرته عليه فلا يخاف غيره ولا يرجو سواه، قال ﷺ: (اعبد الله كأنك تراه).

وقال حارثة للنبي الكريم: «أصبحت كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً».

أحمد كفتارو

المراجع: ١٧١، ٣٧٥.

* * *

التحلل = (انظر: الحج).

* * *

التراويح

التراويح جمع ترويحة، أي ترويحة للنفس، أي استراحة، من الراحة وهي زوال المشقة والتعب. والترويحة في الأصل اسم للجلسة مطلقة، وسميت الجلسة التي بعد أربع ركعات في ليالي رمضان بالترويحة للاستراحة، ثم سميت كل أربع ركعات ترويحة مجازاً. وسميت هذه الصلاة بالتراويح لأنهم كانوا يطيلون القيام فيها ويجلسون بعد كل أربع ركعات للاستراحة.

وصلاة التراويح: هي قيام شهر رمضان، مثنى مثنى، على اختلاف بين الفقهاء في عدد ركعاتها، وفي غير ذلك من مسائلها، وصلاة التراويح تكون في ليالي رمضان خاصة، ولا يشترط أن تكون بعد النوم.

وقد اتفق الفقهاء على سنية صلاة التراويح، وهي عند الحنفية والحنابلة وبعض المالكية سنة مؤكدة، وهي سنة للرجال والنساء، وهي من أعلام الدين الظاهرة.

وقد سن رسول الله ﷺ صلاة التراويح ورَغَّبَ فيها فقال: (إن الله فرض صيام رمضان عليكم، وسننت لكم قيامه..). وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه). قال الخطيب الشربيني وغيره: اتفقوا على أن صلاة التراويح هي المرادة بالحديث المذكور.

وقد صلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة التراويح في بعض الليالي ولم يواظب عليها، وبيَّن العذر في ترك المواظبة وهي خشية أن تكتب عليهم فيعجزوا عنها.

فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي عليه الصلاة والسلام، صلى في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الثالثة فلم يخرج إليهم، فلما أصبح قال: قد رأيت الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم) وذلك في رمضان. (زاد البخاري فيه: فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك). وروى أبو ذر رضي الله عنه قال: «صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل فقلت: يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة؟ فقال: (إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة). قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح. قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بنا بقية الشهر». وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: «قمنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين إلى ثلث الليل الأول، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل، ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح وكانوا يسمونه السحور».

وقد واظب الخلفاء الراشدون والمسلمون من زمن عمر رضي الله عنه على صلاة التراويح جماعة وكان عمر هو الذي جمع الناس فيها على إمام واحد.

عن عبد الرحمن بن عبد القاري، قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليلة من رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل بنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أُبيّ ابن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. فقال: نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون. يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله.

وروى أسد بن عمرو عن أبي يوسف قال: سألت أبا حنيفة عن التراويح وما فعله عمر، فقال: التراويح سنَّة مؤكدة، ولم يتخرص عمر من تلقاء نفسه، ولم يكن فيه مبتدعاً، ولم يأمر به إلا عن أصل لديه وعهد من رسول الله ﷺ، ولقد سنَّ عمر

هذا وجمعَ الناس على أُبيّ بن كعب فصلاها جماعة والصحابة متوافرون من المهاجرين والأنصار وما رد عليه واحد منهم بل ساعدوه ووافقوه وأمروا بذلك.

وصلاة التراويح لم تشرع إلا في آخر سني الهجرة لأنه لم يرد أن رسول الله ﷺ صلاها مرة ثانية ولا وقع عنها سؤال. وقد جمع عمر الناس في التراويح على إمام واحد في السنة الرابعة عشرة من الهجرة، لنحو سنتين خلتا من خلافته وفي رمضان الثاني من خلافته.

ولا أذان ولا إقامة لصلاة التراويح، بل نداء، لما روى الشيخان أنه لما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ نودي: (إن الصلاة جامعة). ولما ثبت أن رسول الله ﷺ أذن للصلوات الخمس المفروضة والجمعة دون سواها.

ولا بد في صلاة التراويح من النية، واشترط البعض تعيين النية فلا تصح النية المطلقة، لحديث رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات). وذهب الحنابلة إلى أنه يندب في كل ركعتين من التراويح أن ينوي فيقول سراً: أصلي ركعتين من التراويح المسنونة أو من قيام رمضان.

ولقد ثبت الأمر بقيام رمضان دون تخصيص بعدد، ولم يثبت أن النبي ﷺ صلى التراويح عشرين ركعة، وما ورد خلاف ذلك فهو شديد الضعف.

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن عددها عشرون ركعة جمع عمر أصحاب رسول الله ﷺ على أبيّ ابن كعب، فصلى بهم عشرين ركعة ولم ينكر عليه أحد، فيكون إجماعاً منهم على ذلك. وقال الدسوقي وغيره: كان عليه عمل الصحابة والتابعين. وقال ابن عابدين: عليه عمل الناس شرقاً وغرباً. وقال علي السنهوري: هو الذي عليه عمل الناس واستمر إلى زماننا في سائر الأمصار. وقال ابن تيمية: من ظن أن قيام رمضان فيه عدد موقت عن النبي ﷺ لا يزاد فيه ولا ينقص منه فقد أخطأ.

واتفق الفقهاء على مشروعية الاستراحة بعد كل أربع ركعات، لأنه المتوارث عن السلف، فقد كانوا يطيلون القيام في التراويح ويجلس الإمام والمأمومون بعد كل أربع ركعات للاستراحة. وقال الحنفية: يندب الانتظار بين كل ترويحتين، ويكون قدر ترويحة، ويشغل هذا الانتظار بالسكوت أو الصلاة فرادى أو القراءة أو التسبيح. وقال الحنابلة: لا بأس بترك الاستراحة بين كل ترويحتين، ولا يُسن دعاء معين إذا استراح لعدم وروده.

وذهب الفقهاء إلى أن من يصلي التراويح يسلم من كل ركعتين، لأن التراويح من صلاة الليل، لحديث: (صلاة الليل مثنى مثنى) ولأنها تصلى جماعة فيراعى فيها التيسير.

وجاء في المذهب الحنفي جواز صلاة التراويح قاعداً مع الكراهة تنزيهاً لأن ذلك خلاف السنة المتوارثة. واستظهر ابن عابدين أن القعود يكره تحريماً، لأن في ذلك إظهار التكاسل في الصلاة والتشبه بالمنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء/١٤٢]، فإذا لم يكن ذلك لكسل بل لكبر ونحوه لا يكره.

ووقت صلاة التراويح من بعد العشاء، وقبل الوتر، إلى طلوع الفجر، لنقل الخلف عن السلف، ولأنها عرفت بفعل الصحابة فكان وقتها ما صلوا فيه ولأنها سنة تبع للعشاء فكان وقتها قبل الوتر. وقد اتفق الفقهاء على مشروعية الجماعة في التراويح لفعل النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يومنا. وقال الجمهور: إن الجماعة سنة، وقيل: إنها سنة على الكفاية، وقيل: تندب صلاتها في البيوت، خوف الرياء. والسنة ختم القرآن في صلاة التراويح وقيل: التخفيف أفضل خصوصاً في الجماعة لتكثيرها.

ناصر الصالح

المراجع: ٢٠، ٧٢، ٩٣، ١٦٣، ٢١٣، ٢٦٨، ٣٧٠، ٣٧٣، ٤٥٥، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٥١٠، ٥٧٢، ٥٧٣.

التدليس

الدلس: الخديعة. يقال: ما لي فيه ولس ولا دلس، ما لي خيانة ولا خديعة. والدلسة: الظلمة. ودالس فلان مدالسة ودلاساً: خادعه وظلمه. والتدليس: المصدر، وهو يعني الكتمان والإخفاء.

والتدليس يكون في عقود المعاوضات، وله أنواع كثيرة، منها: الفعلي، والقولي، وكتمان الحقيقة. أما الفعلي، فهو في إحداث فعل في المعقود عليه ليظهر بصورة غير ما هو عليه في الواقع بقصد التزوير والإيهام. وأما القولي، فهو الكذب الصادر من أحد المتعاقدين أو ممن يعمل لديه لحمل الآخر على التعاقد ولو بغبن. والتدليس بكتمان الحقيقة، يكون في إخفاء البائع العيب عن المشتري مع علمه به، مما يوهم المشتري عدم العيب. وهذا النوع الأخير حرام باتفاق الفقهاء، ويثبت فيه للمدلس عليه خيار العيب، الذي يتمكن بواسطته من فسخ العقد أو إمضائه.

كما يكون التدليس في رواية الحديث الشريف، وهو في هذا الأخير على قسمين:

أحدهما: أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه، موهماً أنه سمعه منه، ويسمى هذا: تدليس الإسناد.

والثاني: هو الإتيان باسم الشيخ أو كنيته على خلاف المشهور به، تعمية لأمره، وتوعيراً للوقوف على حاله، ويسمى: تدليس الشيوخ.

والحديث المدلَّس من أنواع الحديث الضعيف.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٦، ١٦٢، ١٧٩، ٢٠٨، ٣٠٧، ٣١٤، ٣٧٢، ٤١٨، ٥١٠، ٥١١، ٥٣٥، ٥٤١.

* * *

الترجيح

رجح الشيء بيده: وزنه ونظر ما ثقله، بكسر الثاء. ورجح الشيء يرجح، بكسر الجيم وفتحها وضمها، رجوحاً ورجحاناً، ورجح الميزان: مال. فالترجيح، لغة: جعل الشيء راجحاً، ويطلق مجازاً على اعتقاد الرجحان، أو هو: إظهار الزيادة لأحد المثلين على الآخر وصفاً لا أصلاً. أو هو إظهار فضل من أحد جانبي المعادلة وصفاً لا أصلاً.

وقد تفاوتت ألفاظ العلماء في تعريفه، ومن ذلك أنه: الشروع في تقوية أحد الطريقين على الآخر. وقيل هو: بيان مزية أحد الدليلين على الآخر. وقيل: هو التمييل. وقيل: هو تقوية أحد المتعارضين. وقيل: هو التسبيق لأحد المتعارضين. وقيل: هو التفويت لأحد المتنافيين. وقيل: هو تغليب أحد المتقابلين. وقيل هو: اقتران أحد الصالحين للدلالة على المطلوب، مع تعارضهما بما يوجب العمل به وإهمال الآخر. وقيل هو: اقتران الأمارة بما تقوى به على معارضها، فيجب تقديمها للقطع. وقيل هو: تقوية طريق على آخر ليعلم الأقوى، فيعمل به ويطرح الآخر.

والدليل على صحته وثبوته ـ في الجملة ـ: ما تقرر اتفاق العقلاء والعلماء على: تقديم الأمر على غيره بفضيلة يختص بها أحدهما، لأنهم يؤثرون أقرب الأمور إلى المطلوب عند الاشتباه، وأخصها بالصواب عند الالتباس، فيقدمون في مهماتهم تدبير أحسن الناس رأياً، وفي معرفة ما غاب عن حواسهم: أصدقهم خبراً، وأوثقهم قولاً، وأسدَّهم حالاً.

والترجيح قد يكون في أدلة الأحكام بالاستعمال والترتيب وفقاً لمعرفة الناسخ والمنسوخ، أو لتقديم المدني على المكي، أو إعمال غلبة الظن عند تعارض أخبار الآحاد.

كما يكون الترجيح في مناهج الفقهاء في أصولهم الفقهية.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ١٦، ٥١، ١٦٠، ٣٠٣، ٤٢٣، ٤٣٠.

* * *

تركة

التركة، لغة، اسم مأخوذ من ترك الشيء يتركه تركاً، وترك الشيء تركاً: خلفه. وتركة الميت، ما يتركه من الميراث وجمعها تركات. وفي الاصطلاح: هي كل ما يخلفه الميت من الأموال والحقوق الثابتة مطلقاً، حسب ما ذهب إليه جمهور الفقهاء. وقال الحنفية: هي ما يتركه الميت من الأموال صافياً عن تعلق حق الغير بعينه، وبذلك لا تدخل المنافع عندهم في التركة، خلافاً للجمهور الذين استدلوا بحديث: (من مات وترك مالاً فماله لموالي العصبة، ومن ترك كلاً أو ضياعاً فأنا وليه). وهذه الحقوق أنواع منها ما يورث، وهي الحقوق المتعلقة بمال المورث، كحق الرهن والارتفاق والمرور والشرب والمجرى والتعلي ـ وذلك بلا خلاف بين الفقهاء ـ ومنها ما يورث عند الجمهور ـ دون الحنفية ـ وهي الحقوق المالية المتعلقة بمشيئة المورث وإرادته، كحق الشفعة وخيار الشرط والرؤية والتعيين في عقود البيع، ومن الحقوق ما لا يورث مطلقاً، من رجوع في الهبة، وحق الانتفاع بملك الغير بسكن دار أو زراعة أرض، ومن الأجل في الدين، الذي يحُلُ بموت المورث. وقال القرافي: «إنه لم يخرج عن حقوق الأموال ـ فيما يورث ـ إلا صورتان فيما علمت: حد القذف وقصاص الأطراف والجرح والمنافع في الأعضاء، فإن هاتين الصورتين تنقلان للوارث، وهما ليستا بمال، لأجل شفاء غليل الوارث بما دخل على عرضه من قذف مورثه والجناية عليه، وأما قصاص النفس فإنه لا يورث، فإنه لم يثبت للمجني عليه قبل موته، وإنما يثبت للوارث ابتداءً، لأن استحقاقه فرع زهوق النفس، فلا يقع إلا للوارث بعد موت المورث».

أما الأحناف فقد ذهبوا إلى أن التركة هي المال فقط، فيدخل فيها الدية الواجبة بالقتل الخطأ، أو بالصلح عن القتل عن عمد، أو بانقلاب القصاص بعفو بعض الأولياء، فتعتبر كسائر أمواله، حتى تقضى منها ديونه وتخرج وصاياه ويرث الباقي ورثته. ولا تدخل الحقوق في التركة لأنها ليست مالاً، ويدخل في التركة من الحقوق ما كان تابعاً للمال أو في معنى المال، كحق الارتفاق والتعلي وحق البقاء في الأرض المحتكرة للبناء والغراس، ولا يدخل غير ذلك من الحقوق في التركة لأنه ليس تابعاً للمال ولا في معناه، مثل حق الخيار في السلعة التي اشتراها المورث وكان له فيها حق الخيار، وحق الانتفاع بما أوصي له به، ومات قبل مضي المدة التي حددها الموصي.

والحقوق المتعلقة بالتركة وفق ما ذهب جمهور الفقهاء أربعة وهي: تجهيز الميت للدفن وقضاء ديونه، وتنفيذ وصيته ثم حقوق الورثة. وقال المالكية بأنها خمسة، حيث أضافوا، الحق المتعلق بعين.

ويشترط لانتقال ملكية التركة إلى الورثة، موت المورث حقيقة، أو حكماً، أو تقديراً، وتحقق حياة الوارث بعد موت المورث، والعلم بجهة الميراث من زوجية أو قرابة أو ولاء. وزاد المالكية والشافعية جهة الإسلام أي بيت المال.

وموانع انتقال التركة بالإرث ثلاثة: القتل والرق واختلاف الدين. واختلف الفقهاء في الردة واختلاف الدارين والدور الحكمي.

ولا يشترط لانتقال التركة إلى الوارث قبوله، بل تؤول إليه جبراً بحكم الشرع بدون قبول منه. وهي تنتقل من حين وفاة المورث، إذا لم تكن التركة مدينة بشيء باتفاق الفقهاء. وقال الشافعية بانتقالها من حين الوفاة، ولو كانت مدينة بدين مستغرق أو

غير مستغرق. وذهب المالكية إلى أن أموال التركة تبقى على ملك الميت حتى سداد الدين، إن كانت التركة مدينة مستغرقة، وغير مستغرقة، وميَّز الحنفية فقالوا ببقاء أموال التركة على ملك الميت حتى سداد الدين، إن كان الدين مستغرقاً، خلافاً لحالة عدم الاستغراق.

أما وقت انتقال التركة إلى الورثة بناء على ما يسبق الوفاة ففيه حالتان:

الأولى: إذا مات دون سابق مرض ظاهر، كموت نتيجة حادثة أو قتل أو بالسكتة القلبية، انتقلت التركة في وقت الموت نفسه دون خلاف يذكر.

الثانية: إذا مات بعد مرض موت واتصلت الوفاة بالمرض، وهنا يكون انتقال التركة إلى الورثة عقب الوفاة بدون تراخ؛ وذهب بعض متقدمي الأحناف إلى أن ثلثي التركة ينتقل من حين ابتداء مرض الموت.

والحقوق المترتبة على التركة، مقدم بعضها على بعض، فيقدم تجهيز الميت وتكفينه ثم أداء الدين، ثم تنفيذ وصيته، والباقي للورثة.

يقدم التجهيز والتكفين باتفاق إذا كانت التركة خالية من الدين، لقول النبي ﷺ في الذي وَقَعَتْهُ ناقتُه: (كفنوه في ثوبين) دون أن يسأل عما إذا كان عليه دين.

أما إذا كان للغير حق على أعيانها، كرهن على عين، كان للمرتهن حق بعين المرهون، فيقدم الدين في دفعه من التركة على التكفين والتجهيز عند الشافعية والمالكية وفي المشهور عن الأحناف، وعند الحنابلة ورأي آخر للأحناف يقدم التكفين والتجهيز على الدين، مثلما تقدم نفقات المفلس على الديون، ثم تقضى الديون بعد التجهيز والتكفين.

ويقدم سداد الدين على الوصية بالاتفاق، مع ورود الوصية قبل الدين في الآيتين ١١ و ١٢ من سورة النساء، وذلك لقول علي رضي الله عنه: «شهدت رسول الله ﷺ بدأ بالدين قبل الوصية».

ولأن الدين واجب من أول الأمر، بينما الوصية تبرع ابتداء، والواجب يؤدى قبل التبرع.

وذهب معظم الأئمة إلى أن الديون تحل بموت المدين، خلافاً للراجح عند الحنابلة وغيرهم، الذين يرون أن الديون لا تحل بموته، إذا وثق الدين برهن أو كفيل مليء، لأن الموت ما جعل مبطلاً للحقوق، وإنما هو ميقات للخلافة وعلامة على الوراثة، ولقول النبي ﷺ: (من ترك حقاً أو مالاً فلورثته).

وقد ذهب الأحناف إلى أن ديون الله تعالى تسقط بالموت إلا إذا أوصى بها.

وذهب المالكية إلى أن حق العبد يقدم على حق الله، لأن حقوق العبد مبنية على المشاحة، وحقوق الله مبنية على المسامحة، والعبد يحتاج والله الغني.

وذهب الشافعية إلى تقديم حق الله على حق العبد إذا ضاقت التركة عنهما لقوله ﷺ: (دين الله أحق أن يقضى)، وقوله: (اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء).

وفي التركة التي لا وارث لها، قال بعض الفقهاء: «يرثها بيت المال على سبيل العصوبة». وقال بعض آخر: «تؤول التركة التي لا وارث لها إلى بيت المال على سبيل الفيء وليس الإرث».

ناصر الصالح

المراجع: ٤٥، ٩٦، ٩٧، ١٥٧، ٢١٠، ٢١٤، ٣٥١، ٣٧٩، ٤٢٩، ٤٤١، ٤٨٩، ٥١٠، ٥٧٢.

* * *

التصحيف

التصحيف هو إهمال الإعجام «نقط الحروف العربية» أو الإخلال فيه، وهو عيبٌ من عيوب عدَّة ألمَّت بالكتابة العربية أول عهودها، وقد ظلت آثاره عالقة بها حتى بعد ارتقاء أساليب الكتابة وتطور أدواتها. ومن هذه العيوب، التحريف وهو شبيه بالتصحيف؛ وهو إبدال حرف بحرف، أو لفظ بلفظ، والمسبب في هذا الإبدال إنما هو تشابه الشكل في

الحروف، وفي الألفاظ. والأمثلة على التصحيف كثيرة، ولا يزال المحققون يواجهون العديد منها عندما يتوجهون إلى تحقيق مخطوطة قديمة بغية نشرها، أو يتناولون مصدراً من المصادر المنشورة قديماً، بغية شرحه أو إعادة نشره. من ذلك مثلاً ما ورد في ذيل الصفحة ١٨٨ من كتاب «الإمتاع والمؤانسة» ج/ ٢ لأبي حيّان التوحيدي، وكان قد أورد في متن الصفحة عينها هذه العبارة: «... وأكايد أصحابنا ببغداد، وأقول لهم: هل كان حُسبانكم أن يطلع عليكم من المشرق من **يزيد ظَرفه على ظَرفكم؟**» يقول المحققان أحمد أمين، وأحمد الزين، في الهامش: «**يرتد طرفه على طرفكم**»، وهو تصحيف في هذه الكلمات الثلاث.

والتصحيف في هذه الكلمات الثلاث الذي يشير إليه المحققان، إنما هو ناتج عن أن الكاتب أخلّ في النقط؛ فأعجم الراء المهملة فباتت «زيناً»، وأبدل مكان نقطتي التاء، فجعلهما من تحت الحرف فباتت «ياءً»، وصارت اللفظة «يزيد» وهي في حقيقتها كما يذهب المحققان «يرتد» وكذلك القول في «ظرفه» و «ظرفكم» وهما في الأصل طرفه، وطرفكم، بالطاء المهملة.

والقول الفصل في ما لحقه تصحيف من الكلام، أو في ما توهم أن فيه تصحيفاً، إنما هو للدلالة التي يعطيها السياق للفظة، عملاً بالنظرية اللغوية القديمة/ الحديثة؛ أن ليس للألفاظ مفردةً، دلالات تركيبية في ذواتها، إنما تكتسب اللفظة دلالتها الحقيقية من السياق الذي ترد فيه.

وللتصحيف أسباب عدة، منها المتعمَّد المقصود، ومنها غير المتعمَّد وغير المقصود، والثاني من الأسباب هو الأكثر والأغلب، والداعي إليه، أن العربية لم تعرف الإعجام إلاّ لاحقاً، فقد ظلت الكتابة العربية منذ نشأتها وحتى عهد عبد الملك بن مروان (٦٨٥ ـ ٧٠٥م/ ٦٥ ـ ٨٦هـ) عاطلة الحروف من النقط، وغير معجمة. وقد يكون الأمر غير مخلّ بالكتابة وبدلالات العبارات، لولا وجود الحروف المتشابهة الشكل والمختلفة الأصوات، والمتعددة الأشكال كذلك بحسب موقع كل منها في اللفظة. ومثل هاتين السمتين تتفرّد فيهما العربية تقريباً، وتختلف فيهما عن غيرها من اللغات الأخرى بعامة. وهذا واحد من مجموعة أسباب أخرى دفع إلى التصحيف في المتون العربية، والقديمة منها بشكل خاص؛ فالحروف الثلاثة ب، ت، ث، ذات شكل واحد لا يفرق بين حرف وحرف إلا بالإعجام، هذا إذا أفردت أو تطرَّفت في اللفظة، أمّا إذا انتظمت واتصلت فيها، فيضاف إليها حرفا النون، والياء، فيصبح التشابه الكلي واقعاً في خمسة من الحروف، وفي كل الألفاظ التي يمكن أن تنشأ من توالي بعض من هذه الحروف وتداخلها في تركيب الألفاظ الممكن تركيبها منها. ولا يخفى عدد الاحتمالات التي يمكن أن تقرأ فيها اللفظة الواحدة في غيبة الإعجام والتحريك. ولو أخذنا على سبيل المثال لفظة «بنت» ونزعنا عن حروفها الثلاثة نقاط الإعجام، وجدنا أنها تقرأ على أكثر من اثنين وستين وجهاً!. هذا إذا استثنينا صيغة المضارع المجزوم، ولم نضف إليها الثلاثين وجهاً التي يمكن أن تقرأ فيها. ومع أنه ليس لكل الألفاظ إلا وجه والاحتمالات نفسها التي للفظة «بنت» يظل هذا التشابه يولِّد إشكالية كبرى، هي المسؤولة عن معظم ما لحق العربية من تصحيف.

وكذلك يقال في الألفاظ المركبة من أحرف تتشابه أشكالها مثل: الجيم والحاء والخاء (ج، ح، خ)، والطاء والظاء (ط، ظ)، والسين والشين (س، ش) وسواها.

وقد يخيَّل إلى بعضهم، أن ما حققته الكتابة العربية بتبنيها الإعجام، قد قضى على كل أسباب التصحيف والتحريف، ولكن الحقيقة ليست كذلك، لسببين: الأول: أن هذه الخطوة، الإعجام، لم تحل المشكلة حلاً جذرياً، وإن كانت قد سهَّلت السبيل إلى الحل، وقضت على معظم ما كان

يمكن الوقوع فيه من أخطاء، وذلك، لأن نوعاً من النقط كان استخدم في الكتابة العربية لغير إعجام الحروف وتمييز بعضها عن بعضه الآخر من حيث الشكل، وذلك أيام معاوية بن أبي سفيان (٤٠ ـ ٦٠هـ/ ٦٦٠ ـ ٦٨٠م)، عندما لجأ إلى أبي الأسود الدؤلي (المتوفى ٦٩هـ/ ٦٨٨م) طالباً منه وضع الحركات، مساعدةً على ضبط القراءات، واجتناباً لكل خطأ في قراءة القرآن الكريم، فعمد أبو الأسود إلى وضع النقاط دلالة على الحركات أولاً. فكان يضع النقطة تحت الحرف ـ ليدل بها على الكسر، وفوق الحرف ـ ليدل بها على الفتح، وبين يدي الحرف ـ ليدل بها على الضم. وعندما جاء تلميذا أبي الأسود يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، في عهد عبد الملك بن مروان، (٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٥م) يضعان نقاط الإعجام، وقع اللبس بين نقاط الحركات وبين نقاط الإعجام، فلجآ إلى التفريق بين النوعين بتغيير لون الحبر، فجعلا نقاط الإعجام مكتوبة بلون الحبر نفسه الذي تكتب فيه الألفاظ، وغالباً ما كان اللون الأسود، وجعلا نقاط الحركات بلون مغاير وغالباً ما كان الأحمر.

أمّا وقد حصر النقط في الكتابة بالإعجام، وأُلغي نقط الحركات بعد أن وضعت لها أشكال تدل عليها، وهي المستعملة في يومنا هذا، فإن الإشكالية هذه لم تحل نهائياً كما أن اللبس يظل وارداً حتى عند الألبّاء وذوي الحصافة، وسداد الرأي، فقد ظلت أوجه القراءة تتعدد في بعض الأحيان، مهما كان السياق مسعفاً في تبين الوجه الأصوب، وذلك لكثرة الاحتمالات التي قد تصح من السياق، غير واحد منها، مهما كان القارىء لبيباً! وقد حفلت كتب التراث بالعديد من الطرائف والمفارقات التي نجمت عن التصحيف؛ فقرئت ألفاظ على غير الوجه الصحيح الذي شاءه الكاتب، فكانت المفارقات الشتى؛ منها الطريف ومنها المأساوي. ولا تزال طرفة «إحصاء المخنثين» والتباسها «بإخصائهم» يُتندر بها كلما طرح هذا الباب! وذاك لتصحيف في القراءة ولما نتج عنه من خطأ في تنفيذ الأحكام!.

وإلى جانب هذا السبب الذي ذكرت، وهو أساسي، أسباب أخرى قد تكون أقل أهمية، ولكنها موجودة، وتجدر الإشارة إلى بعض منها؛ كبدائية الوسائل الكتابية، وعدم قدرتها على الصمود في وجه عوامل الطبيعة، ومؤثرات المناخ، فلم تكن الحروف قادرة على الثبات في وجه عاديات الزمن، والمؤثرات البيئية المختلفة، فكان التآكل، والتحات، والتفتت، والامّحاء، من الآفات التي تلمّ بالكتابة فتوقع القارىء في اللبس، فيعمد إلى الترميم بما هدته إليه السليقة، وبما يسّره له السياق، ولن يخفى ما قد تجر إليه عملية الترميم هذه من أخطاء وتأويلات.

ومنها كذلك نسخ الكتب وما قد ينجم عن سهو النسّاخ وأخطائهم، وما قد ينجم عن رداءة الخطوط لدى البعض منهم كما يقول ابن خلدون: «فصارت الخطوط... مائلة إلى الرداءة بعيدة عن الجودة، وصارت الكتب إذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفِّحها منها، إلا العناء والمشقة، لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف..».

ومهما يكن، فإن التصحيف، والتحريف، أخذ خطرهما يتضاءل، كما أخذت آثارهما تخف تدريجاً، بعدما أُعجمت الحروف، وميِّز بين التحريك والإعجام، وبعدما تقدمت وسائل الكتابة والتدوين، بحيث اختفت هذه الظاهرة اختفاء يكاد يكون تاماً، ولولا السهو والخطأ في الطباعة، لقلنا إنها اختفت تماماً، وإذا كنا نصادف بعض بقايا منها عالقة ببعض كتب التراث، فذلك ممّا كان، ومما لا يزال المحققون يشيرون إليه في هوامش الكتب وحواشيها توخياً للضبط والأمانة ليس أكثر.

أسعد السكاف

المراجع: ٧٧، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٧٦، ٣٩٦، ٤٤١، ٤٦١، ٤٩٦، ٥٢٠.

* * *

التصوف = (انظر: الصوفية).

* * *

تطوع

التطوع هو التبرع، يقال: تطوع بالشيء: تبرع به.

وقال الراغب: التطوع في الأصل: تكلف الطاعة، وهو في التعارف: التبرع بما لا يلزم كالتنفل، قال تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ [البقرة/ ١٨٤].

والفقهاء عندما أرادوا أن يعرِّفوا التطوع عدلوا عن تعريف المصدر إلى تعريف ما هو حاصل بالمصدر، فذكره في الاصطلاح ثلاثة معان:

الأول: أنه اسم لما شرع زيادة على الفرائض والواجبات، أو ما كان مخصوصاً بطاعة غير واجبة، أو هو الفعل المطلوب طلباً غير جازم، وكلها معان متقاربة، وهذا ما ذكره بعض فقهاء الحنفية، وهو مذهب الحنابلة، والمشهور عند الشافعية، وهو رأي الأصوليين من غير الحنفية وهو ما يفهم من عبارات فقهاء المالكية.

والتطوع بهذا المعنى يطلق على: السنة والمندوب والمستحب والنفل والمرغَّب فيه والقربة والإحسان والحسن فهي ألفاظ مترادفة.

الثاني: أن التطوع هو ما عدا الفرائض والواجبات والسنن، وهو اتجاه الأصوليين من الحنفية، ففي كشف الأسرار: السنة هي الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض أو وجوب، وأما حد النفل - وهو المسمى بالمندوب والمستحب والتطوع - فقيل: ما فعله خير من تركه في الشرع.. الخ.

الثالث: التطوع: هو ما لم يرد فيه نفل بخصوصه بل ينشئه الإنسان ابتداء، وهو اتجاه بعض المالكية والقاضي حسين وغيره من الشافعية.

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ٥٤٨.

* * *

التعزير

التعزير، لغة، الردُّ والمنع، والنصر والوقر، فهو من أسماء الأضداد.

واصطلاحاً: عقوبة غير مقدرة شرعاً، تجب حقاً لله تعالى أو لآدمي في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة غالباً. وقد يشرع التعزير في غير معصية، كتأديب طفل وكافر.

أما الحد فهو عقوبة مقدرة شرعاً وجبت حقاً لله تعالى كحد الزنى، أو وجبت للعبد كحد القذف.

وأما القصاص فهو أن يفعل بالجاني مثل ما فعل.

ويختلف التعزير عن الحد والقصاص من وجوه:

الأول: إذا ثبتت الجريمة الموجبة للحد أو القصاص، كان على القاضي الحكم بالحد أو القصاص، وليس له اختيار في العقوبة، بل يطبق العقوبة المبيَّنة شرعاً دون زيادة أو نقصان. أما في التعزير فإن القاضي يختار ما يناسب الحال من العقوبات الشرعية، مجتهداً في اختيار ما هو الأصلح، لاختلاف ذلك باختلاف الناس وباختلاف المعاصي.

الثاني: ليس للقاضي العفو ولا الشفاعة ولا الإسقاط في الحد الواجب لحق الله تعالى، إذا ثبتت الجريمة، وكذلك في القصاص إذا لم يعف صاحب الحق منه.

وأما التعزير إن كان من حق الله تعالى فيجب إقامته، ويجوز فيه العفو والشفاعة إن وجدت مصلحة، وانزجر الجاني بدون تعزير، وإن كان التعزير من حق العبد، جاز لولي الأمر ترك التعزير بالعفو وبغيره، وإذا طالب صاحبه لا يجوز لولي الأمر العفو ولا الشفاعة ولا الإسقاط.

الثالث: إثبات الحدود والقصاص لا يكون إلا بالبيِّنة، والاعتراف بشروط خاصة، فلا يؤخذ بأقوال المجني عليه كشاهد، ولا بالشهادة السمعية ولا باليمين، ولا بشهادة النساء. أما

إثبات التعزير فيتم بما ذكره وبغيره.

الرابع: إن دم من حده الإمام هدر، لأن الإمام مأمور بإقامة الحد، وفعل المأمور لا يتقيد بشرط السلامة، أما في التعزير فقد ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة أن الحكم كذلك بخلاف الشافعية فالتعزير موجب للضمان، لفعل عمر رضي الله عنه بعد قول علي رضي الله عنه: «أرى عليك الدية يا أمير المؤمنين» وذلك بحضور بعض المهاجرين. ويتحمل الدية بيت المال، أو عاقلة ولي الأمر.

الخامس: أن الحدود تدرأ بالشبهات، بخلاف التعزير فإنه يثبت بالشبهات.

السادس: إذا ثبتت الحدود بالإقرار جاز الرجوع فيه، ولا يؤثر الرجوع في التعزير.

السابع: لا يجوز حد الصغير ويجوز تعزيره.

الثامن: قد يسقط الحد بالتقادم عند بعض الفقهاء بخلاف التعزير.

والحكمة من تشريع التعزير: هي ردع الجاني وزجره وإصلاحه وتهذيبه. والتعزيرات هي الزواجر غير المقدرة، ومعنى الزجر: منع الجاني من معاودة الجريمة ومنع غيره من ارتكابها، ومن ترك الواجبات، والمماطلة في أداء حقوق الناس. وأما الإصلاح والتهذيب فهما من مقاصد التعزير. فالتعزير للتأديب والاستصلاح. والتعزير شرِّع للتطهير لأنه سبيل لإصلاح الجاني وليس للتعذيب أو إهدار الآدمية أو الإتلاف حين لا يكون ذلك واجباً، والفعل مقيد بشرط السلامة، فالضرب ممنوع في المواضع التي قد يؤدي فيها إلى الإتلاف، كالوجه والبطن والصدر والفرج.

والتعزير مشروع في ارتكاب المعصية، من فعل ما حرم أو ترك ما فرض، سواء كان العقاب أخروياً أو دنيوياً، فمن فعل محرماً أو ترك واجباً، إذا لم يكن في ذلك حد مقدَّر، كان فيه التعزير، كمنع الزكاة، والامتناع عن قضاء الدين رغم القدرة على ذلك، وعدم أداء الأمانة، وعدم رد المغصوب، وكتم البائع ما يجب عليه بيانه، ويعزَّر الشاهد والمفتي والحاكم على ترك الواجب، وسَرِقَةٌ ما لا قطعَ فيه لعدم توافر الشروط، وتقبيل الأجنبية والخلوة بها والغش في الأسواق، والعمل بالربا وشهادة الزور.

وأما تارك **المندوب، وفاعل المكروه**، ففي تعزيرهما خلاف. فمنعه بعضهم لأنه لا يوجد تكليف بفعل المندوب وترك المكروه، وقد أجازه بعضهم، لفعل عمر رضي الله عنه، فقد عزَّر رجلاً أضجع شاة لذبحها، وأخذ يحد شفرته أمامها، لأن فعل الرجل مكروه.

وقال القليوبي: «قد يشرع التعزير ولا معصية، كتأديب طفل، وكافر، وكمن يكسب بآلة لهو لا معصية فيها».

والتعزير قد يجتمع مع الحد، فالزاني عند الحنفية يحد مائة جلدة ويعزر بالتغريب. وقد يجتمع مع القصاص، فالجارح عمداً يقتص منه ويؤدب تعزيراً.

وقد يجتمع مع الكفارة في المعاصي الموجبة للكفارة، كالجماع في الإحرام ففيه الكفارة والتأديب. والتعزير حق لله، إذا تعلق به نفع عام أو دفع ضرر عام، وحق للعبد إذا تعلق بمصلحة خاصة للفرد، وقد يكون التعزير لحق الله وحق العبد في آن، كتقبيل زوجة رجل آخر، وكالسب والشتم. فإذا كان التعزير حقاً للفرد، لا يجوز للقاضي إسقاطه ولا العفو أو الشفاعة من ولي الأمر. أما إذا كان التعزير حقاً لله، فإن العفو فيه من ولي الأمر جائز، وكذلك الشفاعة إن وجدت مصلحة أو حصل انزجار للجاني بدون تعزير، لقول الرسول ﷺ: (اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء).

وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد بوجوب التعزير فيما شرع الله. وقال الشافعي: إن التعزير غير واجب لقوله ﷺ: (اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم).

وقال آخرون: إذا كان التعزير منصوصاً عليه، كوطء جارية مشتركة، فهو واجب، وإذا لم يكن التعزير منصوصاً عليه، فهو واجب إذا كان فيه مصلحة أو إذا كان الجاني لا ينزجر إلا به، وإلا فإنه لا يجب ويجوز للإمام فيه العفو، إن كان التعزير حقاً لله، ولا يجوز العفو فيما كان من حق العباد.

والتعزير عقوبة غير محددة، بل هي مفوضة إلى رأي الحاكم، فعليه في تقدير العقوبة مراعاة حال الجريمة والمجرم، فعلى القاضي أن ينظر إلى سبب الجريمة، فإن كان من جنس ما يجب فيه الحد ولم يجب الحد لمانع وعارض، يبلغ التعزير أقصى غاياته، وإلا لا يبلغ غاياته. وعلى القاضي أن ينظر إلى حال الجاني، فبعض الناس ينزجر باليسير وبعضهم لا يرتدع إلا بالكثير. فالتعزير يختلف باختلاف الأشخاص فيكون مفوضاً إلى رأي القاضي يقيمه بقدر ما يرى المصلحة فيه.

وقال بعض الحنفية بعدم تفويض التعزير إلى القاضي لاختلاف حال القضاة.

والعقوبة في التعزير قد تكون بدنية، أو مقيدة للحرية، أو مالية أو غير ذلك. وقد أجاز بعض الفقهاء **القتل** تعزيراً في جرائم معينة بشروط مخصوصة، كقتل الجاسوس المسلم إذا تجسس على المسلمين، وقتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة كالجهمية، وقتل من تكررت منه الجرائم التي يوجب جنسها القتل، وقتل من تكرر منه اللواط، والقتل بالمثقل. وقال ابن تيمية: وقد يستدل على أن المفسد إذا لم ينقطع شرُّه إلا بقتله فإنه يقتل لما رواه مسلم في صحيحه عن عرفجة الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم فاقتلوه).

والجلد مشروع في التعزير لقول الرسول ﷺ: (ولا يجلد أحد فوق عشرة أسواط، إلا في حد من حدود الله تعالى). **وفي الحَرِيسَةِ،** [وهي الشاة في الجبل يدركها الليل قبل رجوعها إلى مأواها فتُسرق] التي تؤخذ من مراتعها غُرْمُ ثمنها مرتين وضربُ نكال. وكذلك الحكم في سرقة التمر يؤخذ من أكمامه للحديث النبوي عن التمر المعلق قال: (من خرج بشيء منه فعليه غرامة مثليه والعقوبة)، ولجوابه ﷺ عن الحريسة قال: (فيها ثمنها مرتين وضرب نكال).

والتعزير يكون بالحبس والتغريب لقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ﴾ [النساء/١٥]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة/٣٣]، ولفعل النبي ﷺ وإجماع الصحابة. ومدة الحبس والتغريب ومكانهما يقدرهما الحاكم مراعياً ظروف الشخص والجريمة والزمان والمكان، وقد يكون التعزير بأخذ المال من الجاني، أو حبس المال عن صاحبه مدة من الزمن، أو إتلاف المال، كإتلاف آلات اللهو وأوعية الخمر، أو التوبيخ أو الهجر.

ناصر الصالح

المراجع: ١٥، ١٧، ٤٧، ٩٧، ١٥٤، ١٩٧، ٢٦٨، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٧١، ٣٧٣، ٤٢٩، ٤٤٨، ٥١٩، ٥١٠، ٥٥٩، ٥٧٢.

* * *

التعسُّف

التعسُّف هو احتماء صاحب الحق بالرعاية والمدافعة التي يؤمنها المجتمع لحقه، لإعفاء نفسه من مسؤولية ما يصدر عنه من أضرار للغير. فصاحب الحق يمارس فعلاً مشروعاً في الأصل، بمقتضى حق شرعي ثبت له، بعوض أو بغير عوض، أو بمقتضى إباحة مأذون بها وفقاً للأصول، على وجه يلحق بغيره الأضرار أو يخالف حكمة المشروعية.

لم يرد على لسان الأصوليين والفقهاء المسلمين كلمة تعسف أو إساءة في استعمال الحق، وإنما هو تعبير قانوني حديث وهو ترجمة للعبارة الفرنسية «De l'abus des droits». وقد وردت عبارة

«المضارة في الحقوق» في كتاب «الطُرُق الحكمية» لابن قيِّم الجوزيَّة، في صدد بحثه في قضية سَمُرَة ابن جَنْدب، وتعسُّفه في استعمال حق الاستطراق في بستان الأنصاري، ليصل إلى نخلته التي قضى رسول الله ﷺ بقلعها دفعاً لمضارته صاحب البستان، وهذه القضية وما ورد فيها من حكم تعتبر أصلاً من أصول التعسُّف.

ولا نجد في القانون الروماني نظرية عامة للتعسُّف كالتي عرفها الفقه الإسلامي، لأن القانون الروماني قائم في أساسه على فكرة الحق المطلق أي على السلطة المطلقة. فالفقيه «أولبيان» Ulpien يقرر أن من حفر بئراً في أرض وتعمَّق في الحفر حتى قطع العروق النابعة في عين لجاره، لا يكون مسؤولاً عن تعويض هذا الضرر، ولكنه يكون مسؤولاً إذا كان التعمُّق في الحفر يؤدي إلى سقوط حائط الجار.

فالقانون الروماني يؤكد غالباً مبدأ الحق المطلق ويدعمه، إلا أنه وردت بعض التطبيقات لمبدأ العدالة والإنصاف، أكثر من كونها تطبيقاً حقيقياً لنظرية التعسُّف، فالذي يسرِّح زوجته بغير باعث قوي يعاقب، ومن يترك عقاره المتخرِّب بحالة تهدِّد سلامة عقار الجار يعتبر ظالماً. وفي المقابل فقد ورد في مجموعة يوستنيانوس المعروفة باسم «الديجست» Digeste أنه لا جناح على من يلحق ضرراً بالغير أثناء ممارسته حقوقه في حين كانت بعض الأعراف تدين تعمُّد الإضرار بالغير والغلوَّ بالحق.

أما في إطار الفقه الإسلامي فيرى الإمام الشاطبي أن التعسف هو تعدٍّ بطريق التسبُّب، وهو معيار ذاتي قوامه عناصر نفسية من القصد إلى الإضرار أو مظنته أو الإهمال والتقصير دون نظر إلى الفعل غير المشروع أصلاً. وهذا المعيار قريب من معيار **الخطأ** القانوني الذي يرى أن التعسف هو صورة من صور الخطأ.

ويرى الدكتور فتحي الدريني أن التعسُّف هو مناقضة قصد الشارع في تصرُّف مأذون فيه شرعاً بحسب الأصل.

وقد نصت المادة ١٢٠٠ من مجلة الأحكام العدلية على أنه يمنع المرء من استعمال حقه إذا نتج عنه ضرر فاحش للغير، والضرر الفاحش يدفع بأي وجه كان، وضربت لذلك مثالاً، قيام شخص بإنشاء فرن قرب إحدى الدور وتضررت هذه الدار من الدخان المتصاعد من الفرن حتى تعذر السكن فيها، ففي هذا كله ضرر فاحش يدفع ويزال بأي وجه كان.

وهناك أدلة كثيرة في القرآن والسنَّة لنظرية التعسُّف في استعمال الحق، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ﴾ [النساء/١٢]، فإذا قصد محض الإضرار بالورثة، أو كان قصد الإضرار هو الباعث الرئيسي على الإيصاء يكون الإيصاء باطلاً، وبذلك تعتبر هذه الآية أصلاً من أصول نظرية التعسُّف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي.

ويقول الرسول محمد ﷺ: (لا ضَرَر ولا ضِرار).

وجاء في بعض روايات هذا الحديث: (من ضارَّ أضر الله به، ومن شاقَّ شاق الله عليه). فالأصل دفع الأضرار ما أمكن الدفع، لأن صيانة الإنسان غيره، والامتناع عن إنزال الضرر به وإيلامه بأي وجه من وجوه الإيلام أصل ثابت في الإسلام، فهذا الحديث يعتبر أصلاً من أصول نظرية التعسُّف، ولا عبرة بإنكار ابن حزم لصحة رواية هذا الحديث لأن مضمونه يرقى إلى مرتبة القطعيِّ باستقراء الأحكام الواردة في القرآن والسنَّة المشهورة.

وفي القانون الفرنسي القديم، يكون الشخص متعسِّفاً في استعمال حقه إذا قصد الإضرار بالغير، أو لم تكن له مصلحة في استعماله. فقد صدر حكم عن برلمان أكس بتاريخ ١/ ٢/ ١٥٧٧م ضد غازل صوف كان يتعمد الغناء لإزعاج جاره المحامي.

أما في القوانين الوضعية المعاصرة، فالمعيار في

استعمال الحقوق كما في إتيان الرخص هو عدم انحراف صاحب الحق أو الرخصة عن السلوك المألوف للشخص العادي، فإذا انحرف ولو لم يخرج عن حدود الحق أو الرخصة عُدَّ انحرافه خطأً يحقق مسؤوليته.

وقد استقر اجتهاد المحاكم في فرنسا على النظر إلى الغرض الأساسي الذي دفع المالك إلى استعمال حقّه على النحو الذي ترتب عليه الضرر، فإن كان هو قصد الإضرار، استوجب استعماله المسؤولية. كما أن انتفاء المصلحة لدى صاحب الحق يعتبر دليلاً على قصده الإضرار بالغير.

ويرى الفقيه الفرنسي «جوسران» Josserand أنه ينظر إلى مدى اتفاق الاستعمال مع الغاية الاجتماعية للحق، كما أنه لم يغفل الباعث الشخصي وأثره.

إلا أن الفقيه الفرنسي الآخر «بلانيول» Planiol يرى أن التعسُّف في استعمال الحق، إنما هو خروج عن الحق، فالحق ينتهي عندما يبدأ التعسُّف، ولا يمكن أن يكون ثمة تعسُّف في استعمال حق ما لأن العمل الواحد لا يصح أن يكون في وقت واحد متفقاً مع القانون ومخالفاً له، إلا أن هذا الرأي الأخير لم يغير من أساس نظرية التعسف كونه يعتمد على الشكلية.

فوزي أدهم

المراجع: ٥٢، ٦٠، ١٩٥، ٤٦٠، ٥٤٠، ٥٦٢، ٥٦٦، ٥٧٣، ٥٧٩.

* * *

التعميد عند الصابئة

العمادة أو التعميد من الطقوس الرئيسية عند الصابئة، وهم يحاولون ربط دعوتهم وطقوسهم بيوحنا المعمدان (النبي يحيى عليه السلام). ولاستخدام الماء في التعميد عندهم شرط أساسي هو أن يكون الماء جارياً من منبعه الأصلي وغير منقطع عنه، فإنهم لا يستخدمون ماء الخزانات مثلاً أو الماء الموضوع في أوعية أو منقول بواسطتها، لذلك نراهم يسكنون على ضفاف الأنهار، وهم اليوم في منطقة البطائح بالعراق على ضفاف دجلة.

والتعميد عندهم أنواع هي:

١ ـ مصبته: ومعناه التعميد الكامل، ويكون أيام الآحاد وفي بعض الأعياد، وفي الأيام الخمسة الكبيسة من كل سنة؛ فسنتهم ٣٦٠ يوماً وهذه الأيام تسمى البنجة. كما أنه يكون عند الولادة وعندها يضيفون إلى اسم المولود الأصلي اسماً مناسباً للبيئة التي يقيمون فيها.

٢ ـ عمادة الزواج: وتكون للعروسين عند عقد القران بينهما، ويستحب عندهم أن يكون ذلك يوم أحد، ولا يتم الكاهن هذا النوع من التعميد إلا إذا تأكد بأن العروس بعيدة عن ميعاد الحيض.

٣ ـ عماد الجماعة: وهو ما يكون أيام «البنجة» أي الأيام الخمسة الكبيسة من كل سنة، وتقع حسب تقويمهم في العشر الأوائل من نيسان (إبريل).

٤ ـ النوع الرابع من التعميد يكون أيام الأعياد وهو العيد الكبير، وهو عيد رأس سنتهم، والعيد الصغير وميقاته بعد الأول بـ ١٢٨ يوماً، وعيد البنجة، وعيد يوحنا (يحيى عليه السلام).

يبقى عندهم موضوع الوضوء وهو ضروري قبل كل صلاة، ولا يصح عندهم أن تؤدى صلاتان بوضوء واحد. ووضوؤهم يكون بغسل اليدين والوجه ومسح مقدمة الرأس والاستنشاق والمضمضة وغسل الرجلين مع الركبة والساق. ومفسدات هذا الوضوء هي: البول والغائط، والريح ولمس الحائض والنفساء، وجسد المرأة الأجنبية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٢٩، ٣٣٠، ٥٢٦.

* * *

التعميد في المسيحية = (انظر: المعمودية).

* * *

التقليد

التقليد في اللغة: جعل القلادة في العنق، ومنه التقليد في حجّ القِران، أي جعل القلادة في عنق البعير.

وقد عرف في اصطلاح الأصوليين والفقهاء بتعاريف متعددة، ربما التقت جملة منها في بعض الخطوط العامة له. ففي المستصفى أنه «قبول قول بلا حجة»، وفي الأحكام في أصول الأحكام «عبارة عن العمل بقول الغير من غير حجة ملزمة»، وفي مستمسك العروة الوثقى: «هو الالتزام بالعمل بقول مجتهد معيَّن وإن لم يعمل بعد»، وكذلك أيضاً «العمل اعتماداً على رأي الغير».

وهذه التعاريف وما يشبهها مختلفة سعةً وضيقاً، فصاحب «المستصفى» وصاحب «الأحكام في أصول الأحكام» أخذا فيه قيد عدم الحجيَّة، بينما أطلق الباقون لتعم تعاريفهم ما قامت عليه الحجة وما لم تقم، وربما استفيد من بعض التعاريف تقييدها، بقيام الحجة عليها. على أن الاختلاف في هذه التعاريف، لم يقتصر على هذه الناحية، فقد أخذ في بعضها الالتزام بقول الغير في مفهومه، بينما اعتبر البعض الآخر ـ العمل ـ فيه اعتماداً على رأي الغير. وقد حاول بعض الأعلام الجمع بينها لاعتقاده رجوع بعضها إلى الآخر، واعتبار المراد منها جميعاً هو خصوص العمل.

والسؤال: هل يجب على المتديِّن أن يقلِّد في أعماله الدينية؟ أما الجواب فهو: لكل إنسان أن يستقل بحريته وإرادته، فيقول ويفعل ما يشاء، ما لم يتعدَّ بأقواله وأفعاله حريَّة الغير. وبتعبير أهل الشريعة، ما لم يحلِّل حراماً أو يحرِّم حلالاً، وليس له أن ينسب كلمة واحدة، أو فعلاً من الأفعال إلى الدين، أو القانون، أو لأي شيء آخر، ما لم تثبت النسبة لديه بالطرق العلمية الصحيحة.

والمتديِّن عندما يؤدي عملاً إنما يؤديه بدافع ثبوته في الدين، مدعياً أن الدين نفسه أمره بذلك، ولا ريب أن يكون كاذباً مفترياً على الله ورسوله في دعواه هذه، إذا لم يتحقق من ثبوتها في الشريعة بأحد طرق الإثبات. ومصادر الشريعة أربعة: كتاب الله، وسنة نبيِّه، والإجماع، وأدلة العقل. ولمعرفة الحكم الشرعي الثابت في هذه الأصول طريقان:

الطريق الأول: أن يكون للمتدين الأهليَّة التامة لاستخراج الحكم من دليله بنفسه وبلا واسطة. ولا تتحقق هذه الأهلية إلاَّ لمن عرف اللغة العربية من معاني الكلمات، وهيئاتها وتراكيبها، واطلع على كتب الشريعة، وموارد إجماع العلماء والمشهور من أقوالهم، وأتقن أصول الفقه اللفظية والعقلية. ومتى تمت هذه المعلومات للمتدين استطاع، بعد بذل الجهد في البحث والتنقيب وإمعان النظر، أن يرد الفروع إلى أصولها، والجزئيات إلى كلياتها، ويستخرج الأحكام الشرعية من أدلتها، وبهذا يصبح عالماً مجتهداً يعمل برأيه، ولا يرجع إلى غيره. أي أنه لا يحتاج إلى التقليد.

الطريق الثاني: يختص بمن لا أهلية له لاستخراج الحكم الشرعي من دليله. وقد عبر عنه الفقهاء بالمقلِّد ـ أي يحتاج إلى التقليد ـ وهو الذي يسير على نهج التقليد، ليقلِّد أحد العلماء المجتهدين. والتقليد تارةً يراد منه التقليد بالرأي، أي الأخذ بقول القائل بصفته الشخصية، دون أن يطالب بالحجة والدليل، بل يجعل قوله «العندي» هو الدليل والحجة. كما لو حكم إنسان بصحة شيء أو فساده، لأن فلاناً حكم بذلك بحيث يكون القول هو الدليل الوحيد لا غير، وهذا هو التقليد الأعمى المحرَّم عقلاً وشرعاً وعرفاً، وهو المعنى بما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة/ ١٧٠]، و: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ

وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف/ ٢٢].

وتارةً يراد بالتقليد الأخذ بالرواية؛ أي الأخذ عما ينقله القائل عن غيره لا من عند نفسه؛ كالأخذ بقول الطبيب إن هذا الشي يحتوي على مادة كذا، وبقول المحامي إن القانون ينص على كذا، وبقول المهندس إن هذا الأساس يحمل طابقين من البناء أو أكثر، وكأخذ القاضي بشهادة من يعلم بعدالته، والأعمى بقول البصير الذي يرشده إلى الطريق، وما إلى ذلك من رجوع من لا يعلم إلى من يعلم. وهذا النوع من التقليد، وهو العمل بالرواية لا بالرأي، هو الذي أوجبه الفقهاء. فقد كانوا وما زالوا يرشدون الناس إلى ما ثبت في كتاب الله، وسنة رسوله لا إلى شيء من آرائهم وأقوالهم الخاصة. فالجاهل يسأل العالم عن الحكم الثابت في الشريعة، فيفتيه به، ويرويه له لفظاً أو معنى. لقد أوجب الفقهاء السؤال على الجاهل للآية الكريمة: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/ ٤٣]، وأوجبوا على العالم أن يجيب ويبيِّن لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران/ ١٨٧].

ويسمى التقليد أيضاً بـ «المرجعية»، وللمرجعية الدينية الفقهية أو السياسية، أو الاصطلاحية، تأثير كبير على حركة الواقع الإسلامي، الذي يتحرك فيه الناس في أوضاعهم العامة، وذلك من خلال الموقع المميَّز الذي يتميَّزون به في ثقافتهم وقداستهم ومواقفهم وعلاقاتهم التي تنفتح على أكثر من جهة وأكثر من واقع. ولعل قيمة المرجعية الشيعية الدينية الفقهية، أنها تمتد في عناصرها التاريخية، إلى عهد الإمامة في مضمونها القيادي الشامل، الذي يتسع للفتوى وللسياسة وللحرب والسلم، وللجوانب الاقتصادية في الحقوق الشرعية وغير ذلك، لتنفتح المسألة على موقع النيابة عنه في زمن الغيبة، ليكون للمجتهد العادل، موقع النائب عن الإمام الذي يقوم ببعض صلاحياته، التي ثار الخلاف الفقهي حول سعتها وطبيعتها في النزاع، بين خط الولاية الخاصة أو العامة للفقيه، بالإضافة إلى الفتوى والقضاء.

عبد المجيد الحر

المراجع: ١٦، ٥٥، ٣٢٧، ٤٤١، ٤٨٤، ٤٨٥، ٥٢٥.

* * *

التقوى

وقى: وقاه الله وقياً ووقاية، وواقية: صانه. وقيت الشيء أقيه: إذا صنته وسترته عن الأذى، وتوقى واتقى بمعنى. وفي التنزيل: ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد/ ٣٤]، أي من دافع. ووقاه الله وقاية أي حفظه. والتوقية: الكلاءة والحفظ. وقد توقيت واتقيت الشيء: حذرته.

والاسم التقوى: التاء بدل من الواو والواو بدل من الياء.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر/ ٥٦]، أي هو أهل أن يتقى عقابه وأهل أن يُعمل مما يؤدي إلى مغفرته: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم/ ١٨]، إني أعوذ بالله فإن كنت تقياً فستتعظ بتعوذي بالله منك.

ورجل تقي ويجمع أتقياء معناه: أنه وقى نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح وأصله من وقيت نفسي أقيها.

وفي بصائر ذوي التفسير: هي مشتقة من الوقاية، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، والأصل فيها وقاية النساء التي تستر المرأة بها رأسها تقيها من غبار وحر. والوقاية ما وقيت به شيئاً، والتقي المتقي، وهو من جعل بينه وبين المعاصي وقاية تحول بينه وبينها من قوة وعزم على تركها وتوطين طلبه على ذلك، فلذلك قيل له متق.

والتقوى البالغة الجامعة اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين وهو المعصية والفضول.

وقد ورد في القرآن على خمسة وجوه:

١ ـ الخوف والخشية.

٢ ـ الطاعة والعبادة.
٣ ـ ترك المعصية والزلة.
٤ ـ التوحيد والشهادة.
٥ ـ الإخلاص والمعرفة.

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ١٠١، ٤٤١.

* * *

التقية

التقية ـ لغةً ـ اسم مصدر من اتقى يتقي، بمعنى دفع وتحرَّز. أمّا في المصطلح الشرعي فهي التحفُّظ والتحرُّز عن ضرر من هو قادر على الإضرار، وذلك بإظهار موافقته في قولٍ أو فعلٍ يخالف ما يعتقده المتقي بقصد دفع ضرره عن نفسه أو ماله أو عرضه. ولا تشمل التقية ـ بمعناها هذا ـ الموافقة لغيره من أفعاله وأقواله التي لا يعتقدها، إذا كان ذلك بقصد جلب منفعة مادية أو معنوية أو غيرهما، ولم تكن بقصد دفع الضرر عنه، بل إن ذلك يدخل في باب النفاق والتزلُّف والخداع، وليس في التقية المشروعة عند الشيعة الجعفرية الإثني عشرية في شيء. وبعض فقهاء السنة يقولون بها في حالات الضرورة القصوى. ويأتي تفسيرها بمعنى المداراة للمحافظة على دينه وما ذكرنا من العرض والمال بحالة دفع الأذيّة. ويستمد المسلمون الشيعة والسنة من القرآن الكريم، حكم التقية، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران/٢٨]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل/١٠٦].

ومن أدب التقية القول: إذا حضرت البليلة فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، وإذا نزلت نازلة، فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، وهذا يجعل بذل النفيس في حفظ النفس، وبذل النفس في حفظ الدين.

والتقية ليست من قضايا العقيدة الشيعية، وإنما هي من الأساليب العملية التي تفترضها عليهم بعض الظروف الصعبة، وهو أمر طبيعي يلجأ إليه كل صاحب قضيَّة دينية أو سياسية، تتعارض مع النظام القائم، حين لا يجد وسيلة سواها لحفظ وجوده ودمه.

ومن الآيات القرآنية التي لها شأن كبير في التقية هي تلك الآية التي مرَّ ذكرها في سورة آل عمران: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾[آل عمران/٢٨]، فقد نزلت في قصة عمار بن ياسر، حين أظهر للمشركين رجوعه عن الإسلام بلسانه، وجاراهم بإظهار كلمة الكفر، ليدفع أذى قريش وتعذيبهم إياه، فأقره الرسول وقال له: (إن عادوا فعد، فقد أنزل الله فيك قرآناً، وأمرك أن تعود إن عادوا إليك).

وقد ورد أن رسول الله ﷺ لما فتح خيبر قال له حجاج بن علاط: يا رسول الله، إن لي بمكة مالاً، وإن لي أهلاً، وأنا أريد أن آتيهم، فأنا في حلٍّ إن نلت منك وقلت شيئاً؟ فأذن له رسول الله أن يقول ما شاء.

والأحاديث الواردة على لسان رسول الله ﷺ في التقية كثيرة، منها قوله: (رفع عن أمتي تسعة أشياء)، والمشهور المشتمل على قوله: (وما اضطروا إليه). وبقاعدة نفي الضرر في حديث: (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) وبقاعدة نفي العسر والحرج المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج/٧٨].

عبد المجيد الحر

المراجع: ٤٠، ٢٧٥، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٧٦، ٥٨٠.

* * *

التكوين

الكَوْن: الحدث. وكوَّن الشيء أحدثه. والله تعالى مكوِّن الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود. وفي التنزيل: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة/ ١١٧].

والتكوين إيجاد ما كان عدماً. وفي (العهد القديم) سفر التكوين يتحدث عن قصة الوجود كما يعتقد بها أهل الكتاب.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٤٤١.

* * *

التلبية = (انظر: الحج).

* * *

التمتع = (انظر: الحج).

* * *

التلمود

الكلمة معناها: التعليم، ويقال له: التلمودُ من التلمذة. والتلمود، بحسب زعم يهود، هو القانون الشفهي الذي نقله الحاخامات عن موسى جيلاً بعد جيل حتى كان تدوينه في أواخر القرن الخامس الميلادي.

والتلمود عندهم تلمودان:

١ ـ التلمود المقدسي أو الأورشليمي، وقد كتبه حاخامو بيت المقدس، وقد تمَّ تدوينه بين القرنين الثالث والخامس الميلاديين.

٢ ـ التلمود البابلي الذي كُتب في القرن الخامس الميلادي، وهذا التلمود وضعه حاخام من «سورة» قرب بغداد يدعى «رب آشي».

والتلمود من قسمين: المِشْنا أو المِشنة، والجمارا.

المِشْنا هي المتن التلمودي الأساسي الذي حمله الحاخامات ونقلوه شفوياً إلى حين تمَّ تدوينها. والأقسام الأساسية للمِشْنا ستة هي:

١ ـ زراعيم (نظام الإنتاج الزراعي).

٢ ـ مُوعِد (الأوقات) وفيه مواقيت الأعياد والاحتفالات.

٣ ـ ناشيم (النساء) وفيه أنظمة الزواج والطلاق والأسرة.

٤ ـ نِزيقين (الأضرار): قانون العقوبات.

٥ ـ قُدَاشيم (المقدسات): نظام القرابين.

٦ ـ طهاروت (الطهارات).

الجمارة هي القسم الثاني من التلمود، وليست واحدة، وهي شرح وتفسير وتفصيل مع نصوص تطبيقية حول ما جاء في المِشنا. والجمارا ليست واحدة لأن المفسرين يختلفون، كما أن البيئات تختلف مما يجعل قواعد التطبيق تختلف.

التلمود هو الذي يحوي معظم ما يعزِّز العنصرية وروح الاستعلاء عند يهود، لذلك تراهم يقدمون الثقافة التلمودية على سواها.

والتلمود الذي تمَّ تدوينه بعد المسيحية، بما يزيد عن أربعة قرون، يضم نصوصاً كثيرة تبرز فيها روح العداء ضد المسيحية والمسيحيين، لذلك سبب التلمود ليهود في أوروبا متاعب كثيرة اضطرتهم إلى حذف نصوص منه عند طباعته، خاصة بعد أن تمَّ إحراق طبعات عديدة منه.

من النصوص التي جاءت في التلمود هذا النص: «الخارج عن دين اليهود حيوان على العموم فسمِّه كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها نطفة حيوان... وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية».

إن هذا النص التلمودي يكفي للتدليل على عنصريتهم واستعلائهم على سائر الأمم والشعوب، وهذا ما ولَّد عنصريتهم السياسية، وجعل منهم

شعباً يؤمن بالقوة ويعتمدها للتسلط وقهر الآخرين، وهذه الثقافة التلمودية تشكل العائق الرئيسي أمام إمكانية اندماجهم في أي مجتمع عاشوا أو يعيشون فيه.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨٣، ٣٩٠، ٤٣٥، ٤٣٦، ٥٢٨.

* * *

التمكين

التمكين: هو القدرة على التصرف في الفعل والترك، وهو فوق الطمأنينة لأنها تكون مع المنازعة، والتمكين هو غاية الاستقرار، فكأنه قد صار مقامه مكاناً للقلب تبوأه منزلاً ومستقراً وصار معتصماً به.

والمتمكن: لا يبالي بكثرة الشواغل ولا بمخالفة أصحاب الغفلات ولا بمعاشرة أهل البطالات بل قد تمكن بصبره ويقينه عن استفزازهم إياه واستخفافهم له.

ومنه تمكن المريد: وهو أن يجتمع له صحةُ قصدٍ يُسَيِّرُه، وسعة طريق تروحه، فبصحة القصد يصح سيره، وبصحة العلم تنكشف له الطريق، وبسعة الطريق يهون عليه السير.

ومنه تمكن السالك: وهو أن يجتمع له صحة انقطاع، وبرق كشف، وضياء حال، بانقطاع قلبه عن الأغيار والشواغل الموجبة للأكدار، فحاله مع الله صافٍ من معارضات السوى، فلا يعارض همته إرادة بل متمكن في انقطاعه.

فالآيات لله، والمعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء، والمغوثات للمريدين، والتمكين لأهل الخصوص [في رأي المتصوفة].

أحمد كفتارو

المراجع: ٤٦٨.

* * *

التناسخ أو التقمص

تعريفه ودوافعه - انتشاره:

في الدوافع والتعريف:

إن تجوال الروح، أو العودة إلى التجسد، هي فلسفةٌ معرفية، شَغلت الإنسان منذ بزوغ تفكيره في الكون والكائنات، ثم زحفت إلى العقائد فدخلت كأساس لتعليل عدالة الله، إزاء متناقضات الحياة. ومع أنه لم تخل منها آبدة من الأوابد، فما زالت فقيرة إلى اليقين العلمي، وما زال العلماء يلهثون - بلا طائل - بحثاً عن منشئها الأساس الأول.

على أن كتب «التناسخيين» أوشكت أن تجمع على أن الأرواح بعد مغادرتها الأبدان تنصرف إلى أحد الوجوه الخمسة التالية: «النسخ» و «المسخ» و «الفسخ» و «الرسخ» و «الوسخ».

وأطلقوا عليها جميعاً اسم: «التقمص» لأن كلاً منها بمثابة القميص الذي تلبسه الروح في مرحلة من مراحل الزمن.

فالنسخ: من نسخ الشيء واستنسخه، أي استعاده بجميع صفاته، وقد جاء في التنزيل: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية/ ٢٩]، كما جاء في القرآن - أنها تعني أيضاً -: «إبطال الشيء وإقامة الآخر مكانه»: ﴿۞مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/ ١٠٦]، وهذه من خصائص الباري تعالى.

والمسخ: هو تحويل الصورة إلى صورة أقبح: مسخه الله قرداً، يمسخه فهو مسخٌ ومسيخ. كما يطلق على المشوَّه الخلق.

والفسخ: هو فسخ الشيء أي نقضه، وتفاسخت الأقوال أي تناقضت. وفسخ البيع وفسخ النكاح نقضهما.

والرسخ: هو الثبات، ومنه رسخ الحبر في الصحيفة، ورسخ الماء في الغدير، أي: نضب ماؤه.

والوسخ: هو ما يعلو الثوب من الدَّرن وقلة التعهد بالماء.

تلك الكلمات وجدت في اللسان العربي لتكون أوعية للمعاني المقابلة لها. أي: إنها لم توضع في الأصل للدلالات الفلسفية والعقائدية، ولكن حينما أراد الإنسان أن يعبر عن الحالات التي تصير إليها الروح بعد الموت رَمَزَ إلى كلٍّ منها بما يناسبها من لفظ:

فالتقمص: الذي ورد للتعبير عن القميص الذي يستبطن الجسد، استعير في الدلالات العقائدية ليرمز إلى الجسد الذي استبطن الروح.

والنسخ: الذي عناه، صورة كالأصل، أطلق على الروح الوافدة بجسدٍ جديد إما «صورة كالأصل» وإما «بديلاً مختلفاً».

والمسخ: الذي هو التحويل إلى الأردأ، أُطلق على الروح التي عادت ممسوخة في جسد قرد أو خنزير، أو ما شابه، بسبب ارتكاباتها السابقة.

والرسخ: الذي هو حالة الثبات والسكون والانجماد، رُمز به إلى الروح التي أسرفت في تجسداتها السابقة واستنفدت فرص الإصلاح فقُضِيَ عليها أن تبقى سجينة الجمادات من المعادن وجلاميد الصخر والحصى.

والفسخ: وقد استعير بمعناه «التفكيكي» و «التحويلي» إلى الروح التي عوقبت عن أعمالها في حيواتها السابقة بتجسيدها في نبات من شجرٍ أو زهرٍ أو كلأ.

والوسخ: الذي هو الدلالة على الدرك الأدنى الذي وصلت إليه الروح، حيث قضي عليها أن تتجسد في الهوام التي تنشأ وتستمر وتنقضي في الأقذار.

في الانتشار:

يقول «رؤوف عبيد» في ص ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٥ من «العودة إلى التجسد»، ومصطفى الكيك في «تناسخ الأرواح»:

«لقد سادت هذه العقيدة ـ ولا تزال ـ مشاعر الناس في الشرق الأقصى: الهند والصين واليابان وفي جميع البلدان التي عرفت شيئاً عن البوذية أو الهندوسية أو البرهمية أو الكونفوشيوسية أو الزرادشتية أو المانوية».

ومن الباحثين من يعود بها إلى حضارة الأتلنتس، تلك الجزيرة الممتدة تحت الماء من إيسلندة حتى القطب الجنوبي، وهي جزيرة ابتلعها الأطلسي منذ عشرة آلاف سنة، وهي الآن قابعة تحت مياه المحيط، تلالاً متصلة، يرتفع سطح الماء على أعلاها ما بين ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠م وينخفض أعلاها عن القاع ما بين ٥٠٠٠ ـ ٦٠٠٠م.

وسوف نستعرض باختصار شديد، مسيرة هذه الفلسفة في التاريخ والأمم بالآتي:

ـ نَقَل «شيودو» عن «فونتاف» نصاً يزيد عمره على ثلاثة آلاف سنة ق.م. يقول: «قبل الولادة عاش هذا الطفل، وليس الموت نهايةٌ له فالحياة تجيء وتروح كالشمس». وعلى ورقة بردي تعود إلى ١٣٢٠ سنة ق.م. وجدت العبارة التالية: «الإنسان يعود إلى الحياة عدة مرات».

ويعتقد «هيرودوت» أن المصريين كانوا يتقبلون فكرة دورة التجسدات.

ـ وفي «ألواح سومر» لمؤلفه كريمر ـ ترجمة طه باقر، القاهرة ـ: «كان الحكماء السومريون يعتقدون بعودة الروح لتتلقى نتيجة ذنوبها في حياة سابقة لأن جميع مصائب الإنسان وجميع ما يقع عليه من بلاء إنَّما هو لقاء عادل عما ارتكبه من الذنوب والمعاصي».

ـ وعند الهنود تبرز عقيدة التناسخ شامخة في تعاليم وعقائد الأديان الثلاثة الهندوسية والجينية والبوذية.

ـ وفي الصين عبر «جونج ـ رزه» عن فلسفة الكثيرين بقوله: «ليس الموت غير تغيير في الصورة. وقد يكون تغيُّراً من حال إلى حال». وحينما مرض وبدأ يلفظ أنفاسه طفق أبناؤه وزوجته يبكون عليه، فقال «لي» الذي قدم لزيارته: ابتعدوا عن طريقه، لا تقلقوا حركة تبدله».

ـ وعند الإغريق احتلت فلسفة التناسخ مكاناً بارزاً في الأدبيات اليونانية:

«**فيثاغورث**»: قال: إنّه تجسد خمس مرات كان في إحداها أحد أبطال حصار طروادة، وكان اسمه «يوفوريوس»، وقد تعرَّف على درعه في متحف الأسلحة.

و «**سقراط**»: الذي اعتبر استمرار الحياة دليلاً على استمرار التجسد.

و «**أفلاطون**»: الذي قال: إن المثل كانت تعيش في كلية المعاني قبل تجسدها وأنها حلت في الأبدان لكي تحيط بعالم المادة.

و «**أفلوطين**» المصري المولد اليوناني الفكر، الذي قال: «إن تكرار التجسُّد هو لاكتناه الحقائق والتكفير عن الذنوب السابقة».

ـ و«**هرمس**»: المثلث العظمة، الذي تجلت فلسفة التناسخ في رؤياه المشهورة.

ـ وفي إفريقيا: قبائل الكالابادي في جنوب الصحراء الكبرى.

ـ وفي «ألاسكا» و «البيرو» و «البرازيل».

ـ أما في «التوراة» وفي «أدبيات» اليهود كافة، فلن يجد الباحث فكرةً صريحةً عن الثواب والعقاب، وفيما عدا «بكاء أيوب» و «تخيلات بعض المزامير» و «صراخ أنبياء العهود المتأخرة» لن تجد غير الفكر المادي الذي خلا من أي تطلع إلى غير هذه الحياة.

ـ وفي الأناجيل «متى» و «لوقا» و «يوحنا» قرأ الناس نصوصاً فتأولوها تأويلاً تناسخياً:

(متى: ١١/ ١٥ ـ ٨ ـ ٩) ومتى (١٧/ ١٠).

(لوقا: ٧/ ٩).

(يوحنا: ٨/ ٤٩ ـ ٥٠).

ـ أما بعد عهد الأناجيل، فيمكن أن نتوقف عند «القديس كليمنت الإسكندري» وتلميذه «أوريجين» و «الفاتيكان» توقفاً عابراً لنجد الآتي:

قال «كليمنت» في كتابه «توبيخ الملحدين»: «لقد كنا موجودين قبل تأسيس هذا العالم».

وقال «أوريجين» في كتابه «المبادىء»: «كل نفس تجيء إلى هذا العالم وقد تقوت بالانتصارات التي حازتها في حياتها السابقة أو ضعفت بالهزائم، فمكانها في هذا العالم يتوقف على ما تستحقه من مجدٍ أو خزي بحسب حسناتها أو سيئاتها السابقة».

وبعد المجمع المسكوني المعقود في سنة ٤٥١م، أي بعد مئتي سنة من موت أوريجين انتشرت آراؤه حتى أعلن الأمبراطور جوستنيان منذ ثلاثينيات القرن السادس تأييده، ولكن ما لبث أن تأثر بالأمبراطورة تيودورا فدعا إلى مجمع القسطنطينية عام ٥٤٣م الذي انتهى إلى رفض التجسد وتكفير القائلين به.

وفي سبعينيات هذا القرن سئل المندوب البابوي في باريس عن صحة هذا المبدأ فأجاب بقوله: نعم. ولكن ليس من حقي أن أعلن ذلك. وحينما أصبح هو «بابا روما» باسم «يوحنا بولس السادس» صرح في كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٨٢م قائلاً: «إن العام الجديد عام ١٩٨٢م هو عام إعلان مبدأ العودة إلى التجسد».

وقد نشرت جريدة الأخبار القاهرية هذا النبأ في ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢م وعلقت عليه قائلة: «ورد في بعض الصحف أن بابا روما ـ الفاتيكان ـ الحالي يوحنا بولس السادس قرر أن يكون هذا العام الجديد هو عام إعلان الاعتقاد بتناسخ الأرواح».

بعد هذه الجولة: نقف الوقفة الأخيرة في المحطة الإسلامية. فقد قرأ «التناسخيون الإسلاميون» عدداً من آيات القرآن فتأولوها تأويلاً تناسخياً، وهذه بعضها:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت/٥٣]، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت/٢٠]، ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر/١١]، ﴿لَا

يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان/٥٦]، ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة/١٠١]، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة/٢٨]، ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم/١١].

ويخطىء خطأ تاريخياً من يظن أن التأويل ابتدعه المسلمون، لأن اليونان عرفوه أول مرة في تأويل «شعر هوميروس»، كما قام فيلون بتأويل التوراة، وكان أبرز المؤولين المسيحيين هو القديس أوريجانوس.

ومع أن هذه العجالة، لا تسمح لنا بالطواف على جهات التأويل وطرقها، فإننا نقدم إلى القارىء بعض الأسماء والطوائف التي نُسب إليها القول بهذه الفلسفة:

١ ـ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، المتوفى سنة ٢٦٥هـ، الذي أطلق عليه لقب الفيلسوف، وأول المشّائين العرب، وصاحب الذهن الكلي.

٢ ـ رابعة العدوية التي وضعت مفهوم العشق الإلَهي.

٣ ـ معروف الكرخي، الذي وضع القواعد الأولى للمعرفة اللدُنّية.

٤ ـ يحيى شهاب الدين السهروردي الذي قتل في قلعة حلب سنة ٥٨٧هـ، وعرف بشيخ الإشراق، والشيخ الشهيد.

أما الطوائف الإسلامية فهي:

١ ـ الحرنانية: وهم جماعة من الصابئة.

٢ ـ الخابطية: أصحاب أحمد بن خابط.

٣ ـ الكيسانية: أصحاب «كيسان» مولى الإمام علي، وقد تتلمذ على «محمد بن الحنفية».

٤ ـ الهاشمية: أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية.

٥ ـ الغالية: وهي فرق عديدة: تنتشر في أصفهان باسم الخِرَّمية والكوذية، وفي الري باسم: المزدكية والسنباذية، وفي أذربيجان باسم: الدقولية والمحمرة، وفيما وراء النهر باسم: المبيضة.

٦ ـ السبئية: نسبة إلى عبد الله بن سبأ الذي غالى في الإمام علي فنفاه إلى المدائن.

٧ ـ الجارودية: نسبة إلى أبي الجارود المكنى بأبي النجم، إحدى فرق الزيدية.

٨ ـ الموحدون الدروز: ولعلهم من بين الطوائف جميعها، دافعوا لصالح هذه الفلسفة، واعتبروها عقيدة وقدموا لها الكثير من الحجج، كما ألفوا فيها العديد من المؤلفات.

أسماء بعض المفكرين التناسخيين في العصور الحديثة:

ـ المفكرون العرب: جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، وعبد الرزاق نوفل، وعبد العزيز جادو، ومصطفى محمود، وعبد الله النجار، ومحمد الباشا.

ـ المفكرون الغربيون: لوتو سلاوسكي، وشودز موند، وذرهيد، والفاتيكان، وبرجسون، ونيتشه، وكولن ولسن، وأوليفرليدج، وآلان كاردك، وإيان ستيفنسون، ورونالد هايارد.

أحمد عمران الزاوي

المراجع: ١/٧٣، ١/١٨٣، ١/١٨٦، ٢٥٢، ١/٣٦٥، ١، ٤٢٦، ٤٤١، ٥٢٦، ٥٢٧.

* * *

التوراة

كلمة غير عربية الأصل معناها: الهداية والإرشاد. ويطلق عليها يهود: الناموس. وهي عندهم القسم من العهد القديم الذي أُنزل على موسى عليه السلام من ربه.

تتكون التوراة من خمسة أسفار هي:

١ ـ **سفر التكوين**: وهو من خمسين إصحاحاً ويشمل ثلاثة أقسام:

القسم الأول، وفيه تاريخ العالم وخلق الجنس

البشري ومختصر لتاريخه، وبدء تاريخ الشعب المختار (حسب زعمهم)، وتاريخ هذا الشعب حتى نزول مصر.

القسم الثاني، ويشمل مختصر تاريخ الجنس البشري والخطيئة والسلالة الشريرة والسلالة الصالحة.

القسم الثالث، وفيه تاريخ إبراهيم ودعوته ومسكنه في أرض كنعان، وبعده تاريخ إسحاق فيعقوب ويوسف حتى اجتماعه في مصر مع أهله.

٢ ـ **سفر الخروج**: وهو في أربعين إصحاحاً، ويتناول موضوعين رئيسيين هما: رحيل موسى مع قومه عن مصر، والعهد الذي أعطي لموسى في سيناء، وبينهما قصة السير في الصحراء أثناء الخروج.

٣ ـ **سفر الأحبار** أو اللاويين: ويقع في سبع وعشرين إصحاحاً، وهو سفر تشريعي يتحدث عن الذبائح وعن الطهارة وعن طقوس تنصيب الكهنة وما إلى ذلك من موضوعات مما يجعله ذا صفة تشريعية بحتة.

٤ ـ **سفر العدد**: وهو في ست وثلاثين إصحاحاً. التسمية جاءت من أن الحالة الإحصائية تكررت في السفر ليهود أو لأمور أخرى. والسفر تابع للسفر الثاني الخروج حيث يكمل الحديث عن السير في الصحراء وتيه بني إسرائيل، ولكنه يحوي أموراً أخرى مثل إعطاء التعويض عن الذنب إلى الكاهن، وإزالة النجاسة، ونصوص بشأن الفصح والاحتفالات وأخرى بشأن البركة الكهنوتية... الخ.

٥ ـ **سفر التثنية** أو سفر تثنية الاشتراع: ويقع في أربعة وثلاثين إصحاحاً. ويقصد به أنه تكرار للشريعة الموسوية ثانية. وهذا السفر يحض على البر كما أنه غني بالمادة الوعظية، وبالإجمال يعد هذا السفر تفصيلاً للوصية الواردة فيه: «تحب الرب إلٓهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك».

هذه الأسفار الخمسة يزعم يهود أنها أنزلت على موسى وهي تشكل القسم المتفق على قداسته بين كل الفرق اليهودية. أما في التداول بين أدبياتهم فهي تشكل القسم الأساسي من العهد القديم أو العتيق والذي يشكل مع العهد الجديد ما تطلق عليه تسمية: الكتاب المقدس.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨٩، ٤٠٥، ٤٢٦.

* * *

التوكل

التوكل، لغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير. واصطلاحاً: هو اعتماد القلب على الله مع عدم الاضطراب عند فقد الأسباب التي من شأن النفوس أن تركن إليها. فهو علم القلب بكفاية الرب للعبد، ومحله القلب.

والتوكل حال مركبة من مجموعة أمور:

أولها: معرفة الرب وصفاته من كفايته وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته.

وثانيها: إثبات الأسباب والمسببات. فنفاة الأسباب لا يستقيم لهم التوكل البتة لأن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل فيه، فهو كالدعاء الذي جعله الله سبباً في حصول المدعو به، فالله قضى بحصول الشبع إذا أكل المرء، فإذا لم يأكل لم يشبع، وقضى بطلوع الحبوب التي تزرع بشق الأرض، فإذا لم يزرع لم يحصد، وقضى بدخول الجنة لمن أسلم وأتى بالأعمال الصالحة، فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات لم يدخلها.

ومن تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه.

والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، والتجرد من الأسباب ممتنع عقلاً وشرعاً وحساً، وما أخلَّ رسول الله ﷺ بشيء من الأسباب، وقد ظاهر بين درعين يوم أحد، واستأجر دليلاً مشركاً على دين قومه يدله على طريق الهجرة، وكان يدَّخر لأهله قوت سنة، وكان إذا سافر في جهاد أو حج أو عمرة حمل الزاد، وجميع أصحابه كذلك رضي الله عنهم أجمعين.

وثالثها: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وإذا التفت العبد إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، ومن هنا ظن البعض أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب وهذا حق، لكن برفضها عن القلب لا عن الجوارح فيكون منقطعاً منها متصلاً بها.

ورابعها: اعتماد القلب على الله واستناده وسكونه إليه، فلا يبالي بإقبال الأسباب أو إدبارها، ولا يضطرب قلبه عند إدبار ما يجب منها أو إقبال ما يكره، كالذي يرى عدوه خارج الحصن، وقد أغلق الحصن على نفسه متمكناً، وكالطفل الذي يأوي إلى ثدي أمه.

وخامسها: حسن الظن بالله، إذ لا يتصور التوكل على من ساء الظن به، ولا التوكل على من لا يرجوه.

وسادسها: استسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه، فيستسلم لتدبير الرب له في غير باب الأمر والنهي بل فيما يفعله به لا فيما أمره بفعله.

سابعها: التفويض بإلقاء الأمور كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً، كتفويض العاجز الضعيف لمن يعلم بشفقته عليه ورحمته به وحسن تدبيره له، قال تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر/ ٤٤].

والمفوِّض يعلم أن الخير فيما قُضِي له به، ولو كان المقضي خلاف ما يظنه خيراً.

وثمرة التوكل الرضا، فمن توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله، فإذا توكل على الله قبل الفعل ورضي بالمقضي له بعد الفعل فقد قام بالعبودية.

وكثيراً ما يشتبه هذا الفعل المحمود الكامل بالمذموم الناقص، فيشتبه التفويض بالإضاعة، ويشتبه التوكل بالراحة، ويشتبه خلع الأسباب بتعطيلها، وتشتبه الثقة بالله بالغرور والعجز، ويشتبه العلم بالتوكل بحال التوكل.

وعلامة التوكل انقطاع المطامع، والانخلاع في الحول والقوة، وأن يطمئن قلبك بموعود الله، واشتغالك عما لك بما عليك، وخروجك مما عليك لمن ذلك له وإليه، وهو سر بين الله وبين العبد فلا ينبغي أن يطلع على ذلك السر أحد.

وحكم التوكل على الله فريضة، لقوله عز وجل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة/ ٢٣]، وأدناه حسن الظن بالله عزو جل، والاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه. فالمتوكل يسكن إلى مضمون الحق، ولا يعجز عن حُكم وقته.

أحمد كفتارو

المراجع: ١٧١، ٣٤٣، ٣٧٥، ٤٦٨.

* * *



الثنوية

تقال لمن اعتقدوا بأصلين للعالم هما إلّه النور وإلّه الظلمة، وهذا الاعتقاد كان للزرادشتية، وأخذته المانوية كذلك.

أسعد السحمراني

المراجع: ٥٢٦.

* * *

ثيِّب

إذا حاولنا الوقوف على كلمة «ثيِّب» لغةً، نجد أنها تأتي في قولنا: ثيَّب وتثيَّبتِ المرأة زوجها: فارقته بموتٍ أو طلاق، فهي ثيِّب. المثيِّب: المرأة التي صارت ثيِّباً. والثيِّب: نقيض البكر، المتزوِّج، المتزوِّجة، الذكر والأنثى فيه سواء. تقول: رجل ثيِّب، أي متزوِّج بامرأة، وامرأة ثيِّب أي مفارقة زوجها. وجمع الثيِّب من النساء ثيِّبات.

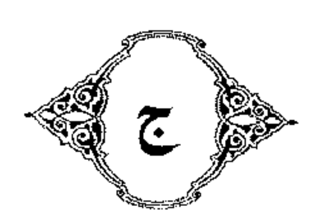
وإذا حاولنا الوقوف على كلمة «ثيِّب» بلغة الدين، نجد أن الله سبحانه وتعالى أقلَّ من ذكرها في كتابه العزيز. فهي لم تر سوى في آية واحدةٍ هي آية التحريم، الذي يقول فيها: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم/ ٥].

ونجد في كتب الأحاديث النبوية قول رسول الله ﷺ لنسائه، وكنَّ جميعهن ثيِّبات عدا عائشة: (لا تعرضن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن) لأنه خاطب بذلك نساءه فاقتضى أن لهنَّ بنات من غيره، ليستلزم أنهن ثيِّبات. أي أنه ﷺ يشجع على الزواج من الثيبات لكسب مرضاة الله، وفي رواية ابن جريج عن عطاء وغيره عن جابر: «فأردت أن أنكح امرأةً قد جربت خلافتها» وأوضح ذلك بقوله: «هلك أبي وترك سبع بنات ـ أو تسع بنات ـ فتزوجت ثيِّباً، وكرهت أن أجيئهن بمثلهن»، فقال له عمرو وهو يسمع الحديث: «بارك الله لك». وأما امرأة جابر فاسمها: سهلة بنت مسعود بن أوس بن مالك الأنصارية. وهذا كلُّه وما شابهه في حثِّ النبيِّ ﷺ على الزواج من «الثيِّبات» تجده في جميع كتب الحديث.

عبد المجيد الحر

المراجع: ٣٧٢، ٤٤١.

* * *



جامع

تجمع القوم: اجتمعوا من ههنا وههنا. والجمع: اسم لجماعة الناس. والمجمع يكون اسماً للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه. وأمر جامع: يجمع الناس. والمجمعة: مجلس الاجتماع. واجتمع الرجل: استوت لحيته وبلغ غاية شبابه. والمسجد الجامع الذي يجمع أهله، نعت له لأنه علامة للاجتماع، وقد يضاف وأنكره بعضهم. وفي بعض البلاد يطلقون على المسجد عموماً تسمية «الجامع».

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾ [الحجرات/ ١٣]، قيل الشعوب الجُماع والقبائل الأفخاذ. والجُمّاع ـ بالضم والتشديد ـ: مجتمع أهل كل شيء.

عبد الصبور مرزوق

المراجع: ٤٤١.

* * *

جامع الزيتونة

آية من آيات الفن الإسلامي، بناه عبد الله بن الحباب، عامل الدولة الأموية سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م، وكان والياً على مصر ومنها قدم إلى تونس، وأتم بناءه أبو العباس محمد بن الأغلب في عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله. وقد أُدخل على الجامع الكثير من التغييرات المعمارية حتى يكاد أن يكون متحفاً إسلامياً شاملاً لكل الأنماط المعمارية الإسلامية، تمثل فيه الفن العربي والمغربي وأيضاً الفن الفاطمي والأندلسي والتركي والبيزنطي والإيراني.

يقع الجامع وسط مدينة تونس، وهو بهذا الموقع يحاكي مواقع جوامع العواصم الإسلامية في المغرب والمشرق مثل دمشق والقاهرة وقرطبة وفاس.

الدور التربوي للجامع:

يمثل جامع الزيتونة معهد التعليم العالي بتونس، وجامعة علمية قديمة ما زالت قائمة تدرَّس فيها علوم اللغة والتاريخ الإسلامي والفقه والتفسير والحديث والعقيدة والقراءات، والعلوم العقلية كالمنطق والرياضيات والفلك والطب وبعض العلوم الطبيعية، وقد قام بالتدريس فيه مشاهير العلماء المسلمين، فكان الطلاب يتحلّقون فيه حول العالِم، وقد اشتهرت بعض أسطوانات الجامع بعلماء درَّسوا عندها مدة من الزمن وورثها عنهم طلابهم، ومن أمثلة ذلك أسطوانة الإمام ابن عرفة. وكان تعليم الطلاب بجامع الزيتونة مجانياً، ومدة بقاء الطالب في الدراسة تختلف باختلاف الأشخاص وهدفهم من التعليم، وقد توفر للطلاب سكن داخلي، وكذلك الأكل وغسل الثياب.

أما لباس الطلاب فكان جبة بسيطة وبرنس من صوف من نسج الجريد، أو جربة وشاشة تونسية فوقها عمامة بيضاء وبلغة صفراء في الرِّجل.

كان الجامع من أهم مراكز الإشعاع الثقافي في كل إفريقية، وظل ينشر الثقافة الإسلامية، ويقوم بإعداد المدرسين والأئمة والوعاظ والقضاة وكتاب الرسائل، وتمتع علماؤه بمكانة سامية في المجتمع. وقد جرت منذ العام ١٩٥٠م تنظيمات جديدة

لإصلاح الأوضاع التعليمية فيه على نظام الجامعة الأزهرية بمصر.

ومن مشاهير العلماء الذين علموا في هذا الجامع، الخطيب أبو إسحاق إبراهيم بن حسين بن علي بن عبد الرفيع الربعي، والفقيه أبو علي عمر ابن علي بن قداح الهواري، وابن جابر الواد ناشي، وابن رشيد الفهري السبتي، وأبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي وغيرهم.

وكان علماء الزيتونة موضع احترام وتقدير من طلابهم ومن رجال السلطة، والأعيان، كيف لا وهم يمثلون نخبة علماء عصرهم، ومشهود لهم بالتقوى والصلاح والورع.

مكتبة الجامع:

تعتبر المكتبة أحد الأوعية الثقافية الإسلامية، وقد اهتم بها في جامع الزيتونة الأمراء الحفصيون، وأسسها أبو زكريا الحفصي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وقد حوت ما يقارب أربعين ألف مخطوط، وقد زودها الأمراء الحفصيون بأنفس الكتب، عن طريق الهدايا، أو الشراء، أو ما يحمله إليها المهاجرون من الأندلس، وقد رتب الأمراء الحفصيون للمكتبة المشرفين والمناولين والخدم، ونظم الإعارة.

الدور الجهادي للجامع:

قامت البلاد الإفريقية في القرن السابع برد غارات الفرنج النورمانديين، وصارت تونس عاصمة البلاد، وتميز جامع الزيتونة بأن به رباطاً للدفاع وللخطط الحربية، ويتجمع فيه المجاهدون، ويرابط فيه المسلمون استعداداً للذود عن بلادهم ونصرة دينهم.

محمد منير سعد الدين

المراجع: ١٢٨، ١٢٩، ١٩٤، ١٩٨، ٢٣٤، ٢٦٧، ٤٨٢، ٤٩٣.

* * *

الجامعة الإسلامية

عرف القرن التاسع عشر حالة غزو عسكري للعالم العربي والإسلامي مع الضعف الذي دبَّ في جسد الدولة العثمانية، وكان أن كرَّت حبات السبحة مع حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م وبعدها احتلال الجزائر من قبل الفرنسيين عام ١٨٣١م.

وتواصلت بعدها حالات الاحتلال والاغتصاب، وترافق مع ذلك حالة غزو ثقافي وفكري مباشر أو غير مباشر من خلال البعثات العلمية إلى بلاد الغرب التي عاد أغلب أفرادها منبهرين بما في الغرب، فأدى ذلك إلى بروز تيار الجامعة الإسلامية كرابطة بين دول العالم الإسلامي لردِّ الغزو حيث تيقَّن أغلب أهل الرأي أن كل قطر بمفرده عاجز عن ردِّ الهجمة.

وكان أبرز دعاة الجامعة الإسلامية المصلح جمال الدين الأفغاني الذي حمل هذه الدعوة حيث كان يحلُّ، وآزره في ذلك تلميذه الإمام محمد عبده. وقد وجدا في هذه الدعوة خير سبيل لتجديد شباب العالم الإسلامي ولصناعة حالة اتحاد فيه تولد قوة تتمكن من مجابهة الغزو الغربي بكل أشكاله.

يقول جمال الدين الأفغاني: «المسلمون، بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة، مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان، وكل مأمور بذلك، لا فرق بين قريبهم وبعيدهم، ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه».

ويقول الأفغاني مبيناً أن الجامعة الإسلامية يمكنها أن تقوم مع تعدد الممالك والدول، وقد جاء عنده في هذا الصدد: «ولو اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم، فالاتفاق من أصول دينهم، هل أصاب الحذر مشاعرهم فلا يحسون بحاجات بعضهم البعض؟! أليس لكل واحد أن ينظر إلى أخيه بما حكم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[الحجرات/ ١٠]، فيقيمون بالوحدة سداً يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب؟!.

لا ألتمس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً، فإن هذا ربما كان عسيراً، ولكنني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع».

وكان عبد الرحمن الكواكبي ممن دعوا إلى هذه الفكرة حيث وضع في كتابه «أم القرى» مشروعاً مفترضاً لجمعية تضم مندوبين من دول العالم الإسلامي، وقد انعقد الاجتماع التأسيسي لهذه الجمعية المفترضة يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦هـ في مكة المكرمة، وقد ورد عنده أنه حضر هذا الاجتماع السيد الفراتي، والفاضل الشامي، البليغ القدسي، الكامل الإسكندري، العلامة المصري، المحدث اليمني، الحافظ البصري، العالم النجدي، المحقق المدني، الأستاذ المكّي، الحكيم التونسي، المرشد الفاسيُّ، السعيد الإنكليزي، المولى الرومي، الرياضي الكردي، المجتهد التبريزي، العارف التاتاري، الخطيب القازاني، المدقّق التركي، الفقيه الأفغاني، الصاحب الهندي، الشيخ السندي، الإمام الصيني.

وطالب الكواكبي هؤلاء الذين يشكلون حالة اتحاد إسلامي أن يتوافدوا على الجهاد والأمانة.

ويقول الكواكبي: «وإن شرقنا مشرف العظائم والزمان أبو العجائب، وما على الله بعزيز أن يتم لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهوري، إذا نادى مؤذنها حيَّ على الفلاح في رأس الرجاء يبلغ أقصى الصين صداه. ومن المأمول أن تكون الحكومات الإسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو بعد حين».

وتطورت الفكرة مع جمال عبد الناصر حيث عبر عنها في كتابه «فلسفة الثورة» قائلاً: «وأستعرض ظروفنا وأخرج بمجموعة من الدوائر لا مفر لنا من أن يدور عليها نشاطنا وأن نحاول الحركة فيها بكل طاقاتنا. أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها... أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالماً إسلامياً تجمعنا وإياه روابط لا تقرُّ بها العقيدة الدينية فحسب، وإنما تشدها حقائق التاريخ».

ففكرة الجامعة الإسلامية هي فكرة اتحاد أو رابطة تجمع دول العالم الإسلامي رغم تنوع القوميات وتعدد الدول والممالك في إطار وحدة العقيدة، ووحدة التاريخ والمصالح.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٠، ٦٥، ٦٦، ٢٨٣.

* * *

الجَبْرِيَّةُ

تنسب هذه الفرقة إلى رجل يدعى «الجعد بن درهم»، وكان قد أخذ أفكاره عن يهودي بالشام يدعى أبان بن سمعان، وكان قد أظهر الإسلام وجعل يدسُّ في المسلمين أفكاراً غريبة بهدف التشكيك والبلبلة وتعكير الفكر الإسلامي، ثم تولى نشر مقالاته، في الصفات الإلَهية وإرادة الإنسان وخلق القرآن ونحو ذلك، رجل يدعى الجهم بن صفوان مستغلاً في ذلك قدرته الكلامية والخطابية، فنشر تلك الآراء بين الناس حتى أحدث قلقاً وحيرة فيهم، فأحسَّ به والي خراسان فطلبه حتى ظفر به وقتله، لكن تلاميذه نقلوا مذهبه ونشروا آراءه في نهاوند، ومنها إلى مناطق أخرى، وإن بنوع من التخفي، حتى كان العهد العباسي الذي انفتح فيه المجال لأصحاب الآراء الشاذة والملوثة فأعلنوا عن آرائهم ودافعوا عنها وجادلوا فيها فزاد خطرهم وعظم على الأمة ضررهم.

ومجمل رأيهم: أن الله تعالى خالق كل شيء، فلا خالق غير الله تعالى، ومن جملة ما يدخل في هذا العموم فعل الإنسان، فإنه من جملة ما خلق الله تعالى ولا سبيل إلى مخالفته، كما لا سبيل

إلى مخالفة خلق ذات الإنسان حيث قد خلقه الله تعالى بجذع ورأس وأطراف، فلا يقدر على أن يكون بخلاف ذلك، كما أن من خلقه الله تعالى أبيض اللون لا يقدر على أن يتحول إلى أسود أو العكس، لأن ذلك إنما تم بقدرة الله تعالى، ومثله يقال في فعل العبد من حيث الفعل والتصور والسلوك، فلا يقدر الكافر على أن يصير مؤمناً ولا المؤمن على أن يصير كافراً، لأن ذلك إنما تمَّ بقدرة الله تعالى ولا سبيل إلى معاكسة القدرة الإلٓهية، فأصبح العبد كالريشة في مهب الريح.

واستدلوا على ذلك بأدلة نقلية وأخرى عقلية نذكر أهمها فيما يلي:

أولاً ـ الأدلة النقلية: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر/ ١٩]، ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود/ ٣٤]، ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة/ ٧]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾ [النحل/ ٣٦]، ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان/ ٣].

وقد نفى ﷺ الإيمان عن العبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشرّه (حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه)، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة ببقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله وبيده مخفرة فجعل ينكت بها الأرض، ثم قال: (ما منكم من أحد إلاَّ وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة)، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، فقال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير إلى عمل الشقاء)، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل ٥ ـ ١٠].

قالوا: فقد جرى إسناد الفعل إلى الله تعالى في هذه الأدلة كلها إسناداً حقيقياً فدل على الجبر.

ثانياً ـ الأدلة العقلية: أنهم قالوا: إن القول بالجبر من لوازم التوحيد لله تعالى، لأن فعل العبد لا يخلو من أحد وجوه أربعة:

الوجه الأول: أن يكون غير صادر لا عن الله تعالى ولا عن العبد، وهذا لا يصح لأن الفعل لا بدَّ له من فاعل كما هو مقتضى الحسِّ والمشاهدة.

الوجه الثاني: أن يكون صادراً عن الله تعالى وعن العبد أيضاً، وهذا لا يصح لأنه يؤدي إلى الشرك بالله تعالى حيث يشاركه غيره في الخلق والإيجاد، ولا خالق إلاّ الله.

الوجه الثالث: أن يكون صادراً عن العبد وحده، وهذا لا يصح أيضاً لأنه يؤدي إلى أن يكون في الكون خالق غير الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر/ ٣]، وهذا استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا خالق غير الله تعالى.

الوجه الرابع: أن يكون صادراً عن الله تعالى وحده، وهذا هو الحق لأن فعل العبد داخل في عموم قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر/ ٦٢]، ويتفق مع مضمون الآية في الوجه الذي قبله والمقتضي نفي أن يكون غير الله تعالى قادراً على خلق شيء في هذا الوجود.

وقالوا أيضاً: إن من أفعال العبد ما هو ضرر وفساد وجهل، ولا يمكن للعاقل أن يختار مثل تلك الأفعال، كالكذب والزنى والسرقة والغش ونحو ذلك من الشرك والكفر، فصح أنها إنما تقع عليه لا باختياره كالصحة والمرض في بدنه.

وبالجملة فقد رأوا أن الإرادة الإلٓهية هي المهيمنة على الوجود فلا يبقى معها لإرادة غير الله تعالى وجود ولا اعتبار كما قال تعالى: ﴿وَمَا

تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان/ ٣٠]، فدل ذلك على أن الإنسان مجبر غير مختار وما ينسب إليه من فعل فإنما هو على جهة المجاز كما يقال أمطرت السماء، وأنبتت الأرض، وتحرك الهواء، وجرى الماء.

زكريا المصري

المراجع: ٦٣، ٩٨، ١٥١، ٤٣٠/١، ٤٥٤.

* * *

الجبرية والقدرية

الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية تنفي الحرية الإنسانية، وتقول: بأن الإنسان مسيَّر في كل شؤونه وهي مقدورة عليه من الله تعالى. والعبد لا تنسب له الاستطاعة، ولا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى فيه الأفعال على حسب ما يكون في المخلوقات الآدمية كالكواكب والنباتات والحيوانات والمياه... الخ.

وقد حشد الجبريون لتبرير موقفهم آيات قرآنية يفيد ظاهرها الجبرية منها قول الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة/ ٥١].

وكان جهم بن صفوان أبرز المجبرة وقد قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها.

ومن المجبرة الحسين بن محمد النجار وسُمّي أتباعه: النجارية. وضرار بن عمر وأتباعه الضرارية ولكن الأخيرين يقولان بالتسيير وأن الله تعالى خالق أعمال العباد خيرها وشرها، والإنسان له تدخل في الكسب الذي يكون من خلال القدرة والإرادة الحادثة عند العبد، وفي هذه النقطة يلتقيان مع الأشعرية. فالجبرية، إذن جهمية ونجارية وضرارية.

القدرية: يقف على الطرف الآخر القدريون وهؤلاء لم يقرّوا بالتسيير وإنما قالوا بأن الله تعالى خلق الإنسان ومعه قدراته، وأنزل له الشريعة وترك له أمر اختيار الفعل الذي يشاء لأن الجزاء الأخروي، ثواباً وعقاباً، يقتضي ذلك إذ كيف يصح أن يحاسب من أجبر على فعلٍ ما؟.

وقد حشدوا لتبرير موقفهم عدداً من الآيات القرآنية منها: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف/ ٢٩]. وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان/ ٣].

أول من تكلم بالقدر معبد بن خالد الجهني البصري، وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم، وجاءت بعدهم المعتزلة فأخذت بموقفهم في هذا الموضوع.

إن موضوع الجبر والقدر، أو التخيير والتسيير، أو الحرية الإنسانية من الموضوعات التي أثارت ولا تزال الحوارات بين الناس، ويمكن تبسيط المسألة بحيث نصنف الأفعال كلها في خانتين: تكوين وتكليف، وبعدها نقول: إن ما تمَّ تصنيفه تحت باب التكوين شأن إلٰهي ولا خيار لعبد أو لمخلوق فيه، أما ما كان من الأفعال في باب التكليف فالإنسان مخيَّر فيه وعلى اختياره وفعله يحاسب.

بقي أن نقول بأن هذه الفرق التي انتشرت في العصر الأموي والعباسي كانت لها مساهماتها السياسية، فمن كان مع التسلط في الحكم وجد في الجبرية ضالّته، ومن كان مع الشورى واشتراك الكل في الشأن العام مال إلى القدرية.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٥١، ٣٧٧، ٥٢٤.

* * *

الجدل

هو اللَّدد في الخصومة والقدرة عليها، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً أي غلبته، والاسم

الجَدَل وهو شدة الخصومة. وفي الحديث النبوي الشريف: (ما أُوتي الجدل قوم إلا ضلّوا)، والمراد به في الحديث: الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار الحق، فإن ذلك محمود لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل/١٢٥].

وعند الراغب الأصفهاني: الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ومنه الجديل، وجدلت البناء أحكمته، ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة.

وعند الجرجاني في التعريفات: الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات. والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة.

وقد ورد لفظ الجدل والمجادلة في النص القرآني أكثر من مرة وكان يحمل المعنى السلبي وهذا واجب تركه كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج/٣]، وكان أحياناً يحمل المعنى الإيجابي ألا وهو الجدل من أجل نشر الدعوة والعقيدة السليمة وبذلك كان الأمر به واعتماده واجب، وقد ورد ذلك في قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل/١٢٥].

وهذه الآية ترشد إلى أن الدعوة تكون بطريقة الجدل، أي تمسك الداعية بما هو عليه من عقيدة وشريعة، وعدم التنازل عن أساس في العقيدة أو قاعدة أو حكم في الشريعة، هذا مع اعتماد الحكمة والموعظة الحسنة فلا غلظة في الكلام ولا تعنيف أو اتهام، وذلك يحتاج للحكمة والحجة والمعرفة من أجل الإقناع وبعد ذلك يترك الأمر لله تعالى لقوله تعالى في الآية نفسها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل/١٢٥].

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧٢، ٤٤١، ٥١٤.

* * *

الجرح والتعديل أو التزكية

الجرحُ، لغة، القطع في الجسم. وجرحه بلسانه جَرحاً إذا عابه وتنقصه. وجَرَّحَ الشاهدَ أو الراوي إذا أظهر فيه ما ترد به شهادته أو روايته.

والتعديل، أو التزكية، لغة، مصدر من عدَّل وزكى، إذا نسبه إلى العدالة والزكاء والصلاح ورجل عدل وزكي إذا صلح والجمع عدول وأزكياء.

والفقهاء يعبرون عن النسبة إلى الصلاح بالتعديل والتزكية فهما مترادفان. والتعديل في باب القضاء والتزكية فيه، هما تعديل وتزكية الشهود، وفي باب رواية الحديث هما تعديل وتزكية الراوي، وقد أطلق الفقهاء على من يبعث للتحري عن الشهود بالمزكي والمعدل على من يبعث للتحري عن الشهود بالمزكي والمعدل، مع أنه في الحقيقة يزكي ويعدل ويجرح، ولكنهم وصفوه بأحسن الوصفين.

والتعديل، والتزكية واجبان في كل الأمور المالية والحدود والقصاص، إذا لم يعرف القاضي عدالتهم، فإذا عرف عدالتهم فلا حاجة إليها، فإذا عرف القاضي أنهم مجروحون في عدالتهم رد شهادتهم عند جميع الفقهاء. وذهب أبو حنيفة أنه يقضي بظاهر العدالة إلا إذا طعن الخصم في عدالة الشاهد، واستثنى الحدود والقصاص فأوجب فيهما التزكية وإن لم يطعن الخصم واستدل بقول عمر: «المسلمون عدول بعضهم على بعض»، وبأن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فشهد برؤية الهلال، فسأله الرسول ﷺ: (أتشهد ألا إلّه إلا الله وأني

رسول الله)؟ فقال: نعم. فصام وأمر الناس بالصيام. أما الحدود والقصاص فمما يحتاط فيهما ويندرئان بالشبهات بخلاف غيرهما. واستدل القائلون بوجوب التزكية في كل الأمور بقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة/ ٢٨٢] ولا يعلم أن الشاهد مرضي حتى نعرفه بالتعديل والتزكية، أما عدالة الأعرابي وهو صحابي فعدالته ثابتة بثناء الله على الصحابة. أما قول عمر فقد أثر عنه أتي بشاهدين فقال لهما: لست أعرفكما فجيئا بمن يعرِّفكما ففعلا... الخ الأثر.

والتعديل أو التزكية نوعان: تزكية السر، وتزكية العلانية.

والأولى: يختار القاضي لها من هو أوثق الناس وأورعهم وأدراهم وأخبرهم وأفطنهم فيوليه البحث عن أحوال الشهود، وعلى هذا أن يتعرف أحوال الشهود ممن يعرفهم ويعرف حالهم من جيرانهم وأهل محلاتهم وأسواقهم الموثوقين.

وتزكية العلانية تكون بعد تزكية السر، فيحضر القاضي المزكي بعدما زكى ليزكي الشهود أمامه. وقيل: يكتفي بتزكية السر لما في تزكية العلانية من فتنة وبلاء. وقيل: تزكية العلانية بعد التزكية السرية مندوبة فإن اكتفى بتزكية السر أجزأته. والمعول عليه قول المزكي، وليس قول المرسل من القاضي إلى المزكي، لأن قول الأول شهادة، وقول المرسل شهادة على الشهادة، والأصل وهو المزكي حاضر.

وعند تعارض التعديل والتزكية مع الجرح:

قال أبو حنيفة وأبو يوسف: الجرح أولى لأن كلاً منهما يثبت بقول الواحد عندهما، وترجح الجرح على التعديل والتزكية، لأن الجارح اعتمد على الدليل وهو المعاينة والمشاهدة فإن سبب الجرح ارتكاب الكبيرة. هذا إذا جرحه واحد وعدله واحد، أما إذا جرحه واحد وعدله اثنان فالتعديل أولى عندهما. وإذا جرحه اثنان وعدله جماعة، فالجرح أولى، لأنه لا يُثبت ترجيح التعديل بزيادة عدد المعدلين عن اثنين.

وقال الشافعية: «يقدم الجرح لما فيه من زيادة علم».

وعند المالكية: لو عَدَّلَ الرجلَ شاهدان وجرحه شاهدان يقضي بشهادة أعدلهما لاستحالة الجمع بينهما. وقيل: يقضي بشهادة الجرح لأن شهود الجرح زادوا على شهود التعديل لأن الجرح مما يبطن فلا يطلع عليه كل الناس.

ووقت التزكية بالتعديل أو الجرح تكون بعد أداء الشهادة لا قبلها باتفاق الفقهاء.

وفي تزكية السر، قيل: يكتفى بواحد لأنها إخبار وليست شهادة، وقيل: إنه لا بد من اثنين.

وفي تزكية العلانية لا بد من شاهدين لأنها شهادة. وقيل: ثلاثة وأربعة. ويشترط الأربعة في شاهد بزنا.

ويشترط في شاهد التزكية ـ تعديلاً أو تجريحاً ـ أن يكون مبرزاً ناقداً فطناً، لا يخدع في عقله ولا تخفى عليه شروط التعديل. ولا تقبل من الأبله والجاهل بشروط العدالة، وإن كان في نفسه عدلاً مقبولاً في غير ذلك ولا يقبل تعديل من يرى تعديل كل مسلم. وقال أبو حنيفة وأبو يوسف: يقبل في تعديل السر، تعديل الوالد لولده وكل ذي رحم محرم لرحمه لأنه ليس بشهادة، خلافاً لمحمد لأنه شهادة. وقال الشيخان ـ خلافاً لمحمد ـ بقبول تعديل المرأة لزوجها وغيره، إذا كانت برزة تخالط الناس وتعاملهم لخبرتها، كما تجوز تزكية السر من الأعمى والصبي، وقال المالكية: لا تقبل شهادة النساء، لا في حق الرجال ولا في حق النساء، لأن التزكية يشترط فيها التبريز في العدالة وهي صفة تختص بالرجال. وقيل: إن النساء يزكين الرجال إذا شهدوا فيما تجوز فيه شهادة النساء. والقياس جواز تزكية النساء للنساء.

والفقهاء على رأيين في وجوب بيان سبب الجرح والتعديل فقال أبو حنيفة والمالكية: «يقبل الجرح المطلق وهو أن يشهد أن الرجل فاسق أو ليس بعدل، دون التصريح بسبب الجرح، مثله مثل

التعديل الذي يُقبل مطلقاً، ولأن التصريح بسبب الجرح يجعل الشاهدَ المجرِّح **فاسقاً**، ويوجب عليه الحد في بعض الحالات، كما لو شهد عليه بالزنى فيقضي الجرح إلى جرح الجارح وتبطل شهادته، ولا يتجرح بها المجروح.

وقال الشافعية: يجب ذكر سبب الجرح للاختلاف فيه بخلاف سبب التعديل، وذلك لأن الناس يختلفون في أسباب الجرح، كاختلافهم في شارب النبيذ، فوجب ألا يقبل مجرد الجرح، لئلا يجرحه بما لا يراه القاضي جرحاً، ولأن الجرح ينقل عن الأصل، فإن الأصل في المسلمين العدالة، والجرح ينقل عنها.

وتزكية رواة الأحاديث وتعديلهم وجرحهم: فقد أجمع جماهير أئمة الفقه والحديث على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يرويه، مسلماً بالغاً عاقلاً، سالماً من أسباب الفسق وما يخل بالمروءة متيقظاً غير مغفل حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدث من كتابه، عالماً بما يحيل المعاني إن كان يحدث بالمعنى.

وتثبت عدالة الراوي بتنصيص معدلين على عدالته وبالاستفاضة فيمن اشتهرت عدالته من أهل النقل والعلم. ومن شاع الثناء عليه بالثقة والأمانة استفتي فيه بذلك عن بينة شاهدة بعدالته تنصيصاً. ولا يشترط ذكر أسباب التعديل ويشترط ذكرها في التجريح لاختلاف الناس في ذلك.

ناصر الصالح

المراجع: ٩٦، ١٥٤، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٧٩، ٢٩٥، ٣١١، ٣٣٢، ٤٨٩، ٥٠٩، ٥١٠.

* * *

الجعفرية

لقب اشتهر به في هذا العصر، الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، باعتبار أن مذهبهم في الفروع هو مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق، ونسب مذهبهم في الفروع إليه، باعتبار أن أكثره مأخوذ عنه، وإن كان أخذهم عن أئمة البيت الإثني عشر بالسواء. لكن لما كانت الروايات عنه في فروع الفقه أكثر منها عن غيره بكثير، لكون عصره في آخر عصر الدولة الأموية، عندما بدأت بالضعف، وأول عصر الدولة العباسية التي لم يكن قد بدأ فيها التعصب الشديد، لكونها دولة هاشمية في أول نشأتها، فكان للأئمة من أهل البيت، يومئذٍ شيءٌ من الحريَّة، وعدم الخوف، فأخذوا في نشر مذهبهم وكثر الرواة عنهم فيه.

بيد أن هناك فرقاً أخرى - غير الأئمة الإثني عشرية - تسمى بالجعفرية وهي:

١ - فرقة المعتزلة: اتباع جعفر بن بشر الهمداني، المتوفى سنة ٢٣٦هـ، قالوا: إن في فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة. وكان جعفر هذا يقول بأن الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر، ثم جعل هذا الموحد الذي ليس بكافر شراً من الثنوي الزنديق الكافر. وقال: إن الإجماع من الأمة على ضرب شارب الخمر الحدَّ، وقع خطأ، لأنهم أجمعوا عليه برأيهم، مع أن المعتبر في الحد هو النص. وعن السرقة قال: إن من سرق حبَّة أو ما دونها فهو فاسق مخلَّد في النار، وخالف بذلك أسلافه الذين قالوا بغفران الصغائر عند اجتناب الكبائر. كما قال: إن تأبيد المذنبين في النار من موجبات العقول، وخالف بذلك أسلافه الذين قالوا إن ذلك معلوم بالشرع دون العقل. وادَّعى أيضاً لو أن رجلاً بعث إلى امرأة يخطبها ليتزوجها، وجاءته المرأة فوثب عليها فوطئها من غير عقد، أنه لا حدَّ عليها، لأنها جاءته على سبيل النكاح، وأوجب الحد على الرجل لأنه قصد الزنى.

٢ - أصحاب جعفر بن حرب الثقفي، المتوفى سنة ٢٣٤هـ، وهم فرقة من المعتزلة. ونسب هؤلاء إلى جعفر قوله: إن الله تعالى خلق القرآن في اللوح

المحفوظ، ولا يجوز أن يُنقل، إذ يستحيل أن يكون الشيء الواحد في مكانين في حالة واحدة، وما نتلوه فهو حكاية عن المكتوب الأول في اللوح المحفوظ، وذلك فعلنا وخلقنا. وكان يقول بأن بعض الجملة غير الجملة، وأوجبوا عليه في هذا القول أن تكون الجملة غير نفسها، إذا كان كل بعض منها غيرها. وقد نسب أيضاً إلى جعفر هذا، بأن الممنوع من الفعل قادر على الفعل، وليس يقدر على شيء.

٣ ـ فرقة جعفرية بائدة من غلاة الشيعة، أجهروا القول بأن جعفراً، أي جعفر الصادق، هو الله، وأنه ليس بالذي يُرى، ولكنه يشبه الناس بهذه الصورة الذميمة القبيحة للاستئناس.

بيد أن «الجعفرية» وهي الفرقة الإسلامية المعترف بها لدى الأزهر الشريف في مصر، ولدى سائر المسلمين في أقطار الدنيا هي الجعفرية الإثني عشرية التي يطلق عليها اسم الشيعة الإمامية، المنتسبة للإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر.

عبد المجيد الحر

المراجع: ٤٩، ٢٢٠، ٣٢٥، ٣٢٨، ٣٦٢، ٥٠٢.

* * *

الجلوة (كتاب) ومصحف رش

رسالة بحجم ثلاث صفحات تقريباً، وهو أحد كتابين يقدسهما اليزيدية، ويعتقد اليزيديون أن الله تعالى قد خاطبهم فيه، وفي هذا الكتاب كلام حول أزلية الخالق، وفيه وعد ووعيد مع وصايا خاصة بالطائفة اليزيدية. ومما ورد فيه:

«الموجود قبل كل الخلائق هو الملك طاووس (الشيطان)، وهو الذي أرسل عبطادوس إلى هذا العالم لكي يُفهم لشعبه ويميّز الناس من الضلال والوهم، وأول ذلك كان تسليم الكلام شفاهياً بواسطة هذا الكتاب المسمى: جلوة، وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون عن الملّة».

ومما جاء في كتاب الجلوة حول خصوصية الخطاب لليزيديين: «يا أيها الذين تبعتم وصاياي، أنكروا أقوال وكل التعاليم التي ليست من عندي ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا تذنبوا لأنكم لستم تدرون ما يفعل الأجانب».

و «مصحف رش» وهو الكتاب الثاني المقدس عند اليزيدية، ويقع في حدود سبع صفحات، و «رش» كلمة كردية معناها الأسود. واليزيديون يظنون أن هذين الكتابين وضعهما مؤسس فرقتهم عدي بن مسافر، وبعضهم يعتقد أن مصحف رش وضعه عدي بن مسافر أما كتاب الجلوة فقد وضعه الشيخ حسن وهو من مؤسسي اليزيدية.

ومصحف «رش» يتحدث عن خلق الكون ومراحل التكوين، وقصة خلق آدم عليه السلام، ومسألة امتناع الشيطان (طاووس ملك) عن السجود لآدم، ويحوي كذلك بعض الأوامر والنواهي الخاصة باليزيديين.

ومصحف «رش» كما كتاب «الجلوة» ركيك الصياغة، ومما جاء فيه: «الرب العظيم قال: يا ملائكة أنا أخلق آدم وحواء وأجعلهم بشراً. ومنهم يكون من سر آدم شهر بن سفر ومنه يكون ملة على الأرض ثم ملة عزازيل أعني طاووس ملك وهي الملة اليزيدية».

ومما جاء في النص: «ثم أرسل الشيخ عادي بن مسافر من أرض الشام وأتى إلى لالش»، ولالش هي مدينتهم المقدسة، وهي مركز قضاء شيخان في الموصل بالعراق ولالش فيها قبر عدي بن مسافر، ويعتقد اليزيديون أن مكانتها كمكة عند المسلمين وإليها يحجون.

أسعد السحمراني

المراجع: ٥٢٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩.

* * *

جمارا

أو الجمارة، وهي القسم الثاني من التلمود، وهي شرح المِشنا والمسائل التطبيقية في نظام المعاملات وفي الطقوس، وكل ما في الجمارا مؤسَّس على نصوص المِشنا. وإذا كانت نصوص المِشنا واحدة بين التلمودين البابلي والمقدسي، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للجمارا.

فالجمارا تطبيقات، والبيئات تختلف لذلك فهي ليست واحدة. وقد كانت الجمارا باباً للتلاعب على أوسع مدى من قبل حاخامات يهود حيث صبوا فيها عصارة عنصريتهم واستعلائهم على غير يهود من الأمم، كما أودعوا كذلك في الجمارا كل ما في نفوسهم من أحقاد وأساطير.

والعداء التلمودي في الجمارا كان ضد كل الأمم وخاصة ضد المسيحية والمسيحيين، والتلمود تمت كتابته في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، لذلك حملوا شرح المِشنا أو الجمارا هذه المقولات العنصرية. وهذه الأباطيل والنصوص العنصرية جلبت لهم متاعب كثيرة في أوروبا طوال القرون الوسطى مما اضطرهم لمراعاة ذلك في مراحل لاحقة حيث حذفوا النصوص التي تسيء للمسيحية وتركوا مكانها فارغاً.

وفي متابعة موضوع الجمارا البابلية والمقدسية نلاحظ أن الجمارا البابلية حظيت باهتمام أكبر وبعناية أكثر وبموقع أهم عند يهود.

يقول د. حسن ظاظا: «وإذا كان التلمود البابلي يغطي بشرحه كل نص المِشنا، فإن التلمود الأورشليمي ظل ناقصاً لا يشرح إلا بعض المشنا فقط. ثم إن أحبار اليهود في بابل كانوا أيضاً يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر في الفكر اليهودي مما كان يحظى به شراح فلسطين، بحيث بقي التلمود البابلي بعد ذلك يتمتع بتقدير عظيم في أعين اليهود من التلمود الغربي الأورشليمي».

الجمارا، وهي شرح المشنا، تشكل معه اليوم الأساس للثقافة اليهودية، والتلمود هو المصدر لهذه الروح العنصرية عندهم حيث يصفون فيه غيرهم من الأمم والشعوب وأتباع الديانات بأبشع الأوصاف.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨٣، ٣٨٣، ٣٩٠، ٤٣٦.

* * *

الجمرة = (انظر: الحج).

* * *

الجمعة العظيمة

هي يوم الجمعة التي تم فيها صلب يسوع المسيح بحسب الأناجيل. لهذا اليوم مكانة عظيمة عند المسيحيين لأن المسيح قد مات فيها معلّقاً على الصليب، بعد أن ذاق عذابات مرّة، وحكم عليه من قِبل أمة اليهود وأحبارهم، بعد أن فعل لهم الكثير من العجائب وشفاء المرضى، وإقامة الموتى والوعظ، وتقويم اعوجاج ممارسات اليهود المعوجّة.

بولس وهبة

المراجع: ٦١٥، ٦٢٢، ٦٣١، ٦٣٨، ٦٣٩.

* * *

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

استعمر الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣١م. وفي الذكرى المئوية لهذا الاغتصاب، والفرنسيون يحتفلون بالذكرى بكل استعلاء وعنصرية، استفزّ المظهر، مع الآلام والمعاناة تحت الاحتلال، نفراً من علماء الجزائر، فعزموا على إطلاق حركتهم التي اختاروا لها اسم «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين».

وقد تم توجيه الدعوة لتأسيس الجمعية إلى

١٢٠ عالماً لبّى الدعوة منهم ١٠٩، وكان مكان الاجتماع التأسيسي في «نادي الترقي»، وقد كان من أبرز الحاضرين العلماء التالية أسماؤهم: عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، مبارك الميلي، عبد القادر بن زيّان، العربي التبسي، الأمين العمودي، الطيب العقبي، محمد سعيد ايت جر، السعيد الزاهري، يحيى حمودي، عبد اللطيف سلطاني، الجيلالي الفارسي، الفضيل الورتلاني، أحمد توفيق المدني.

وقد كان تأسيس الجمعية في ٥ أيار (مايو) ١٩٣١م برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس.

اعتمدت الجمعية التربية والإعلام سبيلاً لاستنهاض الشعب الجزائري، فأسست المدارس والمعاهد وعززت نشاطها في المساجد والأندية، كما أنها أصدرت الصحف، فقد أصدرت صحيفة «السنة» عام ١٩٣٣م؛ وفي أقل من سنة منعها الفرنسيون المستعمرون من الصدور، فأصدرت «جمعية العلماء» بعدها صحيفة «الشريعة» وقد أوقفها الفرنسيون بعد أشهر، ثم أصدروا صحيفة «الصراط» فكان مصيرها كسابقاتها، فما كان من الجمعية إلا أن أصدرت صحيفة «البصائر»، وكان أول عدد منها في ١ شوال ١٣٥٤هـ/ ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٥م وتوقفت إبان الحرب العالمية الثانية، ثم استأنفت صدورها حتى أواسط الخمسينات مع بدايات الثورة الجزائرية ضد الفرنسيين. كانت وفاة الرئيس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس عام ١٩٤٠م، بعدها تولى رئاستها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى أن تمّ حلُّها بعد الاستقلال بثلاث سنوات عام ١٩٦٥م مع وفاة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

أما عن هوية الجمعية ومسارها الفكري فيلخصه شعر للشيخ ابن باديس يقول فيه:

شعب الجزائر مسلم
وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أو قال مات لقد كذب
أو رام إدماجاً له
رام المحال من الطلب

وكان هذا الشعر بعد ذلك نشيداً لكشافة الجمعية، أما رفض الإدماج فيقصد به الفرنسة التي كانت تعمل لها فرنسا. وكان من شعارات الجمعية الأساسية: **الجزائر وطننا، والعربية لغتنا، والإسلام ديننا**، وبذلك تكون الجمعية قد حددت هويتها الوطنية والقومية والدينية.

ومما قاله ابن باديس: «إن عناية القرآن بإحياء الشرف في نفوس العرب ضرورية لإعدادهم لما هيئوا له من سياسة البشر. وبهذا نستعين على فهم السر والحكمة في اختيار الله للعرب للنهوض بهذه الرسالة الإسلامية العالمية واصطفائه إياهم لإنقاذ العالم مما كان فيه من شر وباطل».

وفي إطار تحديد ميادين الإصلاح التي تولتها الجمعية يقول ابن باديس: «القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والفجور، وكل أنواع الأباطيل، وحاربت كل واقف في طريق التعلم والتعليم أي نوع من أنواع التعلُّم والتعليم... وحاربت أثرة ذوي المال بما جعلهم الله مستخلفين فيه، وقعودهم عن تأسيس المشاريع الاقتصادية وقبض أيديهم عن المشاريع العلمية والخيرية لأن ذلك من أسباب البطالة والفجور».

لقد ورد نظام الجمعية مفصلاً ضمن آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وفي المادة (٦٥) جاء ما يلي: «أول مقاصد الجمعية طائفة العلماء والطلبة باستعمال كل الوسائل لحملهم على التخلق بالأخلاق الإسلامية، وتذكيرهم بما غفلوا عنه وأهملوه من الأخوة الدينية والأخوة العلمية وما تقتضيانه من واجبات وحقوق وحملهم على الاتحاد والتعاضد ونبذ الشقاق والتقاطع».

نخلص إلى القول: إن جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين هي التي أعدت جيل ثورة المليون شهيد الذي حرَّر الجزائر من الاحتلال الفرنسي الذي دام ١٣٠ عاماً.

أسعد السحمراني

المراجع: ١، ٨، ٣٤، ١/٢٠١.

* * *

الجن

الإيمان بوجود الجن:

أ ـ مقدمات ماهية الجن:

ـ الجن من العوالم الغيبية، ورد ذكرهم في القرآن الكريم في نحو أربعين آية.

ـ لا يقع الجن تحت حواسنا، ولذلك فإن الإيمان بوجودهم معتمد على الخبر الصادق وهو الكتاب والسنة فقط.

ـ في القرآن سورة تسمى بسورة الجن ذكر فيها الكثير عن أحوالهم وأوضاعهم.

ـ الجن يتناسلون ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن/٦]، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف/٥٠].

ـ الجن لهم قدرة خارقة:

١ ـ سخر الله تعالى الشياطين لسليمان للبناء والغوص وصناعة الجفان والتماثيل وغير ذلك.

٢ ـ أحضر عفريت من الجن عرش بلقيس ملكة سبأ بومضة عين من اليمن إلى فلسطين.

٣ ـ لهم قدرة للوصول إلى السماء الدنيا ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن/٨].

ب ـ علاقات الجن: علاقتهم بالله، علاقتهم بالكون، علاقتهم بالإنس:

أولاً ـ علاقتهم بالله تعالى:

الجن مأمورون بالعبادة كالإنس/ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/٥٦]، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام/١٣٠].

ـ الجن منهم المؤمنون ومنهم الكافرون: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن/١٤].

وهل يدخل المؤمنون منهم الجنة؟ اختلف العلماء، فالجمهور على أنهم كالإنس يعذب الكافر منهم بجهنم، وينعم المؤمن بالجنة لعموم الآيات والأحاديث: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة/٧ ـ ٨]، وغيرها، ولأنهم خوطبوا بالعبادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/٥٦]، وفي الحديث: (يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟، قال: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله تعالى أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً).

وفي الحديث: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة). ومَنْ مِنْ صيغ العموم فتشمل الإنس والجن أي جميع المكلفين.

وقيل: إن الجن يبعثون كالإنس، ثم يحاسبون على أعمالهم في الدنيا ثم يفنون ويصيرون تراباً كالحيوانات فلا يدخلون الجنة ولا النار.

ولكن مثل هذا يحتاج إلى نص صحيح صريح من الشارع وإلا فالعمومات تشملهم.

واختلف أيضاً هل للجن رسل من الجن أم أن رسل الإنس هم أيضاً رسل للجن؟.

الجمهور على أنه لا رسل للجن من أنفسهم وأن رسل الإنس هم رسل للجن ثم الجن ينذر بعضهم بعضاً، فالرسل للإنس والنذر للجن وأما قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الأنعام/١٣٠]، إنما يراد منه الرسل من الإنس في الضمير (منكم) على غرار قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن/٢٢]، وإنما يخرج

من الماء أي البحر دون الأنهر.

ومثله تغليب لفظ التذكير على الإناث في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحجرات/١]، فيدخل فيه الإناث.

فكما أنه تارة يذكر اللفظ ويراد به أكثر منه، يذكر أيضاً ويراد به أقل منه.

ثانياً ـ علاقة الجن بالكون:

ليس للجن أي شيء من مهمات في تدبير شؤون الكون أصلاً، بخلاف الملائكة وهم جند الله يفعلون ما يؤمرون به على نحو ما ذكرنا.

وللجن أُطر معينة في الكون لا يستطيعون تعديها، وهي ما دون السماء. فلديهم القدرة على الانتقال بسرعة هائلة يصلون بها في لحظات إلى السماء ليتخذوا منها مقاعد للسمع كي يتخطفوا بعض الأخبار الغيبية التي تتنزل بها الملائكة من اللوح المحفوظ إلى الملائكة الموكلين بتنفيذ ذلك، فيسترق منها الجن الكلمة والكلمتين ثم يزيدون عليها مائة كذبة ويعودون بها إلى الأرض ليقذفوا بها.

ثالثاً ـ علاقة الجن بالإنسان:

ـ الجن يرون الإنس ولا عكس، لأن الله تعالى لم يودع في قوانا البصرية القدرة على رؤية ذلك النوع من الأجسام إلا أن تتشكل بأشكال كثيفة مرئية كالكلب والهرّ والحية ونحو ذلك وكالإنسان أيضاً:

١ ـ تمثل الشيطان لأبي هريرة على هيئة رجل مسكين يسرق من بيت المال حين كان أبو هريرة خازناً له في عهد النبي ﷺ، فألقى عليه القبض في الليلة الأولى فاستماحه عذراً وادعى الفقر والمسكنة وعاهده أن لا يعود ثانية فتركه، ثم عاد الليلة الثانية وفعل به أبو هريرة مثل ذلك وأجابه الشيطان بمثل جوابه الأول، وكذا فعل في الثالثة ولما عزم أبو هريرة فيها على رفعه إلى رسول الله ﷺ قال له الشيطان: أعلمك كلمات إذا قلتها لا يقربك شيطان حتى تصبح وتتركني؟ فاستجاب له أبو هريرة فأخبره بأنه إذا قرأ آية الكرسي لم يقربه شيطان حتى يصبح. ولما أخبر أبو هريرة النبي ﷺ بقول الشيطان قال: صدقك وهو كذوب.

٢ ـ تمثل الشيطان يوم ائتمار المشركين بالنبي ﷺ ليلة الهجرة في دار الندوة بصورة شيخ من شيوخ نجد، وأشار عليهم بقتله على يد عدد من شباب القبائل يمثل كل قبيلة شاب جلد منها ليتفرق دمه في القبائل كلها فيعجز بنو هاشم عن المطالبة به من الجميع ويقبلون الدية.

٣ ـ تمثل في معركة بدر على هيئة رجل من العرب ناصح ومشجع للمشركين لخوض المعركة ضد النبي ﷺ، ولما رأى الملائكة تتنزل على المسلمين لتشاركهم المعركة ضد المشركين نكص على عقبيه وفرَّ من أرض المعركة، وحين عاتبه بعض من كان معه ظاناً إياه إنساناً قال: إني أرى ما لا ترون، كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال/٤٨].

ـ هل يقع زواج الإنسي من جنية أو الجني من إنسية؟ اختلف في ذلك، وقد قيل: إن بلقيس ملكة سبأ كانت من هذا الباب، والله أعلم. والأصح أن ذلك لا يقع لأن لكل من الإنس والجن خواص تختلف عن الآخر بحيث لا يقع الانسجام بينهما ليتولد منه الذرية، وتصحيح مثل ذلك يحتاج إلى نقل عن الشارع، والأمر كان مبنياً على الظن والرجم بالغيب.

ـ وَسْوَسة الجن للإنس: للجن قدرة خفية وقوية على الوسوسة والتزيين للإنسان فيقلب الحق باطلاً والباطل حقاً، والشر خيراً والخير شراً حتى يغري الإنسي بارتكاب المعصية والفواحش، وهو يظنها حسنة ثم لا يشعر بفحشها وسوئها إلا بعد مواقعتها

ولحاق عارها به، مما يترتب على ذلك إذا تكرر أن يستهين المرء بالمعصية، وربما استحسنها وعندها يصعب عليه العودة عنها، وليس للشيطان على الإنسان أكثر من التزيين والتجميل والإغراء فقط: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل/ ٢٤]، ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف/ ٢٧]، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [البقرة/ ١٦٨]، ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ [إبراهيم/ ٢٢].

ولكن هذه الوسوسة يمكن دفعها بذكر الله تعالى واللجوء إليه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس/ ١، ٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٠١]، كما تدفع بآية الكرسي وسورة البقرة والأذان والصلاة غير المكتوبة في البيت لئلا تكون قبوراً.

فإذا استعاذ المرء بالله تعالى تسلط الملك على الجن وطرده، وقد بيّن النبي ﷺ (أنه ما من إنسان إلا وله ملك وقرين من الجن، الملك يأمره بالخير ويحضه عليه والشيطان يأمره بالشر ويحضه عليه، قيل: وأنت يا رسول الله! قال: وأنا إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير)!.

وهذا على غرار الحديث: (ما من خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه).

وقد يتم اتصال من الإنس بالجن، وقد يستخدمه الإنسي في بعض الأمور، ولكن ذلك لا يتم إلا من خلال السحر، ولا يتم السحر إلا بكلمات كفرية أو شركية بصرف بعض أنواع العبادة للجني، ولذلك ورد في الحديث: (من سحر فقد أشرك)، ومن طلب السحر فقد أشرك أيضاً لقوله ﷺ: (ليس منا من سحر أو سحر له). نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

زكريا المصري

المراجع: ١٩٧، ٣٣٢، ٣٧٣، ٢/٤٦٦.

* * *

الجهاد

الجهاد في اللغة العربيّة من الجَهد: أي المشقة، والجُهد: أي الوُسع والطاقة. وجَهَدَ الرجلُ في كذا أي جدَّ فيه وبالغ، ولم يرد في لغة العرب قبل الإسلام بمعنى القتال.

أما الجهاد في المصطلح الإسلامي فهو: «استفراغ الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله، بالنفس، والمال، واللسان»، وهو فرض على المسلمين لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

ولا يعدُّ القتال جهاداً إن لم يكن لتكون كلمة الله هي العليا، لقول الله عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٤٤]، ولقول رسوله الكريم ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [متفق عليه].

هذا هو المعنى والمفهوم الذي أخذته كلمة الجهاد بعد اكتمال الدين، والآيات التي تتناول الجهاد تكاد تبلغ نصف التنزيل في العهد المدني.

وقد كانت حياة رسول الله ﷺ كلها جهاداً، حتى إنه أخَّر الحج لانشغاله بالجهاد، وقال مرة لمعاذ بن جبل: (ألا أخبرك برأس الأمر كله، وعموده، وذروة سنامه؟)، قال: بلى يا رسول الله، قال: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد) [رواه الترمذي وابن ماجه].

وقد تتبع الفقهاء آيات الجهاد، وأحاديث رسول الله ﷺ وسيرته، وجهاده، وجهاد صحابته من بعده، ودرسوها، واستنبطوا منها أهداف الجهاد وأحكامه،

وضمنوها مؤلفاتهم تحت عناوين: «كتاب الجهاد» أو «باب الجهاد». كما أَلَّف كثير من مفكري المسلمين وفقهائهم في العصور المتأخرة كتباً اقتصرت على موضوع الجهاد في الإسلام، في حين نشط أعداء الإسلام لدراسة الطرق الكفيلة بتشويه مضمونه، والانحراف به عن غاياته، والسعي لإلغائه من عقيدة المسلمين. ومع أن الجهاد لا يكون جهاداً إن لم يكن لتكون كلمة الله هي العليا، فإن ذلك لا يعني فرض الإسلام بالقوة على الناس، لأن الأصل في الإسلام: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة/٢٥٦]، بل غايته رفع الظلم بمختلف أشكاله عن خلق الله، ودعوتهم إليه في جو من الحرية من دون ضغط أو إكراه.

والجهاد على نوعين: جهاد الطلب (القتال الهجومي) وهو فرض كفاية، يتعين ويجب على من يستنفره الإمام ويستدعيه.

وجهاد الدفع (القتال الدفاعي) وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة. فإذا هاجم العدو بلاد المسلمين وجب على جميع المسلمين نصرتها، والدفاع عنها. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وبناء على ذلك يدخل في الجهاد الإعداد للقتال: إعداد النفس بالتدريب، والعتاد، وبتأمين الأموال، والتحضير بالدعاية، ولا يشذُّ عن ذلك الحرب الإعلامية والاقتصادية وأعمال المخابرات وغيرها مما يؤدي إلى النصر.

وللقتال في سبيل الله مبادىء وآداب، استطاع المسلمون بتطبيقها كسب ودِّ شعوب البلاد التي فتحوها. وقد لخَّصت هذه المبادىء وصية أبي بكر لجيوش الفتح، قال: «لا تخونوا، ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا (تقطعوا) نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً، إلا لمأكلة. وسوف تمرون بأقوام قد فَرَّغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء، فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فأخفقوهم بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله».

وقد استعمل لفظ الجهاد مجازاً بالمعنى اللغوي، في كثير من المواضع أهمها مجاهدة النفس لثنيها عن المحارم والشهوات، وتدريبها على القيام بالواجبات وأداء الفروض، ومنها الجهاد.

هذا هو معنى مصطلح «الجهاد» ومضمونه الشرعي، وليس من غاية هذه الموسوعة التوسع في اجتهادات العلماء في تفسيره، ولا ما حدث تاريخياً ويحدث من استغلال لهذه الفريضة، أو إبطال لها، حيث يمكن للراغب في التوسع الرجوع إلى الموضوع في مصادره.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٢٠٣، ٣٣٢، ٣٣٣، ٥٥٣، ٥٦٢/١.

* * *

الجَهْمية

أو الجبرية. أتباع جَهْم بن صفوان، وهو: أبو محرز جَهْم بن صفوان الراسبي. وجَهْم تتلمذ على الجعد بن درهم الزنديق الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن، وقد قال جهم بذلك، أي قال بأن كلام الله القرآن مخلوق. ونفى الجهمية الصفات، والرؤية يوم القيامة.

وقال جهم بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنَّة والنار تبيدان وتفنيان. وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فعل ولا عمل لأحدٍ غير الله تعالى، وإنما تنسب

الأعمال إلى المخلوقين على المجاز. وزعم أن علم الله حادث.

وقد أوَّل الآية التي تنص على الرؤية يوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة/ ٢٢، ٢٣]، وكذلك أوَّل الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه/ ٥]، فقال معنى ذلك أنه سبحانه استولى وملك وقهر، وقال: إن الله في كل مكان. وفي نفي الصفات التقى الجهمية مع المعتزلة وكذلك في نفي الرؤية والقول بخلق القرآن.

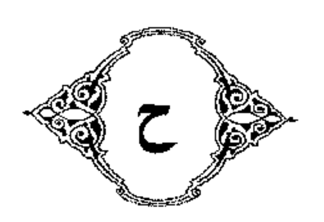
والجهمية يصنفهم بعض مؤرخي الفِرق بين فرق المرجئة. وفي مسألة الإمامة يقول جهم بن صفوان: «إن الإمامة يستحقها كل من قام بها إذا كان عالماً بالكتاب والسنَّة، وأنه لا تثبت الإمامة إلا بإجماع الأمة كلِّها».

وجَهْم سمرقندي الأصل كان مولى لبني راسب من الأزد، وكان كاتباً للحارث بن سريج التميمي، وقد ظفر به وقتله سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٠.

* * *



الحال

الحال هو: التغيير والانقلاب وعدم الثبات، وسمي حالاً لتحوله. وهو مصطلح استعمله أهل التصوف، ويعرِّفونه بأنه «معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب ولا اكتساب، من طرب أو حزن، أو بسط أو قبض، أو شوق أو انزعاج، أو هيبة أو احتياج». وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً؛ مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية، بغلبة صفات النفس، ثم تعود، ثم تزول، فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال، ثم يحوِّل الحال بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم، ويغلب حال المحاسبة، وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة، فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه، فيصير في مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة.

ويزول الحال بظهور صفات النفس، سواء يَعقبه المِثل أولاً، فإذا دام وصار ملكاً، سُمِّيَ مقاماً. فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب.

بسام الصباغ

المراجع: ١٧٢، ٢٧١، ٣٦٥.

* * *

الحج

الحج ركن من أركان الإسلام فرضه الله على المسلمين سنة تسع هجرية بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران/٩٧]، وهو مرة واحدة في العمر، ولم يحج رسول الله ﷺ إلا حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة.

وشروط وجوبه: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والاستطاعة، ويضاف إليها، بالنسبة للمرأة، أن يكون معها زوج، أو محرم، كالأخ أو الأب. . .، أو رفقة مأمونة من النساء.

وأركان الحج: الإحرام، والوقوف بعرفة، (ومن فاته ذلك في وقته، ولو لعذر، فقد فاته الحج)، وطواف الإفاضة (ويسمى طواف الزيارة أيضاً)، والسعي بين الصفا والمروة.

وواجباته: الإحرام من الميقات، والوقوف بعرفة إلى الليل لمن وقف نهاراً، والمبيت بالمزدلفة، والمبيت بمنى لليالي التشريق، وترتيب رمي الجمرات، والحلق أو التقصير، وطواف الوداع. ومن ترك واجباً وجب عليه ذبيحة.

وللحاج أن يؤدي نسكه على ثلاثة أوجه:

١ ـ الإفراد: وهو الإحرام بالحج وحده.

٢ ـ التمتع: وهو الإحرام من الميقات بالعمرة، وبعد الفراغ من أعمالها يحرم من مكانه بالحج.

٣ ـ القِران: وهو الإحرام بالحج والعمرة معاً.

والإحرام: هو نيَّة الدخول في النسك (حج أو عمرة) ويكون بملابس خاصة للرجال، هي عبارة عن منشفتين أو قطعتي قماش غير مخيطتين، ونعلين، وهذا للرجل. أما المرأة فليس لها لباس خاص للإحرام، ولكن يشترط أن تسفر عن وجهها وكفيها.

ويجب على المحرِم أن يجتنب النساء، والطيب، ولبس الثياب المخيطة، وإزالة الشعر، وتقليم الأظافر، والصيد، والخصام. ويبدأ الإحرام

من الميقات، والميقات مفرد مواقيت، وهي زمانية، ومكانية.

أما المواقيت الزمانية فهي: شهر شوال، وذي القعدة، وعشر من ذي الحجة، بالنسبة للحج، وأما العمرة فليس لها ميقات زماني.

وأما المواقيت المكانية: فهي الأماكن التي يجب على الحاج أن يبدأ إحرامه منها، وهي تختلف باختلاف البلاد والجهات التي يقدم الحجاج منها، وهي:

١ ـ الجحفة: وهي قرب قرية رابغ، وهو ميقات القادمين من مصر وبلاد الشام والمغرب.

٢ ـ ذات عرق: وهو ميقات القادمين من العراق وسائر المشرق.

٣ ـ ذو الحليفة: وهو ميقات القادمين من المدينة المنورة.

٤ ـ يَلملم: وهو ميقات القادمين من اليمن ومن في جهتهم.

٥ ـ قرن المنازل: وهو ميقات أهل نجد.

وهذه المواقيت لأهل الجهات المذكورة، ولكل من مرَّ بها أو حاذاها، لقول الرسول ﷺ: (هن لهن ولمن أتى عليهم من غير أهلهن ممن أراد الحج أو العمرة).

ومن كان داخل حدود هذه المواقيت أحرم وأهلَّ من مكانه (أي بدأ أعمال نسكه من المكان الذي هو فيه). والطواف هو الدوران حول بناء الكعبة سبع مرات، أما السعي بين الصفا والمروة فهو التردد بينهما سبعة أشواط.

ويطلق على الثامن من ذي الحجة اسم «يوم التروية» حيث يتحضر الناس للخروج إلى عرفة، وعلى اليوم التاسع منه «يوم عرفة»، وليلة العاشر منه «ليلة النحر»، والعاشر منه هو يوم العيد، وفيه تنحر الأضاحي، فيسمى يوم النحر أيضاً. وأعمال يوم النحر بالترتيب هي: رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي، ثم الحلق أو التقصير (المرأة تقصر شعرها)، ثم طواف الإفاضة (الزيارة)، وهكذا فعل رسول الله ﷺ، وبهذا الترتيب. ويجوز التقديم والتأخير في هذه الأعمال، ولا إثم على صاحبها.

ويحلُّ للحاج بعد الرمي والحلق كل شيء حُرِّم عليه بالإحرام، إلا النساء. وبعد طواف الإفاضة يباح له كل شيء، ويتم رمي الجِمار خلال ثلاثة أيام بعد يوم النحر، تسمى أيام التشريق، ومن تعجَّل في يومين فلا إثم عليه، أي يجوز الاقتصار على يومين غير يوم العيد. وللحج فوائد وحكم كثيرة منها: اجتماع المسلمين على صعيد واحد، وتعارفهم، وتداولهم في أمورهم العامة، وتهذيب النفوس بالتدرب على الصبر، وخلع زينة الدنيا، وتكفير الذنوب.

هذا موجز لإعطاء فكرة عامة عن الحج، وتعريف غير المسلمين بتسميات ومصطلحات قد يجهلونها، وعلى من يرغب التعمق بالتفاصيل الرجوع إلى كتب الفقه.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٢١٩، ٢٨٨، ٣٣٢، ٥٥٣.

* * *

الحَجْر

الحجر، لغةً: المنع، والحجر على شخص منعه من التصرف فهو محجور عليه، وتخفيفاً محجور. وفي الاصطلاح، المنع من التصرفات المالية، سواءً كان الحجر لمصلحة المحجور أو لمصلحة الغير. وعند الحنفية هو المنع من نفاذ تصرف قولي لا فعلي، وعلى هذا فإن عقد المحجور ينعقدُ موقوفاً فلا ينفذ إلا بإجازة من له الحق بالإجازة، والحجر عندهم كان من التصرف القولي دون الفعلي، لعدم تصور المنع من الفعلي، لأن الفعل بعد وقوعه لا يمكن رده.

وقد ثبتت مشروعية الحجر بالكتاب والسنة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾

[النساء/ ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء/ ٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة/ ٢٨٢]، ولأنه ﷺ حجر على معاذ رضي الله عنه ماله، وباعه في دين كان عليه، ولأن عثمان رضي الله عنه حجر على عبد الله بن جعفر رضي الله عنه بسبب تبذيره، كما روى الشافعي في مسنده عن عروة بن الزبير.

والحكمة من تشريع الحجر، صيانة الأموال من سلبها بالباطل والغش والتدليس وتضييعها بسوء التصرف وتبديدها، وذلك حرصاً على أموالهم ورزق أهلهم في حياتهم وبعد مماتهم. ويشمل الحجر من مفتي بغير علم فيضِلُّ ويُضلُّ، والطبيب الجاهل وغيرهم.

وأسباب الحجر الصِّغر والجنون والعته والسفَه ومرض الموت المتصل بالوفاة وغيره.

الحجر على الصغير:

ويبدأ الصِّغر بالولادة إلى مرحلة البلوغ. فالصغير الذي لم يبلغ محجور عليه بحكم الشرع حتى يبلغ ويستمر عليه الحجر حتى يرشد، وذلك لعدم أهلية التصرف مثل الرشد لقصور الإدراك، وينتهي الحجر ببلوغ المحجور رشيداً، فتدفع إليه أمواله بعد توفر البلوغ والرشد، لقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء/ ٦].

والبلوغ انتهاء فترة الصغر وابتداء حد الكبر، وله علامات طبيعية إن وجدت حكم بالبلوغ وإلا فيُرْجَع إلى السن.

والرشد (عند الجمهور من الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض الشافعية) هو الصلاح في المال فقط، وهو قول أكثر أهل العلم. فمن كان مصلحاً لماله وجد منه الرشد، ولا يشترط الصلاح في الدين أو التقوى، فالفاسق الذي يكذب أو يضيع الصلاة، مع صلاحه في ماله، يدفع إليه ماله ولا يحجر عليه، لأن المقصود بالحجر حفظ المال، وماله محفوظ بدون الحجر، ولذلك لو طرأ عليه الفسق بعد دفع ماله إليه لم ينزع، والأصح عند الشافعية أن الرشد هو الصلاح في المال والدين جميعاً لأن كلمة «رشداً» في آية سورة النساء نكرة فتعم الدين والمال، فالرشيد هو من لا يفعل محرماً يبطل عدالته، ولا يبذر المال بتضييعه في معاملة باحتمال غبن فاحش، أو برميه في البحر أو إنفاقه في محرم.

وتصرفات الصغير الذي لم يبلغ رشيداً، إن كان مميزاً، صحيحة، إن كان فيها نفع محض للصغير، كقبول الهبة، وكذا إذا أجَّر نفسه ومضى على ذلك العمل وجبت له الأجرة استحساناً، أما إن كان تصرف الصغير دائراً بين النفع والضر - وهو مميز - صح إذا أجازه الولي، وبطل إن ردَّه، فإن كان في التصرف غبن فاحش، كان باطلاً ولو أجازه الولي. ويضمن الصغير ما أتلف من مال أو نفس.

ويفك الحجر ويدفع المال، إذا بلغ الصغير رشيداً، أو بلغ غير رشيد ثم رشد، للآية السادسة من سورة النساء، ولقوله ﷺ: (لا يُتْمَ بعد احتلام). ولا يحتاج فك الحجر ودفع المال إلى من رشد، إلى حكم حاكم، لأن الحجر عليه ثبت بغير حكم فيزول من غير حكم. وقال بعض الشافعية: إن فك الحجر عن الصغير الذي بلغ ورشد يفتقر إلى حكم الحاكم لأن الرشد يحتاج إلى نظر واجتهاد، ولا فرق في كل ذلك بين الذكر والأنثى، إلا عند المالكية.

وذهب أبو حنيفة أنه إذا بلغ غير رشيد، وبلغ الخامسة والعشرين من عمره، يدفع إليه ماله ولو كان مفسداً وغير رشيد، لأن هذا العمر حال كمال لبُه وعقله، وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ينتهي لب الرجل إذا بلغ خمساً وعشرين سنة.

الحجر على المجنون:

الجنون: اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادراً، وهو إما مطبق أو منقطع. ولا خلاف في الحجر على المجنون، سواءٌ كان الجنون أصلياً أو طارئاً، وسواءٌ كان قوياً مطبقاً أو ضعيفاً غير مطبق. والجنون من عوارض الأهلية، يزيل أهلية الأداء إن كان مطبقاً، فلا تترتب على تصرفاته آثارها الشرعية، وإن كان متقطعاً فإنه لا يمنع التكليف في حال الإفاقة، ولا ينفي أصل الوجوب فهو كالبالغ العاقل حال الإفاقة، ولا تترتب آثار شرعية حال الجنون. أما إتلافه شيئاً مقوماً من مال أو نفس فإنه يضمنه إذ لا حجر في التصرف العقلي. ويرتفع حجر المجنون بالإفاقة من الجنون من غير حاجة إلى فكه، فتعتبر أقواله وتنفذ تصرفاته، والمجنون محجور لذاته ولا حاجة لصدور حكم بالحجر عليه.

والمعتوه، وهو من كان قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير إلا أنه لا يضرب ولا يشتم كما يفعل المجنون، وحكمه في تصرفاته كحكم الصبي المميز العاقل، أما حال إفاقته فهو كالبالغ العاقل، وهو كالمجنون محجور لذاته ولا حاجة لصدور الحكم بالحجر عليه.

والسفيه هو من يبذر المال ويضيعه على خلاف مقتضى العقل والشرع، كتبذيره وإسرافه في النفقة، أو تصرفاته المالية لا لغرض، أو لغرض لا يعدُّه العقلاء من أهل الديانة غرضاً، كدفع المال إلى المغنين واللعابين، وشراء الحمام الطيار بثمن غال. ويعتبر من السفه، تبذير المال وتضييعه ولو في الخير، كأن يصرف ماله كله في بناء المساجد ونحو ذلك. والسفه سبب للحجر، ولكن السفيه ليس محجوراً لذاته ولا بد له من حكم القاضي، وكذلك فكه يتم بحكم القاضي، وحكم تصرفات السفيه في ماله كحكم تصرفات الصبي المميز.

أما ذو الغفلة، فهو من يُغبن في البيوع لسلامة قلبه ولا يهتدي إلى التصرفات الرابحة، وهو ليس بمفسد لماله ولا يقصد الفساد في ماله، ولا يتابع هواه في ذلك خلافاً للسفيه. وقد أدرجه جمهور الفقهاء مع السفيه، وقال الصاحبان أبو يوسف ومحمد بالحجر على ذي الغفلة وهو محجور بحكم القاضي ويزول حجره بالحكم عند أبي يوسف، وقال محمد: إن الحجر يثبت عليه من حين ظهور أمارات الغفلة ويزول الحجر بزوال الغفلة.

ولا يحجر على الزوجة لتبرعاتها، ولها أن تتبرع من مالها ما دامت رشيدة، ولها ذمَّة مالية مستقلة، وهي من أهل التصرف والتبرع ولا حق لزوجها في مالها، وذهب مالك إلى جواز الحجر على الزوجة لصالح زوجها في تبرع زاد على ثلث مالها إلا بإذن زوجها.

ناصر الصالح

المراجع: ٤٥، ٩٢، ٩٧، ١٥٧، ١٧٢، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٣١، ٣٠٨، ٣١٢، ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٤١، ٥١٠، ٥١١.

* * *

الحدود

الحد، والجمع حدود، وهو المنع ويُسمى معرفُ الماهية حداً لمنعة من الدخول والخروج. وحدود الله تعالى محارمه لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة/ ١٨٧].

وفي الاصطلاح، الحد: عقوبة مقدرة على ذنب وجبت حقاً لله تعالى، كما في الزنا، أو حقاً لله تعالى وللعبد كالقذف، فيخرج التعزير لعدم تقديره والقصاص لأنه خالص حق العبد. ويطلق لفظ الحد على جرائم الحدود مجازاً فيقال: «ارتكب حداً» ويقصد «ارتكب جريمة ذات عقوبة مقدرة شرعاً».

وإقامة الحد فرض على ولي الأمر، والدليل من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

واتفق الفقهاء على أن ما يطبق على جرائم الزنى والقذف والسرقة وقطع الطريق والسكر يعتبر حداً،

وأضاف بعضهم، الردَّةَ والبغيَ وشرب الخمر. واعتبر الشافعية القصاص من الحدود. واعتبروا، هم والمالكية، من الحدود، قتل تارك الصلاة عمداً. والإمام لا يقضي بعلمه في الحدود، وهي لا تورث في الجملة ولا يصح العفو فيها كذلك، ولا تجوز الشفاعة، ويجوز الرجوع عن الإقرار فيها، ولا تتوقف على الدعوى، وذلك أن الحدود حق الله تعالى، والحدود تسقط بالشبهة وبالرجوع عن الإقرار.

والحدود تثبت بالإقرار من البالغ العاقل الناطق، واشترط بعضهم تكرار الإقرار. وتثبت بشهادة الذكور الأصليين، فلا تقبل الشهادة على الشهادة، ولا بد في الزنى من أربعة شهود يشهدون مجتمعين في مجلس واحد، وإلا لم تقبل شهادتهم، ويحدون عند الجمهور الذين يرون وجوب الحد في الزنى ولو شهد الشهود بزنى قديم. وقد اختلف الفقهاء على أقوال في اعتبار القرائن لإثبات الحدود.

والحدود الشرعية أنواع:

فالرجم ثابت بالنص والإجماع والمعقول، ويجب على الزاني المحصن. والجلد مائة عقوبة الزاني البكر، لقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور/ ٢]، ولا يجمع الجلد مع الرجم للزاني المحصن عند الجمهور، لأن الرسول ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ولم يجلدهما، ولأن الحد وضع للزجر، ولا يَزْجُرُ الجلدُ مع الرجم. والجمهور يرون تغريب الزاني البكر مع جلده لقول الرسول ﷺ: (البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام)، ويرى المالكية تغريب الرجل دون المرأة، لأن في نفيها تضييعاً لها وتعريضها للفتنة، وعن ابن المسيب أن عمر رضي الله عنه غرَّب ربيعة بن أمية ابن خلف في الخمر إلى خيبر، فلحق بهرقل فتنصَّر، فقال عمر رضي الله عنه: «لا أُغرِّب مسلماً بعد هذا أبداً»، ولأن الله تعالى أمر بالجلد دون التغريب وإيجاب التغريب زيادة على النص. وأما حد السرقة فهو قطع اليد للآية، والحديث، والإجماع. والمحارب يقطع من خلاف إذا أخذ المال ولم يقتل عند الجمهور، وإذا أخذ المال وقتل، يقتل ويصلب، وإذا قتل ولم يأخذ المال، قتل ولا يصلب. والقتل عقوبة حدِّية للردة لحديث رسول الله ﷺ عن قتل المرأة الكافرة.

والحدُّ يجب على المكلف العاقل البالغ، وفي إسلامه خلاف وتفصيل، وأكثر الفقهاء يرى الحد لغير المسلم في القذف والسرقة والقتل والزنى، دون شرب الخمر لوجود أدِلَّة على حلِّه عند غير المسلمين. ولا يجب الحد إلا على من علم بالتحريم لقول عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم: «لا حد إلا على من علمه» فإن ادعى حديث العهد بالإسلام، جهله بتحريم الزنى قُبِل منه، كما لا يجب الحد على المكرهة لحديث عبد الجبار بن وائل عن أبيه أن امرأة استكرهت على عهد رسول الله ﷺ فدرأ عنها الحد. وفي المكره خلاف.

ويراعى في إقامة الحدود عامة: أن يقيمه الإمام أو نائبه، وذلك لمصلحة العباد بصيانة أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، والإمام قادر على إقامة الحد، لشوكته ومنعته وانقياد الرعية له قهراً وجبراً، ولأن تهمة الميل والمحاباة والتواني منتفية في حقه، ولأن النبي كان يقيم الحدود، وخلفاؤه من بعده.

ويرى الأحناف أن يبدأ الشهود على الزنى بالرجم، حتى لو امتنعوا أو ماتوا أو غابوا كلهم أو بعضهم لا يقام الرجم على المشهود عليه، لقول علي رضي الله عنه: «يَرْجُمُ الشهود أولاً ثم الإمام ثم الناس» (وثم) للترتيب، وكان ذلك بمحضر من الصحابة، ولم ينقل أن أحداً أنكر عليه فيكون إجماعاً. وأكثر العلماء على استحباب أن يبدأ الشهود بالرجم، أما إذا ثبت الزنى بالإقرار فالخلاف في ابتداء الإمام بالرجم كالخلاف في ابتداء الشهود.

ويشترط في إقامة الجلد، عدم خوف الهلاك، لأن الجلد شرع زاجراً لا مهلكاً، والخلاف قائم في

إقامة حد الجلد في الحر الشديد، والبرد الشديد، وجلد المريض والنفساء.

وإقامة الحد تجب على الفور، ولا يجوز التأخير إلا لعذر كالمرض والحَمْل والسُكْرِ. ولا يؤخر الرجم للمرض لأن نفسه مستوفاة فلا فرق بين المريض والصحيح. ولا يقام الحد على حبلى حتى تضع لئلا يَتَعَدى إلى الحمل لأنه نفس محترمة لا جريمة منه. ولا يقام حد الرجم عليها حتى تفطمه أو يوجد من يرضعه ليزول عنه الضرر، لأن النبي ﷺ رجم الغامدية بعدما فطمت مولودها، وللحديث؛ أما الجلد، فإنها تجلد بعد الوضع وانقطاع النفاس إذا كانت قوية يؤمن تلفها لحديث علي رضي الله عنه: (إن أمة لرسول الله ﷺ زنت فأمرني أن أجلدها فإذا هي حديث عهد بنفاس، فخشيت إن أنا جلدتها أن أقتلها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: أحسنت). أما الضعيفة التي يخاف عليها فلا تحد حتى تطهر وتقوى.

أما الحد على السكران، فإنه يؤخر حتى يصحو ليحصل المقصود من إقامة الحد، وهو الزجر والردع، لأن غيبوبة العقل أو غلبة النشوة والطرب تخفف الألم. وتحرم إقامة الحدود في المساجد، لحديث النهي عن ذلك، ولقوله ﷺ: (لا تقام الحدود في المساجد)، ولأن تعظيم المساجد واجب، وفي إقامة الحدود فيها ترك تعظيمها. ويقام الحد في الحرم على من ارتكب موجب الحد فيه. واختلف الفقهاء بالنسبة لمن ارتكب موجب الحد خارج الحرم ثم لجأ إليه، فذهب الجمهور إلى أنه لا يستوفى في الحرم حد، لقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران/ ٩٧]، وقوله ﷺ: (لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً). ويرى المالكية والشافعية أن الحد يقام في الحرم لما روى أنس أن النبي ﷺ دخل مكة وعلى رأسه مغفر، فلما نزع المغفر، جاءه رجال فقال: «إن خطل متعلق بأستار الكعبة» فقال ﷺ: (اقتلوه).

ويراعى في الرجم أن يتم في مكان واسع لأنه أمكن في الرجم، ولا يصيب بعضهم بعضاً، ويكون بحجارة معتدلة، وقيل: يحفر للمرأة حتى صدرها لكونه أستر لها، وقيل: لا يحفر لها لأن أكثر الأحاديث على تركه. وفي قول للشافعية والمالكية والحنابلة أنه لا يحفر لها إن ثبت الحد بالإقرار، وإن ثبت بالشهود حُفِرَ، لعدم تمكينها من الهرب وإسقاط الحد بفعل من جهتها، ولا يحفر للرجل عند الجمهور، وقال المالكية: يحفر للمشهود عليه دون المقر، لأن الرسول ﷺ لم يحفر لماعز في حديث أبي سعيد قال: «لما أمر رسول الله ﷺ برجم ماعز خرجنا به إلى البقيع، فوالله ما حفرنا له ولا وثقنا ولكن قام لنا».

وتقام الحدود في ملأ من الناس لقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، ولأن المقصود من إقامة الحدود زجر العامة، وهذا لا يحصل إلا بإقامة الحد أمام العامة، لأن الحاضرين ينزجرون بالمعاينة، والغائبون ينزجرون بإخبارهم، ولأن في إقامة الحد أمام العامة منع لمنفذ الحد من مجاوزة الحد، ودفع للتهمة والميل.

ناصر الصالح

المراجع: ٢٠، ٩٦، ٩٧، ١١٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٧٩، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٢٩، ٤٦٢، ٥١٠، ٥٤١.

* * *

الحديبية (اتفاق)

درجت كتب التاريخ القديمة على إطلاق «صلح الحديبية» على اتفاق الحديبية، الذي هو في واقعه «اتفاق هدنة» ولم يكن صلحاً ـ بالمصطلح الحديث للكلمة ـ أبداً كما سنبين لاحقاً، حيث نص على إيقاف القتال والأعمال العدائية بين المسلمين وكفار قريش مدة محددة. وقصة اتفاق الحديبية هي أن الرسول ﷺ بعدما تراجع الأحزاب عن حصار المدينة، وبعدما قضى على بني قريظة من يهود المدينة، الذين خانوه أثناء حصار قريش المدينة،

فكَّر بعمل سياسي، يظهر من خلاله تعظيمه مكة التي يقدسها العرب، فخرج في ذي القعدة في السنة السادسة للهجرة، ومعه ألف وأربعمائة صحابي من المهاجرين والأنصار معتمرين لا يبغون حرباً، وأشاع ذلك بين القبائل وعرب الجزيرة الذين انقسموا بين مؤيد ومعارض ومراقب. فلما وصل الخبرُ قريشاً قرر قادتها صدَّ المسلمين ومنعهم من دخول مكة، فخرجوا من مكة لملاقاة المسلمين، ووجهوا خالداً بن الوليد على رأس قوة من مئتي فارس إلى مكان على الطريق بين مكة والمدينة اسمه «كراع الغميم».

ولما علم الرسول بموقف قريش، وأنها تنتظره في الطريق، بحيث ستفرض عليه الحرب ـ وهو لم يخرج لحرب ـ أو الرجوع، وهذا سيترك أسوأ الأثر في أصحابه، قرر تغيير الطريق، ومفاجأة الناس في مكة، فسلك طريقاً وعراً أنهك المسلمين، ولكنه أفضى بهم إلى أسفل مكة. ولما رأى المشركون غبار جموع المسلمين أدركوا الخدعة، فعادوا مسرعين إلى مكة، بينما عسكر المسلمون في منطقة اسمها «الحديبية».

وأعلن الرسول ﷺ لأصحابه: (لا تدْعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها).

وحار المشركون في أمرهم، ثم ارتؤوا القيام بعمليات جس نبض لمعرفة ما يدور في خلد الرسول، فأخذوا يرسلون إليه الرجل تلو الرجل. وكان هو واضحاً صريحاً قال: (إنّا لم نأت لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددناهم مدة، ويخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر ـ انتصر ـ، فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمُّوا ـ استراحوا ـ فوالله لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره).

وكما كانت قريش ترسل الرجل تلو الآخر لاستطلاع موقف الرسول، فقد كان هو كذلك يرسل إليهم من يعلمهم بموقفه، وممن أرسلهم عثمان بن عفان الذي احتجزته قريش، وشاع أنه قتل، فقرر مقاتلة قريش، وبايعه صحابته على الموت، ولما وصل نبأ ذلك إلى قريش، خافت عاقبة فعلتها فسارعت إلى إرسال «سهيل بن عمرو العامري» لمصالحة الرسول ﷺ، ولم تشترط سوى عودة المسلمين في ذلك العام لكي لا يقول العرب إن محمداً دخل مكة عليهم عنوة.

وبدأت المفاوضات، فكان أول شرط لاستكمالها إطلاق سراح عثمان بن عفان، فسارعت قريش إلى إطلاقه، ثم نُظِّمت الاتفاقية التي تضمنت ما يلي:

ـ إيقاف الحرب بين الفريقين عشر سنين.

ـ لقبائل العرب الحق في محالفة الرسول أو محالفة قريش.

ـ من أسلم من قريش بغير إذن وليّه ردَّه الرسول إلى قريش.

ـ من ارتد من المسلمين ولحق بقريش لا يرد إلى المسلمين.

ـ أن يعود الرسول بأصحابه في ذلك العام فلا يدخلون مكة، ولهم في مثل ذلك الوقت من العام التالي أن يعودوا ليس معهم سلاح سوى السيوف في القُرَب، فتخرج قريش من مكة ويدخلها المسلمون لمدة ثلاثة أيام فقط فيؤدون العمرة ويخرجون بعدها.

ولما رأى المسلمون ذلك أصابهم كدر شديد، حتى أن عمر بن الخطاب أتى الرسول ﷺ فقال له: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: (أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني).

وشهد على الاتفاق جماعة من المسلمين والمشركين، وكاد أن يزعزع صفوف المسلمين لأنهم وجدوا فيه تنازلاً للمشركين، ولكن في أثناء عودة الركب إلى المدينة كئيباً حزيناً، فرَّج الله عن المسلمين فأنزل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾... الخ

الآية [الفتح: ١]، فكانت نتيجة الاتفاق خيراً وبركة على المسلمين، ويصف ذلك الزهري فيقول: «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر».

ويقصد في السنتين مدة الاتفاق، حيث لم تمض سنتان على توقيع الاتفاق حتى أخطأت قريش في تقديراتها، وأساءت بتصرفاتها، فنقضت عهدها مع الرسول ﷺ، فاغتنم الفرصة، وعاد إلى مكة فاتحاً هذه المرة، وتبين للناس لاحقاً صحة تقدير الرسول ﷺ الذي حيَّد قريشاً بتوقيعه الاتفاق معها، وهي أعتى أعدائه، واستغل الوقت لإنهاء الوجود اليهودي في خيبر ولتوطيد سلطته في المدينة، وما جاورها من حدود الروم.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٢٩٩، ٤٢١، ٣/٤٥٦.

* * *

حرب الفجار

سميت «حرب الفجار» لأنها حدثت في الشهر الحرام، فالذين تحاربوا فجروا باستحلالهم الحرب في ذلك الشهر. وهي وقعت بين قريش وحليفتهم كنانة وبين قيس بن عيلان، وسببها: أن عروة الرحّال من هوازن أجار قافلة للنعمان بن المنذر الذي كان يبعث قافلة كل عام يجيرها له شريف من قريش حتى تباع، ويشتري بثمنها ما يحتاجه من عكاظ، فعدى رجل من كنانة يدعى البرَّاض بن قيس على عروة الرحال فقتله على حين غفلة في الشهر الحرام بسبب تلاسن بينهما لأنه أجار القافلة.

فلما علمت قريش بذلك، ولما كانوا في الشهر الحرام ارتحلوا عائدين إلى مكة، فلحقت بهم هوازن تطلب ثأرها، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل، فأمسكت عنهم هوازن ثم تقاتلوا بعد ذلك أياماً.

وشهد رسول الله ﷺ بعض هذه الأيام وهو فتى يافع، اصطحبه فيها أعمامه، فكان يجمع لهم النبال بعد أن يرموا بها.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٩٨، ١٢٢، ٢٩٩، ٤٢٤.

* * *

حساب الجمَّل

هو حساب كان معتمداً عند العرب قبل استخدام الأرقام الحسابية. وتنقل مصادر العلوم الرياضية أن الأرقام المستخدمة نقلت عن الهنود مع النقول والترجمات في العصر العباسي، وأنها على نوعين:

١ ـ أرقام غبارية: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦... الخ.

٢ ـ أرقام هوائية: 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8... etc.

أما حساب الجمَّل فتعطى فيه الأحرف الهجائية في الأبجدية قِيَماً رقمية حسابية تبدأ بالواحد وتنتهي بالألف. ويكون بذلك حساب الجمل حساباً ألفياً إذا كان الحساب الهندي حساباً عشرياً. وصيغة حساب الجمَّل على الوجه التالي:

أ	١	ك	٢٠	ش	٣٠٠
ب	٢	ل	٣٠	ت	٤٠٠
ج	٣	م	٤٠	ث	٥٠٠
د	٤	ن	٥٠	خ	٦٠٠
هـ	٥	س	٦٠	ذ	٧٠٠
و	٦	ع	٧٠	ض	٨٠٠
ز	٧	ف	٨٠	ظ	٩٠٠
ح	٨	ص	٩٠	غ	١٠٠٠
ط	٩	ق	١٠٠		
ي	١٠	ر	٢٠٠		

وتجدر الإشارة هنا إلى أن حساب الجمل هذا كان ولا يزال يستخدم عند العرَّافين، ومن يدَّعون معرفة الحظ والمستقبل، ومن يشتغلون بموضوع

الأبراج. كما أن حساب الجمَّل استخدمته البهائية لتفسر من خلاله معتقدها في تقديس الرقم (١٩)، وقد سبقتها إلى ذلك البابية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٢٢، ٥٤٤.

* * *

الحسبة

الحِسبة، لغة، مصدر احتساب، والاحتساب: طلب الأجر. ويرى الراغب أن الحسبة فعل ما يحتسب به عند الله تعالى. وقد ورد لفظ احتسب في القرآن الكريم بمعنى «ظنَّ» في ثلاثة مواقع. أما في الاصطلاح فالحسبة: «هي أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»، وهي مبنية على قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران/ ١٠٤]، والأمر بالمعروف معنى عام شامل يتضمن طلب اتباع كل ما جاءت به الشريعة، والنهي عن المنكر هو أيضاً معنى عام شامل يتضمن الكف عن كل ما نهت عنه الشريعة.

والاحتساب كما طبق في الإسلام على نوعين:

الأول: احتساب تطوعي يقوم به المسلم من تلقاء نفسه.

والثاني: احتساب منظَّم يقوم به موظفون معينون لهذه الغاية من قبل ولي أمر المسلمين، ويتقاضون عليه أجراً.

والذي يقوم بأعمال الحسبة يدعى المحتسب. وقد حدد الفقهاء شروطاً يجب توافرها فيه وهي: العقل، البلوغ، العدالة، الحرية، العلم بما هو المعروف وما هو المنكر، صاحب شخصية قوية مهابة. وأضاف بعض العلماء صفات أخرى منها: الصبر، والحلم، والإلمام بطرائق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير المنفرة. واشترط بعضهم أن يكون عالماً من أهل الاجتهاد، كما اشترط آخرون الذكورة.

وذكر الدكتور محمد رواس قلعه جي ـ في الموسوعة الفقهية الميسرة ـ للحسبة أربعة أركان هي:

١ ـ المحتسب.

٢ ـ المحتسب عليه.

٣ ـ محل الاحتساب.

٤ ـ آثار الاحتساب.

وقال تحت عنوان محل الاحتساب: «هو الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، سواء كان ذلك في العقائد، أو في العبادات، أو في العادات، أو في معاملات الناس فيما بينهم، في أسواقهم وفي غيرها»، وهذا هو تعريف الماوردي والفراء للحسبة.

ويشترط في الأمر حتى يجب إنكاره مايلي:

١ ـ أن يكون من المحظورات شرعاً.

٢ ـ أن يكون موجوداً في الحال.

٣ ـ أن يكون ظاهراً للمحتسب.

٤ ـ أن يكون الأمر لا يختلف العلماء في أنه منكر.

وللمحتسب المعيَّن فقط معاقبة المخالفين، ضمن حدود مخالفاتهم، فإن تجاوز قاصداً عوقب واقتص منه، وإن أخطأ عن غير قصد تحملت الدولة عواقب خطئه.

وبدأ تنظيم أعمال الحسبة من زمن الرسول ﷺ، وكان أهم أعماله مراقبة السوق، ومنع الغش والاحتكار، ومراقبة الموازين والمكاييل. وجاء في الاستيعاب لابن عبد البر أن الرسول ﷺ عيَّن «سعيد بن العاص» بعد فتح مكة محتسباً على سوقها، وحدد له أجراً على عمله، وكان سعيد بذلك أول موظف في الإسلام.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٥، ١/٢٤، ٢٢٣، ٣٤٧، ٥٦٠.

* * *

الحضانة

الحضانة لغة: مأخوذة من الحضن وهي الضم إلى الجنب. وشرعاً: هي تربية الولد لمن له حق الحضانة، وحفظ من لا يستقل بأمور نفسه عما يؤذيه لعدم تمييزه كطفل وكبير مجنون، وذلك برعاية شؤونه وتدبير طعامه وملبسه ونومه، وتنظيفه وغسله وغسل ثيابه.

والحضانة نوع ولاية وسلطة، لكن الإناث أليق بها لأنهن أشفق وأصبر على القيام بها وأشد ملازمة للأطفال، حتى يبلغوا سنّاً معينة فيكون الحق للرجل لأنه أقدر على حمايته وصيانته. فهي تتطلب الحكمة واليقظة والصبر والخلق.

١ ـ حكمها: الحضانة واجبة، لأن المحضون يهلك بتركها فوجب حفظه والإنفاق عليه لينجو من الهلاك.

ويتعلق بالحضانة ثلاثة حقوق معاً: حق الحاضنة وحق المحضون وحق الأب أو من يقوم مقامه، فإن تعارضت قُدِّمَ حق المحضون على غيره، وبهذا تجبر الحاضنة على الحضانة إذا تعينت عليها بأن لم يوجد غيرها.

٢ ـ ترتيب مستحقي الحضانة: قدم الفقهاء الحواضن بعضهن على بعض بحسب مصلحة المحضون، فقدموا الإناث على الذكور، ومن الجنس الواحد من كان أشفق وأرحم على الترتيب التالي:

أ ـ النساء:

١ ـ الأم، وهي أحق بحضانة الولد بعد الفرقة بطلاق أو وفاة بالإجماع لوفور شفقتها إلا أن تكون فاجرة أو غير مأمونة. قال عليه السلام: (من فرَّق بين والدة وولدها فرَّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة). فإن تزوجت سقطت حضانتها لانشغالها بحق زوجها، قال عليه السلام: (أنت أحق به ما لم تنكحي).

٢ ـ الجدات: أم الأم ثم أم الأب وهكذا.

٣ ـ الأخوات: الأخت الشقيقة للمحضون ثم من جهة الأم أو الأب.

٤ ـ الخالات: الخالة الشقيقة للمحضون ثم من جهة الأم أو الأب.

٥ ـ العمات: العمة الشقيقة للمحضون ثم من جهة الأم أو الأب.

٦ ـ بنات الأخت ثم بنات الأخ.

ب ـ الرجال: إن لم يكن للمحضون أحد من النساء المذكورات انتقلت الحضانة إلى الرجال على ترتيب العصبات الوارثين المحارم، على الترتيب التالي:

١ ـ الآباء والأجداد وإن علوا.

٢ ـ الإخوة وأبناؤهم وإن نزلوا.

٣ ـ الأعمام ثم بنوهم.

ولكن لا تُسلَّم مشتهاة لذكر وارث غير محرم، كابن العم، تحرزاً من الفتنة، وله حضانة الطفل، ويُقدم الأورع ثم الأسن من المرتبة الواحدة.

٣ ـ مهمة الحاضن أو الحاضنة وشروطهما: رعاية المحضون وتأديبه وتعليمه العلم أو الحرفة، ويقبض نفقته وما يحتاج إليه من أبيه أو من يقوم مقامه في أوقات منتظمة.

ويشترط في الحاضن أو الحاضنة البلوغ والعقل والقدرة على تربية المحضون والأمانة على الأخلاق، وأن يكون ذلك في مكان آمن. ويزاد بالنسبة للحاضنات ألا تكون متزوجة بأجنبي عن الصغير غير محرم منه، وأن تكون ذات رحم محرم له. ويزاد بالنسبة للحاضنين أن يكون لهم من يصلح للحضانة من النساء كزوجة أو أم، إذ لا صبر للرجال على أحوال الأطفال.

٤ ـ سقوط الحضانة:

١ ـ سفر الحاضن لمكان بعيد يمتنع فيه زيارة المحضون.

٢ ـ ضرر في بدن الحاضن كالجنون وغيره من الأمراض المعدية.

٣ ـ الفسق والتقصير الواضح بحق الصغير.

٤ ـ تزوج الحاضن ودخولها.

٥ ـ أجرة الحضانة ونفقتها :

أ ـ ليس للحاضن أجرة، لكن إن احتاج المحضون إلى خدمة كطبخ وغسل فللحاضن الأجرة، وكذلك إذا كانت الحضانة مقابل قيامها بعمل من الأعمال فتستحق أجرة.

فإن لم يكن للحاضن مسكن وجب لها أجرة المسكن من النفقة الواجبة للصغير.

ب ـ اتفق الفقهاء على أن مؤونة الحضانة تكون في مال المحضون، فإن لم يكن له مال فعلى الأب أو من تلزم نفقته، وهي دين لا يسقط بمضي المدة ولا بموت المكلف بها، أو موت المحضون، أو موت الحاضنة.

٦ ـ مدة الحضانة: اتفق الفقهاء على أن الحضانة تبدأ منذ ولادة الطفل إلى سن التمييز، ثم إلى أن يستقل المحضون بنفسه بعد البلوغ مأموناً عليه.

محمود احمد كفتارو

المراجع: ٩٦، ٩٧، ٢٤٥، ٣٠٨، ٣٨٤، ٤٢٠، ٤٢٩، ٥١١.

***

حطين

تعدُّ معركة حطين من المعارك التاريخية الفاصلة، لأنها كسرت شوكة الصليبيين وشكَّلت بداية النهاية لوجودهم في بلاد الشام، وللحروب الصليبية التي بدأت سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م وانتهت سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

وقد ارتبط اسمها باسم صلاح الدين الأيوبي، مؤسس الدولة الأيوبية، لأنه استطاع توحيد المسلمين الذي بدأه عماد الدين زنكي، وتابعه ابنه نور الدين، في زمن تفرقت فيه كلمتهم، واستوطن الصليبيون كثيراً من بلادهم، وسادت الحروب بينهم كأيام الجاهلية، وتعاون كثير منهم مع أعداء المسلمين على أقرب الناس إليهم رحماً.

فقد استولى الصليبيون على بيت المقدس في ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ/ ١٥ حزيران ١٠٩٩م، والعالم الإسلامي منقسم بعضه على بعض، وأقاموا في جهات بلاد الشام إمارات مسيحية، في القدس، وحمص، وأنطاكية، وطرابلس، ما لبثت أن نشبت بينها خلافات لتعدد الأجناس واختلاف المقاصد.

في هذه الأثناء ظهرت في الموصل إمارة إسلامية بزعامة عماد الدين زنكي، الذي عزم على إخراج الفرنج من بلاد الشام، فاستولى على حمص سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م، ثم ما لبث أن سيطر على معظم بلاد الشام.

ولما حصل خلاف بين أركان الدولة الفاطمية لبَّى نداء المستنجدين به، فأرسل أحد قواده لنجدتهم هو أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخته يوسف صلاح الدين، مؤسس الدولة الأيوبية، الذي خلف أسد الدين بعد وفاته، وأنهى، قبل وفاة نور الدين زنكي، دولة الفاطميين، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي.

ولما توفي نور الدين خلفه ـ أي صلاح الدين ـ على مصر والشام والجزيرة، وتفرغ لقتال الصليبيين، بعدما كان مهَّد له ذلك عماد الدين، وولده نور الدين زنكي، وساعده في ذلك تفرق كلمة أمراء الصليبيين وخلافاتهم فيما بينهم.

بدأ صلاح الدين التحضير للمعركة الحاسمة بالتحالف مع «ريموند الثالث» أمير طرابلس، الذي كان وصياً على العرش عند وفاة «بلدوين الخامس»، ملك بيت المقدس، وتآمر عليه بعض الأمراء، وساعدتهم زوجة الملك المتوفى التي عهدت بالملك إلى زوجها «جاي لوزينان»، مما اضطر «ريموند» إلى طلب مساعدة صلاح الدين، فغضب «رينولد شاتيون» الذي كانت قوافل المسلمين والحجاج تمر في أراضيه وتدفع إليه الضرائب والمكوس، فنقض هدنته مع صلاح الدين وأوقف قافلة تجارية كبيرة كانت تمر بأرض الكرك في طريقها من مصر إلى بلاد الشام، فقتل حراسها،

واستولى على ما تحمله، وأوقف من فيها من تجار وعائلات، ونقلهم إلى حصن الكرك.

ولما وصلت أنباء ما فعله «رينولد شاتيون» إلى صلاح الدين طلب إليه إطلاق الأسرى وإعادة الأموال، ولكنه رفض، ولم تنفع ضغوط الملك «جاي لوزينان» على «رينولد»، فقرر صلاح الدين الحرب، وبدأ التهيؤ لها بأن عقد اتفاقية مع أمير أنطاكية، ووسع مجال اتفاقيته مع «ريموند الثالث»، مما مكنه من التدخل في شؤون الصليبيين، وحرمان مملكة بيت المقدس من دعم أقوى إمارتين صليبيتين هما: إمارة طرابلس، وإمارة أنطاكية.

وبعدما استكمل استعداداته توجه إلى الكرك في محرم ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، فتراجع رينولد إلى حصنه، فترك صلاح الدين قواته تسرح وتمرح في تلك المنطقة تغطية لحشوده في منطقة رأس الماء بقيادة ابنه الأفضل.

ولما رأى الملك «جاي» تفكك الصليبيين، وتوحد المسلمين، وحتمية الحرب بين الطرفين، عمل على توحيد الصليبيين، وإعادة «ريموند الثالث» إلى حظيرته، وبخاصة بعد الاصطدام الذي حصل في عين الجوزة، الواقعة بين صفورية وكفركَنَّة بالقرب من حطين، بين فرسان من المسلمين وفرسان من الصليبيين وأسفر عن مقتل مقدم الأسبتارية، وعدد كبير من فرسان الصليبيين، فنقض «ريموند» اتفاقه مع صلاح الدين، وبدأ الطرفان يستعدان للمعركة، فتجمع الصليبيون في صفورية قرب عكا، وحملوا معهم صليب الصلبوت للتبرك به، وهو صليب يدَّعون وجود قطعة فيه من الصليب الذي صلب عليه المسيح، بينما توجه صلاح الدين إلى حوران للقاء ابنه الأفضل الذي تجمع حوله اثنا عشر ألف فارس عدا المشاة والمتطوعة، فعبأ قواته، وتوجه بها إلى طبرية في ١٧ ربيع الثاني ٥٨٣هـ/ ٢٦ حزيران ١١٨٧م، وعسكر في محيط قرية «الصنبرة» في التلال القريبة من طبرية، وبث الجواسيس لجمع المعلومات عن الصليبيين.

في معسكر الصليبيين كان الوضع مختلفاً، فقد حصل خلاف بين فريق يؤيد الهجوم، وفريق يؤيد البقاء في صفورية واتخاذ موقف دفاعي.

وكان صلاح الدين يسعى إلى استجرار الصليبيين إلى منطقة مكشوفة ليخوض معهم معركة فاصلة، بينما كان الصليبيون يسعون إلى القضاء على قوته المتعاظمة قضاءً مبرماً.

ولكي يخرج صلاح الدين قوات الصليبيين من منطقة تعسكرها، ويستجرها إلى المكان الذي يريده، ليفرض مكان المعركة وزمانها، عمد إلى مهاجمة مدينة طبرية، وحاصر قلعتها، وفيها زوجة «ريموند»، فتحقق له بذلك ما أراد، حيث ترك الصليبيون صفورية في ٢٣ ربيع الثاني/ ٢ تموز، وتوجهوا إلى طبرية لرفع الحصار عنها، في جو تموز اللاهب، تنقصهم المياه، والروح المعنوية العالية، نتيجة خلافاتهم وهجمات المسلمين الخاطفة عليهم، ومنعهم من الوصول إلى المياه. ولما وجدوا أنفسهم محاصرين، بعيدين عن الماء، سارعوا بالنزول إلى قرون حطين، ونزلوا بالقرب من بئر تبين لهم جفاف مياهها.

وهناك دارت بين الطرفين معركة طاحنة، انتصر فيها المسلمون، ودبَّت الفوضى في صفوف الصليبيين، وانفصلت مشاتهم عن خيالتهم. ولما حاول «ريموند الثالث» فك الطوق عن القوات المحاصرة، وفتح ثغرة في صفوف المسلمين، نجح في ذلك، ولكن قوات المسلمين سدت الثغرة سريعاً، فتابع طريقه بمن بقي معه باتجاه طرابلس، وانسحب من المعركة، بينما استبسل فرسان الداوية، والأسبتارية بالقتال، فأمر صلاح الدين ابن أخيه تقي الدين عمر بإشعال النيران في الأعشاب الجافة المحيطة بهم، وبمهاجمتهم بالخيالة، فتضعضعت صفوفهم، وأنهكهم الحر والعطش ولهيب النار ودخانها، ووقع صليب

الصلبوت في يد تقي الدين، ففرَّ الصليبيون وتجمعوا حول خيمة الملك، الذي بدأ يعدُّ لهجوم معاكس، ولكن صلاح الدين عاجلهم بهجوم كاسح، فقتل معظمهم وأسر الباقي بمن فيهم الملك، و«رينولد شاتيون» صاحب الكرك، فأكرم الملك، وقتل «رينولد» لخيانته ونقضه عهده، ومهاجمته قوافل الحجاج، ولم يتعرض لغيره من الأمراء بأذى، وعامل نساءهم معاملة حسنة أدت إلى ذيوع صيته في بلاد الغرب.

وهكذا شكلت معركة حطين كارثة كبرى حلت بالصليبيين، وكانت بداية نهايتهم في المنطقة، فتوالى بعدها فتح المدن والحصون في الساحل السوري والداخل الفلسطيني، ومنها بيت المقدس.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٨٧، ١٢٣/ ١.

* * *

الحلولية

غلاة كانوا يزعمون أن الله تعالى قد يحلُّ في أشخاص معينين، وأن أئمة مذاهبهم ورؤساءهم ممن كان لهم ذلك، وقد عبدوهم بسبب هذا الاعتقاد. وتوالى ظهور القائلين بالحلول عبر التاريخ الإسلامي، ومنهم من قال بأن بعض أئمتهم له حقيقة لاهوتية لا تُدرك بالحواس ولا بالأوهام، ولا تعرف بالرأي ولا بالقياس، مهما حاول الإنسان أن يعرف كنهها، وأن الجسد هو حجاب لهذا اللاهوت الذي حلَّ فيه.

وخلاف الحلول الاتحاد، وهو الزعم بأن إنساناً قد يتحقق له حالة من التأله تجعله في حالة اتحاد بالله. وعند هذا الحد يزعم القائلون بالحلول والاتحاد: إن الخالق والمخلوق يصبحان واحداً، فلا اتحاد بين طبيعتين بل وحدة شاملة، أو كما يسميها بعضهم: وحدة الوجود.

من نماذج القائلين بالحلولية الحسين بن منصور الحلاج (٢٤٤هـ - ٣٠٩هـ/ ٨٥٨م - ٩٢٢م)، وقد قتل بسبب مقولاته بالحلول وأُحرق جسده ورمي رماده في نهر دجلة، وكان ذلك في ٢٤ ذي القعدة من عام ٣٠٩هـ.

ومما قاله الحلاج ويظهر عقيدته الفاسدة، أنه كتب شعراً يخاطب فيه الله تعالى، ويقول:

أنت من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا

ويقول الحلاج كذلك:

سبحان من أظهر ناسوته
سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً
في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه
كلحظه الحاجب بالحاجب

وعندما عرف علماء عصره أقواله هذه قالوا عن صاحب هذا الشعر: على قائله لعنة الله. وقال عيسى بن فورك: هذا شعر الحسين بن منصور الحلاج، قال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر.

ويذهب محيي الدين بن عربي (٥٦٠هـ - ٦٣٨هـ) مذهباً في وحدة الوجود يعد فيه كل عبادة عبادة صحيحة، فالخالق عنده قد حلَّ في كل مخلوق، وظهر من خلاله، ولذلك يرى أن كل الناس يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع المعبودات، ويقول في هذا المعتقد الذي يعتقده شعراً:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهتْ
ركائبه فالحب ديني وإيماني

ومن الأفكار المعاصرة في باب الحلول معتقد

البهائية المنسوبة إلى حسين علي المازندراني (١٨١٧م - ١٨٩٢م) الذي عُرف باسم البهاء، وإليه تنسب هذه الحركة، فعقيدتهم فيه أنه منظر الله الذي يتجلّى في طلعته جمال الذات الإلّهية، وهو صورة صادرة عن الجوهر الإلّهي، وكان يغطي وجهه عندما يقابل أحداً، أو يسير في الطرقات زاعماً أنه ما من أحدٍ يستطيع تحمل النظر إلى وجهه مكشوفاً لقوة الأنوار الإلّهية التي تجلّت من خلاله وحلّت فيه.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٠٥، ٢٢١، ٢٤٩، ٥٠٢.

* * *

الحمدانيون (٢٩٣ ـ ٣٩٤هـ/ ٩٠٥ ـ ١٠٠٤م)

(أ) قسم الموصل

٣١٧هـ ناصر الدولة أبو محمد الحسن	٩٢٩م
٣٥٦ ٣٦٩هـ عضد الدولة أبو تغلب فضل الله الغضنفر	٩٦٧-٩٧٩م
٣٧٩ ٣٨٠هـ أبو طاهر إبراهيم أبو عبد الله الحسين	٩٨٩-٩٩١م

(ب) قسم حلب

٣٣٣هـ سيف الدولة أبو الحسن علي	٩٤٤م
٣٥٦هـ سعد الدولة أبو المعالي شريف	٩٦٧م
٣٨١هـ سعيد الدولة أبو الفضائل سعيد	٩٩١م
٣٩٢هـ أبو الحسن علي	١٠٠٢م
٣٩٤هـ أبو المعالي شريف	١٠٠٣م

ينتمي الحمدانيون إلى قبيلة تغلب العربية، وينتسبون إلى جدهم الأعلى حمدان بن حمدون التغلبي الوائلي الذي استطاع أن يستقل بقبيلته في منطقة قريبة من الموصل حوالي سنة ٢٦٠هـ. وقد كوّن أولاد حمدان بن حمدون الخمسة، منذ ذلك الوقت، أسرة إدارية عسكرية، وتولى بعضهم وظائف الدولة في نهاوند والموصل وحلب، على أن أبرز الحمدانيين هم الثلاثة الذين أسسوا الدولتين الحمدانيتين في الموصل وحلب: أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان (ت ٣١٧هـ/ ٩٢٩م) وابناه أبو محمد ناصر الدولة الحسن من بعده (ت ٣٥٨هـ/ ٩٦٨ - ٩٦٩م) وسيف الدولة أبو المحاسن علي بن أبي الهيجاء (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م).

ففي سنة ٢٩٣هـ ولّى الخليفة العباسي المستكفي أبا الهيجاء عبد الله حمدان ولاية الموصل فاستمر بها إلى أن عزله الخليفة المقتدر سنة ٣٠١هـ، ثم أعاده. وفي سنة ٣٠٣هـ أمر بسجنه، فمكث في السجن سنتين، ثم أطلق. وولاه المقتدر طريق خراسان والدينور سنة ٣٠٨هـ، وضمن أعمال الخراج والضياع في الموصل سنة ٣١٥هـ وتوفي سنة ٣١٧هـ، فخلفه ابنه الحسن وتولى ولاية الموصل من بعده ثم أضيفت له ديار بكر وديار ربيعة. وفي سنة ٣٣٠هـ قضى الحسن على ثورة ابن رائق فقرّبه الخليفة المتقي إليه، ولقبه بناصر الدولة، ولقب أخاه علي بن عبد الله بسيف الدولة، وولي سيف الدولة على واسط.

استطاع سيف الدولة أن يمد سلطانه إلى حلب سنة ٣٣٣هـ، ثم سار إلى دمشق فهزم جيش الأخشيد ثم ارتد عنها بعد معركة مرج عذراء. وسرعان ما اشتهر سيف الدولة بموقفه من الروم وشراسة دفاعه وحروبه لهم، وقد استطاع أن يجعل من دولته في حلب وما حولها حصناً منيعاً في وجه هجمات الروم الذين استغلوا ضعف الخلافة العباسية وحاولوا احتلال بلاد الشام.

وقد خاض الحمدانيون في حلب ما يزيد على أربعين معركة مع الروم كانت، حتى الهجومية منها، نوعاً من الدفاع لأنه لم يستطع استغلالها حتى القسطنطينية، ولم يكن له أمل في ذلك. وإذ اشتهر

بإغارته على زبطرة وعرقة وغيرهما، فأحرق وسبى وقتل رؤوس البطارقة قواد الجيش، فقد اشتهر مقابله أولئك القواد من الروم الذين حاربوه أمثال الدمستق ونقفور فوقاس وغيرهما. ومن أشهر المعارك التي خاضها سيف الدولة «الحدث الحمراء» التي خلَّدها المتنبي في شعره، كما خلد سائر حروب سيف الدولة وغزواته. ولم تكن مواقف سيف الدولة من الثائرين عليه من العرب أقل عنفاً وشراسة من موقفه مع الروم حتى ساد الأمن بلاده واستطاع إدارتها رغم انشغاله بالجهاد. وفي سنة (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) توفي سيف الدولة فخلفه ابنه سعد الدولة أبو المعالي شريف، الذي قتل خاله وابن عم أبيه الشاعر أبا فراس (سنة ٣٥٧هـ)، فصالح الروم مدة، ثم حاربهم فانتصر عليهم، وبعد وفاته سنة ٣٨١هـ/ ٩٩٢م تولى ابنه سعيد مكانه وتلقب بسعيد الدولة، ولكنه كان صغيراً فتسلم الوصاية عليه لؤلؤ الخادم الذي سيطر على كل شيء، وأرسل سائر أفراد البيت الحمداني إلى القاهرة الفاطمية، وظل لؤلؤ الحاكم المطلق حتى توفي سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م بعد أن عهد لابنه مرتضى الدولة منصور بولاية الأمر، لكن المرداسيين طردوا مرتضى الدولة سنة ٤٠٦هـ، فالتجأ إلى الروم وتوفي في القسطنطينية سنة ٤٢٠هـ، ودخلت حلب ضمن نفوذ الخلافة الفاطمية وانتهى ملك الحمدانيين فيها.

أما في الموصل فقد استمر ناصر الدولة، شقيق سيف الدولة، في حكم الموصل حتى وفاة أخيه سيف الدولة سنة ٣٥٦هـ فحزن عليه حزناً شديداً أصابه بالهذيان فحجر عليه بنوه وتولى ابنه عضد الدولة فضل الله أبو تغلب ولاية الموصل بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٨هـ، فحكمها أكثر من عشر سنوات، ثم خرج منها هارباً من جيش عضد الدولة البويهي فسكن دمشق ثم الرملة، فقتله بنو الجراح بها سنة (٣٦٩هـ/ ٩٨٠م).

وفي سنة ٣٨١هـ، استولى العقيليون على الموصل كما استولى المروانيون على ديار بكر سنة ٣٨٠هـ.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ٤٢٤.

* * *

حنا كالفن (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م)

لاهوتي بروتستانتي مهم ويعتبر من مؤسسي ومنظِّري الكنيسة البروتستانتية والفكر البروتستانتي. جال فرنسا وإيطاليا وسويسرة حيث دعي إلى المكوث في جنيف وتأسيس البروتستانتية هناك. كان هدفه تأسيس «مدينة إلَهية» أو ثيوقراطية، فابتدع نظاماً تربوياً تعليمياً واضعاً قوانين للكنيسة والدولة معاً ومنمِّقاً في الصلوات المستعملة حينئذ. وقد صارت جنيف، نتيجة لوجوده هناك، محجَّة للاجئين البروتستانت الذين اعتنقوا مبادئه، ورجعوا إلى بلادهم بغية تجسيدها.

كتب كالفن الكثير، خاصة تفسيراً شاملاً لكل الكتاب المقدس تقريباً، ووعظ كثيراً، وقد حفظ من عظاته الكثير، كما ألف كتاباً متكاملاً ضمَّنه فكره اللاهوتي فأتى عملاً متكاملاً في جميع المسائل، فيما اعتبر هو بأن اللاهوت يجب أن يكون مؤسساً على الكتاب المقدس فقط، تتمحور عقائده حول أن الإنسانية في حالة سقوط وأن الخلاص يأتي من عمل النعمة الإلَهية المجاني وليس بما يعمله الإنسان من أعمال تكفير عن الخطايا. كما آمن بوجوب حصول الانتخابات في أي أمر لانتقاء الأشخاص المناسبين والذين هم في قصد الله للعالم منذ الأزل لكونه كلِّي القدرة والمعرفة. كما آمن بأن فداء البشرية تمَّ بموت المسيح ولكن ليس كل الناس بل المختارين فقط الذين يسلمون ذواتهم لله بالإيمان.

إنه، باختصار، أحد أهم مؤسسي ورواد ومنظري الحركة البروتستانتية الإصلاحية.

بولس وهبة

المراجع: ٥٩٧.

* * *

الحوار

أحار عليه جوابه: ردَّه. والمحاورة: المجاوبة. والتحاور: التجاوب. وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.

والحَوْرُ: التردد إما بالذات وإما بالفكر. والحوار المرادَّة في الكلام ومنه التحاور. والحوار بخلاف الجدل حيث إن المتحاورين يتبادلان الكلام ويراجع كل منهما صاحبه بغرض الوصول إلى موقف قد يترتب عليه تنازل أحدهما أو كلاهما عن بعض ما كان عليه بغرض توليد القاسم المشترك، بينما الجدل يكون فيه كل واحد حريصاً على أن يغلب الآخر ليجذبه إلى موقفه. فالجدل لا يحتمل التنازل عن شيء والحوار خلاف ذلك.

وفي سورة المجادلة ورد في آية واحدة الجدل والحوار في قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة/ ١].

جاءت تلك المرأة التي ظاهرها زوجها، أي حرمت عليه لقوله لها: «أنت عليَّ كظهر أمي»، تشتكي وكانت في البداية قلقة لا ترغب الطلاق ولا ترك زوجها وأولادها فتعصبت لموقفها، وبدأت تطرح ما عندها بطريقة الجدل فلم يشاركها رسول الله ﷺ ذلك، لكن عندما هدأت خواطرها وباتت مستعدة لمراجعة الكلام والإنقاص من موقفها تحوَّل جدلها حواراً، وعندها بدأ رسول الله ﷺ بالحوار معها والمرادَّة في الكلام كي يفهمها حكم الظهار وحكم كفارته فجاء النص عندها: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة/ ١].

كلا الجدل والحوار لازمان وضروريان، وكلٌّ منهما له موقعه، وتدعو الحاجة إليه، ولا يصح الخلط بينهما، وكلاهما قد يكون سلبياً مؤذياً، وقد يكون إيجابياً مفيداً.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٤١، ٥١٤.

* * *

الحياة الرهبانية

لم تنشأ الحياة الرهبانية في المسيحية بمبادرة من السلطات الكنسية، بل نشأت في مصر في النصف الثاني من القرن الثالث على أثر اضطهاد الأمبراطور داقيوس، الذي تميَّز بقساوته، فدفع بعدد من المسيحيين إلى الصحراء حيث عاشوا حياة نسك وتقشف. وقد لعب القديسان أنطونيوس وباخوميوس دوراً أساسياً في هذه النشأة.

ولد أنطونيوس في النصف الثاني من القرن الثالث، وانتقل في أواخره إلى الصحراء الشرقية حيث تجمَّع حوله عدد من أتباعه وأمضوا حياتهم في الصلاة والأعمال الزراعية. لم يكن أنطونيوس كاهناً ولم يعرف القراءة والكتابة، وبالرغم من ذلك كان مرشداً روحياً لعدد كبير من الناس ومن بينهم الأمبراطور قسطنطين. توفي حوالي سنة ٣٥٠م.

أما باخوميوس فقد أنشأ عدداً كبيراً من الأديرة في مصر العليا، ووضع أقدم القواعد الرهبانية التي فرضت على الرهبان الأعمال اليدوية والزراعية، وقسَّمتهم مجموعات يقودها أحدهم يكون مسؤولاً عن نشاط مجموعته أمام رئيس الدير. توفي باخوميوس سنة ٣٤٦م تاركاً أديرة كانت أشبه بمخيمات عمل جماعي تنقَّل بينها الرهبان دون ضوابط.

في أواسط القرن الرابع بدأ المسيحيون يهتمون بالحياة الرهبانية في مصر، خصوصاً بعد أن نشرت حياة القديس أنطونيوس في روما حوالي سنة ٣٦٠م، فبدأ الحجّاج إلى الأراضي المقدسة يزورون مصر في طريقهم للتعرف إلى رهبانها، كما بدأ تشييد الأديرة في فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى على النمط المصري الذي وضعه القديس أنطونيوس، وكان من أشهر هذه الأديرة دير مار سابا في فلسطين الذي أُسِّس في القرن السادس وعاش فيه في القرن الثامن القديس يوحنا الدمشقي. في آسيا الصغرى أسَّس القديس باسيليوس أول دير سنة ٣٥٨م، كما بدأت الحياة الرهبانية في القسطنطينية سنة ٣٨٢م، أما في اليونان فقد أُسِّس دير جبل آثوس في القرن التاسع، وأصبح أهم مركز رهباني في أوروبا الشرقية.

في سوريا اتخذت الحياة الرهبانية طابعاً خاصاً مع القديس سمعان الملقَّب بالعمودي، إذ أمضى حياته على عمود مبشراً الآلاف، وقد حذا حذوه عدد من الرهبان في شمال سوريا في القرن الخامس.

أما في الغرب فقد تأسَّس في القرن الرابع عدد من الأديرة على يد القديس مرتينوس في فرنسا، والقديس أمبروسيوس في إيطاليا. وفي القرن الخامس شُيِّد عدد من الأديرة في جنوب فرنسا أشهرها دير جزيرة ليران (Lerins) قرب مرسيليا حوالي سنة ٤١٠م، الذي أعطى عدداً كبيراً من الأساقفة الفرنسيين في القرنين الخامس والسادس، ومنه أيضاً جاء القديس باتريك الذي أدخل الحياة الرهبانية إلى إيرلندة في القرن الخامس، وقد عرف ازدهاراً كبيراً في القرن السادس مع القديس كولومبان الذي أسَّس عدداً كبيراً من الأديرة في إيرلندة وفرنسا وإيطاليا ومهَّد لقيام أهمّ رهبنة في الغرب هي الرهبنة البندكتية.

ولد القديس بندكتس في إيطاليا ودرس في روما ثم اختار حياة العزلة سنة ٥٠٠م، وجمع حوله عدداً من الرهبان وبنى دير جبل كاسّينو سنة ٥٢٩م، ووضع قاعدته الرهبانية الشهيرة. توفي سنة ٥٤٣م، ودمَّر اللومبارديون الدير سنة ٥٨١م، فلجأ رهبانه إلى روما حيث طلب منهم البابا غريغوريوس الكبير نشر المسيحية في إنكلترا.

في القرن السابع اتبع جميع الأديرة، التي كان القديس كولومبان قد أسَّسها، القاعدة البندكتية فأصبحت كلمة راهب مرادفة لكلمة بندكتي، إذ وضع القديس بندكتس أسس الدير الغربي النموذجي الذي ارتكز على الاستقرار الرهباني، فالدير أصبح وحدة اقتصادية تؤمن اكتفاءها الذاتي وتمنح الراهب ما يحتاجه داخل الدير حيث تفرَّغ للصلاة والعمل اليدوي.

عرفت الرهبنة البندكتية عصرها الذهبي بين القرنين التاسع والثاني عشر، خصوصاً مع تأسيس ديري كلوني سنة ٩٠٩م وسيتو سنة ١٠٩٨م، وقد لعب الرهبان البندكتيون دوراً أساسياً في نقل الثقافة اليونانية والرومانية إلى الحضارة الغربية.

ومع نهاية القرن الثاني عشر اتسعت المدن الأوروبية وتطورت فيها النشاطات الاقتصادية، ممَّا حتَّم وجود نوع جديد من الحياة الرهبانية، فتأسَّست رهبانيات جديدة كالدومينيكان والفرنسيسكان تأقلمت مع النمط الجديد للحياة الأوروبية.

ومع بروز الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر نشأت رهبانيات جديدة ساعدت الكنيسة على استعادة قواعدها، وأهمها الرهبنة اليسوعية التي أسَّسها القديس أغناطيوس ده لويولا سنة ١٥٤٠م.

كريستيان الحلو

المراجع:

* * *

الحيض

الحيض، لغةً: هو السيلان. وشرعاً: هو الدم الخارج في حال الصحة من أقصى رحم المرأة من غير ولادة ولا مرض، في أمد معين، ولونه عادة السواد وهو محتدم شديد الحرارة، لذّاع محرق مؤلم، كريه الرائحة، سئل عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: (هذا شيء كتبه الله على بنات آدم).

١ ـ وقت الحيض ومدته:

يبدأ الحيض من بلوغ الأنثى، وأقل عمر للبلوغ تسع سنين قمرية تقريباً، إلى سن اليأس، وأوسطه خمسة أيام، لأن أقله ثلاث ليال وأكثره عشرة، للحديث الشريف: (أقل الحيض للجارية البكر والثيب: ثلاثة أيام، وأكثره: عشرة أيام).

وأكثر الحيض يختلف باختلاف النساء كالمبتدأة والحامل والمختلطة. فإذا خرج الدم في غير أوقاته المعتادة لمرض وغيره فهو دم استحاضة، تغسله المرأة وتصلي ويُعرف بلونه ورائحته. وأقل الطهر (مدة نقاء المرأة من الحيض) الفاصل بين الحيضتين خمسة عشر يوماً، ولا حد لأكثره باتفاق الفقهاء.

٢ ـ أحكام الحيض:

١ ـ يوجب الغسل بعد انقطاعه قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

٢ ـ البلوغ: فتصبح الأنثى أهلاً للتكاليف الشرعية بالحيض، قال عليه السلام: (لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار) فدل على أن التكليف حصل به، فإن تأخر الحيض بلغت باستكمالها سن الخامسة عشرة.

٣ ـ الحكم ببراءة الرحم في الاعتداد بالحيض، إذ الأصل في مشروعية العدة العلم ببراءة الرحم.

٤ ـ الاعتداد بالحيض، فلا تنتهي عدة المطلقة غير الحامل إلا بانتهاء الحيضة الثالثة، ما عدا الصغيرة والآيسة فإنَّ عدة كل منهن ثلاثة أشهر.

٥ ـ يعتبر الحيض مانعاً شرعياً من صحة الخلوة الصحيحة.

٦ ـ لا يقطع طروء الحيض التتابع في صيام الكفارة.

٣ ـ ما يحرم بالحيض:

يحرم بالحيض سبعة أمور:

١ ـ الصلوات كلها، قال عليه السلام: (إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة)، وسجود التلاوة.

٢ ـ الصيام فرضاً كان أو نفلاً، ويمنع الحيض صحته، وتقضي الصيام ولا تقضي الصلاة لأن ذلك يشق عليها، قالت السيدة عائشة: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة».

٣ ـ الطواف لأنه يفتقر إلى الطهارة، قال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها: (إذا حضت، افعلي ما يفعل الحاج غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري).

٤ ـ قراءة القرآن ومس المصحف وحمله، قال ﷺ: (لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن).

٥ ـ دخول المسجد واللبث والاعتكاف فيه إن لم يُؤْمَن التلويث لأنه يحرم تلويث المسجد بالنجاسة وغيرها من الأقذار، قال ﷺ: (لا أحل المسجد لحائض ولا جنب).

٦ ـ الوطء في الفرج ولو بحائل باتفاق العلماء، والاستمتاع بما بين السرة والركبة، لقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

٧ ـ الطلاق: فيحرم الطلاق أثناء الحيض ويكون بدعياً واقعاً، لما فيه من تطويل العدة على المرأة. قال ﷺ لعمر: (مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً) عندما بلغه أن ابن عمر طلق امرأته وهي حائض.

محمود أحمد كفتارو

المراجع: ٩٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢٤٥، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٢٩، ٤٧٧، ٥١٠، ٥٧٣.

* * *



الختان

الختان، لغة: موضع القطع من الذكر. وشرعاً: قطع جميع الجلدة التي تغطي حشفة ذكر الرجل حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج، ويسمى ختان الرجل إعذاراً وختان المرأة خفضاً.

١ ـ وقت الختان وحكمه: يستحب أن يكون في اليوم السابع من الولادة لمن ولد مسلماً، وبعد الإسلام لمن أسلم لقوله ﷺ: (من أسلم فليختتن). والختان في الصغر أفضل منه عند التمييز لأنه أسرع برءاً، ويكره الختان قبل اليوم السابع من الولادة، وهو واجب لأنه من شعار المسلمين فكان واجباً كسائر شعاراتهم، وقد عدّه رسول الله ﷺ من الفطرة.

٢ ـ ما يتعلق بالختان من أحكام:

أ ـ وجوب الغسل بالتقاء الختانين.

ب ـ لا بأس بالاختتان للحاج إذا لم يقطع الشعر.

جـ ـ لا يفسد الاختتانُ الصيامَ ولا يوجب الوضوء إلا إذا اختتن بنفسه.

د ـ لا يُخْتَنُ الميت إذ لا حاجة إليه لأنه للزينة وقد استغنى عنها.

هـ ـ للوصي الإنفاق على الطفل الذي في وصايته بالمعروف ومن ذلك الختان.

محمود أحمد كفتارو

المراجع: ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٢٩، ٤٥٥، ٥١١، ٥٧٣.

* * *

الخَراج

الخَراج، بفتح الخاء، وكذا الخرج، لغة: هو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم. كما يراد به الإتاوة تؤخذ من أموال الناس. ويراد به الجزية المفروضة على أهل الذمة. والخِراج ـ بكسر الخاء ـ ما حصل من ريع أرض أو كرائها، أو أجرة غلام ونحوها.

وقد تفاوتت ألفاظ الفقهاء في تعريفه. فهو عند الحنفية: خراج الأرض حقيقة، ولا يطلق على الجزية إلا مجازاً. وعند الحنابلة ما قُرِّر على الأرض من بدل الأجرة. وعند الزيدية: ما وضع على أرض افتتحها الإمام، وتركها في يد أهلها على تأديته.

وخراج الأرض، عند الحنفية، نوعان: خراج مقاسمة، وهو ما وضعه الإمام على أرض فتحها، ومنَّ على أهلها بها من نصف الخارج، أو ثلثه، أو ربعه. وخراج الوظيفة، مثل الذي وظفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أرض سواد العراق، لكل جريب يبلغه الماء صاع بر أو شعير.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٧، ٢٤٥، ٤٢٧، ٤٥٥، ٥١٠، ٥١١، ٥٥٩.

* * *

خِطبة

الخِطبة ـ بكسر الخاء ـ مصدر خطب، يقال خطب الرجل المرأة، أي طلب تزوجها، والمعنى في اللغة والاصطلاح واحد، وهي مقدمة لعقد

الزواج ووسيلة له، وليست شرطاً لصحته، وهي مباحة عند الجمهور، ومستحبة عند الشافعية، حيث خطب رسول الله ﷺ عائشة وحفصة.

وتجوز خطبة المرأة الخالية من النكاح والعدة والخطبة وموانع النكاح تصريحاً وتعريضاً. فلا تجوز خطبة زوجة الغير مطلقاً، كما لا تجوز خطبة من قام بها مانع من موانع الزواج، أما المعتدة فإن خطبتها **بالتصريح** حرام مطلقاً، بالإجماع، لقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ...﴾ [البقرة/ ٢٣٥]، ولأنها ـ إذا صرح الخاطب بالخطبة ـ ربما تكذب فتدعي انقضاء العدة. ويحرم التعريض بخطبة المعتدة من طلاق رجعي، لأنها في معنى الزوجة لإمكان عودة الزوجية بالرجعة، ولأن نكاح المطلق رجعياً قائم من جهة، ولأن المطلقة مجفوة بالطلاق فقد تكذب انتقاماً، ويجوز التعريض بخطبة المتوفى عنها زوجها أثناء العدة، دون التصريح، وذلك ليفهم مراد المُعَرِّض بالخطبة لا ليجاب، للآية: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ﴾ [البقرة/ ٢٣٥]، وهي واردة في عدة الوفاة، ولقول الرسول ﷺ لأم سلمة وهي في عدة الوفاة: (لقد علمت أني رسول الله وخيرته وموضعي من قومي).

أما المعتدة من طلاق بائن فقد ذهب المالكية والحنابلة والشافعية ـ في الأظهر عندهم ـ إلى أنه يجوز خطبتها تعريضاً، لعموم لفظ الآية، ولما روي عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها بعد أن طلقها زوجها ثلاثاً: (إذا حللت فآذنيني)، وذهب الحنفية، وهو مقابل الأظهر عند الشافعية، إلى أنه لا تجوز خطبة المعتدة بائناً تعريضاً لأن ذلك يؤدي إلى عداوة المطلق.

أما المعتدة من نكاح فاسد أو فسخ، فالجمهور يرى جواز خطبتها تعريضاً لعموم الآية، ويرى بعض الحنفية عدم جوازه إذا كان يؤدي إلى عداوة المطلق.

وجواب المرأة على خطبتها، حكمه كحكم خطبتها، حلاً وحرمة، تصريحاً وتعريضاً، على التفصيل المبين. ويكره للمحرم أن يخطب امرأة مُحْرِمة أو غير محرمة عند الجمهور، كما يكره أن يخطب الرجل غير المحرم محرمة، لحديث عثمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يَخْطب)، ولأن المراد من الخطبة عقد الزواج فإذا كان عقد الزواج ممتنعاً، كان الاشتغال بأسبابه مكروهاً، ولأنه سبب إلى الحرام، ويجيز الحنفية الخطبة حال الإحرام. وخطبة الصغيرة تكون إلى وليها، لحديث: (أن النبي ﷺ خطب عائشة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه). ويجوز خطبة الرشيدة إلى نفسها لحديث أم سلمة: أن رسول الله ﷺ أرسل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يخطبها للنبي ﷺ. ويستحب لولي المرأة عرض تزوجها على ذوي الفضل والصلاح، كما عرض الرجل الصالح إحدى ابنتيه على موسى عليه الصلاة والسلام في الآية، وكما فعل عمر رضي الله عنه حيث عرض ابنته حفصة على عثمان رضي الله عنه ثم على أبي بكر رضي الله عنه.

ويندب إخفاء الخطبة وإعلان النكاح للحديث. وذهب جمهور الفقهاء إلى تحريم الخطبة على الخطبة إذا حصل الركون إلى الخاطب الأول، لرواية عبد الله بن عمر: أن الرسول ﷺ قال: (لا يخطب الرجل على خطبة الرجل حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب)، ولأن في الخطبة على الخطبة إيذاءً وجفاءً وخيانة وإفساداً وإيقاعاً للعداوة، وحكى النووي الإجماع على أن النهي في حديث: (لا يخطب الرجل...) هو للتحريم، أما عقد زواج الخاطب على المرأة المخطوبة منه خطبة محرمة، فهو عقد زواج صحيح عند الجمهور، لأن الخطبة المحرمة لا تقارن العقد فلا تؤثر فيه، ولأنها ليست شرطاً في صحة النكاح فلا يفسخ النكاح بوقوعها غير صحيحة.

ومن أراد زواج امرأة فله أن ينظر إليها، وهو

مندوب، لحديث رسول الله ﷺ: (فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)، وقوله ﷺ: (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل).

وللمخطوبة النظر إلى خاطبها، بل هي أولى بالنظر إليه منه إليها، لأنه يمكنه مفارقتها.

ولا يشترط علم المخطوبة أو إذنها أو إذن وليها بنظر الخاطب لها، اكتفاء بإذن الشارع في الحديثين المذكورين، وقال المالكية: بأنه يكره النظر دون العلم أو الإذن لئلا يتطرق الفساق للنظر للنساء ويقولون: نحن خطاب. واشترط الحنابلة لإباحة النظر أمن الفتنة، وأما النظر بقصد التلذذ أو الشهوة فهو على أصل التحريم.

ويباح للخاطب أن ينظر ممن يسعى لخطبتها، الوجه وظاهر وباطن الكفين إلى الكوعين لدلالة ذلك على الجمال والخصب. ويندب أو يسن للمرأة الخالية أن تتزين للخاطب وأن تتحلى بالحلي والحلل ليرغب فيها. وللخاطب أن يكرر النظر إلى المخطوبة بقدر الحاجة لا يزيد عليها، وليس له مس وجهها ولا كفيها وإن أمن الشهوة، لما في المس من زيادة المباشرة، ولوجود الحرمة، ولانعدام الضرورة والبلوى. ولا تجوز الخلوة بينهما لأنها محرمة ولأنه لا يؤمن منها من الوقوع في المحظور، فإن النبي ﷺ قال: (ألا لا يَخْلُوَن رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان). وللخاطب أن يرسل امرأة تنظر إلى المخطوبة ـ فيما زاد على الوجه والكفين ـ لتعود وتصفها له، فقد روي أن الرسول ﷺ أرسل أم سليم تنظر إلى جارية فقال: (شمي عوارضها وانظري إلى عرقوبها). ومن استشير في خاطب أو مخطوبة فعليه أن يذكر ما فيه ولا يعتبر ذلك غيبة لقوله ﷺ: (إذا استنصح أحدكم أخاه فليتصحه)، وقوله: (المستشار مؤتمن)، وقوله: (الدين النصيحة). ويندب للخاطب أو نائبه أن يخطب قبل الخِطبة، لأنه أمر ذو بال وأهمية.

ولكل من الخاطب والمخطوبة الرجوع عن الخِطبة، لأنها غير ملزمة، وقال المالكية: «يكره لمن ركنت له امرأة وانقطع عنها الخُطاب لركونها إليه أن يتركها».

أما الرجوع بهدايا ونفقة الخطبة ففيه خلاف وتفصيل.

قال الحنفية: إذا خطب بنت رجل وبعث إليها أشياء ولم يزوجها أبوها، فما بُعِثَ للمهر يَسْتَرُدُّ عينَه قائماً وإن تغير بالاستعمال، أو بدله هالكاً لأنه معاوضة ولم تتم فجاز الاسترداد، وكذلك يسترد ما بعث هدية وهو قائم دون الهالك والمستهلك لأنه في معنى الهبة، والهلاك أو الاستهلاك مانع من الرجوع بها. ولو أنفق رجل على معتدَّة الغير ـ وهي مخطوبته ويطمع أن يتزوجها بعد عدتها ـ إن تزوجته لا رجوع مطلقاً بما أنفق، وإن أبت تزوجه فله الرجوع إن كان دفع لها، وإن أكلت معه فلا رجوع مطلقاً، لأنه إباحة لا تمليك، أو لأنه مجهول لا يعلم قدره.

ناصر الصالح

المراجع: ٤٥، ٧٢، ٢٠٥، ٢٦٨، ٢٧٩، ٣٧٣، ٤٩١، ٥١٠، ٥١١، ٥٤١، ٥٧٣.

* * *

الخلافة

الخلافة، لغةً، من الفعل خلفَ، فيقال: خلفَ فلانٌ فلاناً خلافة، أي جاء بعده فصار مكانه، وكان خليفته ولم يَصِر فيه غيره. والخليفة هو المُستخلف، أي مَن يقوم مقام الذاهب ويسدُّ مسدَّه، و (الهاء) فيه للمبالغة، وجمعه على الخلفاء على معنى التذكير لا على معنى اللفظ، نحو: ظريفٌ ظُرفاء.

والخلافة والإمامة ـ شرعاً واصطلاحاً ـ عند أهل السنَّة جاءتا بمعنى واحد، ويُسمى القائم بها خليفةً وإماماً. فأمّا تسميته خليفة فلكونه يخلف النبيَّ في أمته، وأما الإمام فتشبيهاً بإمامة الصلاة

في اتّباعه والاقتداء به، ولهذا يُقال الإمامة الكبرى، وهي رسالة تامة وإمارة عامة للمسلمين لرعاية شؤون الأمة وإقامة أحكام شرع الله، وحمل الدعوة الإسلامية إلى شتى أنحاء المعمورة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وبالجهاد العسكري حين تقف الحواجز المادية دون وصول الكلمة لأهلها.

بدأت الخلافة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ مباشرةً، وقد لُقب أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ، ثم درج لقب أمير المؤمنين منذ زمن عمر بن الخطّاب.

والخلافة عقد مراضاة واختيار بين الأمة وبين راعيها، لأنها بيعة بالطاعة لمن له حقُّ الطاعة من ولاية الأمر في حدود شرع الله، وبالتالي فلا بدَّ من رضى الأمة مَن يُبايَع ليتولاها ورضى المبايعين له. وتنعقد بمَن يمثلون رأي الأمة من أهل الشوكة الذين يصطلح على تسميتهم بـ (أهل الحل والعقد). ومن المقطوع به أنَّ الإجماع ليس شرطاً في عقد الخلافة.

أما الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الخليفة فهي:

- أن يكون مسلماً، فلا يُولّى غير المسلم في هذا المنصب مطلقاً.
- أن يكون رجلاً، فلا تُولّى المرأة خليفة للمسلمين.
- أن يكون بالغاً راشداً، فلا يجوز أن يكون صبيّاً.
- أن يكون عاقلاً، فلا ولاية لمجنون أو مُغفَّل.
- أن يكون عدلاً، فلا يصح أن يكون فاسقاً.
- أن يكون حراً، فلا يجوز أن يكون عبداً، لأن العبد مملوك لسيِّده.
- أن يكون سليم الحواس والأعضاء التي تمكنه من القيام بواجبات هذا المنصب الخطير.

وأضاف العلماء إليها شروط أفضلية، كأن يكون عالماً مجتهداً، ذا رأيٍ حازم، بصير بالأمور. أما القرشية فهي شرط ندبٍ لا شرط وجوب. فالرواية التي وردت بشأنها جاءت بصيغ مختلفة، ولم يرد أيٌّ منها بصيغة الأمر، وبالتالي فهي شرط أفضلية في ضوء واقع الحال، وبخاصة في العصر الإسلامي الأول، حين كانت لقريش الشوكة والمنزلة الرفيعة، أما بعد أن ضعف شأنها وتقهقر دورها في قيادة المسلمين فلم تعد الخلافة مشروطة فيها.

وقد جوَّز جمهور العلماء خلافة المفضول مع وجود الفاضل، وقالوا بمنع نصب خليفتين في آنٍ واحد، حرصاً على وحدة الأمة الإسلامية، وامتثالاً لقول الرسول ﷺ: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) إلا أنهم جوزوا ذلك في حالة الضرورة، كأن يحول حائل بين الخليفة وبين مسلمين في ديار بعيدة.

نايف معروف

المراجع: ١٥، ٧٦، ١٥٨، ٢٩٧، ٣٤٥، ٣٨٥، ٤٤١، ٥٢٠.

* * *

خلقيدونية

(المجمع المسكوني الرابع سنة ٤٥١م)

عقد المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونية، واسمها حالياً قاضي كوي من أعمال بيثنية في آسيا الصغرى (تركيا). بلغ الآباء الذين اجتمعوا فيه ٦٣٠ أسقفاً أبرزهم أناطوليوس أسقف القسطنطينية، والأسقفان باسكاسينوس ولوكنسيوس ومعهما القسّان بونيفاتيوس وباسيليوس والأسقف يوليانوس مكسيموس أسقف أنطاكية ويوخناليوس أسقف أورشليم كنواب عن لاون أوليو، بابا روما. وقد حكم هذا المجمع بإبسال افتيشيوس وديوسقدرس أسقف الإسكندرية الذي خلف كيرلس.

وسبب إبسالهما أنهما قالا بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح، وهذا مفهوم لاهوتي اعترض عليه بابا روما لاون (ليو) الذي قال: «إن في المسيح

طبيعتين كاملتين تماماً مجتمعتين في شخص واحد، وأنه لا يوجد اللاهوت الحقيقي ولا الناسوت الحقيقي بدون الآخر».

في مجمع خلقيدونية، وبالاستناد إلى دستور الإيمان النيقاوي الأول والثاني ورسالة كيرلس الإسكندري، تمَّ الحكم بالإبسال على القائلين بالطبيعة الواحدة. وكان ما صدر عن مجمع خلقيدونية وفيه: «إن الابن هو إلّه حق وإنسان حق مؤلف من نفس وجسد، وهو واحد في الوقت نفسه من جوهر كجوهر الأب من جهة لاهوته ومن طبيعة كطبيعتنا من جهة ناسوته، مثلنا في كل شيء ما عدا الخطيئة».

بهذا يكون مجمع خلقيدونية قد جسَّم موضوع المرجعية لرومة وانتزعها من الإسكندرية، حيث وصف أسقفها بالمهرطق وصاحب البدعة، كما أن هذا المجمع حرر كنيسة أورشليم (القدس) من سلطة كرسي القيصرية وأعطاها المرتبة الخامسة بين الكراسي الكبرى، وبذلك باتت الكراسي الكنسية على الوجه التالي: رومة، القسطنطينية، الإسكندرية، أنطاكية، القدس، وبعدها أصبح القائم على كل كرسي حاملاً لقب بطريرك، وتبعت الكنائس هذه البطريركيات باستثناء قبرص التي كانت أعطيت استقلالاً قبل هذا التاريخ في مجمع أفسس الذي كان قد عقد قبل ثلاث سنوات من مجمع خلقيدونية.

إن قانون الإيمان الخلقيدوني يرفض حتى يومنا هذا الكنائس المدعوة كنائس الطبيعة الواحدة، أو الكنائس اللاخلقيدونية حتى أيامنا هذه. وهذه الكنائس اللاخلقيدونية هي: كنائس الأقباط الأرثوذكس، وكنائس السريان الأرثوذكس (اليعاقبة)، وكنائس الأحباش الأرثوذكس، وكنائس الأرمن الأرثوذكس.

ولا يزال الأمر مطروحا رغم الإعلان بأن سبب التباين في الأمر فلسفي. فقد صرح الأنبا غريغوريوس، بابا الكنيسة القبطية الأسبق، في اجتماع لممثلي الكنائس في القدس عام ١٩٥٩م بما يلي: إني أتجاسر وأقرر أن كل الجدال الدائر بين الكنائس الكاثوليكية الروحانية، والبروتستانتية والخلقيدونية من جانب، وكنائس «الطبيعة الواحدة»، أو الأرثوذكسية اللاخلقيدونية من الجانب الآخر، إنما هو في جملته جدال فلسفي، أثير بسبب الاصطلاح الذي يجب أن يستخدمه المسيحيون حول نوع الاتحاد الموجود بين لاهوت وناسوت السيد المسيح.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤٥، ٤٣٧، ٤٥٦.

* * *

خلقيدونية (مجمع)
Concile de Chalcédoine

هو المجمع المسكوني الرابع في الكنيسة، انعقد من ٨ تشرين الأول إلى ١ تشرين الثاني سنة ٤٥١م بناءً على دعوة من الأمبراطور مرقيانوس، وبموافقة البابا لاوون الكبير، وذلك في مدينة خلقيدونية من مدن بتينية في آسيا الصغرى.

حضر هذا المجمع ما بين ٥٠٠ و ٦٠٠ أسقف، وفيه أعلنت عقيدة الطبيعتين في الأقنوم الواحد، أي أن المسيح كلمة الله المتجسد هو شخص في طبيعتين إلّهية وإنسانية بلا اختلاط وتغيير، وبلا انقسام وانفصال. وهذا التحديد كان موجهاً ضد النساطرة، أي أتباع نسطور، الذين يقولون إن في المسيح أقنومين كما جاء في مجمع أفسس الثاني.

وفي الوقت عينه، هذا التحديد هو ضد تعليم أوتيخا القائل إن في المسيح طبيعتين تتمازجان ولا تعودان تؤلفان إلا طبيعة واحدة، وهذا ما يسمى حصرياً بالمونوفزيسم (Monophysisme).

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٤٩٩، ٥٠٥.

* * *

خلوة

الخلوة، لغة: خلا المكان يخلو خلواً وخلاءً، وأخلى المكان إذا لم يكن فيه أحد أو شيء، وخلا الرجل وأخلى وقع في مكان خال لا يزاحم فيه، وخلا الرجل بصاحبه وإليه ومعه خلواً وخلاءً وخلوة: انفرد به واجتمع معه في خلوة، وكذلك خلا بزوجته خلوة، وامرأة خالية: لا زوج لها، والتخلي: التفرغ، ولا يخرج استعمال الفقهاء لهذا المصطلح عن المعنى اللغوي.

والخلوة بالنفس في مكان خال من الناس جائزة، وتكون مستحبة إذا كانت للعبادة، والرسول كان يخلو بغار حراء للتحنث. أما الخلوة بالغير، فهي مباحة بين الرجلين، ومباحة بين المرأتين إذا لم يحدث مُحرَّم، ومباحة بين الرجل وزوجته، والرجل ومحارمه، ومباحة بين رجل وامرأة واحدة بحضور الناس، بحيث يرونهما ولا يسمعونهما، وقد تكون الخلوة بالأجنبية واجبة في حال الضرورة، لدفع الهلاك عنها، ولكن الخلوة بالأجنبية حرام، لقوله ﷺ: (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان). والأجنبية هي من ليست زوجة ولا محرماً، والمحرم هي من يحرم نكاحها على التأبيد، بسبب القرابة أو المصاهرة أو الرضاعة. ويجوز للرجل الواحد أن يخلو بامرأتين ثقتين، ويجوز له الخلوة بعدة نساء بينهن محرم له، وله الخلوة بعدة نساء ولو لم يكن بينهن محرم. وقال الشافعية: تحرم الخلوة بين رجل وعدة نساء بدون وجود واحدة محرم للرجل، أو دون وجود رجل آخر محرم لإحدى النساء، أما خلوة عدة رجال بامرأة واحدة، فلا تجوز إلا إذا حالت العادة دون تواطئهم على الفاحشة، وتحرم الخلوة بالمخطوبة قبل إجراء عقد الزواج، وتحرم الخلوة بالأجنبية للعلاج بدون حضور محرم لها أو امرأة ثقة، لأن وجود أحدهما يمنع المحظور، وتحرم الخلوة بالأمرد الصبيح إذا خيفت الفتنة، وتجوز الخلوة بالمحرم والسفر بها إذا أمنت الفتنة، وتجوز الخلوة بالزوجة بمجرد العفة. وتعتبر الخلوة صحيحة إذا لم يوجد مانع من الوطء، لا حقيقي ولا شرعي ولا طبعي لا من جهة الزوجة ولا من جهة الزوج، والمانع الحقيقي مثل أن يكون أحد الزوجين مريضاً مرضاً يمنع الجماع، أو صغيراً أو تكون الزوجة رتقاء أو قرناء، والعنة والخصاء لا يمنعان من الوطء، وتكون خلوة العنين والخصي صحيحة، وتصح خلوة المجبوب عند أبي حنيفة لأنه يتصور منه الإيلاد بالسحق، خلافاً للصاحبين أبي يوسف ومحمد. أما المانع الشرعي، فهو أن يكون كلاهما أو أحدهما صائماً نهار رمضان، أو محرماً بحج أو عمرة، أو تكون المرأة حائضاً أو نفساء، وفي حالة الحيض والنفاس، يجتمع مانعان، مانع شرعي، أي الشرع بمنع الوطء، ومانع طبعي، لأن الطبع السليم ينفر من الجماع في حالتهما. وأما المانع الطبعي، فهو أن يكون مع الزوجين ثالث، سواء كان الثالث بصيراً أم أعمى، نائماً أم يقظان، بالغاً أم صبياً، ذكراً أو أنثى، أجنبية أو منكوحة، لأن وجود أي من هؤلاء يسبب الانقباض عن الوطء. وبالخلوة الصحيحة بين الزوجين، يتأكد مهر الزوجة المسمى بكامله، ولو لم يحصل دخول حقيقي - عند جمهور الفقهاء -، أو مهر المثل عند عدم تسمية المهر، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء/ ٢٠، ٢١]، ولقوله ﷺ: (من كشف خمار امرأته ونظر إليها وجب الصداق، دخل بها أو لم يدخل).

وقال الشافعي: إن المهر لا يتوجب بالخلوة دون الدخول الحقيقي، ويتوجب نصف المهر المسمى بالطلاق قبل الدخول لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة/ ٢٣٧]، فالمراد بالمس

الجماع، وكذلك الحكم ـ عنده ـ في عدم توجب العدة على المرأة المطلقة بعد الخلوة الصحيحة، إذا كان الطلاق قبل الدخول الحقيقي، للآية. وذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى أن العدة تجب على المطلقة قبل الدخول الحقيقي في الزواج الصحيح، لا الفاسد.

وقد حكى الطحاوي إجماع الصحابة من الخلفاء الراشدين وغيرهم، لأن الخلوة الصحيحة في الزواج الصحيح تقام مقام الدخول في وجوب العدة لأن فيها حق الله تعالى، وهو مما يحتاط في إيجابه، ولأن الخلوة الصحيحة سبب يفضي إلى الدخول فأقيمت مقامه احتياطاً. والخلوة الصحيحة بين الزوج ومطلقته ـ رجعياً ـ ضمن العدة لا تعتبر رجعة، لأنه لم يوجد ما يدل عليها لا قولاً ولا فعلاً. ويثبت النسب بعد الخلوة الصحيحة في النكاح الصحيح، إذا ولدته لأقل من ستة أشهر من حين الطلاق قبل الدخول للتيقن بأن العلوق حصل قبل الطلاق، وتترتب على الخلوة الصحيحة في الزواج الصحيح الحرمةُ، فتفيد حرمة نكاح أختها أو أربع نساء في عدتها، وحرمة زواج ابنتها، والصحيح إن ابنتها لا تحرم على زوج أمها، إلا إذا كان قد دخل بالأم دخولاً حقيقياً ثم طلقها، لقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء/ ٢٣].

ناصر الصالح

المراجع: ٢٠، ٩٦، ١٥٨، ٢٩٧، ٣٤٥، ٣٨٥، ٤٤١، ٥٢٠.

* * *

الخُمُس

الخُمُس من الشيء جزء من خمسة أجزاء منه (٢٠٪)، وفي مصطلح الفقهاء هو الجزء المفروض من الغنائم والفيء لأصناف ومصارف بيَّنها قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال/ ٤١].

وأهل السُّنَّة على أن الغنيمة ما أُخذ من الكفَّار على سبيل القهر والغلبة بالحرب، ونصيب الأمة في الثروات الطبيعية، تؤخذ فتنفق في منافعها، فالركاز يجب فيه الخمس لا الزكاة. والركاز قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض، أو المعدن، ومثله كل ثروة طبيعة كالبترول وغيره. وفي الحديث الشريف: (وفي الركاز الخمس). والخمس من التكاليف الشرعية الواجبة، ففي الحديث: (إن أعطيتم الخمس، وسهم النبي ﷺ والصفي، فأنتم آمنون).

وتعددت أقوال الفقهاء في تحديد مستحقي خمس الغنيمة، فقالت الشافعية والحنابلة: سهم لله ورسوله يوضع بعد وفاته ﷺ في مصالح المسلمين، كالجهاد، وعمارة المساجد، وأرزاق العلماء، ليتمكنوا من التفرغ للعلم، وسهم لبني هاشم وبني المطلب لقوله ﷺ: (إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام، وإنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد)، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين أهل الحاجة، وسهم لابن السبيل.

وقال الحنفية: يقسم خُمس الغنيمة ثلاثة أسهم: لليتامى، والمساكين، وأبناء السبيل.

وقالت المالكية: يضع الإمام الخمس حيث يرى المصلحة الراجحة، فيضعه في بيت المال إن شاء، أو يصرفه في مصالح المسلمين من شراء السلاح وغيره، وإن شاء دفعه لآل النبي ﷺ أو لغيرهم من المحتاجين.

وقد توسعت بعض الفرق في فقه الخُمُس فجعلته فرضاً في كل ما فاض عن حاجة المكلف، سواء اكتسبه من عمله، أو أي مورد شرعي آخر، في الحرب أو السلم.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٩٧، ٣٣٢، ٤٤١، ٤٨٦.

* * *

الخوارج

كان الخوارج إحدى الحركات المبكرة التي تشكلت في دائرة الجدل حول «السلطة»، ثم ما لبثت، بمرور الوقت، أن تشرذمت إلى فرق شتى. ورغم كفاحها المستميت ضد السلطات الإسلامية المتعاقبة فإنها لم تستطع ـ إلا في مساحات محدودة ـ أن تثبت أقدامها في الأرض وتقيم لها كيانات سياسية ذات ثقل تاريخي أسوة بالفرق الأخرى، ربما بسبب من أفكارها وأساليبها المتطرفة، واعتمادها السيف ـ في معظم الأحيان ـ حكماً بينها وبين الخصوم.

ولقد ظهرت هذه الفرقة عقب معركة صفين بين علي رضي الله عنه ومعاوية في صفر من عام ٣٧هـ، وقبول علي رضي الله عنه مبدأ التحكيم الذي نادى به جيش معاوية، حيث احتجت طائفة من أصحابه على ذلك ورفعت شعار «لا حكم إلا لله» وانشقت عن جيشه، ولذا سمي هؤلاء باسم الخوارج، وكان عددهم اثني عشر ألفاً، استطاع الخليفة أن يقنع ثلثيهم بالعودة إلى صفه، وبقي أربعة آلاف على عدائهم له، واتخذوا من بلدة النهروان قاعدة لهم، فاضطر علي إلى التوجه لقتالهم حيث دارت هناك معركة عنيفة كان على رأس الخوارج فيها عبد الله بن وهب، إلا أن علياً هزمهم هزيمة منكرة وقتل معظمهم ثم قفل عائداً إلى الكوفة.

ومنذ ذلك الوقت وحركة الخوارج تنمو وتشتبك مع السلطات بين الحين والحين، وقد وجد أصحابها في العراق وفارس مركزاً لنشاطهم ضد الدولة الأموية التي اتبع خلفاؤها معهم، منذ عهد معاوية، أسلوب الشدة والقمع، وتمكنوا بذلك من تصفية ثوراتهم المتعاقبة في شهرزور والكوفة والبصرة، زمن معاوية، وسحق فرقتيهم الرئيسيتين في بلاد فارس وهما: الأزارقة والصفرية زمن عبد الملك (٦٥ ـ ٨٦هـ).

ولكن الخوارج ما لبثوا أن نهضوا من جديد في الجزيرة الفراتية وبعض أنحاء العراق، ورأى الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) أن اعتماد الأسلوب السلمي أكثر جدوى من لغة السلاح واستنزاف الدم والمال، فكتب إلى زعيمهم شوذب «بلغني أنك خرجت غضباً لله ولنبيه، ولست أولى بذلك مني، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان بيدك نظرنا في أمرك». فأرسل إليه شوذب اثنين من رجاله يناظرانه، لكنه توفي بعد ثلاثة أيام قبل التوصل معهما إلى نتيجة حاسمة.

ولقد دفعت هذه الأحداث الكثير من خوارج المشرق إلى الهجرة إلى بلاد المغرب حيث التف البربر حولهم وأشعلوا العديد من الثورات زمن هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ) لكنه تمكن من هزيمتهم.

وما لبثوا أن ثاروا مرة أخرى في العراق والجزيرة الفراتية بزعامة الضحاك بن قيس الشيباني في عهد الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢هـ)، واستنزف قتالهم الكثير من قدرات الأمويين البشرية والمالية، وكان أحد الأسباب الرئيسية في عجز الخليفة عن مجابهة تحديات الثورة العباسية في خراسان ومن ثم سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ.

وشهدت العصور العباسية المبكرة سلسلة من الثورات التي أشعلها الخوارج ضد الخلافة، كان من أبرزها تلك التي قادها الوليد بن طريف الشاري في الجزيرة الفراتية زمن الرشيد وحقق عدداً من الانتصارات ضد جيوش الخلافة، لكنه ما لبث أن هزم.

واستأنف الخوارج نشاطهم في العصور العباسية مستغلين ضعف الخلافة، وشهدت الجزيرة الفراتية وبعض أقاليم إيران الجنوبية وبخاصة سجستان، العديد من الثورات التي أشعلوها، وقد تمكن الخلفاء من إجهاضها بواسطة أمراء الأطراف

والقوى القبلية والمحلية الموالية للخلافة.

ولم يجد الخوارج في نهاية الأمر بدأ من الانسحاب إلى الأقاليم البعيدة في شمال أفريقيا والسواحل المطلة على الخليج العربي، ووجدوا هناك مأمناً مكّنهم من مواصلة البقاء حتى العصر الحديث.

كان الخوارج يقولون بصحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في سنيه الأولى، وعلي رضي الله عنه إلى أن حكّم الحكمين. وكانوا يعتقدون أن الخلافة حق لكل عربي حر، على أن منهم من أدخل على نظريتهم بعض التعديل فشرطوا الإسلام والعدل، بدل العروبة والحرية، ولا سيما حين انضم إلى صفوفهم كثير من المسلمين من غير العرب، حيث جعلوا الخلافة حقاً شائعاً بين جميع المسلمين الأحرار والأرقاء على السواء، وخالفوا بذلك نظرية الشيعة التي تقول بحصر الخلافة في آل بيت النبي ﷺ.

عماد الدين خليل

المراجع: ١٩، ١١٦، ١١٨، ١٢٢، ١٥٣، ٢٣٩، ٢٩٦، ٤٢٥.

* * *

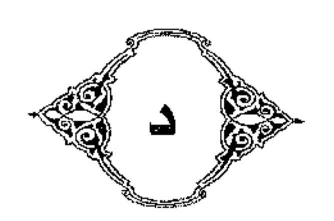
خوري، (كاهن)

الخوري لفظ يعود إلى اليونانيّة، وهو يدل على المنطقة القريبة من المدينة، على الريف. ففي تاريخ الكنيسة الأول، كان الأسقف يقيم في المدينة، والخوري في الريف. ولما تم تنظيم التراتبية الكنسية صار الخوري المسؤول عن الرعية، فحلّ محل الأسقف في الريف. أما الكاهن فلفظ يعود إلى العربية «كهن» بما في الفعل من معنى وثنيٍّ: تحدَّث بالغيب. فالكاهن عند اليهود هو الذي يقدِّم الذبائح والقرابين، وفي المسيحية، هو مَن نال درجة الكهنوت، فسُمح له بأن يمارس الأسرار مثل المعمودية والتوبة والزواج... في الترتيب الحالي. يقف الكاهن قبل الشماس، ويخضع للأسقف أو المطران، ويكون مسؤولاً عن رعية من الرعايا (مجموعة من المؤمنين)، أو عن عمل كنسيٍّ يكلفه به الأسقف أو رئيسه المحلي.

جان بول أبو غزالة

المراجع:

* * *



الدار الآخرة

هي حياة ذات طبيعة مختلفة عن الحياة الدنيا لا اختيار فيها ولا إرادة للإنسان، بل هي جزء ثواب وعقاب، نعيم خالد أو جحيم خالد، وتقابل الدار الدنيا.

والآخرة غيب ولا يعلم الغيب إلا الله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل/ ٦٥، ٦٦]، والإيمان بها أحد مقتضيات الإيمان بالله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر/ ٩].

ـ وغير المؤمنين يرون هذا الأمر عسيراً، فرد القرآن عليهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل/ ٣٨]، وقال أيضاً: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم/ ٦٧].

ـ وفي الآخرة لا تقبل المعذرة، ولا يُعتب على أحد فيما فعله، فهو يوم عقاب لا يوم عتاب: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم/ ٥٧].

ـ وللآخرة مراحل ومقامات كما ورد ذلك في القرآن الكريم:

١ ـ مقام عوامل الإعادة: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء/ ١٠٤].

٢ ـ مقام نفخة البعث (تبدل أحوال الأرض): ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر/ ٦٨].

٣ ـ مقام انفطار السماء: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار/ ١]، ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة/ ٩].

٤ ـ مقام مجيء جهنم بعد نشر الصحف: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر/ ٢٣]، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم/ ٦٨].

٥ ـ مقام توزيع الناس لفرق شتى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء/ ١٠٤].

٦ ـ مقام تأجيل المحاكمة: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ/ ٣٨].

٧ ـ مقام شفاعة السيد الأعظم بفصل القضاء: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه/ ١٠٩].

٨ ـ مقام الحساب: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة/ ١٨].

٩ ـ مقام الميزان والحسنات والسيئات: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف/ ٨، ٩].

١٠ ـ مقام الصراط: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

١١ ـ مقام الجنة والنار والخلود فيهما: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود/ ١٠٦ ـ ١٠٨].

أحمد كفتارو

المراجع: ٣٩٨/ ١

* * *

دار الإسلام

هي الدار التي يأمن فيها المسلمون، وتكون أحكام الإسلام فيها ظاهرة، إما لأن أكثر أهلها مسلمون، أو لأن الدولة فيها تطبق أحكام الإسلام وإن كان المسلمون فيها أقلية.

ولدار الإسلام أحكام:

١ ـ لا يجوز أن يمنع أحد من المسلمين من دخول دار الإسلام، وله أن يستوطن أية بقعة منها.

٢ ـ ولا يجوز لأحد من غير المسلمين أن يدخل دار الإسلام إلا بإذن من ولي أمر المسلمين، وإذا دخل فلا يجوز له أن يستوطن حتى يعقد له ولي أمر المسلمين الذمة.

٣ ـ القيادات السياسية والعسكرية والثقل الاقتصادي في دار الإسلام بيد المسلمين، ولا يجوز أن يمكَّن غيرهم من ذلك.

٤ ـ إذا اعتُدِيَ على قطر من أقطار دار الإسلام وجب على أهله الدفاع عنه، ووجب على جميع المسلمين في العالم أن يكونوا من ورائهم يُمِدُّونهم بما يحتاجون إليه من رجال وسلاح ومال، حتى يتم ردُّ المعتدين.

٥ ـ لا تتحول دار الإسلام إلى دار كفر إلا بشروط ثلاثة:

أ ـ أن تكون أراضيها متصلة بدولة كافرة، أما إن كانت البلاد الإسلامية تحيط بها من كل جانب فإنها لا تتحول إلى دار كفر حتى لا تزرع قوةٌ كافرة في قلب الوطن الإسلامي، ويجب على المسلمين العمل الدائم بجميع الإمكانيات على رفع الاعتداء عنها.

ب ـ ظهور أحكام الكفر وشعائره.

جـ ـ أن لا يأمن المسلمون فيها على أنفسهم، ويمنعون من ممارسة عبادتهم.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٢٩٥، ٣٣٣.

* * *

دار الحرب

دار الحرب: مصطلح أطلقه الفقهاء على بلاد المشركين الذين لا صلح بينهم وبين المسلمين. وقيل: كل بقعة تكون أحكام الكفر فيها ظاهرة.

والأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم السلم، وهو قول جمهور العلماء.

ويتعلق بمصطلح دار الحرب عدد من الأحكام الشرعية التي تنظم العلاقة بين المسلمين وحكومات هذه البلاد وسكانها، والأقلية الإسلامية، إن وجدت فيها.

وقد قسم الفقهاء الأحكام في شأن الهجرة من دار الحرب بحسب حال المسلم فيها:

١ ـ فالذي لا يتمتع بحرية دينية ولا يأمن على نفسه فيها تجب عليه الهجرة منها إلى دار الإسلام لقوله ﷺ: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تتراءى ناراهما) [الترمذي].

٢ ـ ولا تجب على العاجز عنها كالمريض والضعيف والنساء لقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء/ ٩٨].

٣ ـ وتستحب لمن يقدر على الهجرة، مع تمكنه من إظهار دينه في دار الحرب.

وقالت الشافعية: تحرم الهجرة على من يقدر على إظهار دينه في دار الحرب، ويقدر على الاعتزال عنهم في مكان خاص، لأن مكان اعتزاله صار دار إسلام بامتناعه.

وقالت الحنفية: لا تجب الهجرة من دار الحرب لقوله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية).

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٩٦، ٢٧٩، ٢٩٥، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٤١، ٤٤٨، ٥٧٢.

* * *

دار السلام

السلام في الأصل السلامة. يقال: سلم يسلم سلاماً سلامة، ومنه قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات. قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٧]. قال بعضهم: السلام ههنا الله،ودليله أن السلام من أسمائه تعالى كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر/ ٢٣]. وقال الزجاج: سميت دار السلام لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع ولا تفنى، وهي دار السلامة من الموت والهرم والأسقام. وقال أبو إسحاق: أي للمؤمنين دار السلام. وقال: دار السلام الجنة، لأنها دار الله عز وجل فأضيفت إليه تفخيماً كما قيل للخليفة: عبد الله.

وقول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس/ ٢٥]، دار السلام هي الجنة، والسلام هو الله، ويجوز أن تكون الجنة دار السلام أي دار السلامة والبقاء.

وبعض المدن سميت مدينة السلام تفاؤلاً، كما سمى اليبوسيون العرب القدس (أورسالم) أي مدينة السلام، وكما سمى المنصور بغداد دار السلام.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع:

* * *

دار العهد

دار العهد وتسمى (دار الموادعة) و (دار الصلح): وهي كل ناحية صالح المسلمون أهلها بترك القتال على أن تبقى الأرض بيد أهلها.

ويترتب على العهد أحكام شرعية تحكم علاقة المسلمين بالمعاهدين، وتنظم أحوال التجارة والمرور والإقامة.

ولا يجوز للمسلمين أن ينكثوا العهد أو ينهوه دون سبب شرعي، وفي حال تخوفهم من غدر المعاهدين، يجب عليهم إنذارهم قبل أن يقتصوا منهم لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال/ ٥٨].

يقول ابن كثير في تفسيره للآية: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي تستوي أنت وهم في ذلك. وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي على مهل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ أي حتى ولو في حق الكفار لا يحبها أيضاً.

وفيما ورد إجابة على الافتراء القائل بأن الإسلام يشجع الحروب، وأنه انتشر بالسيف. والأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم نبذ الحروب والعدوان ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/ ١٩٤].

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٥، ٣٠٩.

* * *

داعي الدعاة

الداعي، لغةً: هو اسم الفاعل من دعا، وهو الذي يدعو، فنقول دعاه، أي ناداه، ورغب إليه واستعانه في أمره، أو ندبه إلى أمر. أما الداعي من حيث «الدين» فجمعه دعاة، من يدعو الناس إلى دينه، أو مذهبه، أو نشر الدعوة لشخص ديني هام، أو مذهب، أو مبدأ. ومنها اشتق رؤساء الأديان «دائرة الدعاية» لديهم. وداعي الدعاة الذي نحن بصدده اسمه: عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوي، القاهري، إقامةً ووفاةً. وتاريخ ولادته غير

مذكور في جميع المصادر المختصة بذكره. أما تاريخ وفاته فهو (٥٦٩هـ/ ١١٧٤م) باتفاق جميع المؤرخين، ويقال له: الحاج بن عبد القوي، ويلقب بـ «داعي الدعاة» وهو من ألقاب التعظيم عند أصحاب العقائد الباطنية. وهذا الرجل الداعية، هو من بقايا أنصار الفاطميين بمصر. والفاطميون تبدأ دعوتهم بـ «عبد الله» الذي قتله مزاحمون له على الرئاسة. وهناك من يطلق عليه اسم «عبيد الله». وقد خلفه «عبد الله» الفاطمي. وسمى نفسه بالفاطمي نسبةً إلى «فاطمة الزهراء» ابنة النبي ﷺ. وقد استغل عبد الله الخلافات الداخلية التي نشبت بين البربر وتذمراتهم ضد الأغالبة، ليستولي على الأمر في أفريقيا، في مطلع القرن العاشر الميلادي، كما استولى على صقلية والمقاطعات التابعة لأمراء آل رستم.

وفي سنة ٩٦٩م استطاع أحد خلفائه، وهو المعز لدين الله الفاطمي، أن يستولي على مصر. وأسّس قائدهم جوهر الصقلي على مقربة من الفسطاط مدينة جديدة هي «القاهرة». وقد بقيت دولتهم حتى سنة ١١٧١م، حين حاول الصليبيون الاستيلاء على مصر، حيث أرسل نور الدين زنكي «سيِّد حلب» جيشاً بقيادة صلاح الدين الكردي، المعروف بـ «صلاح الدين الأيوبي»، حيث فتح مصر، ووضع حداً للخلافة الفاطمية. وداعي الدعاة من بقايا أنصار الدولة الفاطمية بمصر، وبعد ذهاب دولتهم، اتفق مع جماعة من الباطنية الإسماعيلية وغيرهم، وبينهم «عمارة اليمني» على اغتيال السلطان صلاح الدين، وعلم السلطان بخبرهم، فأحاط بهم وشنقهم في أماكن متفرقة بالقاهرة، وعبد الجبار في جملتهم. وقد تبع صلاح الدين بعد ذلك كلَّ من له هوًى في الدولة الفاطمية، فقضى عليه.

عبد المجيد الحر

المراجع: ٦٣، ١٣١، ٢٩٢، ٤٤١، ٤٩٨.

* * *

داود (النبي) عليه السلام

يعود داود عليه السلام من جهة النسب إلى يهوذا بن يعقوب، كان في أيام كاهن اسمه شمويل، وكان قد حلَّ الهوان والتشرد ببني إسرائيل، وبأتباع موسى، عليه السلام، حتى أنهم فقدوا التوراة وتابوت العهد وكل ما يخصهم، كما تنقل بعض المصادر التاريخية.

وكان أن قام عليهم ملك هو طالوت ليواجه أعداءهم بقيادة ملك جبّار هو جالوت، فبدأ طالوت يبحث عمَّن يستطيع مقاومة جالوت من قومه فانبرى للمهمة داود عليه السلام.

لقد جاء البلاغ عن هذا الأمر في النص القرآني فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٤٧].

بعد أن تولى داود قيادة الجيش لطالوت حصلت المبارزة مع عدوهم جالوت وتمكن منه داود فقتله وحصل الانتصار. قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة/ ٢٥٠، ٢٥١].

لقد أنعم الله تعالى على داود بالنبوة والحكمة والمُلك والاستخلاف، والقدرة في القتال، كما أنه سبحانه سخَّر له الجبال والطير تسبح معه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۞ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ/ ١٠، ١١].

إن سيرة داود عليه السلام تحمل من العبر ما تحمل، ومنها:

١ ـ إن الزهد والتسبيح والعبادة لا يمنعون صاحبهم من أداء واجبه في الإعمار والإنماء والعمل، لذلك كان اختصاص داود عليه السلام في صناعة الدروع مع الاقتصاء في الطاقة بعيداً عن الهدر والتبذير ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ/ ١١].

٢ ـ إن القيادة تحتاج، مع القدرة، إلى الحكمة، والشجاعة في قول كلمة الحق الحاسمة الفاصلة في المنازعات، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص/ ٢٠].

٣ ـ إن النصر يحتاج لصبر في المواجهة، وعلى التضحيات مع ثبات على المبادىء والحقوق دون تهاون فيها، وبذل الجهد، ومن ثم طلب النصر من الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

أما داود عليه السلام، فقد كان نبياً رسولاً، والرسالة التي حمّلها هي الزبور، وعن ذلك أبلغ الحق سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء/ ٥٥].

والزبور كتاب ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد.

والزبور، أو مزامير داود، موجودة حالياً في العهد القديم تحت اسم «سفر المزامير»، ومجموعها ١٥٠ مزموراً، والجدل حول صحتها قائم كسائر نصوص العهد القديم.

كانت وفاة داود عليه السلام بعد عمر مقداره إحدى وسبعون سنة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٨٠.

* * *

داود الظاهري (٢٠٢هـ ـ ٢٧٠هـ)

داود بن علي بن خلف الأصبهاني، فقيه وصاحب مذهب عرف به هو المذهب الظاهري، وبعدها بات يعرف باسم: داود الظاهري.

ولد بالكوفة ونشأ في بغداد وتوفي بها. أخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبي ثور وسواهما، ويؤثر عنه تأييده وحماسه للإمام محمد بن إدريس الشافعي.

اشتهر بزهده وورعه، ومن الحوادث الدالة على ذلك، ما قاله أبو عبد الله المحاملي: صليت العيد يوم فطر في جامع المدينة ببغداد، ولما انصرفت قلت في نفسي: أدخل إلى داود بن علي فأهنيه، وكان ينزل قطيعة الربيع؛ قال: فجئته، وإذا بين يديه طبق فيه أوراق هندباء وعصارة فيها نخالة وهو يأكل، فهنأته وتعجبت من حاله، ورأيت أن جميع ما نحن فيه من الدنيا ليس بشيء.

ومذهبه المعروف بالظاهري مصدره الفقهي النصوص، ولا رأي عنده في حكم من أحكام الشرع، ولذلك لم يأخذ بالرأي، ولا بالقياس، ولا بالاستحسان، ولا بالمصالح المرسلة ولا بقاعدة سدّ الذرائع، بل كان، وبعده أتباعه، يأخذون بالنص وحده، وإذا لم يكن نص على مسألة فإنهم كانوا يأخذون بقاعدة الاستصحاب، وهي أن الأصل في الأمر الإباحة ما لم يرد نص يقيّد.

إن داود بن علي الظاهري وصل إلى مذهبه هذا بتأثير الفقه الشافعي، فالشافعية يأخذون بالنصوص، يضاف إلى ذلك كثرة اشتغاله بالسنّة النبوية حيث جمع في ما خطّه ثبتاً كبيراً من الأحاديث النبوية الشريفة، وإليه ينسب مؤرخو المدارس الفقهية القول بالظاهر، وأخذ الأحكام من ظاهر الشريعة.

كان داود من عقلاء الناس. قال أبو العباس ثعلب في حقّه: كان عقل داود أكثر من علمه. أما بشأن النقاشات بين علماء الكلام والفقهاء حول

مكانة الصحابة وفضلهم، فإن داود بن علي لم يعطِ لنفسه حق المفاضلة والصحابة، كلهم أصحاب فضل، لذلك كان قوله: «أفضل الناس بعد الأنبياء أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين، ثم الأولون من الأنصار، ثم من بعدهم منهم ولا نقطع على إنسان منهم بعينه أنه أفضل من آخر من طبقته».

وحول تنزيه الذات الإلّهية، وعندما كان النقاش دائراً حول ما جاء في القرآن الكريم من أنه تعالى سميع بصير، فإن داود لم يخض في الأمر، وكان موقفه كموقف الشافعي وهو أن الله تعالى سميع بصير، ولا نقول يسمع ولا يبصر، لأن الله تعالى لم يقله، ولكن سميع بذاته، بصير بذاته.

وقد وقف موقفاً وسطياً معتدلاً حيال من قال من المسلمين أو اجتهد في أمر خالف فيه سواه، ولم يحكم بكفر مثل هذا الشخص. وذهب داود ابن علي الظاهري إلى أنه لا يكفر ولا يفسّق مسلم بقولٍ قاله في اعتقاد أو فتيا، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور، على كل حال، إن أصاب الحق فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد.

كان أبرز من عمل على نشر المذهب الظاهري، من تلاميذ داود، ابنه أبو بكر محمد بن داود، وقد انتشر مذهبه في القرن الرابع الهجري في المشرق وكثر أتباعه حتى ضاهى مذاهب أبي حنيفة والشافعي ومالك، بعدها خبا المذهب ليظهر في المغرب، وكانت مكانة المذهب في المغرب بفضل عالم مبتكر من علماء المذهب الظاهري هو ابن حزم الأندلسي في القرن الخامس الهجري. ومن ثم لم يلبث المذهب الظاهري أن أخلى مركزه حيث لم يبق له أتباع، ولكن ذلك لم ينتقص من موقع المذهب بين المذاهب الفقهية في العبادات والمعاملات بحيث لم يغب المذهب عن أي من دراسات الفقه المقارن، وقد بات معقلاً من معاقل التراث الفقهي الإسلامي الذي يرجع إليه المجتهدون والمستفتون، وليس أقل شأناً في هذا الباب من سائر المذاهب.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٥١، ٣٨٠، ٥٨١.

* * *

الدَّاوية: فرسان الهيكل (Milites Templi)

منظمة من الفرنجة كان لها دور عسكري في حروب الفرنجة (الصليبيين)، وقد تأسست عام ١١١٩م، وكان اللقب الرسمي لها: فرسان المسيح، أو فرسان المعبد، أو فرسان الهيكل، وسماها مؤرخو تلك المرحلة من العرب: الدَّاوية، لذلك اشتهرت بهذا الاسم.

أسس هذه الجماعة في القدس الفرنسيان: هيج دي باينز وجودفري دي سانت أومير، أما التوجيه المعتمد فيها فهو ما كان من قواعد وضعها القديس برنارد كليرفو.

جمعت الداوية النقيضين، إذ أنهم أعلنوا أنهم يحيون حياة رهبانية عمادها الفقر والتقشف، وفي الوقت نفسه كانوا من أكثر عسكر الفرنجة شراسة في كافة المعارك التي اشتركوا فيها. بعد تسع سنوات من تأسيسهم ميّزوا أنفسهم بارتداء الثوب الأبيض وعليه صليب كبير باللون الأحمر وتحولوا إلى القتال، وقد حصلت حالات نزاع ومواجهة بين الداوية والأسبتارية رغم وحدة الأهداف، ولم يكونوا ينتمون لكنيسة محددة لكنهم كانوا على صلة مع الفاتيكان والبابوية، وخياطة الصليب الأحمر من القماش على أثوابهم البيضاء كان بعد موافقة البابا يوجين.

وعند هزيمة الفرنجة (الصليبيين) ورد أن الداوية كانوا معتمدين كقوة دفاعية في أكثر من موقع. فقلعة الشقيف القريبة من النبطية في الجنوب اللبناني سقطت عام ١٢٦٨م بعد حصار دام خمسة أسابيع، وكان يدافع عنها الداويون، وكذلك

سقط حصن الأكراد في سوريا عام ١٢٧١م بعد حصار دام أسبوعين وكان بيد الداوية.

كما أن عكا سقطت بيد السلطان الأشرف ابن قلاوون وخليفته بعد شهر من المقاومة عام ١٢٩١م وكان يدافع عنها ٩٠٠ رجل من فرسان الهيكل أو الداوية. وهناك ذكر للداوية في معارك عسقلان وغزة ودمياط والمنصورة وسواها.

بعد رحيل فلول الفرنجة حين سقوط عكا رحل الداوية إلى فرنسا وعملوا منذ العام ١٣٠٢م بالتجارة والأعمال المصرفية وبات لهم نفوذ أزعج الملك فيليب الرابع، وكان هذا الأخير في حالة غير ودية مع البابا فانتقم من الداوية وبدأ بملاحقتهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم حتى كان عام ١٣١٢م حين أصدر البابا كليمنت الخامس، بناءً لطلب الملك فيليب الرابع، مرسوماً بابوياً يقضي بحل هذه الجماعة، وأن حرماً كنسياً سيلحق كل من سيرتدي زيَّها وملابسها بعد، وتمَّ توزيع ممتلكاتها إلى جماعات أخرى في فرنسا والبرتغال، وكان لجماعة الأسبتارية أو فرسان القديس يوحنا أو فرسان مالطة اليوم نصيب من ذلك.

هكذا تكون الداوية إذن قد انتهت، ولم يعد لها وجود وتكون قد استمرت حوالي مئتي سنة (١١١٨م - ١٣١٢م).

أسعد السحمراني

المراجع: ١٣٠، ١٤٩، ٢٢٢، ٥٤٥، ٥٥٠.

* * *

الدروز

يتوزع الدروز حالياً في مناطق جبل الدروز (جبل العرب) في جنوب غربي سورية، وجنوبيّ جبل لبنان، وبعض القرى في وادي التيم على سفوح جبل حرمون (الشيخ)، وفي قرى صفد، وسفح جبل الكرمل في فلسطين، وتوجد جماعات صغيرة في غوطة دمشق وجهات حلب، في الجبل الأعلى.

وينتمي غالبية الدروز إلى أصول عربية، إضافة إلى عائلة جنبلاط من العائلات الدرزية الوجيهة، فهي كردية الأصل، وتنسب إلى «جانبولاد» ابن الأمير قاسم الكردي المتوفى سنة ١٥٧٢م، وكان حاكماً على كلس وعزاز. ويلاحظ أن لهجتهم عربية فصحى، وحافظ رجالهم ونساؤهم على نطق الحروف بمخارجها الصحيحة.

ويذكر المؤرخون أن الدروز في غالبيتهم ينتمون إلى اثنتي عشرة قبيلة عربية، هاجر بعضها من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي وبعضها بعده، وحملوا معهم عداوات تلك القبائل وتنافسها، وكانت بينها مصادمات بين القيسيين واليمنيين يمكن الرجوع إليها في كتب التاريخ.

أما عقيدتهم فهم يكتمونها عن جميع الناس، بمن فيهم فئة «الجهال» منهم، بالمعنى الاصطلاحي للكلمة عندهم. ولذلك فالكتابات القديمة عن عقيدة الدروز، كتبها في معظمها إمَّا أعداؤهم أو محايدون دفعهم حب الاطلاع إلى الغوص فيما يجهلون، وربما حَوَت كتاباتهم أموراً عجيبة غريبة. أما كتبهم فهم يخفونها، ولا يزالون يعتمدون نسخها لكي لا يطلع عليها أحد فيما لو جرى طبعها.

وبما أن الدروز لا يبوحون بمعتقداتهم، ومن خطة هذه الموسوعة أن يكتب أتباع كل عقيدة عن عقيدتهم، نكتفي بالمتفق عليه مما نشره بعض مثقفيهم حديثاً، ولم يلاق اعتراضاً منهم، وذلك لإعطاء فكرة عامة عن طائفة ذات فعالية في دول المشرق العربي، ولها تاريخ حافل في بلاد الشام.

تقول الدكتورة «نجلاء أبو عز الدين» في كتابها «الدروز في التاريخ» تحت عنوان: مذهب الدروز: «نشأ مذهب الدروز في أحضان العقيدة الفاطمية. ومحور هذه العقيدة الإمام المنصوص عليه، والمهدي بهداية إلّهية، إن النظرة إلى الإمام بصفته حامل النور الإلّهي لازمتها فكرة الرجعة، ذلك أنه عندما يحين الوقت سيعود القائم، أو المهدي المنتظر، ليملأ الأرض عدلاً ويبسط ملكوت الله على الأرض... كان الدعاة قد مهدوا الطريق لإظهار الدعوة التي تبناها الحاكم بأمر الله، ومجالس الحكمة، التي كانت تعقد بانتظام إلى سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م، والتي قطعت لفترة قصيرة ثم أعيدت، بشَّرت بقرب ظهور القائم المنتظر، وكشف مذهب التوحيد، حسبما جاء في كتب الدروز الدينية حيث تكثر الإشارات إلى هذه المجالس».

وقد تأثرت العقيدة الدرزية بالمذاهب الصوفية، والفلسفة اليونانية (الأفلاطونية)، والهندية، ولا نستطيع تحديد بداية الدعوة بدقة، ولكن المعروف أنها كشفت سنة ٤٠٨هـ وأقفل بابها سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م أو ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م. ومنذ ذلك التاريخ لا يقبلون منتسباً جديداً.

«في مستهل العام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م كشف عن مذهب التوحيد حين قرىء سجل من الإمام الحاكم يدعو الناس إلى كشف عقائدهم بلا خوف ولا تستر. ولما تجلى اللاهوت بالحاكم ـ وسيرد معنى التجلي لاحقاً ـ انتقلت الإمامة إلى حمزة الذي وصل إلى القاهرة سنة ٤٠٧هـ قادماً من الشرق، فهو حمزة بن علي بن أحمد الزوزني (نسبة إلى زوزن، مدينة في خراسان من بلاد فارس)، جمع حمزة حوله الدعاة ومساعديهم ورتبهم في

منازلهم... وفي سنة ٤٠٧هـ حضروا جميعاً إلى القاهرة.

وفي سنة ٤٠٩هـ توقفت الدعوة لانقسام حدث بين المستجيبين حيث تبع فريق منهم نشتكين الدرزي والغريب أن الدروز ينسبون إليه ويحملون اسمه، وهم يتبرؤون منه، وهم الذين قتلوه بأمر من الحاكم في مستهل سنة ٤١٠هـ، وذلك بعد ارتداده وبعد أن أدخل على الرسائل حشواً كثيراً وتزييفاً كبيراً، وقد اشترك معه في ذلك أعوانه: سُكين - لاحق - مَحَّلا - سهل - ابن أبي حصيَّة - ابن معلاَّ - البرذعي - الحبال. ولذلك يفضل الدروز أن يُسموا «الموحدين».

إن رسائل بهاء الدين، بالإضافة إلى رسائل حمزة، وعدد قليل كتبه إسماعيل التميمي، ثاني الحدود، مع بضع رسائل من مصادر أخرى - مجموع المكتشف منها مئة وأحد عشر رسالة - تدعى الحكمة الشريفة. وهي أي «رسائل الحكمة» و «السجل الفاطمي» و «المصحف الفاطمي» و «المصحف المنفرد بذاته»، تعدُّ بهذا التسلسل أهم كتب الدروز الدينية. وعقيدة الدروز في التوحيد لا تختلف عنها عند الفاطميين. «والواحد الذي لا سبيل إلى إدراك لاهوته تجلى في ظهورات، في أدوار، أولها دور العلي الأعلى، تبعه سبعون دوراً بلغ مجموع سنيها ٣٤٣ مليون سنة حتى ظهور البار، وكان الحاكم آخر مقام للتجلي... وليست المقامات تجسيداً أو حلول الإله في البشر، بل تجليات وظهورات، مثل انعكاس الصورة في المرآة، فإن الصورة لا تحل في المرآة. وتتكرر في رسائل الحكمة عبارة «من لا يدخل في الخواطر والأوهام» الذي جعل عجز العقول عن تحديد توحيده للعارفين برهاناً».

ومعرفة الحدود عنصر أساسي في مذهب الدروز، والحدود جواهر روحانية لها مثلها في عالم الحس، وقد تمثلوا في زمن الحاكم بأشخاص على الوجه التالي، بحسب الأهمية وليس بحسب التسلسل الزمني:

١ - العقل الكلي: حمزة بن علي بن أحمد الزوزني.

٢ - النفس الكلية: إسماعيل بن محمد التميمي.

٣ - الكلمة: أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي.

٤ - السابق: سلامة بن عبد الوهاب السامُرِّي.

٥ - التالي: بهاء الدين علي بن أحمد الطائي.

وتوصي كتب الدروز بخصال سبعة هي كالفرائض، أولها: صدق اللسان، وثانيها: حفظ الإخوان، وثالثها: ترك عبادة العدم والبهتان. ورابعها: التبرؤ من المعتقدات التي تنافي التوحيد والبراءة من الأبالسة والطغيان. وخامسها: الاعتقاد بأن مذهب التوحيد كان في كل عصر وزمان. وسادسها: الرضى بفعل الله كيفما كان. والسابعة: التسليم لأمره في السر والحدثان.

أما ممارسة الشعائر، وإن لم يكن فرضاً ملزماً، فإن مسلك التوحيد يوصي بالحفاظ على سنن الشريعة وتكاليفها. يقول بهاء الدين في رسالة البنات الكبيرة: «واعلمن أنما تسقط مكلفات الشرع عن الجوارح والأجسام إذا عمل المؤمن بفكره في حفظ العلوم والحقائق الإلّهية المؤدية إلى التوحيد».

ويعتقد الدروز أن نفوس البشر خلقت كلها دفعة واحدة، وعددها ثابت لا زيادة فيه ولا نقصان، وعند الموت تنتقل النفس إلى جسد آخر، فالجسد ليس سوى قميص للنفس، ومن هنا جاءت كلمة «التقمص»، ولا تنتقل النفس البشرية إلا لبشر، وما يثار غير ذلك ويشاع حول التقمص فهو افتراءات وتكهنات.

وقد كان المستجيب عند دخوله الدعوة يكتب على نفسه الميثاق، وهو العهد الذي يلتزم به بملء إرادته بلا إكراه أو إجبار، وهو بتمام عقله وصحة جسده، وهو مالك التصرف بنفسه ليس مستعبداً لأحد، فمن اختار الدخول وهو بهذه الصفات يكتب الشهود العدول عليه الميثاق، ويشهدون فيه،

ولا يكتب الميثاق إلا على كل واحد بمفرده.

ويحرص الدروز على كتمان عقيدتهم عمن سواهم لسببين، كما يقولون: الأول، هو التقيّة، وهي ستر المعتقد إذا تعرض الفرد أو الجماعة لخطر بسببه، وهم عاشوا في بيئة لا تعتقد معتقدهم. والثاني: هو الحفاظ على العقيدة لكي لا تصل إلى الذين لم يتهيؤوا لقبولها، فيسيؤوا تفسيرها، ويشوهوا حقيقتها.

ومن الجدير ذكره «أن الوصية بشأن حفظ أسرار الحكمة وردت بعبارات تكاد تكون واحدة في كل من السجل الفاطمي، وكتب الحكمة عند الدروز، ورسائل إخوان الصفاء الذين يشاركهم الدروز في كثير من المعتقدات. ولذلك يقسم المجتمع الدرزي إلى فئتين: عقَّال وجهَّال، تبعاً لسلوكهم في المقاييس الدينية. ومن صفات العقال: ضبط النفس، والاعتدال، والزهد في الدنيا، ورفض المناصب، وبعضهم يفرط في التقشف والزهد لدرجة أنه يمتنع عن الزواج، أو عن معاشرة زوجته بالاتفاق معها إن كانت من العقَّال.

وأما الجهال: فهم عكس العقال في صفاتهم، ولا يعني وصفهم بالجهل بُعدهم عن العلم والمعرفة. ويسعى العقال إلى إرشاد الجهال إلى السلوك الذي يؤهلهم للاطلاع على الكتب الدينية. ويتصف الدروز بحسن المعشر، واللياقة في الكلام، والابتعاد عن بذيء القول، وإكرام الضيف، ومن لا يتصف بذلك فيهم ممقوت منهم. ولا يزالون يولون الأنساب والألقاب أهمية بالغة، ففيهم الأمراء، والمشايخ، والعامة، بحسب انتسابهم التاريخي.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٤٠، ٢١٦، ٢٥٢، ٣٨٢، ٤٧٥، ٤٧٦.

* * *

دستور الإيمان النيقاوي

يحتل هذا الدستور مكانة رئيسة في اللاهوت المسيحي، وهو نص تقرُّ به كل الكنائس منذ تاريخ صدوره عام ٣٢٥ للميلاد، بعد مجمع كنسي مسكوني عُقد في مدينة نيقية، اسمها اليوم أزنيق، بآسيا الصغرى (تركيا اليوم) بدعوة من الأمبراطور قسطنطين الثاني الذي كان قد اعتنق المسيحية قبل ذلك.

كان قد ظهر آريوس في مصر زمن قسطنطين الثاني، وأعلن ما وجد فيه بعض الأساقفة مخالفة وهرطقة؛ فقد قال بأن المسيح مخلوق والروح القدس مخلوق، وبذلك يكون قد أنكر ألوهية السيد المسيح. فكان أن دعا قسطنطين لمجمع مسكوني للبحث في الأمر بتشجيع من بعض آباء الكنيسة الذين حضروا هذا المجمع، ومن أبرزهم: ألكسندروس أسقف القسطنطينية، وأوسيوس أسقف قرطبة، والكاهنان ثيتون وفكنديوس مندوبا سلفستروس بابا رومة، وألكسندروس بطريرك الإسكندرية، وأفسطاثيوس بطريرك أنطاكية، ومكاريوس أسقف أورشليم وسواهم.

وترجح المصادر أن من حضروا كانوا ٣١٨ أسقفاً، وحضر كذلك عدد من الكهنة والشمامسة، وقد دامت جلسات المجمع سبعة وتسعين يوماً، بين العشرين من أيار (مايو) ٣٢٥ والخامس والعشرين من آب (أغسطس) من السنة نفسها، وبعد هذا المجمع صدر نص يحدد لاهوت المسيح، وقد تبناه قسطنطين الثاني وأمر بالخضوع له، ونفى كل أسقف امتنع عن الإيمان بهذا الدستور أو بأي من قرارات المجمع النيقاوي، وكان آريوس أول المنفيين.

وإذا كانت الكنيستان الغربية الكاثوليكية والشرقية الأرثوذكسية متفقتين على أن المسيح مولود غير مخلوق من الآب، فإنهما اختلفتا حول انبثاق الروح القدس الأقنوم الثالث، فالكنيسة الكاثوليكية تقول بأنها تؤمن بانبثاق الروح القدس من الآب والابن، بينما تقول الكنيسة الأرثوذكسية بأن الروح القدس انبثق عن الآب فقط، وعلى أساس ذلك كان الانقسام بينهما عام ١٠٥٤م.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤٥، ٢٨٢، ٤٥٦.

* * *

الدعاء

الدعاء، لغة: النداء. ودعاء العبد ربه عبادة واستغاثة واستعانة وإيمان، يدل ذلك على الخضوع والتضرع وحسن الرجاء وصدق الظن بالله. جاء في الحديث: (الدعاء مخ العبادة)، وجاء أيضاً: (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء)، وقد جاء الأمر الألهي بالدعاء لأنه عبادة في مواطن كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/ ٦٠]، وكقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة/ ١٨٦]، وفاتحة الكتاب دعاء، والعبادات أفعال وأدعية كالصلاة والحج، والمؤمن يدعو ربه في السراء والضراء، ويحدثنا القرآن عن طائفة كبيرة من الناس يسيئون استعمال الدعاء واستغلاله، فهم لا يعرفون الله إلا عند الكارثة كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس/ ١٢]، وقد جاء في الحديث: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تُعَجَّل له دعوته، وإما أن يؤخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر، قال: الله أكثر). والدعاء راحة وطمأنينة، فالمؤمن عند مصيبته يؤمن بقوة غيبية، يرى نفسه ملتجئة إلى من بيده النفع والضرر وخاصة عند

اشتداد البأس، وتعاظم اليأس، فيدعو الله صاحب القوة العليا، ويستغيث به، وعند ذلك تفتح في وجهه أبواب الرجاء، وتنزل عليه السكينة بعد الاضطراب، فاليأس يقطع السعي ويشل التفكير، وقد يصل الإنسان إلى الانتحار، ولذلك نرى كثرة الانتحار في قوم لا يؤمنون، فالرجاء الذي يحدثه الالتجاء بالدعاء يعطي المضطر قوة جديدة، ويهديه إلى طرق جديدة يسلكها في إعادة السعي حتى ينجو من الخطر، وإذا دعا العبد ربه في نعمة أو طلب نعمة فإنه زيادة في إيمانه وذكره لربه.

وللدعاء آداب منها: أن يدعو الله وهو موقن بالإجابة، وأن يستحضر عظمة الله عند الدعاء وضعفه وحاجته لمعونة الله، وأن يفكر بما يدعو، وأن يكون الدعاء موافقاً لسنن الله في الكون من غير تعدٍّ عليها، فلا يطلب ولداً من غير زواج، ولا دنيا من غير عمل، وأن يخفض صوته، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٥، ٥٦].

ولا بد للدعاء من طهارة القلب، ويفضل معها طهارة الجسد والمكان، كما يفضل الدعاء في الأوقات والأماكن المخصوصة الشريفة، وقد حوى القرآن الكريم والسنة الشريفة مئات الأدعية المأثورة، ويفضل الداعي أن يدعو بها، فإن لم يستطع فبما تجود به سليقته وحاله دون تكلف السجع وترتيب الألفاظ، فإنما الأعمال بالنيات.

بسام الصباغ

المراجع: ٢٤٩، ٢٩٥، ٤٨٦.

* * *

الدعوة

الدعوة لغة: المناداة، فدعوت فلاناً ناديته، والنداء هو الأصل في معنى «دعا» مطلقاً ولو من الأعلى للأدنى كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء/ ٥٢]، ومنه الطلب من الأدنى إلى الأعلى، بمعنى الدعاء والدعوة كقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة/ ١٨٦]، وقد تختص بطلب الحضور، وقد تشير إلى ما يدعو إليه الداعي، فتطلق على الدين والمذهب حقاً كان أم باطلاً كقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد/ ١٤]، أو تطلق على دعوة الطعام والشراب، أو الدعوة إلى النسب كقوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب/ ٥]، والمنسوب لغير أبيه يقال له: الدعيُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب/ ٤]، والدعوة الأذان والإقامة، وفي الحديث: (... الدعوة في الحبشة)، ولذلك يقول المجيب: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة)، ولها اشتقاقات واستعمالات متعددة وباختصار: إن كلمة دعوة تفيد لغوياً: المحاولات القولية والفعلية من أجل تحقيق هدف أو عمل، عن طريق المناداة والطلب والإلحاح بجهد وعمل، فهي طلب الاستجابة والإقبال على المنادي.

والدعوة في اصطلاح الفقهاء لها عدة معان لا تخرج عن المناداة وطلب الاستجابة والإقبال على المنادي، فمن معانيها: الدعوة: بمعنى طلب الدخول في الدين والاستمساك به، وقد تطلق على الدين أو المذهب، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد/ ١٤]، وفي كتاب النبي ﷺ إلى هرقل: إني أدعوك بدعاية الإسلام. ويطلق على الأديان والمذاهب الباطلة أنها دعوات، كدعوات المتنبئين، وأرباب المذاهب المبتدعة، كالدعوات الباطنية التي أكثرت من استعمال هذا المصطلح ومشتقاته. وإذا أطلقت في كلام الفقهاء فالمعني بها دعوة الحق وهي الدعوة الإسلامية كقولهم في أبواب الجهاد: «لا يحل لنا أن نقاتل من لم تبلغه الدعوة إلى الإسلام»، وورد هذا المصطلح في حديث النبي ﷺ أنه أمر علياً حين أعطاه الراية يوم خيبر وبعثه

إلى أن يدعوهم، وهو ممن بلغتهم الدعوة، فعلم الدعوة أصبح علماً مستقلاً له موضوعه وخصائصه وأهدافه وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية يفيدها ويستفيد منها، ويشاركها في إفادة الإسلام، برسم طريق منهجي يكفل له الانتشار والذيوع. ومن الدعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والموعظة، والإرشاد.

وحكم الدعوة فرض لازم لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل/ ١٢٥]، وكقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف/١٠٨]. وحثت العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ دعوة الإسلام، وما الجهاد في سبيل الله إلا جزء من الدعوة ولتبليغ دعوة الله بشروط، ولم يقاتل المسلمون عدوهم في يوم من الأيام إلا بعد تبليغ دعوة الإسلام، وأن تكون هذه الدعوة واضحة وبكل الوسائل الممكنة حتى تحقق القناعة لدى من توجه إليهم الدعوة بمختلف الوسائل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء/ ١٥]، وقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة/ ٩٢]، وقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

والدعوة التي تعني الإسلام اعتقاداً وسلوكاً وتبليغاً واجب عيني على كل مسلم قادر عليها ووجد الفرصة سانحة لبيانها، وهي أيضاً واجب كفائي تقوم به جماعة المسلمين، تتعمق في دراسة جزء أو ناحية أو علم ينبغي أن يعرف من أمور الإسلام.

وتهدف الدعوة الإسلامية إلى عبادة الخالق وطاعته ومعرفته ومحبة مخلوقاته كما أمر الله، والإحسان إليهم.

وللدعوة طرق وأساليب أهمها: أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل/١٢٥]، ويراعى فيها التدرج والاستطاعة، وأن تكون واضحة بينة.

والداعي يجب أن يتخلق بأخلاق الإسلام حتى تنسجم أعماله مع أقواله، اعتقاداً وسلوكاً ودعوةً، وأن لا يترك وسيلة للتبليغ ولا فرصة إلا طرقها مع إخلاص لله وصبر وحلم وعقل وحكمة.

بسام الصباغ

المراجع: ٣٣، ٩٢، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٠٧، ٤٤١، ٤٦٢، ٤٨٦، ٥١٠، ٥١٢، ٥٤٨.

* * *

الدم عند شهود يَهْوه

إن جماعة شهود يَهْوه، الذين طرحوا هرطقات عديدة، دخلوا عالم الطبِّ، وأثاروا فيه إشكالية هي مسألة نقل الدم لمريض أو مصاب حيث رفضوا ذلك واعتبروه حراماً، وقالوا بأن عقيدتهم تقضي بأن لا ينقل دم لمريض، ومن فعل ذلك مع أحدهم يكون قد اعتدى على معتقده حتى لو أن هذا الإجراء بعدم نقل الدم قاد إلى وفاة المريض.

يقول جماعة شهود يَهْوه في هذا الأمر، وهم يخاطبون الجسم الطبي: «يجب أن يقدِّر الطبيب أن شهود يَهْوه ليسوا متعصبين دينيين انتحاريين يعارضون كل العناية الطبِّية، وبالأحرى هم أناس أدبيون منطقيون توَّاقون إلى البقاء أحياء، وهم يحبون الحياة والصحة الجيِّدة، ولهذا السبب يطلبون العناية الطبية ذات الأهلية، ولكن يجب أن يفهم الطبيب أيضاً أن شهود يَهْوه فكَّروا بجدٍّ في معتقداتهم الدينية، وهم مقتنعون تماماً بأنهم وعائلاتهم يجب أن لا يقبلوا الدم. ولذلك، عند مواجهة هذا الرفض لقبول الدم، ينبغي للهيئة الطبية أن لا تعتبر ذلك نزوة عاطفية يمكن تجاهلها. إنه

اقتناع ديني مهم يجب احترامه».

والسؤال من أين أتى شهود يَهْوه بهذا الموقف؟ إن مصدر الفكرة توارتي، حيث جاء في نصوص يهود التوراتية إن نفس الإنسان والحيوان منبثة في دمه، وأن من أخذ دماً من آخر كأنما أخذ جزءاً من نفسه، وفي الوجه الآخر أن أكل الدم حرام، وفسروا نقل الدم لمريض بأنه إطعام الدم له، علماً أن نقل الدم ليس إطعاماً، كما أن الدم الذي جاء النص بتحريمه هو الدم المسفوح من الذبائح لأن بعض الشعوب كانت تأكله.

جاء في سفر اللاويين (الأحبار) ما يلي: «وأي رجل من آل إسرائيل، ومن الغرباء الدخلاء فيما بينهم، أكل دماً أجعل وجهي ضد النفس الآكلة الدم وأقطعها من بين شعبها، لأن نفس الجسد هي في الدم ولذلك جعلته لكم على المذبح ليكفِّر به عن نفوسكم لأن الدم يكفِّر به عن النفس. لذلك قلت لبني إسرائيل لا يأكل أحد منكم دماً، والغريب الدخيل فيما بينكم لا يأكل دماً. وأي رجل من بني إسرائيل ومن الغرباء الدخلاء فيما بينكم صاد صيداً من الطير أو الوحش اللذين يؤكلان فليرق دمه ويغطه بالتراب. لأن نفس كل جسد هي دمه، إنه بمنزلة نفسه، ولذلك قلت لبني إسرائيل لا تأكلوا دم جسد ما إذ نفس كل جسد هي دمه فكل من أكله يقطع».

أخذ شهود يَهْوه هذه النصوص اليهودية وحمَّلوها فوق ما تحتمل، ليطرحوا إشكالية لا مبرر لها إلا نظرية: «خالف تعرف».

وحاول شهود يَهْوه أن يقولوا بأن فعلهم هذا هو طاعة لله وتضحية بالجسد، جاء عندهم: «فرغم الاعتقاد عموماً أن شرب دم إنسان آخر ينفع صحة المرء، عرفوا أن الصحة الجيدة دائماً، جسدياً وروحياً، تتوقف على الطاعة لله».

وفي كل مناسبة يؤكدون ذلك، وقد حصلت حوادث عديدة يعرفها الأطباء والعاملون في المستشفيات تمسك فيها شهود يَهْوه بموقفهم رغم أن ذلك أدى إلى هلاك المريض. ومن الحكايات في هذا الباب أن مولودة صغيرة احتاجت للدم وكان أبواها من أتباع شهود يَهْوه أصرا على رفضهما إعطاءها الدم فما كان إلا أن استعان الأطباء بالقضاء حيث أخذوا إذناً بذلك وخالفوا إرادة أهل الطفلة وأنقذوا حياتها.

يقولون: «شهود يَهْوه اليوم مصممون.. على المحافظة على علاقتهم الجيدة بالله، ولذلك سيستمرون في إطاعة الكتاب المقدس بالامتناع عن الدم».

أسعد السحمراني

المراجع: ٢٢٦، ٣٢٠، ٣٢١، ٤٢٦.

* * *

الدهرية

من فرق أهل الغلوِّ، نفوا الربوبية وجحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا أن العالَم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، وكذلك كان، وكذلك يكون أبداً.

الدهريون ينكرون النبوة والبعث والحساب، ويردون كل شيء إلى فعل الأفلاك، ولا يعرفون الخير ولا الشر، وإنما المنفعة واللذة.

والطبيعيون الدهريون خلاف فلاسفة الدهريين. فالأولون يقولون بالمحسوس وينكرون المعقول، بينما يقول الآخرون بالمحسوس والمعقول معاً، وينكرون الحدود والأحكام، وقد وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية/ ٢٤].

محمد الإسكندراني

المراجع: ٣٧٧، ٣٧٨، ٥٢٤.

* * *

الدية

الدية، لغة: مصدر ودى، يدي القاتلُ القتيلَ إذا أعطى لوليه المال المتوجب بدل النفس، ثم سمي المال المعطى دية. وفي الاصطلاح كذلك هي المال الذي يعطى بدل النفس أو فيما دونها، وتسمى الدية عقلاً لأنها تعقل الدماء أن تراق.

والدية مشروعة في القرآن: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [النساء/ ٩٢]، والسنة: حديث أبي بكر بن محمد بن حزم عن أبيه عن جده في الديات والفرائض. وأجمع أهل العلم على وجوبها، والحكمة هي صون الآدمي عن الهدم ودمه عن الهدر.

والديات على أنواع: منها دية النفس ودية الأعضاء، ودية مغلظة، ودية غير مغلظة. ويشترط لوجوب الدية أن يكون المجني عليه معصوم الدم باتفاق الفقهاء، فإذا كان حربياً مهدور الدم أو مستحق القتل قصاصاً أو حدّاً فلا تجب الدية بقتله، ولا يشترط إسلام المجني عليه لتوجب الدية أو إسلام الجاني، كما لا يشترط العقل والبلوغ في أي منهما حتى أن الدية تجب بقتل المجنون وتجب في ماله. وأسباب وجوب الدية، القتل بأنواعه، الخطأ وشبه العمد، والعمد. ففي القتل الخطأ تجب الكفارة والدية، وتجب الدية على عاقلة الجاني، وليس على الجاني خلافاً للمبدأ والأصل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام/ ١٦٤]، لقضاء رسول الله وإجماع الصحابة بأن دية القتل الخطأ على العاقلة، ثم لأن جنايات القتل الخطأ كثيرة، والدية كبيرة. وفي إلزام القاتل خطأ بالدية إجحاف وإرهاق له، فيكتفى بمشاركته في أدائها عند بعض الفقهاء، وتجب مائة من الإبل، أخماساً، حقة وجذعة وبنت مخاض وبنت لبون وابن مخاض ذكر، للحديث، أو ألف دينار باتفاق الفقهاء، واثنا عشر ألف درهم فضة عند جمهورهم. والدية في القتل شبه العمد، مغلّظة، وهي مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها لحديث رسول الله ﷺ، وتجب على العاقلة، لشبهة عدم قصد القتل، لأن القتل يتم بما لا يقصد به القتل عادة أو لا يقتل عادة، للحديث.

أما القتل العمد فيجب فيه القصاص لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة/ ١٧٨]. فمن قتل شخصاً عمداً عدواناً دون حق يقتل قصاصاً باتفاق الفقهاء. والدية لا تجب في القتل العمد، إلا إذا لم يكن قصاص، بالتراضي، أو لسقوطه بسبب، وهذا عند جمهور الفقهاء، وقيل: إن الدية عقوبة أصلية إلى جانب القصاص، ويخير ولي القتيل بينهما ولو لم يرض القاتل، والدية في القتل العمد مغلظة وتجب على الجاني وليس على العاقلة ولا تؤجل، والعفو عن القصاص مرغوب شرعاً، والعفو عن القصاص مجاناً أفضل من العفو عنه مع طلب الدية، والعفو عن القصاص هو حق أولياء القتيل، فإذا عفوا جميعاً، يسقط القصاص. وقيل تسقط الدية أيضاً، إلا بالتراضي بين الفريقين، لأنه ليس للأولياء، الذين عفوا عن القصاص، أن يلزموا الجاني بالدية دون رضاه، وقيل: لا تسقط الدية تبعاً لإسقاط القصاص، لأن ولي القتيل مخير بين القصاص والدية، فإذا سقط القصاص، كانت له الدية، لقوله ﷺ: (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يودي وإما أن يقاد).

وإن عفا بعض الأولياء فقط عن القصاص، سقط القصاص، بالنسبة للباقين بالضرورة، لأن القصاص لا يتجزأ، ولكن يبقى لمن لم يسقط القصاص، الدية بنسبة نصيبهم منها، لما روي عن بعض كبار الصحابة بمحضر من الصحابة دون منكر فكان إجماعاً. وليس للمجنون والصغير العفو عن القصاص، لأنه تصرف ضار ضرراً محضاً لا يملكه أي منهما. وإذا مات القاتل سقط القصاص ولا تجب الدية، لفوات المحل ولأن القصاص هو الواجب في القتل العمد، وقيل: تجب الدية في تركة الجاني، لأن الولي مخير بينهما، فإذا فات

محل القصاص بموت الجاني، بقي حق الولي في الدية، أو لأن الدية بدل عن القصاص فإذا سقط القصاص بموت الجاني، وجبت الدية، وتجب الدية على الوالد والجد، إذا قتل ابنه، لسقوط القصاص لقول الرسول ﷺ: (لا يقاد الأب من ابنه) والجد في حكم الأب. ويجب القصاص على الابن في قتل أبيه عمداً بالإجماع، والدية تؤدى من الإبل، والدنانير والدراهم، ويلحق بها ـ عند بعضهم ـ البقر والغنم. ودية الذكر المسلم دية كاملة، ودية المرأة المسلمة نصفها، وكذلك دية الكتابي الذمي والمعاهد، والصحيح عن الحنفية أن دية المسلم والذمي والمستأمن سواء، لتكافؤ الدماء ولقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ [النساء/ ٩٢]، ولأن الرسول ﷺ قضى بدية حرَّين مسلمين في قتل مستأمنين، ولقضاء أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، في دية ذمي قتل بمثل دية المسلم، ودية المرأة غير المسلمة مثل دية المرأة المسلمة.

وأما في الاعتداء على ما دون النفس، كقطع الأطراف وإتلاف المعاني والجروح، فقد اتفق الفقهاء ـ في الجملة ـ على أن في قطع ما لا نظير له في البدن كالأنف واللسان دية كاملة، وفي قطع ما له نظير واحد، كالأذنين، واليدين، والرجلين، نصف الدية إذا أتلف أحدهما، وفيه الدية كاملة إذا أتلف الاثنين، وفي إتلاف ما له نظائر، الدية كاملة إذا أتلفت كلها، وجزء من الدية إذا أتلف أحدها. ففي إتلاف إصبع واحد من الأصابع العشرة، عُشر الدية، والأصل في ذلك ما جاء في الكتاب الذي كتبه رسولنا ﷺ إلى أهل اليمن: (إن في النفس الدية وفي اللسان الدية وفي الأنف الدية إذا أوعب جدعه)، ولأن إتلاف عضو لا نظيرَ له في الشخص، كإتلاف النفس من وجه، وعليه ففي قطع كامل الأنف دية كاملة، وكذلك في قطع كامل اللسان. ولا تجب الدية في قطع لسان الأخرس بل تجب فيه حكومة عدل، لأنه لا يتكلم، فإذا ذهب بقطع لسان الأخرس ذوقُه وجبت الدية، وتجب في قطع لسان الصغير الذي لم يتكلم بعد دية كاملة، وإذا بلغ عمراً يتكلم أمثاله فيه ولم يتكلم ـ فهو كالأخرس ـ لا دية فيه، وإنما حكومة عدل، وتجب الدية في قطع كامل الحشفة ـ هي رأس الذكر ـ كما تجب في قطع كامل الذكر.

أما قطع ذكر الخصي ففيه الدية لأنه عضو سليم قادر على الإيلاج، وقيل فيه حكومة عدل، لأن ذكر الخصي معدوم بعض منافعه من إنزال وإحبال.

أما قلع العينين ففيهما دية كاملة. (وفي قلع واحدة نصف الدية للحديث: (وفي العين خمسون من الإبل)، وتجب حكومة عدل في قلع العين العوراء، وفي قلع العين السليمة للأعور، دية كاملة، لقضاء عمر وعثمان وعلي وابن عمر دون مخالف فكان إجماعاً. ولأن قلع العين السليمة للأعور يذهب بالبصر كله، وقيل: في قلعها نصف الدية للحديث: (وفي العين خمسون)، ولأن في إيجاب دية كاملة، إيجاب بدية ونصف، في العينين. أما في الأذنين، فدية كاملة. وفي إحداهما نصف الدية للحديث: (في الأذن خمسون من الإبل) أي نصف الدية، فيكون في الاثنتين كمال الدية. وقيل: تجب دية كاملة إذا ذهب السمع مع القطع، وإذا لم يذهب السمع ففي قطعهما حكومة عدل.

وفي قطع اليدين دية كاملة وفي الواحدة نصف الدية للحديث: (وفي اليدين الدية وفي اليد خمسون من الإبل). وفي قطع اليد الواحدة أو اليدين الشلاء حكومة عدل، لعدم وجود تقدير شرعي فيها، وكذلك الحكم في الرجلين وإحداهما صحيحة أو شلاء.

وقد أورد الفقهاء الحكم التفصيلي لكل الحالات، في مسلك الغائط والبول، والأنثيين والبيضتين واللحيين والثديين والإليتين والشفتين والحاجبين والشفرين، وإشفار العيون، وأصابع اليدين وأصابع الرجلين، والأسنان، والعقل والنطق والسمع والبصر والذوق والشم والجماع، والجراح

والشجاج، وكل ذلك سنداً لحديث الرسول، والاجتهاد والرأي.

والديات تتعدد. فمن قطعت يداه ورجلاه ولم يمت، وجبت له ديتان كاملتان، وقضى عمر بن الخطاب لمن اعتُدِيَ عليه فذهب عقله وبصره وسمعه وكلامه - مع بقائه حياً - بأربع ديات، لأن في ذهاب منفعة كل منها دية كاملة، أما إذا أدى الاعتداء على ما دون النفس، إلى الموت، تداخلت الجناية والجنايات على ما دون النفس، بالجناية على النفس، فوجبت دية واحدة كاملة، كما لو قطع - خطأً - رجليه ويديه، ثم قتله خطأً، أو مات متأثراً بقطع أطرافه، لم تجب إلا دية النفس كاملة.

ناصر الصالح

المراجع: ٢٠، ٧٢، ٩٦، ٩٧، ٢٠٥، ٢٠٦، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٨٩، ٤٩١، ٥١٠، ٥٣٨، ٥٧٢.

* * *

الدير

الدير هو المبنى أو مجموعة المباني التي يضمها حيّز جغرافي واحد، تعد لإقامة الرهبان والراهبات المتنسكين الذين كرّسوا حياتهم للعبادة وخدمة الدين. وتطلق اللفظة كذلك على صومعة الراهب.

ويرى ابن منظور، صاحب لسان العرب، أن اللفظة في الأصل واوية وليست يائية، والجمع أديار وديورة وديارات وأديرة، بينما يرى كل من ابن سيده في «المخصص»، والمعلم بطرس البستاني في «محيط المحيط» أن الأصل يائيٌّ وليس واويّاً، لأن لا مسوغ لقلب الواو ياء، ولأن جموع التكسير ترد الأشياء إلى أصولها. ومن الدارسين من يرجع باللفظة إلى أصل آرامي ومعناها البيت أو المنزل (تاج العروس)، ومنهم من يعود بها إلى أصل سرياني (دائرة المعارف الإسلامية المعربة ٩/ ٣٥٨، ٣٥٩).

وقد يسمى الدير أيضاً العُمْر، وجمعه أعمار، وقد اشتهر بهذه التسمية عمر مار يونان بالأنبار، وعمر نصر بسامراء، وعمر الزعفران بنصيبين. وفي «تاج العروس»: العمر - بالضم - المسجد، والبيعة والكنيسة، سميت باسم المصدر لأنه يعمر فيها أي يعبد. والعمر كذلك الموضع الذي يخدم فيه الرب، كما يرى ياقوت الحموي (٤/ ١٥٤).

وقد نشأت الأديار وتكاثرت مع نشوء تيار الترهب وتناميه في القرن الرابع الميلادي بفعل تجمع الناس، والمتزهّدين بخاصة، حول بعض النساك والزهاد، فأخذوا يقيمون الأديرة التي تشبه الحصون والقلاع.. ثم ما لبثت أن وضعت التشريعات والقوانين تنظم الأديرة والحياة فيها.

ولا بد من التفريق بين الدير والكنيسة، فالأول مكان إقامة، يقيم فيه الرهبان والمنقطعون إلى العبادة، وقد ينزل فيه الضيفان والمسافرون والمرضى، وأبناء السبيل، بينما الكنيسة بيت عبادة فحسب يتلاقى فيه الناس المسيحيون، رهباناً، وكهنة ومدنيين (عاديين)، لأداء شعائر العبادة أيام الآحاد والأعياد وفي أوقات الصلوات، وفي المناسبات الاجتماعية المتصلة بالشعائر الدينية، كالزفاف... والمعمودية... والجنازات، ويعودون بعد انتهائها كلٌّ إلى حيث يقيم، وتقفل الكنيسة أبوابها، أو في الأقل تخلو من الناس، في غير تلك الأوقات، ولا يقيم فيها أحد قط، وإن أقام في حرمها كاهن أو راهب أو خادم، فإنما تكون الإقامة في بيت ملاصق للكنيسة أو مجاور، أعدَّ لهذا الغرض. فالكنيسة بيت عبادة والدير مقر إقامة.

ويؤيد هذا التفريق عبارة (تاج العروس ١١/ ٣٥٥) التي تقول: «الدير خان النصارى» ومعروف أن لفظة «خان» تعني «النُزُل» أو ما يشبه «الموتيل» اليوم. وهذا ما سعى إليه المقريزي دفعاً للبس بين الدير والكنيسة بقوله في (الخطط ٢٠٩): «الدير يختص بالنساك المقيمين به، والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة» الأمر الذي لم ينتبه إليه ياقوت

الحموي، عندما قال: «الدير بيت يتعبد فيه الرهبان» (معجم البلدان ٢/ ٤٩٥).

ولا بد في كل دير كَبُر أم صغُر من كنيسة يصلّي فيها رهبان الدير والمقيمون فيه. وقد يضم الدير غير كنيسة واحدة، تكون كل منها على اسم قديس من القديسين، كدير الزعفران (عُمْر الزعفران) الذي يذكر أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي في كتابه (الديارات ص ٢٤١) أنه كان يضم ثلاث كنائس، ودير طور سينا (القديسة كاترينا) وقد تضمن كنائس عدة، ودير أنطونيوس في وادي عربة في مصر، وفيه خمس كنائس.

وإلى جانب الكنائس، هناك الصوامع والقلاّيات التي يقيم فيها الرهبان والنساك، وقد بلغت العشرات في بعض الأديرة والمئات في بعضها الآخر، وقد جاوزت في بعضها الألف عداً.

ومن الأديرة ما كان للراهبات كدير الخوات، ودير العذارى بين سُرَّ من رأى وبغداد، ودير مرّان في سفح جبل قاسيون، ودير هند الصغرى في الحيرة، ودير المعقلة في مدينة مصر. ومنها ما كان للرهبان كدير الجاثليق ببغداد، ودير الأعلى بالموصل، ودير البُخْت بدمشق، ودير مريحنا على دجلة إلى جانب تكريت، ودير الزعفران (عُمر الزعفران) بنصيبين.

ولا يخلو دير من الأديرة الكبرى من «خزانة كتب» يطالع فيها الرهبان المؤلفات الدينية والأدبية والعلمية المختلفة، وكانت تلك الخزائن مجتمع الباحثين من الرهبان؛ فيها يطالعون، ويؤلفون، وينسخون، نذكر منها على سبيل المثال خزانة دير طور سينا (القديسة كاترينا) التي تحتوي نفائس المخطوطات النادرة باللغات العربية، واليونانية، والقبطية، والسريانية، والحبشية، ويرتقي بعضها إلى القرون الأولى للمسيحية.

ولا تخلو الديارات الكبيرة من دور ضيافة ينزلها زوار الدير والمجتازون به، والمسافرون، وقد شيدت دور الضيافة تلبية لإرادة السلطة الإسلامية التي حثت المقيمين على الأديار على استضافة من يمر بهم من المسلمين ثلاثة أيام، مثل دير مريحنا بالقرب من تكريت، ودير سمعان بأنطاكية، ودير مران بالقرب من دمشق، وسواها.

وتضم الأديار المباني التي لا يستغنى عنها، كمخازن المؤن، والمطابخ، وبيوت الطعام، وغيرها من المرافق الضرورية. كما كانت تقوم إلى جانب الأديار الحانات يقدم أصحابها الخمور للمرتادين، وتعقد فيها مجالس الشراب والسماع التي لم تكن تخلو من الخلاعة والمجون، وقد أقبل الشعراء والمجان على تلك الحانات يلهون فيها ويمرحون.. ويقولون الشعر في وصف مجالس الشرب والغناء وما كان يتخللها من قصف ومجانة.

وقد التبس أمر هذه الحانات، وما كان يدور فيها من قصف ولهو، وما خلفه فيها الشعراء من أبيات تناولت مجالس الشراب، والمغنين والجواري والغلمان، حتى ظن بعضهم أن الأديرة ليست سوى هذه الحانات تقدم فيها الخمور.. وتمارس فيها المحرمات مع أن الحانات كانت تقوم بالقرب من الأديرة، داخل السور أو خارجه في بعض الأحيان، ويستفاد هذا مما ذكره الشابشتي في وصف بعض الأديار التي ذكر أخبارها؛ يقول في وصف دير مار جرجس ببغداد (ص ٤٥): «وهو على شاطىء دجلة والبساتين محدقة به، والحانات مجاورة له...». ويقول في دير سابر، وهو في إحدى قرى بغداد التي يصفها بقوله (ص ٣٥): «وهي عامرة نزهة كثيرة البساتين والفواكه والكروم والحانات والخمارين معمورة بأهل التطريب والشرب». وعندما يأتي على ذكر الدير (دير سابر) يقول: «والدير حسن عامر لا يخلو من متنزه فيه، ومتطرب إليه».

وقد حفل الأدب العربي بالكثير من تلك الآثار الفنية، حتى أفرد لها باب خاص عرف بأدب

الديارات، برزت فيه أسماء أعلام مشهورين من شعراء وناثرين، كأبي نواس، وكشاجم، ومطيع بن إياس، والحسين بن الضحاك، ومحمد بن أبي أمية الكاتب وغيرهم من أصحاب اللهو والمجون. ويورد «الشابشتي» في كتابه «الديارات» الطريف من أخبار هؤلاء المجان وحكايات تهتكهم.

وكما حوت الأديرة بيوت ضيافة، وأماكن لهو واستجمام، كانت مصحات ومستشفيات يقصدها الناس طلباً للشفاء من بعض الأمراض. فدير الجُبِّ شرقي الموصل، كما يذكر ابن فضل الله العمري في «المسالك ١/ ٣٣٥» يقصده الناس للشفاء من الصرع، ودير الأعلى بالموصل يقصده الناس، كما يذكر ياقوت الحموي (٢/ ٤٩٨)، يستحمون في عين مياه كبيرة تحته فيبرأون من الجرب والحكة ومن بعض الأمراض الجلدية الأخرى. ودير زكي القريب من الرقة كان مصحاً لمن أصابهم مس أو جنون كذلك ما ذكر عن دير هزقل أو (حزقيال)، الذي ضرب المثل بنزلائه من المجانين، كما يتضح ذلك في بيت لدعبل الخزاعي قاله في هجاء ثابت ابن يحيى كاتب المأمون:

فكأنه من دير هرقل مفلت
جرد، يجر سلاسل الأقياد

[البدور المسفرة، ص ٣٤].

ودير الكَلَب بنواحي الموصل الذي كان يحمل إليه من عضه كلب كَلِبٌ فيبرأ.

كذلك كانت الأديار معارض ومتاحف للفنون والتصاوير، كما كانت لها مزارع وحقول منتجة تؤدِّي إلى بيوت المال ما عليها من ضرائب. وكان الخراج يجبى من الديارات وملحقاتها ومزارعها كما يجبى من سائر الأملاك والضياع.

وهكذا كان للأديار غير وجه واحد؛ فإلى جانب كونها مساكن للرهبان والزاهدين، كانت متنزهات يؤمها الناس مستجمين في المواسم والأعياد، ومنازل ينزلها المسافرون يستريحون من عناء الأسفار، ومزارع تنتج الحبوب، والفاكهة، والأعناب، ومعاصر للزيت والعنب، وحانات تعقد فيها مجالس الشراب والسماع، يقصدها الشعراء وطلاب اللهو، ومصحاتٍ ومشافي، يأتيها المرضى للعلاج، ومراكز أبحاث، وخزائن كتب ومخطوطات، ومعارض لوحات وتصاوير، وهذا ما جعل الدارسين والمؤرخين يولونها الاهتمام فيؤلفون فيها العديد من الأسفار التي لم يصلنا منها إلا القليل.

أسعد السكاف

المراجع: ٢، ٩٩، ١١٥، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٧٨، ٤٤١، ٤٦١، ٤٨٣، ٥٠٠، ٥٣٩، ٥٨٤.

* * *

الدِّين

الدِّين، لغةً، من الفعل دانَ. يُقال: دانَ دِيناً وديانةً، أي خضع وذل وأطاع، وهو اسم لكل ما يتديَّن به الإنسان. وإذا كان الدين هو اسم لجميع ما يُعبد به الخالق العظيم، فإنَّ من معانيه أيضاً: المِلَّة، والعادة، والشأن. ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة/ ٤].

والدِّين شرعاً، هو الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ من عند الله، وهو الشرع المقبول عنده، ولا يرضى ديناً سواه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ..﴾ [آل عمران/ ١٩]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران/ ٨٥]، والإيمان به هو اعتقادٌ بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل الجوارح بالأركان.

علماً أن التديُّن فطرة فطر الله عليها النفس البشرية، ولا يستطيع الإنسان التخلُّص منها، لأنه لا يطيب له عيش ولا يهنأ له بال إلا في ظل دين يلتزم به، يستقر معه، ويطمئن إليه، سواء أكان هذا الدين

وضعياً أو سماوياً. ومن هنا فلم يخلُ مجتمع بشري من ظاهرة التدين في مختلف العصور والأمصار. إلا أن هذه الغريزة لا يُركن إليها، إذ تحتاج إلى مرشد يقويها ويوجهها في الاتجاه الصحيح، فكان أن منح الخالق الإنسان عقلاً يفكر به، وأرسل إليه الرسل لهدايته ليكونا حجة على من تصل إليه الرسالة، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٦٥]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء/ ١٥].

نايف معروف

المراجع: ١٧٥، ١٩٣، ٢٤١، ٤٤١.

* * *



الذبح

الذبح، أو الذكاة، أو التزكية، لغة: القطع، أو الشق، وإزهاق روح الحيوان. أما في الاصطلاح فقد تفاوت الفقهاء في تعريفه، وذلك تبعاً للواجب قطعه في كل مذهب. فعند الحنفية والمالكية هو فري العروق، وهي عندهم: الحلقوم ـ مجرى الحلق ـ، والمريء ـ مجرى الطعام والشراب ـ، والودجان ـ عرقان عظيمان في جانبي العنق ـ. وعند الشافعية والحنابلة، الذكاة ذبح حيوان مقدور عليه مباح أكله بقطع الحلقوم والمريء.

والذبح شرط حل الأكل في الحيوان البري المأكول، لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة/ ٣]. والحكمة من الذبح: حفظ صحة الإنسان العامة بدفع الضرر عن الجسم عبر فصل الدم عن لحم الحيوان، فهو مركز لتجمع كثير من الأوبئة والجراثيم، فضلاً عما في الذبح من تنبيه لتحريم الميتة، لبقاء دمها.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٦، ١٩٧، ٢٨٨، ٣٠٩، ٣٨٤، ٤٠٤، ٤٢٠، ٥١٠، ٥١١، ٥٧٣.

* * *

الذريعة

الذريعة، لغة: الوسيلة التي يتوصل بها إلى الشيء، سواء كان حسياً أو معنوياً، خيراً أو شراً.

وفي اصطلاح الأصوليين، هي: الموصل إلى الشيء الممنوع، المشتمل على مفسدة، أو الشيء المشروع، المشتمل على مصلحة.

وأكثر ما يطلق اسم الذرائع على الأفعال والطرق المؤدية إلى الشر والفساد، ولهذا إذا قيل: سد الذرائع: فيراد سد الطرق، ومنع الأفعال المؤدية إلى الشر والفساد. وإن كثيراً من الأعمال والتصرفات الممنوعة شرعاً، لم تقصد بالمنع في نظر الشارع لذاتها، بل إنما منعت على خلاف مقتضى الأصل فيها، لأنها قابلة أن تكون طريقاً مفضية إلى أمر ممنوع شرعاً، ولو عن غير قصد، وهذا نظر فقهي تشريعي إلى مآلات الأفعال.

ومبدأ سد الذرائع مشهود له بالصحة بأدلة من الكتاب والسُّنَّة وعمل الصحابة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام/ ١٠٨]، وكما في نهي النبي ﷺ عن الاحتكار، ونهيه الدائن عن قبول الهدايا من المدين، سداً لذريعة الربا، وكما في توريث الصحابة من طلقها زوجها في مرضه، سداً لذريعة حرمانها من الإرث. وهذا المبدأ باب واسع يتصل بسياسة التشريع، فيعتبر فرعاً من الاستصلاح، وقد أخذ به كثير من الأئمة المجتهدين، وأكثرهم أخذاً به الإمامان مالك وأحمد.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٣٥، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٦٤، ٩٣، ٣٧٩، ٤٥٩، ٤٧٢.

* * *

الذكر

الذكر، حسب ابن منظور في «لسان العرب»، ذكر الشرف والصيت، ورجل ذكير: جيد الذكر والحفظ. والذكر في التنزيل وفق الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٌ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف/ ٤٤]، أي القرآن شرف لك ولهم، وقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح/ ٤]، أي شرفك. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت/ ٤٥]، الذكر هنا الصلاة. ويكون الذكر الدعاء إلى الله والثناء عليه، وقيل: الذكر الصلاة، والذكر قراءة القرآن، والذكر التسبيح، والذكر الدعاء، والذكر الشكر، والذكر الطاعة.

والذكر، حسب المصطلح والمعتمد عند الصوفيين وسواهم، بات تعبيراً مخصوصاً يطلق على كلمات الأوراد التي يكررها المؤمنون في تقديس الله تعالى وتسبيحه وتهليله والثناء عليه سبحانه بجميع محامده، وقد ورد أمر الله تعالى في ذلـــك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب/ ٤١، ٤٢]، وجاء قوله تعالى في وصف المؤمنين والتعريف بهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران/ ١٩١].

وفي الحديث الشريف: (خير الذكر، الخفي). ومن تفسيرات الصوفية لهذا الحديث أن الذكر يشتمل على الأسماء وينظم في أوراد، وأن معنى الذكر الخفي الذي جعله الرسول ﷺ في أعلى مرتبة، هو ذلك الذكر الذي يكون الاتصال فيه مباشراً بين العبد والرب فتقترب العبودية من الربوبية.

ويقول الكلاباذي: حقيقة الذكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر، لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف/ ٢٤]، يعني إذا نسيت ما دون الله فقد ذكرت الله. وقال بعضهم: الذكر طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة فأنت ذاكر وإن سكتَّ.

وعند النووي: الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظنَّ به الرياء، بل يذكر بهما جميعاً ويقصد به وجه الله تعالى.

وأضاف النووي: اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى فهو ذاكر لله تعالى. وقال عطاء رحمه الله: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتنكح وتطلق وتحج وأشباه ذلك.

ومما جاء في هذا المعنى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلَّيا أو صلَّى ركعتين جميعاً كُتبا في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات). هذا حديث مشهور رواه ابن ماجه والنسائي وأبو داود في سننهم.

وهناك حضٌّ للمسلم أن يقصد مجالس الذكر، وأن يشترك فيها، وفي ذلك فضل كبير. وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقد أخرجه ابن ماجه في سننه وسواه: أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا)، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: (حِلق الذكر، فإن لله تعالى سياراتٍ من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفّوا بهم).

وفي حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: (لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده).

وقد جاءت أحاديث نبوية شريفة عديدة تحدد وصفاً للذكر من باب التوسعة في ذلك، وكي تكون الفرص السانحة كثيرة أمام العبد ليتقرب إلى الله تعالى؛ من هذه الصيغ الحديث الذي أخرجه

البخاري وفيه، قال رسول الله ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم).

إن الذكر الذي يلي أداء الفرائض هو أفضل أنواع السلوك كي ينال الإنسان مرضاة الله، والذكر الذي يقوم على الإخلاص القلبي يحصن الإنسان من الانحراف، ويقوّي حالة الضبط الذاتي. فمن كان ذاكراً لله لا يخالفه. ومن موجبات الذكر المحصِّن للإنسان من الزيغ أن يقترن بالعلم والتفكر. والذكر هو مفتاح الحال عند الصوفيين، وهو سبيل اطمئنان قلبي لكل مؤمن انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد/٢٨].

إن الذاكر قد ينفعل أثناء أدائه للذكر فيكون في حالة وجدانية خاصة لا يشاركه فيها أحد ويشترط عليه في هذه الحالة أن لا يصدر منه أو عنه ألفاظ أو حركات فيها تجاوز للضوابط الشرعية وحدود الله وإلا وقع في الشطحات. وقال أبو حامد الغزالي عن هذه الحالة:

وكان ما كان مما لست أذكره
فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

أسعد السحمراني

المراجع: ٢٩، ١٦٩، ١٧١، ٢٢١.

* * *

ذو القرنين

ورد ذكره في سورة الكهف عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف/ ٨٣]، وقد اختلف في اسم ذي القرنين على أربعة أقوال:

أحدها: عبد الله، قاله علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وروي عن ابن عباس أنه عبد الله بن الضحاك.

الثاني: الإسكندر، قاله وهب.

الثالث: عياش، قاله حميد بن علي بن الحسين.

الرابع: الصعب بن جابر بن القلمس، حكاه ابن أبي خيثمة.

وفي سبب تسميته بذي القرنين عشرة أقوال:

أحدها: أنه دعا قومه إلى الله تعالى فضربوا قرنه فهلك، فغبر زماناً ثم بعثه الله فدعاهم إلى الله عز وجل فضربوه على قرنه الآخر فهلك، فذانِك قرناه. قاله علي رضي الله عنه.

الثاني: أنه سمّي بذي القرنين لأنه سار إلى مغرب الشمس وإلى مطلعها. رواه أبو صالح عن ابن عباس.

الثالث: لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

الرابع: لأنه رأى في المنام كأنه امتدَّ من السماء إلى الأرض وأخذ بقَرْني الشمس، فقصَّ ذلك على قومه فسمّي بذي القرنين.

الخامس: لأنه ملك الروم وفارس.

السادس: لأنه كان في رأسه شبه القرنين. رُويت الأقوال الأربعة عن وهب بن منبه.

السابع: لأنه كانت له غديرتان من شعر. قاله الحسن.

الثامن: لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت ذوي شرف.

التاسع: لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس وهو حي.

العاشر: لأنه سلك الظلمة والنور، وذكر هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة أبو إسحاق الثعلبي.

واختلفوا في كونه نبياً أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه كان نبياً، قاله عبد الله بن عمرو والضحاك بن مزاحم.

والثاني: أنه كان عبداً صالحاً ولم يكن نبياً ولا ملكاً. قاله علي رضي الله عنه. وقال وهب: كان ملكاً ولم يوحَ إليه.

وفي زمانه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه من القرون الأُوَل من وَلَد يافث بن نوح. قاله علي رضي الله عنه.

والثاني: أنه كان بعد ثمود. قاله الحسن، ويقال: كان عمره ألفاً وستمائة سنة.

والقول الثالث: أنه كان في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ. قاله وهب بن منبه. والله أعلم.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٧٤، ١٩٧، ٣٧٣.

* * *

ذو الكفل (عليه السلام)

لم تحمل المصادر في أية حقبة بُعث، ولا من هم قومه. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الأنبياء في قول الله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۞ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء/ ٨٥، ٨٦].

وقيل: إنه لما شاخ أليسع قال: لو أني أستخلف رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، فجمع الناس، ثمَّ قال: من يتكفَّل لي بثلاث أستخلفه: يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب؟ فقام شاب لا يدلُّ مظهره على حقيقة حاله وقال مكرراً: أنا أعمل ذلك، فاستخلفه.

وفي تفسير القرطبي عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال: (إن ذا الكفل لم يكن نبيًّا، ولكنه كان عبداً صالحاً فتكفَّل بعمل رجل صالح عند موته، وكان يصلي للّه تعالى كل يوم مائة صلاة، فأحسن الله الثناء عليه).

وقيل فيه: كان رجلاً عفيفاً يتكفَّل بشأن كل إنسان وقع في بلاء أو تهمة أو مطالبة، فينجيه الله تعالى على يديه.

وقيل: سمِّي ذا الكفل لأن الله تعالى تكفل له في سعيه وعمله بضعف عمل غيره من الأنبياء الذين كانوا في زمانه.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤١٣.

* * *

ذوو الأرحام

الأرحام جمع رحِم، وهو بيت منبت الولد ووعاؤه، ومجازاً القرابة. وذو الرحم الأقارب. ويراد بذوي الأرحام عند الإطلاق لدى الفقهاء: الأقارب. وعند الفرضيين: من ليسوا بذوي سهم ولا عصبة، ذكوراً أو إناثاً.

والرحم نوعان: رَحِمٌ مَحْرَمٌ ورحم غير محرم. وضابط الأول: كل شخصية بينهما قرابة لو فرض أحدهما ذكراً والآخر أنثى لم يحل لهما أن يتناكحا، كالإخوة والأخوات. والرحم غير المحرم، من لا تتحقق فيهم المحرمية، كبنات الأعمام وبنات الخالات.

وصلة الأرحام واجبة عند الحنفية والمالكية والحنابلة، وهو ما صوبه النووي من الشافعية لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء/ ١]، وقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه...). وقال الشافعية: بر الوالدين واجب وعقوقهما كبيرة، وصلة غيرهما سنة، وقطعها بعد حصولها كبيرة، وبر الوالدة مقدم على بر الوالد بالإجماع لقول النبي ﷺ: (أمك أمك أمك ثم أبوك). وعند الحنفية: أن الجد والأخ الأكبر كالوالد في الصلة، والخالة والأخت الكبيرة كالأم في الصلة. وعند الشافعية أن الوالدين، اختصا بالرعاية والاحترام والإحسان بأمر عظيم جداً وغاية رفيعة لم يصل إليها أحد من بقية

الأرحام، والصلة خاصة بالرحم المحرم دون غيرهم عند بعض العلماء، ولو كانت عامة لتعذر الأمر، ولقوله ﷺ: (لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على بنت أخيها وأختها، فإنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم). ويرى بعض العلماء أن الصلة مطلوبة لكل قريب، المحرم وغيره. والصلة واجبة للوالدين على الأولاد ومع اختلاف الدين دون غيرهما لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان/ ١٥].

والصلة درجات، أولها وأشدها: بر الوالدين، ثم صلة ذي الرحم المحرم، ثم غير المحارم. والصلة واجبة ابتداء، لا تجاوباً مع الوصل، بل حتى مع القطع من الأقارب، لما روى البخاري وغيره: (ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها). والصلة تكون بالزيارة والمعاونة وقضاء الحاجة والسلام لقوله ﷺ: (بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام)، وتكون بالكتابة من الغائب، وببذل المال من الأغنياء للأقارب وغير ذلك. ولصلة الرحم حكم جليلة وفوائد قال ﷺ: (من سره أن يبسط له رزقه، أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه)، وأهمها: تحصيل رضى الله تعالى عمن يصل، لتجاوبه مع أمر الله وإدخاله السرور على قلوب أرحامه، ومنها زيادة المروءة، وزيادة الأجر بعد الوفاة، بسبب دعائهم له. وقطع الرحم المطلوب وصلها حرام، وعدَّه بعضهم من الكبائر لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد/ ٢٥]، وأكثر الفقهاء على تقديم ذوي الأرحام على غيرهم في الأمور الواجبة للميت من غسل وصلاة عليه ودفنه، وبعضهم قدم الزوجين على الأقارب، وبعض آخر قدم الوصي على سائر الأقارب. ولا يجوز الرجوع في الهبة لغير الفروع باتفاق العلماء.

وكذلك الحكم عند الحنفية إذا كانت الهبة لمحرم، وقال الشافعية بجواز رجوع الأب وسائر الأصول عن الهبة للفرع، إذا بقي الموهوب في سلطة هذا الفرع، وقيل بجوازه للأم.

وذوو الأرحام ـ وهم من ليسوا من أصحاب الفروض ولا من العصبات ـ يرثون عند عدم وجود عاصب أو صاحب فرض يُرَدُّ عليه. ويجوز الوصية لذوي الأرحام غير الوارثين اتفاقاً، ويدخل فيهم الوالدان والولد إذا كانوا غير وارثين ـ عند جمهور الفقهاء ـ وعند الحنفية لا يدخلون، ويدخل الجد مطلقاً والأحفاد.

ويحرم على الرجل التزوج من أقاربه إلا أربعة منهم وهم: بنات أعمامه وبنات عماته وبنات أخواله وبنات خالاته. وتجب النفقة للوالدين على أولادهما وللأولاد على والديهم باتفاق، وتجب للأجداد والجدات والأحفاد عند الفقهاء، وقصرها المالكية على الوالدين والأولاد دون الأجداد والأحفاد، وذلك لأن الجد ليس بوالد حقيقي والحفيد ليس بولد حقيقي، وتجب النفقة لغير الأصول والفروع ـ من الأقارب ـ عند الحنفية والحنابلة. وتجوز الخلوة بالمحارم باتفاق.

ويجوز النظر واللمس بين المحارم ـ ما لم يكن بشهوة ـ وذلك في حدود، فيرى الشافعية جوازهما لكل البدن عدا ما بين السرة والركبة، ويرى المالكية حصرهما بالذراعين والشعر وما فوق النحر وأطراف القدمين. ويرى الحنابلة جوازهما في الوجه والرقبة واليد والقدم والرأس والساق، والحنفية يحصرونهما في الرأس والوجه والصدر والساق والعضد. ولا ولاية لذي الرحم في النكاح، ويرى أبو حنيفة وأبو يوسف أن لذي الرحم ولاية في النكاح عند عدم وجود عاصب، ولا تقبل شهادة أصل لفرعه ولا فرع لأصله لحديث النبي ﷺ: (فاطمة بضعة مني، يريبني ما أرابها). أما غير الأصول والفروع من الأقارب فتقبل شهادتهم

لأقاربهم. وكذلك لا يجوز للقاضي أن يقضي لمن لا تجوز شهادة له من أصول وفروع ويجوز لغيرهم من الأقارب. واشترط المالكية في الشاهد لأخيه، والقاضي لعمه أن يكون مبرزاً في العدالة. وفي العتق، المذاهب الأربعة على أن الأصول يعتقون على المولودين بالتملك والفروع على الأصول، ذكوراً وإناثاً مسلمين وغير مسلمين، لأنه حكم متعلق بالقرابة فاستوى فيه الجميع، لقوله تعالى ـ بالنسبة للأصول ـ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء/ ٢٤]، ولا يتأتى خفض الجناح مع الاسترقاق، ولقوله تعالى ـ بالنسبة للفروع ـ: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم/ ٩٢، ٩٣]، القاضي بنفي اجتماع الولدية والعبدية.

ناصر الصالح

المراجع: ٣، ٩٦، ١٥٤، ١٦١، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٨، ٢٨٦، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥١، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٩، ٤٣٢، ٤٣٩، ٤٩١، ٥١٠، ٥١١، ٥٤١، ٥٧١.

* * *



رب

اسم الله تعالى. يستعمل بالألف واللام أو مضافاً، ولا يستعمل مع «ال» إلا لله تعالى. ويستعمل مضافاً على الاشتراك بين الله والعباد.

يقال: رب العالمين، لله تعالى. ويقال: رب الدار، رب العمل.. الخ.

الرَّبُّ: هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك.

وفي «لسان العرب»: «رب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه. ويقال: فلان رب هذا الشيء: أي ملكه له. وكل من ملك شيئاً فهو ربُّه».

وجاء عند القرطبي في تفسير ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ من سورة الفاتحة: أي مالكهم، وكل من ملك شيئاً فهو ربه؛ فالرب: المالك. وفي الصحاح: والرب اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة.. والرب: السيِّد، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف/٤٢]، بلسان يوسف عليه السلام وربك هنا معناها: سيِّدك.

والرب: المصلح والمدبر والجابر والقائم. وتقال لمن أصلح شيئاً وأتمَّه. ويقول الراغب الأصفهاني: الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدِّ التمام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران/ ٨٠]، أي آلهة وتزعمون أنهم الباري مسبب الأسباب.

ولذلك كلمة رب غير كلمة إله. فإله معناها المعبود. لذلك يقال: الله رب العالمين وإله المؤمنين.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧٩، ٤٤١، ٥٠٣.

* * *

الرَّبَّـاني

الموصوف بعلم الربِّ، وهو غير الرَّبِّي وهو المنسوب إلى الرَّبِّ. وقال بعضهم: الرباني كذلك منسوب إلى الرب ولكن الألف والنون أضيفت للمبالغة.

وقال آخرون: إنها من الرَّب والتربية، لأن الربانيين هم العلماء الذين كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها.

ورد عند القرطبي أن المبرد قال: الربانيون أرباب العلم، واحدهم ربّان، من قولهم: ربَّه يربُّه فهو ربَّان إذا دبَّره وأصلحه؛ فمعناه على هذا يدبِّرون أمور الناس ويصلحونها.

والربّاني العالم بدين الرب الذي يعمل بعلمه؛ لأنه إذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم. أي أن الرَّباني العالم بالحلال والحرام، والذي التزم منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي كل هذا هو عالم عامل تقترن عنده الأقوال بالأفعال، وهذا شأن مهم، فالسلوك والتطبيق أبلغ من القول في الإعداد والتربية.

وفي قول الله تعالى: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران/ ٧٩]، أي حكماء علماء كما رُوي عن زرِّ بن عبد الله. والرباني المتألِّه العارف بالله تعالى.

ولأن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان عالماً متمكناً عارفاً فقد قال محمد بن الحنفية يوم وفاته: اليوم مات ربَّانيُّ هذه الأمة.

وفي تصنيف العلماء والمتعلمين قال الإمام عليٌّ كرم الله وجهه: «الناس ثلاثة: عالم ربَّاني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق».

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

والرباني هو الراسخ في العلم علماً وعملاً والذي يطلب بعلمه وجه الله تعالى ومرضاته سبحانه.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٤٤١، ٥٠٣.

* * *

الرجعة (عند الشيعة)

الرجعة، لغة، هي: العودة. وهي من فعل رجع: عاد. ويقال: رجع عوده على بدئه: أي رجع في الطريق الذي جاء منه. أمّا التفسير الديني، فهو أن الله سبحانه يردُّ قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، ممن محض الإيمان محضاً، ومن محض الكفر محضاً، فيعزُّ فريقاً منهم، ويذلُّ فريقاً آخر، وذلك عند قيام المهدي (راجع: المهدي).

وليست الرجعة إلى الحياة في الدنيا شاملةً لجميع المؤمنين والكافرين، بل هي مختصة بفريق معيَّن من الفريقين، ممن رسخ في الإيمان، وممن رسخ في النفاق والكفر رسوخاً. والقائل بأصل هذه الفكرة من الشيعة بعض أئمتهم. وقد غالى ذلك البعض فجعل القول بها من أصول مذهب الإمامية، وأنهم ممَّا تفرَّدوا به، مدَّعياً إجماع الإمامية عليه حتى أن الشيخ المفيد، وهو من كبار أئمة الشيعة، والمعروف بسموِّ تفكيره وتحرُّره، الذي أفضى به إلى تأويل كثير من ظواهر الأحاديث، قد أيد فكرة الرجعة وقال: «وقد جاء القرآن بصحة ذلك، وتظاهرت فيه الأخبار، والإمامية بأجمعها عليه إلا شذَّاذاً منهم، تأوَّلوا ما ورد فيه مما ذكرناه، على وجه يخالف ما وصفناه». ونجد إلى جانب هذا، أن القول بالرجعة، ليس هو رأي جميع الإمامية، بل إن منهم من تأوَّلوا ما ورد فيها من الأخبار، على رجوع دولة الأئمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء مبادئهم، دون رجوع أشخاصهم وأعيانهم، وإحياء الأموات.

وإذا رجعنا إلى أبي عليٍّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، وهو من كبار الإمامية المفسرين للقرآن، في كتابه «مجمع البيان» المشهور، نراه يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل/ ٨٣]، بأنه استدلَّ بهذه الآية على صحة الرجعة، من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن: دخول «من» في الكلام يوجب التبعيض، فدلَّ ذلك على أن اليوم المشار إليه في الآية، يحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة، الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ٤٧]. وإذا رجعنا إلى ما ذكره الشيخ المفيد في كتاب «الفصول المختارة» نجد أن سواراً قاضي المنصور قال: يا أمير المؤمنين إنه ـ أي السيد الحميري الشاعر ـ يقول بالرجعة، فقال السيد الحميري، أقول بذلك على ما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل/ ٨٣]، وعلى ما قال: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ٤٧]، فعلمت أن ههنا حشرين أحدهما عام والآخر خاص.

ومن الآيات التي يستشهد بها على الرجعة قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة/ ٢٥٩]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ

﴿وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة/ ٢٤٣]، وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة/ ٢٥٩].

والذين يذهبون إلى القول بالرجعة، يستدلون على ثبوتها بما يلي:

الأولى: الإجماع من الشيعة الإمامية على ذلك، كما صرح به كل من الشيخ أبو علي الفضل ابن الحسن بن الفضل الطبرسي المشهدي، والشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن نعمان بن سعيد العربي العكبري البغدادي، الملقب بالشيخ المفيد، والشيخ محمد باقر بن المولى محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني، المشهور بالمجلسي.

ومناقشة هذا الدليل واضحة. ويقول السيد محسن الأمين: «الرجعة أمر نقلي، إن صح النقل به لزم اعتقاده، وإلا فلا». وبعد هذا يستشهد بجواب الشريف المرتضى بالمسائل التي وردت عليه من الري، فيقول: «فظهر من ذلك أن القول بالرجعة ليس اتفاقياً عند الشيعة بنص الشريف المرتضى، وليس معناها متفقاً عليه عندهم كما سمعت، وليست من ضروريات مذهبهم، ولا يجب الاعتقاد بها عندهم، ولا يأثم منكرها الذي لم تثبت عنده، وإنما هي شبه أمر تاريخي، وحادث من حوادث المستقبل».

ويقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: «ليس التدين بالرجعة في مذهب الشيعة بلازم، ولا إنكارها بضار، ولا يناط التشيُّع بها وجوداً وعدماً، وليست هي إلا كبعض أنباء الغيب، وظهور الدجال، وخروج السفياني، وأمثالها من القضايا الشائعة عند المسلمين، وما هي من الإسلام في شيء، ليس إنكارها خروجاً منه، ولا الاعتراف بها بذاته دخولاً فيه، وكذا حال الرجعة عند الشيعة».

ومن كل ما سبق يتبيَّن أن الرجعة ليست من ضروريات مذهب الشيعة، كما يحاول بعضهم أن يصوِّرها، كما أنها ليست من الأمور المتفق عليها بينهم. وعرفت أن من الشيعة جماعة أوَّلوا رجعة الأئمة بإحياء مبادئهم وظهور دولتهم، دون رجوع أعيانهم وأجسامهم، وأن هناك خلافاً بينهم حول الرجعة.

عبد المجيد الحر

المراجع: ٣٠، ٤٩، ٦٧، ٨٦، ٢٧٥، ٣٨١، ٤٤١.

* * *

الرجم

الرجم، لغة: القتل، وأصله الرمي بالحجارة. وشرعاً: رمي الزاني المحصن بالحجارة حداً، رجلاً كان أو امرأة. فقد اعترف ماعز بالزنا فأمر رسول الله ﷺ برجمه، وقال ﷺ: (واغدُ يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها) [متفق عليه].

١ ـ شروط الرجم: ثبوت حد الزنا بالاعتراف أو البيِّنة والشهود، وتوافر الإحصان قبل ثبوت الزنا. والمحصن هو من اجتمعت فيه صفات اعتبرها الشرع لوجوب الرجم، وهي العقل والبلوغ والحرية والإسلام والنكاح الصحيح والدخول على وجه يوجب الغسل ولو من غير إنزال.

٢ ـ ما يتعلق بالرجم من أحكام:

١ ـ لا يجمع بين الجلد والرجم باتفاق الأئمة الأربعة.

٢ ـ إذا لم يتوفر الإحصان في الزاني فيُعدل عن الرجم إلى الجلد والتغريب.

٣ ـ إن كان أحد الزانيين محصناً والآخر غير محصن وجب على المحصن الرجم وعلى الآخر الجلد والتغريب.

٤ ـ يحدُّ الزاني الذمي إذا ترافع للمسلمين، فقد أُتِيَ النبي ﷺ بيهوديين زنيا فأمر برجمهما لعموم قوله ﷺ: (الثيب بالثيب رمياً)».

٥ ـ جمهور الفقهاء لا يرون العقوبة علىٰ المُكْرَه في الزنا.

٦ ـ يشترط البداية في الرجم من الشهود إذا ثبت الحد بالشهادة، فإذا ثبت بالإقرار فيبدأ الإمام بالرجم.

٧ ـ لا يشترط لإقامة الرجم عدم خوف الهلاك لأنه حد مهلك، إلا الحامل فإنه لا يقام عليها الرجم وقت حملها لأنه يؤدي إلى إهلاك ولدها بدون حق، فيؤخر رجم الحامل حتى تضع حملها لأن النبي ﷺ قال للغامدية: (اذهبي حتى تلدي) ثم قال: (فأرضعيه حتى تفطميه)» ثم رجمها.

٨ ـ يقام حد الرجم بالضرب بالمَدَر (الطين المتحجر) وبالحجارة المعتدلة، لا بحصيات خفيفة لئلا يطول تعذيبه، ولا بصخرات تقضي عليه بسرعة لئلا يفوت التنكيل المقصود.

٩ ـ قال الجمهور: إذا مات المرجوم يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين، لأن الرسول ﷺ قال في ماعز بعد رجمه: (اصنعوا به ما تصنعون بموتاكم).

محمود أحمد كفتارو

المراجع: ٣٥٩، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٢٠، ٤٤٨، ٥١١، ٥٣٢، ٥٧٣.

* * *

الرخصة

الرخصة، في اللغة: التسهيل في الأمر والتيسير. وفي الحديث الشريف: (إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه). وفي الاصطلاح: حكم شرعي سهل، انتقل إليه عن حكم شرعي صعب لعذر، مع قيام السبب الأصلي. أو أنه: الحكم الثابت على خلاف دليل الوجوب، أو الحرمة، لعذر، وذلك كإباحة القصر في الصلاة، وترك الصوم لمريض، أو مسافر، أو حامل تخشى على جنينها.

ووجود الرخصة في الشريعة دليل على سماحتها ومرونتها، ودليل على صلاحيتها في كل زمان ومكان.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ١٦، ٥١، ٢٦٩، ٢٨٠، ٤٠٤، ٤١٧.

* * *

الردة (حروب الردة)

وجد المغامرون والطامحون إلى السلطة في نجاح النبي محمد بن عبد الله ﷺ مثالاً يحتذى، فأعلن بعضهم أنه نبي يوحى إليه أيضاً، منهم: مسيلمة الكذاب في بني حنيفة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وطليحة بن خويلد في بني أسد. وبعد وفاة الرسول ﷺ كثر المتنبّئون لدرجة أن امرأة تدعى «سجاح» كانت من بين أدعياء النبوة، وتبعهم كثير من أفراد قبائلهم، بينما ارتد آخرون بإعلان عصيانهم على السلطة الشرعية في المدينة، أو بامتناعهم عن دفع الزكاة، وبخاصة أنهم في جزيرة العرب لم يعتادوا الانضباط، والخضوع لسلطة مركزية، حتى قال قائلهم:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكراً من بعد غيبته وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

ووجد أبو بكر نفسه في موقف حرج بعد أن تولى الخلافة سنة ١١هـ/ ٦٣٢م. فالوفود التي كانت تأتي الرسول ﷺ معلنة إسلامها تأتي إليه معلنة ارتدادها، وأخبار المناطق والقبائل تحمل كل يوم خبر متنبىء جديد، أو ردّة جديدة، أو عصيان يعلمه به أحد أمرائه، وخاصة بالامتناع عن دفع الزكاة.

وكان الرسول ﷺ قبل وفاته، قد جهز جيشاً بقيادة أسامة بن زيد، في مهمة على الجبهة الشمالية، فلم يلغِ أبو بكر تلك المهمة بل أمر بإتمامها بعد تشييع الرسول مباشرة، فكان عليه انتظار عودة هذا الجيش ليبدأ في تأديب المرتدين،

على الرغم من معارضة الصحابة الذين مالوا إلى المهادنة تجنباً لحرب أهلية شاملة، ولكن عبساً وذبيان استضعفوا المسلمين وزحفوا باتجاه المدينة فعاجلهم واصطدم معهم وشتت شملهم.

وبعدما عاد جيش أسامة، وجَّه أبو بكر أحد عشر جيشاً لمقاتلة المرتدين، وزوَّدهم بكتب من صيغة واحدة إلى جميع قبائل العرب جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه.

سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلّه إلا هو، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله...

ثم توفي رسول الله ﷺ وقد نفَّذ لأمر الله ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بيَّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر/ ٣٠]، وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران/ ١٤٤]، فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد حيٌّ قيُّوم لا يموت.

وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغتراراً بالله وجهالة بأمره وإجابة للشيطان... وإني بعثت إليكم فلاناً في جيش... وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحاً قُبل منه.. ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه».

وأعطى تعليمات إلى الجيوش، تضمنت ألا يبدؤوا أحداً بقتال حتى يدعونه إلى الرجوع إلى الإسلام، ومن أجاب كفوا عنه القتال وأخذوا منه ما عليه وأدوا له ما له، ومن أبى قاتلوه ومن ظفروا به قتلوه.

فانطلقت جيوش تأديب المرتدين، الجيش تلو الآخر، وكان أول الجيوش جيش خالد بن الوليد الذي وجهه إلى طليحة، فانتصر عليه وشتت شمل أنصاره، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فبدأت بعض القبائل تلقي السلاح، وتعود إلى الإسلام، وانقسم الناس في القبيلة الواحدة، والبيت الواحد بين مسلم ومرتد.

ولما واجهت بعض الجيوش متاعب أنجدها أبو بكر، فاستطاعت تلك الجيوش القضاء على المرتدين قبل نهاية العام ١١هـ عام مبايعة أبي بكر، وانتهت أخطر حرب أهلية شاملة عمَّت جزيرة العرب، وقُتل معظم المتنبئين.

وكانت نهاية حروب الردة بداية حروب الفتح، حيث لم يترك أبو بكر المقاتلين يستكينون فيتكؤون الجراح، ويكثر بينهم القيل والقال، فوجههم إلى جهتي العراق والشام (الفرس والروم).

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٤٢٤.

* * *

رسائل العهد الجديد

العهد الجديد يتكون من الأناجيل الأربعة التي تسمَّى الأناجيل القانونية وهي: إنجيل متى ـ إنجيل مرقس ـ إنجيل لوقا ـ إنجيل يوحنا.

يضاف إلى هذه الأناجيل ما يُعرف باسم رسائل العهد الجديد وهي ثلاث وعشرون رسالة مرتبة على الوجه التالي:

١ ـ أعمال الرسل: ويتكون هذا السفر من ٢٨ إصحاحاً، وهذ السفر من تأليف لوقا صاحب الإنجيل وضعه بعد إنجيله، وقد ضمن أعمال الرسل ما حدث للكنيسة على امتداد حوالي ثلاثين سنة بعد المسيح عليه السلام.

٢ ـ رسالة بولس إلى أهل رومية، وهي من ١٦ إصحاحاً.

٣ ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس، وهي من ١٦ إصحاحاً.

٤ ـ رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس، وهي من ١٣ إصحاحاً.

٥ ـ رسالة بولس إلى أهل غلاطية، وهي من ٦ إصحاحات.

٦ ـ رسالة بولس إلى أهل أفسس، وهي من ٦ إصحاحات.

٧ ـ رسالة بولس إلى أهل فيليبي، وهي من ٤ إصحاحات.

٨ ـ رسالة بولس إلى أهل كولوسي، وهي من ٤ إصحاحات.

٩ ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي، وهي من ٥ إصحاحات.

١٠ ـ رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي، وهي من ٣ إصحاحات.

١١ ـ رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس، وهي من ٦ إصحاحات.

١٢ ـ رسالة بولس الثانية إلى تيموتاوس، وهي من ٤ إصحاحات.

١٣ ـ رسالة بولس إلى تيطس، وهي من ٣ إصحاحات.

١٤ ـ رسالة بولس إلى فيلمون، وهي من إصحاح واحد.

١٥ ـ رسالة بولس إلى العبرانيين، وهي من ١٣ إصحاحاً.

أما باقي الرسائل فقد تمّ توجيهها بشكل شامل وعامة، لذلك عُرفت باسم الرسائل الجامعة وهي:

١٦ ـ رسالة يعقوب، وهي من ٥ إصحاحات.

١٧ ـ رسالة بطرس الأولى، وهي من ٥ إصحاحات.

١٨ ـ رسالة بطرس الثانية، وهي من ٣ إصحاحات.

١٩ ـ رسالة يوحنا الأولى، وهي من ٥ إصحاحات.

٢٠ ـ رسالة يوحنا الثانية، وهي إصحاح واحد.

٢١ ـ رسالة يوحنا الثالثة، وهي من إصحاح واحد.

٢٢ ـ رسالة يهوذا وهي من إصحاح واحد. وصاحب الرسالة هو أخو يعقوب الصغير ويقال له تداوس ـ وهو غير يهوذا الأسخريوطي الذي قام بفعل الخيانة.

٢٣ ـ رؤيا القديس يوحنا، وهي من ٢٢ إصحاحاً.

هكذا إذن يكون العهد الجديد مؤلفاً من ٢٧ سفراً، هي: الأناجيل الأربعة و ٢٣ رسالة هي رسائل العهد الجديد.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٢٦، ٥٠٦.

* * *

رسائل مار بولس: كتبت باللغة اليونانية ما بين السنة ٥١م والسنة ٦٧م. هي مرجع من أهم مراجع الديانة المسيحية لمعرفة عقيدتها وما تدعو إليه من مكارم الأخلاق.

جمعت رسائل القديس بولس مجموعات أطلق على كل منها اسم:

الرسائل الكبرى: رومة (ربيع ٥٨)، أولى قورنتس (ربيع ٥٧)، ٢ قورنتس (خريف ٥٧)، وغلاطية (سنة ٥٤).

رسائل الأسر: وهي التي كتبها بولس إذ كان أسيراً في رومة: أفسس وفيليبي وقولسي (بين سنة ٦١ وسنة ٦٣).

الرسالتان إلى أهل تسالونيقي: (سنة ٥١ و ٥٢) وهي من أولى كتابات العهد الجديد.

الرسائل الرعائية: كتبها بولس الرسول إلى أفراد وليس إلى جماعات، وهي: الرسالة الأولى إلى تلميذه طيموتاوس (سنة ٦٥)، وإلى تلميذه طيطس (سنة ٦٥)، ومن ثم الرسالة الثانية إلى تلميذه طيموتاوس (سنة ٦٧)، وواحدة إلى فيلمون (بين سنة ٦١ و ٦٣).

الرسائل الكاثوليكية: ومنها الرسالة إلى العبرانيين، ويرجح أنها من تأليف أحد تلامذة مار بولس، بعض رسائل الرسل: واحدة ليعقوب الرسول، وواحدة ليهوذا، غير يهوذا الإسخربوطي الذي خان المسيح وأسلمه إلى أيدي اليهود، ورسالتان لبطرس الرسول وثلاثة ليوحنا التلميذ الحبيب. سميت هذه الرسائل «كاثوليكية» أي عامة، شاملة، لأن الذين كتبوها لم يخصُّوا بها أهل مدينة واحدة، أو فرداً واحداً.

جان بول غزالة

المراجع: ١/٤٥٦، ٤٩٩، ٥٠٥، ٦٠٣.

* * *

رسائل القديس بولس الرسول

هي، تحديداً، الرسائل التي كتبها القديس بولس إلى كنائس محلية قبل سنة ٦٥م. كان بولس الرسول من اليهود المتعلمين والمثقفين بتعاليم الدين اليهودي، فانتمى إلى طبقة «الفريسيين» وعمل جاهداً، قبل اهتدائه إلى المسيح، على اضطهاد المسيحيين. قصة هذا الاهتداء مذكورة في سفر أعمال الرسل في العهد الجديد (أ ع ٩).

تُنسب إلى بولس أربع عشرة رسالة في العهد الجديد، وإن شك النقاد في نسبة الأخيرة منها له، والمعروفة بالرسالة إلى العبرانيين. ولأهمية التعليم اللاهوتي والأخلاقي في هذه الرسائل، اعتبرت الكنيسة أن فيها تعليماً رفيعاً يتعدى نطاقه الكنائس الموجهة لها أصلاً، فضمَّنتها إلى ما صار، فيما بعد، يسمَّى «قانون» العهد الجديد، والذي يشتمل على سبعة وعشرين سفراً كتبها تلاميذ المسيح أو من تتلمذ على يدهم.

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩، ٥٩٧، ٦١٤.

* * *

فهرس العهد القديم
أسماء الأسفار وترتيبها وعدد إصحاحاتها واختصاراتها

اسم السفر	الصفحة	عدد الإصحاحات	الاختصار	اسم السفر	الصفحة	عدد الإصحاحات	الاختصار
التكوين	١	٥٠	تك	الجامعة	٧٢٢	١٢	جا
الخروج	٦٤	٤٠	خر	نشيد الأنشاد	٧٣٢	٨	نش
اللاويين	١١٨	٢٧	لا	إشعياء	٧٣٨	٦٦	إش
العدد	١٥٤	٣٦	عد	إرميا	٧٩٧	٥٢	إر
التثنية	٢٠٧	٢٤	تث	مراثي إرميا	٨٦٦	٥	مرا
يشوع	٢٥٢	٢٤	يش	حزقيال	٨٧٢	٤٨	حز
القضاة	٢٨٤	٢١	قض	دانيال	٩٣٣	١٢	دا
راعوث	٣١٥	٤	را	هوشع	٩٥٢	١٤	هو
صموئيل الأول	٣٢٠	٣١	١ صم	يوئيل	٩٦١	٣	يؤ
صموئيل الثاني	٣٦١	٢٤	٢ صم	عاموس	٩٦٥	٩	عا
الملوك الأول	٣٩٥	٢٢	١ مل	عوبديا	٩٧٣	١	عو
الملوك الثاني	٤٣٥	٢٥	٢ مل	يونان	٩٧٤	٤	يون
أخبار الأيام الأول	٤٧٣	٢٩	١ أخ	ميخا	٩٧٧	٧	مي
أخبار الأيام الثاني	٥٠٩	٣٦	٢ أخ	ناحوم	٩٨٣	٣	نا
عزرا	٥٥٢	١٠	عز	حبقوق	٩٨٦	٣	حب
نحميا	٥٦٥	١٣	نح	صفنيا	٩٨٩	٣	صف
أستير	٥٨٣	١٠	أس	حجي	٩٩٢	٢	حج
أيوب	٥٩٣	٤٢	أي	زكريا	٩٩٥	١٤	زك
المزامير	٦٢٢	١٥٠	مز	ملاخي	١٠٠٦	٤	ملا
الأمثال	٦٩٧	٣١	أم				

وجميعها تسعة وثلاثون سفراً

فهرس العهد الجديد

أسماء الأسفار وترتيبها وعدد إصحاحاتها واختصاراتها

وجميعها سبعة وعشرون سفراً

الرسول والنبي

الرسول، لغةً، من يبلِّغ أخبارَ من بعثه لمقصود، وسمي به النبي المرسل لتتابع الوحي عليه من الله تعالى لتبليغ الناس العقائد والعبادات والأحكام والآداب الشرعية.

والنبي من أُوحي إليه بمَلَك، أو أُلهم في قلبه، أو نُبِّه بالرؤيا الصالحة. فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة، لأن الرسول هو من أوحى إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله. وقال الفراء: النبي هو من أنبأ عن الله. والنبوة والنباوة وهي الارتفاع عن الأرض، أي إنه أشرف على سائر الخلق. وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

وما من أمة إلا وجاءها نذير، نبي أو رسول، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر/ ٢٤].

والأنبياء والرسل لا يعلم عددهم إلا الله، ويجب على المسلم أن يؤمن بهم جملة، ويؤمن بالذين ذكروا في القرآن الكريم على وجه التحديد، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة/ ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٤].

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٧٢، ٤٤١.

***

رش

نص لا يزيد عن سبع صفحات وهو مقدَّس عند طائفة اليزيدية ويسمونه «مصحف رش».

و «مصحف رش» معناه: الكتاب الأسود. في هذا الكتاب على صغره يعرضون كيف تتابع الخلق، وكل يوم من الأسبوع عندهم قد شهد خلقاً لملك من الملائكة الذي كثيراً ما يعطونه اسماً من أسماء من يقدسونهم، على أن الأولى في الظهور عندهم، وفي أول يوم، يوم الأحد، هو عزرائيل، وهو طاووس ملك (الشيطان)، وهو حسب معتقدهم رئيس الجميع.

والثاني عندهم يوم الاثنين خلق وهو دردائيل. ودردائيل هو الشيخ حسن من سلالة عديٍّ بن مسافر وهو الذي بدأت معه طائفة اليزيدية. والحياة عندهم بدأت بخلق آلاف الملائكة الذين كانوا في محيط «لالش» بلدتهم المقدسة، وبعد أربعين ألف سنة، حسب زعمهم، صعد طاووس ملك بالملائكة إلى السماء ليكون بعدها خلق آدم من تراب وهواء وماء ونار، وأسكن في الفردوس وأمره أن يأكل من كل الشجر ما عدا الحنطة. ويكملون في سرد حكاية حديث طاووس ملك مع آدم وكيف أرشده بأن يأكل من الحنطة، وبعدها كان خلق حواء، ومن ثم وضع قانون التناسل. وهكذا بدأ موضوع الزواج والتناسل.

ويروون في «مصحف رش» ما يبين مكانة معاوية بن أبي سفيان مع رسول الله ﷺ وذلك لأنهم ينتسبون إلى الأمويين وتحديداً إلى يزيد بن معاوية.

ومن ثم يشرحون في «مصحف رش» بعض أحكام شريعتهم من حرام وحلال في اللفظ، كأن يتلفظوا بكلمات حروفها من كلمة شيطان مثل: شط وبط ونط.. الخ، أو الأطعمة وتحريم بعضها كالخس والسمك والغزال.. الخ.

ويرد في النص بعد التراتب الديني عندهم وبعدها الأعياد، وأخيراً العبادات كالصلاة والصوم وأخيراً الزواج.

كل هذه الأمور وردت بشكل مكثف وموجز في هذه الصفحات القليلة المسماة: «مصحف رش».

أسعد السحمراني

المراجع: ٥٢٦، ٥٨٦، ٥٨٨، ٥٨٩.

* * *

الرشوة

الرشوة، في القانون الوضعي، هي نوع من المتاجرة بأعمال الوظيفة عن طريق التماس المنفعة غير المشروعة أو القبول بها عند عرضها للقيام بعمل من أعمال الوظيفة، أو بعمل منافٍ للوظيفة، أو بعمل يزعم المرتشي أنه داخل في اختصاصه.

وللرشوة طرفان:

الطرف الأول: هو الموظف المرتشي، الذي يلتمس منفعة بأخذ المبادرة، أو الذي يقبل منفعة عرضت عليه تجاوباً مع مبادرة أخذها من تقدم بالعرض.

الطرف الثاني: صاحب الحاجة، الراشي، الذي يرضى بتقديم المنفعة الملتمسة من الموظف أو بوعده بها، أو بعرضها عليه واعداً أو مقدماً فيقبل الموظف العرض أو الوعد.

وللرشوة أوجه وهي:

١ ـ التماس المنفعة من قبل الموظف وقبول صاحب المصلحة بها.

٢ ـ التماس المنفعة من قبل الموظف وإعراض صاحب المصلحة عنه.

٣ ـ عرض المنفعة من قبل صاحب المصلحة أو الوعد بها وقبول الموظف بالعرض أو الوعد.

٤ ـ عرض المنفعة من قبل صاحب المصلحة ورفض الموظف لما عرض عليه.

٥ ـ القبول بأجر غير واجب عن عمل سابق قام به الموظف.

ويكون الالتماس أو العرض نظير القيام بعمل مشروع من أعمال الوظيفة، أو عمل مخالف لها، أو لتأخير ما كان واجباً عمله أو للامتناع عنه.

ويشترط في الرشوة توافر العناصر التالية:

العنصر الأول: صفة المرتشي: أي أن يكون من طائفة الموظفين أو الأشخاص المنتدبين لخدمة عامة بالانتخاب أو بالتعيين، أو من الأشخاص العاديين المكلفين بمهمة رسمية مثل الخبير ووكيل التفليسة. ولا تقتصر الرشوة على العاملين في القطاع العام، وإنما تقوم الرشوة أيضاً في القطاع الخاص في كل مرة تتوافر فيها رابطة التبعية بين صاحب العمل وبين المستخدم الذي يلتمس أو يقبل لنفسه أو لغيره هدية أو وعداً أو منفعة أخرى لكشف أسرار أو معلومات تسيء إلى رب العمل، أو القيام بعمل أو الامتناع عن عمل بقصد إلحاق الضرر برب العمل.

العنصر الثاني: العامل المادي: أي التماس الفائدة من قبل الموظف، ويكون ذلك بأن يطلب منفعة لقاء قيامه بالعمل أو امتناعه عنه. ولا بد أن يكون الالتماس جدياً. فإن كان في معرض الهزل وتوقف عند هذا الحد، دون أن يعقبه تجديد للطلب بالشكل الذي يجعله حقيقياً فإن العنصر المادي لجريمة الرشوة يكون مفقوداً.

العنصر الثالث: العامل المعنوي: أي أن يكون الموظف عالماً أنه يلتمس أو يقبل منفعة لا حق له بها طبقاً لأنظمة الوظيفة ولمبادىء الأمانة والاستقامة المشروطة فيه، وأن يدرك بأن الغرض من الالتماس أو القبول هو القيام بعمل من أعمال الوظيفة أو عمل مناف للوظيفة، أو الامتناع عما هو واجب، أي المتاجرة بالوظيفة، وأن يكون رائده عند قبوله أو التماسه تنفيذ الغرض المقابل لالتماس المنفعة أو لقبولها أو استلامها.

أما إذا كان الموظف قبل الهدية دون أن يعلم بأن القصد من تقديمها هو رشوته حتى يقوم بالعمل المعول عليه من الرشوة في عرف مقدمها، فلا تتحقق جريمة الرشوة.

والرشوة في اصطلاح الفقهاء المسلمين هي ما يدفع من مال إلى ذي سلطان أو وظيفة عامة ليحكم له أو على خصمه بما يريد هو، أو ينجز له عملاً أو يؤخر لغريمه عملاً، وهي من الجرائم التعزيرية.

والرشوة محرمة بالقرآن: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/١٨٨]، ومحرمة بالسّنة: (لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي).

ويلاحظ أن أركان جريمة الرشوة في الشريعة الإسلامية هي ذاتها المعروفة في القوانين الوضعية، والأطراف في جريمة الرشوة هم أنفسهم الذين عرفوا في القوانين الوضعية.

فالمرتشي هو نفسه المعروف في القانون الوضعي.

والراشي هو نفسه المعروف في القانون الوضعي.

والشريعة الإسلامية قد عرّفت صفة المرتشي كما عرّفته القوانين الوضعية وحددته تحديداً واضحاً ومنظماً. وفي إطار الشريعة الإسلامية نجد أن صفة المرتشي كانت تطلق على القضاة والولاة وعلى الحكام والخلفاء. فقد أهدي إلى عمر بن عبد العزيز هدية وهو خليفة فرفضها، فقيل له: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية! قال: كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة. والركن أو العامل المادي للرشوة في الشريعة الإسلامية هو نفسه المعروف في القانون الوضعي، فالمرتشي يقبل أن يتاجر بالوظيفة مقابل حصوله على فائدة معينة، والراشي يدفع الفائدة مقابل حصوله على شيء معين يهدف إليه، أي إن الراشي والمرتشي يتفقان على ما يريدانه حسب مصلحة كل منهما، فالراشي يقوم بنشاط إجرامي مقابل الميزة أو الهدية أو الفائدة المتفق عليها.

وأغراض الرشوة في الشريعة الإسلامية هي:

١ ـ الرشوة لرفع الخوف، فيرشي الراشي المرتشي لأنه قد خوّفه فيعطيه الرشوة ليدفع الخوف عن نفسه.

٢ ـ الرشوة لتسوية أمر بين يدي السلطان.

٣ ـ الرشوة لتقلد منصب القضاء.

٤ ـ الرشوة للقضاء للراشي.

أما لجهة العامل المعنوي أو القصد الجنائي، فالشريعة الإسلامية تعرف القصد الجنائي لأن النيات يعاقب عليها، والنية هي القصد، والقصد الخاص في جريمة الرشوة في الشريعة الإسلامية هو علم الراشي أنه يقدم الوعد أو الفائدة للقاضي أو الحاكم أو الوالي المرتشي كي يخلّ بواجباته، والعامل المعنوي هو أيضاً نفسه المعروف في القانون الوضعي.

فوزي أدهم

المراجع: ٢٠١، ٣١٠، ٤٥٧.

* * *

الرضاع

الرضاع لغةً: شرب الطفل الصغير اللبن من المرأة المرضع. وشرعاً: حق الطفل في شرب لبن أمه أو غيرها، وما يبنى على ذلك من أحكام بين المرضعة والرضيع.

١ ـ حكم الرضاع: اتفق فقهاء الإسلام على أن الرضاع واجب على الأم ديانة (لا تحاسب عليه في الدنيا) تسأل عنه أمام الله تعالى، حفاظاً على حياة الولد سواء أكانت متزوجة بأبي الرضيع أم مطلقة منه وانتهت عدتها. قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة/٢٣٣]، ولا تأبى الأم أن ترضع وليدها إضراراً بأبيه، كما لا يحل للأب أن يمنع الأم من إرضاع ولدها، قال تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة/٢٣٣].

وذهب الجمهور إلى أن الآية أمر ندب وإرشاد

من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن إلا إذا لم يقبل الولد ثدي الأم، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق/ ٦]، وإنما ندب للأم الإرضاع لأن لبنها أصلح للطفل وشفقة الأم عليه أكثر، ولأن الرضاع حق للأم كما هو حق للولد، ولا يجبر أحد على استيفاء حقه إلا إذا وُجِدَ ما يستدعي الإجبار، وإذا امتنعت الأم عن إرضاع ولدها وجب على الأب أن يستأجر مرضعة لإرضاعه محافظة على حياة الولد.

٢ ـ المكلف بأجرة الرضاع ومقدار الأجرة: الأب هو المكلف بأجرة الرضاع لأنه هو الملزم بالنفقة عليه، وتكون أجرة الرضاع على من يجب عليه النفقة قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق/ ٦]، ويكون إلزام الأب بالنفقة إذا لم يكن للصغير مال، فإن كان له مال فالأصل أن نفقة الإنسان في مال نفسه صغيراً كان أو كبيراً. ولا تتجاوز مدة هذه الأجرة السنتين من عمر الرضيع. ولا تستحق الأم أثناء عقد الزوجية أجرة على إرضاعها، وكذلك في عدة الطلاق الرجعي.

٣ ـ شروط الرضاع المحرم للزواج:

١ ـ أن يكون لبن امرأة آدمية.

٢ ـ أن يُتحقَّقَ من وصول اللبن إلى معدة الرضيع بالامتصاص والشرب من ثدي المرأة.

٣ ـ أن يحصل الإرضاع بطريق الفم أو الأنف.

٤ ـ ألا يخلط اللبن بغيره.

٥ ـ أن يكون الرضاع في حال الصغر باتفاق العلماء، فلا يحرم رضاع الكبير وهو من تجاوز السنتين من عمره.

٦ ـ أن يكون الرضاع المحرم بخمس رضعات متفرقات فصاعداً.

٤ ـ ما يثبت به الرضاع:

١ ـ الإقرار: بأن يعترف الرجل والمرأة معاً أو أحدهما بوجود الرضاع المحرم بينهما.

٢ ـ البينة: وهي الشهادة بالإخبار في مجلس القضاء، وقد اتفق الفقهاء على ثبوت الرضاع بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين من أهل العدالة.

٥ ـ المحرمات من الرضاع: تنزل المرضعة منزلة الأم، وتحرم على المرضع هي وكل من يحرم على الابن من قِبَلِ أمِّ النسب.

فيحرم من الرضاع ما يحرم من النسب على التفصيل التالي:

أ ـ أصول الشخص من الرضاع، وهي الأم المرضعة والجدات وإن علت.

ب ـ الفروع من الرضاع، وهي البنت رضاعاً وبناتها وإن نزلن.

جـ ـ فروع الأبوين من الرضاع، وهي الأخوات في الرضاعة وبناتهن مهما نزلن.

د ـ الفروع المباشرة للجد والجدة من الرضاع، وهي العمات والخالات رضاعاً.

هـ ـ زوجة الأب والجد من الرضاع وكذلك زوجة الابن وابن الابن.

و ـ بنت الزوجة من الرضاع وبنات أولادها مهما نزلن إذا كانت الزوجة مدخولاً بها.

٦ ـ من أحكام الرضاع:

١ ـ يصح الخلع على أن ترضع ولدها مدة الرضاع الواجب وهو سنتان، لأن الرضاع مما تصح المعاوضة عنه في غير الخلع، ففي الخلع أولى.

٢ ـ يباح للمرضع الإفطار إذا خافت على نفسها أو على الولد سواء أكان الرضيع ولدها أم لا، ويحرم الصوم إن خافت الهلاك على نفسها أو ولدها.

محمود أحمد كفتارو

المراجع: ٩٦، ٩٧، ٢٤٥، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤٢٠، ٥١٠، ٥١١.

* * *

الرق

[نذكر لمحة عن الرق مع عدم وجوده في العصر الحاضر لمعرفة أحكامه وتنظيمه في الإسلام عندما كان سائداً في مختلف بلاد العالم].

الرق، لغة: مصدر رق العبد يرق، وأرق فلان واسترق، نقيض عَتَقَ وأُعْتَقَ. والرقيق يطلق على الذكر والأنثى، ويقال للأنثى رقيقة، وجمعها رقيق وأرقاء. والإسلام لم يشرع الرق، بل جاء والرق موجود قبله بقرون، فسعى إلى تحرير الأرقاء بالترغيب فيه، وأنه طريق إلى الجنة، وكفارة للذنوب، كالقتل والحنث في اليمين والفطر في رمضان، ونظم الرق تنظيماً كاملاً وبيِّن ما لهم وما عليهم على وجه يدفع كل افتراء على الإسلام من أعدائه.

والرق، فقهاً: هو كون الإنسان مملوكاً لآخر، وهو عجز شرعي مانع للولايات والقضاء والشهادة وغيرها، وله عدة أسماء منه: القنُّ والمبعض والمكاتب والمدبر والموصى بعتقه والمعتق عند الأجل وأم الولد، ولتملك الرقيق أسباب:

أولها: استرقاق الأسرى والسبي من الأعداء الكفار، وقد استرق النبي ﷺ نساءَ بني قريظة وذراريهم وذلك جزاءَ استنكافهم عن عبودية الله تعالى. ولا يجوز استرقاق المسلم ابتداء.

ثانيها: ولد الأمة من غير سيدها، فهو يتبع أمه في الرق لمالك الأم، للإجماع، ويستثنى من ذلك ولد المغرور، الذي تزوج أَمة على أنها حرة، وكذلك ولد الأمة التي تزوجها حر شرط أن يكون ولده منها حراً.

ثالثها: شراء العبد ممن يملكه ملكاً صحيحاً شرعياً، وكذلك الهبة والوصية والصدقة والميراث وغيرها من صور انتقال الأموال، ولا فرق بين أن يكون المتصرف بالعبد، بيعاً أو هبة ونحوها مسلماً أو كافراً.

والأصل في الإنسان الحرية، وهي حق لله تعالى، فلا يجوز إبطال هذا الحق إلا بحكم الشرع، ولا يجوز تبعاً لذلك استرقاق حرٍّ ولو رضي ويبقى لمن استرق حق تطليق زوجته، وليس لسيده هذا الحق، لأن هذا الحق من خواص الآدمية، فيبقى على أصل الحرية. ويعتبر اللقيط مجهولُ النسب حراً، لأن الحرية هي الأصل في الآدمي والرق عارض، فيبقى للقيط حكم الأصل، أي الحرية. ويحرم استرقاق الحر، سواءً بشرائه أو سرقته أو خطفه أو إكراهه أو بالاحتيال، ولا يصح شيء من ذلك، ويبقى حراً، ومن اشترى أو خطف حرة ووَطِئَها، فهو زان ويقام عليه الحد، وولدهما ليس ولداً شرعياً. ولا تثبت دعوى الرق على مجهول النسب إلا ببيِّنة كاملة على الرق، ولا تكفي اليد لإثبات العبودية، ولو ادعى على بالغ أنه رقيق وأنكر البالغ قائلاً: أنا حُرٌّ، فالقول قول البالغ المدعى عليه، وعلى المدعي البينة الكاملة، ويكفي في الشهادة رجل وامرأتان، ولو ادعى على بالغ أنه عبدُه وأنكر المدعى عليه وأقام كل منهما البينة، تعارضت البينتان وتساقطتا، ويخلى سبيل المدعى عليه، لأن الأصل الحرية والرق طارىء لم يثبت لتعارض بينتين وسقوطهما، فيبقى الأصل. والبالغ والصبي الذي يعبر عن نفسه، إذا كانا مجهولي النسب، إذا أقرا أنهما رقيق فهما كذلك للإقرار المعتبر، أما الحر الثابت النسب والحرية، إذا أقر أنه رقيق فلا يصح إقراره. ولا يجوز لكافر استدامة تملك رقيق مسلم لأن حريته حق لله تعالى، ولأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، ولما فيه من إهانة المسلم بتملك الكافر له، قياساً على تحريم نكاح الكافر مسلمة بل أولى، وإن دخل مسلم رقيق في ملك كافر، يجبر الكافر على إزالة ملكه له، ببيع أو هبة لمسلم ونحو ذلك، وأمثلة ذلك:

١ ـ أن يكون رقيق كافر في يد كافر، فيسلم الرقيق، فيجبر على بيعه.

٢ ـ أن يشتري كافر رقيقاً مسلماً، فالعقد غير صحيح، ولا يدخل العبد المسلم في ملكه عند بعضهم، وقال آخرون: يصح العقد ويجبر على إزالة ملكه، وبكل حال فإنه يحرم على المسلم بيع عبده المسلم لكافر. وإذا ملك الإنسان أحداً من والديه وإن علوا أو ولده وإن سفلوا من ذوي الأرحام عتق عليه بنفس الملك دون توقف على

حكم حاكم، أو على نطق بصيغة العتق لقول النبي ﷺ: (من ملك ذا رحم محرم فهو حرٌّ).

ولمالك الرقيق عليهم حقوق وعليه واجبات.

فمن حقوقه عليهم:

١ ـ طاعته في الأمر والنهي إلا في معصية لقوله ﷺ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) فليس له أن يأمر عبده، بشرب الخمر أو السرقة أو ضرب أحد أو ارتكاب الفواحش، كما ليس له أن يمنع من الصلاة أو الصوم، وليس له إجبار عبده الكافر أن يسلم لأنه لا إكراه في الدين، وليس له أن يزوجه بمن لا يرضاها، ولا يجبره على تطليق زوجته، وليس له إجبار رقيقته على طلب الطلاق من زوجها، أو منعها من المبيت مع زوجها ليلاً، وليس للسيد منع رقيقه الذمي من شرب الخمرة أو أكل لحم الخنزير، أو الذهاب إلى الكنيسة لأن ذلك من دينه.

٢ ـ استخدام السيد لعبده داخل الدار وخارجها، شرط أن يكون العمل مما يطيقه العبد، ويحرم تكليفه بما لا يطيق لقوله ﷺ: (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم). وعلى السيد أن يريح عبده صيفاً وقت القيلولة، وإن سافر به على السيد أن يؤمن له ما يركب عليه.

٣ ـ وللسيد حق استخدامه عند غيره لقاء مال يأخذه، أو يأذن له بالعمل في صنعة أو تجارة أو زراعة، ويكره للسيد أن يلزم رقيقته على كسب من غير عمل تجيده، لأنها ستكسب المال من حرام، وكذلك العبد الصغير فإنه يسرق، لما روي عن رسول الله ﷺ أنه (نهى عن كسب الأمة حتى يعلم من أين هو)، ونهى عن كسب الأَمَة إلا ما عملت بيدها نحو الغزل والنفش.

٤ ـ وللسيد على رقيقهِ حفظ وصيانة مال سيده لأنه راع فيه، وعليه النصح لسيده وبذل طاقته في خدمته وتنفيذ أوامره، وله الأجر من الله على ذلك لحديث: (أيما عبد أدى حق الله وحق مواليه فله أجران).

٥ ـ وللسيد حق تأديب رقيقه على تركه الواجب أو فعله المحرمات أو إساءته الأدب كما يؤدب ولده.

٦ ـ وللسيد وطء رقيقته إذا لم يوجد مانع شرعي، أو تكون متزوجة أو محرمة عليه.

٧ ـ وللسيد بيع رقيقه.

وللعبد حقوق على سيده:

١ ـ المحافظة على حياته، فليس له قتل عبده أو جرحه أو قطع شيء من أعضائه، كقطع أذنه أو جدع أنفه أو خصيه أو ضربه ضرباً شديداً وخصوصاً على وجهه.

٢ ـ إن قطع أذنه أو جدع أنفه أو جَبَّهُ أو خصاه عتق الرقيق على سيده بمجرد اعتدائه عليه دون حاجة لحكم حاكم، وقيل: لا بد من حكم حاكم بعتقه.

٣ ـ ولا يجوز للسيد إكراه عبده على الفاحشة، فإن فعل عتق عليه.

٤ ـ وللرقيق على سيده نفقة واجبة، طعامه وكسوته وسكنه، قدر حاجته وكفايته، فإن امتنع السيد عن دفع النفقة لعدم القدرة أو رفض دفعها مع القدرة عليها، فللقاضي، إذا طلب العبد، أن يلزم السيد ببيعه لآخر، كما أن للقاضي أن يبيع مال السيد لتأمين نفقة رقيقه.

٥ ـ على السيد، إذا مرض رقيقه وعجز عن العمل، أن ينفق عليه، كما ينفق على عبده الصغير، وعلى السيد نفقات دفنه وتجهيزه، وتطبيبه ومداواته.

٦ ـ وعلى السيد إعفاف رقيقه ذكراً كان أو أنثى، بالتزويج للذكر، وللأنثى بتزويجها أو وطئها، وتمكين الرقيق المتزوجين من الاستمتاع بزوجه ليلاً.

٧ ـ على السيد أن يكاتب رقيقه إذا طلب ذلك، وهو أن يتفق معه على عتقه بعد تسديد مبلغ معين،

لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور/ ٣٣]، وغير ذلك كثير.

ناصر الصالح

المراجع: ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٧٩، ٣١٣، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٤٢٩، ٤٤١، ٥١٠.

* * *

الركاز

الركاز ما ركزه الله تعالى في الأرض على تفاوت بين الفقهاء في تحديد هذا الركاز. فقيل: الذهب والفضة، وقيل: المعادن، وقيل: المال المدفون قبل الإسلام، وقيل: الكنز مطلقاً.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٦، ٢٨٨، ٣٠٩، ٣٨٤، ٤٠٤، ٤٢٠، ٥١٠، ٥١١، ٥٧٣.

* * *

رؤيا يوحنا

تنسب إلى القديس يوحنا، كتبت حوالي السنة ٩٥م، في أيام اشتد فيها اضطهاد السلطة الرومانية للكنيسة. تكثر فيها الصور والرموز والألغاز. كتاب الرؤيا هو كتاب الإيمان الثابت برعاية الله لشعبه في محنه، وكتاب الرجاء بالمستقبل الظافر والانتصار على أعداء الله والكنيسة. فالاضطهاد عابر وزائل والنصر لله وللمسيح وللمؤمنين بكلامه حسب الاعتقاد المسيحي.

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٦٠٠، ٦٠٣.

* * *

الروتاري Rotary

أو الروتاري الدولي كما يسمونه International Rotary؛ أو نادي الروتاري Rotary club. والكلمة مشتقة من الدوران أو التناوب، وقد تشكلت بفعل سلوك المؤسسين في بداية التأسيس حيث كانوا يتناوبون على رئاسة الجلسات، وكذلك في استضافتها بمكاتبهم.

مجموعة من الأوساط الماسونية في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة هم المؤسسون، وقد كان ذلك عام ١٩٠٥م، ومن الأسماء: المحامي بول هاريس (Paul Harris)، وسلفستر شيلر، وغوستاف إيه لوهر، وميريام إيه شوري.

وهذه الأندية كانت لرجال الأعمال والمهن الحرة، وقد تسترت بشعار الخدمات العامة، والعمل الإنساني، وتزعم أنها تحصر نشاطها في المسائل الاجتماعية، ولأن عضويتهم للمهنيين فقد حصروا المهن الرئيسية وصنفوها بـ ٧٧ مهنة.

بعد ثلاث سنوات انضم لأندية الروتاري شيرلي بري الذي لعب دوراً بارزاً في انتشار الروتاري، ويأتي الثاني، من حيث الأهمية، في تاريخ هذه الحركة بعد المؤسس بول هاريس المتوفى عام ١٩٤٧م، ومن الروتاريين البارزين التركي أورخان لتان، واليهودي كونراد هيلتون الماسوني أيضاً وهو مؤسس شركة فنادق هيلتون المعروفة.

شعار أندية الروتاري هو عجلة مرسومة باللونين الأزرق والذهبي، وفيها ٢٤ سناً وقد كتب عليها عبارة الروتاري الدولي International Rotary. واللونان الأزرق والذهبي من الألوان المقدسة عند يهود، وتتوافق مع الألوان التي تطلى بها أسقف المحافل الماسونية وهي زرقاء تنثر عليها نجوم باللون الذهبي، ومحاور عجلة الروتاري الثلاثة لو تمّ وصل خطوطها لتشكلت النجمة السداسية المركبة من مثلثين متعاكسين، وهي من رموز اليهودية.

ومن الأفكار المعتمدة عند الروتاري ما يلي:

ـ عدم اعتبار الدين مسألة ذات قيمة، سواء في اختيار العضو أو في العلاقة بين الأعضاء، ولا يقيمون وزناً لمسألة الوطن.

ـ تلقن الروتارية أتباعها قائمة بالأديان المعترف بها لديها، وهي متساوية في المكانة عندهم، وهذه الأديان هي: الإسلام ـ المسيحية ـ البوذية ـ الكونفوشية ـ الهندوسية ـ اليهودية ـ الطاوية.

وقد صادف، ومن باب الارتباط بين الماسونية والروتارية، أن أعضاء أندية روتارية كانوا جميعاً من الماسون، من الأمثلة على ذلك ما كان في أدنبرة ـ بريطانيا عام ١٩٢١م وما ورد في محافل نانس بفرنسا عام ١٨٨١م حيث قالوا: «إذا كوِّن الماسون جمعية بالاشتراك مع غيرهم فعليهم ألا يدعو أمرها بيد غيرهم».

وقد أسست الروتاري، كما هو معتمد حالياً، أندية لكل فئة في المجتمع وعندهم ما يلي:

١ ـ أندية سيدات الروتاري «الأنروبل» وهي أندية نسائية.

٢ ـ أندية شباب الروتاري «الروتراكت»، ومن اهتماماتها توفير فرص الدراسة والمنح لمن ينتسبون إليها.

٣ ـ أندية الفتيان «الأنتراكت»؛ وهي مخصصة لأولاد أعضاء أندية الروتاري.

تنتشر أندية الروتاري، حسب قول القائمين عليها، في ١٥٠ بلداً، ومقرها الرئيسي حالياً في إيفانستون بولاية إيلينويس ـ الولايات المتحدة الأمريكية.

أما في المنطقة العربية فإنهم يسمون أنديتهم أندية روتاري المنطقة ٢٤٥، وتنتشر في كل من مصر والسودان ولبنان والبحرين وقبرص، ووثائقهم للعام ١٩٨٦م تشير إلى أن عدد أندية هذه المنطقة كان ٤٧ نادياً، أما في الدول العربية الأخرى فإنها لا تزال محظورة.

إن أندية الروتاري مصنفة إسلامياً بين الحركات المحظورة، ودخولها محرم. ففي ٢٥ شعبان ١٤٠٥هـ، الموافق فيه ١٥ أيار (مايو) ١٩٨٥م صدر عن لجنة الفتوى في الأزهر الشريف ـ وكان الحديث عن الماسونية ـ ما يلي:

«ومن بين هذه الوسائل التي يحاربون بها الإسلام وسيلة الأندية التي ينشئونها باسم الإخاء والإنسانية ولهم غاياتهم وأهدافهم الخفية وراء ذلك.

وإن من بين هذه الأندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها مثل الليونز والروتاري وهما من أخطر المنظمات الهدامة التي يسيطر عليها اليهود والصهيونية ـ لذلك يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها».

وصدر كذلك عن المجمع الفقهي بمكة المكرمة في ١٠ شعبان ١٣٩٨هـ، الموافق فيه ١٥ تموز (يوليو) ١٩٧٨م وكانت الفتوى حول الماسونية ما يلي:

«إنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الأسود (الليونز) والروتاري، إلى غير ذلك من المبادىء والنشاطات الخبيثة التي تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية».

لكل هذا يمكن القول: إن أندية الروتاري من الفرق الخطيرة وهي من أوجه النشاط الماسوني.

أسعد السحمراني

المراجع: ٢٧٣، ٢٧٤، ٤٤٧، ٥٤٥، ٥٥٢، ٦٢٩.

* * *



الزبور

قال أعرابي: إنّي لا أعرف زَبْرتي؛ أي كتابتي وخطّي، وزَبَرْت الكتاب إذا أتقنت كتابته، والزِّبر: الكتاب، والجمع زُبُور، مثل: قِدر وقُدُور. والزَّبور: الكتاب المزبور.

وقد غلب الزبور على صحف داود عليه السلام، وكل كتاب زبور.

وقال بعضهم: الزبور اسم للكتاب المقصور على الحكم العقلية دون الأحكام الشرعية، والكتاب لما يتضمن الأحكام والحكم ويدل على ذلك أن زبور داود عليه السلام لا يتضمن شيئاً من الأحكام.

والزبور كما جاء عند القرطبي في تفسيره: «كتاب داود عليه السلام وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، وإنما هي حِكم ومواعظ». وقال في موقع آخر: «كتاب ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود؛ وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد».

وقال المسعودي: «وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة، وجعله ثلاثة أثلاث: فثلث ما يلقون من (بُخت نصّر)، وما يكون من أمره في المستقبل، وثلث ما يلقون من أهل أثور (أشور)، وثلث موعظة وترغيب وتمجيد وترهيب، وليس فيه أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم».

وتسمى أقسام الزبور مزامير على الذائع من هذا الأمر، وقد ذكرت مقدمة لمزامير داود، في طبعة دار المشرق ببيروت للكتاب المقدس، أن عدد المزامير مائة وخمسون مزموراً، ويكررها يهود في هياكلهم على شكل ترانيم، ويزعمون أن داود عليه السلام كان جميل الصوت ويتقن العزف على القيثارة وكان يؤديها بشكل مغنى لذلك يعملون على تقليده.

أما «قاموس الكتاب المقدس» فقد ورد فيه: «وقد اعتبر داود منذ حداثته مرنِّم إسرائيل الحلو، وقد نسبت إليه المزامير. وقد ورد في الكتب التاريخية ذكر لشغفه بالموسيقى، فقد كان يضرب على القيثارة بمهارة فائقة.. وينسب إلى داود ثلاثة وسبعون مزموراً».

نصل إلى القول: الزبور هو كتاب داود عليه السلام في الأغلب والأعم، وأنه تسمى أجزاؤه مزامير ولا عبرة للاختلاف في عددها إذا عرفنا أن تدوين العهد القديم قد أنجز في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، بينما المعلوم أن داود عليه السلام قد عاش في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد وأوائل العاشر قبل الميلاد؛ أي أن التدوين تمَّ بعده بسبعة قرون، لذلك يكون الاختلاف في عدد المزامير وعناوينها وبعض نصوصها وارداً.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٢٦، ٤٤١، ٤٨٠، ٥٠٣.

* * *

الزرادشتية

ديانة كان تأسيسها في بلاد فارس في القرن السادس قبل الميلاد على يدي زرادشت بن يورشب الذي ظهر في عهد الملك كشتاسب بن

لهراسب، وتسمّى المجوسية لأن قبيلة المجوس الفارسية هي أول من تبع الزرادشتية.

يعتقد الزرادشتيون بوجود إلّه للخير خالق يسمونه أهورامزدا، ويقولون: إنه إلّه النور والسماء، وأن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له، وصفات من صفاته. وفي عقيدتهم هناك مصدر للشر يسمونه «آهرمان» ومعناه: الخبيث أو القوى الخبيثة، وهو إلّه الظلمة، ولكنه ليس بمستوى أهورامزدا الخالق.

وهناك صراع عندهم بين إلّه النور وإلّه الظلمة لذلك أطلقت عليهم تسمية: ثنوية. وآهرمان هو مصدر الشر والخالق أهورامزدا لا يليق به أن يقال إنه خالق الشر. والمؤمنون واجبهم أن ينصروا إلّه النور.

لذلك دخلت النار كعامل رئيسي في عباداتهم، وبيوت النار عندهم هي مراكز العبادة والتقديس. النور مقدس ولأن الكواكب لا توفّره في كل الأوقات، عمدوا إلى النور الاصطناعي المنبعث من بيوت النار.

«وتحتل النار المقدسة وسط غرفة خاصة، وتوضع في موقد حجري مستقر على أربع قوائم. ويوقدها الكاهن نهاراً وليلاً وهم يلقون فيها كميات من البخور. ويضع الكاهن كمامة على فمه لئلا يدنس النار». ويدخل الزرادشتيون إلى موضع النار باحترام بعد الاغتسال وخلع الأحذية ويناولون الكاهن تقدماتهم من البخور والمال، وهو يناولهم كمية من رماد النار.

ويقول الزرادشتيون بأن الطوفان الذي حدث زمن نوح عليه السلام لم يصبهم. ويؤمنون بالله وبنبوة زرادشت وكتابهم هو «الزندافستا»، ويؤمنون بالمعاد الأخروي. والعالم عندهم له نهاية محتومة، وحينها سينتصر أهورامزدا وسيهلك آهرمان وكل قوى الشر، وبعدها سيظهر «أشيزريكا على أهل العالم، ويحيي العدل ويميت الجور... ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن».

الزرادشتية جاء ذكرهم في سورة الحج من القرآن الكريم باسم المجوس، وقد صنفهم فقهاء المسلمين بأنهم أهل شبهة كتاب، يصالحون على ما هم عليهم ولكن لا تُنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم.

والزرادشتية ديانة حية ينتشر أتباعها، الذين يبلغون قرابة ثلاثمائة ألف أو أكثر، في أكثر من بقعة، وحسب مرجعهم الديني الأعلى في إيران السيد رستم شهزادي يتوزعون على الشكل التالي: «يبلغ عدد أبناء الطائفة الزرادشتية في إيران ٩١ ألف نسمة، حالياً موزعين بشكل رئيسي على مدن طهران وكرمان وأصفهان وشيراز، وهناك أعداد قليلة تسكن بعض المدن الإيرانية الأخرى... والإحصاءات تشير إلى أن هناك حوالي مئة ألف في الهند، وخمسين ألفاً في الباكستان، وخمسين ألفاً في دول أوروبا، وعشرين ألفاً في أميركا، وعشرين ألفاً آخر في إفريقيا الجنوبية».

وبالنسبة للهند، حيث العدد الأكبر من الزرادشتيين في تجمع واحد، يبدو أن الزرادشتية دخلت في القرن الثامن الميلادي، ومنذ العام ١٦٤٠م بدأوا يتجمعون في بومباي، ومعظمهم رجال أعمال يشتغلون في التجارة وأعمال الصيرفة.

والزرادشتية دعوة مغلقة؛ أي لا تقبل أن ينضم إليها أي إنسان من خارجها. ويصنَّف زرادشتياً من كان من أبوين زرادشتيين فقط، وكما يقول المعاصرون منهم بأن هذا الأمر معتمد عندهم منذ القدم.

والزرادشتية تقول بأن الإنسان مخيَّر غير مسيَّر، وفي هذا ينقل ديوارنت: «إن بني الإنسان، حسب تعاليم زرادشت، ليسوا مجرد بيادق تتحرك بغير إرادتها في هذه الحرب العالمية، بل إن لهم إرادة حرَّة، لأن أهورامزدا كان يريدهم شخصيات تتمتع بكامل حقوقها، وفي مقدورهم أن يختاروا طريق النور أو طريق الكذب، فقد كان آهرمان هو الكذبة المخلدة، وكان كل كذاب خادماً له».

نختم بالقول: إن الزرادشتيين يعتمدون في عباداتهم طابعاً فيه شيء من السرية، فمراكز العبادة عندهم في إيران والهند مثلاً ليس لها من الخارج أي شيء أو شكل يميِّزها ولا يمكن أن تُعرف إلا من داخل حيث النار في غرفة تتوسطها مع سائر طقوسهم.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٧٤، ٤١٤، ٥٢٤، ٥٥٢، ٦٠٥.

* * *

الزكاة

الزكاة في اللغة: الزيادة والنماء، وفي الشرع الحصة (النسبة) من المال التي فرضها الله على المال بجميع أنواعه لمستحقيها، وهي ركن من أركان الإسلام، فرضها الله على المسلمين، وقرن بينها وبين الصلاة في كثير من المواضع كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة/ ١١٠]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج/ ٤١]... وربما أطلق على الزكاة اسم الصدقة.

وهي عبادة وتقرُّب إلى الله تؤدي إلى تنظيم توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي، وإلى حركة المال وعدم كنزه. وهي حق على أصحاب الأموال لمستحقيها ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج/ ٢٤، ٢٥].

وتجب على أموال التجارة، والذهب، والفضة، والأوراق النقدية والعرفية، والزروع والثمار، والأنعام من غنم وإبل وبقر، والمعادن، والركاز (الكنز)، ومقدارها يعادل ٢,٥٪ من المال إذا حال عليه الحول (مضت عليه سنة قمرية)، وبلغ النصاب، وقد فصَّلت كتب الفقه كيفية حسابها ومقدار النصاب من كل نوع من الأموال والممتلكات، والشروط الواجب توافرها في المال حتى تجب فيه الزكاة.

وعلى الدولة المسلمة أن تنظم جبايتها، ولها حق أخذها بالقوة من الممتنع عن دفعها. وإن امتنعت جماعة عن دفعها وأعلنت العصيان قوتلت على ذلك، وقد حارب أبو بكر رضي الله عنه الممتنعين عن دفع الزكاة وقال: «والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه»، كان ذلك في حروب الردة المعروفة.

وأوجه صرف الزكاة حددتها الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة/ ٦٠].

والفقراء هم الذين لا مال لديهم، والعمال العاطلين عن العمل عندما لا يتوافر العمل لجميع العمال الذين يعتاشون من عمل أيديهم، والمساكين هم أحسن حالاً من الفقراء لكنهم لا يملكون كفايتهم، والمؤلفة قلوبهم هم فئة أسلمت ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم، ويُعْطَون لاستمالتهم [وانظر المؤلفة قلوبهم]، وفي الرقاب أي للعبيد لمساعدتهم في الحصول على الحرية، والغارمين: المدينين الذين لا يستطيعون وفاء ديونهم، وفي سبيل الله أي للمجاهدين والفدائيين والمرابطين، وابن السبيل أي المسافر الذي ينقطع في بلد غريب أو في الطريق.

ويُعطى من الزكاة طلبة العلم لأنهم يقومون بفرض، ولا يُعطى المتفرغون للعبادة، لأن الله لم يأمر بالانقطاع للعبادة.

ويلاحظ في نظام الزكاة أن الأغنياء يدفعون دائماً، وأن الفقراء والمحتاجين يأخذون دائماً، والذي يأخذ مقدار حاجته فلا يبقى في المجتمع فقير أو محتاج.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٣٨٥، ٣٩٧، ١/٤٦٦، ٥٤٩.

* * *

زكريا (النبي) عليه السلام

يعود في أصل نسبه إلى داود عليه السلام. تزوج زكريا من إيشاع بنت فاقور، وكان عمران بن ماثان قد تزوج بأختها حنَّة التي تقدمت في السن ولم تنجب، فدعت ربَّها أن يرزقها ولداً تنذره لخدمة بيت العبادة، فحملت ووضعت مريم عليها السلام، وكفلها زكريا عليه السلام، وهو زوج خالتها.

قال الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/ ٣٧].

عندما وجد زكريا ذلك في حال مريم ولادة وكرامة في الرزق والطعام، توجه إلى الله تعالى داعياً أن يرزقه مولوداً، علماً أن امرأته كانت قد تقدمت في السن، وهو كان كذلك. قال تعالى بلسان زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران/ ٣٨].

فاستجاب الحق سبحانه لطلب زكريا، فقال الله تعالى في هذا الأمر: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران/ ٣٩]. وحصوراً أي أنه لا يأتي النساء تعففاً وتزهداً مع قدرته على ذلك. وكانت آية زكريا ألا يكلم الناس لأيام ثلاثة وأن يصوم عن الكلام مسبحاً شكراً لله تعالى وحمداً له سبحانه على نعمائه.

وفي العهد الجديد نص في الإصحاح الأول من إنجيل لوقا يحكي الأمر نفسه؛ وفي هذا النص: «وبينما زكريا يقوم بالخدمة الكهنوتية أمام الله في دور فرقته، ألقيت القرعة على سنَّة الكهنوت، فأصابته ليدخل مقدس الرب ويحرق البخور. وكانت جماعة الشعب كلها تصلي في خارجه عند إحراق البخور. فتراءى له ملاك الرب قائماً عن يمين مذبح البخور. فاضطرب زكريا حين رآه واستولى عليه الخوف، فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا، فقد سُمِع دعاؤك وستلد لك امرأتك أليصابات ابناً فسمِّه يوحنا».

وهذا المولود سيكون عظيماً ويفرح به كثيرون. والتبرير حسب النص في إنجيل لوقا: «لأنه سيكون عظيماً أمام الرب، ولن يشرب خمراً ولا مسكراً». وفي النص كذلك: «ويهدي العصاة إلى حكمة الأبرار فيُعدُّ للرب شعباً متأهباً».

وكان بنو إسرائيل كعادتهم متمردين عصاة، فإذا بهم يتهمون زكريا ويلاحقونه فيقتلونه وهو في شجرة ينشرها وتقطيع جسده وهو في جذعها مما دفع زوجته أن تهرب بيحيى حين وضعته خوفاً من أذاهم.

هكذا مات زكريا عليه السلام مقتولاً على أيدي بني إسرائيل بعد أن كان ابنه يحيى قد قُتل على يده ملك لهم قبل ذلك.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٨٠.

* * *

الزنج (ثورة أو فتنة الزنج)

إن التاريخ العربي الإسلامي حافل بالثورات التي قامت ضد كل من بني أمية وبني العباس، ولكنه لم يعرف نظيراً لثورة الزنج في القوة والاستمرار والعنف الذي تميَّز به صراعها مع الدولة العباسية منذ نشبت حتى اليوم الذي هزمت فيه.

فقد كانت منطقة البصرة وواسط تعجُّ بآلاف الزنوج الإفريقيين الذين كانوا أرقَّاء أو أجراء لدى كبار الملاَّك في هذه المنطقة، وكانوا لا يتقاضون من الأجر شيئاً، بل كانوا يقتاتون بقليل من الدقيق والتمر والسويق، مما جعلهم، إزاء هذه الحالة الاقتصادية والاجتماعية السيئة، على استعداد

للخروج على ولاة الأمر فيهم. وقد قاد هؤلاء الزنوج رجل فارسي يدعى علي بن محمد بن عيسى، المعروف بالبرقعي، وادعى أنه علويُّ النسب، وأنه من ولد علي زين العابدين بن الحسين ابن علي، كما ادعى أن العناية الإلَهية قد أرسلته لإنقاذهم مما كانوا يعانونه من بؤس، كما ادعى أيضاً العلم بالغيب وانتحل النبوة، ولكنه لم يجهر بعقائد المذهب الشيعي على الرغم من ادعائه النسب إلى علي وفاطمة، وإنما جهر بعقائد مذهب الخوارج، واتصل بعبدٍ توسَّم فيه الذكاء اسمه ريحان بن صالح، ووعده أن يكون قائداً، وأمره أن يجذب من العبيد من يتوسم فيه القوة والاستجابة للدعوة الجديدة، ونجحت الفكرة، وتجمع حوله عدد كبير من العبيد، فعظم شأنه وقويت شوكته، ولقيت دعوته قبولاً بين أهالي هجر والبحرين والعراق حتى وصل تعداد أتباعه ١٥,٠٠٠ غلام.

وما زال الزنج يلتفون حول صاحبهم حتى كان يوم عيد الفطر، فخطبهم وصلى بهم. وفي خطبته شرح لهم ما وقع بهم من ظلم، ورسم لهم مستقبلاً سعيداً، وأغراهم بالجهاد ليستمتعوا بالأموال التي سينالونها من الظالمين، وبدأ بذلك نضال مرير بينه وبين جيوش الخلافة. واتخذ مدينته التي بناها وسماها «المختارة» منبراً كان يصعد عليه ويسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة، على الرغم من ادعائه النسب إلى علي.

وكانت ثورة الزنج مدمرة تحرق المدن وتبيد الزرع، وقد استولى الزنوج على مدينة الأبلة والأهواز وواسط والبصرة وعبادان، وكانوا يحرقون بعضها ويذبحون أكثر سكانها، وينهبون ما يجدون فيها من مال وعتاد، حتى عمَّ الرعب تلك البقاع وهُدِّدت عاصمة الخلافة.

ولجأ الخليفة المعتمد على الله إلى أخيه أبي أحمد الموفق طلحة ليحارب صاحب الزنج، ووضع في يده مقاليد الأمور، فتولى الموفق قيادة الحرب بنفسه، وخرج من بغداد إلى واسط في صفر سنة ٢٦٧هـ، وهزم فريقاً كبيراً من الزنج وأسر بعضهم، وحاصر مدينتهم المختارة، وبنى بإزائها مدينة سماها «الموفقة» نسبة إليه. وأقام كل فريق يرابط ضد الفريق الآخر، وفي آخر الأمر كانت الغلبة للجيش العباسي الذي أباد الزنج قتلاً وأسراً، وقتل صاحب الزنج ودمرت مدينته. وقد استمرت ثورة الزنج أكثر من أربعة عشر عاماً (٢٥٥ ـ ٢٧٠هـ) وسقط فيها مليونان ونصف في رواية ابن طباطبا في الفخري، ومليون ونصف في رواية السيوطي في تاريخ الخلفاء.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٢٢.

* * *

زند آفستا

تعاليم زرادشت أو زور آستر، انتقلت على شكل ترنيمات تدعى الواحدة منها: «جاتا Gathas»، وكلمة جاتا معناها: الغناء أو الإنشاد.

ويرجح أن عددها بحدود سبع عشرة ترنيمة، وتدوين هذه الترنيمات تمَّ في كتاب الزرادشتية المعتمد تحت اسم الأبستا Avesta أو الآفستا، والآفستا كلمة فارسية تعني المتن أو النص الأصلي.

الآفستا تمَّ تدوينه قبل نهاية القرن الخامس للميلاد، وبعدها وُضعت له الشروحات والتفاصيل الضرورية وفق شرعهم، وأصبح الآفستا مع الشروحات يسمى: زند آفستا؛ أي شرح الآفستا.

أسعد السحمراني

المراجع: ٥٢٦.

* * *

الزندقة

لفظ «الزنديق» فارسي معرب، فليس في كلام العرب زنديق، وإنما كانوا يقولون مُلْحِد ودَهْرِيٌّ، ثم ما لبثت الكلمة أن شاعت منذ العصر العباسي الأول، فكانوا يطلقون لفظ «زنديق» على من ينفي وجود الله سبحانه، أو يقول إن له شريكاً، أو من يُبْطِن الكفر ويُظْهِر الإيمان، ومن يتمسك بعقيدة الثنوية وعبادة إلٰهين اثنين وأتباع تعاليم ماني، بل إنه أطلق، في الروايات المبكرة على كل من يتأثر بالفرس في عاداتهم ويسرف في العبث والمجون.

ويمرور الوقت أخذ الزنادقة يشددون هجومهم على عقيدة المسلمين وأدبهم وتراثهم وتاريخهم، ومضوا في إعلان آرائهم بين الناس، وخاصة في زمن الخليفة المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩هـ)، وانتشرت الزندقة حتى سرت إلى بيوت الوزراء والشعراء. ولكن المهدي ما لبث أن بدأ حملته المعروفة ضدهم، فتتبَّعهم منذ عام ١٦٣هـ، وأنشأ ديواناً خاصاً لهم عرف بديوان الزنادقة، وعين عليه عدداً من المسؤولين في بغداد. أما في الأقاليم فكان عريف الزنادقة هو الذي يشرف عليهم، يعاونه المحتسبون ورجال الشرطة.

وقد منح المهدي رجاله سلطات واسعة في ملاحقة الزنادقة وقتل من تثبت عليه التهمة، وجعل لهم سجناً خاصاً بهم سمي سجن الزنادقة، خصوصاً بعد أن أخذوا يعلنون عن آرائهم ومعتقداتهم. وكانت الطريقة التي يحاكم بها الزنادقة، بعد القبض عليهم، هي المثول أمام الخليفة أو أحد قضاته، حيث يطلب منهم الاعتراف بالزندقة والرجوع عنها، فإذا فعلوا ذلك أطلق سراحهم، فيما سمي بعملية الاستتابة.

كما أمر المهدي المتكلمين بتصنيف الكتب والرد عليهم، فيما أغنى تاريخ علم الكلام بالعديد من المؤلفات، ومنح حركة ملاحقة الزندقة عمقاً فكرياً.

وقد عبر المهدي عن حقيقة الزندقة بقوله لولده موسى الهادي يوماً، وقد تقدم إليه زنديق فاستتابه، فأبى أن يتوب فضربت عنقه: «يا بني إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة. فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش، والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى عبادة الاثنين: النور والظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات، والاغتسال بالبول، وسرقة الأطفال من الطرق، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور..».

ولما ولي الهادي الخلافة واصل الحملة على الزنادقة وقتل منهم جماعة كبيرة، وقال فيما رواه الطبري: «لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عيناً تطرف». كما عيَّن خلفه الرشيد رجلاً عرف بصاحب الزنادقة، فكان يمتحن كل من يتهم بالزندقة، ويعاقب كل من تثبت عليه بكل أنواع العقوبة. ولم تقتصر هذه العقوبة على الفُرس وحدهم، بل كان هناك العديد من العرب، كما أن أكثر البرامكة كانوا زنادقة، ولعل ذلك كان من بين أسباب نكبتهم. بل إن الزندقة بقيت بعد عصر الرشيد وتسربت إلى بلاط المعتصم الذي كان قائده الأفشين يدين بعقائد المانوية.

وقد صنف الزنادقة أبحاثاً في العلم والأدب والسياسة تأثر بها العديد من الأدباء والمفكرين، وتصدى لها المتكلمون، كما شهدت بغداد وسامراء العديد من المناظرات بين الطرفين.

ولقد عُدَّت الزندقة مظهراً أساسياً من مظاهر الشعوبية، وهي أعلى مراحل التحدي الديني والفكري والاجتماعي للإسلام.

وكان لا بد لحركة الزندقة أن تخفق نظراً لأن عناصر الوحدة والتماسك في المجتمع العربي الإسلامي كانت لا تزال أقوى وأشد من عناصر التجزئة والتشتت أولاً، ثم بسبب قوة من تصدوا لها فكرياً وسياسياً.

عماد الدين خليل

المراجع: ٦٨، ١١٠، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٣٤، ٢٣٨، ٢٥٠، ٣١٧، ٣٩٨، ٤٩٢.

* * *

الزنـكـيـون (آل زنـكـي) (٥٢١ ـ ٦١٩هـ/ ١١٢٧ ـ ١٢٢٢م)

(آق سنقر صاحب حلب، مملوك ملكشاه، قتله تتش سنة ٤٨٧هـ)

في الموصل وحلب

٥٢١هـ عماد الدين زنكي بن آق سنقر	١١٢٧م
٥٤١هـ سيف الدين غازي (الأول) بن زنكي	١١٤٦م
٥٤٤هـ قطب الدين مودود بن زنكي (الأعرج)	١١٤٩م
٥٦٤هـ سيف الدين غازي (الثاني) بن مودود	١١٦٩م
٥٧٢هـ عز الدين مسعود (الأول) بن مودود	١١٧٦م

(هزمه صلاح الدين سنة ٥٨١هـ فأصبح منذ ذلك الوقت عاملاً أيوبياً).

في دمشق وحلب

٥٤١هـ نور الدين محمود بن زنكي أبو القاسم	١١٤٦م
٥٦٩ ـ ٥٧٧هـ الصالح نور الدين إسماعيل بن محمود	١١٧٤ ـ ١١٨١م

(دام حكمه بدمشق ستة أشهر فقط فقد استولى عليها صلاح الدين سنة ٥٧هـ)

إحدى الأسر الإسلامية التي حكمت العراق ومصر وبلاد الشام في القرن السادس الهجري، وكان للاحتلال الصليبي أثره الكبير في منحها السمعة الكبيرة التي نالتها في التاريخ الإسلامي بوصفها رائدة الوحدة الإسلامية، وقائدة الجهاد ضد الصليبيين في فترة كان فيها المشرق العربي في أمسِّ الحاجة لذلك.

والزنكيون أكراد يُنسبون إلى الملك العادل عماد الدين زنكي بن آق سنقر. وكان أبوه من مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان، ويلقب بقسيم الدولة. وبعد موت ملكشاه في معركة مع أخيه تتش سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م قُتِل آق سنقر، وكان ابنه عماد الدين زنكي صغيراً، فالتحق بالسلطان السلجوقي في بغداد مع جماعة المماليك التي أحاطه بها أبوه، وهناك نشأ زنكي واشترك في شبابه في معظم المعارك التي جرت في شمال الشام ضد الصليبيين. وحين عينه السلطان لولاية الموصل طلب أن يربي بعض أولاد السلطان ليحصل على لقب أتابك (أي الأب الأمير أو المربي) وكان له ذلك فصار الأتابك زنكي، وبدأت به الدولة الزنكية سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. ثم ملك حلب في العام التالي، وقام بأعباء الجهاد ضد الصليبيين خير قيام، فردَّهم عن حمص وحلب وحماة، واستطاع أن يستعيد إمارة الرها من الصليبيين سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م. ولما توفي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م انقسمت مملكته بين ولديه نور الدين محمود الذي كان معه في بلاد الشام، وسيف الدين غازي الذي كان في الموصل.

وقد تابع نور الدين محمود أعمال والده في الجهاد ضد الصليبيين، واستطاع أن يضم دمشق إلى سلطانه ثم الموصل وديار بكر، ولم يبق في بلاد الشام سلطان لغيره إلا البلاد التي كانت واقعة تحت سيطرة الصليبيين.

أرسل نور الدين أحد قواده وهو أسد الدين شيركوه، ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي إلى مصر فأخضعاها لسلطان نور الدين مع وجود الخليفة الفاطمي العاضد فيها، وقام بتحصين قلاع بلاد الشام وبناء الأسوار حول مدنها. وركز اهتمامه على تحرير البلاد من الصليبيين، واستطاع سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م أن يأسر ملك أنطاكية وملك طرابلس، وأن يستعيد حارم، وغيرها من القلاع والحصون. وحين مات سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م بمرض الخوانيق في دمشق اعتبره الناس شهيداً، وبقي اسمه مقروناً في ذاكرة الناس لعدة قرون بالعدل والإحسان بفضل رعايته لعامة الناس وتواضعه وحكمته ونشره للأمن والعلم.

وبعد وفاته خلفه ابنه الصالح إسماعيل في حلب، وتملك صلاح الدين الأيوبي بقية بلاد الشام ومصر، وترك حلب للصالح إسماعيل رعاية لحق

أبيه نور الدين رغم صدور مرسوم الخلافة بحكم صلاح الدين لها.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١٦، ١/١٣٥.

* * *

الزنى

الزنى، لغةً، تأتي على وجهين: فزنا زُنُواً: ضاق. وزنّى تزنيةً عليه: ضيَّق. وأما زنى (بالألف المقصورة) معناها: فَجَرَ. فهو زانٍ، وهي زانية نسبةً إلى الزنى.

أما من حيث التفسير الديني، فالزنى: هو المواقعة من غير عقد النكاح، وهو متفحِّش ومنكر، لما يتبعه من فساد الأنساب، وقطع النسل، وظهور الأمراض التناسلية، ودعوته إلى كثير من الجنايات الاجتماعية، من قتل وجرح وسرقة وغير ذلك، وذهاب العفَّة والحياء والمودة والرحمة، وهذا مستوحًى من قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء/ ٣٢]، فقد نهى الله عن الزنا وقد بالغ في تحريمه حيث نهاهم عن أن يقربوه، وعلله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً﴾ فأفاد أن الفحش صفة لازمة له لا يفارقه، وقوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ فأفاد أنه سبيل سيء، يؤدي إلى فساد المجتمع في جميع شؤونه، حتى ينحل عقده ويختلُّ نظامه، وفيه هلاك الإنسانية. وقد بالغ سبحانه في وعيد من أتى به حيث قال في صفات المؤمنين: ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ [الفرقان/ ٦٨ ـ ٧٠].

ويعتبر الزنى من المحرَّمات ليس في الإسلام فحسب، بل عند اليهود وعند النصارى على السواء، ويستفاد من التوراة، وكذلك من الإنجيل حرمته ولا يسمح به عند جميع الأديان السماوية.

فكل رجل يقرب امرأة ليست زوجة له، وكل امرأة تقرب رجلاً ليس زوجاً لها، يقوم أو تقوم بارتكاب عمل الزنى.

ويأتي ترتيب القانون الشرعي ووجوبه على الزاني والزانية عند المسلمين على تراتبية يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور/ ٢]. فالزنا هو المواقعة من غير عقد، أو شبهة عقد، أو ملك يمين. والجلد هو الضرب بالسوط. والرأفة التحنن والعطف، وقيل: هي رحمة في توجع. والطائفة، في الأصل، هي الجماعة كانوا يطوفون بالارتحال من مكان إلى مكان. وقيل: وربما تطلق على الاثنين وعلى الواحد. وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ أي المرأة والرجل اللذان تحقق منهما الزنا، فاضربوا كل واحد منهما مائة سوط، وهو حد الزنا بنص الآية، غير أنها مخصصة بصور منها: أن يكون محصنين ذوي زوج، أو يكون أحدهما محصناً فعقابه: الرجم. ومنها أن يكونا غير حرَّين، أو أحدهما رقاً: فنصف الحدّ، أي نصف المائة سوط، مع العلم أن الرجم يكون لمن هو محصن، والجلد يكون لمن هو غير محصن. وأما قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وليحضر ولينظر إلى ذلك جماعة منهم، ليعتبروا بذلك فلا يقتربوا الفاحشة.

والزنى عند المسلمين لا يثبت إلا بوجود أربعة شهود، يشاهدون واقعة الزنا، ويقسمون يميناً مغلظةً على مشاهدة تلك الواقعة، وأن يكون كل من الشهود الأربعة شاهداً عدلاً، معترفاً بإيمانه واستقامته.

أما عند المسيحيين واليهود فيختلف الأمر كثيراً، وليس هناك من إقامة حد بالجلد أو الرجم، كما هو الحال عند المسلمين. فاليهود مثلاً يفرِّقون بين الزوج والزوجة. وإذا أنجبا أولاداً من الزنى، يحرَّم على أولاد الزنى «ذكراً أو أنثى» إلى سابع حفيد أن

يكون يهودياً معترفاً به من قبل رجال الدين. والمسيحيون كذلك، لا يقيمون حداً بالضرب أو القتل، بل يكتفون بأن يهجر أحدهما الآخر، لأن الكنيسة تحرِّم الطلاق، ولا تلجأ إليه إلا في حالات نادرة جداً.

ثم يأتي التشريع المفصَّل عند المسلمين بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/ ٤]، والمعنى: والذين يقذفون المحصنات من النساء بالزنا، ثم لم يقيموا أربعة من الشهود على قذفهم، فاجلدوهم ثمانين جلدة على قذفهم، وهم فاسقون، لا تقبلوا شهادتهم على شيء أبداً.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور/ ٥]، والاستثناء هنا راجع للجملة الأخيرة فحسب. فلو تاب القاذف وأصلح بعد إقامة الحدِّ عليه غفر له ذنبه، لكن لا تقبل شهادته أبداً. ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور/ ٦ ـ ١٠].

وفي هذه الآيات جاء التفسير واضحاً في إقامة الحد الشرعي وهو:

والذين يقذفون أزواجهم ولم يكن لهم أربعة من الشهداء يشهدون ما شهدوا، فالشهادة التي يجب على أحدهم أن يقيمها هي أن يشهد أربع شهادات يقول فيها مرَّة بعد مرة: أشهد الله على صدقي في ما أقذفها به. وفي الشهادة الخامسة يقول: لعنة الله عليَّ إن كنت من الكاذبين. وحين يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ﴾ إلى آخر الآيتين، فالمعنى: أن المرأة إن شهدت خمس شهادات بإزاء شهادات الرجل دفع ذلك عنها حدَّ الزنا. وشهادتها أن تشهد أربع مرات تقول فيها: أشهد بالله إنه لمن الكاذبين. ثم تشهد خامسة تقول فيها: لعنة الله عليَّ إن كان من الصادقين. وهذا هو اللعان الذي يؤدي إلى فصل الزوجين: الواحد منهما عن الآخر، دون أن يقام الحدُّ. وأما قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور/ ١٠] فجواب «لولا» هنا محذوف، يدل عليه ما أخذ في شرطه من القيود. إذ معناه: لولا فضل الله ورحمته وتوبته وحكمته، لحل بكم ما دفعته عنكم هذه الصفات والأفعال، ولأهلكتكم المعصية والخطيئة واختل نظام حياتكم بالجهالة.

وهكذا نرى أن التشريع بـ «الزنى» دينياً، لا نراه مفصلاً واضحاً إلا عند المسلمين. فاليهود كما نعلم حرَّفوا التوراة، أو ألغوها بابتكار التلمود، وتشريعهم الديني يكاد يكون سرّاً مخبوءاً لا يطلع عليه إلا الكهنة. وأما المسيحيون فشريعة «الزنى» عندهم صعبة ومعقَّدة كما سبق وذكرنا. فالزواج عندهم «سرٌّ إلَهي» لا يستطيع الإنسان فصل عقده الذي يعقد في الكنيسة. ويستطيع من ارتكب خطيئة الزنا أن يلجأ إلى الاعتراف في «كرسي الاعتراف» ليحلَّه الكاهن من قصاصها إذا تاب إلى ربِّه. وإذا لم يرضَ الزوجان بذلك، فليس لهما إلاَّ «الهجر» أي أن يهجر أحدهما الآخر، دون أن يكون هناك فسخ زواج بالطلاق، وحدوث الطلاق نادرٌ ويكاد يكون منعدماً.

عبد المجيد الحر

المراجع: ٤٤١، ٥٥٥.

* * *

كل شيء يبدأ في الوصيَّة القائلة: لا تزنِ، والأخرى: لا تشتهِ امرأة قريبك. الزنى هو في الأصل تجاوز واجب الأمانة بين الزوجين. فالمرأة التي تذهب إلى رجل آخر غير زوجها هي زانية، والرجل الذي يذهب إلى امرأة أخرى غير امرأته

هو زان. والزنى خطيئة كبيرة في المسيحية، فيقول بولس الرسول: إن الزناة شأنهم شأن المشركين وعبّاد الأوثان، لا يرثون ملكوت الله. وكان يسوع متصلّباً على مستوى الزنى واحترام الشخص الآخر، فتوجّه بشكل خاص إلى الرجل فقال: من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه. وشدّد بولس على المساواة التامة بين الرجل والمرأة فقال: «المرأة لا تتسلّط على جسدها بل الرجل، وكذلك الرجل أيضاً لا يتسلّط على جسده بل المرأة. هذا يعني، على مستوى الزواج، أن جسد الرجل يخصُّ امرأته دون سائر النساء، وجسد المرأة يخصُّ زوجها دون سائر الرجال». وتابع الرسول: ليكن لكل رجل امرأته، وليكن لكل امرأة رجلاً تلافياً للفجور. فليهتم المتزوج كيف يرضي امرأته، ولتهتمّ المتزوّجة كيف ترضي رجلها. ويدعونا بولس إلى الابتعاد عن الزنى لأننا هياكل الرب ومقادسه، فلا ننجّس جسدنا وروحنا ولا نستهن بوصيّة الربّ.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

الزواج (عند المسيحيين)

يعتبر الزواج في الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية سرّاً من أسرار الكنيسة فيما لا يعتبر كذلك في الكنائس البروتستانتية.

لا يحق للمسيحي أن يتزوج أكثر من امرأة واحدة فيما يُسمح له بزواج ثانٍ في حال وفاة الشريك أو انفصال الزوجين القانوني، وإن كانت هاتان الكنيستان لا تشجعان كثيراً على الزواج الثاني. فالزواج رباط مقدس يوحّد فيه الله الرجل بالمرأة بحسب ما ورد في الكتاب المقدس: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتحق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً» (تك ١٢: ٢٤، أف ٥: ٣١). إذاً الزواج هو مشيئة الله للإنسان الذي، بحسب رواية الخلق في سفر التكوين، خلقه رجلاً ثم خلق امرأة لتكون معه فيستقيم كيانه، كما أن الكنيسة تعتبر ارتباط المرأة بالرجل كارتباط المسيح بالكنيسة، فهو رأسها، وشرط الرئاسة هذا هو أن يحبها حتى حدود بذل ذاته لأجلها كما بذل المسيح نفسه على الصليب، وعليها أن تطيعه لأنه يفعل ذلك: «أيها الرجال أحبُّوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها (أف ٥: ٢٥)، والرجال عليهم «أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه... فليحب كل واحد امرأته كنفسه، وأما المرأة فلتهب رجلها» (أف ٥: ٢٨، ٣٣).

بولس وهبة

المراجع: ٦٣٢.

* * *

الزواج

الزواج هو عقد يحل به استمتاع كل من الزوجين بالآخر.

١ ـ حكمه: الزواج فرض على من ملك تكاليف الزواج ـ بغير إسراف ـ وهو بحاجة إليه، لأن به استمرار الوجود الإنساني. وإن كان بحاجة إليه ولا يملك تكاليفه، فيجوز له أن يستقرض ليتزوج، ليمنع نفسه عن الإثم. وتزويج البنات والبحث لهن عن أزواج، إن كن بحاجة إلى الزواج، فرض أيضاً، ومن كان بغير حاجة إلى الزواج من الرجال والنساء فيسنُّ له الزواج، لأن ساعة الضعف لا يدري متى تعرض له.

٢ ـ أركانه: الزوج، والزوجة، وولي الزوجة، والمهر، وعقد الزواج.

أ ـ الزوج: ويشترط فيه الإسلام إذا كانت الزوجة مسلمة، كما يشترط فيه البلوغ، ولا يصح زواج الصغير الذي لم يبلغ إلا بإذن وليه، أما

كون الزوج كفءً للزوجة، فهو شرط لزوم، وليس بشرط صحة، وعلى هذا فإن الزوجة إذا رضيت ورضي وليها بالزواج من غير الكفء صح الزواج ولزم.

ب ـ الزوجة: ويشترط فيها ما يلي:

١ ـ أن لا تكون من المحرَّم عليه الزواج بها، واللاتي يحرم عليه الزواج بهن على نوعين:

أ ـ محرمات حرمة مؤبدة: فيحرم على الإنسان الزواج بأصله وإن علا، كالأم والأب والجد والجدة؛ وفرعه وإن نزل كالابن والبنت وأبنائهما؛ وفرع أبيه وإن نزل، كالإخوة والأخوات وأبنائهم؛ وفرع جده الطبقة الأولى وهم العمات والخالات والأعمام والأخوال. كما يحرم عليه الزواج بأصل زوجه وإن علا، وفرعه وإن نزل، ويحرم عليه الزواج بمن رضع من لبنها وبكل من رضع منها غيره، سواء كانوا أولاداً لها، أو لم يكونوا أولاداً لها، وبكل من يحرم عليهم كما فُصِّل في (الرضاع).

ب ـ محرمات حرمة موقتة: كل امرأة ذات زوج، أو هي في العدة، أو حامل من غيره، ولو كان حملها من الزنا، أو كافرة غير كتابية، أو كتابية حربية، أو معتادة للزنا حتى تتوب وتحسن توبتها، أو كانت عنده زوجة هي رحم محرمة على من يريد الزواج منها، لأن رسول الله ﷺ (نهى أن تنكح المرأة على عمتها والمرأة على خالتها). ويحرم على الزوج أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات لقوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء/ ٣].

٢ ـ الرضى بالزواج، فإن أُكرهت عليه، أو زُوِّجت بغير إذنها وكانت بالغة لم يصح نكاحها.

جـ ـ ولي الزوجة:

١ ـ من هو الولي: لا يصلح ولياً في زواج الفتاة الصغيرة إلا الأب والجد، ولا يصلح غيرهما؛ أما الكبيرة البالغة: فولي زواجها سائر العصبات، ويقدم منهم الأقرب منها فالأقرب، إلا أن يكون الأقرب غائباً فإنه ينوب منابه في تزويجها من بعده.

٢ ـ ويشترط في الولي أن يكون عاقلاً بالغاً مسلماً، لأنه لا ولاية لكافر على مسلم، ولا تشترط فيه العدالة ـ فيما يرجحه الباحث ـ لندرتها في هذه الأيام، ولكن يشترط فيه الحرص على مصلحة الفتاة.

٣ ـ موافقة ولي المرأة على زواجها شرط لصحة الزواج، فإن لم يوافق الولي على الزواج تعنتاً، فإنه يزوجُها القاضي.

د ـ المهر: المهر هدية يقدمها الزوج للزوجة يطمئنها بها على أنها ستكون في بيت الزوجية محل احترام الزوج ـ وهو الذي له القوامة في الأسرة ـ وتقديره، وهذا الذي عبر عنه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء/ ٤]، ولذلك صح أن يكون مهراً كل ما صلح أن يكون هدية.

هـ ـ عقد الزواج:

١ ـ ينعقد الزواج بكل ما يفهم منه الزواج من الصيغ، سواء عُبِّر منه بالكلام أم بالكتابة، أم بالإشارة المفهومة بالنسبة للأخرس.

٢ ـ ولكل من المتعاقدين في عقد الزواج أن يشترط من الشروط ما لا يُخلُّ بمقصد الزواج، كاشتراط الجمال في الزوجة، واشتراط المرأة أن لا يخرجها من بلدها، وأن لا يتزوج عليها، ونحو ذلك. ولكن لا يجوز له أن يشترط أن لا يطأها، ولا أن يشترط أجلاً ينتهي به الزواج، ولا أن تشترط أن يتزوجها ليلة ليحلها لزوجها الذي طلقها ثلاثاً، لأن هذه الشروط كلها تفسد النكاح لأنها تُخِل بمقاصده.

٣ ـ إعلان عقد الزواج: يجب إعلان عقد الزواج، لئلا يُظَنَّ بالزوجين السوء، وأقل ما يتحقق به الإعلان شهادة رجلين، قال ﷺ: (أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدف) وزاد رزين في رواية: (فإن فَصْلَ ما بين الحلال والحرام الإعلان).

٣ ـ آثار عقد الزواج: يترتب على عقد الزواج الآثار التالية:

أ ـ حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر.

ب ـ ثبوت ولاية الزوج على الزوجة، وما يلحق ذلك من الطاعة.

جـ ـ ثبوت نفقة الزوجية على الزوج.

د ـ ثبوت نسب الولد، إذا جاءت الزوجة بولد لأكثر من ستة أشهر.

هـ ـ حصول الإحصان بالدخول أو بالخلوة الصحيحة بعد العقد.

و ـ انحلاله بالطلاق أو الفسخ.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

* * *

الزياح

هو الطواف الطقوسي الديني في الكنائس المسيحية، وهو يتم عادة في الأعياد الكبرى، آخذاً معنى مختلفاً في كل منها، إلا أنه دلالة فرح وابتهاج واشتراك الجماعة في التعبير الخارجي عن هذا. يتم الزياح إما حول الكنيسة أو انطلاقاً من مكان محدد إلى مكان ذي طابع مقدس (قبر قديس، مكان حدث ديني أو عجيبة، الخ).

بولس وهبة

المراجع: ٤٠٥، ٤٠٦.

* * *

زيت الميرون

الزيت نتاج الزيتون، وهو يُستعمل في تهيئة الطعام، كما يستعمل كدواء للجراح وعطر في وقت الفرح. استُعمل في العهد القديم لمسح الملوك مثل شاول وداود وسليمان، والكهنة وعظماء الكهنة، وما زال يُستعمل اليوم حين يرسم الإنسان كاهناً أو أسقفاً. ويستعمل أيضاً في ممارسة سرِّ العماد وسرِّ التثبيت. وكما استعمل يسوع المسيح الزيت شفاء المرضى، لا تزال الكنيسة تمسح المرضى بالزيت فتمنحهم شفاء النفس، وإذا شاء الله، شفاء الجسد. هذا الزيت الذي يستعمل في ممارسة الأسرار يسمَّى زيت الميرون. ولفظة ميرون تعود إلى اليونانيَّة وتعني العطر السائل والزيت المطيَّب. يتألَّف زيت الميرون من الزيت وعدد من العطور، ويكرِّسه الأسقف يوم الأربعاء في أسبوع الآلام، وليلة خميس الفصح الذي أسَّس الرب سرَّ القربان المقدس. واختيار يوم الأربعاء يرتبط بما فعلته مريم، أخت لعازر، حين دهنت رأس يسوع بالطيب فامتلأ البيت.

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٤٠٥، ٤٠٦.

* * *

زيد بن علي بن الحسين (٨٠ هـ/١٢٢ هـ)

أبو الحسين زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. ووالده زين العابدين علي هو الذي اشتهر في المدينة بعلمه وفقهه وزهده، وقد تجاهله مرة هشام بن عبد الملك في الحج فانتفض الشاعر الأموي الفرزدق وأنشد فيه قصيدته المشهورة ومما جاء فيها:

هـذا ابـن خـيـر عـبـاد الله كـلـهـم
هـذا الـتـقـيُّ الـنـقـيُّ الـطـاهـر الـعَـلَـمُ
فـلـيـس قـولـك مَـنْ هـذا بـضـائـره
الـعـربُ تـعـرف مـن أنـكـرتَ والـعَـجَـمُ

نشأ زيد في ظل هذا الأب المميَّز وجده أبي الشهداء الحسين. تلقى العلم عن أبيه، وبعد وفاته عام ٩٤هـ، عن أخيه محمد الباقر الذي كان يكبره بكثير حيث إن جعفر الصادق ابن محمد الباقر كان يقارب عمه زيداً سنّاً. وكتاب المجموع الذي

يحوي روايات الإمام يبيِّن علمه الواسع بالسُّنة، وهو صاحب مذهب يصنَّف بين مذاهب الشيعة وينسب إليه المذهب الزيدي الذي ينتشر في اليمن.

أراد زيد أن يتخذ موقفاً سياسياً من مجريات الأمور في عصره بخلاف باقي آل البيت، وقد تنبَّه هشام بن عبد الملك للأمر، وهو الذي تولى الخلافة الأموية ما بين عامي (١٠٥هـ - ١٢٥هـ)، وقد حاول هشام أن يوقع بين زيد وبين بعض أبناء عمومته بسبب النزاع على وقف خلَّفه الإمام علي كرَّم الله وجهه.

وقد شهد تنازعهم خالد القسري والي المدينة وفي عهده، كما وصف ابن الأثير: «باتت المدينة تغلي كالمرجل، يقول قائل: قال زيد كذا، ويقول قائل: قال عبد الله كذا. فلما كان الغد جلس خالد في المسجد واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم، فدعا بهما خالد، وهو يحب أن يتشاتما، فذهب عبد الله يتكلم، فقال زيد: لا تعجل يا أبا محمد، أعتقَ زيدٌ ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً. ثم أقبل على خالد فقال: جمعت ذريَّة رسول الله ﷺ لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر. فقال خالد: أما لهذا السفيه أحد؟ فتصدى بعض السفهاء للإمام زيد ووجهوا له كلاماً نابياً.

وبعد ذلك، تقابل مع هشام الذي حاول النيل منه، وقال له بأنك تريد الخلافة، فلم يكتم الإمام زيد ذلك وأجاب هشاماً بكل جرأة وهو في مجلسه: أخرجُ ثم لا أكون إلا بحيث تكره.

وانتقل إلى الكوفة في عام مقتله حيث بايعه أهلها. وقد أتى قوم إلى ابن أخيه جعفر بن محمد الباقر فأخبروه ببيعة زيد، فقال: بايعوه فهو والله أفضلنا وسيِّدنا.

بعث إليه يوسف بن عمر الثقفي والي العراق، من قبل هشام بن عبد الملك يومئذ، جيشاً مقدمه العباس المري، فرماه رجل منهم بسهم فأصابه فمات. وأمر به هشام أن يصلب على نخلة بكناسة وهي موقع في الكوفة، ونقل رأسه إلى هشام، وكان مقتله في صفر من عام ١٢٢هـ.

ومما ورد في خبر مقتله أن أصحابه انهزموا وتفرقوا قبل مقتله بقليل، وبقي يواجه جيش يوسف ابن عمر الثقفي مع مجموعة قليلة، وكان ينشد وهو يقاتلهم:

ذلُّ الحياة وعزُّ الممات ... وكلاً أراه طعاماً وبيلا

فإن كان لا بد من واحد ... فسيري إلى الموت سيراً جميلا

رحل زيد وقد تجاوز الأربعين بسنة أو سنتين، وهو قد حَبَاه الله بسطة في الجسم وجعل له مهابة، وكان واسع العلم والاطلاع، وخلف مذهباً فقهياً معتدلاً هو المذهب الزيدي.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٥١، ٤٢٤، ٥٨١.

* * *

الزيدية

مذهب ينتشر أتباعه - اليوم - في اليمن، ويرجع أصل نشأته إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب. والزيدية تصنف بين المذاهب الشيعية الثلاثة: الإثني عشرية الجعفرية، والزيدية، والإسماعيلية.

ويتميز الزيديون بموقفهم من الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقولهم: «لم ينص النبي ﷺ على عليّ لكنه كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقَّهم بالأمر». وقالوا بجواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل ما دامت الأمة قد ارتضت ذلك وبايعت عليه، لهذا كانت الزيدية تقر بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ولا يقول زيد والزيديون في الصحابة إلاّ خيراً ويلتزمون الحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه: (الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، من أحبَّهم فبحبِّي أحبهم؛ ومن أبغضهم فببغضي

أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؛ ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه». وقد كتب القاضي الزيدي المعاصر إسماعيل بن علي الأكوع مصنفاً طيباً عن الزيدية أورد في فصله الأول ما فيه الكفاية في هذا الباب.

حصل لقاء بين واصل بن عطاء رأس المعتزلة والإمام زيد وتذاكرا العلم، لذلك جاءت آراء كثيرة للإمام الزيدي في التوحيد غير بعيدة عن آراء المعتزلة مما حمل بعضهم على القول بأن الإمام زيداً قد تأثر بالمعتزلة.

لم يكتب الإمام زيد فقهه، ولم يقم بجمع ما رواه من أحاديث في مصنف، وإنما أملى ذلك على مريديه، وانبرى لمهمة الجمع والتدوين أحد تلاميذه، أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي، وكان ذلك في أواخر القرن الثاني للهجرة، وكان أبو خالد هذا يلازم الإمام في رحلاته، وما جمعه كان في كتابين: مجموع الحديث ومجموع الفقه.

والإمام زيد الذي التقى مع المعتزلة في موضوع إعلاء شأن العقل في فهم العقائد، قد التقى أبا حنيفة النعمان وتذاكرا العلم كذلك، ولهذا نجد أموراً كثيرة في فقه المعاملات متشابهة بين المذهبين. وبشكل عام، تعتمد الزيدية الانفتاح على المذاهب الأخرى من سنَّة وشيعة، وكذلك في السنَّة يأخذون من الروايات التي جاءت من طريق آل البيت أو من سواهم، ولهذا اعتمدت مصادرهم الزيدية الفقهية عند المذاهب كافة. ومما يذكر في هذا الباب كتاب «سبل السلام» لصاحبه محمد بن إسماعيل الصنعاني المتوفى سنة (١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)، وكتاب «نيل الأوطار» لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)، وقد كتب هذان العالمان متجاوزين الفروق المذهبية، لذلك باتت مؤلفاتهما مراجع لأهل العلم في مختلف المواقع والمعاهد.

ويفيد أن نورد هنا نصاً للإمام الشوكاني الزيدي من كتابه «قطر الولي» يقوله في إطار إجابته عن سؤال من هو الولي؟ فيقول: «إنها الوصف الذي يجب أن يكون الإنسان عليه في الحدود التي حددها لها القرآن الكريم في جانب أولياء الله، وهم المسلمون عموماً.

ولكن الذين تشيَّعوا أن تصوفوا، خصصوا هذا المعنى فأدخلوا فيه عناصر دخيلة أو مبتدعة لا صلة لها بالإنسان المثالي في القرآن الكريم كما تقيده كلمة ولي فوصفوا بها أشخاصاً معينين، إما من آل البيت رضي الله عنهم، وإما من شيعة آل البيت، وإما من المتصوفة، وأصبحت كلمة ولي تطلق على رجل التصوف أو الشريف المنتسب إلى آل البيت الذي يدَّعي ذلك ليكتسب من وراء هذا الادعاء، مع أنه لا يحق لأحد أن يطلق هذه الكلمة على نفسه ولا على أي شخص آخر، سوى من نصَّ عليه القرآن الكريم وهم الصحابة رضي الله عنهم».

والزيديون يعتمدون الاجتهاد منهجاً حتى يومنا هذا، ولا يغلقون باباً دون فائدة أو تطوير.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٥١، ٢٨٧، ٣٨٠، ٤١٦.

* * *



سارة

اسم علم مؤنث، من أصل عبرانيٌّ/ ساميٌّ، ومعناه: «الأميرة». وهو الاسم الذي أطلق على زوجة سيدنا إبراهيم خليل الله، وكان اسمها في الأصل «ساراي» ومعناه بالعبرانية «أميرتي»، غير أن الله ـ سبحانه ـ خاطب إبراهيم زوجها، وأمره أن يعدِّل في اسمه وكان «أبرام» ومعناه: الأب السامي، ليصبح إبراهيم ومعناه أبو الجماعة، كما أمره أن يعدِّل في اسم زوجته «ساراي» ومعناه: أميرتي، و «المجاهدة» فأصبح سارة ومعناه: الأميرة. وفي هذا التعديل الذي طالب به الله إبراهيم ما فيه من دلالة على المكانة التي خصَّ بها الله إبراهيم وزوجته.

وكان إبراهيم قد تزوَّج من سارة في مدينة «أور» وكانت أصغر منه بعشر سنين. ومع ما يداخل أخبار الأزمنة السابقة للتأريخ الموثَّق من خلط وتشويش، يظل الاستئناس بما أتى عند الذين حاولوا التأريخ مجدياً، إن لم يكن في بلوغ الحقيقة التاريخية كاملة، ففي الأقل في الدنو منها؛ فقد رجَّح «الثعلبي» في كتابه «قصص الأنبياء» الذي نقلت عنه «دائرة المعارف الإسلامية» أن ولادة سيدنا إبراهيم كانت عام (١٢٦٣) بعد الطوفان، وعليه تكون ولادة سارة (١٢٧٣) للطوفان، أما وفاتها فكانت في «حبرون/ الخليل»، بعد أن عمِّرت مئة وسبعاً وعشرون (١٢٧) سنة، أي عام (١٤٠٠) بعد الطوفان.

وتحدِّد «دائرة المعارف الأميركية» «Encyclopedia Americana» في الجزء الأول، ص ٤٦، أن إبراهيم عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وإذا صحَّ القولان، يكون القرن الثالث عشر للطوفان معادلاً القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

ومدينة «أور» التي ولد فيها إبراهيم، وسارة، هي أور الكلدانيين التي تقع في بلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) موطن الكلدانيين، والبابليين، والآشوريين. وهي مدينة عريقة عرفت بمكانتها الحضارية كما عرفت بميل واضح عند أهلها إلى الشرك، غير أن آل إبراهيم كانوا بعيدين عمّا اتُّهِم به مواطنوهم، وربما كان ذاك سبباً في ارتحال «تارح» أبي إبراهيم بأهله عن تلك المدينة قاصدين أرض كنعان، فأتوا إلى «حاران» وأقاموا هناك.

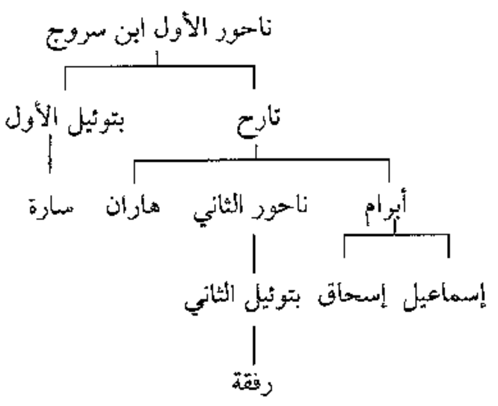
وتقع مدينة «حاران/ حرّان»، في أقصى بلاد ما بين النهرين في الجهة الشمالية الغربية، ويذهب ياقوت الحموي إلى أنها سميت «هاران» نسبة إلى «هاران» بن تارح أخي إبراهيم، وهو أول من بناها، وعرِّبت فدعيت «حرَّان» ويذهب المفسِّرون في شرح قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ٧١]، أن تلك الأرض هي حرّان. وفي حرّان توفي تارح وله من العمر مئتان وخمس سنين. وفيها سمع إبراهيم صوت الله لأول مرة عندما دعاه إلى ترك حرّان والتوجه إلى أرض الكنعانيين، وكان عمر إبراهيم خمساً وسبعين سنة وسارة ابنة خمس وستين. وعلى الرغم من تقدمها في السن كانت فائقة الحسن وعلى جانب كبير من الصحة والنشاط واكتمال الخلقة والجمال.

ارتحل إبراهيم عن «حرّان» إثر مجاعة وضيق، متجهاً إلى مصر. ولكن خشية داخلته وهو في الطريق، وقد نظر إلى جمال زوجته الباهر، من أن تستبي سارةُ بجمالِها قلب «الفرعون» أو قلوب قادته وأعوانه، فيكون ذلك سبباً في هلاكه. فطلب من زوجته أن تقول للمصريين إنها أخته، وأن تتصرف أمامهم وكأنها أخته لا زوجته، فينجُوَا معاً من شرٍّ قد يصيبهما. وكانت مخاوف إبراهيم في مكانها، فما أن وقعت أعين أعوان فرعون على جمال سارة حتى رغبوا فيها، ومدحوها لمليكهم فرغب أن يدخلها في جملة حريمه، وبخاصة بعد أن قالت لأعوانه إنها أخت إبراهيم وليست زوجته، فلقيت ولقي زوجها كل تكريم ونال، إلى ذلك، الأموال والهدايا.

ولكنَّ الله شاء إنقاذ سارة وحمايتها من سطوة فرعون وعبثه، فأنزل به ما شغله بنفسه عنها، من آلام وأمراض. وبعد أن كاشف فرعون إبراهيم، وأطلعه على ما حلَّ به من غضب الله، وعرف أن سارة زوجته، وليست أخته كما ادَّعت وادَّعى، وبَّخه على فعلته، وأعاد إليه امرأته سارة، مع جارية كان قد قدمها لها وهي «هاجر» وأمر جنده بطردهم خارج البلاد.

ولما كانت سارة تحب زوجها حباً جماً وتطيعه طاعة عمياء، وكان هو يبادلها الحب والتقدير، وكانت شديدة الرغبة في أن يكون لهما ولد يرث مجد أبيه ويتولى قيادة جماعته من بعده، وبعد أن تولاَّها اليأس من أن تنجب لإبراهيم ولداً، وكانت قد ذرَّفت على الخامسة والسبعين، أشارت على إبراهيم أن يتزوج من جاريتها «هاجر» ففعل، ودخل عليها، وأنجبت له ولداً وأسماه «إسماعيل». وكان عمر إبراهيم يوم ولادة «إسماعيل» ستاً وثمانين سنة.

ويظهر أن سارة قد داخلتها الغيرة بعد أن لمست أن «هاجر» باتت أثيرة عند زوجها. ولم يكن ما كان يقدمه إبراهيم لسارة من حبٍّ ورعاية ليبعدا عنها الغيرة والهواجس، فجعلت تترقب الفرص لتبعد جاريتها وطفلها عن خيام إبراهيم.



مخطط تشجيري يبيّن سلسلة النسب من إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم حتى ناحور (الأول) بن سروج بن رعو بن فالج ابن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح عليهم السلام.

وبعد ثلاث عشرة سنة من ولادة إسماعيل يتلقى إبراهيم وسارة وهما في طريقهما إلى مدائن لوط البشارة من ملائكة الرب بولادة غلام تضعه سارة ويسميانه إسحاق. وكانت فرحتها عظيمة إذ رفع الله عنها ذل العقر، ومكَّنها من أن تعطي إبراهيم وريثاً كان طالما انتظره وتمناه. وكذلك كان فرح إبراهيم بولادة إسحاق وبتحقيق وعد الرب فرحاً عظيماً. ورأت سارة الفرصة مواتية لإبعاد جاريتها «هاجر» فلا تنافسها على زوجها، ولإبعاد «إسماعيل» فلا ينافس إسحاق، أخاه، على إرث أبيه. فطلبت من إبراهيم أن يبعدهما.. واستجاب إبراهيم لرغبة سارة، لما كان لها من مكانة عظيمة في قلبه، وخرج بهما نحو مكة، فأسكنهما في ظهرانيها: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ...﴾ [إبراهيم/٣٧]، ثم عاد إلى سارة ليبقى معها حتى وفاتها في مدينة «حبرون/ الخليل» وقد بلغت من العمر مئة وسبعاً وعشرين سنة، فاشترى إبراهيم مغارة «المكفيلة» وجعلها مدفناً لزوجته سارة. ولما توفاه الله، وكان قد بلغ

من العمر مئة وخمساً وسبعين سنة، وبعضهم يقول: مئة وخمساً وتسعين، ومنهم من يقول مئتي سنة، دفنه ولداه إسماعيل وإسحاق إلى جانب امرأته سارة في المغارة نفسها.

وقد اختلفت الآراء في شخصية سارة، ومكانتها، ولكنها تلاقت حول كونها امرأة فاتنة، مؤمنة بالله، مخلصة لزوجها ومؤمنة بنبوّته، كما كانت أماً مثالية فاضلة. ويذهب بعض العلماء في تعظيمها إلى القول بنبوّة ثلاث نسوة هن: سارة، وأم موسى، ومريم، عليهن السلام. ولكنّ الذي عليه الجمهور أنهن صدِّيقات ولسن نبيَّات.

أسعد السكاف

المراجع: ٩٨، ١٩٣، ١٩٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٧٢، ٤٠٦، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٦٤، ٤٨٠، ٥٠٠، ٦٠٦.

* * *

السامريون

فرقة يهودية أتباعها محدودون لأنهم يخالفون ما عليه قومهم، وفي عقيدتهم أن الله واحد، وموسى هو نبي مرسل، ويؤمنون باليوم الآخر، ولا يعترفون بنصوص مقدسة سوى الأسفار الخمسة (التكوين ـ الخروج ـ اللاويين ـ تثنية الاشتراع ـ العدد) التي تجمل باسم التوراة، ولا يقرون بما عدا ذلك من نصوص يعتمدها يهود كأسفار الأنبياء والكتابات، ولا بالتلمود.

أماكن انتشارهم في نابلس وهي عندهم شكيم القديمة، وفي حوزتهم نسخة مخطوطة من التوراة من قَبْل المسيح عليه السلام لا يزالون يعتمدونها. وأتباعها اليوم بالمئات، ويعتقدون أنهم الصفوة المتبقية من بني إسرائيل، وأنهم حماة التوراة، والمختارون من الله، وأنهم البقية من أولاد يعقوب المعروف باسم إسرائيل.

يعيش السامريون حياة تقشف، وقبلتهم إلى جبل يقال له غريزيم بين بيت المقدس ونابلس. قالوا: إن الله تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام. والسامريون اتجهوا إلى هذه القبلة دون سائر يهود، وزعموا أن التوراة كانت بلغتهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت إلى السريانية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٥٤، ٥٢٤.

* * *

السبئية

أتباع عبد الله بن سبأ الذي كان يهودياً، وأثر عنه سعيه لزرع الفتنة ونشر فكرة الرجعة بين المسلمين.

وإذا كان قد حصل أخذ وردٌّ كثير حول حقيقة شخصية عبد الله بن سبأ إلا أن أغلب المصادر ذكرته وذكرت مقولاته الضالة المضلة.

لقد غلا عبد الله بن سبأ في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبياً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إلَه، وتابعه في ذلك قوم في الكوفة فأمر بهم الإمام علي أن يحرقوا، ولما نفذ الإحراق على بعضهم قالوا: الآن عرفنا أنك إلَه حقاً لأنك تعذب بالنار والله يعذب بالنار.

ومن ثم أوقف الإمام علي إحراقهم، ونفى عبد الله بن سبأ مع أتباع له إلى ساباط في المدائن. وبعد استشهاد الإمام علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن علياً لم يُقتل ولم يمت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

وفي تفسيره أن علياً حيٌّ لم يمت، قال: فيه الجزء الإلَهي، ولا يجوز أن يُستولى عليه، وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسمه، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض. وكانت السبئية بذلك أول فرقة قالت بالتوقُّف والغيبة والرجعة.

وروي عن عمر بن شراحيل الهمداني الشعبي أنه قيل لعبد الله بن سبأ: إن علياً قد قُتل. فقال ابن سبأ: إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدِّق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها.

ويقول القميُّ في كتاب «المقالات والفرق»: «من السبئية كان بدء الغلو في القول، حتى قالوا: إن الأئمة آلهة وملائكة وأنبياء ورسل، وهم الذين تكلموا في الأظلة والتناسخ في الأرواح والدور والكور في هذا الباب، وإبطال القيامة والبعث والحساب والجنة والنار، وزعموا أن لا دار إلا الدنيا، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخولها في بدن آخر... فالأبدان هي الجنات والنيران، وإنما الأبدان قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التي يلبسها الناس فتبلى وتتمزق وتطرح ويلبس غيرها».

وقال النوبختي في «فرق الشيعة» عن السبئية: «فرقة منهم قالت إن علياً لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي ﷺ من هذه الأمة، وأول من قال منها بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقر به، فأمر بقتله فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك. فصيَّره إلى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم».

فالسبئية، على أي حال، من الفرق المنحرفة والخطيرة في التاريخ الإسلامي، ونماذج عبد الله ابن سبأ قد تتكرر بهدف نشر الغلو في الدين وزرع الفتن والمكائد.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٢٤، ٥١٨، ٥٢٤.

* * *

السبت

هو يوم الراحة والكف عن العمل عند يهود، وهذا اليوم يقدسونه، وهو أشبه ما يكون بيوم عيد. يزعم واضعو العهد القديم أن الرب قد خلق الأكوان والمخلوقات في ستة أيام، تبدأ يوم الأحد وتنتهي يوم الجمعة، وبعدها كان السبت يوم راحة له.

وزعمهم هذا قادهم إلى تقديس السبت واعتباره يوم راحة. وقد ورد عندهم في «سفر التكوين»: «وفرغ الرب في اليوم السابع من عمله الذي عمل. واستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الرب اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه الرب ليصنعه».

وفي «سفر الخروج» أمر اليهود ـ حسب ما زعموا ـ كي يستريحوا هم أيضاً. «أذكر يوم السبت لتقديسه. في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك. واليوم السابع سبت للرب إلهك لا تصنع فيه عملاً لك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك».

ولذلك أصبح يوم السبت يوماً مرعباً عند يهود ولا يزال سواء من الجانب الديني للعبادة، أو من الجانب الاجتماعي لإراحة المشتغلين.

ولما انتشرت المجامع اليهودية كانوا يقضون يوم السبت في دراسة الناموس؛ أي شريعة موسى، وفيه يرتاحون من سائر الأعمال الدنيوية، وقد شددوا في حفظ يوم السبت حتى أنهم لم يرفعوا سلاحاً ضد مهاجميهم في هذا اليوم.

والمسيحية في أول عهدها قدست يوم السبت واعتمدته يوم راحة وعبادة، إلا أنه مع الوقت وتدريجاً حل الأحد محله وبات الأحد عند المسيحيين هو يوم العبادة والراحة.

ويرد بعض مؤرخي الأديان الموضوع في يوم السبت إلى عادات كانت عند بعض الشعوب قبل موسى واليهودية.

وقد ورد في «قاموس الكتاب المقدس» أن البابليين كانوا يقدسون اليوم السابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين من كل شهر، ومنهم انتقلت العادة إلى يهود، ولكن يهود خصوا يوماً محدداً هو السبت بالتقديس.

وما جاء عند يهود بالنسبة للسبت فيه إساءة للذات الإلَهية، حيث يتكلمون بحق الخالق سبحانه كما لو كانوا يتكلمون عن مخلوق، فينسبون التعب والراحة له سبحانه، وهذا كفر وتجديف.

وقد جاء الرد عليهم في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [قَ/ ٣٨].

واللغوب: التعب والإعياء. وحسب تفسير القرطبي: «قال قتادة والكلبي: هذه الآية نزلت في يهود المدينة؛ زعموا أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخر يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فجعلوه يوم راحة، فأكذبهم الله تعالى في ذلك».

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٤٠٥، ٥٠٦.

* * *

سبت النور

سبت النور في الطقوس المسيحية، هو اليوم الذي يلي الجمعة العظيمة، أي اليوم الذي فيه صُلب يسوع ومات ودُفن. كان في زمن المسيح سبت التهيئة لحمل الفصح، فاتُّخذ معنى آخر في المسيحيَّة. هو اليوم الذي يقيم فيه يسوع في القبر، في عالم الموت، كي يقيم المقبورين ويصعدهم معه إلى السماء. في الأصل، ما يدلُّ على الموت هو الظلام والعتمة، أما مع يسوع، فالنور يخرج من القبر، نور القيامة والحياة. فإذا كان يسوع نور العالم، فهو كذلك في حياته وفي موته وفي قيامته. لهذا، اعتاد المسيحيون أن يقرعوا أجراس الفرح ظهر سبت النور لكي يدلُّوا، قبل أحد القيامة، على بزوغ نور المسيح من القبر.

جان بول أبو غزالة

المراجع:

* * *

السَّبط

السبط في اللغة: بفتح السين وكسره. فبالفتح السَّبط من نبات الرمال، كالدخان الكبار دون الذرة، وحبُّه كحب البزر لا يخرج من أكمته إلا بالدقِّ، يؤكل خبزاً وطبخاً، وهو مرعى جيد والجمع أسباط. وكلمة أسباط وردت في القرآن الكريم في أكثر من سورة (البقرة/ ١٣٦، ١٤٠؛ وآل عمران/ ٨٤؛ والنساء/ ١٦٣؛ والأعراف/ ١٦٠).

والسِّبط أيضاً الشجر، والذين هم شجرة واحدة. قال ثعلب: يقال: سبط عليه العطاء أو الضرب، إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض، وأنشد التوزي في قطيع بقر:

كأنه سبط من الأسباط

شبَّهه بالجماعة من الناس يتتابعون في أمر. وقال الزجاج: رجل سبط الأصابع: طويلها، وسبط الكف سمحها، ومطر سبط: متدارك. وسباطته: سعته. والسبط: القرن الذي يجيء بعد قرن. ومن السبط: ساباط (قرية من قرى المدائن)، ويوم ساباط من أيام الحسين بن علي عليه السلام.

ويقال: هو سبطه وهم أسباطه، وشعر سبط بالفتح والكسر والسكون غير جعد، وقد سبط سباطة وسبوطة، وبال في سباطة القوم وهي كناستهم، وقعدت في الساباط وهي سقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ.

ومن المجاز: رجل سبط الأصابع وسبط البنان وسبط اليدين والكفين، وامرأة سبطة الخلق: رخصة لينة، ورجل سِبَطْرٌ، ورواق مسبطر، واسبطرت الكواكب: امتدت، قال ذو الرمة (١١٨هـ/ ٧٣٥م)

من الطويل والقافية من المتدارك:

تـلـوَّم يـهـيـاه بـيـاءٍ وقـد مـضـى
مـن الـلـيـل جـوز واسبطرّت كـواكـبه

هو من أصوات الرعاة، وولد فلان في سباط إذا كان كثير الرياح، وهو آخر شهور الشتاء.

والسِّبط بالكسر: منه السبطان والأسباط، خاصة الأولاد والخصاص منهم، وقيل: السبط واحد الأسباط وهو ولد الولد. ابن سيده: السبط ولد الابن والابنة، ومن حديث الضباب: إن الله غضب على سبط من بني إسرائيل فمسخهم دواباً. والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد. والأسباط هم أولاد إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ابناً. والأسباط في بني إسرائيل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل. قال الزجاج: السبط: الجماعة يرجعون إلى أب واحد. ومعنى القبيلة الجماعة. ويقال للشجرة لها قبائل، وكذلك الأسباط من السبط، كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة، وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة. وكذلك يفعل النسابون في النسب، يجعلون الوالد بمنزلة شجرة وأولاده بمنزلة أعضائها، وقيل: طوبى لفرع فلان، وفلان من شجرة صالحة ومباركة.

والسبط أخيراً: الفرقة، لا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، وقد يجمع: فقيل: أسباط واشتقاقها من سبط، ويقال: هذا سبط، وهذه سبط، وهؤلاء سبط جمع، والأسباط بالفتح كأحمال من السبط وهو أولاد الولد.

والأسباط هم أولاد يعقوب، وقيل: إن الأسباط في ولد إسحاق كالقبائل في ولد إسماعيل، وهم اثنا عشر رجلاً من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ولد كل رجل منهم أمة من الناس، فسموا أسباطاً. كما قيل: الأسباط يوسف وإخوته بنو يعقوب، ولد اثني عشر رجلاً، فولد كل رجل منهم أمة من الناس فسموا أسباطاً، وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف، وداود، وسليمان، وموسى، وعيسى، فيجوز أن يكون أراد بالوحي إليهم، الوحي إلى الأنبياء منهم، كما تقول: أرسلت إلى بني تميم، إذا أرسلت إلى وجوههم، ولم يصحّ أن الأسباط الذين هم إخوة يوسف، كانوا أنبياء. والأسباط هم: يوسف، بنيامين، روبيل، يهوذا، شمعون، لاري، دان، قهاث. وقيل: نكح يعقوب بن إسحاق وهو إسرائيل، ابنة خاله ليا ابنة ليان بن توبيل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون بن يعقوب، ولاوي بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وريالون بن يعقوب، ويشجر بن يعقوب، ودنية بنت يعقوب، ثم توفيت ليا بنت ليان، فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن توبيل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب وبنيامين، وهو بالعربية أسد، وولد له من سريتين اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهية لها أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفثالي بن يعقوب، وجاد بن يعقوب، واشرب بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً، نشر الله منه اثني عشر سبطاً، لا يحصى عددهم ولا يعلم أنسابهم إلا الله. وهذا يعني أن الأسباط هم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل وهو يعقوب، قال الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]. نلاحظ هنا تأنيث العدد مع تذكير المعدود، والاحتمال أنه أراد بالسبط القبيلة، التي يتشعب منها نسله. وقال الأخفش: أنَّث العدد لأنه أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن الفرق أسباط ولم يجعل العدد واقعاً على الأسباط. قال أبو العباس: هذا غلط لا يخرج العدد على غير الثاني ولكن الفرق قبل اثنتي عشرة حتى تكون (اثنتي عشرة) مؤنثة على ما فيها كأنه قال: وقطعناهم فرقاً اثنتي عشرة، فيصبح التأنيث لما تقدم. وقال قطرب: واحد الأسباط سبط. وقال الفراء: لو قال: اثني عشر سبطاً لتذكير السبط، كان جائزاً. وقال ابن السكيت: السبط ذكر ولكن النية، والله أعلم، ذهبت إلى الأمم. وقال الزجاج: المعنى وقطعناهم اثنتي

عشرة فرقة أسباطاً، فأسباطاً من نعت فرقة، كأنه قال: وجعلناهم أسباطاً، فيكون أسباطاً بدلاً من اثنتي عشرة، قال: وهو الوجه. وقال الجوهري: ليس (أسباطاً) بتفسير، ولكنه بدل من اثنتي عشرة لأن التفسير لا يكون إلا واحداً منكوراً كقولك اثني عشر درهماً، ولا يجوز دراهم، وقوله أمماً من نعت أسباط.

والسِّبط بالكسر هو ولد الابن والابنة، وتخصيصه بابن البنت مشهور عند العامة، وهو من أشهر ألقاب الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وهو أعلى رتبة الألقاب التي لقب بها الرسول ﷺ، الحسين لقوله ﷺ: (حسين سبط من الأسباط)، وفي الحديث: (الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ أي ولداه)، ومعناه أي طائفتان وقطعتان منه.

حسن نور الدين

المراجع: ٣٣، ٦٧، ٧٠، ١٩٣، ٢٤٢، ٤٤١، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٤، ٥٠٠.

***

السحر

السحر مدان في المسيحية، لأنه يعتبر من عمل الشيطان، فيما اجتراح العجائب هو من فعل الله الذي ينعم على من يختارهم القيام بها. يذكر سفر أعمال الرسل في العهد الجديد في الكتاب المقدس، وهو يسرد حياة الكنيسة الأولى على عهد الرسل، أنه كان هناك رجل اسمه «سيمون» يستعمل السحر. وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: هذا هو قوة الله العظيمة، وكانوا قد اندهشوا زماناً طويلاً بسحره (أع ٨: ٩ ـ ١١). اعتبر سيمون هذا أن الرسل كانوا، بوضع الأيدي على المؤمنين لكي يتقبلوا الروح القدس، يمارسون سلطاناً إلهياً، لذا طلب إليهم قائلاً: «أعطياني ـ الكلامُ موجَّهٌ لبطرس ويوحنا تلميذي المسيح ـ أنا أيضاً هذا السلطان حتى أيُّ من وضعت عليه يديَّ يقبل الروح القدس» (أع ٨: ١٩).

اعتبر الرسول بطرس الطلب تجديفاً على الله فقال له: «لتكن فضَّتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم... إن قلبك ليس مستقيماً أمام الله، فتب من شرِّك واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك، لأني أراك في رباط الظلم».

هذا فيما ورد أكثر من ذكر للسحرة في كتاب أعمال الرسل (٣: ٦؛ ٩: ١٣).

إذاً، السحر معتبر عمل شر، والعهد القديم للكتاب المقدس مليء بالإشارات إلى السحرة الذين يدَّعون قدرة فوق الطبيعة، ومعرفة الغيب بواسطة الأرواح الشريرة (حز ٧: ١١) وأن لهم سيطرة على حوادث المستقبل (ناحوم ٣: ٤) فأمر الله بمنعهم (تثنية ١٨: ١٠ ـ ١٢).

بولس وهبة

المراجع: ٤٠٦، ٤٢٦.

***

سدوم وعمورة

بلدتان في فلسطين، قديمتان، زالتا بعد أن غضب الله تعالى على أهلهما إذ شاعت بينهم الفاحشة. وكان أهل سدوم وعمورة يمارسون ما يُعرف اليوم بالمثلية في العلاقة الجنسية؛ أي الذكر مع الذكر والأنثى مع الأنثى.

وحصل ذلك منهم في زمن النبي لوط عليه السلام الذي بُعث لسدوم وعمورة وبلدات مجاورة، ووجد القوم على ما هم عليه، ونهاهم فلم يرتدعوا، وهاجمهم أعداء فسقطت البلدتان في يدهم، إلا أن نصرة إبراهيم لابن أخيه لوط أرجعت السلطة إليه وأقام في سدوم مجدداً، ولكن القوم لم يبدلوا شيئاً، واستمروا في الخطيئة إلى أن كان غضب الله عليهم فأمطرهم بنار، فكان أن زالتا ولم يبق لهما أثر، ولم ينج منهما سوى لوط وابنتيه.

جاء في سفر التكوين من العهد القديم: «وإذ

أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط صوعر. وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء. وقلب تلك المدن وكل البقعة وجميع سكان المدن ونَبْت الأرض».

لقد نهى لوط قومه عن الفواحش وإتيان الرجال، ولم يصغوا إليه بل تعدوا ذلك عندما أتاه الملكان بهيئة رجلين، وعندما علموا بذلك تحلقوا حول بيته يريدونهما، فعرض عليهم ابنتيه ليقي ضيفيه أذاهم فلم يقبلوا منه ذلك، وبعدها كان ما حل بهم من غضب الله تعالى. ومما جاء في القرآن الكريم حول الموضوع قول الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت/ ٢٨، ٢٩].

وسعى لوط لتحريك نداء الفطرة السليمة فيهم حيث جعل الله لهم من أنفسهم أزواجاً، فكان قول الله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء/ ١٦٥، ١٦٦].

لقد تمادوا في شذوذهم ومارسوا المثلية الجنسية غير آبهين بالنتائج لجهلهم وإسرافهم في أمرهم. قال الله تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل/ ٥٥].

وفي الكامل لابن الأثير: «فأخرجهم الله إلى الشام... ثم قلبها فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجّيل فأهلكت من لم يكن بالقرى. وسمعت امرأة لوط الهدَّة فقالت: واقوماه! فأدركها حجر فقتلها. ونجّى الله لوطاً وأهله إلا امرأته، وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف... ومدائن قوم لوط خمس: سدوم وصبعة وعمرة (عمورة) ودوما وصعوة، وسدوم هي القرية العظمى».

وقد درج على ألسنة الناس أن يسموا الشذوذ: اللواط، وهذا تعبير فيه إساءة لنبي هو لوط عليه السلام كما يقال «سحاق» عن الشذوذ في الإطار الأنثوي، وفي ذلك إساءة لنبي هو إسحاق عليه السلام. وتأسيساً على ما تقدم يكون الأصح أن يقال عن الشذوذ: السدومية نسبة لسدوم المكان التاريخي الذي شاع فيه هذا الانحراف. أو أن يقال: فعل أهل سدوم وعمورة. أو أن يقال: فعل معاصري لوط في سدوم وعمورة. لكن في كل الأحوال غير سليم أن تقال كلمة لواط وصفاً لهذا الفعل الشاذ والشنيع، وأن تلصق الفعلة باسم نبي.

أسعد السحمراني

المراجع: ٨٢، ٤٠٥، ٤٢٤.

* * *

السر في المسيحية = (راجع: الأسرار).

* * *

السريان

السريان هم أتباع الكنيسة السريانية، إبان انعقاد المجمع المسكوني الرابع في خلقيدونية عام ٤٥١م (راجع: أقباط).

جرى خلاف حول تحديد شخص المسيح من حيث أن له طبيعة واحدة (وهو ما اعتمده السريان والأقباط والأرمن) أو طبيعتين (إلّهية وإنسانية) وهو ما اعتمدته الكنيسة الرسمية وتبنَّاه المجمع. أدى هذا إلى شرخ في الكنيسة رفض فيه الطرف الأول مقررات المجمع وأدى إلى بروز هذه الكنائس خارج حدود الكنيسة الواحدة، فصارت تعرف، فيما بعد، بالكنائس اللاخلقيدونية، أي التي رفضت تعاليم المجمع.

وبنتيجة الإرساليات الكاثوليكية في هذه المنطقة حدث شرخ آخر داخل الكنيسة السريانية أدّى إلى بروز الكنيسة السريانية الكاثوليكية المنضوية تحت لواء بابا روما والمتحدة بالكنيسة الكاثوليكية، وهي ما يسمى اليوم الكنيسة الكلدانية التي يرأس مجمع

أساقفتها بطريرك يقيم في بغداد حيث غالبية أبنائها.

أما في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، فهناك بطريركان، يقيم الواحد في دمشق والآخر في الهند. وما يزال هناك سريان يعيشون في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن إضافة إلى إيران وتركيا والهند، فيما انتشر كثيرون منهم في مختلف بلاد العالم.

وقد أدى التقارب بين الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وكنيسة الروم الأرثوذكس إلى إصدار بيانات تنادي بالإيمان الواحد للكنيستين، وبأن الخلاف الماضي كان حول تفسير التعابير اللاهوتية.

بولس وهبة

المراجع: ٦١٤، ٦٣١.

* * *

السفارديم

هم يهود المتحدرون من يهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الإيبرية خصوصاً بعد فتح المسلمين لها سنة ٧١١م. وكان اليهود السفارديم يتكلمون اللغة العربية في أسبانيا حتى القرن الثالث عشر، وفيما بعد باتت لهم لغة خاصة هي اللادينو الإسبانية Ladino.

السفارديم، بعد سقوط الأندلس بيد الفرنجة (الصليبيين)، فروا منها وانتشروا في بقاع عديدة. وكانوا، بداية، أرقى ثقافة من الأشكناز. فالأشكناز شكلوا منذ البداية مجتمعاً مغلقاً حيث كانوا يقيمون فيما عُرف بالغيتو، أما السفارديم فقد كانوا ممن استفادوا من الحضارة العربية في الأندلس، وبعدها انتشر السفارديم في مناطق حوض المتوسط.

يشكل السفارديم في فلسطين المحتلة ما يزيد عن نصف المستعمرين اليهود، ولكنهم ليسوا على مستوى واحد من النفوذ والمواقع في السلطة مع الأشكناز، إلا أنَّ الانقسام الديني لا يزال قائماً بينهما حيث أنَّ لكل فريق منهما حاخاماً خاصاً به حتى اليوم. وسفاردو أو صفارد كانت تطلق على إقليم في غربي آسيا أُنزل فيه المنفيون من يهود بعد النفي البابلي لهم، وبعدها أُطلق صفارديم أو سفارديم على يهود إسبانيا والبرتغال.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٥٤، ٤١٤.

* * *

السِّفْر

الكتاب الذي يسفر عن الحقائق، وجمعه أسفار. وفي القرآن الكريم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة/ ٥]، وقال القرطبي: «هي جمع سِفْر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنه يسفر عن المعنى إذا قرىء».

والسَّفرة جمع سافر ككاتب وكتبة، والسفير الرسول بين القوم يكشف ويزيل ما بينهم. «والكتب مشتركة في كونها سافرة عن القوم ما اشتبه عليهم» كما جاء عند الراغب الأصفهاني.

لقد اشتهر الاسم، كما ورد في الآية السابق ذكرها، لأقسام التوراة التي أوحي بها إلى موسى عليه السلام وفيها تبيان للناس وجلاء لحقائق التوحيد والإيمان والتشريع. فالتوراة إذاً مكوّنة من مجموعة أسفار. فالقسم منها سِفر، وهو يقابل السورة في القرآن الكريم، أو الفصل في الكتاب. لذلك نلاحظ أن بعض ترجمات الكتاب المقدس، سواء للعهد القديم أو للعهد الجديد، استخدمت كلمة «فصل» بدل «سِفْر».

ووفق صياغات يهود للعهد القديم، والتي تمت في مراحل لاحقة على موسى عليه السلام جعلوا قسم العهد القديم المسمى بالتوراة خمسة أسفار هي: التكوين ـ الخروج ـ اللاويين أو الأحبار ـ تثنية

الاشتراع - العدد. وقد جاء الاسم لكل سِفْر من مضمونه.

وبعد التوراة هناك في العهد القديم أسفار الأنبياء والكتابات، والعهد الجديد فيه الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل (يراجع باب الكتاب المقدس من هذه الموسوعة)؛ وكل سِفْر يقسم إلى أقسام يسمى الواحد منها إصحاحاً، والإصحاح يكون من آيات.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٤٠٥، ٥٠٣.

* * *

السلاجقة (الدولة السلجوقية)

(٤٢٩ - ٥٩٠هـ/ ١٠٣٧ - ١١٩٤م)

ينتسب السلاطين السلاجقة، وهم من الأتراك الغزّ، إلى جدِّهم الأعلى سلجوق بن تُقاق، وتقاق بالعربية قوس حديد، الذي تولى قيادة الجيش في بلاد التركستان. ولكن سلجوق أوجس خيفة من ملك تلك البلاد فهرب هو وعشيرته وأعوانه إلى الديار الإسلامية سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، ثم أعلن إسلامه وإسلام من معه من الأتراك، واتخذ من مدينة جُنْد مقراً للغارات التي كان يشنها على البلاد التي هاجر منها.

وخلال الربع الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، كان السلاجقة قد أصبحوا قوة عسكرية واضحة في الأراضي الغزنوية في خراسان وما وراء النهر، إلا أن بداية الحكم السلجوقي وتأثيره في الحياة السياسية الإسلامية لم يبدأ إلا سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م عندما ورث زعامة البيت السلجوقي أحد أحفاد سلجوق بن تُقاق، وهو السلطان طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق، إذ تمكن هذا السلطان سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م من الاستيلاء على مرو من الغزنويين، وبعد ثلاث سنين من القتال المتواصل مع الغزنويين استطاع أن يوطِّد حكمه على كامل خراسان بما فيها نيسابور عاصمة خراسان وحاضرة العلم والعلماء آنذاك، وأعلن نفسه سلطاناً فيها، وبعث إلى الخليفة العباسي في بغداد القائم بأمر الله يطلب مباركته. وقد أيَّد موقف طغرلبك أنه استولى، في وقت قصير بعد ذلك، على المناطق المجاورة دون مقاومة تذكر، فأخذ خوارزم وجرجان وطبرستان والري وبلْخ، ثم استولى خلال السنوات ٤٣٣ - ٤٤٢هـ/ ١٠٤١ - ١٠٥٠م على شمال شرقي إيران وغربيها، وبعض البلاد الهامة الأخرى واصلاً إلى الممرات الجبلية الأساسية بين إيران والعراق، فصارت له منطقة الجبال وتبريز وهمذان وحلوان وأصبهان حتى شيراز، واتجهت فرق من السلاجقة إلى كرمان.

وهكذا تم للسلطان طغرلبك إقامة دولة واسعة الأرجاء في المشرق الإسلامي على حساب دولة الغزنويين ودولة بني بويه، مما شجع الخليفة العباسي على استدعائه إلى بغداد ولقَّبه بسلطان المشرق والمغرب، وأمر بذكر اسمه في الخطبة على منابر بغداد وخارجها، وسكُّه على العملة قبل اسم السلطان البويهي آنذاك.

وفي تلك الأثناء كانت الحالة في بغداد تزداد سوءاً، فالعيّارون استفحل أمرهم وأخذوا يعيثون الفساد في شوارع بغداد، وشاركهم في ذلك قادة العسكر الذين تحرروا تدريجياً من الانضباط تحت سلطة بني بويه. ومما زاد الأمر سوءاً الحركة التي قام بها أبو الحارث البساسيري لإسقاط الخلافة العباسية بمؤازرة الخليفة الفاطمي في مصر المستنصر بالله (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م). وقد أفادت هذه الحركة السلطان طغرلبك، إذ سارع إلى نجدة الخليفة بناء على طلب من الخليفة نفسه، فأخضع بغداد لسلطته وقبض على الملك الرحيم (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) آخر سلاطين بني بويه، وتمكن من قتل البساسيري بعد أن تعقبه إلى مدينة واسط سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م، ثم حرَّر الخليفة من سجنه

وأعاده وحاشيته إلى قصر الخلافة معززاً مكرماً.

وكان طغرلبك أحد السلاطين السلاجقة العظام الذين عرفتهم الدولة السلجوقية، وهم، بالإضافة إليه، ابن أخيه ألب أرسلان وملكشاه بن ألب أرسلان. فبعد وفاة السلطان طغرلبك خلفه ابن أخيه عضد الدولة ألب أرسلان بن داود (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) الذي وطّد الحكم السلجوقي، واتجه بأعماله الحربية إلى بلاد الروم، فأوقع بهم الهزيمة في معركة ملاذجرد (ملازكرد) سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م وأسر أمبراطورهم رومانوس ديوجين ثم أطلق سراحه بعد صلح وقع بينهما. وكان لهذا النصر دوي هائل في العالم الإسلامي كما في العالم العربي، فقد أدخل الهيبة للحكم السلجوقي في المناطق الإسلامية وفتح الأناضول نهائياً لتصبح بلاداً تركية إلى اليوم، كما اعتبر واحداً من أسباب الحروب الصليبية القادمة، باعتبار أن بيزنطة طلبت من الغرب الأوروبي مساعدتها للوقوف في وجه السلاجقة.

كذلك انشغل السلطان ألب أرسلان بإخضاع بعض الثورات الداخلية التي قامت في عدة أرجاء من دولته، ثم اتجه إلى الديار الشامية التي كانت تخضع في أغلبها آنذاك لسلطان الفاطميين بمصر، فاستطاع أن يعيد حلب ومكة والمدينة المنورة إلى العباسيين، وأصبحت الخطبة تقام بهذه المدن للخليفة العباسي.

وقد حظي السلاجقة بخدمة بعض الوزراء الذين يحسنون الإدارة مثل الوزير نظام الملك (٤٠٨ ـ ٤٨٥هـ/ ١٠١٨ ـ ١٠٩٢م) الذي خدمهم في هذا المنصب حوالي ربع قرن، وعمل على توطيد المذهب السني بإنشائه المدارس في حواضر الدولة السلجوقية، وأشهرها النظامية في بغداد، وجعلها لتعليم المذهب السني وتخريج الموظفين للدولة كي يضع حداً للدعوة الشيعية المنظّمة التي كانت تنتشر.

وبعد وفاة ألب أرسلان خلفه ابنه أبو الفتح جلال الدولة ملكشاه بن ألب أرسلان الذي امتد حكمه من بلاد الشام إلى خوارزم وما وراء النهر، وفي عهده دخل النفوذ السلجوقي جزيرة العرب حتى البحرين، وطرد النفوذ الفاطمي من الحجاز وحيل بينه وبين اليمن، وبدأت مجموعات من الأسر السلجوقية تستوطن المناطق التي فتحتها. وبهذا الشكل ظهرت أسرة السلاجقة (أولاد قتلمش بدعم السلطان) في الأناضول، وظهر الدانشمند على البحر الأسود، وظهرت في الشام أسرة تتش أخي السلطان ملكشاه في دمشق والقدس، وفي كرمان أسرة قاورد ابن أخي طغرلبك.

وقد استمر السلاجقة حماة للخلافة العباسية السنية في بغداد، دون أن يعيدوا للخليفة السلطات الفعلية التي فقدها إبان حكم البويهيين. واستمر حكم السلاجقة على هذا المنوال ولم يقض على دولتهم إلاّ بعد ظهور الدويلات الأتابكية التي تقاسمت أصقاع الدولة السلجوقية في بلاد الشام والموصل وخوارزم وخراسان.

أما الأسرة السلجوقية في الأناضول فقد امتدت إلى ثلاثة قرون ونصف القرن وكسبت اسم سلاجقة الروم قبل أن تترك مكانها للأسرة العثمانية التركية التي أوجدت السلطنة العثمانية.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ٢٩٠، ٤٢٤، ٥٣١.

***

السلاح في العهد القديم

العهد القديم، كما هو معلوم، هو الكتاب المقدس عند يهود، ويفيد أن يتعرف القارىء على مدى اهتمامهم القديم المتصل والمتجدد بالسلاح والعنف. فعقدة الاستعلاء وأنهم الشعب المختار تصبغهم، بروح عدوانية، وبسعي دائم لامتلاك السلاح وممارسة القتل والضرب وسفك الدماء.

إن السلاح في العهد القديم أمر يحتاج من كل إنسان أن يقف عنده ليتعرف على دفائن وخلفيات الشخصية اليهودية التي كتبت هذه النصوص في العهد القديم، والتي يتربى عليها الناس عندهم وينظرون إليها نظرة قداسة. يقولون مثلاً: «فاضرب أهل تلك المدينة بحد السيف وأبسلها بجميع ما فيها حتى بهائمها بحد السيف، وجميع سلبها اجمعه إلى وسط ساحتها وأحرق بالنار تلك المدينة».

أما عن تنوع السلاح في نصوص العهد القديم فحدِّث ولا حرج، فقد وردت النصوص التالية:

«وجهِّز لهم عُزِّيًّا لجميع الجيش مجانَّ ورماحاً وخوذاً ودروعاً وقِسِيّاً وحجارة مقاليع».

«شدُّوا على الخيل واركبوا أيها الفرسان وانتصبوا بخوذكم. اصقلوا الرماح والبسوا الدروع».

«كان من جميع هذا الشعب سبع مئة رجل منتخبون عُسر الأيدي كل أولئك يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطئون».

«فعمل أهود لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع واشتمل عليه تحت ثوبه على فخذه اليمنى».

«فزحف أبيملك على البرج فحاصره وتقدم إلى باب البرج ليحرقه بالنار».

هذا قليل من كثير مما يظهر اهتمام يهود بالتفوق العسكري، ولا يزال ديدنهم حتى يومنا هذا. وعلى هذا الأساس يجب أن يتعاطى معه الناس، فالحديد لا يفلُّه إلا الحديد، والقوة لا تردعها إلا القوة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٢٠، ٤٠٥، ٤٢٦.

* * *

السلفية

السلفية نسبة إلى السلف، وهم من تقدم من هذه الأمة، ونعني بهم أصحاب رسول الله ﷺ، والصحابي هو كل من رأى رسول الله ﷺ وآمن به ومات على ذلك. واختلف في مدة رؤيته أو صحبته له، فالجمهور على أنه وإن رآه مرة واحدة، وقيل: يشترط أن تكثر صحبته له، وحدد بعضهم ذلك بالسنة أو السنتين، وأن يحضر معه غزوة أو غزوتين، وهو مروي عن سعيد بن المسيب. والصواب ما عليه الجمهور. ومن رآه ولم يؤمن به فليس بصحابي، ومن رآه وآمن به ولكنه لم يمت على ذلك بأن ارتد قبل موته فليس بصحابي. واختلف فيمن ارتد ثم أسلم فهل يعود إليه وصف الصحبة أم لا؟ على قولين، وذلك مبني على الخلاف فيمن أسلم ثم ارتد ثم أسلم هل يسلم على ما كان منه قبل الردة، أم أن الردة تبطل جميع عمله السابق؟، والعمدة في الخلاف المذكور قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢١٧].

ثم أطلق هذا الوصف (السلفية) على أتباع الإمام أحمد بن حنبل بعد محنة المعتزلة، لأنه هو الذي وقف في مواجهتهم معارضاً منهجهم الكلامي في صفات الله تعالى، ومنها صفة الكلام التي أفضت بالمعتزلة إلى القول بخلق القرآن، في الوقت الذي فرَّ فيه كثير من العلماء من بغداد بسبب تلك الفتنة التي سلَّط فيها المعتزلة سوط الدولة وسيفها على المخالفين، وأخذ البعض منهم بالرخصة فجارى المعتزلة في رأيهم، وواجه البعض الثالث، فسجنوا كما سجن الإمام أحمد وعذبوا كما عذب هو، وقتلوا تحت التعذيب كما كاد أن يموت هو أيضاً بسببه، لكن الخوف من نشوب فتنة بموته لكثرة أتباعه هو الذي منع الخلفاء العباسيين المؤيدين للمعتزلة من قتله حتى انجلت الفتنة في خلافة المتوكل على الله العباسي.

ومن هنا كانت نسبة السلفية إلى الإمام أحمد بن حنبل واحتساب الخير الذي أجراه الله تعالى للأمة

على يديه، وقد قال ﷺ: (من يَسنُّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء)، وقال أيضاً: (طوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر).

ثم جدد نشاط السلفية ودعا إلى منهاجها ابن تيمية رحمه الله في القرن الثامن، ثم عاد فأحياها بعد ذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري، فنسبت السلفية تارة لابن حنبل وأخرى لابن تيمية وثالثة لابن عبد الوهاب باعتبار أنهم مجددون لها وليسوا مؤسسين.

ومنهج السلفية في القديم والحديث هو الدعوة إلى العودة للكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة في التلقي لنصوصهما والعمل بأحكامهما وإخضاع العقل للوحي فيهما ولا عكس، بخلاف ما كان عليه الجهمية والمعتزلة حيث قدموا العقل على الوحي، وبخلاف ما فعل الأشعرية والماتريدية حيث سووا بين العقل والوحي، فإن العقل مع الوحي كالأعمى مع البصير يتبعه ولا ينازعه، وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

نظرة السلفية إلى قضايا توحيد الله تعالى:

أولاً ـ توحيد الربوبية:

ومعناه أنه لا خالق إلا الله تعالى، فلا شريك له في الخلق والإيجاد: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر/ ٣]، وهو استفهام إنكاري معناه النفي. ومما يدخل في هذا الموضوع مسألة: أفعال العباد، هل هي من خلق الله تعالى في العبد، أم أنها من خلق العبد؟، فقد اختلف الناس في ذلك:

فالجهمية قالوا: هي من خلق الله تعالى في العبد، فهو مجبر على فعلها. والمعتزلة قالوا: هي من خلق العبد بمعزل عن علم الله تعالى قبل فعلها. والأشاعرة قالوا: هي من خلق الله في العبد والعبد يكسبها، فانتهوا إلى الجبر كما يقول ابن حزم.

السلفية قالوا: خلق الله تعالى في الإنسان أداة الإرادة، وهي العقل وأداة الاختيار وهي الجوارح، فهو يفعل ما يريد بلا إكراه ولا إجبار، وإذا نُسب عمل الإنسان إلى الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات/ ٩٦]، فمن جهة أنه هو الذي خلق في الإنسان أداة الإرادة والاختيار، وإذا نُسب العمل إلى الإنسان فمن جهة أنه هو الذي اختاره وفعله، ولذلك صح أن يحاسب عليه، فهو يعمل العمل بعلم الله تعالى ولكن باختياره هو.

ومما يدخل في هذا الموضوع أيضاً مسألة تعليل أفعال الله تعالى:

فالماتريدية يرون أن أفعال الله تعالى معلَّلة، أي أنها تصدر لحكمة معقولة، لكن لا يقال فيها إنها أوجبت على الله تعالى فعل ذلك، أي تأدباً مع الله تعالى.

وأما الأشعرية والسلفية فذهبوا إلى أن أفعال الله تعالى غير معللة: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٣]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج/ ١٦]، فإرادة الله تعالى مطلقة ولكنه لا يفعل إلا ما فيه حكمة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف/ ٦].

ثانياً ـ توحيد الأسماء والصفات:

ومعناه إثبات الأسماء والصفات لله تعالى على نحو يليق بجلاله وكماله لا يشاركه فيها غيره إثباتاً بلا تجسيم وتنزيهاً بلا تعطيل على قاعدة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم/ ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص/ ٤]، فأيما صفة وردت لله تعالى في القرآن أو في السنة تقرن إليها ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وبالتالي فلا خوف من الوقوع في التجسيم ولا خوف من الوقوع في التعطيل، وكلا الأمرين مذموم ومردود في الشرع لما فيه من مخالفة الشرع ولما فيه من وصف الله تعالى بالنقص، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل/ ٦٠].

وقد خلط بعض أهل العلم بين السلفية

والمفوضة، فجعل السلفية مفوضة، وليسوا كذلك، فإن المفوضة يقولون: لا ندري ما إذا كان لآيات الصفات حقائق وكيفيات أم لا، بينما قال السلفية: إن لها كيفيات وحقائق ولكننا لا نعرف هذه الكيفيات والحقائق لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص/ ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه/ ١١٠]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران/ ٧].

ثالثاً ـ توحيد الألوهية:

ومعناه: تفريد الله تعالى في العبادة، وهي الطاعة المطلقة التي لا يرافقها تردد أو تشكك أو توقف، لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء/ ٢٣]، وقال: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء/ ٣٦]، فلا يجوز أن يطاع غير الله تعالى طاعة مطلقة، وإنما تكون طاعته مقيدة بما إذا لم تؤدِّ طاعته إلى معصية الله تعالى، كما قال ﷺ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

ومقتضى توحيد الألوهية ثلاثة أمور:

الأول: أن لا نعبد غير الله تعالى دونه، لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء/ ٢٣].

الثاني: أن لا نعبد غير الله تعالى معه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء/ ٣٦].

الثالث: أن لا نعبد الله تعالى إلا بما شرع، لقوله تعالى: ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [البقرة/ ٦٨].

وينبني على ذلك: أنه لا يجوز التقرب بالصالحين من الأموات إلى الله تعالى، وإنما يكون التقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح، ولا يجوز الاستغاثة بالموتى والاستعانة بهم لأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً فكيف لغيرهم، فالأموات يحتاجون إلى الأحياء وليس العكس، فإن الميت ينتفع بدعاء الحيّ وبصدقته عنه، وكذا بحجه أيضاً لورود الحديث بذلك. ولا يجوز تقديس القبور وتعظيمها لأن ذلك ليس من هدى النبي ﷺ ولا هو من فعل أصحابه.

فالتوحيد ينفع صاحبه لأن به يقبل العمل عند الله تعالى، وبدونه يردُّ على صاحبه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الزمر/ ٦٥، ٦٦]، ولهذا كان اهتمام السلفية به كبيراً، لأنه عمدة الفوز بالجنة في الآخرة والنجاة من النار فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة/ ٧٢]، وقال ﷺ: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار).

زكريا المصري

المراجع: ٣٨٠، ٢/٤٦٦.

* * *

سليمان (النبي) عليه السلام

سليمان بن داود عليهما السلام، ورث الملك عن أبيه، واصطفاه الله تعالى نبياً، وقد علّمه الباري سبحانه منطق الطير وسخّر له الجنّ والرياح والنمل، فكانت معه المعجزات تترى.

قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل/ ١٦].

وكان سليمان، يوم ورث أباه، يقارب الثالثة عشرة من العمر، وملك على بني إسرائيل أربعين عاماً، وتوفي وهو في حدود الثانية والخمسين.

وكان سليمان، كأبيه يأكل من كسب يده، وكان كثير الغزو للمشركين. وقد اشتهر باسم سليمان الحكمة حيث إن حكمته وعدله شملا الناس، ومن ثم الطير والحيوان. قال الله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل/ ١٧]. وفي آية أخرى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص/ ٣٦، ٣٧].

وعلى يدي سليمان آمنت بلقيس، ملكة سبأ من بلاد اليمن، وكان إحضار عرشها إلى مجلسه

معجزة له وكرامة لوزيره آصف بن برخيا.

وتنقل مصادر تاريخية أن سليمان كان على صلة مع ملك صور (حيرام) وأنه استعان به من جهة المهندسين وخشب الأرز لبناء هيكله وبيت عبادته المعروف باسم هيكل سليمان.

وتجدر الإشارة إلى أن بعد التنقيب والبحث لم يُعثر على أثر لهيكل سليمان في القدس وما حولها، مما يدل على أن هيكل سليمان في القدس هيكل مزعوم، وإن كان قد بنى هيكلاً فعلاً فقد يكون ذلك في منطقة أخرى في فلسطين غير القدس.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٨٠.

* * *

السنة الطقسية

هي سنة مسيحية وكنسية، تضعها الكنيسة لتنظيم عبادة المؤمنين. هي زمن مقدس غايته إشراك المؤمنين بالأكثر في أهم أحداث يسوع المسيح الخلاصية والتأمل بها. فكما أن السنة المدنية تتكون من دورة الأرض حول الشمس، هكذا هي السنة الطقسية تتكون من دورة الكنيسة حول المسيح متتبعة حياته الخلاصية. وتبدأ هذه السنة في الأحد الأول من تشرين الثاني، وتقسم إلى أزمنة: زمن الميلاد ـ زمن الدنح أو الغطاس ـ زمن الصوم ـ زمن الآلام ـ زمن القيامة ـ زمن العنصرة ـ زمن الانتظار أو المجيء الثاني.

جان بول ابو غزالة

المراجع: ٤٠٥، ٤٠٦.

* * *

السَّنْهَدْريم

لغة يونانية معناها: المجمع العظيم، أما بالعبرية فقد أطلقوا عليه اسم «الكنيست».

فكرة السنهدريم بدأت مع يهود على هيئة مجمع من سبعين من أعيانهم الدينيين أو الحاخامات، وكانوا ينتمون إلى مختلف الاتجاهات، وهذا «السنهدريم» وقد تلفظ «السنهدرين» كان يصدر التوجيهات لكافة يهود.

هذا المجلس سمِّي مجلس يهود الكبير أو المحكمة العليا للأمة اليهودية. وقد كان هذا المجلس قائماً يوم جاء المسيح عليه السلام برسالته، وفيه قرر يهود عبر رؤسائهم محاربة المسيح عليه السلام ودعوته.

كتب محررو العهد القديم في سفر العدد نصاً يفيد بأن هذا المجمع أو المجلس جاء بشأنه أمر لموسى عليه السلام كي يؤسسه ليساعد في تحمل المسؤولية. ففي سفر العدد: «فقال الرب لموسى اجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤهم، وخذهم إلى خباء المحضر فيقفوا ثمَّ معك، فأنزل وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك وأحلّه عليهم فيحملون معك أثقال الشعب ولا تحمل أنت وحدك... فخرج موسى وأخبر الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب ووقفهم حوالي الخباء».

وهذا السنهدريم هو أشبه ما يكون بالغرفة السرية التي تدار من خلالها شؤون يهود، وتحاك فيها المؤامرات على غيرهم. وهذا المجلس كما عرَّفه الدكتور حسن ظاظا: «هو الذي يسيطر على حياة يهود الدينية والمدنية على السواء، وكان يحكم في كل الشؤون المتعلقة بالشريعة الطقسية، والشريعة الجنائية، والشريعة المدنية، كما كان هو المحكمة الاستئنافية العليا للقضايا الهامة التي سبق أن فصلت فيها مجالس المدن والقرى التي كانوا يسمونها المجامع... وهو الممثل للشعب اليهودي، فكان هو حكومة اليهود التي تملك كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية».

إن إعطاء الطابع الديني لكل وجوه الحياة عند

يهود أمر رافقهم منذ القدم، وكان السنهدريم المدخل إلى ذلك.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٢٦، ٤٥١، ٥٢٨.

* * *

السيخ

نشأت السيخية في شمالي الهند في منطقة البنجاب، وتبرز في السيخية مؤثرات من مصدرين: الهندوسية ـ الإسلام.

المؤسس هو ناناك Nanak المولود سنة ١٤٦٩م، وقد نشأ، وهو هندوسي، وسط محيط إسلامي، ومنذ البداية طرح ناناك بأنه لم يلمس فارقاً بين الله اسم الجلالة عند المسلمين، وفيشنو الإلّه الحافظ عند الهندوس.

ناناك سمّي الغورو ناناك أو المعلم ناناك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩م). بدءاً من العام ١٥٠٠م أخذ ناناك يبشر بمذهبه، ولدعوته ثلاث قواعد:

١ ـ الكد والعناء وسلوك طريق التقشف وشظف العيش.

٢ ـ ممارسة الإحسان والبر للآخرين.

٣ ـ التأمل الذي تصدر عنه مدائح مؤلفة من قبل الغورو، وأهمية التأمل أنه يوفر للإنسان غذاء روحياً مما يمكنه من رؤية الله في وجوه كل أبناء الإنسانية.

خلف الغورو على التتابع تسعة سمي كل منهم غورو إلى أن كان العاشر، وهو الغورو غوبندسنغ، الذي تطورت معه السيخية إلى أخوية تعاقد أتباعها من خلال «الخلسا» على العمل العسكري، وكان ذلك سنة ١٦٩٩م، عندما اشتد التسلط المغولي على السيخ، وبعده بات الرجل منهم يدعى سنغ أي الأسد، والمرأة تدعى «كير» أي اللبوءة.

بعد الغورو العاشر غوبندسنغ أوقف السيخ فكرة القول بغورو جديد، وأصبح الإرشاد متضمناً في كتابهم المقدس: «آدي غرانت صاحب».

تعد البنجاب، والقسم الهندي منها خاصة، الموطن الأساسي للسيخ، وانتشارهم خارجها لم يتم سوى في ظل الاستعمار البريطاني الذي جنَّد الكثير منهم في جيشه. عندما انفصلت باكستان عن الهند عام ١٩٤٧م حصلت صدامات بين المسلمين والسيخ دفعت بالسيخ لأن ينتقلوا إلى القسم الهندي من البنجاب.

ولهم في البنجاب نفوذ حيث يتسلمون مراكز حساسة وبيدهم الزراعة والمرافق الحيوية، وهم يطالبون بحكم ذاتي مما جعلهم يصطدمون بالسلطات الهندية، ووصلت الأمور في ٢/ ٦/ ١٩٨٤م إلى أن أعطت أنديرا غاندي، رئيسة وزراء الهند يومها، أمراً باقتحام معبدهم الرئيسي في أمريتسار وإخماد ثورتهم وقتل قائدهم بتدراويل مما دفع باثنين من حراس أنديرا غاندي وهم من السيخ إلى اغتيالها في ٣٠/ ١٠/ ١٩٨٤م.

تقوم عقيدتهم على تقديس وإجلال الله تعالى خالق العالم، والخلق عندهم ضرورة لإظهار قدرة الخالق، من نصوصهم في العقيدة هذا القول:

«لا يوجد إلا إلّه واحد، وليس كمثله شيء، ويوجد الغورو وهو معلم الكل، الثواني والدقائق والساعات والأيام والفصول كلها نتيجة من المصدر الوحيد نفسه، وهو المصدر نفسه الذي خلق الشمس، وكل ما هو مخلوق صادر عن الإلّه».

عند السيخ هناك أمر في عقيدتهم هو ما يدعونه: الكافات الخمسة، وهي:

١ ـ **الكيسا**: وتعني الشعر الواجب أن يحافظ عليه السيخي الذي انتسب إلى الخلسا، فعندهم أن شعر اللحية والرأس يجب أن يطلق ولا يُقصُّ منه شيء.

٢ ـ **الكانغا** أو المشط: ويحمله كل واحد من السيخ، وهو لزوم شعر رأسه ولحيته الطويل

ليسرحه به ساعة الضرورة وساعة يشاء.

٣ ـ الكاشا: سروال قصير لا يتجاوز الركبة وهو أشبه ما يكون بشورت عسكري.

٤ ـ الكارا: سوار من الفولاذ يضعه كل سيخي في معصم يده اليمنى، وهو عندهم أشبه ما يكون بتعويذة يظنون أنها تبعد الشر عنهم والأذى.

٥ ـ كيربان: خنجر من الفولاذ أو مدية، يتمنطق بهذا الخنجر كل رجل من السيخ، ويبدو أن هذا الأمر يلازم شخصيتهم العسكرية القائمة على فلسفة القوة التي أصّلها الغورو العاشر غوبندسنغ.

لقد بنى السيخ معبدهم الرئيسي المعروف بالمعبد الذهبي Harimandir في أمريتس ار (بركة الخلد)، وقد تأسست المدينة عام ١٥٦٦م بعد أن وهب أرضها السلطان المغولي للغورو رام داس (الغورو الرابع). أما معابدهم المنتشرة في الهند وخارجها حيث يوجدون، ومنها خمسون معبداً، في بريطانيا، فتسمى غوردوارا Gurdwara.

لا نظام كهنوتي عند السيخ، وإنما الراشدون من الجنسين هم الذين يقومون بإحياء الطقوس والشعائر الدينية. وطقوسهم متنوعة الأصول، فمنها ما هو من أصل هندوسي ومنها ما هو من أصل إسلامي وأخرى من مصدر مسيحي كالتعميد مثلاً.

ينتشر السيخ اليوم إضافة للهند في كل بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية وكندا وأستراليا والدول الإسكندنافية وكينيا وأوغندا وتانزانيا وملاوي وزامبيا، إضافة إلى الدول المجاورة للهند كباكستان وأفغانستان وماليزيا وبنغلادش وسواها، وعدد السيخ اليوم غير معروف بشكل دقيق، لكن التقديرات المتوافرة تشير إلى أن عددهم يتراوح بين ١٥ و ٢٠ مليون نسمة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٩٤، ٦٠٩، ٦١٦، ٦١٨.

* * *



الشافعي (الإمام)

الإمام العَلَم محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، أبو عبد الله المطّلبي، الفقيه.

ولد بغزّة سنة ١٥٠هـ، وكان موطن أبيه الأصلي مكة، تركها مهاجراً إلى غزة ومات بعد ولادة ابنه بقليل فكفلته أمه، ثم خرجت به إلى مكة وهو ابن سنتين، فنشأ بها، وأقبل على الأدب والعربية والشعر فبرع في ذلك، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين، وقدم على الإمام مالك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان بالمدينة المنورة، وصار يقرأ عليه من كتاب ثم يعيد عليه ما قرأه من حفظه. وقد قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، وروى عن مسلم بن خالد الزنجي، فقيه مكة، وداود بن عبد الرحمن العطار وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وعمّه محمد بن علي بن شافع ومطرف بن مازن قاضي صنعاء وخلق سواهم.

وبرع الإمام الشافعي، وهو ما زال صغير السن، في علوم كثيرة. فبالإضافة إلى الفقه والحديث برز في لهجات العرب، كما برز في علوم القرآن، وأفتى وهو ابن عشرين سنة.

تطوّف الإمام الشافعي بالآفاق طلباً للعلم وتحمل في ذلك المشاق، فنهج سبيل المحدثين في كثرة التنقل بين البلاد. فبعد أن تلقى عن الإمام مالك استأذنه للسفر إلى العراق، حيث التقى هناك إمامَي الأحناف أبا يوسف ومحمد بن الحسن حيث دارت بينهم مناظرات علمية، ثم عاد إلى المدينة وأقام بها إلى أن توفي الإمام مالك، ثم رحل إلى اليمن وعمل لدى والي اليمن. وذكره بعض الحاسدين بسوء، ووصل الخبر إلى الخليفة هارون الرشيد واتهموه بأنه رئيس حزب العلويين، فاعتقل وسيق إلى بغداد، لكن الله سلّمه من القتل، وعرف الرشيد براءته حتى طلب الموعظة من الشافعي فوعظه فأبكاه. وكان للشافعي أثناء محنته عدة مناظرات مع محمد بن الحسن وأبي يوسف.

ثم عاد إلى مكة المكرمة، وأقام بها سبع عشرة سنة يعلم الناس ويناظر العلماء واشتهر أمره وارتفع قدره، وشغل الناس بعلمه وعقله، وأجمع شيوخه وقراؤه وتلاميذه أنه كان علماً بين العلماء لا يجارى ولا يبارى، وسجلوا شهادات في الثناء عليه دوّنها التاريخ.

وفي ٢٨ شوال ١٩٨هـ، دخل مصر فأقام بها إلى أن توفي رحمه الله سنة ٢٠٤هـ، ودفن بمصر وقبره معروف مشهور إلى الآن.

وقد صنّف الإمام الشافعي العديد من المؤلفات بعضها معروف، وقد فقد منها الكثير. فقد صنف كتاب «الرسالة» في الأصول، وكتاب «الأم» الذي يمثل مذهبه الفقهي الجديد الذي تغير إليه اجتهاده. وله أيضاً: «الإملاء الصغير» و «الأمالي الكبرى» و «مختصر المزني» و «مختصر البويطي» وغيرها. وبالجملة كان رحمه الله من أفقه الناس في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ثبتاً، مأموناً، كثير الحديث.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٧٥، ١١٧، ٢٣٣، ٢٦٩، ٢٩/٨، ٥٣٠، ٥٨١.

* * *

شرع

وردت في القرآن الكريم والسنَّة النبوية كلمات: الشرع والشرعة والشريعة، وهي تلتقي في نطاق اشتقاق لغوي واحد حول معنى مشترك واحد، ولكن كل واحدة من هذه الكلمات تنفرد بمدلول خاص يبعدها عن الترادف.

يقال: شرع البيت شرعاً: أقامه على طريق نافذ. وشرع الماشية: أوردها الماء. وشرْع الطريق: إقامته للسير واجتيازه. والشرع في الماء: شربه بالكفين.

أما الشرعة فهي الطريق أو المنهاج المؤدي إلى مخرج.

والشريعة هي في ذات الوقت طريق ومنهاج ومنبع يشرع منه، أي: يرتوى.

وفي السياق القرآني تفيد الكلمات الثلاث مدلولات تنطلق من هذه المنطلقات، وتتسع بالإضافة إليها فتصبح مصطلحات دالة على معان متميزة.

ولقد جاء في القرآن الكريم بخصوص الشرع ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشورى/ ١٣]، وفي نفس السورة: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى/ ١٢].

وجاءت كلمة الشرعة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة/ ٤٨].

وورد ذكر الشريعة في مخاطبة الرسول محمد ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ [الجاثية/ ١٨].

فالشرعة لم يخص الله بها قوماً ولا زماناً ولا مكاناً.

والشريعة جاءت بعد الشِّرَع المختلفة المتوالية عبر العصور لتكون النهاية، وليخص الله بها محمداً ﷺ مفضلاً إياه على سائر الأنبياء والمرسلين. فالشريعة هي مضمون الديانة الإسلامية التي يختلف مفهوم الدين فيها عن مفهومه في اليهودية والمسيحية.

والشريعة ليست طقوساً، وليست شعائرَ دينية فقط، ولكنها كذلك توجيهات وقوانين وتشريعات يعبَّر عنها بالأوامر والنواهي الإلّهية، وهي تتناول حياة الإنسان منذ تكونه وإلى ما بعد موته، سواء فيما يتعلق بحياته كفرد أو حياته في أسرته أو في مجتمعه، وأيضاً في صِلاته بخالقه.

فالشريعة تهيمن على المجتمع الإسلامي عقدياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً موضحة لكل فرد وجماعة الواجبات والحقوق، ومحددة ما لهما وما عليهما في تفصيل حاسم وقاطع، معتمدة في ذلك على الفطرة السليمة وعلى العقل الواعي، وهي بذلك تؤلف نظاماً كاملاً وشاملاً يختلف عن المناهج والشِّرَع السابقة.

أما الشرعة فهي مجموعة قوانين وقواعد تستمد أصولها من القانون الطبيعي الفطري الذي أودعه الله في جميع المخلوقات. إنها مجموعة مقتضيات الفطرة والغريزة، وبتعبير آخر هي القانون الطبيعي المنظم لحياة المخلوقات، ولذلك فإن الشِّرَع تنوعت عبر العصور والشعوب والأجيال، وكان منها المتعارف والمكتوب، ومن بينها الموصى به إلى بعض الأنبياء والرسل، إلا أنها لم تستقر على شكل متكامل إلا بظهور دين الشريعة الإسلامية.

والشِّرَع يعني ما شُرِّع، أي ما سُنَّ، من تنظيمات وقوانين المجتمعات البشرية، أو لحياة الأفراد والمجتمعات، مما يضمن لها استمرار علاقاتها وحقوقها، سواء أكانت تلك التنظيمات ذات أصل ديني، كالشرع الإسلامي، أم لا، والشرع الإسلامي ليس إلا جزءاً وأداة من الشريعة المهيمنة على حياة الإنسان والمجتمعات والقيم والمبادىء والتنظيمات والمؤسسات البشرية.

ويخضع الشرع للشريعة كجزء منها، وينسب الشرع إلى الله سبحانه وتعالى إذا تعلق الأمر بما أوحى به الله إلى أنبيائه المرسلين.

ومن الفرق بين الشريعة والشرع يتجلى أن المسلمين يدينون بالشريعة الإسلامية ولو لم يطبقوا شرعها كاملاً، إذا ما اقتضى ذلك موجب كما هو الشأن في الحدود، فقد لا تقطع يد السارق في بعض المجتمعات الإسلامية، ولا يعني ذلك خروجاً على الشريعة، وإنما يعني تعطل أحكام الشرع في ظرف معين لتحقيق احترام حقوق اجتماعية تقوم على إقامة الحدود التي تُدْفع بالشبهات، ولهذا أبطل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حد السرقة عام المجاعة حتى توازن الشريعة بين حقوق الفرد المضبوطة وتعدِّيه على الحقوق العامة.

وكل من الشريعة والشرعة والشرع لا يعني التشريع الذي هو اجتهاد لتطبيق أصول الشريعة على الفروع غير المنصوص عليها في الأحكام الكلية.

إن التشريع الإسلامي هو مجموعة قواعد لضبط فروع العبادات وأحكام النوازل والقضايا المستجدة في المعاملات الخاصة بالاجتهاد المستقى من ينابيع الشريعة المنضبط بمقاصدها. وهو اجتهاد بالقياس حين يوجد نص يقاس عليه، أو اجتهاد باعتماد المصلحة حين لا توجد نصوص يقاس عليها، أو هو مراعاة للعرف حين يتوفر العرف الذي لا يتنافى مع الأصول. فالعادة محكمة، والثابت بالعرف كالثابت بالنص، ولكن حيث يوجد نص فلا مناص من تطبيقه على النازلة إذ لا اجتهاد مع وجود النص، وذلك كله هو مجال علم الفقه.

وقد اعتمدت المذاهب الإسلامية في اتجاهاتها التحليلية على مفهوم الشريعة في الإسلام، فالله تعالى خلق الكون وجعله خاضعاً لأمره، وخلق الإنسان وأوحى إلى الرسول محمد ﷺ شريعته ليسير على هديها حتى ينسجم مع الكون كله وما أراد صانعه من إبراز حكمه فيه.

والشريعة الإسلامية تنتظم أحكام الدين والدنيا وأحكام المعاملات، وهي ذات نزعة وسطية توفق بين التزامات الإنسان الاجتماعية ونزعاته الذاتية، أو أنها توفق بين حاجات الإنسان ومتطلبات محيطه وبيئته الاجتماعية، وبذلك ترضي الفرد والمجتمع معاً، وأحكامها كلية عمومية التطبيق، تيسر الأمور وتبسطها بمرونة تجعلها تستجيب لمقتضيات التطور والتغيير، كما أنها تجعل الإنسان يتعامل مع خالقه في تعامله مع غيره من مخلوقات الله.

وفي كلمة جامعة، الشريعة هي نمط حياة كامل مستوعب ومستمر.

فوزي أدهم

المراجع: ٤٢، ١٤٠، ٣١٥، ٣١٦، ٤٤١.

* * *

الشريعة

الشريعة، لغة: الطريق إلى مورد الماء، والطريق الواضح الذي ينبغي سلوكه للوصول إلى شاطىء الأمان. وتُطلق هذه اللفظة على الديانة الإسلامية أيضاً.

والشريعة، اصطلاحاً: مجموعة القوانين المنبثقة عن مصادر التشريع الإسلامي الأساسية، وهي: القرآن الكريم، والسنَّة النبويَّة، والإجماع، والقياس، وما أرشدت إليه من أدلة فرعية، على اختلاف آراء الفقهاء بشأنها، كالمصالح المرسلة، وسدِّ الذرائع، والاستحسان.. وغيرها.

قال تعالى فيما شرعه لعباده من العقائد والأحكام: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية/١٨]، أي ثمَّ جعلناك يا محمَّد على طريقة واضحة، ومنهاج سديد رشيد من أمر الدين، وقال عز وجل أيضاً: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن

يُنِيبُ﴾ [الشورى/١٣]، وقد خصَّ الله هؤلاء بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأولو العزم وأصحاب الشرائع المعظَّمة.

نايف معروف

المراجع: ٢٤١، ٣٣٤، ٤٤١.

* * *

الشعائر

الشعائر، لغة: جمع شعيرةٍ وهي العلامة. وشعائرُ الله كل ما تعبَّدنا اللّهَ به من أمور الدين، أي ما ندبَ الشرعُ إليه وأمرَ بالقيام به. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج/ ٣٢].

وشعائر الحج: مناسكه وعلاماته وآثاره وأعماله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٥٨].

والشعائر أيضاً كل ما جعل علماً لطاعة الله عز وجل، ومنه البُدن (الإبل السمينة) المُهداة، حيث تُوضع عليها علامةٌ أو تقلد قلادةٌ لتُعرفَ بها أنها هَدْيٌ لبيت الله الحرام قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج/٣٦].

نايف معروف

المراجع: ٣٣٤، ٤٤١.

* * *

شعيب (النبي) عليه السلام

عاصر شعيب عليه السلام موسى عليه السلام، وهو من نسل إبراهيم الخليل، وجدته ابنة لوط عليه السلام.

بُعث إلى مدين، ومدين اسم لقبيلة، واسم لموقع جغرافي، وفي «معجم البلدان» لياقوت الحموي: «المدين على بحر القُلزم محاذية لتبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام، لسائمة شعيب... ومدين اسم القبيلة وهي بين المدينة والشام».

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود/ ٨٤].

وفي الدعوة هنا توجيه لمدين كي يصلحوا إيمانهم وعقيدتهم، وكي يصلحوا نظام معاملاتهم، وهذا المنهج الدعوي هو دأب ومنهج الأنبياء جميعاً صلوات الله عليهم.

وعندما كان موسى وقومه في التيه فراراً من فرعون مصر كانت طريقه في منطقة بئر مدين حيث وجد فتاتين، هما ابنتا شعيب، تسقيان غنمهما فسقى لهما، وبعد حديث مع شعييب دعاه لزيارته من خلال إحدى البنتين التي جاء قول الله تعالى بلسانها: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص/ ٢٦].

ومدين خالفت دعوة شعيب، وعاث القوم في الأرض فساداً إلا النذر القليل منهم ممن آمنوا مع شعيب، وبسبب عصيانهم وفسادهم حلَّ بهم غضب الله تعالى فهلكوا ما عدا المؤمنين منهم.

قال الله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود/ ٩٤، ٩٥].

قال ابن عباس: «ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم بالصيحة، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم».

وشعيب وقومه كانوا من قبائل العرب، وبها دعاهم.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٨٠.

* * *

الشفعة

هي رخصة تجيز في بيع العقار الحلول محل المشتري، في الأحوال والشروط المنصوص عنها شرعاً أو قانوناً. وسنتحدث عنها في القانون.

إذا بيع عقار، انفتح باب الشفعة. والأصل جواز أن يؤخذ هذا العقار بالشفعة، إذا وجد شفيع وتوافرت سائر شروط الشفعة. والمفروض أن يكون هناك عقار، وقد ورد عليه عقد البيع.

فالشفعة لا تكون إلا في العقار، ولا شفعة في المنقول.

والشفعة غير قابلة للتجزئة، أي أنه لا يجوز للشفيع أن يأخذ بالشفعة، في صفقة واحدة، بعض المبيع دون البعض الآخر، وذلك حتى لا تتفرق الصفقة على المشتري فيضار بذلك.

والشفعة لا تجوز إلا في عقد البيع، فإذا انتقلت ملكية العقار بغير تصرف قانوني، كالميراث أو الهبة فلا شفعة.

وكذلك لا يجوز الأخذ بالشفعة إذا حصل البيع بالمزاد العلني وفقاً لإجراءات رسمها القانون، أو إذا وقع بين الأصول والفروع أو الزوجين أو بين الأقارب، أو إذا كان العقار قد بيع ليُجعل محل عبادة أو ليلحق بمحل عبادة.

ولكي يستطيع الشفيع الأخذ بالشفعة يجب أن تتوافر فيه الشروط التالية:

١ ـ أن يكون مالكاً للعقار المشفوع به من وقت بيع العقار المشفوع فيه إلى وقت ثبوت حقه في الشفعة.

٢ ـ أن يكون حائزاً على الأهلية القانونية، وهي أهلية التصرُّف، أي أن يكون كامل الأهلية بالغاً سن الرشد غير محجور عليه. ولا يجوز للوكيل الأخذ بالشفعة لأن وكالته قاصرة على أعمال الإدارة ولا بد من وكالة خاصة للمطالبة بالشفعة.

٣ ـ أن لا يكون ممنوعاً من شراء العقار المشفوع فيه، فلا يجوز مثلاً للقضاة أن يشتروا الحق المتنازع فيه إذا كان النزاع يدخل في اختصاص المحكمة التي يباشرون أعمالهم في دائرتها، وإلا كان البيع باطلاً.

٤ ـ أن لا يكون الشفيع وقفاً، فلا يجوز للوقف أن يأخذ بالشفعة.

فإذا كان العقار المشفوع به عقاراً موقوفاً، فلا يجوز الأخذ بالشفعة، وهذا هو حكم الفقه الإسلامي. فإذا بيع عقار مجاور لوقف، أو كان المبيع بعضه ملك وبعضه وقف وبيع الملك، فلا شفعة للوقف، لا في العقار المجاور ولا في الجزء الملك من العقار.

متى توافرت شروط الأخذ بالشفعة، فإن على الشفيع اتباع الإجراءات التي وضعها القانون للأخذ بالشفعة، فيعلن أولاً عن رغبته فيها إلى كل من البائع والمشتري خلال مهلة معينة وإلا سقط حقه، ثم يقوم بإيداع الثمن ورفع دعوى الشفعة على البائع والمشتري أمام المحكمة الواقع في دائرتها العقار.

[وهذه هي الإجراءات المتبعة في لبنان للاستفادة من حق الشفعة كما نظمها القانون، وقد تختلف هذه الإجراءات في بعض البلدان عنها في لبنان].

فوزي أدهم

المراجع: ١٢، ٢٢٩، ٣١٨، ٥٧٩.

* * *

الشُّكر

الشكر يتخذ معنى دينياً عاماً، فهو موجه إلى الله تعالى من العبد المؤمن على ما أعطى الله للمخلوقات، ولكنه في المسيحية يحتل معنى ودلالة خاصة.

إن دواعي الشكر عديدة، وأعظم شكر في المسيحية هو ذلك الفداء الذي قدم فيه المسيح نفسه كفارة عن البشر، ولهذا بات الشكر ملازماً لطقوس

الأفخارستيا المسيحية حيث المناولة، أو تناول القربان المقدس مع النبيذ يرمز إلى مشاركة المسيح في فدائه، فالخبز هو الجسد، والنبيذ هو الدم.

ولذلك وصف بولس في رسالته إلى أهل رومية العصاة والكفار بأنهم لم يشكروا الله، وما ذلك إلا للتدليل على أهمية الشكر في المسيحية. ورد عنده: «فإنهم لما عرفوا الله لم يمجّدوه ولم يشكروه كإلّه بل سَفِهوا في أفكارهم وأظلمت قلوبهم الغبية».

وشكل الشكر أساساً في العبادة عند المسيحيين في الكنيسة، فقد ورد في رسالة بولس إلى أهل أفسس: «لا أزال شاكراً من جهتكم وذاكراً إياكم في صلواتي».

ويرتبط الشكر كما مر آنفاً بحياة المسيح ودعوته وآلامه وفدائه، فحياة المسيح كلها تعد فعل شكر متواصل، ويظهر هذا الشكر في إطار حضّ البشر على الإيمان وعلى المشاركة في الشكر. لقد ورد في إنجيل يوحنا: «فرفعوا الحجر، فرفع يسوع عينيه إلى فوق وقال: يا أبتِ أشكرك لأنك سمعت لي».

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٢٦، ٥٠٦.

رسمه السيد المسيح في العشاء الأخير، أي العشاء السري (لوقا ٢٢/١٩؛ قورنتس ١١/٢٣؛ مرقس ١٤/٢٢)، قائلاً: «خذوا كلوا منه جميعكم هذا هو جسدي، خذوا اشربوا منه جميعكم هذا هو دمي». وهذا الكلام يتردد على مسامعنا في الذبيحة الإلّهية أثناء كلام التقديس الذي يقوله الكاهن.

ويطلق أيضاً تسمية سر القربان على سر الأفخارستيا أي جسد ودم المسيح، وهذا التحول من خبز إلى جسد المسيح ومن الخمر إلى دمه يطلق عليه عبارة الاستحالة الجوهرية (Trans substantiation) أي أن التحول يحدث على صعيد الجوهر وليس على مستوى المادة.

وعندما تحتفل الكنيسة، أي جماعة المؤمنين، بسر الأفخارستيا ـ بالقداس ـ هذا يعني أنها تقدم فعل شكر على نعمة الله بأن يكون حاضراً دائماً أبداً فيما بيننا.

في الأفخارستيا يوفر يسوع المسيح لكنيسته الدخول يومياً، وأكثر فأكثر، في سر الحب المطلق. هو عربون الحياة الأبدية والمجد الخالد.

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٥٠٥، ٦٠٣.

* * *

الشكر، أو سر الأفخارستيا

سر الأفخارستيا، هو سر الأسرار، هو سر الشكر. الأفخارستيا، كلمة يونانية قديمة وتعني اعتراف، إقرار، عرفان، شكران، وهي مشتقة أصلاً من كلمتين (EU = جيد، خيِّر، صالح، حسن) و (𝒳αPcs = نعمة، شكر). هي أساساً، إذن، صلاة شكر وحمد نرفعها إلى الله لكثرة نعمه وخيراته. «صلاة البركة» التي صلاها يسوع المسيح في عشائه الأخير كانت في أساس الأفخارستيا المسيحية.

والأفخارستيا هي سر من أسرار الكنيسة السبعة،

* * *

الشمَّاس

مشتقَّة من كلمة سريانية وتعني «خادم». هي، في الاستعمال المعاصر في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية إحدى الرُّتَب الكنسية الرئيسية الثلاث: شماس، كاهن، مطران.

الشماس في هذه الكنائس يعاون الكاهن أو المطران لكنه لا يستطيع إقامة الخدم (الصلوات الطقوسية) الكنسية لوحده، فيما يعهد له ببعض الوظائف ذات الطابع الإداري أو الاجتماعي.

في بعض الكنائس البروتستانتية وفي الكنيسة القبطية (المصرية) تطلق الكلمة على من يقومون

بمساعدة الكهنة في الخدمة الكنسية دون أن يكون لهم وظيفة كهنوتية وعلى من يقومون بالأعمال الاجتماعية.

في الكنيسة الأولى، في زمان رسل يسوع المسيح، كان الشمامسة رجالاً أقامهم هؤلاء الرسل للتفرغ للخدمة المادية/ الاجتماعية في جماعة المؤمنين (أع ٦: ١ ـ ٦)، وهم أيضاً رجال نالوا سلطان إعلان البشارة والتعميد وحمل القربان المقدس وتوزيعه.

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩، ٦١٥.

* * *

لفظ يعود إلى السريانيَّة ويعني الخادم. يُذكر الشمامسة في رسائل بولس الرسول ويعتبرون مساعدين للأسقف، ويطلب منهم بولس الصفات الضروريَّة من أجل العمل داخل الجماعات: يتحلُّون بالوقار، لا يخادعون، لا يدمنون على الخمر، ولا يطمعون بالمكسب الخسيس. أما عملهم فخدمة الموائد دون أن يهملوا التعليم. هذا على مستوى الكتاب المقدس. أما في التنظيم الكنسي، فالشماس يقف في الدرجة الثالثة في التراتبيَّة الكنسية، أي بعد الأسقف والكاهن. يحقُّ له أن يمنح العماد ويبارك الزواج ويمارس سائر الرتب، ولكن لا يحقُّ له أن يحتفل وحده بالذبيحة الإلّهية، ولا أن يمارس سرَّ التوبة وسرَّ الكهنوت. في فترة من الفترات، كانت الشماسيَّة رتبة تهيِّىء الرجل لأن يصير كاهناً، أما بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، فصارت الشماسيَّة درجة نهائيَّة لأشخاص يريدون أن يخدموا المجتمع والكنيسة دون أن يطلبوا الارتقاء إلى درجة الكهنوت.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

الشنتو (Shinto)

الدين الأصلي لليابان سمَّوه: كامي ـ نو ـ ميتشي؛ ومعناها طريق الله. واسم هذا الإلّه باللغة الصينية «شنتو» وأصلها كلمة (Shen) التي معناها: روح، وكلمة (Toa) التي معناها طريق، فكلمة «شنتو» معناها: طريق الله، وهو تماماً معنى كلمة (Kami-No-Michi).

الشنتو دين اليابان القومي ولا وجود له خارج اليابان. وهذه الديانة هي عبارة عن تراث اليابان وتقاليد وعادات متوارثة أكثر منها ديانة لها معتقداتها وشرعها، لذا يمكننا أن نقول: الشنتو أسلوب حياة يعيشها اليابانيون.

عند الشنتو مكانة خاصة للشمس وتسمى: أماتيراسو، ومنها الضوء. ووفقاً لمعتقداتهم فإن السلالة الأمبراطورية التي تحكم اليابان منذ آلاف السنين مقدسة، وسبب قداستها أن مؤسسها الأول سليل الشمس المقدسة، وقد وصل إلى الأرض عبر جسر عائم قائم بين الأرض والسماء، وما يبرر ذلك أن في معتقدات الشنتو ما مفاده أن الأرض والسماء وثيقتا الصلة.

وعندهم مقدس آخر هو الـ «كامي» Kami. ورغم أن (كامي) عنصر أساسي في عقيدة الشنتو إلا أنها كلمة يلفُّها الغموض. وأحد فقهاء الشنتوية في القرن الثامن عشر للميلاد هو «موتوري نورينجا» صرح بعجزه عن فهم الكلمة «كامي»، وعرَّفها بصورة عامة، فقال: «جميع الأشياء أياً كانت التي تستحق التبجيل، وتبعث على الرهبة لأنها فوق المألوف، وكذلك القوى الفائقة التي تملكها تسمى: كامي».

ويقول عبد الفتاح شبانة: «تترجم كلمة «كامي» عادة إلى كلمة الإلّه أو الروح، ولكنها في فلسفة الشنتو إنما تعني شيئاً له القداسة، وهو موجود في الحياة اليومية، ويؤثر في الإنسان بحيث يبعث فيه

مشاعر الاحترام والقداسة أو مشاعر الغموض والانبهار».

أماتيراسو ـ نو ـ كامي، إلّه الشمس، له صنم في معبوداتهم، وهو أعلى أصنام الشنتو مكانة، ومن بقاياه قطع مادية مقدسة عندهم هي، مرآة وخنجر وبقايا مسبحة. ووفق أساطيرهم أن أماتيراسو ـ نو ـ كامي أرسل ولده الذي يدعى «ني نيجي» ليحكم بلاد اليابان، ثم تزوج هذا الابن من ابنة جبل «فوجي Fuji»، وحفيد هذين الزوجين المسمى «جممو ـ تنُّو Jimmu Tenno» نصب نفسه قيصراً فهو القيصر الياباني الأول. وبناءً على ذلك فمنزلة الصنم المقدس أماتيراسو مستمرة طالما حفيده وسلالته قياصرة اليابان.

هذا الصنم الأكبر يقوم حالياً في مدينة آيس Ise على المحيط الهادي، وهي تضم أعظم هياكل ديانة الشنتو وأكثرها أهمية، وقد شيُّد في القرن الثالث الميلادي، ويتألف من هيكل داخلي وهيكل خارجي. أما الداخلي فهو مخصص لعبادة الآلهة أماتيراسو إلّهة الشمس، وللجد الأول في الأسرة الأمبراطورية اليابانية، وهو يضم المرأة المقدسة التي هي جزء من الرموز الملكية وتجسيد الآلهة.

أما الهيكل الخارجي فقد تأسس في أواخر القرن الخامس الميلادي وخصص للآلهة تويوك ميكامي Toyouke Mikami إلّهة الزراعة وتربية دودة القز.

الشنتو لا يؤمنون بحياة أخرى غير الحياة الدنيا، والموت عندهم ينتهي بجسم المتوفى إلى منطقة ملوثة، أما روح الميت فقد أطلق سراحها من قيودها المادية لتصبح مرة أخرى جزءاً من قوى تكوين الطبيعة.

والعبادة عندهم تتضمن أربعة عناصر هي:

١ ـ فعل التطهر «هاراي Harai» وهو بالإضافة إلى الاغتسال يكون بأن يلوح الكاهن بفرع من شجرة السكاكي أو ورقة منها على رأس المتطهر.

٢ ـ القربان «شينس Shinse» الذي يكون من الحبوب أو الشراب، وهذه الأيام جرت العادة أن يكون من المال.

٣ ـ طقوس الصلاة Norito وسيأتي الحديث عنها لاحقاً.

٤ ـ الوليمة الرمزية «Neorai» وهي إشارة إلى تناول الطعام مع كامي.

وتتبع هذه الطقوس عملية تناول شراب «ميكي» المقدس وهو مصنوع من شراب الأرز المخمر. ومن المتعبدين من يطلب أداء الرقصة المقدسة للمعبد «كايورا» وهي على خمس وثلاثين طريقة مستمدة من أساطيرهم القديمة.

والصلاة عندهم تنحصر نصوصها غالباً بالمطالب البشرية، من هذه النصوص النص التالي:

«أولاً وقبل كل شيء، هناك في حقلك المقدس أيها الإلّه المهيمن،

ليت حبة الأرز الأخيرة التي سيحصدونها،
ليت الحبة الأخيرة من الأرز التي ستحصد،
بحبات العرق المتساقط من سواعدهم،
وتشدُّ، مع الوحل العالقين بالفخذين،
ليت هذه الحبة تزدهر بفضلك،
وتتفتح سنابل الأرز التي تتوق إليها الأيدي الكثيرة».

ومن المفيد أن نتحدث عن أمرين عند اليابانيين يثيران التساؤلات هما: الأمبراطور والمرأة بالنسبة للأمبراطور، فإنه ـ كما مر سابقاً ـ سليل آلهة الشمس المقدسة التي بدأت منها سلالة الأباطرة الموجودة على رأس السلطة حتى يومنا هذا بشخص الأمبراطور «أكهيتو» الذي استلم السلطة بعد وفاة والده الأمبراطور السابق «هيروهيتو» في أوائل العام ١٩٨٩م.

وكان عندهم من جملة احترام الأمبراطور أن لا تقع عين أحد على عينه ومن يفعل ذلك يكون آثماً، وكفارة ذنبه الانتحار، وعندما يمر موكب الأمبراطور في الشوارع فالكل ينحني والعين مقفلة، أما صوته

فهو سر لا يسمعه إلا الصفوة من رجال البلاط.

والمرة الوحيدة التي سمع فيها الشعب صوت الأمبراطور كانت يوم إعلان التسليم عام ١٩٤٥م في الحرب العالمية الثانية بعد قصف ناكازاكي وهيروشيما بالقنابل الذرية. ولأن عبارات الاستسلام والتسليم لا وجود لها في قاموس اليابانيين فقد قال الأمبراطور العبارة التالية: «من الحكمة أن نتحمل ما لا يمكن احتماله، فإن ذلك أفضل من سفك المزيد من الدماء».

أما المرأة عندهم فهي الركيزة الأساس في الأسرة، وعلى عاتقها تقوم معظم أمور الأسرة حتى شراء المنزل والمقتنيات. ومن تقاليدهم أنها تستلم مرتب زوجها وتعطيه مصروفه الخاص، ولكن ذلك لا يمنعها، وهي تحمل المؤهلات العلمية، من طاعة الزوج والانحناء له وتنفيذ أوامره، فهو السيِّد المطاع.

والمرأة اليابانية تميل للاستقالة من عملها بعد الزواج والإنجاب لتتفرغ لشؤون أسرتها. والرجل عندهم يقدس عمله ويقضي فيه أوقاتاً إضافية حتى لو كان ذلك دون مقابل مادي، وهذا الأمر يكون محل رضى المرأة ويعزز من تقديرها لزوجها. والزوجة التي يعود زوجها إلى المنزل باكراً من عمله يصيبها الإحباط وخيبة الأمل، والمرأة اليابانية عندها الاستعداد لتحمُّل أمور كثيرة في بيت الزوجية وتفضل ذلك على الطلاق وترك منزلها.

نخلص إلى القول: إن الشنتوية تراث ونظام حياة تتناقله أجيال اليابان وفيه قدر من الصرامة في التطبيق، وهذا الأمر هو الذي حفظ وحدة المجتمع وأسهم في الثورة الصناعية والتقدم العلمي الباهر في القرن العشرين رغم الخسارة الكبيرة التي أصابت اليابان في الحرب العالمية الثانية.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧٧، ٤٩٤، ٥٨٣.

***

الشهادة

هي تأكيد حق متنازع فيه له أثر قانوني بواسطة الشهود.

والشاهد هو شخص وضعته الصدفة أمام حادث معين لا علاقة له به، فإذا نشأ نزاع بنتيجة هذا الحادث ساهمت المعلومات التي يملكها هذا الشخص عن الحادث في التمكن من فصل النزاع من قبل المحكمة الناظرة فيه.

والشهادة لها عيوب كثيرة. فقد يشهد الإنسان زوراً محابياً أو منتقماً أو مرتشياً، أو لمجرد وجود كراهة بينه وبين من يشهد ضده، أو لمجرد الميل إلى الكذب أو المبالغة، أو لمجرد إغرائه والتسلط على إرادته. وقد يشهد أيضاً بغير الحق بسبب خطأ أو نسيان، وقد يكون ضعيف الذاكرة أو غير دقيق الملاحظة، أو يكون وقت المشاهدة مشغول الذهن بأمر آخر أو يفكر في شأن له فيفوته من أمر الشهادة ما يهم، هذا فضلاً عن أن مضي وقت طويل بين تحمل الشهادة وأدائها يساعد على النسيان. وقد يموت الشاهد أثناء ذلك أو يصعب العثور عليه، لذلك حصرت معظم الشرائع جواز الإثبات بالشهود في أحوال معينة، وكانت القاعدة أن الإثبات يجب أن يكون بالكتابة.

والمبدأ هو أن كل شخص تتوافر لديه معلومات حول الوقائع المتنازع بصددها يمكن استماعه كشاهد، شرط أن يكون متمتعاً بالأهلية القانونية لأداء الشهادة، أي أن يكون بالغاً سناً معينة تتراوح بين الرابعة عشرة والثمانية عشرة بحسب تشريعات الدول، وأن لا تكون هذه الأهلية قد زالت بسبب بعض الأحكام الجزائية، أو بسبب عدم سلامة الإدراك، كما يجب عدم وجود مصلحة للشاهد مع أحد الخصوم، وأن لا تؤدي الشهادة إلى إفشاء سر المهنة أو الوظيفة أوا الأسرار الزوجية.

وعلى الشاهد أن يحلف يميناً بأن يقول الحق وألا يقول إلا الحق؛ وإلا كانت شهادته باطلة.

ومتى حضر الشهود أمام القاضي سمع شهادة كل منهم على انفراد بعد أن يسأله عن اسمه وصنعته ومحله وجهة اتصاله بالخصوم، وبعد أن يحلف اليمين القانونية. ويصح للقاضي أو المحامي في بعض الأحوال أن لا يحصر أسئلته في نطاق الدعوى إذا أراد استدراج الشاهد وصولاً إلى الحقيقة.

ويجب أن يكون الشاهد قد عرف شخصياً متحققاً ما يشهد به بحواس نفسه، فقد قال ﷺ: (إذا علمت مثل الشمس فاشهد)، كما إذا حضر البيع بنفسه وسمع الإيجاب والقبول ورأى دفع الثمن، أما ما علم به من الغير فلا تقبل شهادته فيه. وتسمى شهادة من علم بالأمر من الغير شهادةً سماعية، وهذه الشهادة لا يعوَّل عليها ولكن يمكن الاستئناس بها في تعرُّف كيفية وقوع الحادث.

وكثيراً ما يحصل في المسائل الجنائية أن يُسْلِم المجني عليه، في جريمة قتل، الروحَ قبل أن يصل إليه المحقق، ولكنه يكون قبل ذلك قد قال عن الجاني لمن حضروا على استغاثته أو قبل حضور المحقق، فيصح هنا للقاضي أن يأخذ بشهادة هؤلاء متى اعتقد صحتها من باقي ظروف الدعوى وملابساتها.

ويجب أن تؤدى الشهادة شفاهة أمام المحكمة مباشرة وجهاً لوجه، لأنه إذا كذب اللسان أو سكت حيث يجب الكلام فإن هيئة المرء وحالته وطريقة شهادته قد تنم عن الحقيقة، أو تساعد على اكتشافها أو تساعد على تقدير الشهادة. ويجب أن لا يعتمد الشاهد في شهادته إلا على ذاكرته، ولا يصح أن يسمح له بتلاوة شهادته من ورقة مكتوبة أو يستعين بأية مذكرة، إلا إذا كانت شهادته منصبة على أمر معقد أو لمعرفة أرقام وتواريخ مثلاً بعد إذن المحكمة حيث تسوغ ذلك طبيعة الدعوى.

ويجب أيضاً أن تؤدى الشهادة في حضور الخصوم وإلا كانت باطلة، ويحق لكل خصم في الدعوى أن يوجه سؤالاً إلى الشاهد ويناقشه على أن يكون توجيه الأسئلة بواسطة المحكمة.

ولا يصح للقاضي أن يقضي بعلمه الشخصي، وعليه في هذه الحالة أن يقدم نفسه شاهداً كأي شخص آخر.

وللمحكمة مطلق الحرية في الأخذ أو عدم الأخذ بشهادة الشاهد الذي لا تطمئن إلى شهادته حسبما ترى من ظروف الدعوى، ما دام عدم اطمئنانها هذا سائغاً عقلاً، ولا عبرة بكثرة الشهود أو قلة عددهم، كما أنه لا عبرة بمراكزهم في الهيئة الاجتماعية ما دامت شهادتهم لا تتفق مع ظروف الدعوى ولا توحي بالثقة بها.

إن تقدير شهادة الشهود أخطر بكثير في المسائل الجنائية منه في المسائل المدنية، بل في غاية الخطورة، لأن الأخذ أو عدم الأخذ بشهادة الشهود جائز في الميدان الجنائي حتى في أخطر الجنايات، أما في المسائل المدنية فإنه لا يسمع الشهود إلا فيما لا تتجاوز قيمته مبلغاً من المال يكون زهيداً عادة، ويختلف من تشريع دولة إلى تشريع دولة أخرى، وفي أحوال أخرى محددة، وكذلك في المواد التجارية.

وتقدير أقوال مختلفة للشهود مرهون بما يطمئن إليه وجدان المحكمة، لذلك يجب أن يكون سلطان المحكمة في ذلك مطلقاً غير محدود إلا إذا خرجت بهذه الأقوال إلى ما لا يؤدي إليه مدلولها.

فوزي أدهم

المراجع: ٢٧٠، ٤٠٨، ٤٧٣.

***

شهود يَهْوه

فرقة انطلقت من رحم البروتستنتيَّة في الولايات المتحدة الأميركية، وقد أسسها تشارلز تاز رسل المولود في پيتسبورغ من بنسلفانيا، وأعلن تأسيسها سنة ١٨٧٤م، وكانوا معروفين بداية باسم: تلاميذ الكتاب المقدس، ولكنهم في عام ١٩٣١م

استخدموا اسم شهود يَهْوه المؤسس على أسفار الكتاب المقدس، أما مركزهم الرئيسي فقد تم نقله من بنسلفانيا إلى حيث هو اليوم في نيويورك (بروكلين) وكان ذلك سنة ١٩٠٩م.

واسمهم «شهود يَهْوه» مؤسس على كلمة «يَهْوه» العبرية، وهي إحدى الألفاظ التي يطلقها يهود في العهد القديم على الخالق سبحانه وتعالى، ويزعمون أنهم مخصوصون بها.

يقول شهود يَهْوه عن هذا الموضوع: «شهود يَهْوه؟ نعم، هكذا يشيرون إلى أنفسهم. إنه اسم وصفي يدل على أنهم يشهدون عن يهوه، ألوهيته ومقاصده. فالإلّه، الرب، الخالق، كالرئيس، الملك، القائد إنما هي ألقاب يمكن تطبيقها على شخصيات مختلفة عديدة. أما يَهْوه فهو اسم شخصي ويشير إلى الإلّه القادر على كل شيء وخالق الكون».

يعتمد شهود يَهْوه المطبوعات كأبرز وسيلة لنشر مفاهيمهم، وقد أصدروا، بدءاً من شهر يوليو (تموز) ١٨٧٩م، نشرة دورية باسم «برج مراقبة صهيون»، ولكنهم انتبهوا لهذا الربط الواضح مع الصهيونية فحذفوا كلمة صهيون وباتوا يستخدمون اسم «برج المراقبة».

يزعم شهود يَهْوه أن عهد أزمنة الأمم قد اقتربت نهايته وسيكون بعده عهد ملكوت الله وهذا يكون بظهور المسيح عليه السلام، وبعد معركة فاصلة في هرمجدون بفلسطين، وهرمجدون كلمة عبرية معناها «تل مجيد». وقد زعم رسل، مؤسس شهود يهوه، أن ذلك سيكون سنة ١٨٧٤م ومن ثم سنة ١٩١٤م وبدأوا يقدمون التاريخ حتى صدر عنهم في العام ١٩٩٦م بأن الموعد آت ولكنه غير محدّد بسنة معينة.

وشهود يَهْوه يقرُّون في عقيدتهم بالآب والابن، ويقولون بأن الروح القدس هو قوة الآب الفعالة وليس أقنوماً ثالثاً، ولذلك يرفضون فكرة التثليث، ويقولون في نشرة لهم: «وفي مجمع نيقية المنعقد في سنة ٣٢٥م، جُعل الثالوث العقيدة المركزية للديانة المسيحية التي اعترف بها يومئذ ديانة رسمية للحكومة. وأيد عقيدة الثالوث الأمبراطور الوثني قسطنطين الذي كان رئيساً لذلك المجمع... والآية المحببة إلى الثالوثيين والمستخدمة منهم أكثر من غيرها من الآيات لدعم عقيدة الثالوث نجدها في (إنجيل يوحنا ٥ : ٧).. ولكن هذه الآية ثبت أنها مضافة ومدسوسة إلى الأصل كما يشهد بذلك جميع علماء الكتاب المقدس المحدثين، وهي غير موجودة في أقدم النسخ وأصحها كالنسخة الإسكندرية مثلاً والسينائية ونسخة الفاتيكان».

وأنكر شهود يَهْوه قيامة المسيح بالجسد والروح وقالوا: إنه قام بالروح فقط. وقد رد على أقوالهم هذه رجال الكنيسة، ومن ذلك ما قاله الأب فيليب السمراني: «بين جميع البدع والشيع التي قامت ضد كنيسة المسيح، فإن أفظعها وأخطرها في عصرنا شيعة شهود يَهْوه، إنهم ينكرون كل الحقائق والأسرار المسيحية، وكل القيم الإنسانية، ولم يدعوا واحدة منها إلا تطاولوا عليها وهاجموها بوقاحة وسخرية، ولقد ثبت بما لا يقبل الشك، أنهم مرتبطون بالحركة الصهيونية العالمية والعمالة لها.. فهدفهم وهدفها تدمير الأديان».

وشهود يَهْوه ينكرون اليوم الآخر وخلود النفس ويزعمون أن عهد ملكوت الله سيبدأ والشهود سيكون ١٤٤٠٠٠ فقط، ولم يقولوا أين سيذهب أتباعهم على الأقل وهم بالملايين.

ويحرم شهود يَهْوه بشدة نقل الدم إلى المرضى والجرحى ويعدون ذلك تعدياً على عقائدهم، ومما قالوه في هذا الباب: «إن الأطباء إذ يدركون قدرة الدم على دعم الحياة، يستعملون نقل الدم بكثرة في معالجة المرضى، فهل ينسجم ذلك مع مشيئة الله؟ قد يعتقد البعض أن نقل الدم يختلف عن أكله، ولكن، عندما لا يتمكن المريض من الأكل بالفم، ألا يطعمه الأطباء في كثير من الأحيان بنفس أسلوب نقل الدم؟ فإن الامتناع عن الدم يعني عدم

إدخاله إلى أجسادنا على الإطلاق...».

وشهود يَهْوه على عادتهم يتلاعبون بالنصوص، فقد نقلوا حرمة أكل دم الذبائح عند ذبحها إلى حرمة نقل الدم وهذا تجاوز للموضوعية، وبسبب ذلك أحدثوا إزعاجات للمستشفيات، وكثيراً ما كان مريض منهم أو من ذويهم أو جريح يحتاج للدم ولم يسمحوا للأطباء بإعطائه الدم اللازم.

ومن مخاطر فرقة شهود يَهْوه أنهم لا يقرُّون بالانتماء الوطني أو القومي، وبذلك لا يخدمون الجيوش، ولا يقرُّون بالدفاع عن الأوطان ولا يقفون لنشيد بلادهم ولا يحبون علم بلادهم.

ويصرحون في إحدى نشراتهم: «أما ما ينادي به الكتاب المقدس لإقرار السلام واجتناب الحرب فليس القوة العسكرية، بل بالحري نزع السلاح وتدميره».

ومن الطريف والمزعج معاً في لبنان أن شباباً من شهود يَهْوه قد تم استدعاؤهم لأداء الخدمة العسكرية ومدتها سنة رفضوا، ولا يزالون، التدريب، وحتى مجرد ارتداء الزي العسكري، وقبلوا العقوبة بأن يمضوا سنة الخدمة مع عقوبة إضافية في السجن.

وهذا النمط من الشباب يقدم خدمة للعدو الإسرائيلي، فبمجرد أن يكون عدد كبير من الشباب قد التزم هذه النحلة يكون قد عطَّل طاقة كانت ستكون في ساحات المقاومة والمواجهة ضد الأعداء.

ومن نصوصهم المعادية للإسلام زعمهم أن الإسلام دين للعرب فقط، وهذا ينافي الحقيقة، فيزعم شهود يَهْوه في إحدى نشراتهم: «اعتبر محمد ﷺ القرآن العربي كتاباً معداً للعرب فقط، وكان ذلك رغم الواقع بأن الشخص الجاري تمثيله كمتكلم هو، على وجه الحصر تقريباً، الله نفسه، خالق كل الشعوب»، وفي لفظ تقريباً الوارد عندهم اتهام للقرآن بأنه غير موحى به من الله تعالى.

لذلك فإن حركة شهود يَهْوه تصنَّف بين الحركات الهدَّامة الخطيرة التي تخدم الصهيونية وسائر الأعداء.

أسعد السحمراني

المراجع: ٢٢٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٥٢٩.

* * *

الشهيد

هو المقتول في سبيل الله تعالى والجمع شهداء.

واستُشْهد: قُتِل شهيداً. ويقال: الشهيد حيٌّ، استناداً إلى قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران/١٦٩].

والذي يستشهد في ساحات المواجهة ضد الأعداء هو شهيد الدنيا والآخرة، وهذا لا يُغسَّل وتبقى ثيابه عليه، ودم الشهادة يزكِّيه والملائكة تشهد له في الجنة يوم الحساب، وللشهداء كرامة عند ربهم لا تكون لسواهم.

وفي صحيح مسلم: (قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: أرواحهم (الشهداء) في جوف طير خضر لها قناديل معلَّقة بالعرش تسرح في الجنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى). وهذا دليل على مكانة الشهيد التي أشعرتهم بأهمية أن يستشهدوا مرة ثانية فيضاعف لهم ثواب الشهادة.

وقال الجرجاني في التعريفات: «الشهيد كل مسلم طاهر بالغ قُتل ظلماً ولم يجب بقتله مالٌ، ولم يُرتثّ» أي لم يصبه شيء من مرافق الحياة.

وهناك شهيد دنيا هو من مات غرقاً أو حرقاً أو مبطوناً أو غفلة، وهذا يغسَّل ويكفن.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧٢، ٤٤١، ١/٤٦٢، ٥١٤.

* * *

الشورى

الثابت في الإسلام أنه أول محتضن لحكم الشورى، والمبشر بحفظ قوة المسلمين ووحدتهم ما داموا متمسكين بها، كونها أسمى وسيلة لحكم الرعية. الإسلام هو الدين الوحيد الذي دعا إلى الشورى في الحكم، وهو بها يفرض نفسه ـ في جدارة وعدل ـ على نظام الدولة وطريقة الحكم فيها. وقد ردد القرآن الكريم هذا الاتجاه في أكثر من موضع في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى/ ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران/ ١٥٩]. فهذه الديمقراطيات المعاصرة جميعاً والتي تتغنى الشعوب بها وتمجدها، وتحارب في سبيلها، قد وطدها الإسلام قبل اليوم بأربعة عشر قرناً من الزمن، ولذلك فإن نظام الحكم في الإسلام يقوم على انتخاب الخليفة، الذي يشارك الناس جميعاً في انتخابه، انتخاباً حرّاً، لا زيف فيه ولا تزوير، وإن الخلافة لا تكون صحيحة إلاّ إذا كانت نتيجة لبيعة حرّة.

والخليفة رغم أنه بحكم مركزه يعتبر الحاكم الأعلى للمسلمين، إلا أنه لا يظلم ولا يستبد، ولكن عليه أن يستشير عقلاء الأمة ومفكريها وينزل على حكمهم، ثم هو بعد ذلك يعتبر نفسه خادماً للناس، لا سيداً عليهم.

ولما كانت الشورى تقتضي أن يختار المسلمون حكامهم، فقد انعدم نظام وراثة الحكم في الشريعة الإسلامية، وأصبح الخليفة ينتخب طول حياته، مع حق المسلمين في عزله، أو خلعه، فإذا مات تجمع المسلمون لانتخاب غيره.

وكان الخلفاء يستعينون بالعقلاء في حلّ ما يستعصي من الأمور، وكان الخليفة إذا أخطأ لا يجد غضاضة أن يعترف بخطئه ويتبع الصواب.

عبد المجيد الحر

المراجع: ٤٠، ٤٢.

* * *

شيخ

الشيخ هو الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب. وقد اختلف في السن التي تبدأ معها الشيخوخة؛ ففي لسان العرب أنها سن الخمسين، وفي تفسير القرطبي لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ [غافر/ ٦٧]، أن الشيخ من بلغ الأربعين.

ويقال: شيَّخْتُه: دَعوْتُهُ شيخاً للتبجيل والاحترام.

فلقب شيخ يقال إذن لمن طعن في السنّ، وقد يعبر به عمن يكثر علمه لما كان من شأن الشيخ أن تكثر تجاربه ومعارفه.

وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود/ ٧٢]، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص/ ٢٣]، ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف/ ٧٨]، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ [غافر/ ٦٧].

وكان العرب، في نظام القبيلة، يطلقون لقب «شيخ القبيلة» على المقدم بين الناس الذي يسلم له أهل القبيلة بالقيادة والرئاسة، ويكون ذلك لمكانته ومعارفه وخبراته.

وقد انتقل الاسم إلى التداول عند المسلمين فباتوا يستخدمونه لمن يتولى الإمامة والخطابة والوعظ في المساجد والمجالس فصاروا يقولون: «شيخ»، ويجمعونها على «شيوخ» و «مشايخ».

وبعد القرن الخامس الهجري برز لقب شيخ الإسلام، وكان يُعطى للعلماء المجتهدين أصحاب المكانة، فقد لُقِّب ابن تيمية رحمه الله، فبات يقال له: شيخ الإسلام ابن تيمية. واستخدم لمؤسسي الطرق الصوفية، أو لمن يتولون أمر الطريقة بعدهم فيقال: شيخ الطريقة الفلانية.

ومع الوقت أصبح اللقب متداولاً كلقب تشريف، ولم يقتصر تداوله على الحالة الرسمية إلى أن كانت الدولة العثمانية فأصبح شيخ الإسلام لقب مفتي الأستانة وهو كبير المفتين في الدولة، وبذلك بات شيخ الإسلام ذا منصب رفيع ومكانة، وتجلى جلال المنصب في المحافل والملتقيات

الرسمية وقد أُلغي في تركيا مع أتاتورك والعلمانية، وبقي استخدامه لأعلى مسؤول في الأزهر الشريف، ألا وهو الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

ويستخدم اللقب كذلك حالياً في بعض الدول العربية والإسلامية للمنصب السياسي الرئاسي فيقال: شيخ الإمارة الفلانية، ويطلق في هذه الدول على أفراد الأسرة الحاكمة، والمؤنث منه: شيخة.

وأطلقه المؤرخون العرب والعلماء على صاحب المكانة العلمية فقيل: شيخ المحققين. وقيل لابن سينا الفيلسوف الطبيب: الشيخ الرئيس. وفي دول كثيرة اليوم هناك «مجالس شيوخ» وهي مجالس تتولى شؤوناً في السلطة التشريعية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٤١، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٤٦.

* * *

الشيطان

نوع من الأفاعي، والشاطن: الخبيث. وتطلق التسمية على كل عاتٍ متمرد من الإنس والجن.

والشيطان هو إبليس رأس الجنّ الكفرة، وهو رمز العصيان والتمرد والغواية والفتنة.

فإبليس هو الذي وسوس لآدم في الجنة بأن يأكل من شجرة كان قد نهاه الله تعالى عنها. وعندما أراد الحق سبحانه أن يعلن قرار التكريم لبني آدم تمرَّد إبليس عن السجود لآدم مستكبراً عاصياً، وبذلك دخل طريق الكفر، فقد جاء في الآية الكريمة: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة/ ٣٤]. وفي الآية أن إبليس من الجن، ففي سورة الكهف قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف/ ٥٠].

وفي الكتاب المقدس نصوص تذهب المذهب نفسه تصنف إبليس ـ الشيطان في رأس قائمة الشرّ والشريرين. فإبليس هو الذي حث يهوذا الأسخريوطي كي يتآمر على عيسى عليه السلام لصالح بني إسرائيل. ففي إنجيل يوحنا: «وقد ألقى إبليس في قلب يهوذا بن سمعان الأسخريوطي أن يسلمه». وفي رسالة بولس إلى أهل أفسس: «تسلَّحوا بسلاح الله لتستطيعوا مقاومة مكايد إبليس».

ويحذر الله تعالى المؤمنين من مخاطر اتباع إبليس وذريته، فذلك يبعدهم عن الله تعالى ويزيدهم ضلالاً وإغواءً. جاء في سورة الكهف قول الحق سبحانه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف/ ٥٠].

وتوجد اليوم طائفة اليزيدية التي تنسب أصل نشأتها لعدي بن مسافر، الذي سافر من البقاع في لبنان إلى شمالي العراق حيث ينتشر اليزيدون وحيث مدينة لالش التي دفن فيها، وفيها حجهم وطقوسهم، ولالش في إقليم شيخان حيث يشكل مع إقليم سنجار من أعمال الموصل بالعراق المهد الأول والأساسي لليزيدية.

والشيطان يتمتع بمكانة خاصة ومميزة في عقيدة اليزيديين، فمع اعتقادهم أنه مصدر الشر فإنهم يتقربون منه ويقدسونه ويسمونه «طاووس ملك»، ويرمزون إليه بطاووس مصنوع من المعدن يحملونه أثناء طقوسهم الدينية، ومن ذرائعهم في هذا الأمر أنهم يقدسون الشيطان ويعلون من شأنه في عباداتهم كي لا يؤذيهم.

ومن مظاهر احترامهم للشيطان أنهم لا يذكرون اسمه ولا كلمة فيها شطر من اسمه ككلمة: شط ـ بط ـ شاطىء... الخ. ولا يحتمل اليزيدي من أحد أن يتعرض بلعنة أو كلمة سوء بحق الشيطان.

وظهرت في السنوات الأخيرة حالة من تقديس الشيطان مرفقة مع عنف حيال الذات في ممارسة التمرد على كل مقدس، وبعد رقص «الروك إند رول». وقد بدأت الحكاية عام ١٩٥٢م بموسيقى الروك مع المغني الأمريكي ليتل ريشارد الذي أدخل إلى هذا الرقص أنغاماً وحركات تعود إلى

العنف، وبعده في عام ١٩٥٥م تزعم ألفيس بريسلي هذا الحركة الموسيقية، وراح يخاطب غرائز الشباب ويشجعهم على رفض القيم الدينية والأخلاقية وعلى الحياة نفسها، وبدأ هذا النمط ينتشر، وبرز له أتباع عُرِفوا باسم «عبدة الشيطان». وهؤلاء ينذرون أنفسهم للشيطان، ومنهم فرقة يرمزون إليها بـ «ACDC» وعند هذه الفرقة الشيطان هو الذي يتكلم، ويتعرضون في الوقت عينه بالإساءة للأنبياء والرسل عليهم السلام.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٤٠٥، ٤٤١، ٥٢٦.

***

الشيعة

تشير قواميس اللغة، إلى أن الجذر الأصلي لكلمة (شيعة): شيع، ومنه شاع الخبر في الناس: ذاع وفشا، وظهر وانتشر، وسهم شائع ومشاع: غير مقسوم، وهذا شيْع هذا أي مثله، والشِّيع: المقدار.. وولد الأسد، واليوم الذي يتبع اليوم، قال عمر بن أبي ربيعة (٩٣/ ٦١١) (الكامل حذّاء):

قال الخليط غداً تصدّعنا
أو شيعه أفلا تشيّعنا

وشيع الله: اسم كتيم الله. وإذا أراد الرجل أن يفارق أصحابه يقول: شاعكم الله أو شاعكم السلام أي تبعكم... والشاعة: الزوجة لمشايعتها الزوج ومتابعتها. والشّياع: مزمار الراعي، وشيَّع الراعي إذا نفخ في اليراع أي القصبة. والشياع: الدعاة وهي جمع داع. والمشيع، كمكيل: الحقود المملوء لؤماً، والشيوع: الوقود. وشيَّع فلان فلاناً عند رحيله: خرج معه ليودعه، وشيَّعه بالنار: أحرقه، ومن المجاز: شيَّع فلاناً: إذا شجَّعه وجرّأه، والمشيَّع: الشجاع، ورجل مشيَّع القلب: للشجاع، وقد شيَّع قلبه بما يركب كل هول، وشاع الشيب: ظهر وتفرّق. وشيَّعه تشييعاً: أرسله واتبعه، وشاعكم الله تعالى بالسلام وشاعكم السلام، قيل (وافر):

ألا يا نخلة في ذات عرق
برود الظل شاعكم السلام

وقال لبيد (٤١/ ٦٦١) (طويل):

فشاعهم حمد وزانت قبورهم
أسرَّة ريحان بقاع منوَّر

وقد شيَّعه الغضب: استخفَّه، وضرَّمه كما تشيع النار، ورجل مشيع عجول. والشِّيعة بالفتح: شجرة دون القامة، لها قضبان فيها عقد ونور أحمر مظلم صغير، أصغر من الياسمينة يأكل الناس قدّاحها، يتصحَّحون به، وله حرارة في الفم، وعسلها طيب الرائحة، صاف شديد الصفاء.

والشِّيعة بالكسر: هم الأتباع والأنصار، كل قوم اجتمعوا على أمر وليس كلُّهم متفقين. وشيعة الرجل أولياؤه وأنصاره، وجمع الكلمة شِيَع وجمع الجمع أشياع، والواحد شيعي، وهم يتشيعون: يرون هوى قوم ويتابعونه، وتشيَّع الرجل: إذا ادَّعى دعوى الشيعة، والمشايع للشيء أي اللاحق له، وفلان من أشياع السلطان: أي من أتباعه.

ولفظة الشيعة وردت في القرآن الكريم مختلفة المعاني، فجاءت بمعنى جماعة أو فرقة: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم/ ٦٩]، وبمعنى الفرق أو الطوائف: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر/ ١٠]، و: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص/ ٤]، وبمعنى الفرقة إذا اختلفوا في مذهب وطريقة: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ [القمر/ ٥١]، أي أشباهكم ونظراءكم في الكفر. وبمعنى الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الأنعام/ ١٥٩]، وبمعنى الأمثال: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ/ ٥٤]، أي بأمثالهم من الشيع الماضية، وبمعنى الإشاعة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النور/ ١٩]، أي يشيعونها عن قصد الإشاعة ومحبة لها، وفي هذا دلالة على أن العزم على الفسق فسق، وبمعنى

الأتباع: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات/٨٣]، أي وأن من شيعة نوح إبراهيم، يعني أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق. ووردت هذه اللفظة في الشعر العربي ومنها قول الكميت بن زيد الأسدي (١٢٧/ ٧٤٤) (طويل):

وما لـي إلا آل أحـمـد شـيـعـة
وما لـي إلا مـذهـب الـحـق مـذهـب

وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، وفي الحديث: (القدرية شيعة الدجّال)، أي أولياؤه وأنصاره. واسم الشيعة قديم، ومنه شيعة إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء أجمعين، والتشيُّع بدأ بفكرة هي تفضيل هاشم على أمية، وهو من أقدم المذاهب السياسية الإسلامية، وُجدت نواته في فجر الإسلام، ونمت وازدهرت في عهد النبي محمد ﷺ، وتشكل وظهر في ساعة السقيفة، وتوسع وكبر أيام قميص عثمان وأصابع نائلة، وظهر علانية وأصبح حزباً معروفاً في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي واقعة الجمل وصفين والنهروان.

ويقال: إن أول واضع لحجر زاوية التشيع في الإسلام هو النبي محمد ﷺ، الذي قام بالدعوة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ببذر التشيع مع بذرة الإسلام الأولى جنباً إلى جنب وسواء بسواء، ولم يزل ﷺ يتعهدها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته وأثمرت بعد وفاته. ويختلف المؤرخون في تاريخ نشأة الشيعة الذين تجاذبتهم افتراضات توزعتها مناسبات يوم السقيفة، ويوم الشورى، ويوم الدار، ويوم واقعة الجمل، أو صفين، أو عام الجماعة، أو زمن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام... وهذه الافتراضات تفتقر إلى التغطية العلمية، لأن الأقرب إلى المنطق هو أن يوم السقيفة بذر التشيع، ويوم كربلاء أذكى ناره، وفيما بعد حتى يومنا الحاضر، التكوينات المذهبية وما يرافقها من مراسم احتفالية تغذي ذلك.

وخلاصة القول في أهل الشيعة: إنهم أنصار الإمام علي المعروفون بشيعته، وبانقطاعهم إليه والقول بإمامته وهم مجموعة من المسلمين يعرفون بشيعة علي، ويشكلون ما نسبته ١٠ ـ ١٢٪ من مسلمي العالم، وينتظرون ظهور الإمام الغائب في آخر الزمان، ويعتقدون بأن الخلافة من حق علي بن أبي طالب قبل أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، استناداً إلى حديث يروونه عن الرسول ﷺ يوم الدار حين قال لعلي: (... فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي).

من معتقدات الشيعة، التوحيد المحض، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق أو ملابسة له في صفة من صفات النقص والإمكان والتغير والحدوث وما ينافي وجوب واجب الوجود والقدم والأزلية إلى غير ذلك، وهم يتبرؤون من كل الفرق التي نسبت إليهم وغلت في الدين. وأهم ما امتاز الشيعة به، القول بإمامة اثني عشر إماماً.

كما أن الشيعة يوجبون النص على الإمام وتعيينه وعصمته، كما يقولون بمشروعية المتعة (الزواج المؤقت)، كما يوجبون طواف النساء في الحج، ويجمعون بين الصلاتين، ويجيزون السجود على سجدة ترابية، ويسبلون الأيدي في الصلاة، ويقيمون مجالس العزاء عشرة أيام من محرَّم كل عام يمارسون خلالها الندب واللطم على الصدور، ويقومون بالتطبير [ضرب الرأس حتى ينزف] في اليوم العاشر.

حسن نور الدين

المراجع: ٢٦، ٣٣، ٥٤، ٧٠، ١١٥، ١٣٩، ١٥١، ٣٢٦، ٣٧٨، ٣٩٢، ٤٠٧، ٤٤١، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٣، ٥٢٤.

* * *



الصابئة

من الديانات الحيَّة، ولها أتباع معاصرون، وأغلبهم ينتشرون في جنوبي العراق في منطقة الأهواز، وعلى الضفاف من نهري دجلة والفرات في مدن العمارة والناصرية والبصرة وقلعة صالح والحلفاية وسوق الشيوخ، ويوجد قسم منهم إلى الشمال من المناطق المذكورة كبغداد والكوت والديوانية وكركوك والموصل، وقسم منهم يقطن إقليم عربستان، وهم بحدود ١٥٠ ألفاً.

وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في سورة البقرة (آية ٦٢)، وسورة المائدة(آية ٦٩)، وسورة الحج (آية ١٧)، ووجودهم سابق على الإسلام، ومنهم من ينسب نفسه إلى نوح عليه السلام.

والصابئة قوم آمنوا بوحدانية الله، ولكنهم قالوا بوجود وسائط بين الخالق والمخلوقات هي الكواكب، لذلك قال بعض المؤرخين عنهم: عَبَدة الكواكب، وهذا خطأ.

وفي كتابهم المقدس «كنزا ربا» تدل نصوصهم على إيمانهم بوحدانية الخالق، من ذلك هذا النص:

«إلهي طاهر
سبحان بقلب
سبحان ربّي، بقلب طاهر
إلّه كل العوالم، سبحانه
... الذي لا شبيه له، النور النقي، والخير العميم الذي لا ينضب، الغفور التوّاب..».

انطلاقاً من عقيدتهم هذه، ذكرهم الله تعالى في النص القرآني مع أهل الكتاب، وصنَّفهم فقهاء المسلمين أهل شبهة كتاب، وصالحوهم على ذلك، وأُعطوا عقود أمان ولكن لا تؤكل ذبائحهم، ولا تُنكح نساؤهم.

ومن جملة معتقدهم أن الله يخلق الخير، وأنه لا يجوز ـ حسب زعمهم ـ أن يخلق الشر. ويقول الشهرستاني عنهم في هذا الأمر: «إن الله تعالى أجلُّ من أن يخلق الشرور والقبائح والأقذار والخنافس والحيّات والعقارب».

يدخل التعميد في أصل عباداتهم، ومنه نوع يسمى «مصبته»، وهو تعميد كامل يلي مرحلة الولادة أو الزواج أو التماس مع الميت وبعد خطايا كبيرة كالسرقة والقتل.. وهذا التعميد يكون أيام الآحاد، وفي الأيام الكبيسة وهي خمسة أيام من كل سنة لأن سنة الصابئة ٣٦٠ يوماً.

وعندهم التعميد على شكل طهارة ضرورية بالاغتسال. وشرط هذا الطقس عندهم أن يكون ماء التعميد متصل مع أصل منبعه، لذلك لا يصح عندهم التعميد بمياه مخزونة مقطوعة عن أصولها، ولهذا اختاروا مناطق سكنهم على ضفاف الأنهار.

وعندهم غير «مصبته»، الطهارة من الجنابة وتدعى «طماشة»، والوضوء ويسمى «الرشامة». وعندهم صلاة ثلاث مرات في اليوم: الأولى قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل وهي ثماني ركعات وثلاث سجدات مع كل ركعة، والثانية عند زوال الشمس؛ أي ظهراً، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة... والثانية كالثالثة ووقتها عند غروب الشمس.

ويذكر عبد الرزاق الحسني بأنهم يعتمدون صوماً يقارب صوم المسيحيين، يمتنعون فيه مدة ٣٦ يوماً متفرقة خلال العام، عن أكل اللحوم.

نخلص إلى القول: إن عقيدتهم وشريعتهم مزيج مستقى من مصادر متعددة لذلك نجدهم يلتقون في أمر مع جهة، ويختلفون معها في آخر وهكذا.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٢٩، ٣٣٠، ٥٢٤، ٥٢٦.

* * *

صالح (النبي) عليه السلام

بُعث صالح عليه السلام إلى ثمود، وهم، حسب المراجع التاريخية، من نسل ثمود بن عاد (أو جاثر) بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: إن الاسم مشتق من الثمد: الماء القليل، وكانت مساكنهم في الحجر بين الحجاز والشام.

بعد أن هلكت عاد قامت ثمود ونمت إمكاناتهم فعتوا وزاغوا وأفسدوا، فبعث الله تعالى لهم صالحاً نبياً، يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود/ ٦١].

لم يتبعه سوى قلة مستضعفون من قومه، وتوجّه إليه المعاندون منهم، طالبين منه أن يخرج لهم من الصخرة ناقة، وقالوا له: إن فعلت ذلك صدقناك وآمنّا معك.

فدعا ربه فأيّده الخالق سبحانه بالمعجزة، وخرجت ناقة من الصخرة، ولكن القوم بقوا على ما هم عليه، وعقروا الناقة وكذّبوا دعوة النبي صالح عليه السلام، وفي هذا جاء قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا﴾ [الشمس/ ١١ ـ ١٥].

بعد تكذيبهم هذا حلّ بهم غضب الله تعالى، وأتتهم صيحة من السماء فيها صوت كالصاعقة، فتقطعت قلوبهم وهلكوا جميعاً، قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾ [هود/ ٦٧].

أما صالح عليه السلام فإنه سار إلى بلاد الشام، فنزل فلسطين وانتقل بعدها إلى مكة المكرمة ومكث فيها يعبد الله تعالى حتى وافته المنية وهو ابن ثمان وخمسين سنة. أما مدة دعوته لقومه فقد استمرت عشرين سنة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤١٣، ٤٢٤.

* * *

الصحابي

لغة: مشتق من الصحبة، لا من قدر منها مخصوص، وذلك يطلق على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً، يقال: صحبت فلاناً حولاً وشهراً ويوماً وساعةً.

والصحابي عند المحدثين كل مسلم لقي النبي ﷺ مسلماً ومات على إسلامه، ومن رآه كافراً ثم أسلم بعد موته؛ كرسول قيصر، فلا صحبة له.

وعن أصحاب الأصول، أو بعضهم، أنه المسلم الذي طالت مجالسته للنبي ﷺ على طريق التبع.

ولا يشترط البلوغ، على الصحيح، وإلا لخرج من أُجمع على عدِّه في الصحابة كالحسن والحسين وابن الزبير ونحوهم.

وعن سعيد بن المسيب أنه لا يعد صحابياً إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين، أو غزا معه غزوة أو غزوتين، وقوله ضعيف.

وشرط الماوردي في الصحابي أن يتخصص بالرسول، ويتخصص به الرسول ﷺ.

وتعرف الصحبة إما بالتواتر، كأبي بكر وعمر وبقية العشرة المبشرين بالجنة، أو الاستفاضة والشهرة القاصرة عن التواتر، كضمام بن ثعلبة وعكاشة ابن محصن، أو قول صحابي عنه أنه صحابي، كحممة بن أبي حممة الدوسي الذي مات

بأصبهان مبطوناً فشهد له أبو موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ حكم له بالشهادة. ذكر ذلك أبو نعيم في (تاريخ أصبهان).

والصحابة كلهم عدول، من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة/ ١٤٣]، أي: عدولاً. وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران/ ١١٠]، والخطاب فيها للموجودين حينئذ. قال ﷺ: (خير الناس قرني)، رواه الشيخان. قال إمام الحرمين: والسبب في عدم الفحص عن عدالتهم أنهم حملة الشريعة، فلو ثبت توقف في روايتهم لانحصرت الشريعة على عصره ﷺ ولما استرسلت سائر الأعصار.

وأكثرهم حديثاً أبو هريرة، ثم ابن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعائشة، رضي الله عنهم أجمعين.

وقال الإمام أحمد: إن أكثرهم فتيا تروى عنه ابن عباس.

ومن الصحابة العبادلة وهم أربعة: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وليس ابن مسعود منهم. قاله أحمد بن حنبل. قال البيهقي: لأنه تقدم موته وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، فإذا اجتمعوا على شيء قيل: هذا قول العبادلة.

وسائر من يسمى عبد الله من الصحابة لا يطلق عليهم العبادلة، وهم نحو مائتين وعشرين صحابياً.

وروى البخاري في صحيحه أن كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن تبوك: «وأصحاب رسول الله ﷺ كثير لا يجمعهم كتاب حافظ»، بمعنى الديوان.

وممن له مزية: أهل العقبتين من الأنصار، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وهم من صلى إلى القبلتين، وأهل بيعة الرضوان، وأهل بدر، والعشرة المبشرون بالجنة.

وقال ابن إسحاق: أول من آمن خديجة، ثم علي، ثم زيد بن حارثة، ثم أبو بكر، فأظهر إسلامه ودعا إلى الله فأسلم بدعائه عثمان بن عفان، والزبير ابن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فكان هؤلاء الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام.

وآخرهم موتاً أبو الطفيل، مات سنة مائة وعشر.

وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (ارحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح).

وقد أَلَّف قوم في الماضي والحاضر في حياة الصحابة وتراجمهم، كمعجم الصحابة لعبد الباقي ابن قانع، والاستيعاب لمعرفة الأصحاب لابن عبد البر، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد الزهري، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، وحياة الصحابة للكاندهلوي، ورجال حول الرسول لخالد محمد خالد.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٦٢، ٥٤٨.

* * *

الصحاح

الصحة، في اللغة، ضد السقم، وهي أيضاً ذهاب المرض، واستعيرت لوصف الأحكام الشرعية كالعبادات والعقود، وصحة أدائها، وعدم مخالفتها للشريعة، وترتب آثارها عليها، فهناك: الصحيح والفاسد والباطل.

وقد وضع علماء المسلمين شروطاً وقواعد

ضابطة لتمييز الصحيح من غيره فيما نقل من الأحاديث والروايات عن النبي ﷺ، تجنباً للوقوع فيما حذّر منه ﷺ من الذين سيكذبون على لسانه من أهل البدع والأهواء: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) [متفق عليه].

والصحيح عند المحدثين: ما اتصل سنده بنقل الثقة العادل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علّة.

قال الشافعي: «أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ مالك، واتفق أهل الحديث على أن جميع ما فيه صحيح على رأي مالك ومن وافقه». وقال: «أما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل والمرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأن كل من يهوّن أمرهما فهو مبتدع غير سبيل المؤمنين».

وإذا قيل «الصحيحان» فهما صحيحا البخاري ومسلم، وإذا قيل: «الصحيح» أو «متفق عليه»، أو «رواه الشيخان»، فالمقصود ما روياه.

واتفق جمهور العلماء على أن أصح الحديث ما اتفق عليه البخاري ومسلم، ثم ما انفرد به البخاري، ثم ما انفرد به مسلم.

والإمام مالك: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م)، أبو عبد الله، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه. ووجّه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: «العلم يؤتى»، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: «يا أمير المؤمنين، من إجلال رسول الله ﷺ إجلال العلم»، فجلس بين يديه، فحدّثه. وسأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به، فصنف «الموطأ».

وله: رسالة في الوعظ ـ ظ، وكتاب في المسائل ـ خ، ورسالة في الرد على القدرية، وكتاب في النجوم، وتفسير غريب القرآن. وأخباره كثيرة. ولجلال الدين السيوطي: تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ـ ط؟، ولمحمد أبي زهرة كتاب مالك بن أنس: حياته، عصره ـ ط؟، ولأمين الخولي ترجمة محررة لمالك بن أنس ـ ط.

والإمام البخاري: محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) ولد في بخارى، ونشأ يتيماً وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠هـ) في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو. وأقام في بخارى، فتعصب عليه جماعة ورموه بالتهم، فأخرج إلى خرتنك (من قرى سمرقند) فمات فيها. وللبخاري بالإضافة إلى: الجامع الصحيح ـ ط المعروف بصحيح البخاري: التاريخ ـ ط، والضعفاء ـ ط في رجال الحديث، وخلق أفعال العباد ـ ط، والأدب المفرد ـ ط.

وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستّة المعول عليها، وهي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م)، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م)، وسنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، وسنن النسائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م).

والإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، أبو الحسين. ولد بنيسابور، ورحل إلى الحجاز، ومصر، والشام، والعراق. وتوفي بظاهر نيسابور. أشهر كتبه: صحيح مسلم ـ ط، جمع فيه اثني عشر ألف حديث، كتبها في خمسة عشر سنة، وهو أحد الصحيحين المعوّل عليهما في الحديث، وقد شرحه كثيرون. ومن كتبه: المسند الكبير، رتبه على الرجال، والجامع مرتّب على الأبواب، والكنى والأسماء ـ خ، و(الأفراد والوحدان ـ ط)، والأقران، و(مشايخ الثوري)، و(تسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة)، و(كتاب المخضرمين)، و(كتاب

أولاد الصحابة)، و(أوهام المحدثين)، و(الطبقات)، و(أفراد الشاميين)، و(التمييز)، و(العلل). وفي تاريخ بغداد ١٣ (١٠٠) أن مسلماً حذا حذو البخاري في صحيحه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم.

والإمام ابن ماجه: محمد بن يزيد الربعي (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٧م)، أبو عبد الله. من أهل قزوين. رحل إلى البصرة، وبغداد، والشام، ومصر، والحجاز، والري، في طلب الحديث. وصنف كتابه: (سنن ابن ماجه ـ ط)، مجلدان. وله: (تفسير القرآن)، وكتاب في (تاريخ قزوين).

والإمام أبو داود: سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م)، أصله من سجستان. رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة. له: (السنن)، جزآن، جمع فيه ٤٨٠٠ حديث انتخبها من ٥٠٠٠٠٠ حديث. وله: (المراسيل ـ ط)، صغير في الحديث، و(كتاب الزهد ـ خ)، و(البعث ـ خ) رسالة، و(تسمية الإخوة ـ خ) رسالة.

والإمام الترمذي: محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، أبو عيسى، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه، وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ. مات بترمذ. من تصانيفه: (الجامع الكبير ـ ط)، باسم (صحيح الترمذي) في الحديث، مجلدان، و(الشمائل النبوية ـ ط)، و(التاريخ)، و(العلل) في الحديث.

والإمام النسائي: أحمد بن علي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)، أبو عبد الرحمن. أصله من نَسَا (بخراسان) وجال في البلاد واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة (بفلسطين) فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، وأخرج عليلاً، فمات، ودفن ببيت المقدس. وقيل: خرج حاجاً فمات بمكة. له: (السنن الكبرى) في الحديث، و(المجتبى ـ ط)، وهو السنن الصغرى. وله: (الضعفاء والمتروكون ـ ط) صغير، في رجال الحديث، و(خصائص علي)، و(مسند علي)، و(مسند مالك) وغير ذلك.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٦٣، ٤١٨، ٥٤٨.

* * *

الصحيفة

تحمل وثيقتان مهمتان في كتب السيرة، وتاريخ صدر الإسلام اسم «الصحيفة».

الوثيقة الأولى: وضعها زعماء قريش لما رأوا أن الإسلام بدأ يشتدُّ عوده باعتناق بعض فرسان قريش له، واطمئنان المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وأمانهم في مقرهم الجديد، فقرروا التعاقد والتعاهد فيما بينهم على أن لا يبيعوا بني هاشم وبني عبد المطلب، ولا يبتاعوا منهم شيئاً، ولا يتعاملوا معهم، ولا يزوِّجوهم أو يتزوجوا منهم. أي تعاهدوا على فرض حصار اقتصادي واجتماعي عليهم. فانزوى المسلمون في شعب من شعاب مكة، واشتد عليهم البلاء، وكثر الأذى، مع أن بعض الفضلاء كان يسرب إليهم ليلاً ما يمكنه تسريبه من طعام وكساء. فلما رأى بعض وجهاء قريش المتعاطف مع المسلمين، لصلات القربى أو لصلات إنسانية، ما حلَّ ببني هاشم، وبني عبد المطلب، قرر نقض الصحيفة، وبدأ العمل لذلك هشام بن عمرو، فعرض الأمر على أقران له فأبدوا استعدادهم للتعاون، ثم تواعدوا ليلاً، واتفقوا على طريقة إعلان ذلك وتنفيذه. فلما كان الصباح قام زهير بن أبي أمية فطاف بالبيت ثم قال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفة. ولما مانع في ذلك أبو جهل، أعلن تأييد شقِّ الصحيفة النفر المتفق معهم على ذلك

سرّاً. ثم تقدم المطعم بن عدي فنزعها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم». وهكذا انتهى مفعول هذه الصحيفة.

وأما **الوثيقة الثانية**: التي حملت اسم الصحيفة، فهي كتاب وضعه الرسول ﷺ عندما وصل المدينة مهاجراً.

فقد انتهت المقاطعة بشقّ صحيفة المقاطعة، ولكن أذى قريش لم ينته. ولما أدرك استحالة إقامة قاعدة قوية ومأمونة في مكة، ينطلق منها لاستكمال نشر دعوته هاجر ﷺ من مكة إلى المدينة، وكان آمن به معظم أهلها، وبايعوه على أن يمنعوه كما يمنعون نساءهم وأبناءهم.

ولما وصلها وجد مجتمعها مؤلفاً من فئات بعضها دخل في دين الإسلام، وبعضها بقي على دينه، وهم يهود المدينة، فرأى أن يضع عهداً بينه وبينهم، فوضع ما اصطلح على تسميته في كتب السيرة والتاريخ بـ «الصحيفة»، وهي كتاب يشكل أول دستور مكتوب وضع في الإسلام، وجاء في فقرته الأولى:

«هذا كتاب من محمد النبي، رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس». ثم عرض لفئات المجتمع، وأسس تعاملهم، وبيَّن حقوق المواطنين وواجباتهم.

ومما جاء فيها: «أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأنه للمسلمين دينهم ولليهود دينهم».

وتضمنت مبادىء عامة منها: المساواة بين المواطنين، ومنع إجارة قريش (العدو)، ومنع البغي، والظلم، والقوَد من القاتل، ومنع إيواء المجرمين. ونظمت الأمن، ونفقات الحرب. وبينت في فقرة خاصة أن المرجع الأعلى في جميع الأمور هو الله ورسوله. فقد جاء في إحدى فقراتها:

«وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله»، وختمت بالفقرة التالية: «وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن، بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأن الله جار لمن برَّ واتقى، ومحمد رسول الله».

من هنا يتبين فساد قياس الصلح مع اليهود في العصر الحاضر على هذه الصحيفة، لأن ما جاء في الصحيفة هو اعتراف لليهود، وهم أهل كتاب، بحق «المواطنية» في دولة مسلمة. أما الصلح مع الكيان الصهيوني، فهو بمثابة إعطاء اليهود صك براءة من الجرائم التي ارتكبوها بحق العرب والمسلمين، واعتراف لهم بالسيادة على أرض اغتصبوها ليقيموا عليها دولة عنصرية خاصة بهم.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٢٥١، ٢٩٩، ٣/٤٥٦، ٥٦٠.

* * *

الصدوقيون

أتباع صادوق بن أخيطوب، وقد شكلوا طبقة أرستقراطية عريضة الثراء، وكان الصدوقيون من ذوي الثقافة ولهم مكانة مرموقة ونفوذ في المجتمع اليهودي، مع تركيزهم على الأسفار الخمسة من العهد القديم المسماة التوراة. وكانت لهم بعض المفاهيم الخاصة أبرزها:

أ ـ أنها لا تؤمن بقيامة الأموات من القبور.

ب ـ ولا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم كما كانوا في الدنيا.

جـ ـ وترفض بالتالي الثواب والعقاب في الآخرة.

د ـ تنكر وجود الملائكة والشياطين.

هـ ـ تنكر القضاء والقدر وما كتب للإنسان أو عليه في اللوح المحفوظ.

و ـ تقول، تبعاً لذلك، بأن الإنسان خالق أفعال نفسه، حرُّ التصرُّف، وبذلك فهو مسؤول.

ز ـ تؤمن بقدسية العهد القديم، ولا تؤمن بالتلمود ونحوه.

ويرجح بعض الباحثين أن يكون الصدوقيون قد تأثروا ببعض المذاهب التي تؤمن باللذة المادية الحسية، كالأبيقورية. ويقول زكي شنودة: «لقد اعتنقوا مذهب الأبيقوريين الذي يدعو إلى انتهاب كل ما في الدنيا من لذائذ جسدية ومتعات ماديَّة، لأنها، في اعتقادهم، ليست موجودة إلا في هذه الدنيا، فلا آخرة ولا نعيم ولا جحيم ولا ثواب ولا عقاب، ومن ثم أنكر الصدوقيون القيامة بعد الموت، قائلين: إن النفس تموت مع الجسد».

يتضح نفوذ الصدوقيين من خلال المجمع الأعلى ليهود «السنهدريم» حيث كانت حصتهم عشرين مندوباً.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٥١، ٥٢٤، ٥٢٨.

* * *

الصفاريون (دولة) (٢٥٣ ـ ٢٩٨هـ/٨٦٧ ـ ٩١٠م)

٢٥٣هـ يعقوب بن الليث	٨٦٧م
٢٦٥هـ عمرو بن الليث	٨٧٩م
٢٨٧ ـ ٢٩٦هـ طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث	٩٠٠ ـ ٩٠٨م

يرجع تأسيس الدولة الصفّارية إلى يعقوب بن ليث الصفّار الذي قضى على الدولة الطاهرية، وكان في الأصل صفاراً يعمل في النحاس، إلا أنه ترك صناعته وتطوع في الجيش، مع أخيه عمرو تحت قيادة صالح بن النضر الكناني، للجهاد وصيانة وحدة الدولة العباسية.

وبرز يعقوب بوصفه محارباً باسلاً، وظهرت شهرته منذ أن كان مقاتلاً في جيش الدولة الطاهرية أثناء قتال الخوارج حتى كثرت مآثره، فاستولى على سجستان سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م ورتَّب أمورها، ثم وسَّع نفوذه فيما حوله حتى ضمَّ هراة وكرمان وشيراز وفارس، فجبى خراجها، وعاد إلى سجستان قاعدة ملكه، وكتب إلى الخليفة العباسي المعتز بالله يعرض طاعته ويقدم له الهدايا من نفائس فارس.

وفي سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م دخل نيسابور وجعلها عاصمته، وسيطر على خراسان وقبض على محمد بن طاهر، آخر أمراء الدولة الطاهرية، فاستاء الخليفة منه وأعلن أن يعقوب مغتصب للدولة الطاهرية، فلم يأبه يعقوب لذلك وقرر السير إلى بغداد، وهكذا احتل فارس وتقدم إلى الأهواز، وكان الجيش العباسي مشغولاً بثورة الزنج في جنوب العراق فأرضاه الخليفة بتوليته خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس، وتعيينه أيضاً أميراً على شرطة بغداد إضافة إلى شرطة سامراء، لكن الصفار رفض كل هذا والتقى بجيش الخلافة عند دير العاقول فهُزم وتفرق جيشه، وهرب هو، ثم ما لبث أن توفي في جنديسابور سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م، فتولى أخوه عمرو بن الليث مكانه، فأعطاه الخليفة حكم سجستان وخراسان وأصفهان وفارس وكرمان والسند، أي كل المشرق ما عدا أرض الترك، فأحسن عمرو التدبير وسياسة الجند.

وفي سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٥م، عزل الخليفة عَمْراً ابن الليث عن خراسان وأرسل جيشاً فهزمه عمرو، ثم أعيد عمرو إلى شرطة بغداد سنة ٢٧٦هـ/ ٨٩٠م، ثم عزل. فلما تولى الخليفة المعتضد سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٣م أعاد عمرو بن الليث إلى ولايته، لكن عمراً رفض الخلع التي أرسلها الخليفة إليه وأصر على طلب ولاية ما وراء النهر، وسبَّب هذا حرباً بينه وبين إسماعيل بن أحمد الساماني، فالتقيا في بَلْخ وهزم جيش عمرو وأسِر هو سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، وأرسل إلى بغداد فدخلها على جمل، ثم قتل بعد ذلك سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، وبه انتهت دولة الصفاريين، لأن حفيده طاهر بن محمد لم يستطع

أن يعيد للأسرة مكانتها حين قدم فارس سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م، وأخذ موافقة الخليفة على الولاية فيها سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، لأن سبك السكري (أحد غلمان عمرو بن الليث) استبد بالسلطة فثار به الثوار وقبضوا عليه وعلى أخيه يعقوب وأرسلوهما إلى بغداد، وانهارت بذلك الأمبراطورية التي حاول الأخوان الصفار إقامتها.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ٤٢٤.

* * *

الصفويون (الدولة الصفوية)
(٩٠٧ ـ ١١٤٨هـ/ ١٥٠٢ ـ ١٧٣٦م)

ينتسب الصفويون إلى جدهم الأعلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي، الذي ينتسب، فيما يقال، إلى الإمام موسى الكاظم. وقد اتجهت هذه الأسرة اتجاهاً صوفياً فأصبح لها مريدون وأتباع في موطنهم الأصلي أردبيل. ولما كثر أتباعهم خافهم حاكم المنطقة فطردهم، فلجأوا إلى ديار بكر وأصبحوا في رعاية حسن أوزون، وتزوج زعيمهم بنت حسن أوزون وقاد جيوشه، وكان إسماعيل الصفوي (الشاه إسماعيل) فيما بعد ثمرة هذا الزواج. وقد استطاع إسماعيل أن يجمع أفراد أسرته وأتباعه واتخذ من تبريز عاصمة له، وبدأ عملية توسع عسكري حتى وصلت حدود دولته من نهر جيحون إلى خليج البصرة، ومن أفغانستان إلى الفرات، واستولى على بغداد سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م، وأصبحت العراق ولاية تابعة لملك الصفويين.

كانت الدولة الصفوية تتبنى المذهب الحنفي، ولما دخل الشاه إسماعيل في صراع مع الدولة العثمانية، التي كان وجودها يحدُّ من آمال الشاه إسماعيل التوسعية، تبنى المذهب الشيعي وأعلنه مذهباً رسمياً للدولة، واتخذ اللغة الفارسية لغة رسمية، وقام بحملة واسعة لتحويل الناس إلى المذهب الشيعي، ولذلك فإنه، عقب فتح بغداد، أسرع بزيارة العراق، وزار كربلاء والنجف في إجلال ظاهر وهدم قبور أئمة السنة وأعاد إحياء الصراع الطائفي ـ المذهبي الذي عرفه العراق بين السنة والشيعة منذ العهد الأول للإسلام. ومن هنا امتد الصراع بين الصفويين والعثمانيين واحتدم. وزحف السلطان سليم الأول لمهاجمة الدولة الصفوية سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٤م، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين في وادي جالديران انتصر فيها العثمانيون وجرح الشاه إسماعيل وفر من المعركة ودخل العثمانيون تبريز. ولما تم للسلطان سليم فتح الشام سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٦م وفتح مصر في السنة التالية اتجه لضرب الصفويين مرة أخرى. ثم زحف الشاه طهماسب الأول (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) على بغداد واستعادها، وتأزمت العلاقات من جديد بين الصفويين والعثمانيين، فزحف سليمان القانوني على الدولة الصفوية واحتل المناطق الشمالية من بلاد فارس، ثم اتجه إلى العراق عن طريق همدان حتى دخل بغداد سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٤م.

وكان الشاه عباس الأول المتوفى سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م، من أكبر ملوك الدولة الصفوية ونقل عاصمة الصفويين إلى أصبهان واعتنى بالعمران والآداب والفنون، إلا أن الدولة الصفوية أخذت بالانحدار بعد وفاته حتى انتهت على يد نادر شاه سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٦م.

وبعد سقوط الدولة الصفوية قامت الدولة القاجارية ثم البهلوية ثم الثورة الإسلامية في سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١٦.

* * *

الصُّفَّة

سقيفة ملحقة بمسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وقد اشتهرت ونسب إليها قوم كانوا من فقراء الصحابة لا مال لهم ولا عيال، وقفوا أنفسهم وطاقتهم للجهاد في سبيل الله تعالى؛ وقيل فيهم: «فرسان النهار رهبان الليل». ولم يكن أهل الصفة عدداً محدداً، وإنما كان عددهم يتفاوت ويختلف بين ظرف وآخر، وقد اشتهر منهم: أبو ذر الغفاري، وأبو موسى الأشعري، وسلمان الفارسي وسواهم.

كان رسول الله ﷺ يواسيهم ويجالسهم، ويحض الصحابة على تقديم الصدقات والهدايا لهم من طعام ولباس، وكان يكرِّمهم، فإذا صافح أحدهم لا ينزع يده من يده حتى يبدأ ذلك واحدهم، وإذا جالسهم لا يقوم من مجلسهم حتى يغادروا هم.

يقول الله تعالى في أهل الصفة ومن في حكمهم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف/ ٢٨]. وقد عقب رسول الله بعد سماع هذه الآية قائلاً: (الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات).

أسعد السحمراني

المراجع: ١٦٩، ١٩٧، ٢٣٣، ٢٤٩.

* * *

الصليب [في العقيدة المسيحية]

الصليب هو الرمز الأساسي في المسيحية، لا بل هو أكثر بكثير من رمز: إنه علامة التعريف فيها. في الأمبراطورية الرومانية كان المجرمون يعاقبون بالصلب، لذا، وبحسب الرواية في الأناجيل، فإن الذي قام بتنفيذ حكم الصلب على يسوع المسيح كانت السلطات الرومانية تحت إمرة الوالي بيلاطس النبطي، الذي فعل ذلك إرضاء للمجمع الأعلى اليهودي الذي اعتبر أن المسيح جدَّف على الله بقوله إنه ابنه. على أن السبب الأساسي كان أن شعبية المسيح وتعاليمه، التي هاجمت التأويل الجامد والمتعالي لشريعة التوراة الأمر الذي هدد سلطة علماء الشريعة والكهنة على الناس.

إن فهم عقيدة الصلب في المسيحية، وبالتالي أهمية رمز الصليب، مستحيل دون فهم عقيدة الفداء فيها. قَبِل أن يرذل من الناس وأن يحمل خطاياهم في ذاته ويقدم ذاته ذبيحة على الصليب فداءً عن البشر: «ليس حب أعظم من هذا، أن يبذل إنسان نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥:١٣). لهذا صار الصليب هو رمز الحب الأقصى الذي يفعله المسيحي تشبهاً بالمسيح: «إن أراد أحد أن يتبعني فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (متى ١٦:٢٤)، «من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني» (متى ١٠:٣٨).

لذا، أصبحت علامة الصليب هي علامة المسيحية، بحسب ما جاء في رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاصية: «أما من جهتي، فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (٦:١٤).

بولس وهبة

المراجع: ٦٢٢.

* * *

الصليحيون (٤٣٩ ـ ٥٣٢هـ/ ١٠٤٧ ـ ١١٣٨م)

٤٣٩هـ علي بن محمد الداعي ابو الحسن (أو أبو كامل) (استولى على مكة سنة ٤٥٥، اغتاله سعيد النجاحي سنة ٤٥٩)	١٠٤٧م
٤٥٩هـ الكرم أحمد بن علي	١٠٦٧م
٤٧٧هـ المكرم المصغر علي بن أحمد	١٠٨٤م
٤٨٤هـ المنصور أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي	١٠٩١م
٤٩٢ـ٥٣٢هـ السيدة الحرة أروى بنت شهاب	١٠٩٩ـ١١٣٨م

ظهر الصليحيون في اليمن، والخلافة الفاطمية في أوجها، فحكموا بوصفهم موالين للدعوة الفاطمية وأتباع اسميين للدولة الفاطمية في مصر. وقد أسس الدولة الصليحية علي بن محمد أبو الحسن الصليحي (أو أبو كامل) الداعي، وهو أحد أفراد قبيلة بني همدان العربية الجنوبية من بني الأصلوح. وقد تمكن من التقرب إلى الناس بالتدين والعلم وأخذ العهد من أتباعه على العمل لنصرة الإمام. وتمكن، بعد عدة معارك موفقة ضد أصحاب الدويلات حوله، من إقامة إمارة في الجبال، وفتح مدينة زَبيد وطرد بني نجاح منها. وفي عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م استولى على صنعاء من الأئمة الزيديين، ثم غزا الحجاز للفاطميين وأقرَّ ملكهم في مكة. وفي عام ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م فتح اليمن الأسفل ودخل جبل صبر ومدينة الجَنَد، ثم سار إلى عَدَن وتمكن من الاستيلاء عليها من بني معن، وانتقلت اليمن في عهده من التمزق إلى الوحدة. وفي العام ٤٥٨هـ، عهد بولاية العهد إلى ابنه المكرم أحمد، وتجهز يريد الحج وزيارة الخليفة الفاطمي المستنصر بمصر، لكن سعيداً النجاحي اغتاله في سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م. وبعد وفاته قضى ابنه المكرم أحمد سنوات عديدة في إخماد الثورات والفتن، ونقل عاصمته من صنعاء إلى ذي جبلة بإشارة من زوجته الحرة أروى بنت أحمد التي استلمت الحكم بعد وفاة زوجها، بإذن من الخليفة المستنصر؛ وكانت تتمتع بكفاءة عالية من العلم والعقل وحسن التدبير، واستطاعت أن تقود المملكة حوالي ستين سنة حتى وفاتها وهي في الثانية والتسعين من العمر سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م.

وبعد وفاتها استولى الزيديون في عدن على السلطة، كما استولى عبد النبي بن علي بن مهدي على الحصون الصليحية في الجَنَد.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ٣٣٥/١.

* * *

الصهيونية

أتت التسمية من زعم تاريخي أشاعه يهود، ووافقهم عليه الصهاينة غير اليهود، فيه أن جبل صهيون، وهو ربوة مطلة على القدس، قد أقيم عليه هيكل سليمان سابقاً، وأنهم يعملون لإعادة بناء الهيكل، وأن القدس وفلسطين المحتلة هي أرض ميعاد لهم، وهي وطن لهم ولذلك عملوا ويعملون.

هكذا أسسوا حركة سياسية خلطوا فيها مفاهيم دينية يهودية بمزاعم تاريخية لا صدقية لها، والهدف من ذلك، كما أعلنوا، إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. إن الصهيونية ليست أكثر من محاولة عمادها الزعم والتزوير الهدف منها ربط السياسة بالدين من أجل أن يكون للأطماع والفكرة الاستيطانية الاغتصابية وقع وتأثير في نفوس من يخاطبهم هذا المشروع الصهيو - أوروبي وحالياً الصهيو - أمريكي.

ليست الصهيونية هي اليهودية، وإنما الصهيونية حركة سياسية تضم يهوداً وغير يهود، يجمع بينهم هدف مشترك يدعون من خلاله إلى تجميع يهود العالم في فلسطين المحتلة، والأراضي العربية المغتصبة المجاورة، لتأسيس دولة، وهذا ما تم من سنة ١٩٤٨م حتى يومنا هذا، حيث قامت دولة العدو الإسرائيلي تحقيقاً للحلم الصهيوني بدعم أوروبي وأمريكي. هذه الدولة جاءت تحقيقاً لما تسعى إليه العنصرية الصهيونية، ومن أجل أن تكون حارساً وخادماً للمصالح الاستعمارية الأوروبية، ولاحقاً الأمريكية.

لقد نشأت الصهيونية بناء لتلاقي إرادتين هما: الإرادة اليهودية ليهود الأحياء المغلقة على شكل «غيتوات» في مدن أوروبا، والإرادة الأوروبية التي تريد حارساً لمصالحها، وفي الوقت عينه تحب التخلص من عدد من مواطنيها اليهود لما يشكلونه لها من متاعب، هذا ما يفسر لنا لماذا نشأت الحركة

الصهيونية بداية بين يهود أوروبا الغربية ولم تقم في وسط تجمعات يهودية أخرى في العالم.

وعندما انتهت لجنة كامبل بينرمان الاستعمارية البريطانية عام ١٩٠٧م من وضع تقريرها الذي تقترح فيه زراعة جسم غريب في قلب الأمة العربية، كان المشروع الصهيوني جاهزاً للقيام بهذه المهمة. هكذا أدى ذلك، وتلاقي الإرادتين الأوروبية الاستعمارية واليهودية الصهيونية، إلى إقامة الكيان الغربي من خلال الدولة المعادية للوجود العربي بكل ما يخصه ديناً وهوية وحضارة واقتصاداً وثقافة... الخ، إنها دولة إسرائيل العنصرية المعادية.

الصهيونية مشروع غربي، عنوان لا خلاف عليه؛ يقول د. عبد الوهاب المسيري: الصهيونية كانت ولا تزال حركة غربية، ولذا فإننا حين نستخدم كلمة صهيونية بدون تخصيص فإنما نشير إلى تلك الحركة التي نشأت في الغرب واتخذت من فلسطين مكاناً لممارستها الاستيطانية، ولم تفقد قط هويتها الغربية بانتقالها من الغرب إلى الشرق.

فالصهيونية لم تنشأ في العالم ككل، أو حتى داخل كل التشكيلات الإثنية اليهودية المتناثرة في العالم، وإنما هي إفراز تشكيل حضارة محددة وبقعة جغرافية محددة في لحظة زمنية محددة، ولا يمكن دراستها خارج هذا التشكيل، أي التشكيل الغربي بأهدافه الاستعمارية والمؤثرات الواقعة فيه بفعل الأدبيات العبرية، والذي يتجلى اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل رئيسي.

واليوم يحتشد عدد ممن يسمون أتباع الصهيونية غير اليهودية، أو الصهيونية المسيحية في طابور تسويق الأطماع اليهودية دونما احترام للحقوق العربية عموماً والفلسطينية خصوصاً.

يعمل يهود وشركاؤهم في الصَّهْيَنة في الاتجاه التوسعي والاغتصابي للأرض والمقدسات والحقوق العربية في فلسطين وسواها، ويجمعون لذلك الطاقات والإمكانات، ويعتمدون فلسفة حق القوة، لذلك تراهم يجندون آلة عسكرية مدعومة دعماً مفتوحاً من الغرب عموماً، والولايات المتحدة الأميركية خصوصاً لتحقيق التفوق العسكري في المنطقة للحفاظ لأطول وقت ممكن على هذا الكيان المغتصب الغريب.

إن الصهيونية تقوم على مزاعم فكرة «الشعب المختار»، و «أرض الميعاد»، والانتظار للمسيح الموعود، والوعد المزعوم أن أرض كنعان من الفرات إلى النيل أرض قد وعدهم الرب بها. وهكذا تتوالى عدوانيتهم تحت ذرائع متنوعة وصولاً إلى تيار غربي أميركي يدعم الصهيونية وينخرط في صفوفها هو الصهيونية غير اليهودية، ونشير على القارىء الكريم أن يراجعها في موقعها من هذه الموسوعة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٨٨، ١٠٢، ٣٣٦، ٣٩٠، ٥٢٨.

* * *

الصهيونية المسيحية

في الأساس، كانت الكاثوليكية تتمسك بنظرية القديس أوغسطين بأن ما ورد في الكتاب المقدس بشأن مملكة الله قائم في السماء وليس على الأرض، وبالتالي فإن القدس وصهيون ليسا مكانين محددين على الأرض لسكن اليهود، ولكنهما مكانان سماويان مفتوحان أمام كل المؤمنين بالله. بعد حركة الإصلاح الديني وُضعت تفسيرات أخرى تقول بالواقع الأرضي لمملكة الله، وبوعد الله المقدس لليهود وبوكالتهم عن الله في إقامة مملكته، وبالعودة الثانية للمسيح وشروطها، وبالألفية وحتميتها.

وهكذا، ومنذ منتصف عام ١٦٠٠م، بدأت الحركة البروتستنتية دعوة اليهود إلى مغادرة أوروبا والعودة إلى فلسطين لإقامة مملكة الله. أوليفر كرمويل راعي الكومنولث البريطاني في انطلاقته

الأولى دعا إلى تهويد فلسطين تمهيداً لعودة المسيح.

وفي عام ١٦٥٥م نُشر كتاب للقس البروتستنتي الألماني بول فليجن هوفر قال فيه: إن اليهود سوف يتحولون إلى المسيحية بمجرد الظهور الثاني للمسيح لأنهم سوف يعتبرونه واحداً منهم، وإن من مستلزمات هذا الظهور الثاني عودة اليهود إلى البلد الذي منحهم الله إياه عبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

وهكذا تكوَّنت الأدبيات الدينية التي تجعل من اليهود مؤتمنين على الخطة الإلّهية التي يتحدد بمقتضاها مصير البشر جميعهم، والتي تجعل من إقامة دولتهم المدخل الوحيد الذي لا بد منه للعودة الثانية للمسيح، وهي العودة التي تحسم مصير صراع الإيمان والكفر، والتي تنتهي بانتصار المسيح وسيادته على العالم مدة ألف عام (الألفية) ومن ثم تقوم الساعة.

من خلال هذه الأدبيات أصبح الإيمان بمساعدة اليهود في إقامة دولة في فلسطين نوعاً من العبادة التي تعبِّر عن المشاركة الإنسانية في تحقيق الإرادة الإلّهية، حتى أن اللورد أنطوني أشلي كوبر، الإصلاحي الإنكليزي الشهير، قال في عام ١٨٣٩م: «إن اليهود رغم أنهم غلاظ القلب وغارقون في المعصية وينكرون اللاهوت فإنهم ضروريون بالنسبة للأمل المسيحي في الخلاص». والرغبة في الخلاص المسيحي كانت الحافز الديني وراء قيام الحركة الصهيونية المسيحية بمعنى مساعدة اليهود على إقامة دولتهم في فلسطين بالذات. وحتى لا يتعرض الضمير المسيحي البروتستنتي إلى أي عذاب، رفع اللورد كوبر الشعار الذي تبنّاه من بعده كل الصهاينة المسيحيين وهو أن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

تولى الترجمة العملية الأولى لهذا الشعار اللورد بالمرستون، وزير الخارجية البريطانية في ذلك الوقت (وكان عم اللورد كوبر)، وذلك من خلال إنشاء قنصلية بريطانية في القدس في عام ١٨٣٩م، وتعيين وليم يونغ أحد المؤمنين بالصهيونية ـ المسيحية نائباً عاماً للقنصل، وقد حددت مهمة يونغ برعاية مصالح اليهود وحمايتهم وتسهيل إقامتهم وتشجيع عودتهم. في ذلك الوقت كان عدد اليهود في فلسطين كلها، والتي كانت جزءاً من الأمبراطورية العثمانية، يبلغ، حسب وثائق القنصلية البريطانية نفسها ٩٦٩٠ شخصاً فقط. كان للقنصلية البريطانية حق حماية اليهود الأجانب في فلسطين بموجب اتفاق إذعان فُرِض على السلطنة العثمانية، إلا أن الحماية البريطانية شملت اليهود العثمانيين أيضاً. أدى هذا الأمر لأول مرة في التاريخ الحديث إلى اعتبار كل اليهود أمة واحدة مهما اختلفت إثنياتهم وجنسياتهم.

وفي عام ١٨٤١م كتب هنري تشرشل (ضابط الأركان البريطانية في الشرق الأوسط) إلى موسى مونتغيور، رئيس مجلس الممثلين اليهود في لندن: «لا أستطيع أن أخفي عليك رغبتي الجامحة في أن أرى شعبك يحقق مرة أخرى وجوده كشعب. إنني أعتقد أنه يمكن تحقيق الهدف بدقة، ولكن لا بد من توافر أمرين لا غنى عنهما. أولاً: أن على اليهود أنفسهم أن يتحملوا الأمر على الصعيد العالمي وبالإجماع. ثانياً: أن على القوى الأوروبية أن تساعدهم». ويعكس هذا الموقف مدى تقدم الفكر الصهيوني للمسيحية الإنجيلية على اليهودية، حتى أن العديد من قادة اليهود في ذلك الوقت كانوا ينظرون إلى عمليات تشجيعهم على الهجرة إلى فلسطين مقصودة في حد ذاتها لإخراجهم من أوروبا تحت غطاء ديني.

في عام ١٨٤٥م اقترح أدوارد بتفورد، من مكتب المستعمرات في لندن «إقامة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت حماية بريطانيا العظمى، على أن تُرفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم»، وقال: «إن دولة يهودية ستضعنا في مركز القيادة في الشرق بحيث

نتمكن من مراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا والتصدي لهم عند الحاجة».

وهكذا بدأ استخدام مخطط توطين اليهود في فلسطين ينتقل إلى الميدان السياسي من غير أن يخرج من تحت المظلة الدينية، وهذا التلازم لا يزال مستمراً حتى اليوم.

في السادس من شباط (فبراير) ١٩٨٥م، ألقى بنجامين نتنياهو، وكان وقتها سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة، خطاباً في الجمعية العامة للمنظمة الدولية قال فيه: «إن كتابات المسيحيين الصهيونيين من الإنكليز والأميركان، أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل لويد جورج وآرثر بلفور وودرو ويلسون، في مطلع هذا القرن. إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال، الذين لعبوا دوراً رئيساً في إرساء القواعد السياسية الدولية لإحياء الدولة اليهودية».

وكان نتنياهو واضحاً في إقرار الحقيقة التاريخية عندما قال: «.. لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجّر من خلال المسيحيين الصهيونيين».

بعد ٨٨ عاماً على المؤتمر الصهيوني الأول، عُقد في نفس المدينة السويسرية بال، وفي الفندق نفسه، وفي القاعة ذاتها من الفندق، وفي شهر آب (أغسطس) أيضاً، مؤتمر صهيوني، من نوع آخر ضمَّ الكنائس الإنجيلية التي تعتبر قيام «صهيون» أمراً لا بد منه تمهيداً للعودة الثانية للمسيح.

وجّه الدعوة إلى «المؤتمر الصهيوني المسيحي» الدكتور دوغلاس يونغ مدير المعهد الأميركي لدراسات الأرض المقدسة، وترأسه الدكتور فان ديرهوفين رئيس الكنيسة الإنجيلية الهولندية، وحضر المؤتمر التأسيسي ٥٨٩ شخصية دينية من الولايات المتحدة وأوروبا، ومن كنائس مماثلة في دول أفريقية وآسيوية أخرى بلغ عددها ٢٧ دولة.

ومنذ ذلك الوقت يُعقد مؤتمران في شهر آب (أغسطس)، الأول للحركة الصهيونية - اليهودية استكمالاً لمسيرة المؤتمر الأول الذي نظمه ثيودور هرتزل في عام ١٨٩٧م، والثاني للحركة الصهيونية المسيحية الذي أعدّه دوغلاس يونغ في عام ١٩٨٥م.

انبثقت عن مؤتمر ١٩٨٥م منظمة جديدة تحمل اسم «السفارة المسيحية الدولية»، ومهمتها توظيف النفوذ المعنوي والمادي للكنيسة (بعض الكنائس الإنجيلية الأميركية) من أجل تحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بظروف العودة الثانية للمسيح، وأهمها إقامة دولة صهيونية وتجميع اليهود فيها حتى يظهر المسيح فيهم للمرة الثانية، وفقاً لما تقوله هذه النبوءات.

وقد عملت السفارة المسيحية الدولية على تحقيق معظم الأهداف التي أعلنتها في عام ١٩٨٥م، ومن أبرزها نقل يهود الاتحاد السوفياتي السابق إلى إسرائيل، وإنهاء المقاطعة ضد المصالح الإسرائيلية، وحمل دولة الفاتيكان وأسبانيا الكاثوليكيتين على الاعتراف بإسرائيل وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، والضغط على دول أوروبا الشرقية والوسطى لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، ودعوة العالم إلى الاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحّدة لإسرائيل. وقد لعبت هذه المنظمة الدور الأبرز في استصدار القرار الأول عن مجلس الكونغرس الأميركي (الشيوخ والنواب) في نيسان (أبريل) ١٩٩٠م، الذي نص على دعوة الإدارة الأميركية إلى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ثم باستصدار القرار الثاني في عام ١٩٩٥م بنقل مقر السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس.

تبنّت هذه المنظمة اسم «السفارة المسيحية الدولية» توصيفاً للمهمة التي تقوم بها، وهي أن تكون بمثابة سفارة في مختلف دول العالم للدفاع عن إسرائيل ومصالحها، ولذلك أقامت فروعاً لها في معظم الولايات الأميركية، وأطلقت على رئيس

الفرع لقب قنصل، ومهمة الفرع جمع التبرُّعات لبناء المستوطنات اليهودية وشراء الأراضي من أصحابها العرب، وبيع سندات الدعم لإسرائيل، والاتصال المباشر مع ممثلي الولايات، من مستوى البلدية المحلية حتى الكونغرس، لحثِّهم على الدفاع عن مصالح إسرائيل.

وللسفارة المسيحية الدولية فروع في عدد كبير من دول العالم تقوم بالمهمة نفسها، ويشكل المؤتمر السنوي الذي تعقده في شهر آب (أغسطس) من كل عام مناسبة لتقييم المنجزات التي حققتها، ولوضع برنامج عمل للعام الجديد.

وتتولى هذه المنظمة بشكل أساسي تنظيم عمل ٢٥٠ هيئة وجمعية أميركية (غير يهودية) تعمل في الولايات المتحدة على قاعدة تفسيرات صهيونية لما يُعتقد أنه نبوءات توراتية تتعلق بعودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة صهيون التي يظهر فيها المسيح مخلِّصاً الإنسانية من الشرور التي تغرق فيها.

محمد السماك

المراجع: ٣٣٧، ٥٩١، ٥٩٢.

* * *

الصوفية

طريقة ونهج في السلوك العبادي عماده الأول الزهد والتوبة. والمصطلح استخدم لأول مرة في التاريخ الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، وقد لقب به كل من جابر بن حيّان، الكيميائي المشهور، وأبو هاشم البغدادي المعروف بأبي هاشم الزاهد. والتصوف سبقته حركة زهد نبعت من جوهر الإسلام الحنيف قرآناً وسنّة، ولكن المجرى التاريخي للطرق الصوفية عرف مؤثرات دخيلة فيما بعد وردته من مصادر شتى، من المسيحية والزرادشتية واليهودية، ومن الفرس والهنود واليونان، لذلك توزع الصوفيون على مذاهب ومدارس عرفت باسم الطرق الصوفية ولكل طريقة شيخ مرشد، وبعد المؤسس قد يتوزع الأتباع في أكثر من إطار واحد.

وقد وضع شيخ الإسلام ابن تيمية تحديداً مفيداً للصوفيين يقول فيه: «الصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرَّب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطىء، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه».

وأتباع التصوف ينصب اهتمامهم على النفس ويعملون لتزكيتها وتهذيبها، ويقوون الإرادة ويركزون على جهاد النفس، طلباً لصفاء النفس والقلب، فهو غاية أساس في التصوف. لذلك ترى المتصوفة يهتمون بباطن الإنسان ويهملون المظهر، ويصرفون الجهد على تدريب المريدين على فضائل الخلق والسلوك، مما جعل الباحثين يحكمون بأن معظم ما أنتجته أقلام الكتاب المسلمين في مجال التربية إنما هو موزع في كتب الصوفية، ومنها يمكن أن تستقى فلسفتهم في التربية.

وقد عرَّف السراج الطوسي الصوفيين بقوله: «بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم ترك ما لا يعنيهم، وقطع كل علاقة تحول بينهم وبين مطلوبهم ومقصودهم، إذ ليس لهم مطلوب ولا مقصود غير الله تعالى. ثم لهم آداب وأحوال شتى، فمن ذلك القناعة بقليل الدنيا عن كثيرها والاكتفاء بالقوت الذي لا بد منه، والاقتصار على ما لا بد منه من مهنة الدنيا من الملبوس والمفروش والمأكول وغير ذلك».

وهذا المفهوم الذي طرحه الطوسي مستمد من الآية الكريمة: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص/ ٧٧].

وقد أورد أبو بكر الكلاباذي، في كتابه «التعرُّف لمذهب أهل التصوف»، مجموعة تعريفات تدور كلها حول صفاء النفس، فقد جاء عنده: «قالت طائفة: إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها. وقال بشر بن الحارث: الصوفي من صفا قلبه لله. وقال بعضهم: الصوفي من صفت لله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته. وقال قوم: إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه».

ومن المؤرخين والصوفية من أعاد أمر التسمية إلى «الصُّفَّة»، وهي فناء ملحق بمسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، سمح رسول الله لفقراء الصحابة الذين لا عيال لهم ولا حال أن يسكنوا فيه ويعيشون بما يقدمه لهم المسلمون من صدقات وزكاة وهدايا، وكانوا يشغلون وقتهم بالدعوة والجهاد والعبادة وقال عنهم رسول الله ﷺ: (فرسان النهار رهبان الليل).

والغالب أن الاسم مشتق من الصوف الذي رغَّب الصوفيون بارتدائه لأتباعهم صيفاً وشتاء، أو استعاضوا عنه بالمرقعة؛ أي أنهم كانوا يرقعون أثوابهم بالصوف. أما لماذا الصوف؟ فالجواب: لأنه من الغنم، والغنم رمز تفاؤل في التراث الشعبي لأن الذبيح ابن إبراهيم عليه السلام كان فداؤه بذبح عظيم هو كبش من الغنم، ولأن عدداً من الأنبياء عليهم السلام قد رعى الغنم، فقد جاء في الحديث النبوي (ما من نبي إلا رعى الغنم. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: وأنا كنت أرعاها على قراريط لقريش).

وأورد ابن خلدون في مقدمته تعريفاً للتصوف يجمع بين التعريف وظروف النشأة، يقول فيه: «هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذَّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة».

والتصوف ليس حالة معرفية تقوم على الجانب النظري، وليست مما يمكن تعلمه من الكتب فقط، وإنما التصوف الحق هو علم وعمل، والصوفي من بدَّل التصوف حاله، لذلك قال بعضهم عن الطريقة الصوفية السفر، وذلك للإشارة بأن الصوفي أشبه ما يكون بإنسان غادر ما كان عليه وسافر إلى نمط آخر وحالة جديدة.

ونترك لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي يحدثنا عن الموضوع حيث يقول: «علمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر عليَّ من العمل.. فظهر لي أن أخصَّ خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات... فعلمت يقيناً أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال».

ويركز الصوفية في مصطلحاتهم على مصطلحي المقام والحال، فالمقامات مكاسب يحصِّلها الإنسان ببذل المجهود ويرتقي فيها في طريقه إلى التمكين. ومن المقامات: التوبة، الزهد، الصبر، الورع، الرضا، التوكل.

أما الحال فهو معنى يرد على القلب من غير تصنّع ولا اكتساب، والأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه، ولكنها لا تدوم، وإذا دامت تحولت من حال إلى مقام. من الأحوال: المحبة، الخوف، الرجاء، الشوق، الأنس، المراقبة... الخ.

والتصوف الذي نشأ نشأة إسلامية في الأساس، ومن ثم لعبت ببعضه المؤثرات الوافدة حتى باتت حال بعض الصوفية بعيدة عن الأصل، وأحياناً وصل الأمر ببعض أصحاب الشطحات إلى حالات منها مخالفة الشريعة. هذا التصوف نشأ على شكل رباطات وزوايا كانت على ثغور البلاد، وقد أدى القائمون عليها دوراً جهادياً مميزاً. وتبدأ الحكاية من رباط عبادان في المشرق إلى رباط المنستير في تونس بالمغرب، إلى أبي الحسن الشاذلي وخروجه مع مريديه لمقاتلة لويس التاسع الفرنسي في مصر، إلى الجزائر وما كان لبعض الزوايا من دور في التعليم والحفاظ على اللغة العربية، هذا مع دور الجهاد ومحاربة المحتل، ومن الأمور المميَّزة في تاريخ الحركة الصوفية الإسهام الصوفي في نشر الإسلام في مناطق كثيرة من العالم أبرزها أواسط أفريقيا وشرقي آسيا.

والمتصوف مطلوب منه أن يوزن أعماله وأقواله بميزان الشرع، فإن خالفت يكون كل ما يأتي من جهة هذا الإنسان غير مقبول.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨، ١٦٩، ١٧١، ٣٧٠، ٤٤٤، ٥٣٣.

* * *

الصوم

صام عن الشيء صوماً وصياماً: أمسك. فالصيام، لغة: الإمساك عن أي قول أو فعل، كما يعني الصوم: الصمت، وفي هذا قول السيدة البتول مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم/٢٦]، كما يتضمن الصوم، في معناه اللغوي: السكون والركود وبلوغ الشمس كبد السماء عند الزوال.

والصوم شرعاً: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع من الصبح إلى المغرب مع النية. وهو في تعريف آخر: إمساك عن المفطرات حقيقة أو حكماً، في وقت مخصوص، من شخص مخصوص مع النية.

وقد فرض الله تعالى صوم شهر رمضان بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/١٨٣]، وبقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة/١٨٥].

فالصوم فرض على كل مسلم بالغ عاقل صحيح البدن خال عن المرض والأعذار المبيحة للإفطار.

والصوم مدرسة نفسية وصحية، لها تأثيرها الكبير على الإنسان، في كافة الميادين الروحية والبدنية، وهو شهر الجهاد والكفاح في التاريخ الإسلامي القديم والحديث.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٦، ٩٨، ١٧٢، ١٧٤، ١٩٣، ١٩٧، ٣٧٢، ٣٩٣، ٤٤١، ٥١٠، ٥١١.

* * *

الصوم [عند المسيحيين]

كان الصوم معروفاً عند الكثير من الديانات القديمة. في الأناجيل يرد أن المسيح «صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة» (متى ٤:٢) وأنه أمر به خاصة للشفاء من أسقام النفس وطرد الشياطين منها، إلا أنه ربطه بالصلاة (متى ١٧:٢١).

ارتبط الصوم في ممارسة الكنيسة الأولى بالحرمان في المأكل والحاجات لمساعدة الآخرين بما يتم توفيره (أعمال الرسل)، وبالتماس إرادة الله بممارسته مقروناً بالصلاة(أعمال الرسل).

في الممارسات الأولى، كان الصوم يتم لثلاثة أيام قبل عيد الفصح، فيما بدا تحوُّلاً لمفهوم الصوم إلى ممارسة تهيىء المؤمن للمشاركة في العيد. مع الوقت امتد ليصير ٦ أسابيع قبل الأسبوع العظيم الذي يسبق الفصح، ليبلغ ٧ أسابيع، يصام فيها إلى الظهر منذ منتصف الليل السابق بانقطاع

كلي عن الطعام والشراب. أما نوعية المأكل فتختلف بين الكنائس الأرثوذكسية، التي لا يتناول مؤمنوها أي لحم أو نتاج حيوان (لبن، جبن، بيض... الخ) فيما تخفف هذه القوانين في الكنيسة الكاثوليكية. في الكنائس البروتستانتية الصوم كفريضة كنسية غير موجود.

إضافة إلى هذا الصوم الذي تضاف إليه صفة «الكبير» تمارس الكنائس الأرثوذكسية أصواماً أخرى وهي: ٤٠ يوم قبل عيد ميلاد المسيح، ١٤ يوماً قبل عيد رقاد العذراء في ١٥ آب، بضعة أيام قبل عيد الرسل في ٣٠ حزيران، ويومي الأربعاء والجمعة في معظم أسابيع السنة: الأربعاء لأنه تذكار تسليم المسيح إلى العذابات، والجمعة لأنه ذكرى صلبه.

طبعاً، هناك أيضاً صيامات ذات طابع شخصي.

بولس وهبة

المراجع: ٦١٥، ٦٢٢، ٦٣١، ٦٣٨، ٦٣٩.

* * *



الضلال

فقدان ما يوصل إلى الصواب. والضلال سلوك لا يوصل إلى المطلوب، وصاحبه منحرف عن جادة الحق، زائغ عن الحقيقة كلياً أو جزئياً.

والضلال نقيض الرشاد والهدى. وكل من تاه عن هدف يبتغيه يكون قد ضلَّ عنه.

والضلال في المفهوم الديني هو العدول عن الطريق المستقيم، ونقيضه الهداية، هذا ما بيَّنه الحق سبحانه في النص القرآني في سورة الإسراء حيث جاء في الآية الكريمة: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء/ ١٥].

والضالُّ يقال لمن انحرف وعدل عن الطريق المستقيم عمداً أو سهواً، وسواء أكان انحرافه كبيراً أم صغيراً، كلياً أم جزئياً.

وفي العودة إلى النص القرآني نجد الضلال قد نسب لمن قد تسهو أو تصيبها الغفلة عن الحقيقة دون قصد، وقد ورد ذلك في الآية الكريمة حول الإدلاء بالشهادة لإثبات عقد حيث تكون امرأتان بدل رجل، وفي التبرير قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة/ ٢٨٢]؛ أي تنسى أو تغيب الحقيقة عن ذهنها.

وقد يكون الضلال في الحد الأقصى حالة من الكفر، وقد ورد في ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء/ ١٦٧]، أو في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] أي أن يفتنهم ويقودهم في طريق الغواية واتباع غير سبيل الحق.

والهداية تحتاج لتوجيه وإرشاد، وفي الحديث النبوي: (سيكون عليكم أئمة إن عصيتموهم أضللتم).

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧٢، ١٩٧، ٤٤١، ٥١٤.

* * *

الضمان

الضمان في اللغة يعني الالتزام، تقول: ضمنت المال، إذا التزمته. ويتعدى بالتضعيف، تقول: ضمَّنته المال، إذا ألزمته إياه.

ويأتي الضمان بمعنى الكفالة، تقول: ضمن الشيء ضماناً، فهو ضامن وضمين، إذا كفله.

كما يأتي بمعنى التغريم، تقول: ضمنته الشيء تضميناً إذا غرمته فألزمته.

الضمان، اصطلاحاً: يطلق الضمان من قبل الفقهاء على المعاني التالية:

١ ـ كفالة النفس وكفالة المال، كذلك استعمله جمهور الفقهاء، ما عدا الحنفية، إذ عنونوا الكفالة بالضمان.

٢ ـ أُطلق الضمان كذلك على غرامة المتلفات والغصوب والتعيُّبات والتغييرات.

٣ ـ أُطلق الضمان أيضاً على ضمان المال بعقد وبغير عقد.

٤ ـ كما أطلق الضمان على وضع اليد على المال بحق وبغير حق.

والضمان يشمل هذه المعاني، كما يشمل، إضافة إلى ذلك، مما يجب بإلزام الشارع للاعتداء:

كضمان الديات وضمان الأروش وضمان قيمة صيد الحرم وضمان كفارة اليمين وضمان كفارة الظهار وكفارة الإفطار عمداً في رمضان.

تعريف الضمان: الضمان هو شغل الذمة بحق أو بتعويض عن ضرر.

مشروعية الضمان:

١ ـ **في القرآن الكريم**: ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف/ ٧٢]، أي ضامن. فقد ضمن يوسف عليه السلام لمن جاء بإناء الملك الذي كان يشرب به قدر ما يحمله البعير من الطعام.

٢ ـ **في السنة الشريفة**: حدثت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (الخراج بالضمان).

٣ ـ **في الإجماع**: أجمع الفقهاء على أن الأموال والدماء مصونة في الشرع.

أسباب الضمان: أوجب الشارع ضماناً تجاه بعض المخالفات الشرعية، يقول تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ [المائدة/ ٩٥]، فقد ضمن الشارع في هذه الحالة الصائد مثلَ ما صاده أو قيمته إن لم يكن له مثل، أو بقدر القيمة من الطعام أو يصوم عن كل مد من الطعام أو كل مسكين يوماً، لأن الاصطياد في الحرم منهي عنه قطعاً. كذلك الأمر بالنسبة للكفارات والحنث في الأيمان، والإفطار عمداً في رمضان. ففي كل هذه الحالات أوجب الشارع ضماناً عبارة عن غرامة مالية تدفع للفقراء.

وهناك ضمان بسبب الالتزام بالعقد، وخير مثال على ذلك عقد البيع، والبيع هو مبادلة مال بمال بالتراضي، وهو بهذا التعريف أوضح صورة لعقود الضمان. فالمال المنتقل بناء على عقد البيع يكون مضموناً على من يقبض. ومن أهم أحكام الضمان في البيع هلاك المبيع، ففي البيع الصحيح إذا هلك المبيع في يد البائع قبل أن يتسلمه المشتري ضمنه البائع بثمنه، فينفسخ البيع ويسقط الثمن عن المشتري، فإن كان البائع قد تسلم الثمن فإنه يرده إلى المشتري. وهناك أمثلة كثيرة بالنسبة لعقد القسمة وعقد النكاح وبدل الخلع والإجارة والرهن وغير ذلك.

وكذلك هناك ضمان في الفعل الضار، وهو على قسمين: فعل ضار واقع على الإنسان، وفعل ضار واقع على ما سواه من الحيوان والأشياء.

ولجهة الفعل الضار على الإنسان هناك ضمان الدماء ويسمى في الاصطلاح الفقهي بالعقوبة أي الجزاء المترتب للاعتداء على النفس، وعقوبة القتل العمد إما أصلية أو بدلية أو تبعية، والعقوبة الأصلية عقوبتان: القصاص، وهي متفق عليها والكفارة وفيها اختلاف، والعقوبة البدلية هي الدية، أي المال الواجب أداؤه بالجناية على النفس. وقد يجب التعزير والصوم. أما العقوبة التبعية فتكمن في حرمان القاتل من الميراث: (لا يرث القاتل شيئاً) وحرمانه من الوصية: (ليس لقاتل وصية).

وبالنسبة لعقوبات القتل الخطأ، فهناك أيضاً عقوبة أصلية تتمثل في الدية والكفارة، وعقوبة بدلية تتمثل في عتق الرقبة أو التصدق بثمنها أو الصوم، وعقوبة تبعية تتمثل في حرمان القاتل خطأ من ميراثه من القتيل ومن وصيته له، وهناك عقوبات في الاعتداء على الأطراف والجراح والشجاج، وهناك عقوبة في الإجهاض، وقد اتفق الفقهاء على أن في الجنين إن سقط ميتاً غرة عبد أو أمة، وإذا لم يوجد الرقيق انتقلت العقوبة إلى بدله مالاً.

وهناك ضمان للأفعال الضارة بالأموال حيث تُقدم فكرة التعويض على مبدأ إزالة الضرر المادي اللاحق بالآخرين.

وقد توسع الفقهاء في أحكام الضمان، أي التعويض، ويمكن تعريفه بأنه: ردُّ مثل الهالك أو قيمته. وقد عرَّفه الشوكاني بأنه «عبارة عن غرامة التالف»، والهدف من ذلك إزالة الضرر وإصلاح الخلل الذي طرأ على المتضرر وإعادة حاله المالية إلى ما كانت عليه قبل الضرر.

وهناك ضمان على قطع الشجر، وعلى البناء على الأرض المغصوبة أو الغرس فيها.

وهناك ضمان في عين الحيوان وضمان عن فعل الحيوان.

وهناك ضمان عن فعل الآخرين وما يلحق بهم. فالشخص يضمن فعل الخاضعين لرقابته والتابعين له.

وهناك ضمان عن سقوط البناء، ويفرَّق هنا بين نوعين من الأبنية: الأول: بناء مختل من الأصل، والثاني: بناء طرأ عليه الخلل.

وهناك ضمان التلف بالأشياء بسبب إلقائها في الشوارع أو وضعها في غير مواضعها المخصصة لها، وضمان أخطار المصانع وإصابات العمل.

الضمان في القانون الوضعي: يشمل مصطلح الضمان في القانون الوضعي ما يلي:

١ ـ ضمان الأشخاص، كضمان الحياة وضمان المرض وضمان الحوادث.

٢ ـ ضمان المسؤولية، وهو ضمان أخطار يقع فيها الإنسان وأصحاب الحق منها أشخاص آخرون.

٣ ـ ضمان الممتلكات، وهو ضمان الأخطار التي تصيب عقارات الشخص وأمواله.

وقد عرَّف قانون الموجبات والعقود اللبناني، في المادة ٩٥٠ منه، الضمان بأنه عقد بمقتضاه يلتزم شخص، يقال له الضامن، بعض الموجبات عند نزول بعض الطوارىء بشخص المضمون أو بأمواله مقابل بدل يسمى القسط. ويتفق القانون اللبناني مع القانون المصري الذي نص في المادة ٧٤٧ من القانون المدني المصري على المضمون نفسه مستعملاً لفظ «التأمين» بدلاً من «الضمان».

وهناك من يرى أن الضمان بمعنى التأمين عقد غير مشروع إسلامياً من ناحية الربا ومن ناحية الغرر. وهناك من يرى أن هذا العقد لم يكن معروفاً في الفقه الإسلامي، وهو تعاون محمود على البر والتقوى. فشركة التأمين لا تبرم عقد التأمين مع مؤمن له واحد أو مع عدد قليل من المؤمن لهم، ولو أنها فعلت لكان عقد التأمين مقامرة أو رهاناً ولكان عقداً غير مشروع، إذ تكون الشركة قد تعاقدت مع مؤمن له على أنه إذا احترق منزله، مثلاً في التأمين على الحريق، دفعت له قيمته، وإذا لم يحترق كان مقابل التأمين الذي دفعه المؤمن له حقاً خالصاً لها، وهذا هو الرهان بعينه. ولكن الشركة تتعاقد مع كثير من المؤمن لهم، وتتقاضى من كل منهم مقابل التأمين، ومن مجموع ما تتقاضاه من هؤلاء جميعاً تعوّض العدد القليل الذين تحترق منازلهم. فالتأمين، من هذا المنظور، لا يحمل طابع المقامرة أو الرهان، إذ أن المؤمن لهم يتعاونون جميعاً في تعويض العدد القليل منهم الذين يتحقق الخطر لديهم، وبذلك يكفل التأمين للجميع توزيع الخسارة عليهم، فلا يخسر أي منهم إلا مقابل التأمين الذي دفعه.

أما بقية أنواع «الضمان» في إطار القانون الوضعي فتدخل في مجال المسؤولية، والأصل أن المدين ملزم بأداء التزامه عيناً، وإلا بدلاً، تحت طائلة غرامة إكراه، وتعيين بدل العطل والضرر يتم إما بواسطة القاضي، وإما بنص قانوني، وإما باتفاق المتعاقدين.

وهناك مسؤولية جرمية أو شبه جرمية تتولد من فعل خاطىء يسبب ضرراً للغير في ماله أو شخصه، دون أن يكون هناك علاقة تعاقدية سابقة بين فاعل الضرر والواقع عليه، أو على أمواله، هذا الضرر.

وهناك مسؤولية تعاقدية تتعلق بالتزامات خاصة أنشأها المتعاقدون بملء إرادتهم. وعندما لا ينفذ المدين التزامه يكون للدائن حق ارتهان عام على جميع ممتلكات المدين.

وقد تكون الأعمال غير المباحة مصدراً للالتزامات، وتدخل ضمن نطاق الجرم وشبه الجرم. فكل شخص يعتبر مسؤولاً عن الضرر الحاصل للغير أو لأموال الغير. فكل عمل من أحد

الناس ينجم عنه ضرر غير مشروع لمصلحة الغير يجبر فاعله، إذا كان مميزاً، على التعويض.

والمسؤولية مبنية على فكرة الخطأ، إلا أن هناك بعض علماء القانون يرى أن المسؤولية ترتكز على فكرة المخاطر، أي أنه يجب التعويض عن الضرر لمجرد مساسه بالغير وبمعزل عن نية فاعله لأنه، حسب رأيهم، من العدل أنّ من يقوم بعمل أو مشروع ليجني منه الأرباح والمنافع، أن يتحمل في الوقت ذاته المخاطر التي قد تنجم عنه.

وهناك مسؤولية ناجمة عن الفعل الشخصي، ومسؤولية ناجمة عن فعل الغير. فالأوصياء والأصول مسؤولون عن كل عمل غير مباح يأتيه الأولاد القاصرون المقيمون معهم والخاضعون لسلطانهم، وأرباب الصناعات مسؤولون عن الأعمال غير المباحة التي يأتيها العمال الذين يعملون تحت إشرافهم، والسيد والولي مسؤولان عن ضرر الأعمال غير المباحة التي يأتيها الخادم أو المولى في أثناء العمل أو بسبب العمل.

وهناك مسؤولية ناجمة عن فعل الحيوان، وحارس الحيوان مسؤول عن ضرر حيوانه وإن يكن قد ضل أو هرب.

وهناك مسؤولية ناجمة عن فعل الأشياء، فممارس هذه الأشياء يكون مسؤولاً عن الأضرار التي تحدثها حتى في الوقت الذي لا تكون فيه تحت إدارته أو مراقبته الفعلية، كالسيارة وقت السير، والطائرة وقت طيرانها، والمصعد وقت استعماله.

فوزي أدهم

المراجع: ١٦٨، ٣٣٩، ٥٦١، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٧٩.

* * *



طاغوت

الطاغوت من طغى ويطغى، وتقال لمن جاوز الحد في أمر ما بزيادة عليه، ووزنه فعلوت. وطاغوت كأنه اسم جنس يقع للقليل والكثير، وللمذكر والمؤنث، ويوصف به الواحد والجمع. والطاغوت كل معبود دون الله تعالى، لقوله عز وجل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة/ ٢٥٦].

والطاغوت كل متعدٍ، ولذلك يسمى الساحر والشيطان وكل صارف للناس عن طريق الخير طاغوتاً. ومن انحرفوا عن طريق الله تعالى يكونون قد اتبعوا الطواغيت، وهؤلاء يصلون إلى الكفر بسبب ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥٧]. والطواغيت في الآية هم الشياطين من الثقلين الإنس والجن لذلك دعا رسول الله ﷺ: (اللهم إنّا نعوذ بك من شياطين الإنس وشياطين الجن).

الطاغوت كل رأس في الضلال والفتنة.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٤٤١، ٥١٤.

* * *

الطاوية أو التاوية أو الداوية Taoïsme

مؤسس هذه الديانة الوضعية في الصين هو Lao Tzu (لاوتسو)، وكان قبل كونفوشيوس، ومعنى اسمه «المعلم العجوز»، أما الطاوية فمعناها السبيل أو المنهج أو الطريق.

تعود الطاوية في أصل نشأتها إلى مصدرين:

١ ـ فلاسفة عصر الولايات في الصين الذين اتبعوا طاو الطبيعة لا طاو المجتمع البشري، والذين لم يرغبوا في الالتحاق بخدمة الإقطاع، وانسحبوا إلى الريف وإلى البراري لممارسة التأمل ودراسة الطبيعة.

٢ ـ السَّحَرة والشامانات (الأطباء المشعوذون) الذين وفدوا إلى الصين، وهؤلاء مارسوا الشعوذة والسحر اللذين كانا شائعين في تلك العصور، وكانوا يزعمون أنهم يتصلون بالأرواح الخفية ويستعينون بها لشفاء الأمراض والعلل.

ويعتقد الطاويون أن الطبيعة مكتفية ذاتياً وغير مخلوقة، وكانوا يعبرون بعبارة (تسو ـ چان) أي تلقائية أو ذاتية النشأة وطبيعية، وقد عبر لاوتسو عن ذلك بقوله: «طرائق البشر تقررها طرائق السماء، وطرائق السماء تقررها طرائق الطاو، والطاو اكتسب كينونته من تلقاء ذاته تسو ـ چان».

كان لاوتسو يعرف بصاحب حكمة الصمت، وذلك لأنه اعتقد أن الطاوية، وهي طريقة الطبيعة، ما هي بالأصل إلا الامتناع عن التفكير، وذلك لأن التفكير عند الطاويين ما هو إلا أمر عارض سطحي لا خير فيه، ويضر الحياة أكثر مما ينفعها.

أما الطاو (الطريقة) فالوصول إليها يكون بنبذ العقل وجميع مشاغله، والالتجاء إلى حياة العزلة والتقشف والتأمل الهادئ في الطبيعة، وقد قال لاوتسو في هذا الموضوع: «إن المهرة لا يجادلون،

وأصحاب الجدل عطل من المهارة.. وإن الأقدمين الذين أظهروا براعتهم في العمل بما في «الطاو» لم يفعلوا ما فعلوه لينيروا عقول الناس بل ليجعلوهم سذجاً جهلاء... والصعوبة التي يواجهها الحكام إنما تنشأ من كثرة ما عند الناس من العلم، ومن يحاول حكم دولة من الدول بعلمه وحكمته ينكّل بها، ويفسد شؤونها، أما الذي لا يفعل هذا فهو نعمة لها وبركة».

فالطبيعة عندهم هي النشاط التلقائي، وانسياب الحوادث العادية المألوفة، وهي النظام الذي تتبعه الفصول، وهي الطاو أو الطريقة الممثلة المجسمة في كل مجرى وكل صخرة وكل نجم، وهي قانون الأشياء العادل الذي لا يحفل بالأشخاص، ولكنه مع ذلك قانون معقول يجب أن يخضع له قانون السلوك إذا أراد الناس أن يعيشوا في حكمة وسلام.

ويضيف لاوتسو قائلاً: «إن الطبيعة قد جعلت حياة الناس في الأيام الخالية بسيطة آمنة، فكان العالم كله هنيئاً سعيداً، ثمَّ حصَّل الناس المعرفة فعقَّدوا الحياة بالمخترعات وخسروا كل طهارتهم الذهنية والخلقية».

لكن لاوتسو لم يقل إنه وضع ديانة لها نظام عبادات، وإنما تمَّ ذلك في الصين بدءاً من القرن الثاني للميلاد حيث عدَّلت عقائد الطاوية، وزعم بعضهم أن لاوتسو قد خلَّف لهم إكسيراً يهب صاحبه الخلود، واستعملوه بإسراف وأدى إلى موت كثيرين، ووصلت شعوذات بعضهم حوالي (١٤٧م) أنه كان يعرض في سشوان على الناس أن يشفيهم من أمراضهم، كلها ومهما كانت، بطلسم مقابل خمس حفنات من الأرز.

وبعد هذا التجديد وصل الأمر عند الطاويين إلى اعتبار لاوتسو إلّهاً، وباتوا يعبدونه، ومن خرافاتهم أن أمه حملت به حملاً سماوياً، وقد كان حملها به ثمانين عاماً، ومن ثم ولد كامل العقل والنضج طاعناً في السن.

وظلت الطاوية حوالي ألف عام ناشطة في الصين، ولها حضورها الذي كان ينازع الكونفوشيوسية النفوذ، خاصة لجهة مواجهة نظام الأسر الإقطاعية الذي كانت تقره الكونفوشيوسية، ولهذا عُدَّت الطاوية ديانة أو فلسفة ثورية في الجانب الاجتماعي.

وكان التحول مع دخول البوذية التي بدأت تنتشر على حساب الطاوية، وكان ذلك بعد سقوط أسرة هان. ولكن حالة من التزاوج لم تلبث أن حصلت بين البوذية والطاوية، وبدأت الطاوية تضمحل لتخلي مكانها لبوذية مطعمة بالطاوية، ومن ثم أخلت الديانتان المكان لكونفوشيوسية جديدة أخذت من البوذية والطاوية، والأمر يعود إلى طبيعة حضارة الصين التي لم تعرف أي لون من ألوان الحروب الدينية على غرار ما كان يحصل في أوروبا وسواها.

وواقع الأمر اليوم أن الطاوية والكونفوشيوسية لا تزالان تشكلان الخلفية الثقافية للفكر الصيني وللثقافة الصينية، ولا تزال آثار الطاوية بادية للعيان، أمام الأثر الديني المباشر؛ فالمعبد الطاوي المقاوم وسط حدائق كونمنج، والذي إذا ما تجول فيه الزائر، خاصة في الردهات السفلى المزدانة بالصور والمنحوتات، تراه يصل أخيراً إلى قاعة لا يوجد فيها سوى لوحة كبيرة منقوش عليها (وان ووچيه مو Wan Wu Chih Mu) أي أم كل الأشياء.

ونختم بأن الثورة الشيوعية في الصين، والتي قام بعدها ماوتسي تونغ بثورة ثقافية في الستينات موجهة للقضاء على الخلفية الموروثة للثقافة الصينية، هذه الحركة لم تتمكن من إلغاء هذه الخلفيات الثقافية بما في ذلك المؤثرات الطاوية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤١٤، ٤٩٤، ٥٤٢، ٦١٦.

* * *

الطريقة

عند الصوفية مصطلح يعني مدرسة صوفية، تنسب إلى مؤسس لها. وكان انتظام الطرق الصوفية بعد القرن الرابع للهجرة. والطريقة لها منهجها في الأوراد والأذكار وتنظيم الموالد والسماع والتعامل مع شيخ الطريقة، كما لكل طريقة أسلوب في قبول المريدين، وتوزيع المرشدين وإجازة السالكين، هذا ما عرف باسم: الطرق الصوفية كالرفاعية والجيلانية والشاذلية... الخ.

وأطلقوا على الطريقة الصوفية اسم السفر، لأن المريد، بعد أن يبايع شيخ الطريقة، يصبح وكأنه قد بدأ رحلة حياة جديدة عمادها مقامات التوبة والزهد، إلى آخر ما هنالك من المقامات والأحوال.

ويتشدد الصوفيون مع المريد بأن لا بد له من شيخ طريقة مرشد يتبع توجيهه، وقد اشتهر عندهم قول فيه: «من لا شيخ له فشيخه الشيطان»، وقولهم: «من طلب شيخاً وجده».

ويضع الشيخ مريده موضع الاختبار مدة طويلة لكي يراقب سلوكه الشخصي ومدى طاعته له، والانتساب إلى الطريقة عهد وبيعة من المريد للشيخ، والعهد الذي لا ينقضي عبارة عن ميثاق بين المريد وشيخه والله شاهد عليه، ومدار هذا الميثاق الإخلاص.

ونترك للشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٧٠ ـ ٥٦١هـ) ليحدد ما يجب أن تقوم عليه العلاقة في الطريقة الصوفية، حيث يقول: «فالذي يجب على المبتدىء في هذه الطريقة الاعتقاد الصحيح الذي هو الأساس، فيكون على عقيدة السلف الصالح أهل السنّة القديمة، سنة الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين والأولياء والصديقين، وعليه التمسك بالكتاب والسنّة والعمل بهما، أمراً أو نهياً، أصلاً وفرعاً، فيجعلهما جناحيه يطير بهما في الطريق الواصل إلى الله عز وجل ثم الصدق ثم الاجتهاد حتى يجد الهداية والإرشاد».

أما في التعامل مع شيخ الطريقة فيقول: «فالواجب عليه ترك مخالفة شيخه في الظاهر، وترك الاعتراض عليه في الباطن».

وفي مسؤوليات شيخ الطريقة حيال مريديه يقول: «وأما الذي يجب على الشيخ في تأديب المريد فهو أن يقبله لله تعالى لا لنفسه، فيعاشره بحكم النصيحة ويلاحظه بين الشفقة، ويلاينه بالرفق عند عجزه عن احتمال الرياضة، فيربيه تربية الوالدة لولدها والوالد الشفيق الحكيم اللبيب لولده وغلامه فيأخذه بالأسهل».

والسالكون للطرق الصوفية تكون مجاهداتهم بأساليب عديدة فيها قراءة القرآن، وقيام الليل، وصلاة النوافل، وذكر أسماء الله الحسنى في الحلقات، هذا الذكر الذي يهز المشاعر ويهيج القلوب شوقاً إلى الله تعالى المحبوب الوحيد، وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الصوفية يبالغ في إظهار الوجد، وتدفعه انفعالاته، أو توجيهات بعض المرشدين في الطريقة، إلى شطحات هي عبارة عن أنماط من السلوك والتصرف، فيها رعونة وابتعاد عن الطريق الصحيح، وقد كان ذلك بفعل مؤثرات وافدة تركت بصماتها عند بعض الصوفيين، خاصة بعد تقادم الزمن على نشأة الطريقة وانتشار أتباعها وتشتتهم حتى وصل الأمر ببعض أتباع الطرق في الطريقة الواحدة إلى التناقض.

وبالنسبة للمريد، إذا اكتملت رحلته وأحسّ شيخه منه النصح وأنه مؤهل ليكون شيخاً مؤهلاً للإجازة الصوفية، عندها يمنحه الشيخ إجازة يسمح له بموجبها إرشاد غيره من المريدين.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨، ٢٢١، ٢٤٩، ٣٦٩.

* * *

الطقس (الكنسي)

هو مجموعة الصلوات والعبادات التي يحتفل بها المؤمنون كلٌّ في كنيسته، بحسب تراث وتقاليد

هذه الكنيسة. الجوهر واحد ولكن الطريقة تختلف. وهذه الكلمة هي من أصل سرياني «طِقْسُو»، وفي الكنيسة عدة طقوس: كالطقس الماروني السرياني، الطقس اللاتيني أو الروماني، والطقس البيزنطي...

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٤٢٦، ٥٠٥.

* * *

في اليونانية: ليثورجيا، وتعني عمل الشعب. بهذه الكلمة تدلل العبارة الرسمية لجسد المسيح السرّي. والاحتفال الطقسي الذي تنظمه الجماعة يحتوي أناشيد، وقراءات، وصلوات مع كرازة وجهر بالإيمان.

من أهم الطقوس هي الاحتفال بالأسرار، وخاصة الاحتفال القرباني، أي القداس.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *

الطلاق

الطلاق هو رفع قيد النكاح في الحال أو في المآل بلفظ مخصوص.

١ ـ حكمه: الأصل في الطلاق الحظر، لقوله ﷺ: (ما أحلَّ الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق)، ويكون واجباً في حالات منها: إن اعتادت الزوجة الزنا إلى أن تتوب، أو إذا وجد الزوج نفسه أنه غير قادر على أن يقيم حق الله فيها، ويظلمها، وهي ترغب في الطلاق، أو إذا أسلمت الزوجة دون الزوج، أو مضت أربعة أشهر في الإيلاء دون أن يراجع الزوج زوجته.

ويكون جائزاً في حال تفريط الزوجة في حق الزوج.

ويجوز للزوجة أن تطلب الطلاق إذا أساء الزوج عشرتها، أو تركها وسافر ومضى على سفره سنة ولم يعد، سواء انقطعت أخباره أم لم تنقطع، أو ظهر به عيب يمنع الوطء، أو مرض معد خطر.

٢ ـ أنواع الطلاق:

أ ـ أنواعه من حيث موافقته للسنة: من حيث موافقته للسنة على نوعين:

١) طلاق السنة: وهو أن يطلق الرجل امرأته طلقة واحدة رجعية في طهر لم يجامعها فيه.

٢) طلاق البدعة: وهو ما خالف طلاق السنة، ويقع به الطلاق طلقة واحدة، فيما يرجحه الباحث من أقوال الفقهاء.

ب ـ أنواعه من حيث إمكان الرجعة فيه: الطلاق من حيث إمكان الرجعة فيه ثلاثة أنواع:

١) طلاق رجعي، وهو الطلاق الذي يوقعه الزوج على زوجته أول مرة، أو ثاني مرة، ويكون للزوج حق إرجاع زوجته إلى عصمة الزوجية بغير مهر، ولا عقد، بل بكلمة «أرجعتك» [أو بممارسة تدل على الإرجاع].

٢) طلاق بائن بينونة صغرى، وهو الطلاق الرجعي إذا مضت العدة دون أن يرجع الزوج زوجته إليه، والطلاق قبل الدخول، والطلاق على مال، وتفريق القاضي بين الزوجين، كتفريقه لإعسار الزوج في النفقة، أو لسوء العشرة، أو لعيب جنسي في الزوج، ونحو ذلك.

ولا يجوز للزوج في هذا الطلاق أن يرجع زوجته إلى عصمة الزوجية إلا بعد نكاحٍ جديد، ومهر جديد، وكأنه يتزوجها أول مرة.

٣) طلاق بائن بينونة كبرى، وهو الطلاق المكمل للثلاث، وبه تنقطع الزوجية، ولا يحق للزوجة أن تعود إلى زوجها الذي طلقها حتى تنكح زوجاً غيره، نكاحاً دائماً، ثم يموت عنها زوجها الثاني أو يطلقها، ثم تمضي عدتها منه، ثم إن شاءت أن تعود لزوجها الأول فيجوز لها ذلك.

٤) الفرقة المؤبدة التي لا يجوز لزوجة أن تعود إلى الزوج أبداً، وهي الفرقة في حالة الملاعنة بين الزوجين.

٣ ـ صيغة الطلاق: صيغ الطلاق عديدة، منها:

أ ـ الطلاق الصريح: وهو إيقاع الطلاق بلفظ: «الطلاق»، وبه يقع الطلاق ولو لم ينو به الطلاق لقوله ﷺ: (ثلاث جدُّهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق الرجعة).

ب ـ الطلاق بالكناية: وهو الطلاق بلفظ يحتمل الطلاق ويحتمل غيره، كقوله: «أنت خلية» ولا يقع به الطلاق إلا إذا نواه.

جـ ـ الطلاق بالعدد: يرجح الباحث أن الطلاق المقرون بالعدد يقع به الطلاق طلقة واحدة، فإن قال لها: أنت طالق ثلاثاً، لم تطلق غير واحدة ـ فيما يرجحه الباحث من أقوال الفقهاء ـ لأن الله تعالى شرع الطلاق ثلاثاً ليكون للزوج فرصة التروِّي.

د ـ الطلاق المعلق على فعل أحد الزوجين: كقوله: إن دخلتِ دار فلان فأنتِ طالق، وهذا إن أراد به الطلاق حين لفظه، وقع طلاقاً بحصول ما علقه عليه، وهو دخول دار فلان، وإن لم يرد به الطلاق، ولكنه أراد به أن يمنعها من دخول دار فلان، لم يقع طلاقاً بدخولها دار فلان، ويجب على الحالف كفارة يمين ـ على ما يرجحه الباحث من أقوال الفقهاء ـ.

٤ ـ المطلِّق: يشترط في المطلق حتى يقع طلاقه ما يلي:

أ ـ أن يكون زوجاً للمطلقة في نكاح صحيح، لقوله ﷺ: (إنما الطلاق لمن أخذ بالساق).

ب ـ أن يكون عاقلاً، لقوله ﷺ: (لا طلاق ولا عتاق في إغلاق) وعلى هذا فإن السكران لا يقع طلاقه ـ فيما يرجحه الباحث من مذاهب الفقهاء ـ.

جـ ـ بالغاً، إذ الصغير لا يقع طلاقه، فإن كانت المصلحة في طلاقه، ناب عنه وليه في الطلاق.

د ـ مختاراً في إيقاع الطلاق، أما المكره فإنه لا يقع طلاقه.

هـ ـ قاصداً إيقاع الطلاق، فإن تكلم بالطلاق مخطئاً أو ناسياً فإنه لا يقع طلاقه.

و ـ عالماً بدلالة اللفظ على الطلاق، فإن كان أعجمياً أو عامياً فتلفظ بلفظ، فقيل له قد طلقت امرأتك، فقال: لا أعرف معناه، لم يقع طلاقه.

ز ـ الصحة، أما المريض مرض الموت فإنه إن طلَّق امرأته في مرضه، دون أن تطلب هي الطلاق، لم يقع طلاقه، وورثته بعد موته ما دامت في العدة. .

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

* * *

طُورُ سَيْنَاءَ

طُورُ سَيْنَاءَ هو طورُ سِينين الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين/ ١، ٢]، كما ورد ذكره أيضاً في قوله عزَّ وجل: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون/ ٢٠].

والطور جبلٌ بفلسطين، أو بين مصر وفلسطين، وهو موقع معروف اليوم، ويُسمّى العقبة. وقال بعضهم: إنما يسمى طوراً إذا كان فيه شجر، فإن عُرِّيَ منها سمي جبلاً، لا طوراً.

وطور سَيْناء هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون.

والشجرة التي ورد ذكرها في الآية الكريمة أعلاه هي شجرة الزيتون، نُسبت إلى الطور لأنه مبدؤها أو لكثرتها. وقيل: هي أوّل شجرة نبتت بعد الطُّوفان.

نايف معروف

المراجع: ١٧٤.

* * *

الطواف = (انظر، الحج).

* * *

الطوفان

ترتبط مسألة الطوفان بالأحداث التي جرت زمن نوح عليه السلام، وهو أول المرسلين بعد آدم، أول الخلق، عليه السلام، حيث انتشرت بين الناس عبادة الأوثان بعد أن كانوا موحدين وعلى هدى وصلاح، فكان أمر الله تعالى بأن يكون أول المبشرين والمنذرين نوح عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود/ ٢٥، ٢٦].

نقل ابن جرير الطبري، في رواية متواترة تنتهي عند ابن عباس رضي الله عنهما: «بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة، وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة». وأكمل الطبري: «قال أبو جعفر: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، كما قال الله عز وجل، يدعوهم إلى الله سراً وجهراً، يمضي قرن بعد قرن فلا يستجيبون له حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم، فلما أراد الله عز وجل إهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح/ ٢١]، فأمره الله تعالى ذكره أن يغرس شجرة فغرسها فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم أمره بقطعها من بعد غرسها بأربعين سنة فيتخذ منها سفينة، فكان أمر الله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود/ ٣٧].

بعد أن انتهى نوح عليه السلام من صناعة السفينة حق القول على قومه، وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود/ ٤٠].

والزوجان من كل جنس، لأن كل زوج لا يستغني عن الآخر، ومن أجل بقاء النسل بعد الطوفان. أما أهل نوح فقد سبق القول منهم على زوجته واعلة وابنه كنعان لأنهما لم يلتزما ما دعا إليه نوح عليه السلام بل واكبوا القوم الضالين فهلكوا مع من هلك.

وقد روى ابن الأثير في «الكامل» أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أرسل الله المطر أربعين يوماً، فأقبلت الوحش حين أصابها المطر والطين إلى نوح وسخرت له، فحمل منها كما أمره الله، فركبوا فيها لعشر ليالٍ مضين من رجب، وكان له ذلك لثلاث عشرة خلت من آب، وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم، فلذلك صام من صام يوم عاشوراء.

وكان الماء نصفين: نصف من السماء ونصف من الأرض، وطافت السفينة بالأرض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله، ودارت بالحرم أسبوعاً ثم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجُوديِّ، وهو جبل بقِرْدى بأرض الموصل، فاستقرت عليه».

وقد أورد القرطبي في تفسيره «التفسير» نفسه: «الجُوديُّ جبل بقرب الموصل؛ استوت عليه في العاشر من المحرم يوم عاشوراء، فصامه نوح وأمر جميع من معه من الناس والوحشي والطير والدواب وغيرها فصاموه، شكراً لله تعالى».

أما قاموس الكتاب المقدس فقد ورد فيه أن البشر كانوا قد أفسدوا وخرجوا عن الطريق القويم واقترفوا الآثام وعملوا الشر، فكان أمر الله بأن يمحوهم، واستثنى نوحاً وأمره أن يصنع فلكاً وينجو به مع عائلته وبعض الحيوانات.

وفي «سفر التكوين» من أسفار العهد القديم الإصحاح السادس: «فقال الله لنوح قد دنا أجل كل بشر بين يديَّ فقد امتلأت الأرض من أيديهم جوراً. فها أنذا مهلكهم مع الأرض. اصنع لك

تابوتاً من خشب قطراني واجعله مساكن واطْلِهِ من داخل ومن خارج بالقار».

وفي الإصحاح السابع من سفر التكوين: «وقال الله لنوح ادخل التابوت أنت وجميع أهلك، فإني إياك رأيت باراً أمامي في هذا الجيل، وخذ من جميع البهائم الطاهرة سبعة سبعة ذكوراً وإناثاً، ومن البهائم التي ليست طاهرة اثنين ذكراً وأنثى... وكان نوح ابن ست مئة سنة حين كان ماء الطوفان على الأرض. ودخل نوح التابوت هو وبنوه وامرأته ونسوة بنيه معه من ماء الطوفان... وكان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة». ويُلاحظ أن النص هنا يفيد بأن امرأة نوح وكل أبنائه قد نجوا معه، بينما جاء في النص القرآني أن امرأة نوح وابنه كنعان لم يكونا قد اتبعا دينه ودعوته فهلكا مع سائر القوم الذين كانوا مفسدين مثلهم، مع أن الإصحاح التاسع ورد فيه أن كنعان، قد أساء لأبيه نوح فورد في حقه: «فقال ملعون كنعان عبداً يكون لعبيد إخوته».

وورد في قاموس الكتاب المقدس: «والجدير بالذكر أن هناك أساطير عن الطوفان شبيهة بطوفان نوح في تراث بعض الأمم، وأقدمها أسطورة الطوفان عند البابليين. وهناك أساطير مشابهة لها عند اليونان والرومان، والقصة البابلية عن الطوفان جزء من ملحمة جلجاميش».

ويقول ابن الأثير بأن المجوس (الزرادشتيين) لا يقرون بالطوفان، ويزعمون أن الملك لم يزل فيهم منذ آدم عليه السلام ويسمونه جيومرث، وبعضهم يقول: إن الطوفان أصاب إقليم بابل وما يجاوره، أما هم فإن مساكنهم كانت في المشرق ولم يصبهم الطوفان.

أما الصابئة فقد جاء عندهم أن الطوفان، قد حصل، والوقائع تشبه ما ورد في العهد القديم، وعندهم أن الذين كانوا معه في هذا الفلك من البشر ثلاثة فقط وهم: نوح وامرأته وابنه سام وزوجته، إذ لم يكن له قبل الطوفان ولد آخر.

ويزعمون أن نوحاً نزل بعد الطوفان إلى اليابسة فإذا بامرأة من الجن تراءت له متزينة فأنكر عليها ذلك وأبلغته أنها سئمت الحبس في السفن، وأخذت تغازله حتى استدرجته إلى المعصية ـ كما يزعمون ـ ظناً منه أنها زوجته، وحملت منه ووضعت له ثلاثة بنين هم: حام ويافث ويامين، وكان كل منهم يتكلم بلغة غير لغة أخيه، ومن هؤلاء الثلاثة جاء السودانيون والفرنجة والترك. ولا يذكر الصابئة حين الاستغاثة كلاً من حام ويافث ويامين لأن إنجابهم كان من خطيئة ومعصية، ويقرون بولده سام الذي كان ولد من امرأته قبل الطوفان ويكرمونه أحسن تكريم.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٢٢، ٣٢٩، ٤٠٥، ٤٢٤، ٤٢٦.

* * *

الطولونيون (الدولة الطولونية)

(٢٥٤ ـ ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ ـ ٩٠٥م)

٢٥٤هـ	أحمد بن طولون التركي	٨٦٨م
٢٧٠هـ	أبو الجيش خمارويه بن أحمد	٨٨٤م
٢٨٢م	ابو العباس جيش بن خمارويه	٨٩٥م
٢٨٣هـ	أبو موسى هارون بن خمارويه	٨٩٦م
٢٩٢هـ	شيبان بن أحمد	٩٠٥م

تنسب هذه الدولة إلى طولون (وهي دولون باللغة التركية ومعناها البدر الكامل). وقد قدم طولون إلى بغداد سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م مع مجموعة من الأسرى أرسلهم نوح بن إسماعيل الساماني من بخارى إلى الخليفة المأمون. وقد أعجب المأمون بطولون فولاه عدة مهام ثم جعله رئيس حرسه. ونشأ ابنه أحمد جندياً مثله في بغداد، وبرز في فترة الفوضى العسكرية التي أعقبت مصرع المتوكل، ثم تسلّم ولاية القاهرة نيابة عن القائد بايكباك الذي عين لولاية مصر فأرسله إليها وبقي هو في بغداد سنة (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م).

وبعد موت بايكباك أعطيت ولاية مصر للقائد يارجوح، صهر أحمد بن طولون، فكتب إليه: «تسلم من نفسك لنفسك»، وأعطاه أن يحكم باسمه مصر كلها. فلما مات يارجوح سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٣م) كانت يد ابن طولون قد أحكمت الإمساك بزمام الأمور في البلاد وعمل على تدعيم ملكه في مصر، فكوَّن جيشاً خاصاً به وأنشأ أسطولاً كبيراً، ثم مد سلطانه إلى بلاد الشام سنة (٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) عندما طلب إليه الخليفة المعتمد أن يسير إليها لحمايتها من الروم، وأنشأ مدينة القطائع شمالي مدينة الفسطاط وجعلها عاصمة له، وبنى فيها مسجداً كبيراً لا يزال قائماً إلى اليوم يحمل اسمه، وعمل على تحسين الطرق والأراضي واهتم بشؤون الزراعة والتجارة.

وبعد وفاة أحمد بن طولون سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٤م) تولى ابنه خمارويه أبو الجيش مكانه، وبلغت الدولة الطولونية أوج عزها عندما قبل الخليفة العباسي (المعتضد) الزواج من قطر الندى ابنة خمارويه، وقد كان ما أنفق في تجهيزها مضرب المثل لعدة قرون. وقد توفي خمارويه وهو شاب سنة ٢٨٢هـ وله ٣٢ سنة، ولم يكن خلفاؤه في مستوى سلفهم، فانحدرت أمور الدولة وعمت الفوضى حتى كانت نهاية الدولة سنة (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، وعادت مصر إلى الخلافة العباسية كما كانت بعد نقل ما تبقى من أفراد الأسرة الطولونية إلى بغداد.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ٤٢٤.

* * *



عاشوراء

اسم لليوم العاشر من شهر محرَّم وفق التقويم الهجري. وهذا اليوم الذي كانت فيه مناسبتان: الأولى: هي استواء سفينة نوح عليه السلام، ومَنْ وما معه وخروجهم منها بعد أن ظلوا فيها مئة وخمسين يوماً. والمناسبة الثانية: هي أنه في العاشر من محرم نجا موسى عليه السلام وقومه من فرعون في البحر، ولذلك كانت أقوام كثيرة، ومنهم العرب قبل الإسلام، يصومون هذا اليوم، وكان ذلك على سبيل الشكر لله تعالى، وقد توارثت ذلك الأمم.

ولقد أخرج البخاري في صحيحه عن الربَيِّع بنت مُعَوِّذ رضي الله عنها قالت: (أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: مَنْ أصبح مفطراً فليتمَّ بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصمْ، قالت: وكنا نصومه بعد).

وقد أخرج جماعة من أصحاب الحديث، أن يوم عاشوراء كان اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح من الطوفان؛ روى قتادة وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ركبوا في عاشر رجب، فساروا مائة وخمسين يوماً، واستقرت بهم على الجودي شهراً، وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء). وفي حديث مرفوع رواه ابن جرير: (أنهم صاموا هذا اليوم).

وبعد الإسلام، باتت عاشوراء محطة حزينة أليمة، حيث كان في هذا اليوم من العام الحادي والستين للهجرة مأساة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي رضي الله عنهما على يدي جيش الخليفة الأموي يزيد بن معاوية.

وحسب ياقوت الحموي في معجم البلدان: كربلاء هو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما، في طرف البرية عند الكوفة، فأما اشتقاقه: فالكربلة رخاوة في القدمين، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسُمِّيت بذلك.

ومأساة كربلاء لأنها يوم حزن سقط فيه شهداء من آل البيت النبوي في مقدمهم الإمام الحسين رضي الله عنه، الذي خرج لمقاومة المنكر بيده، وهذا ما وجَّه إليه رسول الله ﷺ، وثبت وقاوم مع علمه أن الموت ملاقيه.

ومنذ ذلك التاريخ بات لهذا اليوم وضع تاريخي مضافاً إلى الموضع الديني، وتجري فيه احتفالات تخصَّص لاسترجاع المناسبة بمحطَّاتها.

وفي الحديث النبوي، في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي: قال رسول الله ﷺ: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة). وكان مقتل الإمام الحسين في يوم العاشر من محرم، وكان يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٢٢، ٣٣٢، ٣٣٣، ١/٤٦٢، ٤٨٠، ٥٠٠.

* * *

العباسيون (١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م)

الخلفاء العباسيون

١٣٢هـ	أبو العباس عبد الله السفاح	٧٥٠م
١٣٦هـ	أبو جعفر عبد الله المنصور	٧٥٤م
١٥٨هـ	أبو عبد الله محمد المهدي	٧٧٥م
١٦٩هـ	أبو محمد موسى الهادي	٧٨٥م
١٧٠هـ	أبو جعفر هارون الرشيد	٧٨٦م
١٩٣هـ	أبو موسى محمد الأمين	٨٠٩م
١٩٨هـ	أبو جعفر عبد الله المأمون	٨١٣م
٢١٨هـ	أبو إسحاق محمد بن المعتصم بالله	٨٣٣م
٢٢٧هـ	ابو جعفر هارون الواثق بالله	٨٤٢م
٢٣٢هـ	أبو الفضل جعفر المتوكل على الله	٨٤٧م
٢٤٧هـ	أبو جعفر محمد المنتصر بالله	٨٦١م
٢٤٨هـ	ابو العباس أحمد المستعين بالله	٨٦٢م
٢٥٢هـ	أبو عبد الله محمد المعتز بالله	٨٦٦م
٢٥٥هـ	أبو إسحاق محمد المهتدي بالله	٨٧٠م
٢٥٦هـ	أبو العباس أحمد المعتمد على الله	٨٧٠م
٢٧٩هـ	أبو العباس أحمد المعتضد بالله	٨٩٢م
٢٨٩هـ	ابو محمد علي المكتفي بالله	٩٠٢م
٢٩٥هـ	أبو الفضل جعفر المقتدر بالله	٩٠٨م
٣٢٠هـ	ابو منصور محمد القاهر بالله	٩٣٢م
٣٢٢هـ	أبو العباس أحمد الراضي بالله	٩٣٤م
٣٢٩هـ	أبو إسحاق إبراهيم المتقي بالله	٩٤٠م
٣٣٣هـ	أبو القاسم عبد الله المستكفي بالله	٩٤٥م
٣٣٤هـ	أبو القاسم الفضل المطيع لله	٩٤٥م
٣٦٣هـ	أبو بكر الكريم الطائع لله	٩٧٤م
٣٨١هـ	ابو العباس أحمد القادر بالله	٩٩١م
٤٢٢هـ	ابو جعفر عبد الله القائم بالله	١٠٣١م
٤٦٧هـ	ابو العباس عبد الله المقتدي بأمر الله	١٠٧٥م
٤٨٧هـ	ابو العباس أحمد المستظهر بالله	١٠٩٤م
٥١٢هـ	أبو منصور فضل المسترشد بالله	١١١٨م
٥٢٩هـ	أبو جعفر منصور الراشد بالله	١١٣٥م
٥٣٠هـ	ابو عبد الله محمد المقتفي لأمر الله	١١٣٦م
٥٥٥هـ	أبو المظفر يوسف المستنجد بالله	١١٦٠م
٥٦٦هـ	أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله	١١٧٠م
٥٧٥هـ	أبو العباس أحمد الناصر لدين الله	١١٨٠م
٦٢٢هـ	أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله	١٢٢٥م
٦٢٣هـ	أبو جعفر المنصور المستنصر بالله	١٢٢٦م
٦٤٠ ـ ٦٥٦هـ	أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله	١٢٤٢ ـ ١٢٥٨م

ـ عباسيو مصر

من سنة ٦٥٩ هـ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥١م ـ ١٥١٧م

٦٥٩هـ	أبو القاسم أحمد المستنصر بالله	١٢٦١م
٦٦٠هـ	ابو العباس أحمد الحاكم بأمر الله الأول	١٢٦٢م
٧٠١هـ	أبو الربيع سليمان المستكفي بالله الأول	١٣٠٢م
٧٤٠هـ	أبو إسحاق إبراهيم الواثق بالله الأول	١٣٤٠م
٧٤٠هـ	أبو العباس أحمد الحاكم بأمر الله الثاني	١٣٤٠م
٧٥٤هـ	أبو الفتح ابو بكر المعتضد بالله الأول	١٣٥٣م
٧٦٣هـ	ابو عبد الله محمد المتوكل على الله الأول	١٣٦٢م
٧٧٩هـ	أبو يحيى زكريا المعتصم بالله	١٣٧٧م
٧٧٩هـ	المتوكل على الله الأول (مرة ثانية)	١٣٧٧م
٧٨٥هـ	عمر الواثق بالله الثاني	١٣٨٣م
٧٨٨هـ	المعتصم بالله (مرة ثانية)	١٣٨٦م
٧٩١هـ	المتوكل على الله الأول (مرة ثالثة)	١٣٨٩م
٨٠٨هـ	ابو الفضل العباس المستعين بالله	١٤٠٥م
٨١٧هـ	أبو الفتح داود المعتضد بالله الثاني	١٤١٤م
٨٤٥هـ	أبو الربيع سليمان المستكفي بالله الثاني	١٤٤١م
٨٥٥هـ	أبو البقاء حمزة القائم بأمر الله	١٤٥١م
٨٥٩هـ	ابو المحاسن يوسف المستنجد بالله	١٤٥٥م
٨٨٤هـ	أبو العز عبد العزيز المتوكل على الله الثاني	١٤٧٩م
٩٠٣ ـ ٩٢١هـ	تقريباً أبو الصبر يعقوب المستمسك بالله	١٤٩٨ـ١٥١٥م
٩٢١ ـ ٩٢٢هـ	محمد المتوكل على الله ابن يعقوب أبو الصبر	١٥١٥ـ١٥١٦م

ينتسب العباسيون إلى العباس بن عبد المطلب، آخر أعمام الرسول ﷺ وفاة من بعده، وقد استطاع حفيده محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أن يؤسس جماعة سرية توسعت في خراسان حوالي ثلاثين سنة تولاها خلالها محمد حتى وفاته سنة (١٢٥هـ)، وتولاها من بعده ابنه إبراهيم المعروف بالإمام، والذي أمر بالثورة على الأمويين سنة

(١٢٨هـ). وقد استطاع أبو مسلم الخراساني، الذي تزعم الثورة، أن يجمع الأحقاد المختلفة ضد الأمويين في قناة واحدة ويطارد الوالي نصر بن سيار حتى توفي وهو مهزوم.

وتحرك الثوار إلى العراق بقيادة قحطبة الطائي، ثم ابنه الحسن فاحتلوا الكوفة وأعلنوا خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد الذي توجه شمالاً فانتصر على مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، في معركة الزاب سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م. وخلصت الخلافة لأبي العباس أربع سنوات ثم تولاها أخوه أبو جعفر الذي كان جميع الخلفاء العباسيين فيما بعد من نسله.

ويقسم المؤرخون العهد العباسي إلى أقسام أو عصور: ففي العصر الأول، عصر القوة، الذي يمتد حتى مصرع المتوكل على الله سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م حكم منهم ١١ خليفة كان أبرزهم المنصور والرشيد والمأمون. وفي العصر الثاني، عصر الفوضى العسكرية، الذي امتد حتى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م حكم منهم عدد من الخلفاء الضعاف الذين سيطر عليهم قواد الجيش والمتنافسون من كبار الوزراء.

وبين سنتي ٣٣٤ و ٤٤٧هـ/ ٩٤٦ و ١٠٥٥م تسلم الحكم الفعلي في بغداد ملوك البويهيين الشيعة، ولم يكن للخليفة العباسي في عهدهم سوى الاسم، وقد أخرجهم من بغداد وصول السلاجقة السنيين الذين أبقوا على الخلافة العباسية وإن لم يكن لها في أيامهم أي قيمة سوى المظهر الديني. وحين انتهى حكم السلاجقة في بغداد سنة ٥٥٢هـ، كانت الخلافة قد تحولت إلى مجرد إمارة صغيرة في وسط العراق لها النفوذ الاسمي في المناطق السنية كلها وليس لها من النفوذ الفعلي شيء.

وبوصول جحافل المغول إلى العراق سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م سقطت بغداد، وكان لسقوطها رنة حزن كبيرة في العالم الإسلامي بعد بقائها ٥٠٠ سنة في الشرق، وبعد توطد احترامها الديني كمركز للخلافة في النفوس.

وقد حاول الظاهر بيبرس، سلطان المماليك، إحياء هذه الخلافة في القاهرة، بل نصب أحد العباسيين الهاربين خليفة في قلعة القاهرة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م واستمر ذلك حتى نهاية العصر المملوكي سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، إلا أن هذه الخلافة الثانية لم تكن أكثر من مظلة للحكم المملوكي تبسط عليه الظل الشرعي، كما كانت سلاحاً معنوياً في الحرب ضد الصليبيين وضد المغول. وقد نقل آخر خلفائهم (المتوكل الثالث) إلى إستانبول سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م بأمر السلطان العثماني سليم الأول ومات هناك.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١٧، ١٣٢، ١٣٤، ٤٢٤.

* * *

العتق = (انظر: رق).

* * *

عثمان بن عفان

ولد عثمان بن عفان سنة ٥١ ق.هـ (بعد عام الفيل بست سنوات) في الطائف، أي كان يصغر الرسول ﷺ بخمس سنوات، وهو أموي ثري، والده عفان بن أبي العاص بن أمية من التجار الأثرياء، خلَّف لولده ثروة نماها عثمان، وأحسن التصرف بها في الجاهلية والإسلام.

أسلم مبكراً على يد أبي بكر، ففرح المؤمنون بإسلامه، لحكمته ومركزه في قريش، وزاد من محبته مصاهرته رسول الله ﷺ بزواجه ابنته رقية. ولما اشتد أذى قريش وحقدها عليه هاجر وزوجته إلى الحبشة، وعاد منها بعد سنوات إلى المدينة، حيث توفيت زوجته بعد بدر، فزوجه الرسول ﷺ ابنته الثانية أم كلثوم، ولذلك لقب بـ «ذو النورين».

كان حييًّا، سخيًّا، جهز جيش العسرة في غزوة تبوك، واشترى بئر رومة من يهودي كان يبيعهم ماءها وجعلها للمسلمين، وكان يصرف في سبيل الله على فقراء المسلمين ومساكينهم من دون حساب.

أرسله رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية إلى قريش ليقنعهم بالسماح للمسلمين بتأدية العمرة، فاحتجزته قريش، فأخذ الرسول ﷺ من صحابته «بيعة الرضوان»، وكادت أن تقع الحرب بين الطرفين بسببه. وكان أبو بكر وعمر يقدمانه ويستشيرانه، واختاره عمر أحد أعضاء مجلس الشورى الستة الذين عهد إليهم باختيار الخليفة بعد وفاته، فرشحه ذلك المجلس للخلافة، وبايعته الأمة، فكان ثالث الخلفاء الراشدين. وتولى الخلافة سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م. وامتدت في عهده الفتوحات، وهو أول من أجاز الغزو البحري، أجازه لواليه على بلاد الشام معاوية بن أبي سفيان، الذي يعدُّ منشيء الأسطول العربي الإسلامي.

ومع كل ذلك فقد شهد عهده فتنة أدت إلى مقتله، فقد انتقد كثير من الناس بعض تصرفاته وطريقة حكمه، وتقريب أهله وعشيرته. كما فرضت ظروف الدولة الناشئة وطبيعة التحول الاجتماعي في ذلك العصر، وتوقف بعض الجيوش المسلمة عند حواجز طبيعية، من بحار وجبال، لم تستطع تجاوزها، وكثرة الأموال، وظهور طبقة من الرعاع، وأخرى من الأغنياء الذين يرافق ظهورهم البطر، والغش، وسوء الأخلاق، وانتشار اللهو، وظهور حركات سرية قادها أناس ادعوا الإسلام ودخلوا فيه لهدمه من الداخل. كل ذلك فرض تحولات وظروفاً أدَّت إلى ثورة قادها جماعة قدموا من مصر إلى المدينة، وانضم إليهم كثير من الرعاع والناقمين من أهل البصرة والكوفة، وحاصروا منزل الخليفة وطلبوا منه التنازل عن الخلافة، ولما رفض ذلك قتلوه، في يوم الجمعة ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م وكان قد تجاوز الثمانين من العمر. وكان مقتله بداية فتنة لا يزال المسلمون يعانون من آثارها حتى العصر الحاضر.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٤٦٦، ١/٤٦٦، ١/٤٨٦.

* * *

العثمانيون (٦٩٨ ـ ١٣٤٣هـ/ ١٣٩٩ ـ ١٩٢٤م)

١ـعثمان الأول	٦٩٨ـ٧٢٦هـ	١٢٩٩ـ١٣٢٦م
٢ـأورخان	٧٢٦ـ٧٦١هـ	١٣٢٦ـ١٣٥٩م
٣ـمراد الأول	٧٦١ـ٧٩٢هـ	١٣٥٩ـ١٣٨٩م
٤ـبايزيد الأول	٧٩٢ـ٨٠٥هـ	١٣٨٩ـ١٤٠٢م
٥ـمحمد الأول	٨٠٦ـ٨٢٤هـ	١٤٠٣ـ١٤٢١م
٦ـمراد الثاني	٨٢٤ـ٨٥٥هـ	١٤٢١ـ١٤٥١م
٧ـمحمد الثاني	٨٥٥ـ٨٨٦هـ	١٤٥١ـ١٤٨١م
٨ـبايزيد الثاني	٨٨٦ـ٩١٨هـ	١٤٨١ـ١٥١٢م
٩ـسليم الأول	٩١٨ـ٩٢٦هـ	١٥١٢ـ١٥٢٠م
١٠ـسليمان الأول	٩٢٦ـ٩٧٤هـ	١٥٢٠ـ١٥٦٦م
١١ـسليم الثاني	٩٧٤ـ٩٨٢هـ	١٥٦٦ـ١٥٧٤م
١٢ـمراد الثالث	٩٨٢ـ١٠٠٣هـ	١٥٧٤ـ١٥٩٥م
١٣ـمحمد الثالث	١٠٠٣ـ١٠١٢هـ	١٥٩٥ـ١٦٠٣م
١٤ـأحمد الأول	١٠١٢ـ١٠٢٦هـ	١٦٠٣ـ١٦١٧م
١٥ـمصطفى الأول	١٠٢٦ـ١٠٢٧هـ	١٦١٧ـ١٦١٨م
١٦ـعثمان الثاني	١٠٢٧ـ١٠٣١هـ	١٦١٨ـ١٦٢٢م
١٧ـمصطفى الأول	١٠٣١ـ١٠٣٢هـ	١٦٢٢ـ١٦٢٣م
١٨ـمراد الرابع	١٠٣٢ـ١٠٤٩هـ	١٦٢٣ـ١٦٤٠م
١٩ـإبراهيم	١٠٤٩ـ١٠٥٨هـ	١٦٤٠ـ١٦٤٨م
٢٠ـمحمد الرابع	١٠٥٨ـ١٠٩٩هـ	١٦٤٨ـ١٦٨٧م
٢١ـسليمان الثاني	١٠٩٩ـ١١٠٢هـ	١٦٨٧ـ١٦٩١م
٢٢ـأحمد الثاني	١١٠٢ـ١١٠٦هـ	١٦٩١ـ١٦٩٥م
٢٣ـمصطفى الثاني	١١٠٦ـ١١١٥هـ	١٦٥٩ـ١٧٠٣م
٢٤ـأحمد الثالث	١١١٥ـ١١٤٣هـ	١٧٠٣ـ١٧٣٠م
٢٥ـمحمود الأول	١١٤٣ـ١١٦٨هـ	١٧٣٠ـ١٧٥٤م
٢٦ـعثمان الثالث	١١٦٨ـ١١٧١هـ	١٧٥٤ـ١٧٥٧م
٢٧ـمصطفى الثالث	١١٧١ـ١١٨٧هـ	١٧٥٧ـ١٧٧٤م
٢٨ـعبد الحميد الأول	١١٨٧ـ١٢٠٢هـ	١٧٧٤ـ١٧٨٩م
٢٩ـسليم الثالث	١٢٠٣ـ١٢٢٢هـ	١٧٨٩ـ١٨٠٧م

٣٠ـمصطفى الرابع	١٢٢٢ـ١٢٢٣هـ	١٨٠٧ـ١٨٠٨م
٣١ـمحمود الثاني	١٢٢٣ـ١٢٥٥هـ	١٨٠٨ـ١٨٣٩م
٣٢ـعبد المجيد	١٢٥٥ـ١٢٧٧هـ	١٨٣٩ـ١٨٦١م
٣٣ـعبد العزيز	١٢٧٧ـ١٢٩٣هـ	١٨٦١ـ١٨٧٦م
٣٤ـعبد الحميد الثاني	١٢٩٣ـ١٣٢٧هـ	١٨٧٦ـ١٩٠٩م
٣٥ـمحمد رشاد الخامس	١٣٢٧ـ١٣٣٦هـ	١٩٠٩ـ١٩١٨م
٣٦ـمحمد وحيد الدين	١٣٣٦ـ١٣٤١هـ	١٩١٨ـ١٩٢٢م

ينتسب العثمانيون إلى عثمان خان الأول بن أرطغرل بن سليمان شاه (٦٩٨ ـ ٧٢٨هـ/ ١٢٩٩ ـ ١٣٢٦م) الذي يعتبر مؤسس الأمبراطورية العثمانية، وقد تحدد في عهده الوضع الديني والعسكري والسياسي للأتراك العثمانيين.

وقد تكونت الأمبراطورية العثمانية بالشرق الأدنى على يد الأتراك العثمانيين بعد تفكك الأمبراطورية السلجوقية، واتسعت رقعة البلاد تحت عدد من السلاطين الأكفاء، كان أولهم عثمان خان الأول، ثم مراد الأول وبايزيد الأول، على حساب الأمبراطورية البيزنطية ومملكتي بلغاريا وصربيا، فأحرز الأتراك انتصارات باهرة في معارك بورصة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٦م وقوصوه ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م ونيقوبول ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م، لكن امتداد الأمبراطورية توقف لفترة قصيرة عندما هزم تيمورلنك بايزيد الأول وأسره سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م.

وفي سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٣م سقطت القسطنطينية في يد السلطان محمد الثاني. وبلغت الأمبراطورية العثمانية أوجها في عهد السلطان سليم الأول ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م الذي انتصر على سلطان المماليك قانصوه الغوري في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م واستولى على سوريا ومصر، وتنازل له الخليفة العباسي المتوكل عن لقب الخلافة. كما اتسعت الأمبراطورية العثمانية في عهد سليمان القانوني ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م الذي فتح معظم بلاد اليونان والجزائر والمجر، وكثيراً من أنحاء فارس، وصارت ولايات ترانسلفانيا والأفلاق والبغدان إيالات خاضعة لتركيا.

وبعد موت السلطان سليمان القانوني بدأ الضعف يدب بأوصال الأمبراطورية العثمانية، فقد أصيبت بأول انكسار حربي عندما هُزم الأسطول التركي في معركة ليبانتو البحرية ٩٧٨هـ/ ١٥٧١م أمام الأسطولين الإسباني والبندقي. وكانت أكبر صدمة لحقت بالعثمانيين عند اضطرارهم إلى رفع الحصار عن فيينا سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م التي خف لمساعدتها ملك بولندا جون الثالث، وتلت هذه الهزيمة اندحار الجيش العثماني أمام قوات شارل الخامس أمير اللورين، ولويس دوق بادن ويوجين أمير سافوي، فأكره العثمانيين على عقد معاهدة كارلوونز سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م التي تنازلوا فيها عن بلاد المجر وممتلكات أخرى.

وأخذ التدهور السياسي والضعف يسريان في جسم الدولة فصار قواد الإنكشارية ينصِّبون السلاطين ويخلعونهم، وانتشرت الرشوة وتغلغل الفساد. وضاعف من سرعة الانهيار حروب روسيا ضد تركيا في القرن الثامن عشر الميلادي، حتى صار مصير تركيا بعد حرب الاستقلال اليونانية مصدر قلق للدول الأوروبية التي خشيت توسع روسيا وضياع الامتيازات الأجنبية التي كسبوها في سلسلة من المعاهدات، والتي مكنتهم من السيطرة على مقدرات وشؤون الدولة العثمانية.

ومع أن رئيس الوزراء مدحت باشا حاول إدخال بعض الإصلاحات الضرورية، ووضع دستوراً للسلطنة العثمانية سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، فقد ألغى السلطان عبد الحميد الثاني الدستور وأوقف الإصلاحات. وفي العام ١٣٢٩هـ/ ١٩٠٨م قام حزب الاتحاد والترقي بحركة إصلاحية قومية، وأكره عبد الحميد على التنازل عن السلطنة. وفي الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م تحالفت تركيا مع ألمانيا والنمسا، ومع أن الجيش التركي أحرز نصراً باهراً في جاليبولي سنة ١٩١٥م على الجيش البريطاني، إلا أنه هزم في سائر الميادين، وانهارت

تركيا في ١٩١٨م أمام ضربات البريطانيين والجيش العربي في العراق وفلسطين وسوريا، وانتزعت منها كل أملاكها في آسيا بمقتضى معاهدة سيفر، وبإلغاء مصطفى كمال السلطنة عام ١٩٢٢م طويت صفحة الأمبراطورية العثمانية التي حفلت بأروع الانتصارات وأقسى الانكسارات.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٣٥.

* * *

عديٌّ بن مسافر

الشيخ عديٌّ بن مسافر من مواليد قرية «خربة قنافار» في البقاع الغربي في لبنان، ومولده كان سنة (٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م). انتقل إلى بغداد طلباً للعلم، وفيها التقى الشيخ عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة الصوفية المشهورة، وأخذ عنه وتأثر به، وسلك طريق التصوف والزهد بعدها.

من بغداد انتقل إلى الهكارية، وهي فوق الموصل في العراق في بلد جزيرة ابن عمر، وسكانها مع محيطها من الأكراد، فعرف بعدها باسم: عدي بن مسافر الهكاري. وإقامة عدي كانت في قرية ليلش شرقي الموصل بالتحديد.

عاش فيها والتف حوله الأتباع والمريدون، وعرفت طريقته الصوفية باسم العدوية. كانت وفاته سنة ٥٥٧هـ، وقد تمَّ دفنه في زاويته، وقبره كان مزاراً لأتباع الطريقة العدوية قبل أن يتحولوا إلى اليزيدية مع الشيخ حسن.

مات عدي عازباً، ويرفعون نسبه إلى الخليفة الأموي مروان بن الحكم. وخلفه على أتباعه ابن شقيقه أبو البركات صخر بن صخر بن مسافر، وبعد وفاته خلفه ابنه عدي بن صخر ثم كان حسن بن عدي بن صخر بن مسافر الذي لقب بتاج العارفين، وهذا الأخير، أي حسن، هو الذي أدخل الزيغ والانحراف إلى الطريقة العدوية حيث تحولت إلى الطائفة اليزيدية التي تقدس الشيطان باسم طاووس ملك، والتي عدت بعد ذلك أن مؤسسها الأول هو عدي بن مسافر، وقبره في ليلش اليوم يعد مكان حجها، ولا تزال القيادة عند اليزيديين حتى اليوم والدينية خاصة في سلالة الشيخ، مع أن الشيخ عدي لم يؤسس اليزيدية ولا علاقة له بها ومؤسسها هو حسن حفيد ابن شقيقه، كما سبق القول.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٢٤، ٥٠٠، ٥٨١، ٥٨٨.

* * *

العرف

العرف ـ بضم العين ـ المعروف، وهو خلاف المنكر. وفي التنزيل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

كما يطلق ويراد به: العادة، والمكان المرتفع، وموج البحر. أو هو: ما تعرف من أمور العقلاء على نسق واحد.

ويراد به عند الإطلاق: ما تعارفه الناس وساروا عليه من قول، أو فعل، أو ترك.

والعرف أصل فقهي أخذ العمل به، من قول النبي ﷺ: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) [مستدرك الحاكم].

والعرف نوعان: صحيح، وفاسد. فالعرف الصحيح ما تعارفه الناس ولا يخالف دليلاً شرعياً ولا يحل محرماً ولا يبطل واجباً، مثل تجزئة المهر إلى معجل ومؤجل. وأما العرف الفاسد فهو: ما تعارفه الناس، ولكنه يخالف الشرع، أو يحل المحرم، أو يبطل الواجب، كالتعارف على أكل الربا، وعقود المقامرة.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٤٧، ٥١، ٥٨، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٤١.

* * *

العرفان = (انظر: إشراق).

* * *

العصمة

العصمة، في اللغة تعني: المنع والحفظ، وعصمة الله عبده: أن يحفظه مما يوبقه. واعتصم فلان بالله إذا امتنع به.

وتطلق العصمة على عقد النكاح، قال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة/ ١٠]، أي بعقد نكاحهن.

العصمة في الفقه الإسلامي: تختلف الأحكام المتعلقة بالعصمة باختلاف إطلاقها:

العصمة بالمعنى الأول: العصمة المقوَّمة: يثبت بها للإنسان وماله قيمة، بحيث يجب القصاص أو الدية أو الضمان على من هتكها، وتتحقق للإنسان بالنطق بالشهادتين، فمن نطق بهما عصم دمه وماله، ولأهل العهد أن يؤمَّنوا على دمائهم وأعراضهم، وعلى الإمام حمايتهم.

العصمة في المعنى الثاني: العصمة المؤثمة: وهي التي يأثم هاتكها، إنما لا يجب عليه قصاص ولا دية ولا ضمان، كقتل القريب المشرك، فإنه يأثم قاتله ولكن لا قصاص عليه ولا دية، بل عليه التوبة والاستغفار.

العصمة في المعنى الثالث: العصمة في النكاح: تطلق العصمة مجازاً على النكاح، وإن كانت في الأصل تعني، لغة، المنع والحفظ. قال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة/ ١٠]، والمقصود بالعصمة هنا النكاح، أي لا تتمسكوا بزوجاتكم الكافرات، فليس بينكم وبينهن علاقة زوجية، أي عصمة، ومن كانت له امرأة كافرة بمكة فلا تعدُّ من نسائه، لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه فلا يمنع نكاح خامسة ولا نكاح أختها.

والأصل أن الطلاق بيد الزوج، إلا أن الزوجة تملك استثناء حل عقدة النكاح وهذا ما يسمى بعصمة النكاح. فقد رأى بعض الفقهاء أنه يجوز أن يفوِّض الرجل امرأته في تطليق نفسها منه.

ويرى فقهاء الحنفية أنه إذا نكح الرجل المرأة على أن أمرها بيدها، صح إذا ابتدأت المرأة فقالت: زوجت نفسي منك على أن أمري بيدي أطلق نفسي متى شئت، فقال الزوج: قبلت، جاز النكاح وصار أمرها بيدها.

أما المالكية فيرون أن اشتراط المرأة أن يكون أمرها بيدها شرط مخل بعقد النكاح.

العصمة في المعنى الرابع: عصمة الإمام: عصمة الإمام من المبادىء الأساسية في كيان الشيعة العقدي. فالإمام، وفقاً لرأي الشيعة، معصوم من الذنوب الصغيرة والكبيرة ولا يقع منه ذنب أصلاً ولا عمداً ولا نسياناً ولا خطأً في التأويل ولا للسهو.

ينسب ابن تيمية معتقد العصمة إلى ابن سبأ، في حين يرى بعض فقهاء المسلمين أن القول بعصمة الإمام لم يعرف في عصر الصحابة والتابعين وإنما ابتُدع هذا القول في زمن هشام بن الحكم، وأول من قال بالعصمة شخص يطلق عليه الشيعة اسم «مؤمن آل محمد» واسمه محمد بن علي الأحول. وهناك من يرى أن فكرة العصمة بدأت في عهد جعفر الصادق. وتنسب كتب الشيعة العصمة إلى زين العابدين علي بن الحسين الذي قال: «المعصوم هو من اعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن»، ويقول هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله، أي جعفر الصادق، عن معنى الإمام المعصوم فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله.

وهناك من يرى أن الشيعة قد تأثَّروا بالفكر الاعتزالي، واصطبغ مفهوم العصمة عندهم بفكرة اللطف الإلهي وفكرة الاختيار الإنساني. فالعصمة، وفقاً لرأي هذا الفريق، هي: «اللطف يفعله الله تعالى

بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة مع قدرته عليها».

ويرى بعض الشيعة أن الإمام معصوم ومطهر من كل دنس، وأنه لا يذنب ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصي الله، ومن نفى العصمة عنه في شيء من أحواله فقد جهله، ومن جهله فهو كافر، فالإمام موصوف بالكمال والتمام والعلم.

ويستدل الشيعة على عصمة الإمام بالقرآن الكريم، وبخاصة الآية: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [البقرة/ ١٢٤]، لأن الله سبحانه وتعالى، وفقاً لرأيهم، نفى أن ينال عهده، الذي هو الإمامة، ظالم، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره. كما استدل الشيعة بالسنة وبالأدلة العقلية.

وهناك من يرى أن العصمة في هذا المعنى، أي عصمة الإمام، تضاهي المشاركة في النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالَف في شيء، وهذه خاصة الأنبياء، وهذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

والإمام المعصوم هو الذي بلغ من العلم بالشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطىء معها أبداً، وهو الذي يحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات ويقيم الحدود والفرائض، ويؤاخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير. وعصمة الإمام ظاهرة وباطنة، وأنها تكون قبل أن يكون إماماً، وبعد توليه الإمامة، كما تجري خوارق العادة على يد الإمام لتثبت إمامته.

نشأة العصمة: يقرر ابن تيمية أن معتقد العصمة كان من آراء ابن سبأ، غير أنه لم يؤثَر عن ابن سبأ هذا اللفظ على الرغم من أنه نُقل عنه ما يؤدي إلى القول بالعصمة، قبل القول بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويرى القاضي عبد الجبار أن القول بعصمة الإمام لم يعرف في عصر الصحابة والتابعين لهم إلى زمن هشام بن الحكم حيث ابتدع هذا القول.

وقد رأى دونلدسن أن هناك احتمالاً بأن فكرة العصمة بدأت في عصر جعفر الصادق.

العصمة في القانون الوضعي:

هل هناك عصمة في نطاق القانون الوضعي؟.

مما لا شك فيه أن العصمة في معانيها المختلفة لم تعرف في القانون الوضعي، لأن العصمة في المعنى الأول والثاني والرابع تتعلق بقضايا عقدية دينية، ولا مجال لبحث ما إذا كان القانون الوضعي قد عرَّف العصمة في إطار هذه المعاني، إلا أنه في موضوع العصمة في النكاح فإنه من المفيد التصدي لهذا السؤال لمعرفة ما إذا كان القانون الوضعي قد عرف مثل هذه الحالة.

ومن مراجعة ما كُتب في إطار القانون الوضعي بما يتعلق في مسألة الزواج المدني، يتبين أن الفكر القانوني الوضعي لم يعرف شرط إبقاء العصمة بيد المرأة كما عرفها الفقه الإسلامي، لأن الطلاق، بالمفهوم الوضعي، يختلف أساساً عن الطلاق بالمفهوم الإسلامي، وبالتالي فإن للطلاق المدني إجراءاتٍ تتفاوت ما بين بلد وآخر، إلا أنها تتفق جميعاً في نفي تخويل المرأة التفويض في أن تطلِّق نفسها متى شاءت على النحو الذي يقرره الفقهاء المسلمون، فشريعة الإسلام تتفرد في منح المرأة هذه الميزة.

فوزي أدهم

المراجع: ١٢١، ١٥١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٧، ٣٦١، ٣٧٢، ٤٤١.

* * *

العِلَّة

العلة في اللغة عبارة عما اقتضى تغييراً، ومنه سميت علة المريض لأنها اقتضت تغيير الحال في حقه. فهي اسم لعارض يتغير به وصف المحل بحلوله لا عن اختيار. وقيل: هي مستعملة فيما يؤثر في أمر، سواء كان المؤثر صفة أو ذاتاً.

والعلة: هي المعنى المقتضي للحكم في الشرع، وقد يعبر عن العلة بالمعنى الذي يجتمع فيه الأصل والفرع. وحقيقة العلة هي الجالبة للحكم، أو المؤثرة في الحكم أو الموجبة للحكم، فهي خارجة عن الشيء مؤثرة فيه.

وهي في اصطلاح العلماء تطلق على معان منها: ما يسمى علة حقيقية، وشرعية، ووصفاً، وعلة اسماً ومعنى وحكماً.

وفي الاصطلاح الدقيق عند أهل أصول الفقه: هي الوصف الذي بني عليه حكم الأصل، وبالنظر إلى وجوده في الفرع يسوى بالأصل في حكمه.

والعلل الشرعية كلها معرفات وأمارات، لأنها ليست في الحقيقة مؤثرة بل المؤثر هو الله تعالى.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٢٨٠، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٤١.

* * *

علم القراءات

علم القراءات موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه. وعلم القراءات يفيد معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج، مما وصل إلينا من قراءات القرآن.

ومن أوائل من كتب في القراءات علم الدين السخاوي من علماء القرن السابع.

ولاختلاف القراءات وتعدد الحروف التي نزل عليها القرآن الكريم فوائد منها: جمع الأمة الإسلامية على لسان واحد يوحّد بينها وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، ومنها بيان حكم من الأحكام كقوله سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء/ ١٢]، قرأ سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت من أم» بزيادة لفظ: «من أم» فتبين بها أن المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأم دون الأشقاء ومن كانوا لأب، وهذا أمر مجمع عليه. ومثل ذلك قوله سبحانه في كفارة اليمين: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة/ ٨٩]، وجاء في قراءة: «أو تحرير رقبة مؤمنة» بزيادة لفظ: «مؤمنة» فتبين بها اشتراط الإيمان في الرقيق الذي يحتق كفارة يمين. ومنها الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين كقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢]، قرىء بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة ﴿يَطْهُرْنَ﴾، ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين: أحدهما أن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض، وثانيهما أنها لا يقربها زوجها أيضاً إلا إن بالغت في الطهر وذلك بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما في جواز قربان النساء.

وفي تنوع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله وعلى صدق مَنْ جاء به، وهو رسول الله ﷺ. فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله، على تنوع قراءاته، يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف.

ومن أشهر كتب القراءات: حجة القراءات لابن زنجلة، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، والإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١١/١، ٥٣٠/١.

* * *

علم الكلام

قال فيه ابن خلدون: «هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة والمنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة. وسرُّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد».

أما بشأن المصطلح فقد تعددت الآراء عن أصل نشأته. فمن الباحثين من قال: إن علم الكلام تأثر بالمنطق وأسلوبه المأخوذ من اليونان، ولأن كلمة «منطق» أساسها من الفعل «نطق» ومن المصدر «النطق»، والنطق في العربية الكلام، لذلك سُمِّي العلم المعتمد على أساليب المنطق للدفاع عن الدين بعلم الكلام.

ومنهم من قال: إن هذا العلم تفرَّد من بين العلوم بمنهج علمي عقلي خاص يصاغ على شكل دليل دفاعي عن العقيدة كتابة أو شفهياً فسمي كلاماً.

ومنهم من يرد ذلك إلى سبب آخر هو: إن المشتغلين في هذا الميدان من العلوم الدينية - خاصة المسلمين - قد تطرقوا إلى مسائل لم يتناولها بالبحث السلف من الأولين، فتكلموا فيها، وأطلق عليهم بسبب ذلك اسم الكلاميين.

وهناك رأي آخر يقول: إن سبب التسمية هو أن المشتغلين في هذا الباب من الفكر الديني قد تنازعوا القول حول كلام الله تعالى، القرآن الكريم، وبسبب ذلك أُطلقت عليهم تسمية الكلاميين.

فعلم الكلام، تأسيساً على ما تقدم، هو علم يدافع عن الإيمان الديني بترتيب الأدلة العقلية كلامياً انطلاقاً من مسلمات وردت في النصوص قرآناً وسنّة، وهو يعتمد دراسة النصوص عقلياً دون إلقاء بال للقلب كما هي الحال في التصوف.

وعلم الكلام يختلف كذلك عن الفلسفة، ووجه الاختلاف هو أن المشتغل بعلم الكلام «يبدأ من مسلَّمات عقدية يفترض صحتها؛ أي أن المتكلم يبدأ من قاعدة معترف بها ثم يتلمس الطرق التي تؤدي إلى إثبات هذه القاعدة، أما الفيلسوف فإنه يبدأ من درجة الصفر، أي من قواعد المنطق الأساسية والمقدمات البديهية، ويتدرج منها إلى النتائج».

فعالِم الكلام ليس حائراً يبحث عن هداه في الميدان العقدي، وإنما هو مؤمن يحاول فهم النصوص الشرعية والدفاع عن عقيدة التوحيد.

وقد ميَّز الشهرستاني بين علم الكلام والفقه فقال: «من تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه.

وقال بعض العقلاء: كل ما هو معقول، ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال، فهو من الأصول، وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع».

وتعددت عوامل أسباب نشأة علم الكلام، ويمكن إجمالها بما يلي:

١ - الإمامة والخلافة وما دار حولها بين القائلين من المسلمين بأن اختيار الحاكم هو حق للأمة وبين القائلين بالنص.

٢ - النصوص والآيات المتشابهة التي تحتمل التأويل وأكثر من وجه في التفسير، ومنها ما تفيد التسيير ومنها ما تفيد التخيير.

٣ - الدعوة الدينية وما رافقها من دفاع عن الدين بحجج المنطق وأساليبه.

٤ - الفلسفات الوافدة، اليونانية وسواها، وما حملته من مفاهيم وأفكار تقترب أو تبعد من جوهر الدين الحق.

على أساس ذلك انقسمت المدارس في علم الكلام بين الجبر والاختيار، وبين النقل أو العقل، وبين النص والأخذ بالرأي، وبين القول بأن القرآن محلوق أو غير مخلوق... الخ.

وبرزت مدارس كلامية عديدة كالمعتزلة

والأشعرية والجبرية والقدرية والمرجئة وغيرها.

والغزالي الذي كان ينشد المعرفة، ويسعى للدفاع عن الدين وجد فائدة في علم الكلام، ولكنه لم ير فيه إشباعاً لمطلبه المعرفي، ولذلك قال: «ثم إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علماً وافياً بمقصوده، غير وافٍ بمقصودي؛ وإنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة. ولقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله تعالى إليه فأحسنوا الذبَّ عن السنَّة، والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة، والتغيير في وجه ما أُحدث من البدعة».

إن علم الكلام من الإبداعات التي أعطاها العقل العربي، وهو مفيد إذا كان في ميدان الدعوة والإقناع والدفاع ضد الملاحدة، وتكون الفائدة كذلك إذا ما اتجهت الأبحاث في علم الكلام إلى الجوانب التشريعية المتعلقة بحياة الإنسان وما يحيط به، تاركة البحث في الأمور الغيبية التي يعجز العقل البشري عن الإحاطة بها.

ويقدم ابن خلدون نصيحة في هذا الباب يقول فيها: «غير أنك لا تطمع أن تزن به (العقل) أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلٓهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثل رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال... لكن للعقل حداً يقف عنده ولا يتعدى طوره».

نخلص إلى القول: إن وقف الكلام في الغيبيات والمتشابه من آيات القرآن ضروري ليكون نطاق البحث مقنناً بما يدخل ضمن إطار قدرات الإنسان العقلية، وعندها يكون علم الكلام مفيداً.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤١، ٥٢٠، ٥٢٤، ٥٣٣.

* * *

العلويون

يحب العلويون اسمهم، فهو نسبة إلى الإمام علي رضي الله عنه، ولكن بعض الدارسين يطلقون عليهم اسم «النصيريَّة» نسبة إلى «أبي شعيب محمد ابن نصير البصري النميري» الذي كان باباً للإمام الحادي عشر «حسن العسكري». ويرى آخرون، ومنهم الشيخ علي عزيز الإبراهيم، أن تسمية النصيرية إنما هي نسبة إلى المكان الذي التجأوا إليه، وعاشوا فيه، وهو «جبل النصيرة»، في شمال غربي سورية، المعروف في الوقت الحاضر باسم «جبل العلويين» وقد ذكر ذلك في كتابه «العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع» في فصل «من هم العلويون ـ أصلهم ونشأتهم».

ويقيم غالبية العلويين في قرى جبل العلويين، وفي اللاذقية، وجبلة، وبانياس، وصافيتا، وتل كلخ، وفي لواء اسكندرون الذي اقتطعته فرنسا من سورية ومنحته إلى تركيا، وفي بعض المناطق التركية مثل أدنة وسيواس وطرسوس وقراهما.

وينقسم العلويون إلى جماعات وعشائر كثيرة، وقد تحمل العشيرة اسم جدها، أو البلدة التي تنتسب إليها، أو الشيخ الذي تولى زعامتها، أو صنعة اشتهرت بها.

ويرى «د. مصطفى الشكعة» في كتابه «إسلام بلا مذاهب» أن قضية العشائر العلوية قضية معقدة، لأنها لا تخضع إلى النظام العشائري المعروف من حيث الانتماء العرقي، وإنما هي مجموعات من القوم ارتبطت برباط الإقامة، أو المصلحة المشتركة، أو العقيدة، أو الوشيجة الصوفية، أو الحلف ضد الأخطار.

ومن عشائرهم: الخياطية، نسبة إلى الشيخ علي الخياط، وعشائر السنجارية الغسانية القحطانية، وهم جاؤوا إلى جبل النصيرة تحت قيادة الأمير حسن بن يوسف المكزون السنجاري، لإنقاذ علويي المنطقة من اعتداءات جيرانهم من إسماعيلية وأكراد، ومنهم عشيرة بني علي، وعشيرة الكلبية، وعشيرة المهالبة، وعشيرة الحدادين، وعشيرة المتاورة، وعشائر المصرية الهاشمية العدنانية، ومنهم عشيرة المحارزة.

أما القراطلة: فهم من الأتراك الذين أتى بهم السلطان سليم إلى مناطق العلويين، ولما لم يكن لهم عصبية عربية فقد التحقوا ببقية العشائر.

وأما الحيدريون: فهم من عشائر متنوعة، ولكن لهم وحدة مذهبية.. وهناك عشائر أخرى لا مجال هنا للتوسع في الحديث عنها.

وأما عقائد العلويين، فالذين كتبوا عنها، منهم ومن غيرهم، قسموا العلويين إلى غلاة ومعتدلين. ونسبوا المغالاة إلى الجهل، وإلى عوامل تاريخية، بدأت منذ فترة بالزوال، ونظراً لأن الغلاة يكتمون معتقداتهم، والحديث عنها لا يخرج عن نطاق الخرص والتخمين، نحجم عن الخوض فيها ونحيل القارىء إلى الكتب التي يدعي من كتب عنهم أنه أخذ منها، وهي: كتاب المجموع، كتاب الدلائل، كتاب التأييد للشيخ محمد الكلازي، كتاب جدول النوراني، كتاب الباطن، كتاب الدستور، كتاب الهفت، عينية الطوسي، دواوين أبي عبد الله الحسين الخصيبي، ديوان المنتجب العاني، الباكورة السليمانية، وهذه الكتب يصعب الوصول إليها، ولم يتيسر لنا الاطلاع على معظمها ولم نجد أحداً يتبناها، أو يدعي اعتقاده بما جاء فيها، لذلك نكتفي بذكر معتقدات المعتدلين، مقتبسة باختصار من بيان لهيئة كبار علمائهم صدر في العام ١٩٧٢م، وذلك انسجاماً مع ما التزمنا به في هذه الموسوعة بأن نذكر ما يقول به أتباع كل عقيدة لا ما يقوله الناس عنها، ومما جاء في هذا البيان:

«نعتقد بأن الدين هو الإقرار بإلّه موجود للكائنات، والقيام بعبادته تعالى بامتثال أوامره والانتهاء عن مناهيه، وآخر الأديان الإلّهية وأكملها هو الدين الإسلامي. والإسلام هو الإقرار

بالشهادتين: أشهد أن لا إلّه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. أما الإيمان، فهو الاعتقاد الصادق بوجود الخالق سبحانه، والإقرار بالشهادتين، والتزام العمل بأحكام الدين الإسلامي من أصول وفروع.

وأصول الدين خمسة: التوحيد والعدل والنبوَّة والإمامة والمعاد، وتجب معرفتها بالدليل الموجب للعلم لا بالظن ولا بالتقليد، ولهذا سميت بأصول العقائد. وفروع الدين كثيرة تتضمن العبادات والمعاملات وغير ذلك. ويخيَّر المسلم في معرفتها بين الدليل وبين تقليد العالِم المجتهد الحيّ المؤمن العاقل البالغ العادل. والله واحد لا شريك له في الملك، متصف بصفات الكمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١]، وأنه كما نص القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص/١ ـ ٤]، وهو عادل منزَّه عن الظلم، ولا يأمر الناس إلا بما فيه صلاحهم، ولو خفي عنهم وجه الصلاح. وهو يصطفي من خيرة عباده الصالحين رسلاً لإبلاغ رسالاته إلى الناس. ونعتقد بأن الأنبياء كثيرون ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، أولهم سيدنا آدم عليه السلام وآخرهم سيدنا محمد بن عبد الله، وشريعته هي آخر الشرائع الإلّهية وأكملها، وهي صالحة لكل زمان ومكان. ونعتقد بأن الإمامة منصب إلّهي تقتضيه الحكمة الإلّهية لمصلحة الناس في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة، وفي القيام بعدهم بالمحافظة على تطبيق الأحكام بين الناس، ولهذا نعتقد اقتضاء اللطف الإلّهي بأن يكون تعيين الإمام بالنص القاطع الصريح، وأن يكون معصوماً عن الذنب والسهو والخطأ، مثل النبي سواء بسواء. والإمام الذي نصَّ عليه الله تعالى، وبلَّغنا عنه رسوله الصادق الأمين ﷺ في مواقف متعددة وأحاديث متواترة، هو سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده ابناه الحسن فالحسين، سيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام. ثم تسعة من ذرية الحسين هم: الإمام زين العابدين علي بن الحسين، ثم ابنه الإمام الباقر محمد بن علي، ثم ابنه الإمام الصادق جعفر بن محمد، ثم ابنه الإمام الكاظم موسى بن جعفر، ثم ابنه الإمام الرضا علي بن موسى، ثم ابنه الإمام الجواد محمد ابن علي، ثم ابنه الإمام الهادي علي بن محمد، ثم ابنه الإمام الزكي الحسن بن علي، ويعرف بالعسكري هو وأبوه عليهما السلام، ثم الإمام الثاني عشر الحجة ابن الحسن، عجل الله به فرَج المؤمنين، وهو سميُّ جده المصطفى ﷺ، ومن ألقابه: المهدي والمنتظر، وأمر الله، وصاحب العصر والزمان، عليه وعلى آبائه وجده أفضل الصلاة والسلام.

ونعتقد بأن الإمام الثاني عشر عليه السلام حيٌّ موجود مغيَّب عن أبصار الخلق لحكمة إلّهية، يظهره الله سبحانه في آخر الزمان، فيجدد فيه ما اندثر بين الناس من شريعة جده ﷺ، ويملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ونعتقد بأن الله سبحانه يبعث الناس بعد الموت للحساب، فيجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وكما نؤمن بالمعاد فإننا نؤمن بكل ما جاء في القرآن الكريم وبما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ من أخبار البعث والنشور، والجنة والنار، والعذاب والنعيم، والصراط والميزان، وغير ذلك.

ونعتقد بأن فروع الدين كثيرة أهمها: الصلاة والصيام والخُمس والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاية لأولياء الله والبراءة من أعداء الله، وتسمى أركان الدين. ونعتقد باستحباب الأذان والإقامة قبل الدخول في الصلاة. ونعتقد بحصول الثواب على فعل المستحبات، وبعدم العقوبة على ترك فعلها، وفي كل أفعال الصلاة تفصيلات تبينها كتب الفقه.

وأدلة التشريع عندنا هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والعقل. ويقتصر استعمال العقل دليلاً فقهياً على المجتهد، وهو من حصلت عنده مَلَكَة تساعده على استنباط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية، كما أن مرجع التقليد هو المجتهد الجامع لشرائط تسعة، وتشهد له مؤلفاته الفقهية وفتاواه وسلوكه العملي في حياته على أنه (صائن لنفسه حافظ لدينه مخالف لهواه مطيع لأمر مولاه).

ويختتم البيان بما يلي: هذه هي معتقداتنا نحن المسلمين العلويين. ومن يتقول علينا غيرها فإننا نعتبره إما مفترياً مغرضاً، وإما جاهلاً ظالماً، ومن البديهي أنه لا قيمة لقول أحدهما عند العقلاء المتقين. وأما ما يُرى عند بعض جماعاتنا من جهل بالعقيدة أو قول بالرأي أو أعمال لا تتفق وهذه العقائد، فذلك لا يجوز لعاقل منصف أن يعتبره ديناً أو مذهباً، لوجود مثله عند الكثيرين من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى.

والحمد لله أولاً وأخيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ومن الذين حمل البيان توقيعهم، المشايخ: عبد اللطيف إبراهيم مرهج، وعبد الرحمٰن الخير، وحيدر محمد، ومحمود صالح عمران، وحسين سعُود، وسليمان العيسى، وكامل حاتم، وعبد الكريم علي حسين.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٤٠، ٣٦٣، ٣٨٢، ٤٧٥، ٥٢٤.

* * *

علي بن أبي طالب

وُلِد سنة ٢٣ ق.هـ/ ٥٩٩م، وربي في بيت ابن عمه، بيت النبوة، رسول الله ﷺ. أسلم صبياً، فكان أول المسلمين بعد خديجة زوج الرسول ﷺ.

كان فارساً شجاعاً، اختصه النبي بحمل لوائه، واصطحبه في غزواته كلها إلا «تبوك»، حيث استخلفه على المدينة في أثناء غيابه. وعندما آخى بين الصحابة آخاه، وزوجه ابنته فاطمة، وكانت ذرية الرسول ﷺ من هذا الطريق. ولما نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب/٣٣]، دعاه النبي وزوجه فاطمة، وابنيه الحسن والحسين، وألقى عليهم كساء وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجز وطهرهم تطهيراً).

نام في فراش الرسول ﷺ يوم أزمعت قريش على قتله، بعد أن خرج الرسول ليلاً متخفياً ليبدأ رحلة الهجرة إلى المدينة. وقتل عمرو بن عبد ودٍّ، يوم اجتاز بفرسه الخندق ولم يجرؤ أحد على مبارزته، وفيه قال الرسول ﷺ: (لا يحبُّ علياً منافق ولا يبغضه مؤمن) [الترمذي].

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، اختار أهل السقيفة أبا بكر خليفة، فبايعه علي كما بايع عمر بن الخطاب بعده، وكان لهما ناصحاً ومستشاراً.

ولما اغتيل عمر اختاره أحد الستة أعضاء مجلس الشورى الذي عهد إليه باختيار الخليفة بعد وفاته، فاختار المجلس عثمان بن عفان، فبايعه ونصحه، ولم يخرج عن إجماع المسلمين على الرغم من شعوره في قرارة نفسه بأحقيته بالخلافة.

ولما ثار الناس على عثمان سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م حاول درء الفتنة، ولكن نارها كانت أقوى من أن يستطيع إطفاءها.

وبعد مقتل عثمان غدت المدينة تحت رحمة الثوار والرعاع القادمين من الأمصار، وكان عليه أن يقبل التضحية، ويقبل المبايعة خليفة، على ما في ذلك من أخطار، لظنِّه أنه يستطيع قيادة السفينة إلى شاطىء الأمان.

وهكذا استلم الحكم، والدولة الإسلامية مترامية الأطراف، مقطَّعة الأوصال، عاصمته المدينة تحت رحمة الثوار، والأمصار تخضع لولاة مضى عليهم زمن، فألفهم الناس، وانصاعوا لأوامرهم، وزوج الرسول، أم المؤمنين، عائشة، غير راضية عنه يشاركها في ذلك طلحة والزبير، من كبار الصحابة.

في ذلك الجو المضطرب، وفور مبايعته خليفة، اتخذ قراراً بتغيير إداري شامل، فعزل ولاة الأمصار مخالفاً نصيحة المغيرة بن شعبة، وابن عمه عبد الله ابن عباس، اللذين نصحاه بتركهم عاماً، أو على الأقل ترك معاوية والي بلاد الشام، حتى يأخذوا له البيعة من الأمصار (الولايات). وحاول إبعاد العصاة والثوار إلى بلادهم فلم ينجح. واقترح عليه طلحة والزبير استقدام قوات من البصرة والكوفة فرفض الاقتراح.

ولما وجه الولاة الجدد إلى ولاياتهم واجه بعضهم قبولاً، وبعضهم رفضاً، وكان أول الرافضين والي الشام معاوية بن أبي سفيان، الذي أعلن العصيان، فبدأ يعدُّ العدة لمواجهته.

في هذه الأثناء كانت الأمور في مكة تتطور بشكل مثير، فقد عزمت عائشة وطلحة والزبير الخروج إلى البصرة، والمطالبة بدم عثمان، فكان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن يؤجل قتال معاوية، ويتوجه لمقاتلة جيش عائشة، فتحرك على رأس القوات التي جمعها لمقاتلة جيش الشام حتى نزل بذي قار، وانضمت إليه قوات الكوفة، بينما غدت البصرة تحت إمرة عائشة ومعها طلحة والزبير.

وحصلت مفاوضات بين الجانبين، وكاد الفريقان يتصالحان لولا دسائس بعض أصحاب المصلحة في القتال، ومنهم عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء اليهودي الذي أعلن إسلامه، فكانت المعركة التي سميت «وقعة الجمل»، نسبة إلى

جمل كانت تركبه عائشة خلال المعركة، وانتصر فيها جيش علي، وبذلك تعمَّق الخلاف الذي نشأ عن فتنة مقتل عثمان.

وبعدما انتهت وقعة الجمل أخذ أمير المؤمنين علي البيعة من أهل البصرة، وبدأ تنظيم قواته استعداداً لمواجهة معاوية. وتقابل الجيشان في منطقة «صفين»، وبدأت المناوشات في أول ذي الحجة ٣٦هـ/ ٦٥٦م، وتوقفت شهر محرم سنة ٣٧هـ، لتحل محلها المفاوضات والمراسلات التي لم تسفر عن نتيجة، فبدأ القتال في الأول من صفر سنة ٣٧هـ.

ولما لاح النصر لجيش علي رفع جيش معاوية المصاحف، بناء لنصيحة عمرو بن العاص، طالباً تحكيم كتاب الله بينهما، فتوقف القتال، واتفق الطرفان على تعيين حكمين، من كل طرف واحد، للحكم في الخلاف بين الفريقين.

عُقد مجلس التحكيم في دومة الجندل، ولكن المحكمين أبا موسى الأشعري عن علي بن أبي طالب، وعمرو بن العاص عن معاوية بن أبي سفيان اختلفا وفشلا في التوصل إلى حكم، فعاد الفريقان كلٌ إلى مواقعه، يتحضر للحرب.

في هذه الأثناء حصل انقسام شديد في صفوف جيش أمير المؤمنين علي أدى إلى ظهور «الخوارج»، وهم جماعة من المقاتلين الأشداء المتعصبين من دون خبرة بمقاصد الشريعة أو بالشؤون السياسية، فكان على الخليفة أن يتخلص منهم للتفرغ لقتال جيش الشام، فحصلت بينه وبينهم معركة «النهروان»، انتصر فيها عليهم وشتت شملهم.

وبذلك أصبحت الحجاز واليمن والعراق وفارس وخراسان خاضعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي اتخذ من الكوفة عاصمة له، بينما سيطر معاوية والي دمشق على بلاد الشام ومصر، وحاول إبقاء حالة الحرب قائمة بإرساله بعض الجيوش لتغير على مناطق في الحجاز، ثم ما لبث الفريقان أن مالا إلى المهادنة، وكفَّ كلٌ منهما عن الآخر.

لم يرق الأمر للخوارج، فتشاور نفر منهم فيما بينهم، واتخذوا قراراً بقتل الثلاثة الذين قدَّروا أنهم سبب خلاف المسلمين: «علي» و «معاوية» و «عمرو بن العاص»، وتعاهدوا على قتل الثلاثة، على أن يقوم بذلك ثلاثة منهم، كل واحد يتولى قتل واحد، وحدَّدوا وقت التنفيذ في ليلة ١٧ رمضان حيث يحتفل المسلمون بذكرى غزوة بدر، ففشل المكلفان بقتل معاوية وعمرو، بينما نجح ابن ملجم المرادي في قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م.

هكذا كانت حياة حامل راية رسول الله ﷺ وهكذا كان قدره، وبمقتله انتهى عهد الخلفاء الراشدين ليبدأ عهد جديد مختلف عن سابقه.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٢٩٩، ١/٣٤٦، ١/٤٨٦.

* * *

عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، كنيته «أبو حفص» ولقَّبه الرسول ﷺ بـ «الفاروق» لتفريقه بين الحق والباطل.

ولد سنة ٤٠ ق. هـ، وتوفي سنة ٢٣هـ/ ٦٤٤م، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأول من لُقِّب بأمير المؤمنين.

كان من أبطال قريش في الجاهلية، مهاب الشخصية، مرهوب الجانب، ولذلك كان الرسول ﷺ يتمنى إسلامه، ويروى أنه قال: (اللهم أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام) وفي رواية: (اللهم أيِّد الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام) فاستجاب الله دعوة رسوله فأسلم عمر بن الخطاب سنة ٥ ق. هـ، وعدد المسلمين لا يزيد عن الأربعين. وبإسلامه، بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب، شعر المسلمون بالمنعة والقوة. ويروى عن عبد الله بن مسعود قوله: ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر. وقوله: لقد رأيتنا وما

نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي.

ولما أذن الرسول ﷺ لصحابته بالهجرة إلى المدينة كان عمر من أوائل المهاجرين، وقد حضر مع الرسول غزوة بدر، وأحداً، والمشاهد ـ المعارك ـ كلها.

وشارك في كثير من السرايا، وقاد بعضها. وتزوج الرسول ابنته «حفصة».

كانت له مواقف حادة واضحة شديدة ضد أعداء الإسلام، منها اقتراحه قتل أسرى بدر، ورفضه اتفاق الحديبية لظنِّه أن في بعض بنوده مهانة للمسلمين، فراح يناقش الرسول ﷺ في ذلك.

عهد إليه أبو بكر بالخلافة بعد مشاورة الصحابة، ولما خاف بعضهم شدَّته وراجعوا أبا بكر في ذلك، وقالوا له: ماذا تقول لربك إذا قدمت عليه غداً وقد استخلفت علينا ابن الخطاب، أجابهم: «أقول استخلفت عليهم خيرهم».

تولى الخلافة سنة ١٣هـ، وسمي «أمير المؤمنين» فجمع بين الشدة والرحمة، الشدة على عمَّاله وعلى الفسقة والمعتدين، والرحمة بالفقراء والمظلومين.

ومن وصاياه الخالدة لأمراء أجناده: «لا تضربوا المسلمين فتذلُّوهم، ولا تحرموهم فتُكفروهم». ومن كلماته الرائعة التي تضرب بها الأمثال قوله لعامله على مصر: «عمرو بن العاص» بعد أن اقتصَّ من ولده لاعتدائه على قبطي: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

وفي خلافته فتحت بلاد الشام، والرافدين، ومصر، وحدثت أشهر معركتين فاصلتين في تاريخ المسلمين: اليرموك، والقادسية.

ولما حاصر عمرو بن العاص «بيت المقدس» طلبوا من أبي عبيدة ـ القائد العام ـ أن يصالحهم على مثل ما صالح مدن الشام، على أن يتولى عقد الصلح الخليفة عمر، فحضر عمر من المدينة مع ما في ذلك من مشقة في ذلك الزمان، وعقد معهم الصلح الذي سمي بالعهدة العمرية، والذي تضمن أمانهم على أنفسهم وأموالهم وصلبانهم وكنائسهم.. وهو الذي اختط الكوفة والبصرة، وهو الذي أنشأ الدواوين ونظم الدولة والأعطيات، واعتمد يوم الهجرة بداية للتاريخ الهجري.

وروي عنه يوم تقدمت به السن أنه دعا الله: «اللهم كبرت سني، ورقَّ عظمي، وخشيت الانتشار من رعيتي، فاقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم». وفي سنة ٢٣هـ/ ٦٤٤م طعنه أبو لؤلؤة الفارسي بخنجر مسموم، فلما عرف قاتله قال: «الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة»، وأرسل إلى عائشة يستأذنها ليدفن في الحجرة النبوية مع صاحبيه: رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق.

وسأله المؤمنون أن يستخلف عليهم، فتحرج من ذلك، ولم يشأ أن يتحمل وزرها حيّاً وميتاً، وقال لمن اقترح عليه تولية ابنه عبد الله: «ما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فشرٌّ عنا آل عمر، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد»، ثم اختار ستة من المبشرين بالجنة، ليشكلوا مجلساً يختار من بين أعضائه من يتولى أمور المسلمين، وأوصى الناس بطاعة الذي يقع عليه الاختيار.

هذا هو عمر بن الخطاب الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (لو كان بعدي نبي لكان عمر).

ووصفته الشفاء ابنة عبد الله فقالت: «كان إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقاً».

وهو الذي قال فيه الهرمزان، لما وجده نائماً من دون حرس، كلمته الشهيرة: «عدلت فأمنت فنمت».

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٢٩٩، ٣٣٢، ١/٣٤٦، ٣/٣٥٦، ١/٤٨٦.

* * *

العهد الجديد

هو القسم الثاني من الكتاب المقدس بعد العهد القديم، وهو المعتمد رسمياً في المسيحية، ويتكون العهد الجديد من قسمين أساسيين:

١ ـ الأناجيل الأربعة.

٢ ـ الرسائل المنسوبة إلى الرسل من التلامذة، ومعهم بولس الذي دخل في المسيحية بعد رحيل المسيح عليه السلام.

١ ـ **الأناجيل الأربعة**: وجاء في معجم اللاهوت الكتابي: تدل كلمة الإنجيل، بالنسبة إلينا، إما إلى الكتاب الذي يروي حياة يسوع، وإما إلى القراءة التي تتلى أثناء القداس الإلّهي، وفي اللغة اليونانية العامة تعني كلمة إنجيل: الخبر السار.

والأناجيل الأربعة المعتمدة حالياً عند المسيحيين اعتُمدت حسب قاموس الكتاب المقدس منذ القرن الثاني للميلاد، وباتت صاحبة السلطان على سائر الكتابات، وما كان منتشراً من أناجيل سواها لم يعد محل اعتراف من الكنيسة، وسميت الأناجيل القانونية، وهي:

أ ـ إنجيل متى، وهو من ثمانٍ وعشرين إصحاحاً أو فصلاً. وقد كتبه حوالي ٤٠ ميلادية.

ب ـ إنجيل مرقس، ويقع في ستة عشر إصحاحاً أو فصلاً. وقد كتبه حوالي ٦١ للميلاد.

جـ ـ إنجيل لوقا، ويقع في أربع وعشرين إصحاحاً أو فصلاً. وقد كتبه حوالي ٦٢ ميلادية.

د ـ إنجيل يوحنا، وهو في واحد وعشرين فصلاً أو إصحاحاً. وقد كتبه حوالي ٩٠ للميلاد.

٢ ـ **أما الرسائل فهي على الشكل التالي**:

أ ـ أعمال الرسل.

ب ـ رسائل القديس بولس، وهي ١٤ رسالة.

جـ ـ رسالة القديس يعقوب.

د ـ رسالتان للقديس بطرس.

هـ ـ ثلاث رسائل للقديس يوحنا.

و ـ رسالة القديس يهوذا.

ز ـ رؤيا القديس يوحنا.

أعمال الرسل مع ٢٢ رسالة مضافة إلى الأناجيل الأربعة تشكل معاً العهد الجديد.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٢٦، ٥٠٦.

العهد القديم

إن العهد القديم هو القسم الأول من الكتاب المقدس المعتمد حالياً، وقد تنوعت الآراء والمواقف حول كتابة العهد القديم، والمتفق عليه أن كتابة العهد القديم استغرقت وقتاً طويلاً بحيث بات وكأنه تأريخ ليهود ولأدبياتهم.

والغالب أن النسخة المعتمدة حالياً هي المسماة: المسورة؛ أي التقليد، وهي النسخة التي أعدها علماء يهود في طبريا على مدى ما يزيد عن ستة قرون، من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر للميلاد.

يتكون العهد القديم من ثلاثة أقسام:

١ ـ **التوراة**: وهي بمفهومهم المنزَّلة على موسى في خمسة أسفار، لذلك تتفق كل فرق يهود على الأخذ بها، وهذه الأسفار هي:

ـ سفر التكوين، ويقع في خمسين إصحاحاً.

ـ سفر الخروج، وهو في أربعين إصحاحاً.

ـ سفر اللاويين أو التوابين أو الأحبار، ويقع في سبعة وعشرين إصحاحاً.

ـ سفر العدد، وهو في ستة وثلاثين إصحاحاً.

ـ سفر التثنية أو تثنية الاشتراع، وهو في أربعة وثلاثين إصحاحاً.

٢ ـ **أسفار الأنبياء**: وقد جاءت تؤرخ لمراحل متباعدة، ولم يعتمد فيها التسلسل التاريخي وهي:

أ ـ أسفار الأنبياء الأولين وهي: سفر يشوع ـ سفر القضاة ـ سفر صموئيل الأول ـ سفر صموئيل الثاني ـ سفر الملوك الأول ـ سفر الملوك الثاني.

ب ـ أسفار الأنبياء الكبار المتأخرين وهي: سفر إشعيا ـ سفر إرميا ـ سفر حزقيال.

جـ ـ أسفار الأنبياء الصغار المتأخرين وهي: سفر هوشع ـ سفر يوئيل ـ سفر عاموس ـ سفر عوبديا ـ سفر يونان ـ سفر ميخا ـ سفر ناحوم ـ سفر حبقوق ـ سفر صفنيا ـ سفر حجّاي ـ سفر زكريا ـ سفر ملاخي.

٣ ـ الكتابات: وتتضمن ما يلي: سفر المزامير ـ سفر الأمثال ـ سفر الجامعة ـ سفر نشيد الإنشاد ـ سفر المراثي أو مراثي أرميا ـ سفر أستير ـ سفر دانيال ـ سفر نحميا ـ سفر عزرا ـ سفر أخبار الأيام الأول ـ سفر أخبار الأيام الثاني.

وقد جاء في «قاموس الكتاب المقدس»: «ويبلغ عدد الكتَّاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس أربعين كاتباً، وهم من جميع طبقات البشر، بينهم الراعي والصياد وجابي الضرائب والقائد والنبي والسياسي والملك».

أقدم المخطوطات لنصوص العهد القديم تلك التي عثر عليها في أواسط القرن العشرين في وادي قمران قرب البحر الميت وعُرفت باسم «لفائف البحر الميت»، وهذه اللفائف تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

أما طباعة العهد القديم بالعبرانية فقد تمت لأول مرة عام ١٤٨٨م في سوتشيو في دوقية ميلانو، ثم طبع ثانية عام ١٤٩٤هـ في بريسشيا، وهذه النسخة هي التي اعتمدها مارتن لوثر حين ترجم العهد القديم إلى الألمانية.

أما الترجمة العربية للعهد القديم فلم تتم قبل القرن العاشر الميلادي، وقد بدأها عالم يهودي يدعى سعدية بن يوسف، وأكمل بعده الخطوة بعض علماء اليهودية.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨٧، ١٨٨، ٣٩٠، ٤٠٥، ٥٢٨.

* * *

العهدة العمرية

في العام الخامس عشر للهجرة حاصر أبو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه القدس (إيلياء)، وعرض على أهلها الصلح، وكان أبرز شخصياتها يومها البطريرك صفرينوس، فرد عليه أهل المدينة رداً إيجابياً، ولكنهم طلبوا من أبي عبيدة أن يكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كي يحضر شخصياً، وعندها يسلمونه مفاتيح المدينة ويكون الخليفة هو الذي يعطيهم العهد ويكتب لهم الأمان.

ولما كتب أبو عبيدة رضي الله عنه للخليفة عمر رضي الله عنه يعرض عليه الأمر سارع الخليفة بالسفر إلى بيت المقدس ملبياً طلب نصارى القدس وبطريركها صفرينوس. وكان أن كتب لهم أماناً وأعطاهم عهداً عُرف في تاريخ العلاقات الإسلامية ـ المسيحية باسم «العهدة العمرية»، وهذا نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا يُنتقص منها ولا من حيِّزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ولا يضارُّ أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء (القدس) معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصُلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيَعِهم وصُلُبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء، حتى يُحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية».

هذه العهدة تستحق فعلاً أن تُفرد، وأن تحصل وقفة لا بل وقفات أمامها. فالقدس (إيلياء) يكون فيها المسيحيون مع المسلمين ولا يقيم أحد من يهود معهم فيها.

والحرية تامة لكل شخص كي يقرر، فإما أن يلتزم عهد الأمان، وإما أن يخرج مع الروم، أو يعود إلى أهله، والحماية له مؤمنة حتى يبلغ مأمنه ويستغني عن تلك الحماية. إن هذه العهدة تصلح بكل بنودها منطلقات لقانون دولي يحكم العلاقات والمعاهدات إبّان الصراع بين الفرقاء.

وتصلح بما فيها من مواثيق بين المسيحيين والمسلمين تحفظ حرية المعتقد والعبادة وتصون بيوت العبادة، كي تكون عهدة متجددة في جميع أرجاء المعمورة.

والنقطة الأخيرة هي أن هذه العهدة ترتب على المسلمين والمسيحيين معاً، من العرب وسواهم، أن يعملوا لتحرير المدينة المقدسة من المستعمرات اليهودية كي يقيم فيها أهلها، ولا مكان ليهود فيها كما نصت العهدة العمرية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٨٣، ١٢٢.

* * *

عين جالوت (معركة)

تعدُّ معركة عين جالوت من المعارك الحاسمة في التاريخ، فقد كانت بداية النهاية للاجتياح المغولي التتري لبلاد الشام، وللوجود الصليبي الذي كان لا يزال في الساحل السوري. وقد حدثت المعركة في يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨/ ٣ أيلول (سبتمبر) سنة ١٢٦٠م، ونبدأ بالموقف العام قبل المعركة.

كان الوضع في بلاد الشام شديد التعقيد والتشابك، سريع التحولات. فالمدن الإسلامية الكبرى: بغداد، ودمشق وحلب وحماة، سقطت كلها بيد المغول، ونهبت، واستبيحت، وكثير من قادة المسلمين أعلن ولاءه لهولاكو، أو انضم إلى جيشه، يقابلهم عدد كبير هرب إلى مصر حيث كانت دولة المماليك.

أما ساحل بلاد الشام فتتقاسمه إمارات الصليبيين، وفي كل مدينة كبيرة إمارة، باستثناء غزة التي احتلها المغول وتركوا فيها حامية صغيرة منهم. وفي هذه الأثناء مات الخان الكبير «منكو» أخو هولاكو، ولم ينتخب خان جديد. وكان الخان بركة، في القوقاز يتعاطف مع المسلمين، بينما هولاكو يتعاطف مع المسيحيين.

أما الوضع في مصر، فقد بدأ يهدأ بتولي «المظفر قطز» السلطنة، بعد اضطراب كبير، نتيجة اغتيال «عز الدين أيبك»، ومقتل شجرة الدر. وما كاد «المظفر قطز» يتسلم السلطة حتى جاءه وفد من «هولاكو» يحمل إليه إنذاراً بالخضوع والإذعان لسلطته، فكان جوابه قتل الموفدين، وعدم الرد، والبدء بالاستعداد للقتال. فجمع أركان الدولة واستشارهم، فانقسموا بين مؤيد للاستسلام، وداع للحرب، وبعد مناقشات حرَّة اتخذ المجتمعون قراراً بالقتال، وفوضوا «المظفر قطز» بتنفيذ القرار، والإشراف على الاستعدادات. وفي ضوء معرفته الوضع العام الذي أشرنا إليه، وطبيعة القوات المعادية والأرض في مصر وبلاد الشام ارتأى «قطز» أن ترتكز خطته على ثلاث نقاط رئيسة ومهمة:

١ ـ الخروج من مصر إلى بلاد الشام لملاقاة العدو على أرضها، لأن مصر بلاد سهول، يمكن للقوات المعادية التقدم فيها بسرعة، وتصعب فيها المناورة، بينما بلاد الشام ذات تضاريس تعطي القائد حرية المناورة، ولينقل مكان المعركة بعيداً عن عاصمته (أي اختيار مكان المعركة وزمانها).

٢ ـ تحييد الإمارات الصليبية لأن طريقه إلى بلاد الشام يمرُّ بالساحل الفلسطيني الذي تسيطر عليه، والحصول على مساعدتها بالمؤن التي يحتاجها جيشه.

٣ ـ ضرب الجيش المغولي ضربة قاصمة لا تقوم له بعدها قائمة، وتدميره تدميراً كاملاً.

بدأ في حشد قواته فور اتخاذ قرار الحرب، وأرسل بعثة إلى الصليبيين في عكا يطلب منهم التعاون، فاجتمع قادتهم، وكان رأي بعضهم تقديم

مساعدات عسكرية، بالإضافة إلى المؤن، انتقاماً من نهب المغول مدينة صيدا، وارتكابهم فيها أبشع الجرائم، ولكن قرارهم النهائي اقتصر على تقديم التموين والوقوف على الحياد. وما أن أنهى «المظفر قطز» استعداداته حتى أصدر أوامره لرئيس أركانه «بيبرس»، الذي عينه قائداً لطليعة الجيش، أن ينطلق باتجاه فلسطين.

تحركت الطليعة في الأسبوع الأخير من تموز (يوليو) سنة ١٢٦٠م باتجاه غزة، فطلب قائد حاميتها «بايدار» من قائد جيش المغول «كتبغا» نجدته، ولكن بيبرس سارع إلى احتلال المدينة وفوّت على المغول نجدتها. وفي آب (أغسطس) غادر «المظفر قطز» مصر على رأس كتلة جيشه الرئيسة وتوجه شمالاً، سالكاً الطريق الساحلي، حتى وصل مدينة عكا، فعسكر في الحقول خارج أسوارها، ليحافظ على العلاقة الودية مع الصليبيين الذين كانوا يحتلونها.

كان قائد الجيش المغولي في بلاد الشام «كتبغا» في مدينة بعلبك لمّا وصلته أخبار تحرك جيش المماليك من مصر إلى غزة، فقرر التحرك فوراً إلى فلسطين، ولكن ثورة حدثت في دمشق اضطرته للتأخر، وبعدما قمعها بقسوة توجه جنوباً بسرعة، مهملاً إجراءات الحيطة والاستطلاع التي كان يتخذها الجيش المغولي عادة، استخفافاً بقوة جيش المماليك وقدراته.

وبلغت «قطز» في عكا أنباء تحرك المغول، وعبورهم نهر الأردن إلى الجليل الشرقي، فسارع بالتحرك إلى عين جالوت، ماراً بالناصرة، فوصلها في ٢ أيلول (سبتمبر) سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م.

وفي صبيحة اليوم التالي وصل الجيش المغولي بقيادة كتبغا، وكانت تنقصه المعلومات الصحيحة عن الجيش المملوكي، في حين كانت عناصر استطلاع الأخير تتابع تحركات الجيش المغولي لحظة بلحظة. ولما تبين «للمظفر قطز» تقارب قوة الجيشين، بدأ يحكم خطته لبعثرة قوات العدو، واستنزافها، ثم القضاء عليها قضاءً مبرماً، وبحيث لا يترك لها أية فرصة للنجاة. ولذلك أخفى قواته الرئيسة في التلال القريبة، ولم يظهر لكتبغا إلا قوات المقدمة بقيادة «بيبرس».

ولما رأى كتبغا مقدمة الجيش المملوكي في مواجهته، ظنها الجيش المملوكي بأكمله، فزج بكل قواته بالمعركة ليحسمها لصالحه بسرعة. فقاتلت قوات «بيبرس» قتالاً مستميتاً ثم تظاهرت بالتراجع نحو التلال حيث أخفى «قطز» قواته بشكل كمائن قوية كبيرة، لتنقض في الوقت المناسب على الجيش المغولي المتقدم، وهذا ما حصل عند تراجع بيبرس. فقد أراد «كتبغا» استغلال ما ظنَّه نصراً، فإذا بجيشه يقع فريسة القوات الرئيسة للجيش المملوكي المنتشرة في الكمائن المحكمة الإخفاء، والتي انقضت على الجيش المغولي في اللحظة المناسبة، فكانت مجزرة حقيقية لذلك الجيش، ولم تستطع الهرب إلا بعض فلوله، بينما أسر قائده «كتبغا» وقتل.

وبعد معركة عين جالوت استقبلت دمشق «المظفر قطز» استقبال الأبطال، وأعيد «الأشرف الأيوبي» إلى إمارة حمص، ورجع أمير حماة إلى مركزه، وطُرد المغول من حلب، ولما حاول هولاكو استعادتها، لم يستطع أكثر من القيام بمجزرة جديدة، كانت نهايته في بلاد الشام.

ولهذا تعدُّ «عين جالوت» بنتائجها أكثر مما هي بواقعها، معركة حاسمة غيَّرت مجرى التاريخ، وكانت بداية نهاية الوجود المغولي والصليبي، في بلاد المسلمين، حيث استعاد المسلمون قوتهم وسيطرتهم بسرعة هائلة.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٥٢/ ١، ٤٨٦/ ٢، ٥٠٨.

* * *



غار ثَوْر

ثور: أحد جبال مكة في الجنوب منها، بينه وبين مكة ميلان، وهو جبل مشرف، وفي أعلاه الغار الذي دخله النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، وذلك حين هاجر ﷺ إلى المدينة واختفى فيه، هو وأبو بكر، من قريش حين خرجوا في اتباعه، وأمر الله تعالى العنكبوت فنسجت على فم الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على فم الغار، وكان ذلك مما صدَّ المشركين عنه، فيقال: إن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين. وفيه قال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)، وقصة الغار مشهورة.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٩٧، ٥٤٣.

* * *

غار حراء

حراء، جبل بمكة، بينه وبين مكة ميل ونصف، وهو جبل منفرد على طريق حنين من مكة، وهو جبل منيف صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلا من موضع واحد. وكان النبي ﷺ يتحنَّث في هذا الجبل الليالي ذوات العدد قبل أن يوحى إليه. وفيه نزل عليه جبريل عليه السلام أول ما أوحي إليه، وفيه بشَّره بالنبوة. وفي الخبر: أن النبي ﷺ قال: (اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد).

محمد الإسكندراني

المراجع: ١٩٧، ٥٤٣.

* * *

الغارمون

الغارمون، لغة: جمع غارم، وهو الذي يلتزم ما ضمنه وتكفَّل به. وهو اسم فاعل من الفعل غرم، يقال: غرم يَغْرَمُ غَرْماً وغارماً وغرامة: لزمه ما لا يجب عليه، ويقال: غرم الدية والدين: أداهما عن غيره، وغرم في التجارة: خسر، وفلان مغرم: أي مثقل بالدين.

الغارمون اصطلاحاً في الفقه الإسلامي: وردت كلمة الغارمين في الآية التي تحدثت عن مصارف الزكاة لأنها إحداها.

ـ الحنفية عرَّفوا الغارم بأنه الذي عليه الدين أكثر من المال الذي في يده أو مثله أو أقل منه، ولكن ما وراءه ليس بنصاب.

ـ المالكية عرَّفوا الغارم بأنه أيُّ مدين ليس عنده ما يوفى به دينه، حتى ولو كان ذلك الدين ناتجاً عن حمالة في إصلاح بين الناس أو فعل خير.

ـ الشافعية ربطوا الغارم بنوع الدين فقالوا: الغارم هو الذي تداين ديناً لنفسه، وحلَّ الدين ولا قدرة له على وفائه، وقصد صرفه في مباح، أو صرفه فيه، أو تداين لإصلاح ذات البين إن حل الدين ولم يوفه من ماله، ولو كان غنياً، أو تداين لضمان إن أعسر وهو المضمون.

ـ أما الحنابلة فقد عرَّفوا الغارم بأنه المدين لإصلاح نفسه في مباح، أو لإصلاح بين طائفتين من المسلمين.

يستخلص من تعاريف الفقهاء المسلمين للغارمين أن هناك اتجاهين:

الاتجاه الأول: يمثله رأي الحنفية الذين عرَّفوا

الغارم بأنه مَنْ عليه دين ولا يملك نصاباً فاضلاً عنه، أي عن دينه.

الاتجاه الثاني: يمثله رأي المالكية والشافعية والحنابلة، وقد جعلوه على وجهين:

الوجه الأول: غارم لمصلحة نفسه، كمن استدان في نفقة أو كسوة أو علاج أو زواج ونحو ذلك، إذا كان غير واجد لما يقضي به الدين وكان دينه حالاً وله مطالب من جهة العباد، وليس سببه إسرافاً في مباح أو إنفاقاً في معصية، ومثل ذلك إذا كان منشأ غرمه ناتجاً عن جائحة كحريق أو غرق ذهب بماله.

الوجه الثاني: غارم لمصلحة المجتمع، كمن استدان لإصلاح ذات البين، أو لفك أسير، فيعد بذلك غارماً حتى ولو كان غنياً.

وقد بنى الفقهاء تعريفهم للغارم من خلال اللفظ الوارد في آية مصارف الزكاة، والتي تتناول بعض الغارمين وليس جميعهم، ولذلك إنهم عندما عرّفوا الغارم قيدوه بالمدين الذي عجز عن تسديد ديونه الحالّة.

وقد علّق الإمام أبو بكر الجصاص على آية مصارف الزكاة مبيناً أنها خاصة في بعض الغارمين دون البعض الآخر حيث يقول: «والآية خاصة في بعض الغارمين دون بعض، وذلك لأنه لو كان له ألف درهم وعليه دين مائة درهم لم تحل له الزكاة ولم يجز معطيه إياها وإن كان غارماً، فثبت أن المراد الغارم الذي لا يفضل له عما في يده بعد قضاء دينه مقدار مائتي درهم أو ما يساويها».

أنواع الغارمين:

١ ـ **غارم غني**: وهو الذي فاقت أصوله خصومه، بمعنى أن لديه مالاً يفوق دينه ولذلك فإن مطله حرام، للحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: (مطل الغني ظلم).

٢ ـ **غارم معدم**: وهو من نفد ماله كله فلم يبقَ له ما ينفقه على نفسه وعياله، فضلاً عما يكفيه لوفاء دينه، وهذا الغارم يسمى معسراً ويجب على دائنه إنظاره إلى حين ميسرة.

٣ ـ **غارم غير معدم أو مقلّ**: وهو الذي يملك بعض المال، لكنه قليل لا يكاد يكفيه للإنفاق على نفسه وعياله بالمعروف وقضاء دينه إلا بضرر أو مشقة، وهذا الغارم يسمى معسراً أيضاً، ولذا فإن تأخيره من قبل دائنه مندوب إليه ومطله وهو مجتهد في الأداء غير حرام.

الشروط الواجب توافرها في الغارم:

الشرط الأول: أن يكون محتاجاً إلى ما يقضي به الدين.

الشرط الثاني: أن يكون قد استدان في طاعة أو مباح، فإن كان في معصية، كالخمر والإسراف في النفقة، لم يُعْطَ قبل التوبة، فإن تاب فإنه يعطى لأن التوبة تجُبُّ ما قبلها.

الشرط الثالث: أن يكون الدين حالاً، فإن كان مؤجلاً ففي إعطائه ثلاثة أوجه: أصحها: أنه لا يُعطى، والثاني يُعطى لأنه يسمى غارماً، والثالث أنه إن كان الأجل يحل تلك السنة أُعطي وإلا فلا يعطى من صدقات تلك السنة.

الشرط الرابع: أن يكون الدين مما يحبس فيه، وهذا الشرط للمالكية، ويدخل فيه دين الولد على والده، والدين على المعسر، ويخرج دين الكفارات والزكاة لأنها لله سبحانه وتعالى.

قد تنفد الأموال التي تكون موجودة في سهم الغارمين دون أن تسدد ديون المعسرين، وفي مثل هذه الحالة تلعب الزكاة دوراً هاماً في إزالة عسرة المدينين الذين يندرجون في عداد سهم الغارمين الذي يُعتبر أحد مصارف الزكاة.

أما في القانون الوضعي فهناك حالة مماثلة أطلق عليها علماء القانون تسمية العجز أو عدم الملاءة أو الإعسار، وهي الحالة التي يقع فيها الشخص تحت عبء دين مدني. وقد عرّفوا الإعسار بأنه: «الحالة التي يقع فيها الشخص المدين بدين مدني،

ويعجز عن تسديده، وبتعبير آخر هو إفلاس غير التاجر وعجزه عن الوفاء بديونه».

وقد ميَّز علماء القانون بين نوعين من الإعسار المدني: الإعسار الفعلي والإعسار القانوني.

الإعسار الفعلي: هو حالة واقعية تنشأ عن زيادة ديون المدين، سواء كانت مستحقة الأداء أو غير مستحقة ما دامت محققة الوجود على حقوقه.

الإعسار القانوني: هو حالة قانونية تنشأ من زيادة ديون المدين المستحقة الأداء على حقوقه، ولا بد من شهرها بموجب حكم قضائي يجعل المدين في حالة إعسار.

شروط اعتبار المدين معسراً:

١ ـ أن تكون أمواله غير كافية للوفاء بديونه المستحقة الأداء وحدها، فلو أن أمواله كانت كافية للوفاء بديونه المستحقة الأداء، لم يجز شهر إعساره حتى ولو كانت هذه الأموال غير كافية للوفاء بجميع الديون الحالَّة والمؤجلة، ولا يقال إن الديون المؤجلة تحل بالإعسار، فإن الدين المؤجل لا يحل إلا بشهر الإعسار.

٢ ـ أن يصدر حكم من القاضي بشهر إعسار المدين، وهو أمر جوازي يقضي به القاضي بناء على الظروف العامة التي أعسر بها المدين، وكذلك الظروف الخاصة بشخصه.

وتختلف حالة الإفلاس التي قد يقع فيها التجار عن حالة العجز المالي، أو الإعسار التي قد يقع فيها الشخص المدين بدين مدني. فحالة الإفلاس تخضع لقانون التجارة الذي يتضمن نظام تصفية جماعية لأموال المدين، بينما حالة الإعسار تخضع للقانون المدني الذي يقر مبدأ الملاحقة الفردية وليس الجماعية، ويستمر المدين المعسر في إدارة أمواله والتصرف بها فيما عدا أمواله المحجوزة التي يمتنع عليه إنقاصها أو تبديدها، بينما يمنع من ذلك في حالة الإفلاس، ولا يجوز شهر إعسار المدين غير التاجر إلا إذا كانت أمواله لا تكفي لوفاء ديونه، بينما يشهر إفلاس التاجر بمجرد توقفه عن وفاء ديونه التجارية، وإن كانت ذمته الإيجابية تزيد على ذمته السلبية.

فوزي أدهم

المراجع: ١٧، ٣٣، ١٧٦، ١٨٥، ١٩٧، ٢٧٧، ٣٠٨، ٤٠٧، ٥٧٩.

* * *

الغزنويون (الدولة الغزنوية)

(٣٦٦ ـ ٥٨٢هـ/ ٩٧٧ ـ ١١٨٦م)

٣٥١هـ	ألب تكين	٩٦٢م
٣٥٢هـ	أبو إسحاق إبراهيم بن ألب تكين	٩٦٣م
٣٦٦هـ	ناصر الدولة سبكتكين مملوك ألب تكين	٩٧٧م
٣٨٧هـ	إسماعيل بن سبكتكين	٩٧٧م
٣٨٨هـ	أبو القاسم يمين الدولة محمود بن سبكتكين (سيف الدولة)	٩٩٨م
٤٢١هـ	جلال الدولة محمد	١٠٣٠م
٤٢١هـ	نصير الدولة (أو ناصر دين الدولة أو شهاب الدولة)	١٠٣٠م
٤٣٣هـ	أبو سعد شهاب الدولة مودود بن مسعود بن محمود	١٠٤١م
٤٤٠هـ	أبو الحسن بهاء الدولة علي بن مسعود	١٠٤٩م
٤٤١هـ	عز الدولة (أو مجد الدولة) عبد الرشيد بن محمود	١٠٥٠م
٤٤٤هـ	قوام الدولة طغرل	١٠٥٣م
٤٥١هـ	الملك المؤيد جلال الدين ظهير الدولة إبراهيم من مسعود	١٠٥٩م
٤٩٢هـ	أبو سعد علاء الدولة مسعود به إبراهيم	١٠٩٩م
٥٠٨هـ	كمال الدولة بشير زاد بن مسعود	١١١٥م
٥٠٩هـ	سلطان الدولة أرسلان شاه بن مسعود	١١١٥م
٥١٢هـ	يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود	١١١٨م
٥٤٧هـ	معز الدولة خسرو شاه بن بهرام	١١٥٢م
٥٥٥ ـ ٥٨٢هـ	تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه	١١٦٠ ـ ١١٨٦م
٥٨٢هـ	ثم كان الفتح الغوري	١١٨٦م

تعتبر الدولة الغزنوية من أكبر الدول في تاريخ الإسلام، نظراً لما وفقت به من نشر الإسلام

وتوسيع رقعته في شمالي الهند وكشمير.

وقد قامت هذه الدولة في مدينة غزنة على تخوم خراسان من جهة الهند، عندما تمكن سُبُكتكين (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، أحد قادة العساكر في الدولة السامانية، وكان مملوكاً تركياً لألب تكين المولى التركي لعبد الملك بن نوح الساماني، من كسب رضا السلطان الساماني آنذاك، فقام بمن معه من العسكر بعدة غارات باتجاه الهند وبلاد الأفغان استطاع خلالها أن يضم الكثير من المدن والأراضي لإمارته، ومن بينها غزنة التي اتخذها مقراً لغزواته. ثم اتجه سبكتكين إلى خراسان بتشجيع من السلطان نوح الثاني بن منصور الساماني (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) فأخضعها وضمها إلى سلطته بمساعدة ابنه محمود بن سبكتكين الملقب بيمين الدولة، ثم تمكن سبكتكين سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م من الاستيلاء على مدينة نيسابور وطرد البويهيين منها، فوليها محمود بن سبكتكين، وبهذا أصبحت دولة سبكتكين وابنه محمود الغزنويين أوسع من دولة السامانيين أنفسهم.

وبعد وفاة سبكتكين تولى الأمر من بعده ابنه محمود الغزنوي، الذي واصل فتوحات أبيه في بلاد الهند، وأثبت أنه من أعاظم الفاتحين في تاريخ الإسلام، حتى قيل إن فتوحاته تعدل في المساحة فتوحات عمر بن الخطاب. فقد واصل حملاته على شمالي الهند حتى دخلت بلاد البنجاب كلها في طاعته، واستولى على بلاد الغور، وهي الجزء الجنوبي من بلاد الأفغان الحالية، ثم فتح بلاد ما وراء النهر وتصدّى لفرع البويهيين الذين كانوا يسيطرون على وسط وشرق إيران، وكانت عاصمتهم أصفهان، فقضى عليهم نهائياً.

وكانت الدولة السامانية قد شاع فيها الضعف والفساد، فرأى محمود الغزنوي أن الفرصة سانحة للقضاء عليها، وتم له ذلك بعد انتصاره على عبد الملك بن نوح الساماني في موقعة حاسمة عند مرو سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م. وبهذا انتهت الدولة السامانية في خراسان بينما قضى بغراخان على بقيتها فيما وراء النهر، وعقب ذلك أمر محمود الغزنوي بالخطبة للخليفة العباسي القادر وذكر اسمه على منابر المساجد في الجُمَع والأعياد في سائر أرجاء مملكته، مما دفع الخليفة إلى تلقيبه بيمين الدولة.

وكذلك كان السلطان محمود الغزنوي على اتصال دائم مع الخليفة العباسي، إذ كان يطلعه على أخبار فتوحاته في بلاد الهند باستمرار. وقد بدأ محمود أعماله في الهند بأن قاد حملة كبيرة على شمال الهند سنة ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م وانتصر على الملك جيبال راجا بهاتندة انتصاراً حاسماً وأخذه أسيراً ثم أطلقه، ثم انحدر محمود إلى إقليم الملتان، وكان فيها مركز الهندوكية في شمال الهند الغربي، فاستولى على مدينة بهاتندة، ثم حارب أنانداپال بن جيبال سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤ ـ ١٠٠٥م وقضى على كل سلطان له في البنجاب، وبعد ذلك عمل على نشر الإسلام الصحيح في كل نواحي السند إلى حوض البنجاب.

وفي سنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٧م أتم محمود الغزنوي القضاء على بقية مملكة جيبال وابنه أنانداپال وحفيده الذي تسميه المراجع العربية نواسة شاه حفيد السنسكريتي، الذي ادعى دخول الإسلام ثم ارتد عنه، وقد قضى عليه محمود وضم بلاده إلى دولته، ثم اتجه إلى ما وراء النهر وأخرج منها قوات إيلك خان ملك كشغر التركي، وأعاد تلك البلاد إلى سلطانه.

وفي سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م بدأ محمود الغزنوي في فتح كشمير، وقد دخلها من شمالها الغربي، ومنذ ذلك الحين بدأت كشمير تتحول إلى بلاد إسلامية. وتوّج محمود الغزنوي فتوحه في الهند بفتح بلاد كوجارت، وسار جنوباً حتى بلغ الطرف الجنوبي لشبه جزيرة كيشياوارا وبلغ سمنات، وكان أكبر قدس عند الهندوكيين، واقتحمه وهزم الجموع الكثيرة التي حاولت إنقاذ المعبد، والتحم الفريقان في قتال عنيف انتهى إلى

مذبحة دامية سقط فيها ٥٠٠,٠٠٠ من الهندوك واقتحم المسلمون معبد سمنات ودمروه تدميراً تاماً، وكان ذلك في سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٦م.

وبعد وفاة السلطان محمود الغزنوي (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) خلفه ابنه محمد الذي لم يملك إلا فترة صغيرة، ثم تغلب عليه أخوه مسعود بن محمود وحل محله سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م وتلقب بناصر دين الله، واستمر في سياسة أبيه، وجعل له نائباً في الهند يقيم في لاهور، وبقي هو في عاصمته غزنة، وقد ظل يتردد بين الهند وغزنة وخراسان لإخضاع الثائرين عليه. وقد سقطت الدولة الغزنوية تحت ضربات السلاجقة الأتراك الذين كانوا آنذاك يتوسعون في هضبة إيران، واستطاعوا مهاجمة الغزنويين في أكثر من موقع، وألحقوا بهم الهزيمة في موقعة دنداقان بالقرب من مرو في رجب سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م واستولوا على مدينة نيسابور، ومنذ ذلك الحين أصبحت معظم الولايات الشرقية تحت راية السلاطين السلاجقة، مما أدى إلى أفول نجم الغزنويين من هذه الولايات وانكفائهم إلى ما أسسوه من إمارات في بلاد الهند والأفغان.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ٤٢٤.

* * *

الغش

هو كل حيلة أو مناورات كلامية أو خداع بقصد التأثير على شخص وإيهامه بأن ما يعرضه عليه من مال أو بضاعة هو في غاية الجودة والإتقان خلافاً للواقع.

والحقيقة، أنه من الصعب جمع مظاهر الغش في تحديد شامل، فهو يتلبس أشكالاً مختلفة. فمن استعمال أسماء كاذبة، إلى التأكيد بوجود صفات غير موجودة في الأشياء المعروضة للبيع والتعاقد عليها، إلى الجزم بالقيام بمشاريع كاذبة، إلى الإيهام بفتح اعتماد وهمي، إلى استثمار بساطة وحسن نية الآخرين وسرعة التصديق المتصفين بها، كل هذه الأمور تدخل كعوامل للغش والخداع.

ومن حيث المبدأ يجب:

أولاً: أن يصدر عن شخص بقصد غش شخص آخر من أجل حمله على التعاقد معه، وإيهامه بأن ما يريد بيعه أو إجراء التعاقد عليه تتوافر فيه الصفات التي يرغبها الشخص المخدوع.

ثانياً: أن يتجسد هذا الغش بأعمال خارجية محسوسة تكون الغاية منها خلق هذا التوهم في ذهن الشخص المذكور.

وهناك عنصران في الغش:

العنصر الأول: العنصر النفسي: إن نيَّة الغش هي المركز الأساسي للخدعة، بحيث إنها إذا فقدت لا يمكن أن يكون هناك غش، وإن نشأ في نفس المتعاقد الآخر الوهم عن حقيقة وأوصاف موضوع العقد.

ومن الأمثلة على فقدان نية الغش ما ورد في حكم صادر عن محكمة استئناف باريس في الدعوى المتكونة بين «لويس دو بوربون»، المنتسب لعائلة نوندورف، وشخص كان أقرضه مبلغاً من المال. فقد ادعى هذا الشخص أن «لويس دو بوربون» غشه بأن عرَّفه عن نفسه بأنه سليل ملوك فرنسا وأحد أحفاد ابن لويس السادس عشر، وأنه تحت تأثير هذه الخدعة أقرضه المال المطلوب. وقد قضت محكمة باريس أنه يجوز أن لا يكون «لويس دو بوربون» حفيد لويس السادس عشر، إلا أنه لم يثبت أن استعمل صلة القربى هذه من أجل إيهام المقرض وحمله على إقراض المال الذي كان بحاجة إليه. وقد رُدَّت الدعوى لعدم وجود نية الغش لدى المقترض.

العنصر الثاني: العنصر المادي: يتألف هذا

العنصر من أعمال خارجية محسوسة دون أن يكون حصرها ممكناً ضمن نطاق معين. ويكفي أحياناً، من أجل تكوين العنصر المادي للغش، مجرد الكذب شرط أن يتجاوز حدود ما تسمح به العادات والمعاملات التجارية عند التدليل على جودة البضاعة من قبل صاحبها. كما أنه لا شك بأن الكذب يكفي أن يتألف منه لوحده عنصر الغش المادي إذا أقترن بنوع من التمويه المادي الخارجي، كأن يعرض تاجر طاولة صنعت حديثاً ويقول إن صنعها يرجع إلى عهد قديم، ولغاية إيهام المشتري بأن ما يقوله صحيحاً يقوم بتغيير وتبديل شكلها الخارجي، فتظهر كأنها صنعت قديماً.

إن مجرد السكوت لا يمكن أن يشكل وحده العنصر المادي الذي يتألف منه الغش، فإذا عرض بائع بضاعته للزبائن، فهو ليس مضطراً إلى أن يلفت أنظارهم إلى نقائص تلك البضاعة، بل على المشتري أن يكون يقظاً في فحصها للتيقن من كونها منطبقة على الأوصاف التي يريدها فيها. إلا أنه يمكن اعتبار السكوت غشاً عندما ينتج عنه إخفاء لعنصر هام من العناصر التي لا يمكن للمتعاقد أن يطّلع عليه من مجرد فحص الشيء الذي يريد التعاقد عليه. إن في هذا السكوت نوعاً من الخيانة التي لا يجوز التغاضي عنها، بل من الضروري اعتبار مرتكبها مسؤولاً عنها.

ومن جهة أخرى، هناك مصطلحات أخرى تدور كلها حول نفس المعنى تقريباً، فالتدليس هو استعمال أحد المتعاقدين طرقاً احتيالية لتضليل المتعاقد الآخر تضليلاً يحمله على التعاقد.

والتدليس والتغرير يشكلان مفهوماً واحداً لا يختلف. فالمقصود بالتدليس تضليل العاقد الآخر ببعض الوسائل الموجبة لإقدامه على العقد بإظهار محاسن المعقود عليه وستر عيوبه، وبإيجاد صفة فيه ليست لها حقيقة في ذلك. والتغرير مثله تماماً، فهو استعمال الحيلة والخديعة مع أحد المتعاقدين ليقدم على العقد ظاناً أنه في مصلحته، والواقع خلاف ذلك.

وقد برز خيار التدليس والتغرير في الفقه الإسلامي بروزاً واضحاً، إذ يمكن بواسطته التوفيق بكثير من اليسر بين احترام الإرادة الحقيقية واستقرار التعامل.

ولا خلاف بين موقف القانون الوضعي وموقف الفقه الإسلامي من التدليس والتغرير أو الغش.

إلا أن بعض علماء القانون الوضعي فرّق بين التدليس والغش، وقد رأى هؤلاء العلماء أن التدليس هو استعمال طرق احتيالية لإيقاع شخص آخر عند إنشاء العقد وتكوينه. أما الغش فهو عمل خداع يقع بعد إنشاء العقد وتكوينه، كما يقع خارج دائرة العقد بقصد الإضرار بحقوق شخص آخر غير المتعاقد؛ كالمدين الذي يبيع أمواله أو يهبها ليمنعها من الوقوع في قبضة دائنيه.

فالغش أعم من التدليس، بل التدليس نوع من الغش يصاحب تكوين العقد.

ويظهر لهذه التفرقة جذور في الفقه الإسلامي، إذ يقول الدردير «الفقيه المالكي» في كتابه الشرح الكبير: إن «الغاش أعم من المدلس لأن من طال زمان المبيع عنده، ولم يبينه غاش، ولا يقال فيه مدلس، أو باع على غير ما عقد، ليس بمدلس».

ومن حيث اللغة، لم يختلف الغش عن التدليس، فهما الخيانة، وغشه غشاً: لم يمحضه النصح، أو أظهر له خلاف ما أضمره وزيّن له غير المصلحة.

فوزي أدهم

المراجع: ٧١، ٣١١، ٣٦٧، ٥٦٨، ٥٧٩.

* * *

الغنوصية Gnosticisme

الكلمة يونانية الأصل معناها: المعرفة الباطنية لعلم ما فوق الحس. والغنوصية التي تحولت مع

الوقت إلى مذهب ديني فلسفي زعم أتباعه أن المادة أشبه بسجن زُجَّت فيه الروح، وهذه الغنوصية كانت من أخطر المذاهب التي تحدَّت الكنيسة في أول عهد المسيحية، وإذا كان الغموض يلف كيفية نشأتها إلا أن المرجح أنها مزيج من فكر فارسي ومصري قديم وأفلاطوني.

بعد اكتشاف المخطوطات الغنوصية في نجع حمادي سنة ١٩٤٥م، والتي رممت وتم حفظها في المتحف الوطني بالقاهرة، بات متيسراً تحديد الغنوصية والتي يمكن تلخيص تعاليمها في عدة جمل: «فهي فلسفة ثنائية تقول إن العالم الملموس المادي شر ولا يمكن أن يكون الله هو خالقه، بل خلقته كائنات أقل مركزاً تسمى ديمارج (Demi-urge)، أما الله فهو يحيا منفصلاً انفصالاً تاماً عن العالم المادي الشرير ويسكن في عالم الروح النوراني، أما خلاص الإنسان فهو بهروب الإنسان من العالم المادي إلى عالم الروح بواسطة المعرفة التي لا يمكن أن ينالها الإنسان إلا عن طريق معجزي.

والغنوصية تطورت في الهلنستية، وذهبت إلى أن الخلاص يتمُّ عن طريق المعرفة أكثر مما يتمُّ بالإيمان والأعمال الخيِّرة.

لم تلبث المسيحية طويلاً حتى قبلت الغنوصية، وذلك شأن الدعوات والعقائد الأخرى، ولكن للغنوصية مفاهيم موغلة في الروحانية والتشديد على دور المعرفة، وهذه لم تكن معتمدة في المسيحية. وكما جاء عند جون لوريمر فقد قال فالنتينوس: «ليست المعمودية فقط هي التي تحرر الإنسان.. ولكن المعرفة، معرفة من نحن ولماذا وجدنا هكذا وأين نحن، وفي أي مركز وضعنا في هذا الكون، وإلى أين نحن مسرعين، ومن أي شيء خلصنا» كلها أمور نجد جوابها من خلال معرفة غنوصية.

ويقول جون لوريمر: «لم يكمن خطر الغنوصية على المسيحية في كونها ديانة منافسة، ولكن خطرها كان في محاولة الغنوصيين أن يفسروا المسيحية والفكر المسيحي بأسلوب غنوصي».

والغنوصية سميت كذلك الأدريَّة، وهي تنتج عن تجربة تمكن الفرد من الاتصال بالله ليتلقى منه المعرفة وليس من العالم.

لا توجد غنوصية واحدة بل غنوصيات تبعاً لمعتقد من يطلب هذا اللون من المعرفة، ولكنها كلها تسعى إلى غاية واحدة هي أن تجعل الوحي الإلٓهي غنوصياً، أي معرفة من شأنها أن تمكن الإنسان من الاتحاد بالله، أي أن تحقق تأله معرفة الإنسان لتكون معرفة آتية مما فوق الحس.

وتعمل الغنوصية لاختبار إمكان اعتبار الإيمان حكمة؛ أي إيجاد قاسم مشترك بين المعرفة الناتجة عن الوحي والمعرفة التي يصل إليها العقل، وكأنها تريد تحقيق المزج بين المعرفتين لتكون للغنوصي معرفة لا تتحقق لسواه، وفيها يلتقي البشري بالإلٓهي.

أما عند المسلمين فقد باتت الغنوصية معرفة ذوقية تحصل بالإشراق الذي يتم بالمجاهدات النفسية والرياضات الروحية بعد أن يتحقق صفاء النفس، ويصبح الإنسان مؤهلاً لهذا النوع من المعرفة. وهي عند المسلمين ـ والصوفية بشكل خاص ـ تسمى المعرفة اللدنية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وأنها معرفة من لدن الله تعالى وهبها للعبد الصالح الذي التقاه موسى عليه السلام عند مجمع البحرين، ففي الآية الكريمة: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف/ ٦٥]، هذه المعرفة تتمثل في الذات دفعة واحدة، وتلقى في النفس إلقاء يشرح الصدر ويسميها المسلمون: العرفان. وكلمة عرفان باتت تقابل غنوصية عند غير المسلمين.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ٤٩٤، ٥٤٦.

* * *

الغنيمة = (انظر: الأنفال).

* * *

الغوريون (٣٩٠ ـ ٦١٢هـ/ ١٠٠٠ ـ ١٢١٥م)

ينسب الغوريون إلى منطقة الغور في قلب أفغانستان، وقد أسلمت الأسرة التي تتزعمهم، وهي أسرة الشنبسانيين في أوائل القرن الخامس الهجري أو قبله بقليل، أيام محمد بن سوري، وكانت عاصمتهم فيروزكوه. وقضى الغوريون القرن الخامس الهجري كله وهم تابعون لسلاطين غزنة، الذين كانوا بدورهم تابعين في النصف الأول من القرن الثاني للسلاجقة ولنفوذ السلطان سنجر ابن ملكشاه. وأول شخصية غورية عرفها التاريخ بوضوح هي شخصية قطب الدين أبو علي حسن ابن محمد بن عباس، الذي قتل في ثورة محلية نشبت ضده سنة ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م، وتلاه ابنه عز الدين حسن بن حسن أبو السلاطين، والذي كان يدفع الإتاوة السنوية للسلطان سنجر مباشرة.

وسنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م قام زعيم الغوريين علاء الدين حسين جهان سوز الملقب بمحرق العالم، الذي استلم الحكم سنة ٥٤٤هـ، بنهب غزنة انتقاماً لأخيه سيف الدين الذي شهِّر في المدينة ثم صلب وشنق من جانب بهرام شاه الغزنوي، وتم لعلاء الدين الاستيلاء النهائي على شرقي أفغانستان، وحاول الوقوف للسلطان سنجر ابن ملكشاه السلجوقي فوقع في أسره سنتين (٥٤٥ ـ ٥٤٧هـ) لزم بعدهما حدوده حتى توفي بهراة سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م. وبعد وفاته خلفه ابنه سيف الدين محمد الذي قتل سنة ٥٥٨هـ، في كمين نصبه له الغز وهو في طريقه لغزو بلخ، وتولى الأمر بعده زوج أخته غياث الدين محمد بن سام (ت ٥٩٩هـ) الذي يعده المؤرخون من أحسن الملوك سيرة. وقد غزا غياث الدين محمد، بقيادة أخيه شهاب الدين محمد سنة ٥٥٩هـ بلاد السند الغزنوية، واستولى عليها من صاحبها الغزنوي الأخير خسرو شاه، وزالت بذلك الدولة الغزنوية، وأقيمت الخطبة للسلطان غياث الدين محمد الذي سار بجيش كثيف فاحتل خراسان من خوارزم شاه محمد، ثم فتح مرو وسرخس وطوس وهراة، كما فتح مع أخيه شهاب الدين نيسابور، وحاصرا بعض قلاع الإسماعيلية.

وبعد وفاة غياث الدين محمد تولى أخوه شهاب الدين محمد العرش وتابع خطة أخيه في الحرب على الجبهة الهندية للتوسع وجبهة الشمال الغربي الخوارزمية الذين استعانوا بشعوب الترك الخطا ضدهم. وبعد قتل شهاب الدين محمد سنة ٦٢٠هـ، خلفه غياث الدين محمود بن محمد، وقد قتل هذا الأخير سنة ٦٠٩هـ، على أيدي الخوارزميين الذين احتلوا فيروزكوه عاصمة الغوريين سنة ٦٠٥هـ، ثم استردوا خراسان كلها، وزالت بذلك الدولة الغورية على أيدي الخوارزميين، بيد أن السيطرة الخوارزمية على بلاد الغوريين لم تدم طويلاً فقد اجتاح جنكيزخان المغولي، بعد ذلك بقليل، المشرق الإسلامي كله.

وقد تعصب الغوريون للإسلام السني واضطهدوا الإسماعيلية، فكانت لهم الأفضلية عند الخلفاء العباسيين في بغداد على الخوارزميين الذين ناهضوا الخلافة.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ٤٢٤.

* * *



الفاتحة

سميت الفاتحة لأنها أول القرآن الكريم في هذا الترتيب. بها تفتتح قراءة القرآن لفظاً، وبها تفتتح الكتابة في المصحف خطاً، وتفتتح بها الصلوات.

وقيل في أسمائها إنها سورة الحمد، وأم الكتاب، والمثاني لأنها تثنى في كل صلاة، والشفاء لحديث رسول الله ﷺ: (فاتحة الكتاب شفاء من كل سمٍّ)، وفي نص عند الدارمي: (فاتحة الكتاب شفاء من كل داء).

وسميت الوافية والكافية وأم القرآن والأساس.. الخ.

وهي مكية لأن الصلاة فرضت في مكة، ولا تكون صلاة بغير الفاتحة لحديث رسول الله ﷺ: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)، ولأنه نزل في سورة الحجر، وهي مكية، قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر/٨٧].

وبعضهم قال إنها نزلت مرتين في مكة أولاً وبعدها في المدينة يوم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وهذا موقف توفيقي، والأرجح أنها مكية لما بيَّناه سابقاً.

وهي، فوق فضائلها كلها كسورة، الأساس في كل ركعة من الصلاة، والحديث النبوي بيَّن ذلك: (لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب).

أسعد السحمراني

المراجع: ١٠٩، ١٩٧، ٢٥٣، ٤٦٩.

* * *

الفاتيكان

هي أصغر دولة في العالم، مساحتها ٠,٤٤ كلم٢.

والفاتيكان هو اسم إحدى تلال روما، وتقع على الضفة اليمنى لنهر التيبر. يبلغ عدد سكانها ١٠٠٠ نسمة.

رسم علمها الكاردينال غاتوفي سنة ١٨٢٥م، أما نشيدها الوطني فقد اعتمد سنة ١٩٥٠م، وكان قد وضعه الفرنسي شارل غونو سنة ١٨٦٩م.

في سنة ٣١٣هـ، وهب الأمبراطور الروماني قسطنطين الأول البابا ملتياد الثاني أراضي عائلة اللاتراني الرومانية فأصبحت مركز سكن البابوات.

توسعت أملاك الكنيسة حتى سنة ١٥١١م، تارة بالأوقاف وطوراً بالحروب وأحياناً بالشراء، فأدار الكرسي الرسولي هذه الممتلكات على شكل إقطاعات استثمرتها عائلات الأمراء الإيطاليين، ثم عادت فتقلَّصت بين سنتي ١٥٤٥م و ١٨٠٩م، حيث بلغت مساحتها حوالي ٦٨ ألف كلم٢.

وبعد إعلان الوحدة الإيطالية سنة ١٨٧٠م ألغت الحكومة الإيطالية سلطة البابا الزمنية مقابل دفع مبلغ ٣,٨ مليون لير سنوياً للكرسي الرسولي الذي لم يعترف بالدولة الإيطالية الجديدة.

وفي ١١ شباط (فبراير) ١٩٢٩م وقَّعت الحكومة الإيطالية مع البابا بيوس الحادي عشر معاهدة اللاتران التي أسَّست بموجبها «دولة حاضرة الفاتيكان»، فدفعت الحكومة الإيطالية مبلغ ٧٥٠ مليون لير إلى الكرسي الرسولي تعويضاً عن أملاك الكنيسة التي ضُمَّت إلى الدولة الإيطالية. من

ناحية أخرى تخلّى البابا نهائياً عن سلطته الزمنية، وتعهد بالوقوف على الحياد في الصراعات الدولية، كما أصبحت المسيحية الكاثوليكية ديناً للدولة الإيطالية.

وفي سنة ١٩٤٨م وقع الڤاتيكان مع الحكومة الإيطالية اتفاقية جديدة، حلّت مكان معاهدة اللاتران، قضت بفصل الدين عن الدولة في إيطاليا.

البابا هو رئيس دولة الڤاتيكان. في القديم كان يساعده في حكم ممتلكات الكنيسة وزيران، الأول يهتم بالسياسة الخارجية والعسكرية، والثاني يهتم بالمال والقضاء.

وبموجب دستور سنة ١٩٢٩م انفصل حكم الكنيسة عن حكم دولة الڤاتيكان، فالبابا هو الحاكم المطلق ويمارس السلطتين التشريعية والتنفيذية، أما المصالح الإدارية والمالية والقضائية فيتولاها حاكم.

للڤاتيكان عملته ومصرفه، وشرطته وبريده وإذاعته وصحيفته وهي الأوبسرڤاتوري رومانو التي أسّسها البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦١م. وله أيضاً حرسه وهو الحرس السويسري الذي أنشأه البابا يوليوس الثاني سنة ١٥٠٥م ويبلغ عدده حوالي ١٧٠ عنصراً جميعهم من السويسريين الكاثوليك. لا يوجد في الڤاتيكان نظام ضرائبي، ويمثّل الڤاتيكان في الخارج قصّاد رسوليُّون.

الڤاتيكان هو مركز السلطة العليا للكنيسة الكاثوليكية، والبابا هو رأس الكنيسة. أما تسمية بابا فقد حملها أسقف روما منذ أيام البابا يوحنا الثامن (٨٧٢ ـ ٨٨٢م). وكان مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، قد اعترف بأولوية كرسي روما التي فرضها البابا غريغوريوس الكبير على كنائس الغرب جميعاً في أواخر القرن السادس.

يساعد البابا في إدارة شؤون الكنيسة مجموعة من المؤسسات تدعى الكوريا، وتتألف من:

ـ أمانة سرّ الدولة، وهي بمثابة رئاسة حكومة الكنيسة، تأسست في أواخر القرن الخامس عشر وهي مسؤولة عن العلاقات بين مؤسسات الكنيسة وحكومات العالم ويترأسها كاردينال، تقسم إلى قسمين: الأول يهتم بالقضايا الداخلية للكنيسة، والثاني يهتم بالعلاقات الخارجية للكنيسة.

ـ المجامع، وهي بمثابة وزارات أهمها مجمع عقيدة الإيمان، مجمع الكنائس الشرقية، ومجمع تبشير الشعوب.

ـ المحاكم، وأهمها الروتا التي تتألف من اثني عشر قاضياً وهي محكمة الاستئناف لجميع المحاكم الكنسية في العالم.

ـ المجالس البابوية التي تهتم بالقضايا الراعوية وأهمها الكور أونوم (Cor Unum)، ومجلس الحوار بين الأديان.

ـ السينودسات وهي على ثلاثة أنواع: عادية، استثنائية، وخاصة (لبنان مثلاً)، وهي مؤسسات استشارية.

ـ المجمع المقدس أي مجمع الكرادلة، ومهمته انتخاب البابا منذ سنة ١١٧٩م.

تحتوي دولة الڤاتيكان على:

ـ قصر البابوات، وهو مقرُّ البابا الذي اتخذ شكله الحالي في أواخر القرن الخامس عشر.

ـ كنيسة القديس بطرس التي اتخذت شكلها الحالي في أوائل القرن السابع عشر.

إلى جانب الحدائق والمتاحف والمكتبات التي يفوق عدد كتبها المليونين.

كريستيان الحلو

المراجع:

* * *

الفاطميون (٢٩٧ ـ ٥٦٧هـ/ ٩٠٩ ـ ١١٧١م)

٢٩٧هـ المهدي بالله أبو محمد عبدالله	٩١٠م
٣٢٢هـ القائم بأمر الله أبو القاسم محمد	٩٣٤م
٣٣٤هـ المنصور بالله أبو طاهر إسماعيل	٩٤٥م
٣٤١هـ المعز لدين الله أبو تميم معد	٩٥٣م

٣٦٥هـ	العزيز بالله أبو منصور نزال	٩٧٥م
٣٨٦هـ	الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور	٩٩٦م
٤١١هـ	الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي	١٠٢١م
٤٢٧هـ	المستنصر بالله أبو تميم معد	١٠٣٦م
٤٨٧هـ	المستعلي بالله أبو القاسم أحمد	١٠٩٤م
٤٩٥هـ	الآمر بأحكام الله أبو عبد الله محمد	١١٠١م
٥٢٤هـ	الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد	١١٣٠م
٥٤٤هـ	الظافر بأمر الله أبو المنصور إسماعيل	١١٤٩م
٥٤٩هـ	الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى	١١٥٤م
٥٥٥هـ ـ ٥٦٧	العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله	١١٦٠ ـ ١١٧١م

الدولة الفاطمية دولة شيعية إسماعيلية ينتسب خلفاؤها إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهم من أبناء إسماعيل بن جعفر الصادق، ويُعرفون بالإسماعيلية. وقد قامت الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م عندما دخل أبو عبد الله الشيعي داعية الفاطميين إلى القيروان قادماً من تازورت قرب بجاية في المغرب الأوسط، وكان قد اتخذها حصناً ومعسكراً يعد فيها القوة العسكرية اللازمة للقضاء على الدولة الأغلبية في إفريقيا، وإقامة الدولة الفاطمية مكانها، التي قامت فعلياً عندما دخل عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين القيروان على رأس قوات من البربر الكتاميين المغاربة الذين جندهم أبو عبد الله الشيعي لإقامة الدولة وخدمتها.

وينقسم العصر الفاطمي إلى أربع فترات:

١ ـ الفترة الإفريقية ـ المغربية في تونس والمغرب (٢٩٧ ـ ٣٥٨هـ/ ٩٠٩ ـ ٩٦٧م).

٢ ـ فترة القوة في مصر والمشرق (٣٥٨ ـ ٤٢٧هـ/ ٩٦٧ ـ ١٠٣٦م).

٣ ـ فترة القلق (عهد المستنصر) (٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦ ـ ١٠٩٤م).

٤ ـ فترة الانهيار وعصر الوزراء (٤٨٧ ـ ٥٦٧هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٧٢م).

توالى في الفترة الأولى أربعة خلفاء هم: مؤسس الدولة عبيد الله المهدي وابنه القائم ثم حفيده المنصور ثم المعز لدين الله ابن المنصور الذي أرسل جيشاً كثيفاً بقيادة جوهر الصقلي لفتح مصر؛ وقد تمكن جوهر من فتح مصر سنة ٣٥٨هـ، وبنى مدينة القاهرة شمال الفسطاط ودعا الخليفة المعز لدين الله للنزول فيها بعد أن بنى فيها الجامع الأزهر.

قدم المعز لدين الله إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ، ومعه جثث آبائه رمزاً لقراره بالاستقرار النهائي فيها وترك إفريقيا والمغرب لقائده بلكين بن زيري الصنهاجي. وفي هذه الفترة، وهي الثانية، أضحت الخلافة الفاطمية أمبراطورية واسعة تضاهي الخلافة العباسية بل أقوى منها، وتمتد من المحيط الأطلسي إلى جنوب الشام وإلى الحرمين ويتصل بنفوذها حكم اليمن، كما تخضع لها بلاد النوبة ويخطب لها في حلب والموصل.

وفي هذه الفترة بني عدد من الجوامع منها جامع الحاكم بأمر الله، كما بني في عهده دار الحكمة وبلغت محتويات مكتبة القصر وحدها، غير مكتبة دار العلم، حوالي مليون مجلد.

أما عهد المستنصر، الفترة الثالثة، فتميز بشدة تقلب الأمور بالخلافة والدولة، فقد وصلت فيه الخلافة ذروة المجد كما عرفت أدنى الحضيض في أوقات متقاربة، وتزامن ذلك مع انفصال المغرب وإفريقيا نهائياً عن الدولة الفاطمية بإعلان آل زيري استقلالهم الكامل عن الفاطميين سنة ٤٤٣هـ، ثم زالت سلطة الدولة عن الأدارسة في المغرب الأقصى سنة ٣٤٧هـ، واستولى النورمانديون على صقلية تماماً سنة ٤٨٥هـ، وخلع أمير مكة طاعتهم سنة ٤٦٢هـ، لدرجة أنه عندما مات المستنصر سنة ٤٨٧هـ، كانت دولة الفاطميين مقتصرة على مصر وساحل بلاد الشام.

وبعد وفاة المستنصر ووفاة وزيره بدر الدين الجمالي وقعت الدولة في دوامة التنافس الوزاري على الحكم، وبعد سلسلة من المؤامرات تنافس اثنان من الوزراء، شاور وضرغام، على الحكم،

ولجأ كل منهما إلى قوة من القوتين في الشام: نور الدين زنكي والصليبيين. وقد دخلت هاتان القوتان وخرجتا مرتين من مصر قبل أن تستطيع قوة نور الدين زنكي الاستقرار فيها، وانتهى الوزيران المتنافسان بالقتل تباعاً. وتسلم الوزارة بطلب من الخليفة الفاطمي العاضد، شيركوه قائد نور الدين ولكنه مات بعد شهرين، ليتسلمها من بعده ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب الذي أنهى، في هدوء، خلافة العاضد وأعاد الخطبة العباسية في مصر سنة ٥٦٧هـ، وقضى على الخلافة الفاطمية.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١٦، ١١٧، ٤٢٤.

* * *

فتح دمشق

كانت مدينة دمشق جنَّة من جنات الأرض، كحسناء تستلقي أسفل جبل قاسيون، ويحيط بها سور بناه الرومان، ارتفاعه حوالي ستة أمتار، وعرضه يقارب الأربعة أمتار ونصف، وعلى السور أبراج مربعة، بين الواحد والآخر خمسة عشر متراً تقريباً. وحول السور خندق يملأ بالماء، ولها أبواب ضخمة تقفل ليلاً، ذكر منها مؤرخو الفتح ستة هي: باب شرقي، وباب توما، وباب الفراديس، وباب الجابية، وباب الصغير، وباب كيسان، وأكبرها باب شرقي، وباب الجابية، وتمتد بينهما أشهر أسواق دمشق. ويقدر طول المدينة المحصنة بألف وستمائة متر، وعرضها بحوالي الألف متر. ونظراً لموقعها وميزاتها فقد اتخذها الرومان عاصمة لبلاد الشام، ووضعوا فيها حامية قوية.

وكان الخليفة أبو بكر وجَّه أربعة جيوش لفتح بلاد الشام، ثم دعمها بجيش بقيادة خالد بن الوليد، انتقل من جبهة العراق إلى جبهة بلاد الشام، ومن الطبيعي أن يكون من أهم أهداف هذه الجيوش فتح مدينة دمشق، لأهميتها التي ذكرناها آنفاً.

ونظراً لقوة الحامية الرومانية فيها، وتحصيناتها القوية، فقد ضربت جيوش المسلمين حصاراً عليها في منتصف شهر صفر سنة ١٤هـ أوائل أيار (مايو) ٦٣٥م. فنزل أبو عبيدة بن الجراح تجاه باب الجابية، وخالد بن الوليد أمام الباب الشرقي، ويزيد ابن أبي سفيان مقابل باب الصغير إلى جهة باب كيسان، جنوب المدينة، واتخذ شرحبيل بن حسنة مكانه أمام باب الفراديس، بينما استقرت قوات عمرو بن العاص أمام باب توما شمال المدينة.

وكان قائد الروم العام في بلاد الشام «توماس» زوج ابنة هرقل، امبراطور الروم، الذي انتقل إلى أنطاكية. أما قائد حامية دمشق فقد كان عسكرياً محترفاً، يتكلم العربية ويحسن المبارزة حتى قيل: إنه لم يخسر مبارزة قط، واسمه «أدادير».

ولما رأى الروم قوات المسلمين تحيط بدمشق حاولوا نجدة حاميتها ففشلوا، وأقام المسلمون نقطة دفاع قوية بقيادة أبي الدرداء عند قرية «برزة» التي تقع شمال دمشق، وتركوا قوة على بعد ٤٥ كم إلى ذات الجهة على طريق حمص.

ولما طال الحصار، وطال انتظار بطريق الروم في دمشق «نسطاس بن نسطورس» النجدة والمدد من دون جدوى، ركَّز اهتمامه على معرفة أحوال جيش المسلمين، فأدرك بناء على معلومات جواسيسه مقدار قوتهم، وأنه لا قِبَل لقواته بهم، فبدأ يفكر في تسليم المدينة صلحاً.

وبادر إلى إرسال الوفود إلى أبي عبيدة تحمل شروط الصلح. وكان الروم يفضلون مفاوضته على مفاوضة خالد، لما عرف عنه من أناة وحكمة، بينما كان أسقف دمشق على معرفة بخالد، تعرَّف إليه عندما كان في طريقه من العراق إلى بلاد الشام حيث مرَّ بالقرب من ديره، فكان يحاول أن يحصل منه على أمان لكنيسته ولأهل دمشق.

وصادف أن ولد في هذه الأثناء ولدٌ لبطريق

الروم في دمشق، فاحتفل بذلك، وأولم لحامية المدينة، فأكلوا، وشربوا، وغفلوا عن مهماتهم، في حين كان خالد بن الوليد يتابع أخبارهم لحظة بلحظة. فلما علم ما هم فيه من لهو وشراب، استنفر قواته التي رافقته من العراق، وتقدم هو والقعقاع بن عمرو، ومذعور بن عدي العجلي، وبعض الفرسان الأشداء، فشدوا على ظهورهم القرب المنفوخة، فعبروا بها الخندق سباحة، ثم قذفوا بسلالم من حبال مجهزة بكلابات حديدية كانوا أعدُّوها لتسلق السور، حتى إذا علق بعضها في أعلى السور، تسلقها الرجال. وبعدما اتخذوا مواقعهم أعلى السور، انحدر خالد مع قوة من رجاله بعدما ترك قوة لتأمين المعبر، فقتلوا حراس الباب، وكسروا أقفاله. وأمر خالد جماعة تركها أعلى السور بالتكبير، وكانت هذه إشارة بدء الهجوم، فاندفعت قوات المسلمين تتزاحم على الباب الشرقي، وتدخله، لتبدأ معركة شرسة داخل المدينة لجهة هذا الباب، حتى إذا أشرقت الشمس كانت القوات المدافعة قد انهارت في هذه الجهة تماماً. وكان خبر اقتحام الباب الشرقي قد وصل إلى حاميات بقية الأبواب، وحيث إن القيادة الرومية كانت في مفاوضات مع أبي عبيدة لتسليم المدينة، قررت قبول شروط أبي عبيدة وأصدرت أوامرها بفتح الأبواب، وإعلان الموافقة على شروط الصلح، ففوجئت قوات المسلمين على مختلف الأبواب وهي تراها تفتح، ولم يكن وصلها ما فعله خالد ليلاً. فدخلت هذه القوات المدينة صلحاً، والتقى أبو عبيدة بخالد الذي دخل عنوة في وسط المدينة، وكان ذلك في يوم الأحد في ١٥ رجب سنة ١٤هـ/ ٣ أيلول (سبتمبر) سنة ٦٣٥م بعد حصار دام أربعة أشهر.

ولما التقى أبو عبيدة بخالد اتفقا على إمضاء الفتح صلحاً على المدينة كلها، وبخاصة أن خالداً كان قد أعطى أسقف دمشق أماناً على شعبها، وتضمن الكتاب:

«أمان أهل دمشق على دمائهم، وأموالهم، ودينهم، فلا تهدم كنائسهم، ولا يسكنها مسلمون».

كما أمضى أبو عبيدة شرط خالد لأهل الدير «دير صليبا» الذي صار يعرف لاحقاً باسم «دير خالد» بالتخفيف عنهم في الجزية.

ومنذ ذلك الفتح تحولت دمشق إلى حاضرة إسلامية، وشغلت مركز عاصمة الخلافة طيلة العهد الأموي، ولا تزال، حرسها الله، عاصمة سورية، ومركز بلاد الشام.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٩٨، ١٢٢، ٣٤٥/١، ٤٢٤.

* * *

فتح القسطنطينية

كانت القسطنطينية (القسم الأوروبي من استامبول حالياً) عاصمة الدولة الرومانية الشرقية عندما فتحها السلطان محمد الفاتح في ٢٠ جمادى الأول سنة ٨٥٧هـ/ ٢٩ أيار (مايو) ١٤٥٣م بعد حصار دام ثلاثة وخمسين يوماً في أرجح الأقوال.

وتقع القسطنطينية على رأس بشكل مثلث متساوي الساقين تقريباً، قاعدته إلى الغرب، وتؤمن اتصال المدينة بالبر، في حين يقع جانبها الجنوبي على بحر مرمرة، والشمالي على خليج ميناء القرن الذهبي، وكانت محاطة من جهة البحر بسور عال، أما من جهة البر فقد كانت مجهزة بخط دفاعي يمتد من شاطىء القرن الذهبي إلى شاطىء بحر مرمرة، عرضه ١٦٠ قدماً، ويتألف من سور داخلي ارتفاعه أربعون قدماً، مدعم بأبراج طول الواحد منها ستون قدماً، والمسافة بين البرج والآخر ١٨٠ قدماً، وأمام هذا السور، وعلى بعد ٦٠ قدماً، يقع سور آخر ارتفاعه خمسة وعشرون قدماً، ومحصن بأبراج شبيهة بأبراج السور الداخلي، ولكنها أصغر منها. وأمامه، وعلى بعد أربعين قدماً، متراس،

وأمام هذا المتراس خندق بعرض ستين قدماً. والسور مجهَّز بأبواب منيعة لا يمكن الدخول والخروج إلا منها، وهذا ما جعلها تستعصي على الفتح الإسلامي من زمن معاوية حتى أيام السلطان محمد الثاني الذي لقب بـ «الفاتح»، على الرغم من أن المسلمين حاصروها مرات عدَّة، أولها في خلافة عثمان بن عفان، عندما كان معاوية أمير بلاد الشام. ولاستكمال الفائدة نتحدث عن أهم حصارين بإيجاز:

حدث الحصار المهم الأول في العام ٥٠هـ حيث جهز معاوية بن أبي سفيان جيشاً كبيراً سلَّم قيادته إلى «سفيان بن عوف» ولكن الحصار طال، وتناقصت مؤن الجيش، وانتشرت الأوبئة في صفوفه، فأنجده بابنه يزيد على رأس جيش كبير، انضم إليه عدد من الصحابة، منهم أبو أيوب الأنصاري، الذي استشهد ودفن على مقربة من أسوارها، ومع ذلك لم تستطع كل هذه القوات فتح المدينة، فلجأ معاوية إلى أسلوب رفع الحصار شتاء، وفرضه صيفاً، من الربيع حتى الخريف، حتى إنه في عام ٥٣هـ وجَّه أسطولاً زاد عن ١٧٠٠ قطعة بحرية، وضرب حول المدينة حصاراً قوياً، وعزلها باستثناء الجهة الشمالية، فقد كانت تصلها الإمدادات عن طريق بلغاريا، وهذا هو الفارق بين هذا الحصار وحصار محمد الفاتح. واستمر الحال على هذا المنوال من ٥٣هـ/ ٦٧٤م إلى ٦٠هـ/ ٦٨٠م، حصارٌ في الصيف وعودة إلى «كيزيكوس» في الشتاء، حتى أحسَّ معاوية بدنوِّ أجله، فأوعز إلى ولده يزيد بالانسحاب.

وحصل الحصار المهم الثاني في زمن سليمان ابن عبد الملك، الذي أرسل أخاه مسلمة على رأس مائة وعشرين ألف مقاتل، ودعمه بأسطول من ألف قطعة بحرية، فأنزل ثمانين ألف مقاتل عند الساحل الغربي، لحصارها من الغرب، وبذلك أطبقت القوات المسلحة عليها من البر والبحر. وأقام سليمان في «مرج دابق» ليكون أقرب إلى مكان المعركة. فاستنجد ملك الروم بملك «البرجان» - ملك بلغاريا - فأنجده بجيش كبير، هاجم جيش مسلمة من الغرب، فتكبد المسلمون خسائر فادحة. ثم تظاهر ليون الثالث قائد قوات الروم بالرغبة في الصلح، والحاجة إلى المؤن. فقدم إليه العرب مؤنهم الاحتياطية، ظناً منهم بأن الصلح سيتم بين الطرفين، ولكنه بدل توقيع الصلح استغل الوضع، واستفاد من رداءة الأحوال الجوية، فأنزل بالجيش المسلم ضربة قاصمة. ومات سليمان بن عبد الملك في ذلك الوقت في مرج دابق، حيث آلى على نفسه ألا يغادره إلا بعد فتح القسطنطينية. فلما تولى عمر بن عبد العزيز وعلم بما يعانيه جيش المسلمين أمر برفع الحصار سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م بعدما استمر سنة كاملة. واستمر غزو القسطنطينية في زمن الأمويين والعباسيين من دون تحقيق نتائج مهمة حتى نشأت الدولة العثمانية، وآلَ الحكم إلى السلطان محمد الثاني بن مراد الثاني. فلما استلم هذا السلطان الشاب الحكم سنة ١٤٥١م استغل قسطنطين الحادي عشر الوضع الناشىء عن وجود سلطان حديث السن، وعن أحداث قام بها أمير القرمان ضد السلطان الجديد، فطالب بمضاعفة مصاريف الأسير لديه «أورخان»، وهدد بإطلاق سراحه، ومساعدته في العمل ضد السلطان، فعزم السلطان على فتح القسطنطينية، وبدأ ببناء قلعة مواجهة لأسوارها، ونصب على الشاطىء مجانيق ومدافع ضخمة مصوبة إلى القناة بمهمة منع مرور السفن الرومية. وعرفت هذه القلعة باسم «بوغازكش» ثم «روملي حصار» وكانت النتيجة الحتمية لبناء القلعة ومحاولة هدمها من قبل الروم، أن أعلن السلطان الحرب رسمياً على الامبراطورية البيزنطية.

وبدأت بوادرها بالظهور منذ شهر شباط (فبراير) ١٤٥٣م، ويقدر بعض المؤرخين الجيش الذي حشده السلطان بربع مليون جندي يدعمهم أسطول ضخم، مزودين بمدافع حديثة، منها مدفع ضخم

صنعه المهندس المجري «أوربان» أطلق عليه اسم «المدفع السلطاني»، أما الحرب الفعلية فبدأت بمهاجمة السفن الإغريقية الشواطئ التركية وتدمير إزميد وإحراقها. في هذه الأثناء كان الملك قسطنطين يطلب النجدة من البابا والعالم المسيحي.

ومن ضمن النجدات التي وصلته ثماني سفن بقيادة المغامر الجنوي «جون جستنياني» تحمل سبعمائة مقاتل. فكلّفه قسطنطين بقيادة قوات الدفاع عن المدينة، وأغلق القرن الذهبي بسلسلة تبدأ من طرف المدينة الشمالي وتنتهي عند حي غَلَطَة لمنع أسطول المسلمين من الدخول إلى القرن الذهبي. وقد اعتمدت خطة السلطان في حصاره المدينة على عزلها براً ومنع أي اتصال بينها وبين البلدان المجاورة، ولتحقيق ذلك دمَّر القرى المجاورة لها، ونشر حولها قواته، ووجه إليها عدداً من المدافع السلطانية القوية. كما كلَّف أحد قواده على رأس جيش غير نظامي بمراقبة حي غَلَطَة الذي وقف على الحياد. وكلف الأسطول بمنع وصول العتاد والتموين إلى المدينة، ومهاجمة السفن التي تحرس السلسلة على مدخل القرن الذهبي واقتحامه، وقصف المدينة من الشمال بالنيران. وعسكر هو في المنطقة الوسطى من جهة البر (غرب المدينة) ليستطيع الإشراف على المعركة وإدارتها.

وفي السابع من نيسان (أبريل) بدأت مدافع العثمانيين الرمي التمهيدي لدك أسوار القسطنطينية، ولكن أهلها استبسلوا في الدفاع عنها، وكلما فتحت ثغرة في السور سارعوا إلى سدها، وكذلك لم تفلح سفن المسلمين باقتحام مدخل ميناء القرن الذهبي، بينما وصلت في ٢٠/ ٤/ ١٤٥٣م خمس سفن غربية دعماً للمحاصرين الذين استبشروا بالنصر.

لم يؤثر ذلك على السلطان الذي كان يشن هجمات مركزة على السور، ويفاجئ المحاصرين كل يوم بخطة جديدة وعمل مبتكر.

ففي ١٦/ ٥ علم الروم أن العثمانيين يحفرون نفقاً تحت المدينة، فدبروا لهم مكيدة وأحرقوا النفق عند وصوله إلى نقطة حدودها، ولكن العثمانيين تابعوا حفر الأنفاق، حتى أصبح أهل القسطنطينية يظنون كل وقعة قدم ضربة معول. ثم بنى السلطان برجاً خشبياً من ثلاثة طوابق، أعلى من برج القسطنطينية، في أعلاه كلابات وفي أسفله معدات ردم وتراب، وأقامه أمام باب «رومانوس»، وأخذ يتقدم والروم يرمونه بمختلف أنواع القذائف والنار، حتى احترق بعد أن دمر أربعة أبراج من السور. وأدى احتراقه وتداعيه إلى ردم جزء من الخندق بشكل ساعد المهاجمين على الاقتراب من الأسوار، وهنا دارت مفاوضات بالمراسلة بين الأمبراطور والسلطان لم تسفر عن نتيجة، فزار السلطان السور في ٢١/ ٥ بعد أن أمر جنوده بصوم ذلك اليوم، وتحدث إليهم، وأغراهم بالغنائم بعد الفتح، ثم زار الأسطول في اليوم التالي وأعطاه مهماته التفصيلية.

ثم تفتق ذهن السلطان عن عمل عسكري باهر، حيث إنه لما رأى المدخل البحري شمال المدينة مغلقاً بالسلاسل، ويدافع عنه أسطول قوي، فكَّر بنقل أسطوله براً ليفاجئ الأسطول المدافع من الخلف، وليفاجئ المدينة بأسطوله وقد أحاط بالمدينة وأنزل قواته من تلك الناحية. ولينفذ خطته عمد إلى شق طريق بطول ٦,٣ أميال من البوسفور إلى عمق الخليج، ورصفه بألواح خشبية صبَّ عليها الزيت والدهن، فجعلها على هيئة «مزلق»، وزلق عليها حوالي سبعين سفينة في ليلة واحدة مستعملاً الرجال والدواب، فاستيقظ أهل القسطنطينية يوم ١٥ جمادى الأول سنة ٨٥٧هـ/ ٢٤ أيار (مايو) ١٤٥٣م على أسطول عثماني يحكم الحصار عليهم من آخر جهة ظنوا أنهم لا يؤتون منها. ولم يستطع قسطنطين التخلص من هذه السفن، وبدأت المؤن والذخائر تنفد من المدينة. لم يؤثر ذلك على السلطان الذي كان يشن

هجمات مركزة على السور، ويفاجئ المحاصرين كل يوم بخطة جديدة وعمل مبتكر.

وفي الساعة الواحدة من صباح ٢٩/ ٥ قرع الطبل إيذاناً ببدء الهجوم براً وبحراً، فانطلقت الموجة الأولى باتجاه السور، وكان السلطان يستبدل الموجة بأخرى كلما أُنهكت السابقة، وزادت فيها الإصابات والخسائر. في هذه الأثناء استطاع العثمانيون في القطاع الشمالي قتل القائد البيزنطي، والاندفاع باتجاه المدينة، فزجَّ السلطان باحتياطيه الذي لم يشارك في القتال، وكان المهاجمون يصيحون الله أكبر، فيعطي الصوت ورجعه دوياً هائلاً، ولما رأى قسطنطين تقدم القوات العثمانية خلع ملابسه القيصرية واتجه شمالاً واستمر يقاتل حتى قُتل. ورفع العثمانيون أعلامهم داخل المدينة، فما إن شاهدتها السفن حتى استسلم بعضها وهرب بعضها الآخر. وهكذا سقطت المدينة التي استعصت على كل من حاصرها، بعد واحد وخمسين، أو ثلاثة وخمسين يوماً من المعارك، وكان عمر السلطان محمد يومها ٢٣ سنة، فحمل اسم «محمد الفاتح» من ذلك التاريخ.

ودخل السلطان المدينة ظهر اليوم الرابع بموكب مهيب، فوجد جنوده مشغولين بالسلب والنهب، فأصدر أوامره بمنع أي اعتداء، وزار كنيسة أيا صوفيا، وأقام فيها الصلاة. ثم أعلن بعد إتمام الفتح أنه يضمن حرية إقامة الشعائر المسيحية، واكتفى بتحويل بعض الكنائس إلى مساجد، فرجع من كان هاجر منهم. ثم جمع أئمتهم ورجال دينهم، وترك لهم حرية اختيار رئيس لهم، فاختاروا «جورج سكولاريوس» فأقرهم على اختيارهم، وجعله رئيساً لهم بالأبهة والنظام الذي كان ينتخب به البطارقة، وأعطاه حرساً من الانكشارية، وعين معه مجلساً من كبار رجال الكنيسة، ومنحهم حق النظر والحكم في قضاياهم، ثم نقل عاصمته إلى القسطنطينية التي أطلق عليها من ذلك التاريخ اسم «إسلامبول» أي «تخت الإسلام» أو «مدينة الإسلام».

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٣٥، ٢٩١، ١/٣٤٧.

* * *

فتح مكة

كان الرسول ﷺ قد وقَّع اتفاق هدنة مع قريش سمي «صلح الحديبية» في ذي القعدة سنة ٦هـ/ آذار (مارس) ٦٢٧م، وتفرَّغ للقضاء على القوة العسكرية ليهود المدينة وخيبر، ونشر الدعوة بين قبائل العرب.

وبعد سنتين تقريباً من اتفاق الحديبية نقضت قريش أحد بنوده، وساعدت قبيلة بكر، حليفتها، على خُزَاعة، حليفة المسلمين، التي استنجدت بالرسول ﷺ، فوعدها بالمؤازرة. وحاول أبو سفيان، موفداً من قريش، تأكيد الاتفاق ففشل، وعاد إلى مكة خائباً.

جهَّز الرسول ﷺ جيشه من دون أن يعلن عن وجهته ومقصده، وبلغ تعداده عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار، ومختلف القبائل التي دخلت في الإسلام «غفار - أسلم - مزينة - سُليم - جهينة - تميم - قيس - أسد»، وتوجه نحو مكة، وعسكر على مقربة منها.

في هذه الأثناء كانت قريش قلقة مرتبكة، ولم يصلها خبر عن نيَّة المسلمين، فكان بعض قادتها وفرسانها يخرجون إلى مشارف مكة عسى أن يلتقوا مسافراً يحمل إليهم خبراً.

وفي إحدى الليالي التقى العباس عم الرسول ﷺ، الذي كان يسعى إلى تجنيب قريش هزيمة منكرة، وهو العالم بقوة جيش الرسول وقدرته، بأبي سفيان بن حرب، الذي خرج وزملاء له يتحسسون الأخبار، فشاهد بعينيه نيران المسلمين، وقدَّر تعدادهم، وأدرك قوتهم. فدار بين الرجلين

الحكيمين حديث استطاع العباس من خلاله إقناع أبي سفيان باصطحابه إلى الرسول ﷺ ليستأمنه ويتفقا على خطة تحول دون دخول مكة عنوة.

أعلن أبو سفيان إسلامه، واتُّفق على أن يدخل المسلمون مكة من دون قتال، ويُعلَن أن من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن بقي في بيته وأغلق عليه بابه فهو آمن.

ولكي لا يوسوس الشيطان لأبي سفيان، فينقض عهده، ارتأى الرسول ﷺ أن يريه قوة المسلمين، وصواب قرار أبي سفيان الاستسلام، فجعل عمه العباس يقف برفقته عند مضيق الوادي الذي سيدخل منه الجيش مكة، ويستعرضان القوات فيدرك قوتها وقدرتها.

وهكذا وقف العباس وأبو سفيان في نقطة مشرفة، وأخذت القبائل تمر أمامهما، حتى إذا مرَّ رسول الله ﷺ على رأس كتيبة قال أبو سفيان: «ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة» وانطلق إلى قومه يعلمهم باتفاقه مع الرسول ﷺ، بينما بدأت قوات المسلمين دخولها مكة، بحسب الخطة الموضوعة مسبقاً، والتي تضمنت التفرق في منطقة «ذي طوى» إلى أرتال عدة:

- رتل بقيادة سعد بن عبادة يدخل مكة من الغرب.

- رتل بقيادة خالد بن الوليد، يدخل مكة من الجنوب.

- رتل بقيادة أبي عبيدة، يدخل مكة من الشمال الغربي.

- رتل بقيادة الزبير بن العوام، يدخل مكة من الشمال الشرقي.

وكانت التعليمات المشددة إلى جميع القوات ألا تقاتل إلا من يقاتلها، ليتم الفتح من دون إراقة دماء.

فدخلت القوات من الجهات الأربع من دون أن تواجه مقاومة تذكر إلا قوات خالد بن الوليد التي واجهت مقاومة من متطرفي قريش فقضت عليها بسرعة. وتقدم الرسول ﷺ فدخل مكة خلف رتل أبي عبيدة. وبعدما اطمأن الناس توجه إلى الكعبة الشريفة يحيط به صحابته، فطاف سبع مرات وهو على راحلته، يشير إلى الحجر الأسود بمحجنٌ [عود يمسكه راكب البعير] ثم وقف على باب الكعبة، وقال: (لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدَّعى، فهو تحت قدميَّ هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج.... يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم وآدم من تراب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات/ ١٣].

ثم قال: (يا معشر الناس! ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم!. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء).

ثم أمر الرسول ﷺ بتنظيف الكعبة من الصور والتماثيل، وهدم الأصنام، وأعاد إلى عثمان بن طلحة مفتاح الكعبة، وقال له: اليوم يوم برٍّ ووفاء.

وبفتح مكة بدأت مرحلة جديدة في حياة المسلمين، فلم تمض مدة وجيزة حتى دانت جزيرة العرب كلها بالإسلام.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٣٣٢، ٤٢١، ٤٦٦.

* * *

الفداء (راجع: الصليب)

إن الفداء هو من أهم العقائد التي يرتكز عليها الإيمان المسيحي والعقيدة المسيحية. الفداء في المسيحية هو ما أتمَّه يسوع المسيح على الصليب من حيث إنه افتدى الإنسانية الساقطة بتقديمه ذاته ذبيحة. من هنا، فإن المؤمن بالمسيح، يرتفع بفداء

المسيح له إلى مصاف أبناء الله: «وأما كل الذين قبلوه (أي قبلوا الإيمان بالمسيح) فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله» (يو ١: ١٢ ـ ١٣).

بمعنى آخر، قدم المسيح نفسه فدية عن الذين ابتعدوا عن الله.

بولس وهبة

المراجع: ٥٠٦، ٦٣١.

* * *

فتوى: (انظر إفتاء).

* * *

فرسان القديس يوحنا (أو الأسبتارية، أو فرسان مالطة) (Hospitallers)

تشتهر اليوم باسم فرسان مالطة، ولا تزال قائمة تنشط حالياً في الحقل الاجتماعي تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية، ومركزها الرئيسي الحالي في روما قرب الفاتيكان، ولكن نشاطها مستقل إلى حد كبير عن الدولة الإيطالية.

تأسست هذه المنظمة عام ١٠٩٩م أي عام استيلاء الفرنجة (الصليبيين) على القدس، والمؤسس يدعى جيرار، والمكان الأول كان في دير يوحنا المعمدان (يحيى عند المسلمين)، وأطلقوا على أنفسهم في البداية اسم: إخوة القديس يوحنا أو الأسبتاريين.

وتتباعد المصادر في حديثها عن الاهتمام الأصلي لهذه الجماعة، فهم يقولون كما يردد بعضهم ذلك، بدأوا نشاطهم بتأسيس مستشفى عام، ويقولون: إن البابا باسكال الثاني اعتبر المستشفى الذي أسسه فرسان القديس يوحنا البيت الحقيقي لله، وكان ذلك عام ١١١٣م.

أما المؤرخ فيليب حتي فإنه يدحض ذلك حيث يقول: «أما الأسبتارية، أو فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس، فإنهم كانوا هيئة غرضها تأسيس الفنادق والخانات لراحة الحجاج إلى بيت المقدس، وتأسيس المستشفيات كما دُعوا فيما بعد Hospitallers، ولكنهم انقلبوا بعد ذلك إلى جنود يتعاطون الحرب».

والمعلوم من تاريخ هذه المنظمة أنه قد اتسع نفوذها، وازدادت إمكاناتها، وقد سلحت وتسلحت وحشدت المقاتلين في حروب الفرنجة (الصليبيين) كما بنت القلاع، ومنها قلعة الحصن في سوريا عام ١١٤٥م.

وقد دفعت قوة الأسبتارية المتنامية هذه الجماعة إلى بدء حالة تنازع مع الكنيسة في القدس، وكان ذلك بعد العام ١١٥٤م عندما توفي البابا أناستاسيوس الرابع، وخلفه البابا هادريان الرابع، ويقول المؤرخ واصفاً حال هذه الجماعة في تلك الحقبة: «نفث الشيطان كما يقولون في روح مقدم الأسبتارية ورفاقه فملأها شراً، إذ أنه على الرغم من أن ريموند هذا كان رجلاً ورعاً يخشى الله إلا أنه قام هو ورفاقه بمضايقة البطرك، وغيره من رجال الكنيسة». وقد ظهر تمرد الأسبتارية على أوامر الكهنة في أكثر من مناسبة، ويقول وليم الصوري: «إن الكنيسة الرومانية هي المسؤولة قبل غيرها... ذلك لأن الكنيسة هي التي أعفت جماعة من أن تدين بالتبعية لبطرك بيت المقدس». وقد أعفتهم الكنيسة الرومانية من هذه التبعية لما كان لهم من دور عسكري في حروب الفرنجة.

عندما استرد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، بعد معركة حطين في عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) رحل الأسبتارية إلى عكا، وبعد سقوط عكا إلى قبرص، ومنها إلى جزيرة رودس عام ١٣٠٩م، وبقوا فيها إلى حين سقوطها بيد العثمانيين عام ١٥٢٢م، حيث منحهم شارل

الخامس جزيرة مالطة عام ١٥٣٠م، وبعدها كان اسمهم الذي لا يزالون يحتفظون به: فرسان مالطة. واستمر نفوذهم في مالطة وكان يسمون ولا يزالون رئيسهم أميراً إلى حين سقطت الجزيرة بيد نابليون بونابرت الفرنسي عام ١٧٩٨م.

عندها لم تعد لهم منطقة نفوذ محددة، واستمروا باسم: فرسان مالطة.

وبالإضافة إلى مركزهم الرئيسي في روما تنتشر فروع لهم في أوروبا وأميركا وآسيا، وتتمحور جهودهم في إطار العمل الاجتماعي، والصحي منه بشكل خاص.

لفرسان مالطة نشاط في لبنان من بين الدول العربية، ولهم مراكز نشطت بعد العام ١٩٨٠م وتنتشر في محافظات الشمال وجبل لبنان والبقاع والجنوب.

ومسؤول عملهم في لبنان يسمونه سفيراً، وحتى كتابة هذه السطور هذا السفير هو الذي تم تعيينه عام ١٩٨٠م، واسمه الأمير دو ليكوفيتش تساعده زوجته الأميرة فرانسواز دو بوربون.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤٩، ٢٢٢، ٥٤٥، ٥٥٠.

* * *

الفريسيون Pharisiens

فرقة أو مذهب يهودي، والكلمة معناها: المنفصلون أو المنعزلون، والكلمة آرامية الأصل لغوياً.

وكان الفريسيون يقولون إنهم «حسيديم»؛ أي الأتقياء. ويقولون إنهم حبريم أي الرفقاء، وقد تكون هي الأصل لكلمة حَبْر.

كان الفريسيون جماعة يهودية تميّز نفسها، وتزعم أنها تدافع عن ناموس (شريعة) موسى. جاء نص في العهد القديم يشير إلى مواجهة خاضوها دفاعاً عن اليهودية في سفر المكابيين الأول في الإصحاح الثاني، وفي النص: «حينئذ اجتمعت إليهم جماعة الحسيديم ذوي البأس في إسرائيل وكل من انتدب للشريعة».

وكان الفريسيون من علماء الشريعة الموسوية، وكانوا يعتقدون بأنهم ممتازون بما لهم من علم ودراية بأحكام هذه الشريعة وتفسير الغامض والملتبس فيها، ومن الأسماء التي استخدموها للإشارة إلى مكانتهم بين قومهم أنهم قالوا بأنهم التالميدي شكاييم؛ أي تلاميذ الحكماء أو الحكماء.

قرأ الفريسيون النصوص في العهد القديم قراءة ظاهرية، ولم يتجاوزوا إلى الجانب الروحي وإلى التفاعل معها. وكانوا يقبلون كل ما توارثته الأجيال عندهم من تقاليد بخلاف مذاهب يهودية كانت لا تقبل سوى التوراة بأسفارها الخمسة التي يقولون بأنها أنزلت على موسى عليه السلام يوم كان، إبّان التيه، على طور سيناء منفرداً.

وكانوا يرون في الأوامر والتقاليد المتوارثة عاملاً مساعداً لفهم نصوص أسفار التوراة الخمسة. وكان الفريسيون يؤمنون بيوم الدينونة والمعاد الأخروي بخلاف الصدوقيين الذين لم يعتقدوا بذلك.

وفي العهد الجديد أن الفريسيين، رغم ميلهم إلى دعوة السيد المسيح عليه السلام إلا أنهم اتخذوا موقفاً سلبياً منه يوم تآمر عليه يهوذا الإسخريوطي ويهود. فقد ورد في إنجيل يوحنا في الإصحاح الثاني عشر: «وكان يهوذا، الذي أسلمه، يعرف الموضع، لأن يسوع كان يجتمع هناك مع تلاميذه كثيراً. فأخذ يهوذا الفرقة وخدّاماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمصابيح ومشاعل وأسلحة، فخرج يسوع وهو عارف بجميع ما يأتي عليه وقال لهم: من تطلبون».

أما مواقفهم الإيجابية، فمنها ما ورد في إنجيل

لوقا في الإصحاح الثالث عشر: «في ذلك اليوم دنا إليه قوم من الفريسيين وقالوا له: اخرج واذهب من هنا فإن هيرودوس يريد أن يقتلك».

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٩٠، ٤٠٥، ٤٥١.

* * *

الفصح

أصل الكلمة لا يزال مجهولاً وكذلك معناها. وردت للمرة الأولى في سفر الخروج من العهد القديم (١١:١٢) في إطار خروج الشعب العبراني من مصر، ثم استعملت لتشير إلى أحداث هذا الخروج مجتمعة. كان الفصح يحتفل به كل سنة في أثناء أحد الأعياد الطقسية الكبرى التي يُفرض على اليهود أن يحجُّوا فيها إلى أورشليم (تث ١٦:١٦). كان هذا الاحتفال يتضمَّن عشاءً طقوسياً كانوا يأكلون في أثنائه «حمل الفصح» وهو حمل عمره سنة واحدة. كان العيد يشير إلى عبور (وهو ما يحمله مدلول استعمال كلمة «فصح» المعاصر) العبرانيين من أرض العبودية (مصر) إلى الحرية.

في العهد الجديد أصبحت الكلمة أو العيد يشير إلى عبور المؤمن بالمسيح من العبودية للخطيئة، إلى التحرر والحرية في الله. وبدل أن يأكل المسيح وتلاميذه عشاء الفصح المكون من الحمل المذبوح، ذبح هو نفسه على الصليب ليصير هو الحمل المذبوح كفّارة عن خطايا الناس. أثناء وليمة الفصح أعطى يسوع تلاميذه خبزاً للدلالة على جسده المكسور من أجل حياة العالم، وأعطاهم خمراً للدلالة على دمه المسفوك من أجل حياة العالم وأمر أن «اصنعوا هذا لذكري» (لوقا ١٩:٢٢).

عيد الفصح هو عيد «الانتقال من الموت إلى الحياة» كما يرد في كثير من صلوات العيد، وهو عيد قيامة المسيح من الموت الذي به حصل العبور من العبودية الحتمية للعدو الأكبر للإنسان، الموت، إلى الحرية التي هي الحياة التي لا تعرف نهاية بالإيمان بالمسيح.

تعييد الفصح

نصَّ المجمع المسكوني الأول، المنعقد في مدينة نيقية عام ٣٢٥هـ، على أن يكون التعييد السنوي للفصح حسب القاعدة التالية: الأحد الأول الذي يلي اكتمال البدر الذي يظهر بعد الاعتدال الربيعي، على أن يكون دائماً واقعاً بعد الفصح اليهودي. قبل هذا التاريخ ولسنوات كثيرة بعده، كان المسيحيون يعيِّدون الفصح في تواريخ مختلفة، وربما كان هذا هو سبب إثبات قاعدته في ذاك المجمع.

حتى القرن السادس عشر، كان معظم المسيحيين يعيِّدون الفصح اعتماداً على «التقويم اليولياني»، وهو التقويم المنسوب إلى يوليوس قيصر، والذي حدد طول السنة على أنه ٣٦٥ يوماً وربع اليوم، على أن يزاد يوم كل ٤ سنوات لاستقامة التعداد. إلا أن البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٠٢ ـ ١٥٨٥م) قام بإجراء تعديل على التقويم، آخذاً في الاعتبار أن طول السنة هو أقل من هذا لبضعة دقائق وثواني مما جعله يعتبر أن ١٣ يوماً أضيفت هدراً وزيادة على توالي تعداد السنين، مما جعله يأمر بإرجاع التقويم ١٣ يوماً وجعل التحديد الثابت للاعتدال الربيعي (٢١ آذار (مارس) في التقويم اليولياني) يختل مما لا يجعل من التطابق بين التقويمين أمراً مستمراً بل خاضعاً لحسابات كل منهما.

بولس وهبة

المراجع: ٤٥٦، ٤٩٩، ٦٣٨.

* * *

الفقه

الفِقه، لغة ـ بالكسر ـ: العلم بالشيء والفهم له، والفطنة، وهو عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، أو هو: فهم الأشياء الدقيقة، أو هو: العلم بالشيء والفهم له ـ مطلقاً ـ والفطنة.

ويشهد لهذا المعنى الأخير، ما ورد في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود/ ٩١]. وقال بعضهم: الفقه في الأصل الفهم، يقال: أعطي فلان فقهاً في الدين، أي فهماً فيه قال تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة/ ١٢٢].

وفي الحديث عند البخاري: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

أما اصطلاحاً: فقد استقر العلماء بعد تطور المراد به عبر العصور، على أنه: العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسب من أدلتها التفصيلية.

فالفقه هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل. ولا بد للفقه من إعمال الفكر والذهن بحصافة، لإدراك حقائق الأشياء وكنهها ودقائقها، وهو أخص من العلم بذلك.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ١٧٢، ٣٠٢، ٤٠٧، ٤٤١، ٥٤٩، ٥٣٤.

* * *

فيدا Veda

تطلق الفيدا على الكتب المقدسة عند الهندوس، وقد نقلت لقرون طويلة على شكل تعاليم شفوية، واختلف المؤرخون في زمن تدوينها اختلافاً كبيراً، ورجح بعضهم أن يكون ذلك حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م. والآخر أن يكون التدوين قد تمَّ عام ١٥٠٠ ق.م.

وكلمة «ڤيدا» بالسنسكريتية تعني المعرفة.

والڤيدا، أو الويدا، تتوزع في أربعة كتب هي:

١ ـ الريج ڤيدا Rig Weda (أنشودة لتمجيد الآلهة)، وهو أشهر الكتب الأربعة، ويشمل الريج ڤيدا قرابة ١٠١٧ أو ١٠٢٨ أنشودة دينية يتضرع بواسطتها الهندوس للآلهة، ولا تزال هذه الأناشيد معتمدة عند الهندوس يرددونها في صلواتهم صباح ومساء، وفي حفلات الزواج وسائر المناسبات، ويرون فيها اليمن والخير.

٢ ـ ياجور ڤيدا Yajur weda، وهي أناشيد ونصوص يرتلها الكهنة والرهبان الهندوس عند تقديم القرابين.

٣ ـ ساما ڤيدا Sama Weda، وهي أناشيد يرددونها أثناء إقامة الصلوات، وتقال على شكل أدعية.

٤ ـ آثار ڤيدا Athar Weda، وتشمل مقالات في السحر والرُقي والشعوذات.

ويحمل بعضهم الڤيدا في قسمين هما:

١ ـ ڤيدا سروتي، وفيه دستور الهندوس.

٢ ـ ڤيدا سمرتي، وفيه القوانين التنفيذية أو التشريعات، والكتاب الثاني هو الأهم عندهم، وهو ما تمَّ تدوينه ويتداولونه اليوم باسم «منُّو سمرتي» أو «شرع منُّو».

أسعد السحمراني

المراجع: ٢٧، ٤١٤، ٤٩٤، ٥٢٧.

* * *



القادسية (معركة)

معركة القادسية هي المعركة الفاصلة بين جيوش المسلمين وجيوش الفرس، التي كانت مملكتهم تضم فارس وبلاد ما بين النهرين، وحصلت في أثناء خلافة عمر بن الخطاب.

وكان الفرس قد ولُّوا «يزدجرد» عليهم وتفانوا في طاعته بعد صراع مرير على السلطة بين قادتهم نسبوا إليه إخفاقهم في مواجهة جيوش المسلمين، فأخذ يعيد تنظيم البلاد ويعزز الحاميات، فأدرك قائد المسلمين المثنى بن حارثة الشيباني مراميه، فكتب إلى الخليفة عمر بذلك، فأمره بالانسحاب إلى أطراف الصحراء، وبخاصة أن جيشه صغير، وأهل العراق ثاروا ضدّه بدعم من الفرس. ثم بدأ عمر الإعداد لمعركة فاصلة. فاستنفر قواته وأمر من كان قريباً من العراق بالالتحاق بالمثنى، وجمع ما أمكنه جمعه من القوات في المدينة فبلغت أربعة آلاف مقاتل عيَّن لها الصحابي سعد بن أبي وقاص قائداً عاماً لجيوش المسلمين في العراق. فانتقل سعد بقواته إلى منطقة «زرود» على بعد ٥٨٥ كلم من المدينة، وهناك التحقت به قوات أخرى تقدر بأربعة آلاف مقاتل، بينما كان المثنى ينتظر سعداً في مكان اسمه شراف ومعه اثنا عشر ألف مقاتل، هي مجموع قواته الثمانية آلاف التي انسحب بها من العراق، وما انضم إليه من المقاتلين بناء على توجيهات الخليفة، وهناك مرض المثنى وتوفي بعد أن عيَّن بشيراً بن الخصاصية قائداً بعده.

ولما استلم سعد القيادة العامة جاءته أوامر عمر بتعبئة الجيوش التي بلغ عددها ٣٢٨٠٠ مقاتل، وتعيين أمرائها وقوادها وتنظيمها وتقسيمها أعشاراً، وكانت التعبئة بحسب القبائل، وواعدهم منطقة القادسية. ويمكن تقدير جيش سعد بعشر فرق كل فرقة تزيد قليلاً عن الثلاثة آلاف مقاتل.

تركزت خطة المسلمين، بناءً على توصية المثنى وموافقة الخليفة، على أن تكون منطقة المعركة قريبة من أرض العرب على التخوم من أرض العجم، لتأمين انسحابهم إن ضغطت عليهم قوات الفرس، ولذلك اختار عمر القادسية مكاناً للمعركة. واعتمدت خطة المسلمين على نقطتين:

١ ـ اختيار مكان المعركة على حدود الصحراء، حيث يسهل الانسحاب على المسلمين ولا يوقعهم في المستنقعات والأنهار لو توغلوا في بلاد ما بين النهرين.

٢ ـ أن تكون أرض المعركة منبسطة وواسعة بحيث يستدرج أكبر عدد من الفرس إليها ليمكن توجيه ضربة قاسية إليهم تقضي عليهم قضاءً مبرماً.

وقد وفَّرت القادسية هذين الشرطين، فعسكرت فيها قوات المسلمين وانتظرت شهراً من دون أن يحرك العدو ساكناً، فبدأ سعد يرسل الغارة تلو الغارة، ويتحرش بقوات الفرس لاستدراجها وهي لا تحرك ساكناً، حتى ضجَّ أهل السواد من اعتداءات العرب وغاراتهم، وشكوا حالهم إلى «يزدجرد» الذي قرر أن يرسل قائده رستم على رأس جيش كبير يضع حداً لتعديات العرب المسلمين.

جمع رستم ١٢٠ ألف مقاتل وثمانية آلاف من جنود الخدمات في منطقة ساباط، وتباطأ في تنفيذ

المهمة لأنه لم يكن مقتنعاً بها، وكأنه أدرك خطة المسلمين، وهو القائد المحنك الذي خبر الأيام وخبرته، ولكن يزدجرد أصرَّ عليه فأصبح الوضع كالتالي: رستم يتباطأ، ويحلم بالهزيمة، ويزدجرد يحثه على السرعة، والمسلمون متشوقون للمعركة بعد طول انتظار، وعمر يأمر سعداً بعدم مغادرته المكان، والالتزام بالخطة الموضوعة.

ولما وصل رستم عسكر بقواته مقابل قوات المسلمين، وطلب وفداً للتباحث والمفاوضات، ولم تسفر دعوة الوفد له إلى الإسلام عن شيء، فأمهلوه ثلاثة أيام، ولكن أعوانه استكبروا وأصروا على القتال، بينما كان هو يطلب كل يوم متابعة الحوار. ودارت بينه وبين وفود المسلمين حوارات جميلة يرجع إليها في كتب التاريخ.

ولما انتهت مدة الإنذار (ثلاثة أيام) ابتدأت المعركة، وكان رستم سأل المسلمين أتعبرون - وكان يفصل بينهم نهر - أم نعبر إليكم؟ فقالوا له: اعبروا أنتم. وبدأ العبور صباح ١٣ شعبان سنة ١٥هـ/ ١٩ أيلول (سبتمبر) ٦٣٦م، وأطلق على اليوم الأول من المعركة «أرماث».

وقد نصب رستم سريره أمام نهر العتيق، وجلس عليه يشرف على تنظيم جيشه، وكان الهرمزان على ميمنته ومهران على ميسرته، وبيرزان على الطلائع، وجالينوس على المقدمة. ووضع بعض الخيالة على القنطرة مقابل خيل المسلمين لمنعها من الالتفاف على قواته. ووزع ثلاثين فيلاً على القوات كما توزع دبابات المرافقة على ألوية المشاة في العصر الحديث، فكان مع كل أربعة آلاف مقاتل فيل. وابتكر طريقة للاتصال بيزدجرد في المدائن، فوزع رجالاً من باب إيوان كسرى حتى موقع رستم، المسافة بين الواحد والآخر بحيث يسمع أحدهما الذي يليه، وهكذا كانت الأوامر والتبليغات تصل بسرعة، بينما كان عمر يرسل كل يوم رسولاً إلى سعد ويأتيه كل يوم رسول.

صفَّ سعد قواته في مواجهة قوات الفرس، فوضع عبد الله بن المعتصم على الميمنة، وشُرحبيل بن السبط على الميسرة، وزهرة بن الحويَّة على المقدمة، وعاصم بن عمر التجيبي على المؤخرة. وسدَّ الثغرات بين القوات، وأوكل إلى سواد بن مالك الأسدي قيادة قوات الطليعة. وكان سعد مريضاً، لا يستطيع الجلوس أو الركوب «فانبطح» على وجهه على سطح عال وأوقف بجانبه خالد بن عُرفطة يتلقى منه الأوامر فيبلغها إلى قادة الجيش.

بدأت المعركة بالمبارزة، وكانت المبارزات لصالح المسلمين لأنهم أقوى أجساداً وأخف حركة، وأثناء المبارزة ارتد جندي من جيش المسلمين والتحق بالفرس، ونصحهم بتركيز جهدهم على جهة قبيلة بجيلة لأنها الأضعف، وكان من مصلحة الفرس ابتداء الزحف لأنهم أكثر عدداً، ومعهم تجهيزات لا قبل للعرب بها، فأخذوا بنصيحة العربي ودفعوا بثلاثة عشر فيلاً وعدداً كبيراً من جنودهم باتجاه بجيلة، فنفرت خيل المسلمين من رؤية الفيلة وثبت المشاة فتكبدوا خسائر فادحة، فأمر سعد بنجدتهم وبالتركيز على الفيلة التي بلبلت صفوف جيش المسلمين. فأخذوا يقطعون أحزمة الصناديق التي تحملها والتي يركبها رماة سهام يوجهون سهامهم في كل اتجاه، وكذلك يقطعون أذنابها فتهرب من المعركة راكضة بعد أن ترمي الرماة من على ظهورها، وهكذا استطاع المسلمون الصمود حتى نهاية اليوم بعد أن تكبدوا الكثير من القتلى والجرحى، حيث بلغ عدد قتلى قبيلة أسد وحدها ٥٠٠ قتيل. ولما أرخى الليل سدوله انسحب كل من الفريقين إلى معسكره.

في أثناء التحضير لمعركة القادسية، كان جيش المسلمين، في جبهة بلاد الشام، حقق انتصارات كبيرة وأصبح بإمكان الخليفة عمر إعادة الجيش الذي أرسله أبو بكر من جيوش فتح العراق بقيادة خالد بن الوليد لنجدة جيوش الشام قبل معركة اليرموك، فطلب من أبي عبيدة بن الجراح قائد

جبهة بلاد الشام أن يعيد ذلك الجيش، فتوجه ستة آلاف مقاتل بقيادة عتبة بن أبي وقاص لنصرة جيش سعد، وكان على مقدمتهم القعقاع بن عمرو، فوصلت طلائعهم في صباح اليوم الثاني للمعركة ١٤ شعبان سنة ١٥هـ/ ٢٠ أيلول (سبتمبر) سنة ٦٣٦م، والذي أطلق عليه «يوم أغواث» وربما لوصول النجدة لجيش المسلمين فيه. وكان القعقاع قد قسم جنوده إلى عشرات، فكلما وصل عشرة ظهر من بعيد عشرة أخرى، ليوهم جيش الفرس بكثرة عددهم. وفور وصوله بدأ المبارزة فخرج إليه «بهمن بن جاذويه» فصرعه القعقاع، واستبشر المسلمون خيراً.

ودامت المبارزات حتى الظهر، فالتحم الجيشان، وأدخل المسلمون في المعركة عنصراً جديداً، بناءً على نصيحة القعقاع، حيث جللوا عدداً من الإبل بالبسط المزركشة والمرقعة، وركبها فرسان، واندفعوا بها باتجاه فِيَلةِ الفرس فأجفلتها وشردت بفرسانها، ففعلت بها ما فعلته الفيلة بجيش المسلمين في اليوم الأول. ولم تتوقف المعارك بين الطرفين حتى بعد منتصف الليل. وكثر السواد حتى سميت تلك الليلة «ليلة السواد». وفي ذلك اليوم حدثت قصة أبي محجن الثقفي المشهورة، الذي كان سجيناً عند سعد، فأطلقته زوجة سعد ليشارك في المعركة ويعود ليلاً إلى قيده.

وكانت حصيلة ذلك اليوم ألفي قتيل وجريح في صفوف المسلمين، فدفن المسلمون قتلاهم، وكانت النسوة يداوين الجرحى، بينما ترك الفرس في ساحة المعركة عشرة آلاف قتيل.

وحتى نهاية الليلة الثانية لم تكن القوة الرئيسة القادمة لنجدة المسلمين من بلاد الشام قد وصلت، فأعاد القعقاع جنوده سراً إلى المكان الذي فارقهم فيه، وأمرهم بالعودة إلى المعركة فئة فئة صباح اليوم الثالث ليقوي بهم عزيمة المسلمين، ويظنوا بوصول النجدة. وبدأ صباح اليوم الثالث الذي أطلق عليه اسم «عماس» بالمبارزة، فيما أعاد الفرس الفيلة، فسأل سعد الأعاجم الذين أسلموا عن مقاتلها، ولما أعلموه بها كلّف بعض الفرسان بالفيلين الكبيرين اللذين يقلدهما بقية الفيلة، وكانت الخطة تقضي بفقء عيني الفيل وقطع خرطومه، فما أن نفذت العملية وخرج الفيل لا يلوي على شيء حتى تبعته بقية الفيلة وخرجت من المعركة قبل الظهر. واستمر القتال بقية اليوم وحلّ الليل ولم تسفر المعارك عن نتيجة. وساد الظلام وبدأت «ليلة الهرير» بالالتحام الذي استمر حتى أسفر الصبح، لا تسمع فيها إلا صوت قرع السيوف. ولم يتبين أي من القائدين سعد ورستم وضع قواته حتى الصباح.

ولما طلع صباح ١٦ شعبان ١٥هـ/ ٢٢ أيلول (سبتمبر) ٦٣٦م كان الجهد قد نال من الجانبين، فالمعركة مستمرة منذ صباح اليوم السابق، وبدا جلياً أن النصر لمن يصبر أكثر، وأدرك ذلك القعقاع فانطلق ومعه عدد من الفرسان باتجاه رستم، وهبت ريح شديدة قلعت مظلته، فنزل يستظل ببغل محمل، ولما وصلت مجموعة القعقاع إلى السرير وجدته فارغاً، وصادف أن ضرب أحد الفرسان الحبال التي تربط العدلين على ظهر البغل بسيفه، فسقط أحدهما على ظهر رستم فكسره والفارس لا يراه، فتحامل على نفسه وجرى باتجاه نهر العتيق فعرفه الفارس العربي «هلال بن علفة التميمي» ولحق به وأدركه وهو يعوم في النهر، فجذبه من رجله، وضربه بالسيف فقتله، ثم اعتلى سريره وصاح: «قتلت رستم ورب الكعبة»، فتدفق المسلمون باتجاهه وبدأت هزيمة جيش الفرس.

حاول جالينوس، أحد قادة الفرس، تنظيم انسحاب الجيش عبر النهر من المكان الذي ردموه وعبروا منه، ولكن المسلمين حالوا بينهم وبين ذلك، بعدما تمكن جناح الميمنة الفارسية من الانسحاب، وأما من ثبت ولم يُقتل فقد سلّم نفسه، ولما حان وقت العصر لم يكن في ميدان المعركة سوى المسلمين وأسرى الفرس، وبدأت مرحلة

المطاردة واستثمار الفوز.

وكانت نتيجة المعركة قتل حوالي الستين ألف فارسي، بينهم عدد من كبار قادتهم، بينما خسر المسلمون حوالي العشرة آلاف مجاهد. وبهذه المعركة تحقق هدف المسلمين بتدمير قوة العدو الرئيسة، وبذلك فتحت أبواب العراق وفارس أمام جيوش المسلمين التي اندفعت فاتحة نحو الشرق.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ١/٣٩٩، ٤٢٤.

* * *

القاديانية (الأحمدية)

مؤسس القاديانية هو مرزا غلام أحمد، المولود عام ١٨٣٥م، وكانت وفاته عام ١٩٠٨م.

كان أبوه مقرَّباً من الاستعمار البريطاني، وقد سعى لتعليمه لينال وظيفة، وكان له ذلك عام ١٨٦٤م. في عام ١٨٦٨م استقال ليتفرغ للدراسات الدينية، وكانت دراساته منذ بداية حياته ممزوجة بالشعوذات والخرافات والتنجيم.

يقول أتباعه: «إن سيدنا مرزا غلام أحمد، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، قد أسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بأمر من الله تعالى عام ١٨٨٩م».

وكان زعمه، بداية، أنه مجدد العصر، وبعدها قال إنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، إلى أن كان العام ١٩٠١م حيث ادَّعى أنه النبي، وأن ارتباطه بالنبي محمد ﷺ بدأ من الاسم أحمد، والاسم الثاني للنبي وفق ما ورد في سورة الصف هو: أحمد.

وعندما تمت مواجهته وردَّت مزاعمه بأن النص القرآني أعطى بياناً واضحاً، وبعده السنَّة الشريفة، بأن لا نبي بعد محمد ﷺ. فالآية: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب/ ٤٠]. عمد مرزا غلام أحمد إلى تحريف تفسير كلمة «خاتم» الواردة في الآية الكريمة، فهي عنده تعني أفضل، فالنبي محمد ﷺ هو أفضل الأنبياء ولا تدل الآية على أنه لا نبي بعده.

وفي تفسير آخر، بعد ادِّعاء النبوة، فسَّر القادياني «الكلمة بمعنى ختم النبي محمد ﷺ على مواصلة الأنبياء الذين تقرر مجيئهم في آخر الزمان، وهذا يعني أن مجيء الأنبياء لم ينقطع ولم ينته، ولكن النبوة جارية بشرط أن كل نبي يبعث بعد النبي محمد ﷺ لا بد أن يكون مختوماً بختم النبي محمد ﷺ. والمعنى أنه نبي بعث بختمه وموافقته ليجدد شريعته الموجودة في القرآن الكريم والسنة».

وقد خلط في تصريحاته الأمور خلطاً قد يولد لبساً حول حقيقة بدعته وهرطقاته، حيث قال مرة: «إني أنا المسيح المحمدي، وإني أنا أحمد المهدي، وإن ربي معي إلى يوم لحدي من يوم مهدي».

ويقول كذلك: «لأن النبوات كلها قد انقطعت إلا النبوة المحمدية، فلا يمكن أن يأتي نبي مشرع. أما بعث نبي بدون شريعة فممكن بشرط أن يكون ذلك أولاً من أمة محمد ﷺ. فلأجل ذلك إنِّي من أمته أيضاً ونبي أيضاً، وإن نبوتي، أعني المكالمة والمخاطبة الإلهية، هي ظل للنبوة المحمدية ليس إلا».

ومرزا غلام أحمد كان عوناً للمستعمر البريطاني يبرر احتلاله للهند وسواها. يقول في هذا الأمر مادحاً ملكة بريطانيا ودولتها المستعمرة بما يلي: «اعلموا أيها الأخوان أننا قد نجونا من أيدي الظالمين في ظل دولة هذه المليكة التي نمقنا اسمها في العنوان... هي أعز من الزَّباء بملكها وملكوتها. اللهم بارك لنا وجودها، واحفظ ملكها من مكائد الروس وما يصنعون. قد رأينا منها الإحسان الكثير والعيش النضير، فإن فرَّطنا في جنبها فقد فرطنا في جنب الله... فالحمد لله الذي بدَّلنا من بعد خوفنا أمناً وأعطانا مليكة رحيمة

كريمة ما نرى في عمّالها سطوة المتحكمين».

أضاف مرزا غلام إلى قائمة خدماته للإنكليز طرحه مسألة نسخ الجهاد، وهذا أمر فيه فائدة لكل أعداء الأمة قديماً وحديثاً، بما في ذلك العدو الإسرائيلي الذي يسعى لاستقطاب بعض نشاط القاديانيين إلى أرض فلسطين المحتلة، كما استقطب سواهم من أصحاب مثل هذه الدعوات.

يقول القادياني: «لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنكليزية ونصرتها، وقد ألّفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنكليز من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتركيا، وكان هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة، وتمحا من قلوبهم قصص المهدي السفّاك والمسيح السفّاح، والأحكام التي تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمقى».

ويقول مؤكداً على نسخ الجهاد: «إن الفرقة الإسلامية التي قلّدني الله إمامتها وسيادتها، تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تنتظره، بل إن الفرقة المباركة لا تستحله سراً كان أو علانية، وتحرّمه تحريماً باتاً».

أما أتباعه فقد برّروا نسخ الجهاد بأنه من علامات ظهور القادياني، وأن الحروب توضع معه، فظهوره ظهور لمنهج وقف استخدام السلاح، فقد قالوا: «إن سيدنا المهدي والمسيح عليه السلام لم ينسخ الجهاد بالسيف لمصالح الإنكليز، وإنما أجّله لعدم توافر شروطه لمصلحة الإسلام وامتثالاً لسيّده وسيّدنا محمد المصطفى ﷺ الذي حينما أنبأ عن الإمام المهدي والمسيح الموعود أخبر أن من آيات صدقه أنه يضع الحرب».

وقد صدرت عن القادياني مزاعم عديدة منها: أنه حصل كسوف وخسوف، وكان ذلك من علامات ظهوره، وخاطب قريباً له بأن يزوجه ابنته وإن لم يفعل فسيموت بعد وقت قصير، وكذلك سيموت الزوج الذي سيتزوج هذه الفتاة، وزعم أن الطاعون الذي فتك بأهل الهند في حياته كان تأييداً له ضد من لم يستجيبوا لدعوته.

إن القاديانية تنتشر اليوم في مناطق عديدة من العالم، إضافة إلى انتشارها في الهند وباكستان، وقاديان، حيث قبر مرزا غلام أحمد، مكان له قداسة عندهم، وفي شعائرهم الدينية يخالفون المسلمين غالباً، ويتهمون كل مسلم لم يتبع ما جاء به مرزا غلام أحمد من ادعاءات ومزاعم.

يزعمون في مجلتهم التقوى، وفي عددها الصادر في أغسطس (آب) ١٩٩٤م، بأنهم عقدوا جلسة سنوية رقم (٢٩) وذلك يوم الجمعة ٧/٢٩ إلى ٧/٣١/ ١٩٩٤م وترأس الجلسة، حسب معتقدهم، الخليفة الرابع لمرزا غلام أحمد واسمه مرزا طاهر أحمد، وأن الجلسة ضمت ١٠٠٠٠ مندوب من ٧٠ قطراً. ويبدو أنهم يتتشرون بشكل أساسي في بريطانيا وإسبانيا والسويد وكندا حيث افتتحوا مسجداً لهم بمدينة «مابل» في ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢م، وفي بلاد أوروبية وأميركية أخرى، ولا يزال انتشارهم في البلاد العربية ضعيفاً وغير بارز.

من المعلومات المتوافرة عن نشاطهم:

١ ـ إصدار مجلة شهرية اسمها «التقوى» وتصدر من بريطانيا عن دار «الرقيم» ـ إسلام آباد ـ بريطانيا، وعنوانها هو:

The Editor «Altaqwa» - Islamabad, Sheephatch Lane Tilford, Surrey Gu 102AQ - England.

٢ ـ قناة فضائية تلفزيونية باسم: القناة الفضائية الإسلامية ـ لسان حال الجماعة الأحمدية ـ عنوانها:

Mamager, MTA. 16 Gressenhall Road. London SW18 5QL. UK.

أما بالنسبة للموقف الإسلامي من القاديانية فقد صدرت ولا تزال فتاوى متعددة ومن أكثر من مرجع في العالم: عن الأزهر الشريف، وعن

المجمع الفقهي في مكة المكرمة وفي باكستان وسواها، وكلها تحكم بالردة على من اتبع القاديانية، وبالتالي يعد خارجاً عن ملَّة الإسلام لا يرث أبويه ولا يُدفن في مقابر المسلمين وتطلق زوجته منه إن كان قد تزوج من مسلمة قبل انتسابه للقاديانية. وهناك لمن أراد الاستزادة مصدر قيِّم هو بعنوان: «القاديانية فئة كافرة»، صادر عن المحكمة الشرعية الفيدرالية بجمهورية باكستان. ورد في قرار المجمع الفقهي ما يلي: «قرر المجلس بالإجماع اعتبار القاديانية، المسماة أيضاً بالأحمدية، عقيدة خارجة عن الإسلام خروجاً كاملاً، وأن معتنقيها كفَّار مرتدون عن الإسلام، وإن تظاهر أهلها بالإسلام إنما هو للتضليل والخداع».

أسعد السحمراني

المراجع: ١٠٥، ١٥٦، ٢٣٠، ٣٤١، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٤٦.

* * *

القَبَّالة Kabbale، الكابالا

فرقة أو مذهب يهودي أساسه الأفكار التلمودية، حيث اعتمدوا لفهمها تفسيرات باطنية، وقد سميت أول أمرها: الحكمة المستورة، ومن ثم بات اسمها القَبَالة؛ والكلمة من أصل آرامي ومعناها القبول أو تلقي الرواية الشفهية.

والشخصيات التي تعود نشأة القَبَالة إليها: سمعان بن يوشاي من القرن الثاني الميلادي، وقد اختفى عن الأنظار مدة في مغارة ومن ثم خرج عليهم ليقول: إن أسراراً قد كشفت له، وأنه قد حصَّل شكلاً من الكشف أو الإلهام.

تأثَّرت القَبَالة بفلسفات هندية وفارسية ويونانية إشراقية، كما أنها أخذت بفكرة الانتظار. وفكرة القَبَالة شقت طريقها فعلياً بين يهود بدءاً من القرن الثالث عشر الميلادي، وقد ظهرت مجموعة نصوص عندهم جمعوها في كتاب أو سفر سمَّوه: زوهار. والزوهار كلمة آرامية معناها النور أو الضياء، وقد دون الزوهار بالآرامية موسى اللبوني (١٢٥٠م - ١٣٠٥م) في أسبانيا، إلا أن قسماً كبيراً من هذه النصوص تعود إلى القرن الثاني الميلادي مع سمعان بن يوشاي.

كل كلمة في الزوهار وكل حرف يحمل، باعتقاد القَبَاليين، معنى باطنياً لا يعرفه سوى حاخاماتهم، ولهذا جعلوا من القَبَالة حركة باطنية سرية. وللسحر مكانة أساسية عندهم، وما ذلك إلا لاعتقاد أتباع القَبَالة أن السحر منزَّل من الخالق عن طريق الأنبياء الذين نقلوه إلى الحكماء، وهذا طرح غريب ومستغرب.

والقَبَاليون يعتمدون التأمل الذي يقود صاحبه إلى أن يصبح منيراً، وقد اعتمدوا نصاً من سفر دانيال فيه: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والرذل الأبدي، ويضيء العقلاء كضياء الجلد، والذين جعلوا كثيرين أبراراً كالكواكب إلى الدهر والأبد».

إن القبالة لا تزال منتشرة بين يهود إلى اليوم.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨٣، ١٨٧، ٣٥٤، ٥٢٨، ٦٠٩.

* * *

القتال

ورد ذكر القتال في القرآن الكريم في عشرات الآيات التي شرَّعت أحكام الجهاد في سبيل الله، وحثَّت عليه، رغم أنه مكروه لدى النفوس البشرية، لما فيه من بذل المال وخطر الهلاك. فالله تعالى يقول في مُحكم كتابه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/٢١٦]، أي قد تكره النفوس شيئاً وفيه كلُّ النفع والخير، وقد تحبُّ شيئاً وفيه كلُّ الضرر والشرِّ. وبذلك، فلعلَّ في القتال - وهو

مكروه ـ خيراً، لأنَّ فيه، إما النصر وتوابعه وإما الشهادة ومنزلتها العالية. ثم إن في تركه ـ وإن كان محبوباً ـ شراً، لأن فيه الذلَّ وحرمان أجر الشهادة العظيم، والله أعلم بعواقب الأمور.

ولما كان بذل النفس أمراً كبيراً، فإن أجر الشهيد أكبر، فالشهداء عند ربهم يتنعَّمون في جنان النعيم، وهم أحياء في جنة الخلود. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران/١٦٩]، وقال عز وجل أيضاً: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٤].

وقال رسول الله ﷺ بشأن أجر الشهيد: (إن في الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) [أخرجه النسائي].

والأهداف السامية من مشروعية الجهاد هي: نصرة الحق وإعزاز دين الإسلام، وحماية الأمة من أعدائها المتربِّصين بها، وإزالة الحواجز المادية التي تقف عقبة في وجه الدعوة الإسلامية؛ وذلك محبة ورحمة بالعباد، بغية نقلهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

وليس أمر الجهاد عدواناً على الآخرين الآمنين، إذ نهى الله عن قتال المعاهدين المسالمين، وإن كانوا كفاراً، شريطة ألا يعتدوا على المسلمين وألا يعينوا أعداءهم عليهم، فمثل هؤلاء لهم حق البر والإحسان إليهم والعدل معهم، فالله تعالى يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة/ ٨، ٩].

وقتال الجهاد هذا إنما هو قتال المسلمين للكفّار حتى يكون الدين لله وحده؛ أما قتال الفتنة بين المسلمين أنفسهم، فلا يعد جهاداً في سبيل الله. فإذا ما نشب قتال بين طائفتين من المؤمنين، فواجب المسلمين الآخرين أن يعملوا على إطفاء نار الفتنة بين الفريقين؛ وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا...﴾ [الحجرات/٩]، فإن وقع الصلح بينهما فهو المُبتغى. لكن إن كانت إحدى الطائفتين على حق والأخرى هي الباغية وتصرُّ على القتال، فقد وجب نصرة المعتدي عليها لردع الأخرى عن عدوانها والوقوف عند حدود شرع الله ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات/ ٩].

نايف معروف

المراجع: ٢٠٣، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٠٣، ٥٥٣، ٥٦٢/ ١.

* * *

قديس

في الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية يعتبر قديساً من عاش قريباً من الله بالصلاة والزهد والأعمال الصالحة وتطبيق وصايا الإنجيل. وفيما تشترط الكنيسة الكاثوليكية أن يكون المرشح للقداسة (وهذا يتم من قبل كنيسة محلية إلى الفاتيكان) قد أجرى الله بواسطته ثلاث عجائب إبان حياته أو بعد مماته. لا تشترط الكنيسة الأرثوذكسية ذلك فيما تستطيع أي من الكنائس الأرثوذكسية تطويب القديسين. إلا أنه في كلتا الحالتين لا يعترف بإنسان قديساً إلا بعد مماته وفي حال إعلان الكنيسة ذلك بقرار رسمي، وإن كان هناك حالات ابتدأ الناس يتعاملون مع أشخاص معينين على أنهم قديسون أثناء حياتهم أو بالتشفع بهم بعد مماتهم وإكرامهم.

القديس، إذاً، هو إنسان قريب من الله إلى درجة أن الناس يعتبرون أن له دالة بحرارة الإيمان والزهد على الله، فيطلبون شفاعته عند الرب إما لحاجة معينة أو لكي يتقربوا هم بصلاتهم إلى الله.

القديس، في عرفهم، شخص قريب من الله يستطيع أن يحمل صلواتهم إليه، أو أن يصلي هو بدوره إلى الله من أجلهم.

إن هذا المفهوم للقداسة تطور عبر الزمن ابتداء من القرن الثاني، فيما كان مفهوم العهد الجديد هو أن كل مسيحي قديس وذلك لأن الذين كانوا يدخلون إلى المسيحية أثناء اضطهادها، أو خلال الجو المعادي لها كانوا يفعلون ذلك عن اقتناع. فالرسول بولس ينادي المسيحيين في رسائله «بالقديسين»، واليوم تنتشر ظاهرة تكريم القديسين في معظم أرجاء المسيحية.

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩، ٥٠٦، ٦١٤.

* * *

القذف

القذف، لغة: الرمي عن البعيد، واستعير للشتم والعيب، وقيل: بل هو حقيقة في السب. وفي الاصطلاح الشرعي: هو الاتهام بالزنى والنسبة إليه فيما يتعلق بالنسب.

وقد ورد حكم القذف في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور/ ٤]، وقد خص الله تعالى النساء بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال، وقد أجمع العلماء على أن حكم الرجال والنساء هنا واحد.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٣٣، ٩٦، ١٦٦، ١٧٢، ١٩٧، ٢٠٨، ٤٤١، ٥١٠، ٥١١، ٥٤١.

* * *

القراض

قرض الشيء قرضاً: قطعه، وقارض فلاناً مقارضة وقراضاً، أعطاه قرضاً، أو دفع إليه مالاً ليتّجر فيه، ويكون الربح بينهما على ما يشترطان. والقراض في لغة الحجاز، هي المضاربة في لغة أهل العراق. والقراض أو المضاربة هي: أن يدفع صاحب المال إلى عامل مالاً، ليتّجر فيه، ويكون الربح بينهما بحسب ما شرطا، وأما الخسارة، فهي على صاحب المال. وقد عرَّفها الزيلعي من الأحناف بأنها: شركة بمال من جانب، وعمل من جانب.

وقد اتفق الفقهاء على مشروعيتها وجوازها بكثير من الأدلة النقلية فضلاً عن الإجماع والقياس.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٦، ١٥٧، ٤٤٨، ٥١٠، ٥١١، ٥٥٩.

* * *

القرامطة (٢٨١ ـ ٤٧٠هـ/ ٨٩٤ ـ ١٠٧٧م)

ترجع جذور القرامطة إلى الأفكار الدينية المتعلقة بالمهدي المنتظر في الفكر الشيعي.

وقد اختلف في تسميتهم بالقرامطة على عدة أقوال، منها أن هذه التسمية ترجع إلى رجل بإحدى القرى بسواد الكوفة اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب «كرميتة» لحمرة عينيه؛ وقد التقى هذه الرجل برجل من الباطنية يدعى حسين الأهوازي، وكان هذا يتظاهر بالورع والزهد والتقشف وبكثرة الصلاة ويدعو إلى الإمام من أهل البيت، كان هذا الرجل مريضاً فحمله كرميتة إلى منزله واعتنى به، وبدأ المذهب ينتشر من هذا البيت، ونسب المذهب إلى كرميتة باعتباره الذي آوى الداعية وحث الناس على اتباع مذهبه.

وثمة قول آخر يرى أن لفظة قرامطة نسبة إلى مذهب يقال له القرامطة، وهو مذهب خارج عن مذهب الإسلام. وهو بهذا نسبة إلى مذهب باطل وليس منسوباً إلى رجل.

ويرى آخرون أن القرامطة ينسبون إلى حمدان ابن الأشعث نفسه، وهو رجل كان يعيش بسواد

الكوفة ولقب قرمطاً لأنه كان قصيراً وكانت رجلاه قصيرتين، وكان خطوه لذلك متقارباً فنعت بالقرمطي. بينما يرى فيليب حتي أن لفظ (قرمط) معناها المعلم السري. وكانت دعوة القرامطة حافلة بالأسرار.

ومهما اختلفت التسميات فقد اغتنم القرامطة فرصة وجود التذمر الاجتماعي والفوضى التي أعقبت ثورة الزنج العبيد في جنوب العراق، وقاموا ببناء دولة في البحرين، نشطة وذات اقتصاد مزدهر، وكان أبو سعيد الجنابي الداعي، مبعوث حمدان قرمط، هو مؤسس السلالة القرمطية وهو الذي بنى تلك الإمارة متخذاً من بلدة هجر ثم الإحساء عاصمة لها، ومتوسعاً نحو اليمامة ونحو عُمان. وكان أبو سعيد في الأصل داعية في الأهواز فهرب منها، ثم كلّفه حمدان بتنظيم الدعوة في البحرين فنجح وسيطر.

وقد قتل أبو سعيد سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م في مؤامرة يُعتقد أن للفاطميين يداً فيها بعد أن ظهرت استقلالية حركته عن الدعوة الفاطمية الإسماعيلية. وكان أبو سعيد قد أوصى بخلافته لابنه الأصغر سليمان فتولاها ابنه سعيد مدة أربع سنوات ثم ثنّى لسليمان الذي عرف باسم أبي طاهر. وقد هاجم القرامطة بقيادة أبي طاهر البصرة ودمروها، كما دمروا الكوفة وحوض الفرات حتى منطقة الرقة ورأس العين. وامتدت حركتهم الحربية عبر طريق الحج العراقي إلى مكة فأتت عليها وعلى الحجاج فيها سنة ٣١٧هـ، وحملت الحجر الأسود إلى هجر. وفي هذه الفترة حاولت الخلافة الفاطمية في إفريقيا (تونس) تبني الجماعة القرمطية والتقرب منها، كما تدخلت لديها لإعادة الحجر الأسود إلى مكة فأعاده القرامطة بعد ٢٢ سنة إلى مكانه. وكان أبو طاهر قد توفي سنة ٣٣٢هـ مجدوراً، وخلفه شقيقه أبو منصور أحمد، فهادن بغداد التي كانت تحت سيطرة البويهيين الشيعة منذ سنة ٣٣٤هـ، وتعاون مع الحمدانيين في شمالي سورية، لكنه ظل على خصومته للأخشيديين في جنوب الشام لأنهم كانوا يقيمون العراقيل ضد العبور التجاري القرمطي. وكانت مدن وسواحل فلسطين من أهم الموانىء للقرامطة فهاجموها أكثر من مرة، وفرضوا الأتاوات على دمشق وطبرية ما بين سنتي ٣٥٣ ـ ٣٥٨هـ، وفي هذه السنة الأخيرة فتح الفاطميون مصر وتحركوا نحو فلسطين، فوقف القرامطة ضد الفاطميين حماية لمصالحهم الاقتصادية. فهاجموا دمشق سنة ٣٦٠هـ، ثم احتلوا الرملة وتوجهوا منها إلى مصر سنة ٣٦١هـ، في حملة برية وبحرية معاً حتى وصلوا إلى مشارف القاهرة. وفي المعركة التي قامت في عين شمس هزم القرامطة شر هزيمة، ثم هزموا مرة أخرى في بلبيس سنة ٣٦٣هـ، بعدما رشى المعز لدين الله الفاطمي الجماعات البدوية فتفرقت عن الحسن الأعصم القرمطي.

وأتت الضربة الأخرى للقرامطة من البويهيين عندما احتل عضد الدولة البويهي عُمان وحاول أخذ الإمارة، لكن الحسن الأعصم استطاع بمن بقي معه من القوة التي عاد بها من مصر أن يهزم العسكر البويهي ويبقي على الدولة، وتوفي سنة ٣٦٦هـ.

وأخذت دولة القرامطة بعد ذلك في الانكفاء على ذاتها والمهادنة مع البويهيين، وكانت الهزائم تلحق بهم حين يحاولون التحرك في العراق. ثم حل محلهم منذ سنة ٣٣٨هـ، بنو الأصفر في خفارة الحجاج والقوافل، لكن مواردهم في الموقع البحري البري الذي يحتلونه في غرب الخليج العربي سمحت لهم بالكفاية والاستمرار حتى ما بعد سنة ٤٥٠هـ، أيام ثورة البساسيري وقدوم السلاجقة. وكانت مدينة الأحساء التي بنوها تسمى البحرين وفيها الأسواق والأعمال والمرافىء وبها قلعة تضم أكثر من ٢٠ ألف محارب. وكان أبناء أبي سعيد يعرفون من بعده بالسادة. وقد سقطت الدولة القرمطية نهائياً بثورة عبد الله بن علي

العيوني عليهم وتعاونه مع أرتق بك السلجوقي سنة ٤٦٩هـ، فقد حاصر الأحساء وأجبر القرامطة على الخضوع للخليفة العباسي ودفع إتاوة سنوية مقدارها عشرة آلاف دينار. وبعد تمردهم عاد إليهم سنة ٤٧٠هـ، ودمر البلد تدميراً كاملاً في معركة باس الأصفر وقتل ثمانية من زعمائهم، فانتهت دولتهم ولكن تعاليمهم الدينية بقيت سائدة بعدهم في البحرين لمدة طويلة.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٩٨، ١١٧، ٤٢٤.

* * *

القرآن الكريم

القرآن هو كلام الله الذي أنزله على رسوله محمد بن عبد الله بلسان عربي مبين. وكلمة «القرآن» اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله. ويرد في القرآن ذاته أسماء له أو صفات تدل عليه مثل «كلام الله» و «الفرقان»، أوصلها بعض العلماء كالسيوطي في الإتقان إلى واحد وأربعين. وترجمة القرآن لا تسمى قرآناً، إنما هي «ترجمة معاني». وقد نزل القرآن على الرسول ﷺ متفرقاً في ثلاث وعشرين سنة على أرجح الأقوال بطريقة الوحي. ويقسم القرآن إلى مكي ومدني، فما نزل منه قبل الهجرة يسمى «مكي»، وما نزل بعد الهجرة يسمى «مدني».

وأول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق/ ١]، وآخر ما نزل منه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء/ ١٧٦]، وذلك في أرجح الأقوال.

وكان الرسول ﷺ يأمر بكتابة الوحي، واتخذ لذلك بعض الصحابة كتّاباً، ويوم توفي كانت الرقاع المكتوب عليها القرآن في عهدة زوجاته، كما كان عدد كبير من الصحابة يحفظون القرآن في صدورهم، فلما قتل عدد كبير منهم في عهد أبي بكر في حروب الردة، كلّف زيد بن ثابت، وهو أحد كتاب الوحي، بجمع القرآن، فجمعه، وبقيت الصحف كلها عند أبي بكر حتى توفاه الله، فأخذها عمر واحتفظ بها طول حياته، ثم انتقلت بعده إلى ابنته حفصة.

وفي عهد عثمان استعارها من حفصة، وكلف زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وأرسل إلى كل قطر من أقطار العالم الإسلامي في زمنه: الشام، ومكة، والعراق، ومصر، واليمن، بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك أن يحرق. ويعدُّ معظم العلماء ذلك العمل مأثرة من مآثر عثمان، بينما خطّأه في ذلك معظم الذين ثاروا عليه.

وترتيب نزول القرآن غير ترتيبه في المصحف، حيث كان الرسول ﷺ يحدد مكان ما ينزل عليه فيقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا. ويقسم القرآن إلى ١١٤ سورة، لكل سورة اسم، وكل جملة من القرآن تسمى آية. وهو مقسم إلى ثلاثين جزءاً. والقرآن المطبوع بكامله أو المنسوخ بين دفتي كتاب يسمى مصحفاً.

وآيات القرآن الكريم تنقسم إلى قسمين بوجه الإجمال:

القسم الأول: ويتضمن الدعوة إلى التوحيد، وإعمال العقل للتوصل إليه، بالتفكر في خلق السماوات والأرض، والتبصر في الكون وتأمله لتبين إبداع الله في خلقه، ولفت الإنسان إلى نفسه ونهايته، والاعتبار مما حلَّ بالأمم السابقة، والترغيب بالإيمان، وتبيان أن الجنة هي ثواب المحسنين، وجهنم هي مأوى الكافرين.

والقسم الثاني: ويتضمن آيات الأحكام التي تنظم علاقات الإنسان بخالقه (العبادات)، وعلاقات البشر بعضهم ببعض، والمعاملات، وتنظيم المجتمع، والأسرة، وأحكام الجنايات (الحدود)، والعلاقات مع المجتمعات الأخرى في السلم والحرب.

ويلاحظ قارىء القرآن أنه في معظم الأحيان لم يدخل في التفصيلات تاركاً ذلك للرسول ﷺ، وليترك للبشر فسحة للاجتهاد في كثير من الأحيان بحسب تطور الزمان واختلاف المكان.

والقرآن الكريم معجز في أسلوبه غير المألوف عند العرب، ومعجز في فصاحته، وبلاغته، أدرك ذلك عرب الجاهلية، أهل الفصاحة والبيان، فبهرهم إعجازه، فآمنوا بأنه وحي من عند الله تعالى، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء/ ٨٨].

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٣٣٢، ٣٣٣، ٥٥٣.

* * *

القراؤون

فرقة يهودية بدأ ظهور مواقفها في القرنين السابع والثامن للميلاد أي بعد الإسلام. من أبرز شخصياتهم شخص أصفهاني يدعي عوبديا بن عيسى نادى كالسامريين والصدوقيين بأن يأخذ يهود بالتوراة، وأن يهملوا التلمود وكل ما أضافه حاخامات يهود.

بعض المؤرخين سماهم العنانية، وقد ذكر ابن حزم الأندلسي بأنهم «لا يتعدون شرائع التوراة، وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام، ويتبرأون من قول الأحبار، ويكذبونهم».

وأما من اتبعهم، وهم العيسوية أصحاب عوبديا ابن عيسى، فقد كانوا يقولون: «إن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل. ويقولون: إن محمداً ﷺ نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل عليهم السلام، وإلى سائر العرب».

اشتد الصراع بين القرائين وسائر فرق يهود ـ خاصة الربانيين والفريسيين ـ لدرجة أن بعض الفرق حرمت الزواج من القرائين، وأن من يولد من هذه الزيجات ليسوا أولاداً شرعيين ولا يعدونهم من شعب الله المختار وفق مزاعمهم. واستمر هذا الصراع طوال العصر العباسي وكان على أشده في عهد الفاطميين، واستمر القراؤون في نشاطهم حتى القرن السابع عشر للميلاد ثم تقلص انتشارهم في أوروبا وأميركا، وبدأوا ينحسرون مع بروز الحركة الصهيونية لأنهم لم يوافقوا على مشروعها السياسي، وحسب رأيهم فإن تأسيس الدولة يجب أن يكون على يدي المسيح المنتظر من قبلهم، وليس على يد منظمة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٦٩، ٣٥٤، ٣٨٠، ٥٢٤.

* * *

القضاء

القضاء، لغة: الحكم بين الناس. وشرعاً: فصل الخصومات وقطع المنازعات، وهو من فروض الكفايات باتفاق أئمة المذاهب، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [النساء/ ١٣٥].

١ ـ تاريخ القضاء في الإسلام: كان الرسول ﷺ في دولة المدينة يتولى بنفسه القضاء بين الناس، فلم يكن للمسلمين قاضٍ سواه، يصدر عنه التشريع ثم يشرف على تنفيذه، فكان يجمع بين التشريع والتنفيذ والقضاء، وباتساع الدولة عَهِدَ الرسول ﷺ إلى بعض أصحابه بالقضاء، فبعث علياً كرَّم الله وجهه إلى اليمن للقضاء بين الناس، وبعث إليها أيضاً معاذ بن جبل رضي الله عنه وولى عتاب بن أسيد أمر مكة وقضاءها بعد فتحها، وسار الخلفاء الراشدون على هذا المنهج، فتولى عمر القضاء في عهد أبي بكر، وتم في عهد عمر، بأمره، فصل القضاء عن الولاية الإدارية، وعين القضاة في أجزاء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ومكة والبصرة والكوفة ومصر، فكان عمر هو أول من وضع أساس السلطة القضائية المتميزة في الإسلام، وأول من وضع دستور القضاء في رسالته

المشهورة لأبي موسى الأشعري. وهو أول من استحدث نظام السجون، وكان عثمان أول من اتخذ داراً للقضاء بعد أن كان القضاء في المسجد، وكان للقضاة أجور من بيت مال المسلمين منذ عهد عمر مقابل تفرغهم للقضاء.

ثم تطور القضاء في عهد الأمويين والعباسيين، فتحددت سلطات القاضي واختصاصاته وتنوع القضاء، وبدأ تسجيل أحكام القضاء في بدء العهد الأموي، واستُحدث في عهد العباسيين منصب قاضي القضاة الذي كان أول من تولاه أبو يوسف، تلميذ أبي حنيفة، فكان بمثابة وزير العدل، يعين القضاة ويعزلهم ويراقب أعمالهم وأحكامهم.

٢ ـ أسس القضاء في الإسلام:

١ ـ اعتماده على العقيدة والأخلاق بدءاً من اختيار القاضي ومعاملة الخصوم وانتهاءً بإصدار الأحكام وتنفيذها.

٢ ـ ضرورته في كل دولة، حيث يعد أحد سلطاتها الضرورية لوجودها وبقائها، ويستمد قوته من الدولة في إصدار الأحكام واستيفاء الحقوق.

٣ ـ استقلال السلطة القضائية والفصل بين السلطات.

٣ ـ شروط القاضي وآدابه: القضاء ولاية عامة مستمدة من الخليفة، فلا يصلح للتعيين فيه إلا من كان مستكملاً شروطاً معينة وهي:

أن يكون القاضي عاقلاً، بالغاً، حراً، مسلماً، سميعاً، بصيراً، ناطقاً عالماً بالأحكام الشرعية، ذا عدالة واجتهاد.

ومن آداب القاضي ألا يقضي وهو غضبان أو مشغول، وأن يفهم الخصومة فهماً دقيقاً، وأن يرد الخصوم للمصالحة إن تأمل منهم ذلك، كما يندب له الجلوس مع جماعة من الفقهاء يشاورهم ويستعين برأيهم فيما يجهله أو يشكل عليه، وأن يسوي بين الخصمين.

٤ ـ آداب مكان القضاء: يستحب أن يكون مجلس القضاء فسيحاً بارزاً للناس متلائماً مع الوقت، يتناسب مع الحر والبرد، ويكره اتخاذ المسجد مجلساً للحكم، لأن مجلس القاضي لا يخلو من اللغط وارتفاع الأصوات، وقد يحتاج لإحضار المجانين والصغار وذوات الأعذار والكفار ونحوهم، والمسجد يصان عن ذلك كله.

محمود أحمد كفتارو

المراجع: ١٥، ٢٤٥، ٣١١، ٣٧٣، ٣٨٤، ٤١٥، ٤٤٨، ٥١٠، ٥١١، ٥٣٨، ٥٧٣.

* * *

القضاء والقدر

قضى، هو من الألفاظ المشتركة التي تفيد عدة معانٍ، ومن ذلك أنها تأتي بمعنى: حكم وفصل، وتأتي بمعنى: أمر، وتأتي بمعنى: أدى، وتأتي بمعنى: قدَّر وصنع. والقدر مقدار الشيء وحالاته المقدرة له، وفي هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. والقدر مرادف التقدير، والقدر وقت الشيء أو مكانه المقدر له، وفي هذا قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد/ ١٧]. والقدر مقدار من الحكم الإلٰهي على العبد، وهو أيضاً: القضاء الذي يقضي به الله على عباده.

والقضاء والقدر مختلفان في قول العلماء. فالقضاء عندهم: الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر هو: جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله.

وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر: إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدَّره وقضاه، وليس الأمر كذلك، بل هو إخبار منه تعالى عن تقدم علمه بما يكون من فعل العبد في الدنيا وصدور هذا الفعل عن تقدير منه تعالى.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ١٧٢، ٣٠٧، ٣٧٢، ٤٠٧، ٤٢٧، ٤٤١.

* * *

القياس

القياس، لغة: التقدير، ومنه قست الثوب بالذراع إذا قدرته به. وفي الاصطلاح: فقد تنوعت ألفاظ العلماء في تعريفه، ومجمل كلامهم يظهر أنه: إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد النص بحكمها، في الحكم الذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة الحكم.

وذهب جمهور العلماء إلى أن القياس حجة شرعية في الأحكام العملية، خلافاً للظاهرية وغيرهم، ويطلق عليهم: نفاة القياس.

وأركان القياس أربعة: الأصل، والفرع، وحكم الأصل، والعلة.

أما الأصل فهو ما ورد النص بحكمه، ويسمى المقيس عليه. وأما الفرع فهو ما لم يرد بحكمه نص، ويراد تسويته بالأصل في حكمه، ويسمى المقيس. وحكم الأصل: ما ثبت بالنص النقلي، ويراد أن يكون حكماً للفرع. والعلة: هي الوصف الذي بني عليه حكم الأصل، وبالنظر إلى وجوده في الفرع يسوى بالأصل في حكمه.

والقياس منه الجلي والخفي. فالجلي ما كانت فيه العلة منصوصة أو غير منصوصة، غير أن الفارق بين الأصل والفرع مقطوع بنفي تأثيره. فالأول كإلحاق تحريم ضرب الوالدين بتحريم التأفف لهما، بعلة كف الأذى عنهما. والثاني كإلحاق الأمة بالعبد في تقويم النصيب، حيث عرفنا أنه لا فارق بينهما سوى الذكورة في الأصل والأنوثة في الفرع، وعلمنا عدم التفات الشارع إلى ذلك في أحكام العتق خاصة. وأما الخفي فما كانت العلة فيه مستنبطة من حكم الأصل، كقياس القتل بالمثقل على المحدد ونحوه.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ٩٣، ٣٠٢، ٤٢٧، ٤٤١، ٤٥٩، ٥٣٤.

***

القيامة

لا تُفهم القيامة في المسيحية بمعزل عن قيامة يسوع المسيح من الموت. فالرسول بولس يقول: «ولكن، إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم... إن ليس قيامة أموات. فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام» (١ كو ١٥:١٢ ـ ١٣)، والبرهان على أن هنالك قيامة للأموات (في يوم الدينونة) يأتي من أن المسيح قد قام. قيامة المسيح فتحت الباب لقيامة من يؤمن به ليرث الحياة الأبدية، أي ليدخل ملكوت السماوات بحسب قول المسيح في إنجيل يوحنا: «إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥:٢٤). القيامة في المسيحية ليست فقط قيامة الأرواح بل وقيامة الأجساد أيضاً، كما هو مكتوب «فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨:١١)، وأيضاً: «الذي (أي الله) سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون (في القيامة) على صورة جسد مجده» (في ٣: ٢١) بمعنى أن جسد الإنسان «يُزرع (أي يخلق) جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً» (١ كو ١٥:٤٤). ماهية هذا التحول ليست مفسرة في العهد الجديد كما أن آباء الكنيسة لم يغامروا بالدخول في هذا المجال. هناك إشارة واحدة إلى هذا وهي، انطلاقاً من كل ما ذكر آنفاً، تلك المستمدة مما هو مكتوب في الأناجيل عن جسد المسيح القائم من الموت حيث يقول لتلاميذه: «انظروا يدي ورجلي: إني أنا هو. جسُّوني، وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظم كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه». وبينما غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم: «أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل أمامهم» (لو ٢٤:٣٩ ـ ٤٣).

بولس وهبة

المراجع: ٤٦٩/ ١.

***



الكاتار

أو «الأنقياء»، هم، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مسيحيون هراطقة اعتقدوا بازدواجية الخلق. فالله إله الخير، خلق عالم الروح، عالم النور والحقيقة، أما الشيطان، إله الشر، فهو خالق عالم المادة والفساد؛ والإنسان هو الذي يجمع بين العالمين إذ يتكون من روح وجسد.

أما المسيح فهو ملاك أرسله إله الخير، لا لخلاص البشر، بل لتنويرهم بتعاليمه وإرشادهم نحو خلاصهم الروحي الذي لا يتمُّ إلاّ بمعاناة طويلة تنتقل خلالها الروح من جسد إلى جسد، من هنا اعتقادهم بالتناسخ. كذلك رفضوا الزواج والحياة الجنسية التي تؤمّن استمرار العالم المادي الفاسد، ففضلوا الانتحار وشجعوا عليه.

أما مصدر هذه العقيدة فهو المانوية التي نشأت في القرن الثالث في آسيا وانتقلت فيما بعد إلى منطقة البلقان، ومنها إلى أوروبا الغربية حيث عرفت انتشاراً واسعاً خصوصاً في جنوبي فرنسا حيث عرف دعاتها بالألبيين.

بعد أن سعت إلى ارتدادهم شنَّت الكنيسة على الكاتار حرباً صليبية ابتداءً من سنة ١٢٠٩م، قادها سيمون ده مونفور ثم ملوك فرنسا منذ سنة ١٢٢٦م.

تلقّى الكاتار الضربة القاضية بوقوع قلعة مونسيغور (Montsegur) سنة ١٢٤٤م، حيث لجأ عدّة مئات منهم فأُحرق حوالي المئتين رفضوا التخلي عن إيمانهم.

تتناقض البدعة الكاتارية مع الإيمان المسيحي في ثلاثة مواضيع أساسية:

- الخلق، إذ تعتبر أن الله خلق عالم الروح دون العالم المادي.
- التجسُّد، إذ تعتبر أن المسيح ملاك وليس ابن الله المتجسِّد لخلاص البشر.
- هي ديانة للنخبة، إذ انقسم اتباعها إلى «كاملين»، وهم الذين تلقوا سرّاً هو مزيج من العماد والكهنوت، وإلى مؤمنين عاديين.

استمرَّت الكاتارية حتى أواسط القرن الرابع عشر حيث اختفت نهائياً بفضل محاكم التفتيش، فاستعادت المسيحية الغربية وحدتها، وأُلحقت المناطق التي انتشرت فيها بالمملكة الفرنسية.

كريستيان الحلو

المراجع:

* * *

كاهن: (انظر = خوري).

* * *

الكبائر

الكبائر جمع كبيرة، واشتقاقها من الكِبْر وهو الإثم العظيم، وما أوعد الله عليه النار. والكبيرة كالكبر، التأنيث على المبالغة، وفي التنزيل العزيز: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم/٣٢]، وفي الأحاديث ذكر للكبائر في غير موضع، واحدتها كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً، العظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغير ذلك،

وهي من الصفات الغالبة، ويقابلها اللمم وهو صغائر الذنوب والآثام التي يكفي فيها الاستغفار والكفّارات المفصلة في كتب الفقه.

وسأل رجل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي؟ فقال: «هي من السبعمائة أقرب، إلا أنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار».

وقد اهتم عدد من العلماء، قديماً وحديثاً، بتحديد الكبائر والتحذير منها، ككتاب (الزواجر عن اقتران الكبائر) للشيخ شهاب الدين أحمد بن الحجر المكي الهيتمي، وهو كتاب لم يؤلف مثله قبله.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع:

* * *

كاتدرائية

تعني، تحديداً، الكنيسة الرئيسية بمعنى أنها تحوي، تقليدياً، كرسي الأسقف المحلي أو مطران الأبرشية لكونها الكنيسة التي يقيم فيها الخدم الكنسية ولكونها الكنيسة الأم أو الأهم في الأبرشية.

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩، ٥٩٧، ٦١٤.

* * *

كاردينال Cardinal

الكاردينال هو في الأساس المساعد الأول للبابا. وتطلق التسمية كاردينال ـ كاهن، أو كاردينال ـ شماس على الكرادلة المساعدين للبابا كأسقف روما. أما التسمية كاردينال ـ أسقف فتطلق على الكرادلة المساعدين للبابا بصفته بطريرك الكنيسة في الغرب. والبابا هو من يختار ويعين الكرادلة في مناصبهم. وفيما بعد ترقى الكرادلة في الايرارخية الكنسية أي في تراتبية السلطة، وأوكلت إليهم مهمة إدارة الكنيسة الكاثوليكية في العالم. وفي الفاتيكان حالياً يترأس كلٌ لجنة أو مجمع في الكنيسة (Congrégation) كاردينالٌ، على سبيل المثال، مجمع العقيدة والإيمان. وعندما يحين انتخاب أحد الباباوات على أثر وفاته، يجتمع الكرادلة لانتخاب الحبر الأعظم الجديد، ويسمى هذا الاجتماع المجمع المقدس (Conclave)، ويتم خلاله اختيار البابا الجديد وانتخابه من بينهم.

جان بول أبو غزالة

المراجع: ٦٠٣.

* * *

الكرازة

الكرازة هي في الأصل كلمة سريانية، تعني إعلان الإنجيل، إعلان الخلاص بواسطة المسيح للذين لا يعرفونه. إن الموضوع الأساس للكرازة هو قيامة المسيح. وقد شهد الرسل لهذه القيامة. وبالإيمان بالمسيح القائم من الموت ينال المؤمن مغفرة خطاياه. يتوخّى هذا الإعلان الإيماني أن يربح السامع ويقوده إلى الإيمان. من أجل ذلك، ينطلق من وضع هذا السامع فيربطه بالإنجيل. مع اليهود انطلق الرسل من الكتاب المقدس بعهده القديم، فقدّموا تاريخ الشعب منذ إبراهيم أو موسى ووصلوا إلى المسيح، وفي النهاية، دعوا الناس إلى التوبة والعماد. ومع الوثنيين، انطلق بولس من الكون المخلوق ومن نفحات الشعراء والكتّاب الذين اكتشفوا وحدة الكون وعظمة الخالق، ثم وصل إلى المسيح الذي **قام من بين الأموات** وعاد إلى الحياة، وهو يقدّم الحياة إلى البشرية المائتة.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

الكرامة

الكرامة مشتقة من مادة «الكرم» وهي ضد اللؤم، والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد، فهو الشريف أو المنعم أو رضي الخلق، فلا يعرض نفسه لما يسيء إلى شرفه أو سمعته في قليل أو كثير، ويبعدها عما لا يليق بها، وأكرم القوم أشرفهم.

والكرامة: هي أمر خارق للعادة تكون لبعض المقربين والصالحين والأولياء، ولقد ثبتت في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسول الله ﷺ، وفي آثار الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم إلى يومنا هذا، وأقرها جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة، كما ثبتت كذلك بالمشاهدة العيانية في مختلف العصور الإسلامية. فهي ثابتة بالتواتر في المعنى، وإن كانت التفاصيل آحاداً، ولم ينكرها إلا أهل البدع. والكرامة مثل المعجزة في أنها أمر خارق للعادة، ولكن المعجزة: هي كل أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين له، على وجه يبين صدق دعواه. والكرامة تظهر على عبد غير الأنبياء تخصيصاً له وتفضيلاً، وقد تحصل باختياره ودعائه وقد لا تحصل، وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات، وقد ذكر القرآن الكريم قصة أهل الكهف وبقاءهم في النوم أحياء سالمين من الآفات مدة ثلاثمائة وتسع سنين، والأعاجيب التي ظهرت عليهم [الكهف/ ١٧ - ٢٥]، وكرامة سيدتنا مريم عليها السلام بهزها لجذع النخلة اليابس فاخضر وتساقط منه الرطب الجني في غير أوانه، [مريم/ ٢٥]، ووجود الرزق والطعام عندها في غير أوانه [آل عمران/ ٣٧]، وقصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل/ ٤٠]، ومن ذلك قصة ذي القرنين، وتمكينه سبحانه وتعالى له مما لم يمكّن لغيره، ومن ذلك ما ظهر على يدي الخضر عليه السلام، وهي أمور مناقضة للعادة، اختص بها الخضر عليه السلام، ولم يكن نبياً، وإنما كان ولياً.

وذكرت السنة كرامات كثيرة جرت على يد غير الأنبياء، كما جاء في الصحاح عن قصة جريج العابد الذي كلمه الطفل في المهد، وقصة الغلام الذي تكلم في المهد، وقصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، وانفراج الصخرة عنهم بعد أن سدت عليهم الباب، وقصة البقرة التي كلمت صاحبها. وفي آثار الصحابة كثير من الكرامات، كقصة أبي بكر رضي الله عنه مع أضيافه في تكثير الطعام، [وهو حديث صحيح في البخاري]، وقصة عمر رضي الله عنه، وهو على منبر المدينة ينادي بقائده: يا سارية الجبل، [وهو حديث حسن]، وقصة عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما اللذين أضاءت لهما عصا أحدهما عندما خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة، [الحديث صحيح أخرجه البخاري]، وقصة كرامة خبيب رضي الله عنه في قطف العنب الذي وجد في يده يأكله في غير أوانه [الحديث صحيح أخرجه البخاري]، وذكرت كتب الصحاح العشرات من كرامات الصحابة فليرجع إليها من أراد الاستزادة. وقد ألف العلماء في ذلك مجلدات كثيرة، وصنف أكابر الأمة منهم مصنفات في إثبات الكرامة للأولياء منهم: فخر الدين الرازي، وأبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين، وأبو بكر بن فورك، وحجة الإسلام الغزالي، وناصر الدين البيضاوي، وحافظ الدين النسفي، وتاج الدين السبكي، وأبو بكر الأشعري، وأبو القاسم القشيري، والنووي، وعبد الله اليافي، ويوسف النبهاني... وغيرهم من العلماء المحققين الذين لا يحصى عددهم.

ولا بد من التنبيه إلى الفرق بين الكرامة والاستدراج، فالكرامة لا تكون إلا على يد ولي وهو صاحب العقيدة الصحيحة، المواظب على الطاعات، المتجنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات، والولي لا يسكن إلى الكرامة، ولا يتفاخر بها على غيره، ولا يستأنس بها، بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من

الله تعالى أشد، وحذره من قهر الله أقوى، فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج.

وقد أكثرت كتب الصوفية من الحديث عن الكرامة، وهم الذين يعتبرون أن أعظم الكرامات هي الاستقامة على شرع الله تعالى، ويكون ذلك بصحة الإيمان بالله عز وجل واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، وظهور الكرامة على يد ولي صالح ليس دليلاً على أفضليته على غيره، وعدم ظهورها ليس دليلاً على عدم ولايته.

بسام الصباغ

المراجع:

* * *

الكفر

نقيض الإيمان، والكفر هو إنكار، والمنكر لوجود الخالق سبحانه الجاحد يدعى كافراً. والأصل، لغة، أن كفر معناها ستر. فالزارع يكفر الحب في التربة أي يستره بالتراب، والشخص يكفر بدنه بالثوب أي يستره. ويسمى الليل كافراً لأنه بظلمته يستر الأشياء. والكفران هو ستر نِعَم المنعم بالجحود بدل الشكر الذي به تدوم النعم.

والكافر للنعمة نقيض الشاكر لله تعالى بما أنعم. وقد صنف علماؤنا الكفر على أربعة أنواع هي: كفر إنكار وهو الكفر بالله تعالى، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق.

وكفر الجحود أن يقر العبد بقلبه ويجحد بلسانه وقوله، وكفر المعاندة أن يؤمن بالله قلبياً وقولياً ولكنه لا يعبده ويرتكب المعاصي كالشيطان وأتباعه، وأما كفر النفاق فيكون حين التناقض بين ما في القلب وما على اللسان وبين القول والعقل.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن استخدام لفظة التكفير لمؤمن، وهذا ما انتشر فيما بعد وحتى يومنا هذا حيث نجد قبيلاً من الناس يبيح لنفسه إلصاق تهمة الكفر بسواه.

ففي الحديث الشريف: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)، وفي حديث آخر: (من قال لأخيه يا كافر فهو كقتله)، لأن من أطلق تهمة الكفر على إنسان فإنه بذلك يبيح دمه أو يهدر دمه فتكون تهمته سبباً في قتله.

والتكفير ظاهرة مرضية في المجتمع بدأ باستخدامها سلاحاً ضد من يعارضهم «الخوارج» منذ أواخر العهد الراشدي وبعده الأموي، فالخوارج هم من قالوا بتكفير من ارتكب كبيرة، وعلى أساس ذلك حكموا بتكفير أهل الجمل وصفين، وبقولهم هذا استباحوا دماء العباد.

وتواصل بعدها، وحتى يومنا هذا، استخدام سلاح التكفير من قِبَل أهل الغلو الذين دفعهم تطرفهم وعدولهم عن الطريق المستقيم إلى الترخيص لأنفسهم بتكفير من يخالفهم رأياً أو موقفاً، وهذا داء عضال يفتك بوحدة المجتمع المؤمن.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧٠، ٢١٧، ٤٤١، ٥١٤.

* * *

كنزه ربه

الكتاب المقدس لديانة الصابئة التي لا يزال لها أتباع بعشرات الآلاف، ويعيشون في منطقة البطائح في العراق على ضفاف نهر دجلة.

وكتاب «كنزه ربه» مخطوط كبير يحتوي على فقرات كثيرة موضوعها نظام تكوين العالم، وحساب الخليقة وأدعية وحكايات... الخ.

والقسم الثاني من الكتاب ـ قسم الشمال ـ يعالج فقط شؤون الميْت، وهو مكتوب بالعكس، أي من اليمين إلى اليسار أيضاً، ولكن من الطرف المقابل من الكتاب.

والكاهن عند الصابئة يسمى كنزبرا أو كنزفرا، وربما كان اسمه مشتقاً من اسم كتابهم كنزه ربه.

وللصابئة (المندائية) عقيدة سليمة في التوحيد

حيث يقولون: إن الله واحد أزلي أبدي منزَّه عن عالم المادة والطبيعة، وأنه لم يلد ولم يولد، لا تدركه الحواس وهو خالق ومكون كل المخلوقات.

ولكن موضوع بدء الخليقة والوسائط التي يزعمون وجودها بين الخالق والمخلوقات وما إلى ذلك، هي الأمور التي يحويها كتابهم هذا وتخالف ما عليه الدين الحق.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٢٩، ٣٣٠، ٥٢٦.

* * *

الكشف

الكشف، لغة، هو رفع الحجاب. وفي الاصطلاح عند الصوفية هو الاطّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً.

يقول الطوسي: الكشف بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي العين.

ويقول الصوفيون: كشف عنه الحجاب؛ أي حجاب الظلمة فرأى الحقائق، فهي مكاشفة لا بعين البصر، ولكن بعين البصيرة. قال الله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام/ ٤١]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم/ ٥٨].

وهذا الكشف يحتاج أن يسلك العبد سلوكاً يقوم على المجاهدة والخلوة والمداومة على الذكر. هذا اللون من السلوك يتبعه ـ كما يقول ابن خلدون ـ كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها، والروح من تلك العوالم. وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوؤه، وأعان على ذلك الذكر فإنه كالغذاء لتنمية الروح، ولا يزال في نمو وتزيُّد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً، ويكشف حجاب الحس، ويتم وجود النفس لها من ذاتها وهو عين الإدراك، فيتعرض العبد حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الإلّهي، وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى، أفق الملائكة، وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم.

والكشف الحق هو الذي لا يعارض الكتاب والسنة، والمريد الحق هو الذي يتمسك بالكتاب والسنة ويدع الكشف، لأن الله سبحانه جعل عصمة المؤمن بالكتاب والسنة لا بالكشف ولا بالإلهام، وبالرؤى لا المشاهدة، وإذا لم يوافق الكشف الشريعة فلا ينبغي العمل به.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٤٤، ٤٩٧، ٥٢٠.

* * *

الكعبة = (انظر: مكة).

* * *

الكفارة

أصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه، فالكفر يعني التغطية. والتكفير يراد به: أن ينحني الإنسان ويطأطىء رأسه، قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه. والتكفير في الصلاة: الانحناء الكثير في حالة القيام قبل الركوع.

والكفارة يراد بها هنا ما يقوم به آثم من استغفار بطريق عملي، وذلك في مقابل ما قام به من إثم نهى الله تعالى عنه، أو عدم التزام بما استوثق المرء به من يمين. ويلاحظ أن المراد بالكفارة في هذا المقام قد استقي من المعنى اللغوي، لأنها بمثابة تغطية وستر لما قام به المرء مما نُهي عنه، ولأنها تعكس الإنابة إلى الله تعالى، والخضوع له بعد القيام بالذنب.

وقد حددت الشريعة الإسلامية أنواعاً من الكفارة منها: كفارة اليمين، وكفارة الصوم، وكفارة لبعض مناسك الحج.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ١٧٤، ١٩٣، ١٩٧، ٤٤١، ٥٠٣، ٥١٠، ٥١١.

* * *

الكفالة

الكفالة، لغة، من كفل المال وبالمال: ضمنه، وكفل بالرجل يكفُل ويكفِل كَفْلاً وكفولاً وكفالة وكَفُلَ وتكفَّل به كله: ضمنه، وأكفله إياه وكفَّله: ضمَّنه، وكَفَلْت عنه المال لغريمه وتكفَّل بدينه تكفلاً.

وأما الكافل فهو الذي كفل إنساناً يعوده وينفق عليه، وفي الحديث: (الربيب كافل) وهو زوج أم اليتيم، كأنه كفل نفقة اليتيم، والمكافل: المعاقد المحالف، والكفيل من هذا أخذ.

١ ـ الكفالة في الفقه الإسلامي: اختلف الفقهاء في تعريف الكفالة:

ـ يرى الحنفية أن الكفالة هي ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة بنفس أو دين أو عين.

ـ ويرى المالكية والشافعية والحنابلة أن الكفالة هي أن يلتزم الرشيد بإحضار بدن من يلزم حضوره في مجلس الحكم.

والكفالة مشروعة في الكتاب: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي كفيل [القلم/ ٤٠]، ومشروعة في السنة: (العارية مؤداة، والزعيم غارم والدين مقضي) [مختصر المزني ٢/ ٢٢٧]. وقد نقل كثير من الفقهاء الإجماع على جواز الكفالة [المبسوط ١٩/ ١٦١] و [بداية المجتهد ٢/ ٢٩١] و [التحفة وحواشيها ٥/ ٢٤١] و [كشاف القناع ٣/ ٣٥٠] و [تذكرة الفقهاء ٢/ ٨٥].

ذهب المالكية والحنابلة والشافعية وأبو يوسف إلى أن صيغة الكفالة تتم بإيجاب الكفيل وحده ولا تتوقف على قبول المكفول له. وفي قول ثان عند الشافعية يشترط الرضا ثم القبول، والثالث يشترط الرضا دون القبول لفظاً. وذهب الحنفية إلى أن صيغة الكفالة تتركب من إيجاب يصدر من الكفيل وقبول يصدر من المكفول له.

وقد تكون الكفالة منجزة أو معلَّقة، كما إذا قال شخص للمشتري: أنا كفيل لك بالثمن إذا استحق المبيع، وقد تكون مضافة إلى زمن مستقبل، وقد توصف بأنها مطلقة أو مؤقتة أو مقترنة بشرط.

ويشترط الفقهاء في الكفيل أن يكون أهلاً للتبرع لأن الكفالة من التبرعات، وعلى ذلك لا تصح كفالة المجنون أو المعتوه أو الصبي ولو كان مميزاً مأذوناً، أو أجازها الولي أو الوصي.

ولا يفرق جمهور الفقهاء بين الرجل والمرأة في حكم التصرفات المالية، ولكن المالكية يرون أن ضمان المرأة إذا كانت ذات زوج ينفذ في حدود ثلث مالها؛ أما إذا زاد على الثلث فيصح ولكنه لا يلزم إلا بإجازة الزوج، أما المرأة الأيم غير ذات الزوج فهي بمنزلة الرجل في الكفالة.

ويشترط في المكفول له أن يكون معلوماً للكفيل. وذهب المالكية والحنابلة وأبو يوسف إلى عدم اشتراط البلوغ والعقل في المكفول له، واشترط بعض الفقهاء أن يكون المكفول عنه معلوماً للكفيل، واشترط بعضهم رضا المكفول عنه، واشترط بعضهم كذلك أن يكون المكفول عنه قادراً على الوفاء بالمكفول به.

وقد تكون الكفالة بالمال، ويطلق عليها كثير من الفقهاء اسم الضمان، وقد تكون بالنفس، ويطلق عليها البعض اسم كفالة البدن وكفالة الوجه.

وذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الدائن المكفول له يستطيع أن يطالب الكفيل بأداء الدين عند حلوله من دون أن يتقيد بتعذر مطالبة الأصيل المكفول عنه، كما يستطيع أن يطالب الأصيل به عند حلول أجله عليه لأن ذمة كل منهما مشغولة بالدين جميعه.

ولا خلاف بين الفقهاء في أن الضامن لا يحق له أن يطلب من المدين أن يسلمه ما به وفاء الدين قبل قيامه بأدائه للدائن، ولا خلاف بينهم في أن الضامن إذا أدى ما على المضمون بنيّة التبرع عن المدين لم يكن له حق الرجوع عليه، أما إذا أدى الضامن حق الدائن بنية الرجوع على المدين فهناك شروط، كأن تكون الكفالة بأمر المدين وأن يتضمن كلام المدين ما يدل على أمر الضامن بأن يقوم بالضمان عنه، وأن يترتب على أداء الكفيل إبراء ذمة المكفول.

كفالة اليتيم: ينصرف معنى الكفالة أيضاً إلى رعاية اليتيم، يقول الرسول ﷺ: (أنا وكافل اليتيم في الجنة، هكذا)، وقال بأصبعيه السبابة والوسطى.

والكافل هو من كفل اليتيم، وتشمل من كان من ذوي الرحم، أو كان أجنبياً، وفي كلا الحالين فإن أجره على الله.

والكفالة هي القيام بأمور اليتيم والسعي في مصالحه من طعام أو شراب.

والكفيل في اللغة هو الذي يعول إنساناً وينفق عليه. وقد كان بيت الرسول ﷺ أول بيت إسلامي يُكفل فيه اليتيم، فقد كفل أنس بن مالك رضي الله عنه حتى شعر أنس أنه في بيته، حيث يقول: (صليت وأنا يتيم خلف النبي ﷺ وأمي أم سليم خلفنا).

وكفالة اليتيم تتم من خلال الوصاية إن كان له مال، فإذا لم يوجد وصي مختار تنتقل الوصاية للقاضي الذي يعين وصياً يسمى وصي القاضي، الذي لا يسمح للوصي بالتصرف بأموال اليتيم إلا بإذنه. والحاكم يتولى أمر اليتيم المهمل.

٢ ـ الكفالة في القانون الوضعي: الكفالة عقد بمقتضاه يكفل شخص تنفيذ التزام، بأن يتعهد للدائن بأن يفي بهذا الالتزام إذا لم يفِ به المدين نفسه.

والكفالة هي عقد من عقود الضمان. ومن الناحية الشكلية، يقتضي توقيع المستفيد الخاص في أسفل عقد الوكالة التي هي ضمانة لجعلها سارية المفعول بإجراءات سهلة تهدف إلى اقتصاد في الوقت والمال، أما بالنسبة لتسديد المبلغ المتوجب فيتم إذا لم يعترضه أي عائق عند الاستحقاق من دون أي إجراء خاص، والغاية من تقديم الكفالة بالنسبة للمدين الأساسي الارتباط مباشرة، أو غير مباشرة، من جهة وحماية الدائن من جهة أخرى.

والكفالة عقد رضائي تابع لعقد أصلي بلا مقابل ملزم لفريق واحد، وقد تكون ملزمة للفريقين، وأنها تنشىء في ذمة الكفيل التزاماً تابعاً، والأصل فيها أن تكون تبرعاً من الكفيل إلى الدائن.

إن طرفي عقد الكفالة هما الدائن والكفيل، وليس المدين فريقاً فيه. وتجوز الكفالة في القانون الفرنسي بدون علم المدين ولو ضد إرادته. والكفالة لا تقدر تقديراً بل يجب أن تتجلى إرادة التكفل صراحة. والكفالة هي عقد ملزم لفريق واحد هو الكفيل أما الدائن فلا يلتزم بشيء. وإذا كان عقد الاتفاق غير متبادل فيجب، قبل التوقيع عليه، أن تُكتب عبارة صالح لأجل، وإذا لم تُكتب هذه العبارة يعتبر العقد بمثابة بدء بينة خطية، وكذلك يجب كتابة عدد من النسخ الأصلية مساوٍ لعدد المتعاقدين ذوي المصالح المتعارضة، وإلا فيعتبر العقد بداءة بينة خطية. والكفالة تنشىء التزاماً تابعاً. والغرض من الكفالة ضمان التزام المدين، ويعتبر التزام الكفيل تابعاً لالتزام الأصيل.

وللكفالة معنيان:

المعنى الأول: يفيد إيداع مبلغ من المال أو من الأسناد ضماناً لما ينجم في المستقبل من المسؤولية أثناء القيام بالواجبات المعروفة، مثل التأمين الذي يودعه أمين الخزينة، وكل موظف يؤمَّن على أموال عامة. ويطلق على الكفالة في هذه الحالة اسم الكفالة الشخصية.

والمعنى الثاني: يفيد ضمان دين المدين

الأصلي عن طريق الرهن أو التأمين العقاري، ويطلق على الكفالة في هذه الحالة اسم الكفالة العينية.

هناك عدة أنواع فيما يتعلق بالكفالة:

١ ـ الكفالة المصرفية: حيث يتدخل المصرف لتقديم ضمانة لعميله عن طريق الكفالة، يقدمها هذا الأخير للأشخاص الذين يتعاملون معه لتنفيذ التزاماته التي تعهّد بها تجاههم.

٢ ـ كفالة قضائية: حيث يأمر القضاء بهذه الكفالة في غير الحالات التي يكون فيها المدين ملزماً بتقديم كفيل وفق ما اتفق عليه، بينه وبين الدائن، أو بموجب نص قانوني.

٣ ـ كفالة مقدمة للمشتركين في المناقصات.

٤ ـ كفالة من المنتفع في حق الانتفاع.

٥ ـ كفالة مقدمة للجمارك.

٦ ـ كفالة تغطية دين تجاري.

٧ ـ كفالة جزائية.

إن طرفي الكفالة هما الدائن والكفيل، ويشترط أن يكون رضا الكفيل صريحاً، أو أن يكون الكفيل متمتعاً بأهلية التصرف بلا مقابل، لأن الكفالة من عقود التبرع، ويخضع إثبات الكفالة للمبادىء العامة.

ويُشترط في موضوع الكفالة ما يُشترط في موضوع سائر العقود، أي أن يكون ممكناً ومعيناً، ويلتزم الدائن بموجب الكفالة أن لا يتأخر في المطالبة بدينه عند حلول أجله تأخيراً يضر بمصلحة الكفيل. أن يسلِّم الكفيل، وقت وفائه بالدين، المستندات اللازمة لاستعمال حقه في الرجوع، وأن يحافظ على التأمينات الأخرى الضامنة للدين، وأن يحل الكفيل منها عند وفائه للدين.

ويحق للكفيل الموفي أن يرجع على المدين والكفلاء الآخرين، وله إقامة الدعوى المسندة إلى الكفالة شرط أن تكون عُقدت لمصلحة المدين، وأن يقوم الكفيل بإيفاء الدين، وأن ينعدم الخطأ من قبل المدين، وكذلك أن ينعدم الغرر من قبله، وأن يحل أجل الدين. وتزول الكفالة تبعاً لزوال الموجب الأصلي.

هناك نوع أخير للكفالة هو كفالة الحضور التي تماثل الكفالة بالنفس في الفقه الإسلامي، ونجد تطبيقاً لها في قانون الجمارك حتى تتمكن إدارة الجمارك من تنفيذ القرار الصادر بحق المحكوم عليه من خلال حضوره.

فوزي أدهم

المراجع: ٩٦، ٩٧، ١١٣، ١١٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٧٣، ٤٣١، ٤٤١، ٤٤٨، ٤٨٩، ٥١١، ٥٤٧، ٥٧٩.

* * *

كنيسة

ترجمة عربية لكلمة عبرية تعني الدعوة إلى الانعقاد، وردت في أماكن مختلفة من العهد القديم (تك ٤:١؛ تث ٣١:٣؛ يش ٨:٣٥؛ قض ٢٠:٢ وغيرها). في العهد الجديد صارت العبارة تستعمل بإضافة «الله» إليها، فأصبحت «كنيسة الله» (٢ تس ١:٤؛ ١ تيم ٣ و٥ و٣:٥ وغيرها). هي، إذاً، دعوة مقدسة إلى الانعقاد يقوم بها الله في المسيح (رو ١:٧؛ ١ كو ١:٢) من أجل الملكوت، وهي بناء قداسة روحية عند الناس و«إسرائيل» جديد (غل ٦:١٦؛ رؤ ٧:٤؛ يع ١:١؛ فل ٣:٣) وشعب الله الجديد (١ بط ٢:١) وسر بقي مكتوماً لدى الله وأوحى به في الأزمنة الأخيرة (أف ٩:٩ و رو ١٦:٦).

بالمعنى الحصري، الكنيسة هي المؤسسة التي تجمع المؤمنين لأنها «جماعة المؤمنين»، وهي تشمل الأحياء والأموات حول الله. وترد اللفظة بأكثر من معنى. فهناك الكنيسة في العالم، أي مجموع المؤمنين، وهناك كنيسة بمعنى جماعة المؤمنين في منطقة جغرافية محددة، فنقول مثلاً: «كنيسة أنطاكية وسائر المشرق» وهكذا دواليك. أو تعبير «الكنيسة المحلية» فتعني المؤمنين المنضوين

تحت إمامة أسقف أو مطران، فنقول مثلاً: «كنيسة بيروت» برئاسة مطران بيروت.

أما كلمة كنيسة التي تعني مكان العبادة فتأتي من وجهة استعمال المكان، أي أن مكان اجتماع الكنيسة صار يسمى «كنيسة» لدلالة الكلمة الوظيفية.

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩، ٦١٤.

* * *

الكنيسة الأرمنية

دخلت المسيحية إلى أرمينيا بواسطة رسل أتوا من سورية وكابادوكيا منذ القرن الأول. وفي سنة ٣٠١م أعلن الملك ورطان الثاني المسيحية ديناً للدولة الأرمنية، كما انتُخب غريغوريوس بطريركاً على الكنيسة الأرمنية، فبنى كاتدرائية إتشميادزين التي أصبحت مذاك أهم المراكز الدينية الأرمنية، كما أنشأ الإكليروس الأرمني وثقّفه ونشر المسيحية في منطقة جورجيا شمال أرمينيا. وبعد وفاته عُرف بالقديس غريغوريوس «المنوّر» وأعطي اسمه للكنيسة الأرمنية التي عُرف قسمها الأرثوذكسي فيما بعد بالكنيسة الغريغورية.

وبعد سنة ٣٦٦م وضعت الأسس التنظيمية للكنيسة الأرمنية وليتورجيتها على يد البطريركين القديسين نرسيس وإسحاق.

وفي سنة ٤٢٥م وضع القديس مسروب الأحرف الأرمنية، وترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الأرمنية سنة ٤٣٦هـ.

وفي سنة ٤٤٩م أصدر الفرس، بعد أن احتلوا أرمينيا، قراراً يفرض الديانة الفارسية على الأرمن، الذين عقدوا مؤتمراً وطنياً أعلن الثورة على الفرس بزعامة القائد فارطان الذي اصطدم بالجيش الفارسي الأكثر عدداً في معركة شافرشان في ٢ حزيران ٤٥٢م. تمكن الفرس من الانتصار بصعوبة على الجيش الأرمني بعد مقتل فارطان، لكن الأرمن تمكنوا من الحفاظ على إيمانهم المسيحي.

لم تشترك الكنيسة الأرمنية بمجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، نظراً للظروف الصعبة التي كانت تمر بها. أما قرارات المجمع فقد وصلتها سنة ٤٩١م عن طريق بعض الأساقفة المونوفيزيين الذين جاؤوا من سوريا وعمدوا إلى شرحها محرَّفة، كما أن ترجمتها إلى اللغة الأرمنية قد زادت في تغيير معانيها. ففهم الأرمن أن مجمع خلقيدونية أقرَّ وجود شخصيتين في المسيح، وانعقد مجمع للكنيسة الأرمنية في مدينة دفين (Dvin) سنة ٥٠٦م رفض القرارات التي صدرت في خلقيدونية فاعتبرت الكنيسة الأرمنية منذ ذلك الحين منفصلة، لكن هذا الانفصال نشأ عن سوء تفاهم ساد الموقف الأرمني منذ البدء. كان بالإمكان إزالة سوء التفاهم هذا لكن الموقف السياسي الأرمني المناهض للدولة البيزنطية، التي لم تساند الأرمن ضد الفرس، حال دون ذلك.

بعد أن احتل السلجوقيون أرمينيا سنة ١٠٦٤م، هاجر عدد كبير من الأرمن نحو الجنوب الغربي وتمركز في كيليكيا، وأسَّس إمارة صغيرة سنة ١٠٧٣م عرفت بأرمينيا الصغرى، ومع وصول الصليبيين إلى الشرق حوَّل هؤلاء هذه الإمارة إلى مملكة سنة ١١٩٨م فتوطَّدت العلاقات بين الفريقين، وبدأت بوادر اللينة تظهر في الكنيسة الأرمنية التي سعت إلى الاتحاد مجدداً بالكنيسة الرومانية.

ومع انتهاء الوجود الصليبي في المنطقة تعرَّض الأرمن لغزوات المغول والمماليك، فاضطر البطريرك الأرمني للجوء إلى كيليكيا حيث جعل من مدينة سيس مركزاً بطريركياً سنة ١٢٩٣م مما أدى إلى اتساع الهوَّة بين أرض القوقاز وإخوانهم في كيليكيا، فاتَّهم الأول إكليروس كيليكيا بمسايرة الكنيسة الرومانية والتخلي عن خصائص الكنيسة الأرمنية.

وفي مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩م، أيّد ممثلو الكنيسة الأرمنية مبدأ الوحدة مع روما موافقين على ما جاء في قرارات مجمع خلقيدونية، فاتخذ أرمن القوقاز من هذا الحدث ذريعة لتعيين بطريرك أرمني ثان نصِّب في إتشميادزين سنة ١٤٤١م، بينما استمر بطريرك كيليكيا بإدارة شؤون أرمن آسيا الصغرى. لكن هذا الانشقاق بقي إدارياً ولم يطل القضايا الجوهرية فاتسمت علاقات البطريركيتين بالاحترام المتبادل.

ومع بدء حكم المماليك استفاد هؤلاء من الخلاف بين أسقف القدس الأرمني وكنيسته بسبب الموقف من روما، فسمحوا له باتخاذ لقب بطريرك سنة ١٣١١م دون أن يعلن انفصاله عن سلطة بطريرك سيس. أمّا العثمانيون فقد سمحوا بإنشاء بطريركية أرمنية في القسطنطينية سنة ١٤٦١م لإدارة شؤون الأرمن في الدولة.

ابتداءً من القرن السادس عشر اقتنع بطاركة سيس بالانضمام إلى الكنيسة الرومانية، وقد ساعد على ذلك عمل الإرساليات الأجنبية الكاثوليكية المدعومة من الدبلوماسية الفرنسية. وفي سنة ١٧٤٠م انتُخب مطران حلب أبراهام أردزيفيان بطريركاً على كرسي سيس، وكان متعلّقاً بالطاعة للكرسي الرسولي، فسافر إلى روما حيث سلّمه البابا بندكتس الرابع عشر درع التثبيت سنة ١٧٤٢م ومنحه السلطة على جميع الأرمن الكاثوليك في الشرق ما عدا أرمن الآستانة الذين أوكل البابا أمرهم إلى قصّاد رسوليين. اتخذ أبراهام لقب بطريرك كيليكيا واسم بطرس الأول للدلالة على تعلقه بالكرسي الروماني، واستمر خلفاؤه باعتماد هذا الاسم من بعده.

عاد البطريرك أبراهام إلى الشرق سنة ١٧٤٣م ليجد أن أعداءه قد اختاروا بطريركاً آخر، فلجأ إلى لبنان وسكن دير الكريم قرب قرية غوسطا، الذي كان قد وهبه إياه الشيخ أبو نادر الخازن، وتوفي فيه سنة ١٧٤٩م. بقي خلفاؤه في لبنان بعد أن اقتنوا للبطريركية قطعة أرض في بزمّار بُني عليها دير باسم السيدة العذراء.

في أوائل القرن التاسع عشر تعرَّض الأرمن الكاثوليك لاضطهادات السلطة العثمانية التي اعتبرتهم خارجين عن سلطة البطريرك القسطنطيني، فتدخلت فرنسا والنمسا في القضية مما أدى إلى إصدار السلطان محمود الثاني خطاً شريفاً في سنة ١٨٣٠م أعطى بموجبه الأرمن الكاثوليك جميع الحقوق التي كان يتمتع بها إخوانهم الأرثوذكس.

وبين سنتي ١٨٦٧م و ١٨٧٩م عرفت الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية أزمة داخلية حادة بسبب سعي البابا بيوس التاسع إلى منع تدخل الشعب في الشؤون الكنسية، وبخاصة في انتخاب البطريرك، فانقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض لهذا الطرح وانتهت الأزمة بتراجع روما، لكن النزاعات بين الإكليروس والعلمانيين بقيت متفاقمة بسبب مطالبة هؤلاء بحق المشاركة بانتخاب البطريرك والأساقفة كما كان يجري عند الأرمن الأرثوذكس. وفي سنة ١٩١١م دعا البابا بيوس العاشر إلى عقد مجمع أرمني في روما فلم يُلبِّ الأساقفة الأرمن دعوته، لكن المجمع انعقد بعد أن عيَّن البابا عدداً من الأساقفة تغيرت معهم تركيبة المجمع الذي أجرى إصلاحات في الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية زادت من التأثير اللاتيني فيها.

في الحرب العالمية الأولى فقدت الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية نصف إكليروسها، وبعد انتهاء الحرب انتقل مركز ثقلها إلى لبنان وسوريا حيث لجأ عدد كبير من أبنائها هرباً من الاضطهاد العثماني.

وفي سنة ١٩٢٨م نقل البطريرك بطرس الثالث عشر مقرَّ البطريركية إلى بيروت بموافقة الكرسي الرسولي.

أما الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية فقد تعرضت لاضطهادات العثمانيين أيضاً أسوة بشقيقتها الكاثوليكية منذ نهاية القرن التاسع عشر، فهاجر

قسم كبير من أبنائها إلى لبنان وسوريا وتواصلت هذه الهجرة حتى سنة ١٩٣١م، خصوصاً بعد أن خاب أمل الأرمن بتأسيس دولة أرمنية على أنقاض الدولة العثمانية. كما انتقل كرسي كيليكيا أيضاً إلى لبنان حيث استقر في انطلياس.

كريستيان الحلو

المراجع:

* * *

كهانة

الكهانة ادعاء مطالعة الغيب وكشف حجبه والإخبار بالحوادث الماضية والمستقبلة. ويعزى للكاهن استطلاع ما يأتي به الغد من الأحداث. ويزعمون أن لكل كاهن أو عراف رئيّاً من الجن يتبعه ويسترق إليه السمع ويأتيه بالأخبار. ويلجأ الناس للكاهن في تفسير الرؤى والاستشفاء وحسم الخصومات. ويصطنع الكهان لغة خاصة تمتاز بسجع فيه غموض وإبهام بحيث يشمل الكلام تأويلاتٍ شتى.

والعرافة هي ممارسة الكهانة أو السحر، وكانت من معارف العرب منذ الجاهلية، وهي عندهم ضرب من الكهانة. والعرّاف يتنبأ بالمستقبل ويتوسل لذلك بوسائل متعددة منها: الضرب بالحصى والتنجيم.

وقد فرَّق بعضهم بين الكهانة والعرافة، فالأولى تختص بالأمور المستقبلة، والثانية تختص بالأمور الماضية.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٥٤٣، ٥٤٥.

الكونفوشيوسية

هي مذهب فلسفي اجتماعي سياسي ديني، ولكنها باتت ديناً يسود في الصين منذ خمسة وعشرين قرناً. المؤسس هو كونفوشيوس، الذي ولد في ولاية «لو Lu» شانتونج حالياً، واسمه مشتق من لفظين: كونج K'ung، وهو اسم القبيلة التي ينتمي إليها، وفوتس Fu-tze ومعناه الرئيس أو الفيلسوف، فاسم كونفوشيوس يعني إذن رئيس كونج وفيلسوفها أو حكيمها.

أمضى كونفوشيوس حياته في تطوير ونشر فلسفته الداعية إلى علاقات اجتماعية منسجمة أساسها العدل. والكونفوشيوسية يمكن أن نصنفها أنها مذهب يتسم بنزعة اجتماعية دنيوية، وقد ناضلت من أجل بلوغ أكبر قدر ممكن من العدالة الاجتماعية يمكن تحقيقه.

عاش كونفوشيوس في مجتمع يسوده الإقطاع والفوضى، وتمزقه الحروب، فكان يدعو إلى احترام الإنسان، ومن أجل ذلك دعا لاقتران السياسة بالأخلاق؛ وأساس فلسفته إقامة نظام سياسي اجتماعي على أساس من المنطق السليم والمبادىء العقلية السليمة، وهذا النظام السياسي يتخذ أساسه من الأخلاق، لأن الأخلاق عند الكونفوشيوسيين هي المبدأ الرئيسي الذي يجب أن يكون أساساً لأي نظام اجتماعي مستقر. فالسياسة والأخلاق وجهان لعملة واحدة، ويجب أن يكون هذا لتحقيق حياة اجتماعية مستقرة.

ركَّز كونفوشيوس على دور التربية والتعليم لتنشئة الأجيال وإعدادها، والتربية عنده يجب أن تغرس الشعور بالمسؤولية، وروح العمل الجماعي، أما التعليم فيجب أن يكون شاملاً، ومن المتعلمين يجب أن يتم اختيار أصحاب المناصب الإدارية الحساسية. فالتعليم هو المعيار عنده لا الانتماء الاجتماعي.

والكونفوشيوسية لم تبحث عن قيم ومثل في غير عالمنا المعاش، ولم تطلب ما لا يمكن للطبيعة البشرية أن تحققه، ولكنها ترسم أنماطاً من السلوك المبني على الطبيعة الإنسانية وإمكانيات هذه الطبيعة. والنظام الأخلاقي والسلوكي عند

الكونفوشيوسيين يقوم على الوسطية والاعتدال بلا إفراط أو تفريط، وهذا القانون الأخلاقي له أربعة وجوه هي:

١ ـ على الولد أن يطيع والده ويخضع له.

٢ ـ على كل مواطن أن يطيع الحاكم وأن ينقاد له.

٣ ـ على الأخ الأصغر أن يطيع أخاه الأكبر.

٤ ـ على الأصدقاء أن يعاملوا بعضهم بعضاً بإخلاص.

والإعداد الأخلاقي يكون في الأسرة، فالأسرة عندهم مجتمع صغير يجب أن يمرن الفرد فيه على كل أنواع الفضائل التي تجعل منه فيما بعد مواطناً صالحاً، فالمجتمع ليس إلا امتداداً للمجتمع العائلي. فإذا راعى كل رب أسرة قواعد الأخلاق والتربية في تنشئته أفراد أسرته فإن الأمة كلها تتحول إلى أناس فضلاء لا يحتاجون إلى قانون آخر غير القانون الأخلاقي الذي تربّوا عليه.

كان كونفوشيوس يعتبر الدين والأخلاق والسياسة شيئاً واحداً. فكلمة «لي Li» تعني عنده النظام الاجتماعي والسياسي والديني. ولقد توصل كونفوشيوس إلى قناعة مفادها أن مشكلات الشعب تنبع من السلطة الحاكمة التي تمارس من غير مبدأ أخلاقي، ويهمها مصلحة الحاكم ورفاهيته، والصحيح عنده أن تدار الحكومة بشكل يحقق مصالح الناس جميعاً، وهذا لا يكون إلا إذا كان أعضاء الحكومة من المتميزين بأكبر قدر من الاستقامة الشخصية.

لقد اهتم بالإنسان، فالعالم الإنساني له الصدارة، أما عالم الأشياء فيحتل مرتبة ثانوية، ويقول بأن ما يجعل البشر إنسانيين هو «جين Jen»، وهذا هو السر في أن الطريق الكونفوشي هو في جوهره طريق «جين» أو طيبة القلب الإنسانية. ولقد ترجمت كلمة «جين» بطرق شتى، ومن هذه الترجمات: الفضيلة، الإنسانية، الإحسان، الرجولة الحقَّة، الطابع الأخلاقي، الخير الإنساني، الحب وطيبة القلب الإنسانية. والقلب هو المتقدم على العقل عند الكونفوشيوسية.

إن الجين بالغة الأهمية بحيث إن الحياة من دونها ليست جديرة بأن يحياها الإنسان، ومن يتسم بالحكمة ويعد مثقفاً حقيقياً لا يقترف ما من شأنه الإضرار بـ «الجين»، لأن الجين هي على وجه الدقة ما يجعلنا إنسانيين حقاً.. والجين هي في نهاية المطاف ما يجعل الحياة جديرة بأن تعاش.

رغم الطابع الإنساني للكونفوشيوسية فإن الموقف من المرأة لم يكن إيجابياً وينسب لكونفوشيوس قوله: «إحذر لسان المرأة

إنك ستلدغ منه إن عاجلاً أو آجلاً

واحذر زيارة المرأة

إنها ستصيبك إن عاجلاً وإن آجلاً».

أما بالنسبة للعلاقات الوالدية، فقد قالت الكونفوشيوسية بولاء الأبناء «هسياو» وهو فضيلة توقير العائلة واحترامها. فأولاً وقبل كل شيء يتم توقير الأبوين لأن الحياة نفسها متولدة عنهما، وفي غمار إظهار التوقير للوالدين من المهم حماية الجسم من أن يلحق به أذى حيث إن الجسم من الأبوين ومن هنا فإن حماية الجسم هي تكريم للأبوين.

خلاصة القول: إن الكونفوشيوسية حوَّلت اهتمامها عن الطبيعة، وتقصي حقائقها لتركز اهتمامها الشديد على المجتمع البشري وأفراده.

وعند الكونفوشيوسية عبادة للسماء والأرض والآباء وتقدمة للقرابين، وكل معتقداتها تمت صياغتها في أربعة كتب هي:

١ ـ مختارات كونفوشيوس «لون يو» وهي أقوال كونفوشيوس لتلامذته وقد قاموا بجمعها وتنسيقها.

٢ ـ العلم العظيم «تاهسو»، وهو يضم تعاليمه التي تحتوي اقتراحاته الخاصة بنظام الحكم ويعكس هذا الكتاب تطوير هسون تسو لفكر كونفوشيوس.

٣ ـ عقيدة الوسط «تشونج يونج» ويضم تعاليم منسوبة إلى كونفوشيوس تدور حول تنظيم الحياة.

٤ ـ كتاب منشيوس «منج تسو» وهو شروح على متن مبادىء كونفوشيوس كتبها منشيوس الذي يعد من الشراح الأوائل لكونفوشيوس.

إن جوهر ما تتضمه هذه الكتب هو أن الشخص من خلال تطويره لجوانبه الإنسانية الداخلية يمكن أن يصبح عظيماً في السلوك الشخصي والحياة الخاصة، وكذلك في العلاقات مع الآخرين، وعندما يقوم كل الأفراد بذلك فإن الخير سينتشر والسعادة ستتحقق.

أمضى كونفوشيوس حياته واعياً لمذهبه الأخلاقي ولإصلاح المجتمع حتى كانت وفاته في «لو» مسقط رأسه في نيسان عام ٤٧٨ ق.م. وبعد دفنه بنت بعض عائلات أتباعه مساكنَ قرب قبره ومجموعهم بات قرية سموها قرية «كونج» تيمناً به، وعند قبره كانت تتم الطقوس وتقدَّم القرابين.

وقد أصبحت الكونفوشيوسية عقيدة رسمية في الصين مع أسرة هان الحاكمة، وقد بدأ ذلك مع الأمبراطور هان كاوتسو الذي قدم القرابين في كونج عند قبر كونفوشيوس.

واستمرت الكونفوشيوسية صاحبة الأثر الأكبر في حياة الصين حتى عصرنا هذا.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٩١، ٤٤٠، ٥٤٢، ٥٩٨، ٥٩٩.

* * *

الكيسانية

فرق شيعية كثيرة يرجع محصلها في رأي عبد القاهر البغدادي إلى فرقتين: إحداهما تزعم أن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حي لم يمت، وهم على انتظاره، ويزعمون أنه المهدي المنتظر. والفرقة الثانية منهم يقرون بإمامته في وقته، وبموته، وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره، ويختلفون بعد ذلك في هذا الذي نقلت إليه.

ويرى الأشعري أنهم سموا بالكيسانية لأن المختار الثقفي الذي خرج على الأمويين وطالب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان. وقيل: إنه أخذ مقالته عن مولى لعلي كان اسمه كيسان.

واختلفت الكيسانية في سبب إمامة محمد بن الحنفية. فزعم بعضهم أنه كان إماماً بعد أبيه، واستدل على ذلك بأن علياً دفع إليه الراية يوم الجمل. وقال آخرون منهم: إن الإمامة بعد علي كانت لابنه الحسن ثم للحسين ثم صارت لمحمد ابن الحنفية بوصية الحسين إليه حين هرب من المدينة إلى مكة لما طولب بالبيعة ليزيد بن معاوية.

ولما قتل الحسين وضع المختار نصب عينيه الثأر له ممن سفكوا دمه، وقد اصطنعه محمد بن الحنفية لتحقيق هذا الهدف لما عرف من حماسه لذلك، ولعله هو الذي سماه كيسان لكياسته وإخلاصه لمذهبه، كما أنه أمر شيعة الكوفة بنصرته. وتؤيد روايات شيعية كثيرة أن المختار كان من فريق الشيعة الذين يقولون بأحقية محمد بن الحنفية بالإمامة دون غيره من آل البيت.

وقد نظَّم المختار أتباعه، وشكَّل جيشاً سلم قيادته لإبراهيم بن الأشتر النخعي الذي تمكن من هزيمة الجيش الأموي عند نهر الخازر قريباً من الموصل سنة ٦٧هـ، وقتل قائده ابن زياد، وقد أتاح ذلك للمختار فرصة ملاحقة قتلة الحسين والتمثيل بهم، لكن هذا الانتصار سرعان ما تعرض في السنة التالية إلى هزيمة منكرة في الكوفة على يد مصعب ابن الزبير، وقتل المختار بعد أربعة أشهر من القتال الضاري.

انتقلت إمامة الكيسانية بعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بعد أن أوصى له بها، فلما أحس أبو هاشم بدنو أجله، ربما لِسُمٍّ سقاه إياه سليمان بن عبد الملك، قصد الحميمة جنوبي بلاد الشام، وكان بها رأس الدعوة العباسية محمد

ابن علي بن عبد الله بن العباس، فأوصى له بأن يرثه في إمامة الشيعة إذ لم يكن لأبي هاشم عقب. ولم يكتفِ الأخير بتوريث محمد الإمامة وإنما نقل إليه أيضاً العلم اللدني الخاص بالتأويل الذي ورثه عن أبيه محمد بن الحنفية. ومع ذلك يرى بعض الشيعة أن الإمامة كانت قد خرجت من أبي هاشم إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر أو إلى غيره من العلويين، وليس إلى محمد بن علي.

وعلى أية حال فإن توريث الإمامة هذا لزعيم الحركة العباسية - على افتراض صحته - أعطى العباسيين قوة جديدة، ومكّنهم من شق طريقهم وتوسيع قواعد أنصارهم تحت شعار الدعوة للرضا من آل البيت، والقضاء التالي على الدولة الأموية وإقامة دولة بني العباس.

عماد الدين خليل

المراجع: ١٩، ١١٦، ١٢٢، ١٣٧، ٢٣٩، ٢٩٦، ٣٤٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٥١٧.

* * *



اللاهوت

علم المسائل الدينية، وهو يقوم أساساً على النصوص المقدسة والعقائد والتقليد؛ أو علم الإلٰهيات؛ أو الخطاب عن الله. وقد استعمل التعبير اعتباراً من القرن الثاني ليعني التعليم المسيحي عن الله. يتعاطى اللاهوت موضوعات «الله» و «الإنسان» و «الخلاص» و «نهاية العالم» و «ما بعد الحياة». أما الاستعمال المنهجي للتعبير فيعني عقائد الكنيسة وشرحها.

بولس وهبة

المراجع: ٥٠٦، ٦١٤.

* * *

لقمان الحكيم

حكيم معمَّر عُرِف في الجاهلية قبل أن يعرف في الإسلام. وفي القرآن الكريم سورة باسمه تعرض نماذج من حِكَمه التي تنصب خاصة على وصيته لابنه: «ألّا يشرك بالله وأن يبر والديه ويطيعهما ما لم يامراه بمعصية وأن يقيم الصلاة ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يلتزم الصبر والتواضع» [لقمان/ ١٣ ـ ١٩].

وفي الأمثال والحكم عبارات شتى تُعزى للقمان، بحيث أصبح مرد الكثير من الحِكم العربية. تُغدَق عليه أوصاف مختلفة، فقيل: إنه كان نجاراً، أو راهباً، أو عبداً حبشياً.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٥٤٣.

* * *

اللقيط

اللقيط هو الطفل المنبوذ الذي يأخذه غير والده ليرعاه.

١ ـ **حكم التقاطه**: الكائن الإنساني كائن محترم في نظر الإسلام، وحياته محترمة أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء/ ٧٠]، وقد أوجب الإسلام المحافظة على هذه الحياة، ولذلك فإنه أوجب على من علم أن طفلاً منبوذاً قد تخلى عنه أهله، لأي سبب من الأسباب، ولا يعلم من هم أهله، أن يلتقطه ويربيه ويرعاه، وجعل ذلك فرض كفاية على المسلمين، إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

٢ ـ **الملتقط**: لا يقرُّ الطفل اللقيط في يد ملتقطه إلا إذا كان الملتقط أميناً على الطفل في دينه وخلقه وتعليمه وتهذيبه ورعايته، وماله إن وُجد مع اللقيط مال، فإن لم يكن الملتقط كذلك، نزع الطفل اللقيط من يده، وأعطي لمن تتوافر فيه هذه الصفات ممن يرغب في تربيته.

فإن لم يوجد من يرغب في تربيته، فعلى الدولة تربيته، وهنا يأتي دور الدولة في وجوب إنشاء دور خاصة لرعاية هؤلاء الأطفال اللقطاء، توفر فيها للطفل الصحة البدنية والنفسية. وإن التقط الطفلَ أكثرُ من شخص، ورغب فيه الجميع، فإنه يعطى لمن كان أنفع للطفل من غيره، فإن استووا في ذلك، فإنه يقرع بينهم، فمن خرجت له القرعة أخذه.

٣ ـ اللقيط:

أ ـ نسبه: لما كان إثبات نسب طفل إلى شخص ما، مظنة المزيد من العناية والرعاية، وفي ذلك ما فيه من الراحة النفسية للطفل، فإننا نرى أن الإسلام يحتال لإثبات نسبٍ لمن لا نسب له، أعني أن يثبت النسب بأدنى دليل مهما كان ضعيفاً، ولهذا فإن اللقيط إذا لم يدَّعِ نسبَه إلا شخصٌ واحد فإن نسبه يثبت إليه، سواء كان مدعي النسب رجلاً أو امرأة، مسلماً أو كافراً. أما لو ادعاه أكثرُ من واحد، وكان لأحدهم دليل على أنه ابنه، فإنه يلحق به، وإن لم يكن لواحد منهم دليل على أنه ابنه، وكان أحدهم مسلماً والآخر كافراً، فإن نسبه يلحق بالمسلم دون الكافر، وإن أُلحِق نسبه بشخص بمجرد ادعائه نسبه، ثم جاء آخر وأقام البينة أنه ابنه، فإنه يسقط نسبه عن الأول، ويلحق بمن أقام البينة أنه ابنه.

ب ـ نفقته: إن وُجد مع اللقيط مال، فإنه ينفق عليه من ماله حتى ينضب، فإذا نضب ماله، أو وجد وليس معه مال، فإن نفقته على الدولة، تدفع لملتقطه نفقته من بيت مال المسلمين، أو تأخذه هي وتودعه دار رعاية اليتامى التي يجب عليها توفيرها، وإن تبرع ملتقطه بالإنفاق عليه، صح تبرعه له بالنفقة، وكان له أجره عند الله تعالى، وإن رفضت الدولة رعايته والإنفاق عليه، ورفض ملتقطه الإنفاق عليه كذلك، أو كان فقيراً لا قدرة له على الإنفاق عليه، وجبت نفقته على المجتمع الإسلامي، وذلك بوجوبها على من علم حاله من المسلمين القادرين على الإنفاق عليه.

جـ ـ جنايته: إذا جنى اللقيط جناية خطأ، ووجبت عليه الدية، تحمَّل الدية عنه أهل نصرته، كحزبه السياسي، أو نقابة حرفته، ونحو ذلك، فإن لم تكن له جماعة مناصرة فإن الدولة تتحملها عنه، لأن بيت مال المسلمين عاقلة من لا عاقلة له.

د ـ ميراثه: إن مات اللقيط وله مال، ولا وارث له، فإن ميراثه لمن رعاه ورباه، فإن كان راعيه قد مات، فميراثه لبيت مال المسلمين.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

* * *

لوط (النبي) عليه السلام

هو لوط بن حاران أو هاران بن تارح ابن أخي إبراهيم عليه السلام. آمن بدعوة إبراهيم إلى الحنيفية السمحاء ورافق عمه في تنقله بين بلاد ما بين النهرين ومصر، ومن ثم خرج معه من مصر، وعندما وصلوا جهة فلسطين عرض عليه إبراهيم عليه السلام أن يختار حيث يريد فاختار سدوم جنوب البحر الميِّت.

وكان أهل سدوم أهل كفر ورذائل تنوعت وتعددت رذائلهم، وكان مما اشتهروا به من أنواع الفاحشة هو أن الذكور كان يأتون بعضهم، أي كانوا شاذين، وكانوا أول من انحرف باتجاه المثلية في العلاقات الجنسية، وقد غضب الله تعالى عليهم بسبب ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف/ ٨٠، ٨١]، وقال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل/ ٥٤، ٥٥].

لقد دعا لوط قوم سدوم وجوارها إلى عبادة الله تعالى الواحد، ونهاهم عن السيئات والفواحش، ولكن الرذائل والكفر كانا قد فعلا فعلهما في نفوس خربة فلم يزدادوا إلا عصياناً وبعداً عن الحق.

في حياة لوط عليه السلام غزا كدلعومر سدوم وجوارها وانتصر عليهما، وأسروا لوطاً عليه

السلام، ولم يتمّ إنقاذه إلا بفضل تدخل عمّه إبراهيم عليه السلام.

بعد ذلك بعث الله تعالى الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام، وبعده قصدوا سدوم لإنذار أهلها، وكان من أهل الفواحش أن طوقوا منزل لوط عليه السلام ليعتدوا على ضيوفه الذين حضروا بتشكُّل بشري، وحاول ردعهم لدرجة أنه عرض عليهم بناته ليحفظ ضيوفه فرفضوا، ومع هذه الواقعة جاء أمر الله تعالى بسدوم وملحقاتها فنزل بها الخراب ومن جملة من هلكوا زوجة لوط التي لم تكن مؤمنة بدعوته فكان مصيرها كمصير من أحاط بهم العذاب من أهل سدوم، ومعها أهل كل من صبعة وعمرة ودوما وصعوة، وهي مواقع مجاورة لسدوم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۞ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هـود/ ٧٧، ٧٨]. وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الصافات/ ١٣٣ ـ ١٣٦].

وتدمير سدوم وجوارها كان بأن أُمطرت بحجارة وتبديل للمواقع فيها بحيث لم يعد من كان يعرف القرية بإمكانه أن يعرفها. يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۞ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود/ ٨٢، ٨٣].

وقد ورد في العهد القديم في سفر التكوين ما يفيد السياق نفسه. ففي الإصحاح التاسع عشر: «فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً... وقبل أن يضطجعا إذا بأهل المدينة، أهل سدوم، قد أحاطوا بالمنزل... فخرج إليهم لوط إلى المدخل وأغلق الباب وراءه وقال: «أسألكم ألا تفعلوا شراً يا إخوتي. ها أنذا لي ابنتان ما عرفتا رجلاً... ولما أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط صوعر، وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من السموات، وقلب تلك المدن وكل السهل وجميع سكان المدن ونبات الأرض، فالتفتت امرأة لوط إلى وراء فصارت نُصْب مِلح».

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤.

* * *

لوقا

ولد لوقا في أنطاكية، على ما يبدو، من عائلة وثنية. عرف جماعة أنطاكية التي فيها سُمِّي تلاميذ المسيح للمرة الأولى مسيحيين. ارتدَّ إلى الإيمان المسيحي ربما سنة ٤٠م، وانضم إلى فريق بولس الرسولي في رحلة قادت الجميع إلى ترواس وفيلبي في مكدونية. ظل هناك ثمانية أعوام، ثم ظل بقرب الرسول حتى سجنه في قيصرية فلسطين وفي رومة. كان لوقا طبيباً مثقَّفاً، وتحلّى بروح الوداعة والتسامح. تأثَّر بمعلمه بولس الرسول فأخذ منه شمولية الرسالة، لا انغلاقها على فئة معينة. وتأثر برحمة المسيح التي لا ترفض أحداً من المهمَّشين في المجتمع، ولا سيما اليهودي منه: للفقراء المقام الأول، وللخطأة، وللوثنيين. وأعاد للمرأة كرامتها فقدَّم النساء العديدات ولا سيَّما مريم العذراء. دوَّن لوقا الإنجيل الثالث، الإنجيل بحسب لوقا، وأبرز شخص المخلِّص والمسيح والرب، كما دوَّن أعمال الرسل فبيَّن مسيرة الكلمة من أورشليم إلى رومة، كما بيَّن عمل الروح القدس الذي واصل في العالم عمل الرسالة الذي بدأه المسيح في الجليل والسامرة واليهودية، أي في فلسطين.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

ليلة القدر

القَدْر، هو الشرف. وقال القرطبي: ليلة الحكم وهو التقدير. وقد سمى الله تعالى الليلة التي أُنزل فيها القرآن، وهي إحدى ليالي شهر رمضان، بليلة القدر، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر/ ٢]، يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان/ ٣]، وهي من شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة/ ١٨٥]. قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ.

واختلف العلماء في تحديد ليلة القدر، والذي عليه المعظم أنها ليلة سبع وعشرين لحديث زر بن حبيش قال: قلت لأبيٍّ بن كعب: إن أخاك عبد الله ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر. فقال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن! لقد علم أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، ولكنه أراد ألا يتكل الناس. ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين. قال: قلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالآية التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ، أو بالعلامة أن الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وأخرجه مسلم.

وفي فضائلها قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر/ ٣]، وهي تساوي العمر كله، وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر/ ٤]، وفي الصحيحين: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه) رواه أبو هريرة.

وقالت عائشة، رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله! إن وافقت ليلة القدر فما أقول؟ قال: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني).

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٧٤، ١٩٧.

* * *

الليونز Lions Clubs

مؤسس الليونز هو ملفن جونز، وكانت أول اجتماعات التأسيس في صيف عام ١٩١٧م في دالاس بولاية تكساس، الولايات المتحدة الأميركية، والاسم مكون من الأحرف الأولى للكلمات الإنجليزية الخمس وهي: Liberty Intelligence Our Nations Safety، ومعناها بالعربية: إن الحرية والذكاء يضمنان سلامة أوطاننا.

حسب وثائقهم، يندرج حالياً تحت لواء الليونز حوالي ٣٧٠٠٠ نادٍ، وأعضاؤها يتجاوزون ١٣٥٠٠٠٠ يتوزعون في ١٥٠ دولة.

يهتم الليونز بالأمور الاجتماعية والتجارية ويعتمدون قواعد مرنة لقبول العضوية في أنديتهم المخصصة للنخب والفئات العليا في المجتمع، كالماسونية تماماً، والليونز صنيعة الماسون.

والعضوية عندهم تكون من خلال ترشيحهم مَنْ يرون مصلحة في انضمامه إلى صفوفهم وهم الذين يعرضون عليه العضوية عند ذلك، والعضو عندهم يشترط فيه أن يكون من نادي رجال الأعمال الناجحين. والليونز يقيمون غالباً حفلات ماجنة يختلطون فيها ذكوراً وإناثاً، وفي اهتماماتهم لا يقيمون وزناً للانتماء الديني أو الوطني والقومي.

يركز الليونز في طروحاتهم على أنهم يعملون من أجل التفاهم الدولي، ويقيمون لهذه الغاية أنشطة مثل: معسكر الشباب الدولي، وبرامج التبادل بين الشباب، وقد أقاموا أندية خاصة للناشئة أطلقوا عليها اسم: الليو.

إن أندية الليونز خطيرة كالروتاري، وهي من

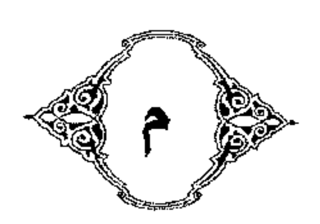
متفرعات الماسونية، ومركزها الرئيسي حالياً في كواكبروك بولاية إيلينويس، الولايات المتحدة الأميركية، ويعقدون مؤتمراً دولياً لهم في كل عام، كما أنهم يصدرون مجلة بالإنجليزية وينقلونها إلى ١٨ لغة أخرى.

والمجامع الفقهية الإسلامية تحظر الدخول في أندية الليونز، والفتاوى بحقها كالروتاري واحدة، ولهذه الغاية ومنعاً للتكرار يرجى مراجعة ما ورد في مادة الروتاري حيث أوردنا فتوى الأزهر الشريف الصادرة في عام ١٩٨٥م، والمجمع الفقهي بمكة المكرمة الصادرة في عام ١٩٧٨م، وفيهما حظر واضح وتحريم للدخول في هذه الأندية لأنها إحدى أفرع أو أوجه الحركة الماسونية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٤٧، ٥٤٥، ٥٥٢.

* * *



الماء

الماء في المسيحية هو عنصر للخلاص. في العهد القديم كان الماء، بالطوفان، سبيل إهلاك للبشر (تك ٦ ـ ٧) فيما الماء في العهد الجديد هو الذي تجري المعمودية بواسطته (راجع: المعمودية). كما أن هناك استعمالاً آخر للماء المقدس في الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية، فهو يستعمل لتقديس الأيقونات والأواني الكنسية والبيوت والناس.

إن ما يقال عن تقديس الماء أو عن الماء المقدس يقال عن كل ما تجري عليه الصلاة لتقديسه في المسيحية. فالماء أو غيره، الذي هو عنصر طبيعي، يُرجَع بالصلاة إلى ما يستطيع أن يكون عليه من أداة إلهية تحمل الخلاص والشفاء والصحة من حيث هي، كما الخليقة، مخلوقة خيِّرة من قبل الله الذي لم يخلق أي شيء غير خيِّر. الصلاة، بهذا المعنى، تُرجع العنصر إلى بهائه الأول بعمل الله فيه.

بولس وهبة

المراجع: ٦١٩.

* * *

الماتريدية

هم أصحاب أبي منصور محمد الماتريدي، المتوفى سنة ٣٣٢هـ، والملقب بإمام الهدى. والماتريدي نسبة إلى ماتريد، قرية من قرى سمرقند، ذكرها ياقوت الحموي فقال: ما تيرب.

وقد حدد أبو منصور الماتريدي معنى الإسلام والإيمان فقال: إن الإسلام معرفة الله بلا كيف ومحله الصدر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر/ ٢٢]. وأما الإيمان فمعرفة الله تعالى بالألوهية ومحله القلب، لقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات/ ٧]، والقلب داخل الصدر. وأما المعرفة فهي معرفة الله تعالى وموضعها الفؤاد الذي يقع في داخل القلب. وقد حصل بينهم وبين الأشاعرة خلاف في بعض المسائل كمسألة التكوين وغيرها، لكنهم يوافقون الأشاعرة فيما خالفوا به المعتزلة.

ومن أقوالهم: إن معرفة الله مدرَكة الوجوب بالعقل، وإن الله تعالى خالق الأشياء كلها، فلا شيء في هذا الوجود إلا وهو مخلوق لله تعالى، لا شريك له، وإثبات الخلق لغيره إثبات للشريك. وقالوا إن رؤية الله تعالى يوم القيامة ثابتة بالنصوص، كما قالوا إن للأشياء قبحاً ذاتياً وأن العقل يستطيع أن يدرك حسن الأشياء وقبحها.

وعن الإمامة قالوا: ينبغي أن يكون الإمام ظاهراً لا متخفياً ولا منتظراً، ويكون من قريش، ولا يجوز من غيرهم، ولا يختص ببني هاشم، ولا يشترط أن يكون معصوماً ولا أن يكون أفضل أهل زمانه، ويشترط أن يكون من أهل الولاية المطلقة الكاملة، قادراً على تنفيذ الأحكام وحفظ حدود دار الإسلام وإنصاف المظلوم من الظالم، ولا ينعزل الإمام بالفسق والجور، ويجوز الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر، ونصلي على كل برٍّ وفاجر، ونكف عن ذكر الصحابة إلا بالخير. ولا يبلغ وليٌّ درجة

الأنبياء، وتُحمل النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدّعيها أهل الباطل إلحاد، وما أخبر به النبي ﷺ من أشراط الساعة، من خروج الدجال ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها، فهو حق.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٣٧٧، ٥٢٤.

* * *

مالك بن أنس

هو أبو عبد الله، مالك بن أنس بن مالك بن أنس، ينتهي نسبه إلى يعرب بن يشجب بن قحطان. وجده مالك بن أنس من كبار التابعين، ووالد جده «أنس» صحابي جليل شهد المغازي كلها مع الرسول ﷺ إلا بدراً.

وليس في الرواة مالك بن أنس غيره، سوى مالك بن أنس الكوفي، وله حديث واحد عن هانىء بن حرام. والإمام مالك أحد أصحاب المذاهب الستة المدونة مذاهبهم.

ولد في المدينة سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م، في أرجح الروايات، وهي مكان مولده وإقامته ووفاته، وفيها صنّف كتابه «الموطأ»، وأخذ العلم بها عن أكثر من مئة شيخ، وروى بعضهم عنه فيما بعد، وعاش أربعاً وثمانين سنة، وتوفي في ربيع الأول سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م ودفن بالبقيع.

روى عن عدد كبير من التابعين، يعدُّون بالمئات، وروى عنه كثيرون، بحيث أفرد الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي كتاباً في الرواة عن مالك أورد فيه ما يقارب الألف رجل. ومن الأعلام الذين رووا عنه: سفيان الثوري، والأوزاعي، وأبو حنيفة، والشافعي. وقال فيه الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم. وقال ابن معين: مالك من حجج الله على خلقه.

وقد اشتهر مالك بكتابه «الموطأ»، وهو أول كتاب بهذا الاسم، ومعناه الممهد، وهو أول كتاب وضعت فيه الأحاديث مصنفة ومبوبة، وأول كتاب جمع بين الحديث والفقه، ويروى أنه قال لأحد تلامذته: «كتاب ألفته في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يوماً، ما أقلّ ما تفقهون فيه». وقد وصف الشافعي الموطأ فقال: «ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب الموطأ»، واشتمل الموطأ على كثير من الأسانيد التي حكم المحدثون بأنها أصح الأسانيد، ورواه عن مالك عدد كبير من الرواة، ولكن أشهرها رواية يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي. وينتشر المذهب المالكي بشكل خاص حالياً في دول شمالي إفريقية، ويتبعه كثيرون في مختلف بلاد العالم الإسلامي.

وله من الكتب: رسالة في الوعظ، وأخرى في الرد على القدرية، وكتاب في تفسير غريب القرآن.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٦٣، ١٦٥، ٥٥٣.

* * *

مارتن لوثر (١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م)

كان راهباً وكاهناً، انتمى إلى الرهبنة الأغسطينية في ألمانيا. تعلم في جامعة لايبزيغ وانتقل إلى مدينة وينبرغ حيث درس في جامعتها. نقطة التحول في حياته كانت حين أمر البابا لاون العاشر عام ١٥١٧م ببيع صكوك الغفران (من الخطايا) لمن يقدم مالاً بغية إتمام بناء كنيسة القديس بطرس في روما، حينئذ قام لوثر بتعليق ٩٥ سؤالاً حول هذا الأمر على باب كنيسة وينبرغ. وعندما أرادت السلطات الكنسية إسكات هذا التحرك لم يذعن بل سعى إلى جعل آخرين يتبنّون مواقفه.

أدى به هذا إلى رفض عصمة البابا وأوليته، وإلى رفض عصمة المجامع الكنسية العامة، فطرد من الكنيسة. وقد ساعد على انتشار فكره الجو السياسي الذي كان سائداً لجهة تنازع السلطة بين

بعض الأمراء والحكام في ألمانيا والبابا، فوفر له بعضهم المجال لإطلاق حركته والدعوة لها. مع الوقت خلع عنه ثوب الرهبنة وتزوج امرأة كانت بدورها راهبة.

نادى بكهنوت جميع المؤمنين ورفض «الكهنوت الخاص»، وبأن الإنسان يبرر عند الله بالإيمان فقط وليس بالأعمال، لأن فعل التبرير هو عمل مجاني من الله. ترجم الكتاب المقدس، ولأول مرة، إلى الألمانية، وطور اللغة الألمانية المعاصرة. آمن بأن السلطة في الكنيسة هي للكتاب المقدس الذي منه فقط يستمد التعليم والعقيدة، كما آمن بأن الإيمان بعمل الفداء، الذي تم بموت المسيح على الصليب وقيامته، هو قاعدة الحياة المسيحية.

لذا، يعتبر مارتن لوثر المؤسس الأول والأهم للحركة البروتستانتية الإصلاحية، والذي أعطى اسمه لكثير من التجمعات المسيحية التي يطلق عليها اسم «الكنائس اللوثرية».

بولس وهبة

المراجع: ٥٩٧، ٦١٤، ٦١٥.

* * *

ولد في مدينة أيسليبن (Eisleben) في مقاطعة الساكس (Saxe) الألمانية في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٤٨٣م. ولما بلغ الرابعة عشرة دخل مدرسة الفرنسيسكان في مدينة ماغدبورغ (Magdebourg)، وفي السنة التالية، أي ١٤٩٨م، دخل المدرسة اللاتينية في مدينة مانسفيلد (Mansfield).

لقي تربية دينية صارمة، وكانت سنواته الأولى صعبة نظراً لظروف معيشية قاسية عانت منها عائلته فاضطر إلى الغناء في الشوارع لتأمين معيشته.

وفي سنة ١٥٠٠م دخل جامعة أرفورت (Erfurt) لدراسة الفلسفة والحقوق، بناء على رغبة أبيه الذي أراده أن يصبح رجل قانون، فتخرج سنة ١٥٠٣م، لكنه قرَّر الترهُّب ودخل دير الأوغسطينيين في المدينة في ١٧ تموز (يوليو) ١٥٠٥م، وسيم كاهناً سنة ١٥٠٧م، وبدأ دراسة اللاهوت. وفي سنة ١٥١٥م انتخب نائباً عاماً للرهبنة، مسؤولاً عن عشرة أديرة في مقاطعة تورنج (Thuringe).

بين سنتي ١٥٠٥م و ١٥١٥م بلغ مرحلة النضوج الروحي، فكان يمضي وقته في الصلاة والدراسة واحترام القوانين الرهبانية باحثاً عن الله، وكان كل همِّه خلاص نفسه.

وكان، بأمر من رئيسه شتاوبيتز (Staupitz)، غادر دير أرفورت إلى دير فيتمبرغ (Wittemberg) وأصبح دكتوراً في اللاهوت في ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٥١٢م، وحل مكان رئيسه أستاذاً في الكتاب المقدس في جامعة المدينة. وبين سنتي ١٥١٣م و ١٥١٨م شرح كتاب المزامير، ودرس رسائل القديس بولس إلى الرومانيين وأهل غلاطية والعبرانيين، وقد لعبت الرسالة إلى الرومانيين دوراً أساسياً في اكتشافه الكتاب المقدس.

كان اهتمامه اللاهوتي ينصبُّ على تجديد نظرة الإنسان لعلاقته باللّه، فتعمَّق في دراسة مواضيع الخطيئة والنعمة والإيمان والعدالة الإلّهية، فاستنتج أن خلاص المسيحي يكون بالإيمان الممنوح من الله وليس بالأعمال.

وابتداءاً من سنة ١٥١٧م بدأ العمل لإصلاح الدراسات اللاهوتية عن طريق العودة إلى ينبوع المسيحية، أي الكتاب المقدس.

في ذلك الوقت كان البابا لاون العاشر قد أرسل إلى مختلف أنحاء أوروبا موفدين يعرضون على المؤمنين «رسائل غفران» مقابل دفع مبالغ من المال تستخدم في بناء كنيسة القديس بطرس في روما. وفي ٣١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٥١٧م اعترض لوثر على ذلك لدى رئيس أساقفة مايانس (Mayence)، أول سلطة دينية في ألمانيا، الذي أرسل الاعتراض إلى روما، فاستدعي لوثر إليها في تموز (يوليو) ١٥١٨م، لكن أمير مقاطعة الساكس، فريدريك الثالث، تدخل في القضية فمثل لوثر في

ألمانيا أمام رئيس رهبنة الدومينيكان كايتان (Cajetan)، ممثل البابا الشخصي، في مدينة أوغسبورغ (Augsbourg) في تشرين الأول (أكتوبر). طلب كايتان من لوثر التراجع عن اعتراضاته لكنه رفض ما لم يثبت خطأه بواسطة الكتاب المقدس. توقفت القضية عند هذا الحدّ بسبب وفاة أمبراطور ألمانيا وانشغال دول أوروبا بانتخاب خلف له.

وفي ١٥ حزيران (يونيو) ١٥٢٠م أعلن البابا رسالته (Exsurge Domine) التي فنّد فيها ردّه على اعتراضات لوثر وأعطاه مهلة ستين يوماً للتراجع عنها وإلاّ حرمه. ردَّ لوثر على البابا في ثلاث رسائل بين شهري آب (أغسطس) وتشرين الثاني (نوفمبر) ضمَّنها نظرته وتصوره لإصلاح الكنيسة، فعرفت نجاحاً باهراً وسريعاً. عندها أمر الأمبراطور شارل الخامس بحرق كتب لوثر، فردَّ هذا الأخير في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) بحرق رسائل البابا وكتب اللاهوت والحق الكنسي، فأصدر البابا صكاً حرم لوثر في ٣ كانون الثاني (يناير) ١٥٢١م.

وفي ١٨ نيسان (أبريل) مثل لوثر أمام المجلس التمثيلي للأمبراطورية (Diète) في مدينة فورمس (Worms) حيث طلب منه الأمبراطور التراجع عن كتاباته، فرفض، مما اضطر الأمبراطور إلى إعلانه مُهرطقاً وخارجاً على القانون وأهدر دمه.

عندها تدخل أمير منطقة الساكس فريدريك الثالث لحمايته، واقتاده إلى قصر فارتبورغ (Wartbourg) قرب مدينة إيسناخ (Eisenach) حيث مكث حوالي السنة ودرس اليونانية والعبرانية وترجم العهد الجديد إلى اللغة الألمانية (صدرت ترجمته للكتاب المقدس كاملاً سنة ١٥٣٤م).

في هذا الوقت كانت أفكاره وتعاليمه تنتشر وتُفسَّر بحسب مصالح مفسّريها، فأثارت حالاً من الفوضى الدينية والاجتماعية في ألمانيا، فتزوَّج الكهنة وترك الرهبان والراهبات أديرتهم. أمام هذا الواقع غادر لوثر قصر فارتبورغ عائداً إلى فيتمبرغ في أول أذار (مارس) ١٥٢٢م، وبدأ تنظيم كنيسته.

وفي سنة ١٥٢٤م خلع عنه الثوب الرهباني، وتزوج في السنة التالية من كاترين ده بورا (Katharina Von Bora). من ناحية أخرى انضمَّ عدد كبير من أمراء ألمانيا إلى الإصلاح لأنه سمح لهم بمصادرة أملاك الكنيسة، فدعمهم لوثر ضد الفلاحين سنة ١٥٢٥م.

أدّى وجود لوثر في مدينة فيتمبرغ ومكوثه فيها حتى نهاية حياته إلى تحويلها عاصمة روحية لعالم مسيحي جديد، فبلغ عدد طلاب جامعتها حوالي الألفين بعد سنة ١٥٢٥م.

توفي لوثر في ١٨ شباط (فبراير) ١٥٤٦م، في مسقط رأسه أيسليبن، حيث كان استُدعي لحلِّ خلاف بين حكام مدينة مانسفيلد.

كريستيان الحلو

المراجع:

* * *

الماسونية

حركة تثير الفضول عندما يطرح اسمها، وتلفُّها الضبابية بسبب ما يتعمَّده أتباعها من الأساليب في التعريف بها لكي يستروا حقيقتهم.

الاسم من أصل أجنبي وهو من الفرنسية Franc Maçonnerie ـ البناؤون الأحرار ـ. وقد ربطوا الاسم بالبناء، وما يقصدونه هو إعادة بناء هيكل سليمان الذي يزعمون أنه كان موجوداً في القدس، علماً أن التنقيب والبحث الغربي، وبعده الإسرائيلي لم يعثر على أي أثر لهذا الهيكل في القدس وجوارها.

ويصرح الماسون بأنهم لا يعرفون بداية محددة لحركتهم، فهذا هو الماسوني شاهين مكاريوس يقول: «لم يتفق المؤرخون على أصل الماسونية وكيفية نشأتها، فقد تضاربت الآراء واختلفت الأقاويل فيها، فمن ناسب أصلها إلى أقدم الأزمان،

ومن قائل إنها لا تتجاوز الجيل السابع عشر، وبالإجمال فإن دون معرفة الحقيقة أستاراً مسدولة تمنع النور عن خرق الحجاب».

وماسوني آخر هو فؤاد فضول يقول: «البنائية عالم مجهول، عريقة في القدم، عراقة الوجود الإنساني، سائرة جنباً إلى جنب مع التاريخ... البنائية عالم مغلق، لم يتمكن إنسان بعد من الوصول إلى قاعها البعيد، فدون الكنوز المستقرة في هذا القاع أبواب عديدة موصدة يتطلب فتحها جهداً ومثابرة وتضحية هي فوق طاقة الإنسان».

والدراسة توصل إلى أن أول ظهور الماسونية كان في بريطانيا في ٢٤/ ٦/ ١٧١٧م، وهذه المحافل تحمل اسم الطقس الاسكوتلاندي. وفي أوائل صيف ١٧٢٨م ظهر أول محفل فرنسي، والمحافل التابعة للماسونية الفرنسية تسمى «الشرق الأعظم».

والماسون يقدمون ما يسمونه الأخوة الماسونية بينهم على أية رابطة، وعلى أي انتماء ديني أو وطني، ولذلك تراهم يدعون إلى العالمية الزائفة فيقول أحدهم: «عملنا أيضاً على ما فيه إدماج الدنيا بأسرها في جميعة أخوية دولية عظمى لا يفصم عروتها الوثقى تباين الآراء الفلسفية، أو العقائد الدينية والتشعبات الجنسية. أردنا السعي في التقاف أفراد العالم حول واحد ألا وهو رمز انتشار السلم بين جميع الشعوب، ودفعنا إلى ذلك العمل ما أصاب إخواننا في الإنسانية منذ العصور السالفة من سفلك دمائهم أنهاراً ليطفئوا بها عبثاً نار الأحقاد السياسية والمطامع الشخصية والفوارق الدينية».

هذه الدعوة للعالمية غير محددة، فأية شعوب يقصدون؟ والسلام مع من يريدون؟ وهل هم يدعون للاستسلام تحت ستار الأخوية العالمية؟.

والماسونية سرية، كما صرح جرجي زيدان، حيث قال: «فالماسونية إذاً نسجت على منوال الجمعيات السرية القديمة، هذا إذا لم نقل إنها فرع من فروعها أو استمرار أحدها». وهذا القول يدينهم لأنه إذا كانت الماسونية حركة بنائين وليس لها أهداف مشبوهة، ما الداعي للسرية يا ترى؟؟.

والمحافل الماسونية يؤسسونها من الداخل على هيئة الهيكل المزعوم الموصوف في العهد القديم، ويستخدمون فيها الكتابات العبرية، ويحظرون دخولها على غير الماسون كما أنهم يعتمدون أساليب سرية خاصة في التعارف والسلام، ودخول المحافل وسواها.

والتعهد أو القسم الذي يطلب من المنتسب للماسونية ترديده يدينهم كذلك حيث يقول فيه: «أتعهد بإرادتي واختياري أن أصون وأكتم الأسرار والرموز التي تباح لي الآن أو فيما بعد في الماسونية القديمة، ولاأبوح بها لأحد، وإذا حنثت بيميني هذا أكون مستحقاً كل العقوبات الماسونية حتى القتل».

والانتساب للماسونية يكون لمن أتم الحادية والعشرين، وأن يكون متعلماً وميسوراً وصاحب موقع، فالماسونية تركِّز على النخبة.

والماسون يعتمدون شرب الأنخاب من الخمر عند انتساب عضو جديد، ويقول حنا أبي راشد: «وهل من عجب في اختيار الخمارة لاجتماع البنائين الأحرار في لندن؟ ألم تختر النازية الألمانية خمارة لاجتماعها الأول؟».

والماسونية تخدم اليهودية والصهيونية، وتحارب الإسلام والمسيحية، وفي هذا الباب يمكن أن نذكر شعراً لإبراهيم اليازجي الماسوني يقول فيه:

دعوا مقال ذوي الشقاق
من المشايخ والقساوس
فهم رجال الله فيكم
بل هم القوم الأبالس
يمشون بين ظهوركم
تحت الطيالس والأطالس
فالشر كل الشر ما
بين العمائم والقلانس
والخير كل الخير في
هدم الجوامع والكنائس

ويقول حنا أبي راشد عن الماسونية: «كذلك القول في الماسونية فإنها إذا بنيت على بعض التقاليد الإسرائيلية التي كانت شائعة في عهد انبثاقها، أو بعد ذلك، فليس يضرها ذلك في شيء.. فلنا أن نقول: إنها يهودية، لأنها كذلك في بعض طقوسها ومراسمها».

ويقول يوسف الحاج الذي ترك الماسونية: «يشهد الله أننا ما قصرنا في شيء من العطف على أبناء إسرائيل طيلة السنين التي خالطناهم فيها في محافل الحرية والمساواة والإخاء.

وكم من مرة مشينا وإياهم في نشر المبادىء الإنسانية العامة غافلين عما كانوا يعملونه في الخفاء وبمعزل عنَّا للمِّ شعثهم، وجمع أشتاتهم من أقاصي الأرض للحصول على السيادة العالمية باسم الدين والقومية الذين كانوا يظهرون لنا تذمرهم من التمسك بهما وإضرارهما بالاجتماع الإنساني».

ويصرح يهود بأنهم المؤسسون للمحافل الماسونية. ففي بروتوكولات حكماء صهيون يقولون: «سوف نظل ننشىء المحافل الماسونية ونضاعفها في كل العالم، وسنجلب إلى هذه المحافل كل أولئك الذين هم زعماء شعوب أو يمكن أن يكونوا كذلك، لأن هذه المحافل ستكون المصادر الرئيسية لاستخباراتنا، ومنها يأتي نفوذنا».

هذا قليل من كثير مما يبيِّن ارتباط الماسونية بالصهيونية ومعاداتها للإسلام والمسيحية، لذلك كانت المراجع الدينية، ولا تزال، تحظر الماسونية وتحرم الدخول فيها. من هذه المواقف موقف الكنيسة الأرثوذكسية، وفيه: «ما دامت الأرثوذكسية على دين المسيح، والماسونية على دين زعمائها فلا وجه للتفاهم بينهما على الإطلاق».

والكنيسة الكاثوليكية توالت مواقفها، وكان آخرها الإجابة على سؤال من قبل مجمع الإيمان المقدس في الفاتيكان عام ١٩٨٦م، وفي الإجابة ما يلي: «إن قرار الكنيسة السلبي حيال الماسونية لم يتغيَّر، لأنها ما تزال تعتبر أن مبادىء الماسونية لا تتوافق مع عقيدتها، ولذلك تحرِّم الكنيسة الانخراط فيها، والكاثوليكيون المنتمون إليها هم بحالة الخطيئة المميتة ويتعذر عليهم تناول القربان المقدس».

ومواقف المراجع الإسلامية من الماسونية تحرمها وتضعها في خانة المؤسسات اليهودية الصهيونية. من هذه المواقف ما جاء في قرار المجمع الفقهي في مكة المكرمة، وفي النص: «إنها ذات أهداف سياسية، ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية.

إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا العالمية السرية وصهيونية النشاط.. إنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار... وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الأسود (الليونز) والروتاري... وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية.. لذلك، ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة، يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدّامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله».

وفي فتوى للشيخ عطية صقر من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف جاء ما يلي: «هذه المحافل ما هي إلا جهاز يهودي بأشخاص مسلمين يعملون للتمكين لإسرائيل، وإزاحة العوائق أمام وجودها في قلب الأوطان الإسلامية بصورة أو بأخرى، تحث الأمم على نسيان عقائدها التي اعتنقتها ليسهل عليها أن تجعل من شعاراتها البراقة الكاذبة طريقاً إلى ميلاد إسرائيل، ولذلك فإنّا نؤكد أن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونياً، لأن الارتباط

بالماسونية انسلاخ تدريجي عن شعائر دينه، ينتهي بصاحبه إلى الارتداد التام عن دين الله، تلك هي الماسونية التي تزعم أنها فوق الأديان وفوق الأجناس، وهي في الحقيقة خدمة مجانية عامة لتدعيم السلطان الصهيوني الدولي في شرقنا الإسلامي».

أما على الصعيد العربي فقد بدأت الحملة في أوائل الستينيات ضد الماسونية، وكان القرار الأول بحل المحافل الماسونية ومصادرة أملاكها من قبل الرئيس جمال عبد الناصر، وعمَّ ذلك سائر البلدان العربية، والماسونية تتحرك بتراخيص في لبنان وبدرجة أقل في الأردن.

وجامعة الدول العربية اتخذت قرارات بحظر الماسونية، وآخرها القرار ٢٣٠٩ المتخذ في الدورة السابعة والأربعين لمجلس الجامعة عام ١٩٧٩م، وينص على ما يلي:

«**أولاً**: اعتبار الحركة الماسونية حركة صهيونية لأنها تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونية وأهدافها، كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرائيل من أعضائها، الأمر الذي يدعم اقتصادها ومجهودها الحربي ضد الدول العربية.

ثانياً: حظر إقامة مراكز أو محافل لنشاط الحركة الماسونية في الدول العربية وإغلاق أي أماكن لها تكون قائمة في هذه الدول.

ثالثاً: لا يجوز التعامل، أياً كان نوعه وطبيعته، مع مراكز هذه الجماعة أو محافلها في مختلف أنحاء العالم».

أسعد السحمراني

المراجع: ١٠٠، ١٥٠، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٧٢، ٢٨٩، ٤٤٦/١، ٦١٢.

* * *

المانوية

ظهر ماني (مولود ٢١٦م) في بلاد فارس أيام حكم سابور، وادَّعى النبوة ودعي أتباعه: المانوية.

ورجع سابور بن أردشير عن المجوسية إلى مذهب ماني القائل بالنور والبراءة من الظلمة. قال ماني: مبدأ العالم كونين أحدهما نور والآخر ظلمة، كل منهما منفصل عن الآخر. فالنور هو العظيم الأول، وله خمسة أعضاء: الحِلم والعلم والعقل والغيب والفطنة، وخمسة أُخر روحانية وهي: الحب والإيمان والوفاء والمودة والحكمة. ولأرض النور عنده خمسة أعضاء هي: النسيم والريح والنور والماء والنار.

اختلفت المانوية في المزاج وسببه، والخلاص وسببه، وقال بعضهم: إن النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق، لا بالقصد والاختيار. وعندهم أن الحياة والروح في هذا العالم من النسيم، والهلاك والآفات من الدخان، فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور، وما فيه من مضرة وشر وفساد فمن أجناس الظلمة.

وقد فرض ماني على أصحابه العُشر في الأموال كلها، والصلوات الأربع في اليوم والليلة، والدعاء إلى الحق، وترك الكذب، والقتل، والسرقة، والزنا، والبخل، والسحر.

ادعى ماني أنه أوحي إليه وهو في سن الرابعة والعشرين بواسطة ملاك اسمه «التوم»، وأنه جاء بدين لا يختلف عما جاء به الرسل قبله وأن المسيح عليه السلام هو الذي بشَّر به.

وينقسم الناس عنده إلى ثلاث فئات: الأصفياء الأبرار، والمستمعين، وهم أقل قدرة من الأصفياء على نبذ الشهوات والماديات، وفئة المذنبين وهي فئة أفرادها مشبعون بالظلام ومصيرهم إلى النار. عاشت المانوية إلى العصر العباسي حيث قضى عليها المسلمون، وقد صنفت بين فرق الزندقة، وتسربت بعض مفاهيمها ومعتقداتها إلى بعض الفرق الضالة والمنحرفة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٨٠، ٣٩٦، ٥٢٤.

* * *

متروبوليت

تعني، في الاستعمال الحالي في الكنائس الأرثوذكسية والشرقية (مثل الروم الكاثوليك)، المطران على أبرشية معينة (مثلاً: متروبوليت بيروت، متروبوليت جبل لبنان، متروبوليت حلب، الخ). في الأصل كانت تعني مطران المدينة الأم أو الكبرى (Metropolis). أول مطران أعطي لقب «متروبوليت» كان مطران أبرشية صور في القرن الرابع. المتروبوليت، أو مطران الأبرشية في الكنيسة الأرثوذكسية، هو أعلى مقام كنسي من حيث الوظيفة لأنه هو المرجع النهائي في ابرشيته من حيث إدارتها وسياسة أمورها، مكوّن مع المطارنة الآخرين، في بقعة جغرافية معينة، ما يسمى «المجمع المقدس» للكنيسة في تلك البقعة التي تعتبر «كنيسة مستقلة» نسبة إلى الكنائس الأخرى (مثلاً: كنيسة أنطاكية وسائر المشرق في كنيسة بلغاريا، الخ) وهم يشكلون السلطة الكنسية العليا في تلك الكنيسة مجتمعين.

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩.

* * *

المتعة

المتعة لغة: يقال: متع الحبْل: اشتد. وحبل ماتع: جيد الفتل. ويقال للجبل الطويل: ماتعٌ. وقيل: كل ما جاد فقد متُع، وهو ماتع. والماتع من كل شيء: البالغ في الجودة الغاية في بابه. وقد ذكر الله تعالى المتاع والتمتع والاستمتاع والتمتيع في مواضع من كتابه، ومعانيها وإن اختلفت، راجعة إلى أصل واحد.

متعة الحج: قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة/ ١٩٦]، أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج، فإذا أحرم بالعمرة بعد إهلاله شوالاً فقد صار متمتعاً بالعمرة إلى الحج. وسمي متمتعاً لأنه إذا قدم مكة وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة حل من عمرته وحلق رأسه وذبح نُسُكه الواجب عليه لتمتعه، وحلّ له كل شيء كان حُرِم عليه في إحرامه من النساء والطيب، ثم ينشيء بعد ذلك إحراماً جديداً للحج وقت نهوضه إلى منى أو قبل ذلك من غير أن يجب عليه الرجوع إلى الميقات الذي أنشأ منه عمرته.

نكاح المتعة: وهو الزواج المؤقت إلى أجل معين، ومن شروط صحة النكاح أن يكون على التأبيد. وقد كان نكاح المتعة مباحاً في صدر الإسلام ثم حرِّم، وهو الآن جائز عند بعض المذاهب.

ذكر الزجاج، العالم اللغوي المشهور، أن آية: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء/ ٢٤]، غلط فيها قوم غلطاً عظيماً لجهلهم باللغة، وذلك أنهم ذهبوا إلى قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ من المتعة التي قد أجمع أهل العلم أنها حرام، وإنما معنى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾: فما نكحتم منهن على الشريطة التي جرى في الآية أنه الإحصان أن تبتغوا بأموالكم محصنين، أي عاقدين التزويج، أي: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ على عقد التزويج الذي جرى ذكره ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي مهورهن. فإن استمتع بالدخول بها آتى المهر تاماً، وإن استمتع بعقد النكاح أتى نصف المهر.

قال الأزهري: المتاع في اللغة كل ما انتفع به، فهو متاع. وقوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة/ ٢٣٦]، ليس بمعنى زوّدوهن المُتَع، إنما معناه: أعطوهن ما يستمتِعْن. وكذلك قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/ ٢٤١]. قال: ومن زعم أن قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ التي هي الشرط في التمتع الذي يفعله الرافضة، فقد أخطأ خطأ عظيماً لأن الآية واضحة بيّنة. قال: فإن احتج محتج من الروافض بما يروى عن ابن عباس أنه كان يراها حلالاً، وأنه كان يقرؤها: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى» فالثابت عنده أن ابن عباس

كان يراها حلالاً، ثم لما وقف على نهي النبي ﷺ رجع عن إحلالها.

وعن الإمام علي، رضي الله عنه، قال: «نهى رسول الله ﷺ عن المتعة عام خيبر، ولحوم الحُمُر الإنسية» [رواه البخاري وأهل السنن إلا أبو داود].

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، وقد سأله رجل عن المتعة فقال: «حرام». قال: فإن فلاناً يقول فيها! فقال: «والله! لقد علم أن رسول الله ﷺ حرَّمها يوم خيبر. وما كنا مسافحين» [أخرجه عبد الرزاق في مصنفه وأحمد في المسند].

وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، فتطول غربتنا، فقلنا: ألا نختصي يا رسول الله! فنهانا. ثم رخص لنا أن نتزوج المرأة إلى أجل بالشيء. ثم نهانا عنها يوم خيبر وعن لحوم الحُمُر الإنسية» [أخرجه عبد الرزاق في مصنفه].

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ١٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٣٢، ٤٤١، ٤٨٦.

* * *

المتعة (عند الشيعة)

ويطلق عليها اسم الزواج المنقطع، أو يسمونها الزواج إلى أجل. وشروطها لا تختلف عن الزواج الدائم من حيث الشروط الشرعية، فلا تتم إلا بعقد صحيح دال على قصد الزواج صراحةً. والعقد يحتاج إلى إيجاب يتم بقول المرأة أو وكيلها: زوجت أو أنكحت أو متعت، ولا يكون بغير هذه الألفاظ الثلاثة أبداً، وإلى قبول من الرجل، وهو قبلت أو رضيت.

وأي اتصال بين رجل وامرأة من دون هذا العقد، فهو سفاح. وإذا جاء العقد بلفظ أجرت أو وهبت أو أبحت، أو أي شيء من هذا القبيل وشبهه، فهو لغو لا يعتدُّ به. وإذا حصل العقد بصحته التي أوردناها آنفاً، كان لازماً للطرفين (الرجل والمرأة) ويجب الوفاء به، ووجب على الطرفين الالتزام به. ويجب ذكر المهر في عقد المتعة، كمهر الزوجة الدائمة، ولا يقدر بقلَّة أو كثرة، فيصح بكل ما يتراضى عليه الرجل والمرأة، ويسقط نصفه بهبة الأجل، أو انقضائه قبل الدخول، كما يسقط نصف مهر الزوجة بالطلاق قبل الدخول. ولا يجوز التمتع بذوات محرم كالأم والأخت والابنة، وبنت الأخ، وبنت الأخت، والعمة، والخالة، نسباً ولا رضاعاً، ولا بأم زوجته ولا بنتها، ولا أختها، ولا بمن تزوج أو تمتع بها أبوه أو ابنه، ولا بمن هي في العدة من نكاح غيره، ولا بمن زنى بها وهي في عصمة غيره. فالمتعة في ذلك كله كالزوجة الدائمة. وعلى المرأة المتمتع بها، أن تعتد مع الدخول بعد انتهاء الأجل، كالمطلقة، سوى أن المطلقة تعتد بثلاث حيضات، أو ثلاثة أشهر، وهي تعتد بحيضتين أو بخمسة وأربعين يوماً. أما العدة من الوفاة فهما فيها سواء، ومدتها أربعة أشهر وعشرة أيام، سواء أحصل الدخول أم لم يحصل. والولد من المتعة كالولد من الزوجة الدائمة في الميراث والنفقة وسائر الحقوق المادية والأدبية. ولا بد من أجل معين في المتعة يذكر في متن العقد، وبهذا تفترق المتعة عن الزواج الدائم، ويكون الطلاق في حال انتهاء الأجل المذكور.

ولا ميراث للمتمتع بها من الزوج، ولا نفقة لها عليه، والزوجة الدائمة لها الميراث والنفقة، ولكن للمتمتَّع بها أن تشترط على الرجل ضمن العقد الإنفاق والميراث، وإذا تم هذا الشرط كانت المتمتع بها كالزوجة الدائمة. ويكره التمتع بالزانية.

أما البكر، فيقول فيها المحقق الحلِّي: ومن فروع التمكين أن لا تكون صغيرة يحرم وطء مثلها، سواء كان زوجها كبيراً أو صغيراً، ولو أمكن الاستمتاع منها بما دون الوطء لأنه استمتاع نادر، ولا يرغب إليه في الغالب، ونحن نعلم، بعد الرجوع إلى أكثر الفقهاء، أنه لا يجوز الاستمتاع أو الزواج بالفتاة التي هي دون سن الرشد، دون إذن

صريح من أبيها، أو وليّ أمرها في غياب الأب.

وقد اتفق السنة والشيعة على تشريع زواج المتعة في عهد الرسول الأعظم ﷺ، ودلت عليه الآية الكريمة من سورة النساء: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء/ ٢٤]، وفي الحديث ما ذكره مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: «استمتعنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر»، أو في القول عن رواية جابر بن عبد الله: «كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله ﷺ».

أما السنة فقالوا بنسخها وتحريمها على رواية الربيع بن سبرة بن سعيد الجهني عن أبيه وخلاصتها: أن رسول الله ﷺ أمر بالمتعة عام فتح مكة، ثم لم يخرج منها حتى نهى عنها.

والشيعة يدفعون هذه الرواية بقولهم: إنها معارضة بقول عمر بن الخطاب: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ فأنا أحرمهما وأعاقب عليهما» حين أسند التحريم إلى نفسه، لا إلى رسول الله ﷺ.

وبقولهم: إن المتعة منسوخة بآية الطلاق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق/ ١]، وهي منسوخة أيضاً بآية المواريث في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ [النساء/ ١٢]، على اعتبار أنه لا طلاق في المتعة ولا توارث. وهذا يعني أن المتمتع بها ليست بزوجة. والملاحظة على هذين الوجهين واضحة، لأنه لا بد أن يكون بين الناسخ والمنسوخ تعارض وتدافع في مدلول كل منهما، وهذا لا يوجد بين آية المتعة، وبين آيتي الطلاق والمواريث، لأن عدم التوارث والطلاق في المتعة، إنما هو لدليل خاص، مضافاً إلى أن فقهاء الإمامية من يقول بالتوارث فيها. ومن هنا يضيف الشيعة الإمامية، وجدت حالات من الزواج لا طلاق فيه، كما نراه في: الأمة المزوَّجة إذا اشتراها زوجها، فإنها تبين منه بغير طلاق، والزوجة الملاعنة تبين من الملاعن بغير طلاق، وكذلك الزوجة المرتدة، والزوجة الصغيرة التي أرضعتها أم الزوج تبين من زوجها لأنها أصبحت بهذا الرضاع أختاً له، والزوجة الصغيرة التي أرضعتها زوجته الكبيرة، تبين من زوجها دون طلاق، وزوجة المجنون إذا فسخت عقد زواجها منه تبين بغير طلاق، والزوجة التي ملكت زوجها المملوك بأحد أسباب الملك. وهناك حالات من الزواج الدائم لا توارث فيه مثل: الأمة إذا كانت زوجة، الزوجة القاتلة، الزوج القاتل، الزوجة الذميَّة، الزوجة المعقود عليها في المرض الذي مات فيه زوجها ولم يدخل بها. هذا ما ردَّ به الشيعة على السنة من خلال الآيتين السالفتين. ثم قال السنة: إن آية المتعة منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون/ ٥ ـ ٧]، على اعتبار أن المتمتع بها ليست بمملوكة وليست بزوجة، لأنه لا عدة لها ولا طلاق ولا نفقة ولا إرث، فتدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾. ويقول الشيعة والملاحظ على هذا:

أولاً: إن آية المتعة: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ هي من آيات سورة النساء، وهي آخر ما نزل من القرآن الكريم، وآية: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ مكية، لأن هذه الآية هي من آيات سورة «المؤمنون» ومن آيات سورة «المعارج»، وكلتاهما مكيتان، ولا يصح نسخ المدني المتأخر زماناً بالمكي المتقدم زماناً، كما قرره أهل الأصول. وعلى هذا فيمكن للإمامية أن يعكسوا الأمر، وأن يقولوا إن آية المتعة ناسخة لآية: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾، لو كانت دلالة هذه الآية الأخيرة تامة.

ثانياً: إن المتمتع بها زوجة داخلة في عموم ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ ويلحقها جميع الآثار المترتبة على الزواج الدائم، إلا ما أخرجه الدليل بالخصوص، على ما أشير إليه من قبل.

ومن هنا يتضح أن عمدة القائلين بتحريم المتعة

هي كلمة عمر بن الخطاب الشهيرة: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ فأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء»، وأن كل ما سبق تقديمه من أدلة على تحريم المتعة أو نسخها، إنما كان محاولات لتعليل أمر واقع صادر عن الخليفة عمر بن الخطاب، والتماس المبررات لها.

وأقول: إن المتعة من المسائل الفرعية، التي اختلفت فيها وجهات النظر والاجتهاد، ولم تكن لتستأهل كل تلك الضجة.

عبد المجيد الحر

المراجع: ٤، ٤٠، ٣٠١، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٦٨، ٣٧٢، ٤٦٧.

* * *

متى

عشّار وجامع الضرائب في كفر ناحوم. دعاه المسيح ليكون رسوله (٩:٩). قال له: اتبعني. فترك طاولة الجباية وتبعه، بعد أن أولم له وليمة. رافق المسيح كما رافقه سائر الرسل، وانتظر معهم موهبة الروح القدس يوم العنصرة. هو صاحب الإنجيل الأول، الإنجيل بحسب متى، دوّنه من أجل جماعات تقيم في جنوبي سورية والبقاع وشمالي فلسطين، جماعات كانت في الأصل يهودية وصارت مسيحية، فأراد أن يبين لها أن المسيح هو موسى الجديد. جاء يكمِّل ما بدأه العهد القديم. فالكتاب المقدس يدل على إرادة الله، وحين تمَّمه المسيح في حياته، دلَّ على أنه تمَّم مشيئة الله. يبدو أنه كانت نسخة أولى دوِّنت بالآرامية، ولكنها ضاعت، ونحن نمتلك الآن فقط النسخة اليونانية التي تبرز دور الكنيسة ورئيسها بطرس. لهذا سمّي إنجيل متّى الإنجيل الكنسي.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

مجد

الكلمة، بالتعبير العبري القديم، تشير إلى الوزن. فمجد الكائن هو في وزنه الحقيقي، لذا، فإن وزن الإنسان الوحيد هو طاعته لله، كما ورد مرات عديدة في العهد القديم. أما مجد الله فهو، إلى حد كبير، الله نفسه في إظهار نفسه بقدرته أو أعماله في الخليقة وتاريخ الخلاص، وفي إظهار قداسته عبر تجلياته للأنبياء.

في العهد الجديد يسطع مجد الله خاصة في المسيح الذي هو «شعاع مجده» (عب ١ :٣)، كما يتلألأ في المسيحيين الحقيقيين الذين يراهم الناس «فيمجدوا الله» (متى ٥ : ١٦). وقد نادى الكثير من آباء الكنيسة بأن مجد الله هو الإنسان الحي الذي يكون شرفه بأن يظهر الله للآخرين.

وترد عبارة «المجد»، أو «المجد لله» كثيراً في العبادات المسيحية للدلالة على أن تعظيم الله هو تجسيد لنوعية العلاقة التي يجب أن تكون بين المؤمن الذي يتمجد من الله بقدر ما يمجد هو الله.

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩، ٥٠٦.

* * *

المجوس = (انظر: زرادشتية).

* * *

محاكم التفتيش

هي محاكم أسستها الكنيسة في غير بلد من أوروبا بدءاً من أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وكانت مهمتها منع تداول الكتب التي تبحث في مسائل فلسفية ميتافيزيقية أو غير ذلك لكنها تخالف ما كانت تأخذ به الكنيسة، أو أن رجال الدين كانوا يرون فيها خطراً على الكنيسة.

ومن هذا القبيل حصل أن اجتمع مجلس كنسي

في باريس عام ١٢١٠م وأدان أملريك وداود وحرَّم قراءة كتب أرسطو «فيما بعد الطبيعة»، كما حرَّم قراءة شروحها التي وضعها ابن رشد. وتنقل بعض المصادر أن أملريك البيني الذي أُدين من محاكم التفتيش بعد موته قد نبش قبره وأخرجت عظامه وتمَّ حرقها في ميدان بباريس لإرهاب أتباعه.

وحدث مع رجل آخر انضم إلى تيار فلسفة ابن رشد هو الإيطالي سيجر البرابني أن أدانته محكمة التفتيش في شهر تشرين الأول (أكتوبر) في العام ١٢٧٧م وقضى سني عمره الأخيرة في إيطاليا سجيناً.

وأقيمت محاكم للتفتيش في أسبانيا على يد فرديناند وزوجته إيزابيلا في العام ١٤٧٨م، وكانت أقسى في أحكامها وقمعها للفكر من محاكم البلدان الأخرى. ومع البابا بولس الثالث عام ١٥٤٢م تحولت محاكم التفتيش إلى إدارات حكومية تدعى: مجمع محاكم التفتيش أو «المكتب المقدس». ومن الحوادث الطريفة في عمل محاكم التفتيش أن العالم الفلكي غاليليو قد أدين في العام ١٦١٦م ولكنه لم يمتثل، ولم يتراجع عن آرائه، فتمَّ اقتياده إلى المحكمة ثانية في العام ١٦٣٣م وكانت محاكمته هذه المرة علنية، وأمام الضغط وعد بالتراجع عن مواقفه وما يتعلق منها بحركة الأرض خصوصاً. وعندما اقتاده الحراس من قاعة المحكمة وقف وتمتم بصوت مسموع قائلاً: «ومع ذلك فإن الأرض تدور»؛ أي الإقرار بعدم دورانها بالإكراه أمام محكمة التفتيش لا يغيِّر من الحقيقة شيئاً.

وأضافت الكنيسة في أوروبا في تلك الآونة إلى محاكم التفتيش أمراً آخر لا يبعد عنها في مغزاه، إنه موضوع بيع صكوك الغفران من قبل رجال الكنيسة للمواطنين التائبين ليكون الخلاص الأخروي.

إن محاكم التفتيش مع صكوك الغفران كانت إجراءات يظهر منها عامل سيطرة الكنيسة على الشأن الديني والفكري والسياسي في تلك الحقبة، وربما كان ذلك من العوامل التي أسهمت في بروز حركات تناوىء الكنيسة الكاثوليكية، كالبروتستانتية أو سواها من المدارس الفلسفية ومدارس علم الفلك.. الخ.

أسعد السحمراني

المراجع: ٢٣٢، ٤١٤، ٥٤٦.

* * *

محبة

تعبير في العهد الجديد للدلالة، قبل كل شيء، على محبة الله للبشر، وأيضاً على محبة البشر بعضهم للبعض الآخر، ولله.

فالعلاقة بين الله والبشر هي علاقة محبة على مستوى فعل الخلق وفعل الخلاص. فالله خلق الإنسان بفعل محبة، إذ أراد أن يشركه في محبته اللامتناهية، ولما ابتعد الإنسان عن الله، أتم الله فعل الخلاص، فأظهر للإنسان مزيداً من المحبة.

والمحبة كما جسَّدها يسوع المسيح في حياته هي العطاء الكامل للذات، إذ أنه «ما من حب أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائه».

والمحبة ليست فقط فعل، بل هي جوهر، إنها الله بالذات. الله محبة بذاته، وليس فيه غير المحبة. وعلى مثال المسيح يسوع فإن الإنسان المحب يتطلع إلى الآخر لذاته لا لقيمته النفعية، يتقبل الآخر في فرديته المطلقة المغايرة لفرديته، يحترمه، ويعمل من أجل خيره وسعادته، دون انتظار مكافأة منه.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *

المحتسب

المحتسب هو الذي يتولى الحسبة، والحسبة، لغة: الحساب. وفلان حسن الحسبة في الأمر:

يُحسن تدبيره. ومنه حسبك بمعنى أُكفف، أي كفُّ الأذى عن الناس.

والحِسبة شرعاً واصطلاحاً، هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس. وهي تعد نوعاً من أنواع القضاء في الإسلام، إلا أنه لا حاجة لمجلس قضاء حتى ينظر المحتسب في الدعوى، بل يحكم في المخالفة بمجرد التحقق من وقوعها، ويفصل في المخالفات والمنازعات مباشرة في الأمور المستعجلة. وله أن يحكم في أي مكان أو زمان: في السوق، وفي البيت، وعلى ظهر الدابة، وفي السيارة، في الليل أو في النهار، لأن الدليل الذي ثبت فيه شرط مجلس القضاء للنظر في القضية لا ينطبق على المحتسب، لأنه لا يوجد مدَّعٍ ومُدَّعى عليه، بل يوجد حقٌّ عام اعتدي عليه أو مخالفة للشرع.

وهكذا فهي نظام من الأنظمة الإدارية تقوم به الدولة الإسلامية عن طريق موظفين مختصين، وذلك تحقيقاً للعدل ومحافظة على الآداب العامة، وفقاً لأحكام الشرع الإسلامي، على أن لا تكون تلك القضايا داخلة في نطاق الحدود والجنايات.

ويقوم المحتسب بهذه الوظيفة فرضاً متعيَّناً عليه، لا نافلة يتطوع بها متى شاء، فليس له أن يتشاغل عن هذا الواجب بغيره، خاصةً أنه مأجور على عمله براتب يتقاضاه من بيت مال المسلمين.

ويشترط فيمن يُولَّى قضاء الحسبة أن يكون مسلماً، حرّاً، بالغاً، عدلاً، فقيهاً بالوجوه المختلفة للأحكام والآراء المتباينة فيها، وأن يكون ذا صرامةٍ في الدين، بعيداً عن المحاباة والهوى.

وللمحتسب الحق في أن يختار نواباً عنه، على أن تتوافر فيهم شروط المحتسب، ويقوم بتوزيعهم في الجهات المختلفة، حيث تقضي الحاجة إليهم؛ وتكون لهم صلاحية القيام بوظيفة الحسبة في المنطقة أو المحلَّة التي حُددت لهم في القضايا التي فوضوا فيها، إلا أن هذا الحق يُعطى للمحتسب حينما يكون تعيينه قد تم من قِبل خليفة المسلمين نفسه، أما إذا كان تعيينه من قِبل قاضي القضاة، فإنه يشترط أن يكون تقليد قاضي القضاة له قد اشتمل على أن له أن يجعل لمن يقلده من القضاة حق تعيين من ينوب عنه، أي قد نص على ذلك في أمر تعيينه.

مهام المحتسب ووظائفه:

١ ـ مراقبة الأسواق والحِرف، فهو يراقب كل صاحب حرفة، طبيباً، معلِّماً، أو بائع المأكولات، حتى الصناع والتجار، شريطة أن يكون على دراية فيما يراقبهم فيه. ويأمر أهل الأسواق بكنسها والمحافظة على نظافتها، وغير ذلك من المخالفات.

٢ ـ مراقبة الأسعار والموازين والمكاييل، والنقود لحفظها من النقص والزيف، ويمنع احتكار السِّلع. وقد تصل عقوبة المخالفة إلى: الضرب، والتعزير (التشهير)، وحتى النفي من البلدة التي يقيم فيها.

٣ ـ مراقبة الأخلاق العامة، فكان المحتسبون يريقون الخمور، ويمنعون من تطيير الحمام، كما يمنعون تعرض الرجال للنساء... الخ.

٤ ـ مراقبة الأبنية والطرق. فللمحتسب أن يمنع البناء في الطريق السابل، وله حق هدم كل بناء مخالف، فالطريق ملك لعامة الناس. ويمنع الناس من فتح النوافذ بهيئة يشرفون منها على منازل غيرهم، ويدعو أصحاب الدور المتداعية إلى هدمها ورفع أنقاضها.

٥ ـ مراقبة دور العبادة، من حيث العناية بنظافة المساجد، والنهي عن وضع الأمتعة فيها، وما إلى ذلك مما لا يليق وجوده فيها.

٦ ـ القضاء في بعض الدعاوى المستعجلة، كالبخس في الكيل والوزن، ودعوى الغش في بيع أو شراء، ودعوى المماطلة في سداد الدين، وأمثالها.

٧ ـ أعمال أخرى: وللمحتسب الكثير من

الأعمال، منها: مراقبة النقود، ومراقبة توزيع مياه الينابيع والأنهار على الأراضي، وكل ما له علاقة بالمحافظة على البيئة، من دخان المعامل والسيّارات، وأشباهها.

أما لجهة نشأة نظام الحسبة في الإسلام فيرى بعض الباحثين أنها جاءت منذ نهى رسول الله ﷺ عن الغش، حين قال: (مَن غشَّ فليس منَّا). وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوّل مَن مارسها بنفسه، فقد ذُكر أنه رأى جمَّالاً يقسو على جمله، فقال له: «حمَّلت جملكَ ما لا يُطيق». وبذلك يمكن القول: إنَّ تاريخ الحسبة في الإسلام يرجع إلى عهد الفاروق عمر رضي الله عنه حين رآه الناس يطوف في الأسواق ودرَّته معه، فمتى رأى غشّاشاً خفقه بالدرَّة.

وقد استمر نظام الحسبة في العهود الإسلامية المتلاحقة، إلا أنه اتخذ طابعاً رسمياً منذ أوائل العصر العباسي، وتحديداً منذ عهد المهدي، ثم تطور عبر التاريخ الإسلامي حتى أفرد له المماليك مجلساً بدار العدل مع القضاة في القاهرة.

نايف معروف

المراجع: ١٤، ١٥، ٤١، ٢٦٠، ٤٤١، ٥٢٠، ٥٦٠.

* * *

محمد بن عبد الوهاب
(١١١٥ - ١٢٠٦هـ/ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م)

الإمام العالم المجدِّد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهبي التميمي. ولد، رحمه الله، في العُيَيْنة بنجد سنة ١١١٥هـ، وكان والده قاضياً على العيينة. نشأ وتربّى على العلم منذ نعومة أظفاره، وأخذ عن والده، ثم رحل وسافر إلى بلاد شتى طلباً للعلم، ثم عاد إلى بلدته العُيَيْنة فبث فيها العلم ودعا الناس إلى التوحيد ونبذ البدع، وإلى التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وفي سنة ١٧٤٤م قصد الدرعية، وقبل أميرها محمد بن سعود دعوته وآزره وأعانه بكل ما يملك، ولم يمضِ زمن طويل حتى انتشرت دعوته وعمت في بلاد الحجاز واليمن، كما تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق وسوريا وتونس وغيرها. وعرف من والاه في قلب الجزيرة العربية بأهل التوحيد «إخوان من أطاع الله». وتوفي رحمه الله في الدرعية سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م. وقد ترك مؤلفات كثيرة من أهمها كتاب «التوحيد»، وقد شرحه العلامة عبد الرحمن بن حسن وسماه «فتح المجيد»، وكتاب «كشف الشبهات» و «مختصر زاد المعاد»، و «عقيدة الفرقة الناجية» و «أوثق عرى الإيمان» و «مسائل الجاهلية» وغير ذلك من المؤلفات والمصنفات.

وقد اهتم الوهابيون بإزالة البدع وبالرجوع بالدين الإسلامي إلى أهله، وأعلنوا أنهم في أصول الدين سالكون منهج ابن تيمية وابن قيم الجوزية والحافظ الذهبي وابن كثير وابن رجب، الذين سار على أثرهم محمد بن عبد الوهاب. وفي رسالة للشيخ عبد الله، ابن الإمام محمد بن عبد الوهاب، يذكر فيها أن كل ما أشيع حول الحركة الوهابية هو محض افتراء، كالقول بتفسير القرآن برأيهم، وعدم الأخذ بالحديث إلا ما يوافق أفهامهم، وعدم وضع الرسول ﷺ في مكانته اللائقة، واستبعادهم لآراء علماء المسلمين وإتلافهم لمؤلفات أهل المذاهب.

ويعلق على ذلك بقوله: إن كل ما رُميت به الحركة ليس صحيحاً، لأن الوهابيين يعتقدون أن النبي ﷺ أعلى رتب المخلوقين على الإطلاق، وأنهم لا ينكرون كرامات الأولياء ما دامت متمشية مع الطريقة الشرعية، وأن هدم بعض القبور ومنها بيت السيدة خديجة وبعض الزوايا كان بقصد صرف الناس عن الإشراك بالله.

وكتاب التوحيد مليء بالآيات والأحاديث التي تؤكد فكرة الألوهية وضرورة هيمنتها على كل تفكير. وفي باب حماية المصطفى لجانب التوحيد يؤكد على سد كل طريق يوصل إلى الشرك، ومن ذلك أنه ينهي عن الغلوّ في قبور الصالحين حتى لا

تصبح أوثاناً تعبد من دون الله، مؤيداً ذلك بالأسانيد من الكتاب والسنة.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٦٣.

***

المذاهب الأربعة

أدى اختلاف القواعد الفقهية، وأساليب العرب في اللغة، ووسع التشريع الإسلامي، إلى ظهور عدد من المدارس الفقهية، التي تتفق على أصول الدين ومصادره، وتختلف في فروع العبادات والمعاملات بالاعتماد على قواعد الاجتهاد العلمية، وهي أحد أبرز ظواهر تطور الفقه الإسلامي ومرونته وإقراره بالعقل البشري وقدراته.

واشتهر من هذه المدارس المذاهب الأربعة المنتشرة اليوم، وقد قبلها المسلمون بالقبول الحسن، وهي:

الحنفي، نسبة للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، ت ١٥٠هـ.

ويقوم المذهب الحنفي على سبعة أصول، هي: الكتاب، والسنة، وفتاوى الصحابة، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والعرف.

وعرف الفقه الحنفي بمدرسة (الرأي) لاعتماده الكبير على القواعد العقلية في فهم النصوص، مقابل مدرسة (الحديث) التي تقدم النص على القواعد العقلية.

وأشهر الحنفية الذين دونوا المذهب، واجتهدوا فيه، ونشروه بين الناس: الإمام أبو يوسف؛ يعقوب ابن إبراهيم الأنصاري، والإمام زفر بن الهذيل، والإمام محمد بن الحسن الشيباني.

والمالكي: نسبة لإمام دار الهجرة الإمام مالك ابن أنس، ت ١٧٩هـ.

ويقوم مذهبه على اثني عشر أصلاً، هي: القرآن، والسنة، والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، وقول الصحابي، والمصلحة المرسلة، والعرف، والعادات، وسد الذرائع، والاستصحاب، والاستحسان.

ويمكننا القول بأن المذهب المالكي يمثل مدرسة (المقاصد) التي تنظر إلى مقاصد النصوص الشرعية لا إلى حرفيتها فقط.

وأشهر المالكية: عبد الله بن وهب، وعبد الرحمن بن القاسم، وأسد بن الفرات، وعبد الله بن الماجشون، وسحنون.

الشافعي: نسبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي، ت ٢٠٤هـ.

وقد نصَّ في كتابه (الأم) على أصول مذهبه فقال: «العلم طبقات شتى، الأولى: الكتاب والسنة، ثم الثانية: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، والثالثة: أن يقول بعض أصحاب النبي ﷺ قولاً ولا نعلم له مخالفاً منهم، والرابعة: اختلاف أصحاب النبي ﷺ في ذلك، والخامسة: القياس على بعض الطبقات. ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان، وإنما يؤخذ العلم من أعلى.

ومدرسة الشافعي هي مدرسة الأثر، لأنهم لا يقدمون أي شيء على الكتاب والسنة.

وأشهر الشافعية: أبو بكر الحميدي، وإبراهيم بن محمد بن العباس، وموسى بن الجارود، والحسن الصباح الزعفراني، والنووي.

والحنبلي: نسبة للإمام أحمد بن حنبل، ت ٢٣١هـ.

بنى الإمام أحمد فتاويه على خمسة أصول، هي: النصوص، وهو يقدم آيات الكتاب وأحاديث النبي ﷺ ولم يلتفت إلى ما يخالفها. والأصل الثاني: ما أفتى به الصحابة ولا يعلم مخالف فيه. والأصل الثالث: أنه إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة. والأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه وهو الذي رجحه على القياس. والأصل الخامس: القياس إذا لم يوجد نص على

الترتيب المذكور أعلاه، والقياس عنده للضرورة.

والمذهب الحنبلي نموذج صادق على مدرسة الحديث التي لا تقدم على الكتاب والسنة شيئاً.

وأشهر الحنابلة: إبراهيم الحربي، وإبراهيم بن هانيء، وأبو بكر المروزي، وأبو بكر الأثرم، وأبو داود السجستاني، وأبو بكر الخلال، وابن رجب الحنبلي، وشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني.

صلاح الدين أرقه دان

المراجع: ٦٤، ٤٧٤.

* * *

مذبح

في الكتاب المقدس هو مائدة ترابية أو حجرية تنصب تذكاراً لظهور ما لله (تك ١٢:٧) وتقرب عليها الذبائح (خر ٢٠:٢٤ ـ ٢٥). في العهد الجديد هو يسوع المسيح نفسه الذي هو مذبح الهيكل الجديد (متى ١٩:٢٣) بإزاء البناء الخشبي الذي كانت تقرب عليه المحرقات في هيكل أورشليم. بهذا المعنى، صار المذبح هو الذي يقدِّس الذبيحة (متى ١٩:٢٣).

أما في العبادة المسيحية في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية فالمذبح هو المائدة الحجرية التي تقام عليها ذبيحة القداس، أو «الذبيحة غير الدموية» التي هي تقدمة الخبز والخمر لكي تتحول، بالصلاة أو استدعاء الروح القدس عليها، إلى جسد ودم المسيح لكي يتناول منها المؤمنون. وتعتبر هذه «الذبيحة» إنفاذاً لوصية المسيح في الأناجيل لتلاميذه، ومن بعدهم إلى الأساقفة والكهنة، لكي يعيدوا فعل ما فعله هو أثناء العشاء الأخير حين أعطى تلاميذه الخبز والخمر قائلاً عنهما أنهما «جسده» و «دمه»، طالباً إليهم أن يصنعوا هذه «لذكره» (لو ٢٢ : ١٩).

بولس وهبة

المراجع: ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٢٦، ٤٩٩.

* * *

المرابطون (الملثمون)
(٤٤٨ ـ ٥٤١هـ/ ١٠٥٦ ـ ١١٤٧م)

يحيى بن إبراهيم الجدالي (أو الكندالي)

يحيى بن عمر (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)

أبو بكر بن عمر (ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٨م)

٤٥٣ـ٥٠٠هـ	يوسف بن تاشفين	١٠٦١ـ١١٠٧م
٥٠٠ـ٥٣٧هـ	علي	١١٠٧ـ١١٤٣م
٥٣٧ـ٥٤٠هـ	تاشفين	١١٤٣ـ١١٤٥م
٥٤٠هـ	إبراهيم	١١٤٥م
٥٤١هـ	إسحاق	١١٤٦م

المرابطون هم عدة قبائل تنسب إلى حمير، وقد دخلت هذه القبائل المغرب مع القائد العربي موسى بن نصير، وتوجهوا مع طارق بن زياد إلى طنجة، ثم دخلوا الصحراء بالمغرب الأقصى واستوطنوها، وتلقبوا بالملثمين. وقد خرج زعيمهم يحيى بن إبراهيم بلحج في رؤساء من قومه سنة ٤٤٠هـ، فلقوا في منصرفهم بالقيروان شيخ المذهب المالكي أبا عمران الفاسي فطلبوا إليه أن يرسل معهم فقيهاً يعلمهم ويرشدهم، فاختار لهم عبد الله بن ياسين الجزولي الذي رحل معهم يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين. ثم مات يحيى بن إبراهيم وافترق أمر الملثمين وتركوا الأخذ عن عبد الله بن ياسين لما تجشموا فيه من مشاق التكاليف فأعرض عنهم وترهب، وتنسَّك معه يحيى بن عمر اللمتوني وبعض المريدين، وانتبذوا الناس في ربوة أسموها «رباطاً»، أي قاعدة، يرابطون فيها للجهاد ضد الكفار، أو يفرغون فيها للعبادة والتأملات الروحية والتعليم. وترك عبد الله بن ياسين قيادة المرابطين العسكرية ليحيى بن عمر زعيم لمتونة، فلما توفي هذا الأخير خلفه أخوه أبو بكر وابن عمه يوسف بن تاشفين، وبدأ بهما ملك المرابطين.

بعد وفاة عبد الله بن ياسين سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م بدأ الخلاف يدب بين أبي بكر بن عمر

ويوسف بن تاشفين، وحُسم الخلاف بأن اتجه أبو بكر نحو الجنوب فنشر الإسلام هناك، وواصل يوسف سيره شمالاً، وكان النصر في ركابه، فاستطاع أن يستولي على فاس سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م وعلى طنجة سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م، واستمر في توسعه في الشمال والجنوب حتى توفي أبو بكر سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م فأصبح يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين بدون منازع، وامتد ملكه فشمل جزءاً من الجزائر في الشرق، واتجه شمالاً حتى بلاد السنغال.

وبنى يوسف مدينة مراكش واتخذها عاصمة له سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م، واعترف المرابطون بالخلفاء العباسيين زعماء روحيين للمسلمين، واتبعوا المذهب المالكي المسيطر في الشمال الإفريقي.

ولما أصبح المرابطون القوة الوحيدة القادرة على إنقاذ الإمارات الأندلسية الصغيرة المتصارعة، عبر يوسف بن تاشفين من إفريقية سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م وأحرز نصراً كبيراً على ألفونسو السادس حاكم ليون وقشتالة في معركة الزلاقة بالقرب من بطليوس. وخلال بضع سنوات استطاع ابن تاشفين إخضاع جميع دول الطوائف تقريباً لحكمه، ولم يسمح إلا لبني هود أن يظلوا في سرقسطة. واتخذ سلطان المرابطين لقب أمير المسلمين.

وخلال السنوات الأولى من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أصبح موقف المرابطين في المغرب مهدداً نتيجة قيام قوة جديدة هي قوة الموحدين الذين استطاعوا، بعد أقل من قرن من ظهور المرابطين، أن يستولوا على شمال إفريقية كلها. وفي سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٧م قتل إسحاق بن علي آخر حكام المرابطين في موقعة مراكش. ومع أن يحيى بن غانية آخر ولاة المرابطين في الأندلس أعلن عصيانه للموحدين وجاهدهم، إلا أن وفاته سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م أنهت المقاومة وانتهى معها سلطان المرابطين كله.

محمد الإسكندراني

المراجع: ١١٧، ١٥٢، ٣٥٥.

* * *

المرجئة

فرقة ظهرت بعد الصراع الذي حصل على الخلافة في خلافة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وما تبع ذلك في موضوع التحكيم، وما صدر من مواقف ناقشت موضوع الاقتتال والفتنة.

وإذا كانت بعض الفرق قد والت هذا الفريق أو ذاك، وأخرى كالخوارج قد حكمت بكفر الفريقين، فإن المرجئة تسموا بهذا الاسم لأن موقفهم كان إرجاء أمر الحكم على المتصارعين لله تعالى.

والمرجئة اتخذوا موقفاً إيجابياً من الجميع، وقالوا: إن أهل القبلة كلهم مؤمنون لمجرد إقرارهم الظاهر بالإيمان، ورجوا لهم المغفرة.

فالإرجاء إذن، تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يُقضى عليه بحكم ما في الدنيا، من كونه من أهل الجنة أو أهل النار. وعند المرجئة أن الله تعالى قد خلق جميع أفعال العباد في الفاعلين لها.

وقالت المرجئة في تسمية المذنب هو مؤمن كامل الإيمان، وإن لم يعمل خيراً قط، ولا كف عن شرٍّ قط. والمرجئة في موضوع الجبر والاختيار على مذاهب ثلاثة:

- صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان، وبالقَدَر على مذهب القدرية، وهم معدودون في القدرية والمرجئة، كأبي شِمْر المرجىء، ومحمد ابن شبيب البصري، والخالدي.
- وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان، ومالوا إلى قول جَهْم في الأعمال والأكساب، أي قالوا بالجبر والتسيير، فهم من جملة الجهمية والمرجئة.

ـ وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قَدَر، وهم خمس فرق: يونسية، وغسانية، وثوبانية، وتومنية، ومريسية.

وقالت المرجئة بوجوب الإمامة، وأن الأمة عليها فرض واجب هو الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ.

والإمامة عند أغلب المرجئة هي في قريش كما هو موقف أغلب المسلمين في زمانهم لحديث رسول الله ﷺ: (الأئمة في قريش..).

والمرجئة الذين يقولون: إن الإيمان ينعقد بالقلب، ويكون الإنسان بعدها مؤمناً حتى لو خالف باللسان أو العمل، لهم أتباع حتى يومنا هذا.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٠.

* * *

مرقس

واحد من الإنجيليين الأربعة. يعرفه العهد الجديد باسم مرقس، يوحنا مرقس، يوحنا، ويقابله عدد من العلماء مع الشاب الذي كان في الجسمانية، موضع نزاع يسوع، وفرَّ بعد أن ترك رداءه (١٤: ٥١ ـ ٥٢). اسم أمه مريم، وكان لها بيت في أورشليم، إليه سيعود بطرس بعد خروجه من السجن. وكان مرقس رفيق برنابا نسيبه، وقد رافقه خلال الرحلة الرسولية الأولى التي قادتهما مع بولس إلى قبرص، ولكنه ترك الفريق الرسولي في تركيا، لهذا رفض بولس أن يرافقه مرقس في الرحلة الرسولية الثانية التي أوصلت الإنجيل إلى أوروبا. سوف نجد مرقس في رومة برفقة بولس السجين كما يذكره بطرس في رسالته الأولى. مرقس هو صاحب الإنجيل الثاني، الإنجيل بحسب مرقس. دوَّن إنجيله في رومة من أجل الوثنيين بشكل خاص وبيَّن لهم أن يسوع هو المسيح الذي انتظره اليهود.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

مريم

اسم علم مؤنث يرد في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة، وهو من أصل غير عربي، يعود به بعضهم إلى العبرية ومعناه: المتمنِّعة، العاصية. ويعود به بعضهم الآخر إلى السريانية ومعناه: السيِّدة، كما يعني المرتفعة؛ السامية، وهو عند أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري بمعنى: العابدة.

وفي التاريخ الديني مريمات عدَّة، منهن:

١ ـ **مريم، أخت اليعازر ومرتا**: وهي امرأة تقية من «بيت عنيا» اليهودية، كانت وأخواها اليعازر ومرتا، قد آمنوا بالمسيح وبكلمته، وقد شهد لها المسيح أنها اختارت الطريق الصالح، بردِّه على أختها مرتا لأنها تذمرت عندما أبصرت أختها مريم مصغية للمسيح تاركة مسؤوليات البيت عليها وحدها. فقال المسيح لها: «مرتا، مرتا، إنك مهتمة بأمور كثيرة، وإنما الحاجة إلى واحد، فاختارت مريم النصيب الأصلح...» وقد استجاب المسيح لتوسُّلاتها فصلَّى لله، فوهبه القدرة على إحياء الموتى، فأقام اليعازر أخاها من القبر وردَّه إلى الحياة.

٢ ـ **مريم امرأة كلوبا**: وتعرف بمريم الأخرى، وبمريم أم يعقوب ويوسى، وبمريم امرأة حلفى، أو امرأة كلوبا، وتظهر في الإنجيل، غالباً إلى جانب مريم العذراء والدة السيد المسيح في العديد من المواقف، لذا ينعتونها بالأخرى، أو يكنُّونها بأم يعقوب للتفريق بينهما. وقد انتهى المطران ألكسندروس جحا إلى أنها زوجة أخي يوسف، رجل مريم العذراء. وكانت مريم هذه

بين النسوة اللاتي ذهبن إلى قبر المسيح، كما كانت في جملة اللاتي بلَّغن الرسل خبر القيامة.

٣ - مريم المجدلية: هي امرأة كانت قد ابتليت بسبعة شياطين تعذبها، وتجنح بها عن طريق الخير والاستقامة. وقد نالت المغفرة والشفاء بعد أن تبيَّن المسيح توبتها توبة نصوحاً، فتبعت المسيح وآمنت برسالته، وظلت ثابتة الإيمان حتى النهاية، وكانت في جملة اللواتي ذهبن إلى القبر مع مريم أم يعقوب، وقد شرَّفها المسيح بحديثه معها بعد قيامته.

٤ - مريم أخت موسى وهارون: هي مريم ابنة عمران وأخت موسى وهارون، ومن المرجح أنها كانت تكبر أخاها موسى عشر سنوات تقريباً، بدليل أنها وقفت تراقب سفط البرديِّ الذي فيه موسى عندما ألقت به أمه على شاطىء النهر هرباً من ظلم فرعون، وإذ رأت ابنة فرعون تأخذ الصبي قالت: «هل آتي لك بمرضعة؟» ثم ذهبت وأحضرت أم الصبي فأرضعته، وقد ابتلاها ربُّها بالبرص عندما أيدت هارون أخاها في التذمر على موسى، لأنه تزوج المرأة الحبشية، ولكن الله يعود فيمنُّ عليها بالشفاء مستجيباً لتوسلات موسى كليمه. يدركها أجلها وبنو إسرائيل في مدينة «قادش» وتدفن هناك.

٥ - مريم العذراء: هي السيدة التي شرَّفها الله وفضلها على نساء العالمين عندما طهَّرها واصطفاها [آل عمران/ ٤٢] لتحمل بروح منه [الأنبياء/ ٩١] وتلد المسيح روح الله وكلمته، وهي التي ضرب بها الله سبحانه الأمثال بالتقوى والطاعة [التحريم/ ١٢].

أ - نسبها: ركَّز الإنجيليون الأربعة الثقات، وبولس الرسول في رسالته إلى تيموثاوس، على أن المسيح من نسل داود. وأوردوا للمسيح سلسلة نسب ترقى به إلى داود فإبراهيم، معتمدين في ذلك على تحدُّر يوسف، خطيب مريم، من نسل داود فإبراهيم.

غير أن للمفسرين وجهة نظر أخرى في تتبع نسب المسيح وصولاً إلى داود النبي، وذلك عن طريق أمه مريم، وليس عن طريق خطيبها يوسف، الذي وجدت حبلى من الروح القدس قبل أن يتزوجها. وهذا ما نجده عند الزمخشري، عندما جاء لتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٣٣، ٣٤]، الذي ينتهي إلى أن عيسى المسيح هو ابن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود.

وهنا لا بد من التفريق بين عمران والد موسى وهارون، وعمران والد مريم العذراء، لئلا نقع في اللبس؛ فبين العمرانَيْن، كما يرى الزمخشري، ألف وثمانمئة سنة.

ب - سيرتها: تطل علينا العذراء مريم في الأناجيل الأربعة، فتاة مكتملة مخطوبة إلى رجل هو يوسف النجار، ولا نجد في العهد الجديد (الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، والرسائل، ورؤيا يوحنا) شيئاً عن ولادة العذراء، كما لا نجد شيئاً عن طفولتها وصباها. كذلك نرى، في القليل الذي جاء في الإنجيل عنها، تفاوتاً من حيث الإحاطة بشخصية مريم، وإبراز دورها في حضانة المسيح، ومن ثم في حمل رسالته. فالإنجيلي مرقس يوجز في الكلام عنها وعن دورها إيجازاً يكاد يحسب تعتيماً، فلا يأتي على ذكر العذراء مريم إلا مرَّتين (مر ٣ : ٣٢) و (مر ٦ : ٣). وتجدر الإشارة هنا إلى أن مريم التي يرد ذكرها عنده في مكانين آخرين (مر ١٥ : ٤٠ و ٤٧ و ١٦ : ٢) ليست مريم العذراء إنما هي مريم الأخرى؛ أم يعقوب وزوجة كلوبا أخي يوسف خطيب مريم.

أما الإنجيلي لوقا، فإنه، مع ما يظهره من حماسة للعذراء ولدورها، لا يعطينا شيئاً عن ولادة العذراء أو عن طفولتها، إنما تطل علينا عنده وهي شابة مخطوبة، والأمر نفسه نجده عند كل من متى، ويوحنا، الإنجيليين.

وما نعرفه عن العذراء مريم، من أنها ابنة يواكيم وحنة، ومن أن والديها كانا قد بلغا من العمر مشارف الشيخوخة عندما منَّ الله عليهما بمريم، ومن أن ولادتها كانت في أورشليم/ القدس، على مقربة من «بركة الغنم» حيث أقيمت كنيسة في ذلك المكان تحمل اسم القديسة مريم، فإن هذه المعارف مأخوذة من الأدب المسيحي، ومما انتهى إليه الذين تتبعوا سيرة المسيح على الأرض وتعاليمه... وأفعاله.

بينما نجد سيرة العذراء مريم مفصَّلة تفصيلاً في القرآن الكريم الذي يبين لنا أن أمها التي حملت بها حملاً عجائبياً، بعد أن كانت قد طعنت في السن، كانت قد نذرت حملها للرب [آل عمران: ٣٥ ـ ٣٧]، ووفت به، وتكفَّلها زكريا، وهو من الأحبار، حتى جاءها ملاك الرب يبشرها كما كان قد بشر خالتها زوجة زكريا. ومن ثم يتابع القرآن الكريم سيرة مريم مركزاً على أن الله طهرها واصطفاها على نساء العالمين [آل عمران: ٤٢] ليخصها بهذا الدور العظيم [مريم: ١٦ ـ ٢١].

جـ ـ مريم أم المسيح: يجمع كل من الإنجيل، والقرآن، على أن حمل السيدة العذراء بالمسيح كان حملاً عجائبياً، فقد حملت به من الروح القدس، وأن بشارة من الرب قد سبقت ذلك، اضطربت لها مريم، ولكنها، لإيمانها العظيم بالله، ولأن الله قد هيَّأها لمثل هذا الدور المشرِّف، تعود وتستجيب لبشارة الملاك معلنة إذعانها لمشيئة الله وقبولها نعمته. (لو ١:٢٨ ـ ٣٥ و ٤٦ ـ ٥٠) و [آل عمران: ٤٢ و ٤٥ و ٤٧] و [مريم: ١٦ ـ ٢١].

أسعد السكاف

المراجع: ١٢٣، ١٤٧، ١٤٨، ٢٤٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٤١٠، ٤٢٦، ٤٢٨، ٤٦٤، ٤٨١، ٥٠٧، ٦٠٦، ٦٠٧.

* * *

المرينيون (بنو مرين)
(٥٩١ ـ ٩٥٧هـ/ ١١٩٥ ـ ١٥٥٠م)

٥٩١هـ	أبو محمد عبد الحق (الأول) بن أبي خالد محيو بن أبي بكر	١١٩٥م
٦١٤هـ	أبو سعيد عثمان (الأول) بن عبد الحق (أدرغال=الأعور)	١٢١٧م
٦٣٧هـ	محمد (الأول) ابن عبد الحق)	١٢٤٠م
٦٤٢هـ	أبو يحيى أبو بكر بن عبد الحق	١٢٤٤م
٦٥٦هـ	أبو يوسف يعقوب ابن عبد الحق	١٢٥٨م
٦٨٥هـ	أبو يعقوب يوسف بن يعقوب الناصر لدين الله	١٢٨٦م
٧٠٦هـ	أبو ثابت عامر بن أبي عامر	١٣٠٧م
٧٠٨هـ	أبو الربيع سليمان ابن أبي عامر	١٣٠٨م
٧١٠هـ	أبو سعيد عثمان (الثاني) ابن يعقوب	١٣١٠م
٧٣٢هـ	أبو الحسن علي (الأول) ابن عثمان	١٣٣١م
٧٤٩هـ	أبو عنان فارس المتوكل ابن عنان	١٣٤٨م
٧٥٩هـ	أبو زيان محمد بن فارس ابن أبي عنان، (ولي ثم عزل في الحال)	١٣٥٩م
٧٥٩هـ	محمد (الثاني) السعيد ابن أبي عنان	١٣٥٩م
٧٦٠هـ	أبو سالم إبراهيم بن علي (الثاني)	١٣٥٩م
٧٦٢هـ	أبو عامر تاشفين بن علي	١٣٦١م
٧٦٣هـ	عبد الحليم (بادئ الأمر في فاس ثم انفرد في سجلماسة) وهو ابن أبي علي عمر	١٣٦١م
٧٦٣هـ	أبو زيان محمد (الثالث) المنتصر بن أبي عبد الرحمن	١٣٦٢م
٧٦٨هـ	أبو فارس عبد العزيز (الأول) المستنصر بن علي	١٣٦٦م

٧٧٤هـ	أبو زيان محمد (الرابع) السعيد بن عبد العزيز	١٣٧٢م
٧٧٦هـ	أبو العباس أحمد (للمرة الأولى) المستنصر بن إبراهيم	١٣٧٤م
٧٨٦هـ	موسى بن أبي عنان المتوكل على الله أبو فارس	١٣٨٤م
٧٨٨هـ	أبو زيان محمد (الخامس) المنتصر بن أحمد (٤٣ يوماً)	١٣٨٦م
٧٨٨هـ	أبو زيان محمد (السادس) الواثق بالله بن أبي الفضل	١٣٨٦م
٧٨٩هـ	أبو العباس أحمد المستنصر (للمرة الثانية)	١٣٨٧م
٧٩٦هـ	أبو الفارس بن أحمد	١٣٩٣م
٧٩٩هـ	عبد العزيز (الثاني) بن أحمد	١٣٩٧م
٨٠٠هـ	عبد الله بن أحمد	١٣٩٨م
٨٠١هـ	أبو سعيد عثمان (الثالث) ابن أحمد	١٣٩٩م
٨٣١هـ	أبو محمد عبد الحق (الثاني) ابن أبي سعيد عثمان	١٤٢٨م

ثم تسلم الحكم بنو وطاس وكانوا نواباً لعبد الحق الثاني المريني (٨٣١هـ ـ ٩٥٦هـ/ ١٤٢٨م ـ ١٥٤٩م).

المرينيون فخذ من بطون زناتة كثير البأس، وهم قوم يعيشون في حياة قبلية بين فجيج وسجلماسة، ويميلون للصحاري والصيد والغارات. دعاهم المرابطون للاشتراك معهم في صد عدوان الفرنجة على المسلمين بالأندلس فلبوا الدعوة، وكانت لهم صولة في الهجمات الناجحة.

ولما بدأ الضعف يظهر على ملك الموحدين، بدأ بنو مرين يقومون بغزوات خاطفة على ما يجاورهم من بلدان الموحدين، وكانوا تحت قيادة زعيم اسمه أبو محمد عبد الحق بن أبي خالد محيو ابن أبي بكر المريني (ت ٥٩٢هـ/ ١١٩٦م) ولم يكن أكثر من شيخ القبيلة تماماً كابنه أبي سعيد عثمان المعروف بأدرغال (أي الأعور)، ولكنهما كانا مستقلين في الجبال، واستمر أمرهم في ازدياد وقوة حتى جاء أبو بكر بن عبد الحق الذي تولى زعامتهم سنة ٦٤٢هـ، وفتح مكناسة سنة ٦٤٦هـ، ثم بايعه أهل فاس فأصبحت فاس عاصمة الدولة الجديدة.

ثم جاء من بعده أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الذي استطاع الاستيلاء على مراكش عاصمة الموحدين سنة ٦٨٨هـ، وعلى سجلماسة سنة ٦٧٢هـ، وبهذا دانت بلاد المغرب لبني مرين. وقد لعب يعقوب بن عبد الحق دوراً كبيراً لمناصرة مسلمي الأندلس، وكسب عدة معارك عنيفة ضد الفرنجة، ولكنه كان يكتفي بهذا النصر وبالغنائم التي كان يحصل عليها، فلم يعمل لتوطيد قدمه في الأندلس.

وفي سنة ٦٩٦هـ، كان قد ظهر الضعف على دولة بني زيان بتلمسان فزحف عليها بنو مرين وضمُّوها لدولتهم.

وبعد أن احتل الأسبان جبل طارق سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م، في عهد السلطان أبي الربيع سليمان بن أبي عامر، ظهر المرينيون في إسبانيا بجيوشهم أيام السلطان أبي الحسن علي بن عثمان، ولكنهم هزموا أمام تحالف ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر مع ملك البرتغال ألفونسو الرابع اللذين لحقا بجندهما حتى ساحل ريو ملادو سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، فطرح المرينيون بعد هذه الواقعة شأن الأندلس، ولم يعودوا إليها، واكتفوا باستقبال اللاجئين إليهم منها واستيعابهم؛ واتجه جل اهتمامهم إلى الجبهة المغربية في شرقهم.

وفي أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي بدا بوضوح ضعف الدولة المرينية مما أدى إلى طمع القوى الإسبانية فيهم، فقد هاجم هنري الثالث ملك قشتالة مدينة تطوان سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م، واستولى البرتغاليون على سبتة سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م وعلى قصر مصمودة(قصر المجاز) سنة ٨٦٢هـ، وعلى طنجة سنة ٨٦٩هـ، وعلى أحيلا سنة ٨٧١هـ، بحيث لم يبق من ثغور مراكش بيد أهلها إلا القليل.

ولم يكن من نتيجة لهذه الهجمات وغيرها سوى ازدياد الحماسة الدينية في المغرب والنقمة على بني مرين، وتسلل قسم من الأسرة يعرف ببني وطاس إلى العرش كأوصياء ثم كسلاطين باسم الدعوة للجهاد وطرد الكفار.

وقد انشغل بنو وطاس بحروبهم مع الفرنجة، وأهملوا الجبهة الداخلية مما آذن لدولة الأشراف السعديين بالظهور ابتداء من سنة٩١٥هـ، ثم تمكنوا من احتلال فاس سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م، وبذلك انتهى الوطاسيون وبدأ عهد الأشراف، الذين ينتسبون للرسول ﷺ عن طريق الحسن بن علي، منذ سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م حتى الآن.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٣٦، ١٥٢، ٢٥٦، ٢٥٧.

* * *

مزارعة

المزارعة هي دفع الأرض لمن يزرعها على أن يكون له جزء من إنتاجها.

١ ـ مشروعيتها: المزارعة مشروعة ـ فيما يرجحه الباحث من اجتهادات الفقهاء ـ لأن رسول الله ﷺ «عامَلَ أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع»، ولأن كثيراً من الصحابة تعاملوا بها، وهي في حقيقتها شركة، من أحدهما رأس المال ـ أي الأرض والزرع ـ ومن الآخر العمل، فهي تشبه المضاربة، وهي ليست بإجارة.

٢ ـ شروط صحتها: يشترط لصحة المزارعة أن لا يسمي لأحد المتعاقدين ـ أي: العامل، أو صاحب الأرض ـ مقدار مخصوص يأخذه، بقطع النظر عن مقدار الناتج، كما لا يجوز له أن يسمي زرع بقعة معينة من الأرض أنه له، لما في ذلك من الغرر، ولكنه يسمي نسبة مشاعة كالربع والثمن ونحو ذلك.

٣ ـ اقتسام الإنتاج: إذا أنبت الله تعالى الزرع، ونضج، تمت قسمته بين العامل وصاحب الأرض على ما شرطا، وإن لم يكن زرع، فإن العامل لا يستحق شيئاً، وتضيع عليه أتعابه.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٩.

* * *

المزدكية

حركة دينية فارسية، ظهرت في عهد كسرى قباذ ابن فيروز الساساني، في أواخر القرن الخامس الميلادي، على يد مزدك الذي نادى بمشاعية الجنس والمال، وقال: «إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي، فمن كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس أولى بها من غيره». ودعا إلى المشاركة «في الحرم والأهل فلا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه»، وإلى أن «تكون النساء والأموال شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ».

وعلى المستوى التصوُّري عدت المزدكية من العقائد الثنوية التي تقول باصطراع النور والظلمة، وهي ظاهرة نجدها في العديد من المذاهب الفارسية، وبخاصة المجوسية التي تدور على قاعدتين: إحداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة. وهم يعتقدون بوجود فاعلين أزليين يصدر عن أحدهما الخير وعن الثاني الشر. فاعتقدوا بوجود إلَهين أحدهما نور ومبدأ الحكمة كلها ويسمونه «أهورا مزدا»، والثاني ظلام ومبدأ الشر كله ويسمونه «أهريمن».

وقد تبنى كسرى قباذ العقيدة المزدكية وطبقها في العقد الأول من حكمه، في محاولة منه للحد من هيمنة رجال الدين والنبلاء، الأمر الذي دفعهم إلى الثورة على قباذ وعزله عن العرش وتولية أخيه جاماسب مكانه، لكن قباذ تمكن من الفرار من سجنه واستعادة حكمه ثانية، وقد ظل على ولائه

للمزدكية ولكن بقدر أكبر من الاعتدال.

إلا أنه ما لبث أن انقلب عليها إثر مناقشة جرت بين أحد رجاله ومزدك عام ٥٢٩م، قصها علينا الفردوسي في الرواية التالية: «قال الموزر لمزدك: أيها الرجل، قد أتيت بدين جديد أبحت فيه النساء والأموال، ويلزم في ذلك ألا يعرف الوالد ولده ولا الولد والده... وإذ استووا فمن يتعين للرياسة ويترشح للسياسة؟ وأخذوا في المناظرة والمباحثة حتى انقطع مزدك فرجع قباذ عن دينه» واستعادت الزرادشتية نفوذها.

وقد نتج عن ذلك تشديد النكير على أنصار المزدكية وقتل عدد كبير منهم. وواصل كسرى أنوشروان تصفية المزدكيين وقتل مزدك نفسه. وسرعان ما تحولت المزدكية إلى جماعة سرية عاشت على هذا النحو في أيام الدولة الساسانية، ثم عادت إلى الظهور من جديد في العصور الإسلامية، حيث نادت بعض الحركات الفارسية، كالخرَّمية والراوندية، بمشاعية النساء والمحرمات.

وقد وجد «سفلة الناس»، كما يقول الطبري في المزدكية فرصة مواتية فاغتنموها «وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم» الأمر الذي أدى إلى إحداث انقلاب عنيف في مجرى الحياة الاجتماعية الإيرانية، كاد أن يفلت معه الزمام لولا تراجع قباذ عن موقفه في الوقت المناسب.

عماد الدين خليل

المراجع: ٨٩، ١٢٢، ١٨١، ١٩٩، ٣٠٠، ٣١٧، ٣٩٦، ٥٢٤.

* * *

المسجد والجامع

المسجد: الموضع الذي يسجد فيه. قال الزجاج: كل موضع يُتعبَّد فيه فهو مسجد، لقوله عليه الصلاة والسلام: (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) [متفق عليه].

والجامع نعت للمسجد، وإنما نعت بذلك لأنه علامة الاجتماع. وما كانوا في الصدر الأول يفردون كلمة الجامع، وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة المسجد، وطوراً يصفونها فيقولون المسجد الجامع، وأحياناً يضيفونها إلى الصفة، فيقولون مسجد الجامع. ثم تجوَّز الناس واقتصروا على الصفة، فقالوا للمسجد الكبير، وللذي تصلى فيه الجمعة، وإن كان صغيراً، الجامع، لأنه يجمع الناس لوقت معلوم.

والمسجد من أهم المباني الدينية الإسلامية، وكانت المساجد الأولى عبارة عن قطعة أرض متسعة مربعة تقريباً تحيط بها أربعة جدران أو خندق، وفي جهة القبلة سقيفة محمولة على عمد من جذوع النخل أو عمد منقولة. ولم يكن للمساجد الأولى مآذن، وأصبح هذا التخطيط، الذي تطور أساساً لجميع المساجد الإسلامية. ومعظم المساجد لها جزء أوسط يسمى الصحن تحيط به أروقة محمولة على عمد، ويكون أوسعها رواق القبلة وفيه المحراب. وللمسجد مئذنة أو أكثر.

ومنذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي استحدث نظام جديد للاستفادة من المساجد كمدارس، وعدِّل تخطيط المساجد التي خصصت لتكون مدارس بما يتناسب مع احتياجات تدريس المذاهب وإيواء الطلبة والأساتذة. وفي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي غلب تصميم المدرسة على المسجد، فأنشىء على مثالها الكثير من المساجد بصرف النظر عن كونه خصص لدراسة مذهب أم لا، وكان يكتب عليها تارة مدرسة وأخرى مسجد، مما يعزز القول بأن هذه الأسماء ترجع إلى وظيفة البناء لا إلى البناء نفسه.

وعلى الرغم من اختلاف طراز المساجد في كل إقليم فإن هناك طابعاً مشتركاً يميزها عن المباني الأخرى.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٥٤٣.

* * *

المسيح/ ممسوح

كانت تطلق صفة «مسيح» في العهد القديم على الشخصيات التي كانت تمسح بالزيت: الملك (١ صم ٢٤:٧) وعظيم الكهنة (أح ٢:٤)، وكانت تدل أيضاً، بالمعنى التوسعي، على من اختاره الله للقيام بمهمة: الآباء (مز ١٠٥:١٥) وشعب إسرائيل (عب ١٣:٣) وغيرها. أما في العهد الجديد: صارت العبارة تطلق على يسوع الذي مسحه الآب (أع ٤:٢٧) في الروح القدس (أع ١٠:٣٨) ملكاً.

إذاً، المسيح هو الذي مسحه الله وأرسله إلى العالم. أما يسوع نفسه فلم يكن يستعمل هذا التعريف للدلالة على نفسه في أثناء حياته وإن قبله على فم تلاميذه.

الكنيسة القديمة اعتادت أن تطلق على يسوع هذا اللقب لتقول لليهود إن المسيح الذين يرجون مجيئه ليحمل الخلاص لهم (ولغيرهم بحسب إيمان المسيحيين) قد جاء في شخص يسوع (أع ٢:٣٦). وقد أصبحت التسمية، منذ عهد الرسل، اسم علم يسوع. نجد هذا ظاهراً بغزارة في رسائل القديس بولس في العهد الجديد.

بولس وهبة

المراجع: ٥٠٦، ٦١٤، ٦١٥.

* * *

مِشْنا

هي النص الأصلي للتلمود، وهو الكتاب الثاني عند يهود بعد العهد القديم. والمِشنا هي المتن، وهذا المتن هو مجموعة شرائع كانت تتناقلها الألسنة، ومن ثم تمت كتابتها في نص كل من التلمودين البابلي والمقدسي (الأورشليمي).

يعتقد يهود بأن المِشنا منزلة على موسى عليه السلام كأسفار التوراة الخمسة، ولكنها بقيت تنقل شفهياً على ألسنة الحاخامات إلى أن تمّ تدوينها.

والمِشنا تنقسم إلى ستة أقسام تدعى سيداريم Sedarim؛ أي أنظمة ورسائل. والأقسام الستة هي:

١ ـ **زراعيم**: أي نظام الحبوب أو البذور، أو الإنتاج الزراعي. . . وهذا القسم يتضمن كذلك تحديداً للصلوات المفروضة مع الأدعية والبركات.

٢ ـ **مُوعِد** أو الأوقات، ويحتوي الأمور الدينية المتعلقة بالأعياد والسبت والأيام المقدسة.

٣ ـ **ناشيم**: أي النساء، وفيه النظم الخاصة بالزواج والطلاق وسائر موجبات الحياة الزوجية. وفيه موضوعات الميراث والوصايا والنذور.

٤ ـ **نِزِيقين**: أي الأضرار، وفيه قانون العقوبات.

٥ ـ **قُداشيم** أو المقدسات، ويحوي التشريعات الخاصة بالقرابين.

٦ ـ **طهاروت** أو الطهارات، وفيه أحكام الطهارة وتحديد ما هو حلال أو حرام من الأطعمة والمشروبات.

فالمِشنا هي الشرع العملي ليهود ولذلك سماها بعضهم التوراة الشفوية.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨٣، ٣٨٣، ٣٩٠، ٤٣٦.

* * *

المعتزلة

ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية. المؤسسان هما: واصل بن عطاء، وعمرو ابن عبيد اللذان كانا في حلقة الحسن البصري، وقد اتخذا موقفاً محايداً في أمر مرتكب الكبيرة وهل هو مؤمن أم كافر، وقالت المعتزلة: إنه لا مؤمن ولا كافر وإنما هو في منزلة بين المنزلتين. وقد أطلق عليهم تسمية معتزلة لأنهم كانوا محايدين ما بين أهل السنَّة وبين الخوارج في هذا الموضوع، فالخوارج قالوا، كما هو معلوم، بكفر مرتكب

الكبيرة. وإن كان المشهور أن الحسن البصري قال: اعتزلنا واصل ـ عندما انتحى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد إلى أسطوانة في مسجد البصرة مغادرين حلقة البصري ـ وأنه من هذا القول كانت تسمية معتزلة.

والمعتزلة قالوا بالأصول الخمسة وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قالت المعتزلة بخلق القرآن، وهذا أحدث فتنة كبيرة زمن المأمون في العصر العباسي وكان من ضحاياها الإمام أحمد بن حنبل الذي سجن وعذب...

وقالت المعتزلة بأن الإنسان مكلف لأنه عاقل، وبعثة الرسل لطف إلّهي.

وأن الإنسان بعقله يميِّز الحسن من القبيح، وبعضهم قال بأنه لا يجوز أن يقال بأن الله خلق القبيح أو الأفعال الشريرة.

وقالوا: العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة؛ وأن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير.

وقد اشتهر، بعد المؤسسين، من المعتزلة: أبو الهذيل العلاّف، وإبراهيم النظام، وكلاهما متوفى في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٥١، ٣٧٧، ٣٨٠، ٤٧٥، ٥٢٤.

* * *

المعجزة/ العجيبة

المعجزة هي الحدث الذي يفوق قدرات الإنسان والطبيعة، والمنسوب إلى ما هو فوق الطبيعة، أي الله في المسيحية، أهُو فاعل العجائب (وتسمَّى في بعض الأحيان «آيات») بقدرته الذاتية وليس كوسيط تُعمل العجيبة بواسطته. أما العجائب التي قام بها القديسون فلم يفعلوها بقدراتهم الذاتية بل بقوة المسيح الذي سمح لهم بذلك، أو الذي أجرى ذلك بواسطتهم ويجريها في القديسين حتى اليوم.

المسيح، في العهد الجديد، لم يقم بأية معجزة قبل معموديته على يد يوحنا المعمدان في نهر الأردن عندما كان في سن الثلاثين. ويذكر إنجيل يوحنا أن أولى هذه العجائب كانت تحويله الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (يو ٢:١ ـ ١١) حيث مكتوب: «هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل، وأظهر مجده فآمن به تلاميذه» (١١:٢).

الهدف من المعجزة في المسيحية مزدوج. فهي، من ناحية، تهدف إلى إظهار مجد الله (كما ورد آنفاً) ومن ناحية أخرى تحمل هدفاً تعليمياً عن شخص المسيح وجوهر رسالته. أما بالنسبة إلى العجائب التي يقوم بها القديسون فإن هدف الله منها إظهار النِّعم التي يسبغها على من يشاء من المؤمنين. إلا أن طلب الناس للمعجزة بحد ذاته ليس، في عرف المسيح، أمراً جيداً، فهو يشير إلى أن هذا دليل على ابتعاد الناس عن الله لأن القريب منه لا يطلب برهاناً ليؤمن أكثر.. وفيما الناس مزدحمين ابتدأ يقول: «هذا الجيل شرير يطلب آية ولا تعطى له آية» (لو ١١:٢٥).

بولس وهبة

المراجع: ٦١٤، ٦١٥، ٦٢٢.

* * *

المعجزة

حسب الجرجاني: «المعجزة أمر خارق للعادة، داعٍ إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصدٌ به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله».

والمعجزة تأييد للنبي تأتي دليلاً على نبوته، وهي أمر معجز للعباد، وهي في نطاق قدرة الله تعالى ولا قدرة للعباد على القيام بها. إذن المعجزة هي فعل إلّهي يجريه الله تعالى على يدي نبي تأييداً

له كي تكون حجة للنبي في مواجهة من ينكر دعوته ورسالته، ولولا المعجزات لاختلط الأمر، ولتمادى أهل الادعاء والمزاعم.

يقول الباقلاني: «لا دليل يفصل بين الصادق والكاذب في ادِّعاء الرسالة إلا الآيات المعجزة، كما أنه لا دليل يعلم بالنظر فيه كون العالم عالماً إلا الأفعال المحكمة المتسقة. وإذا كان ذلك كذلك، ثبت أن الموجب المقتضي لظهور المعجزات على أيدي الرسل هو كونهم رسلاً له سبحانه وادعاؤهم له لذلك وإخبارهم عنه».

وإذا كانت الآية لله تعالى، والمعجزة ملازمة للنبوة فالكرامة هي للولي.

ولكن المعجزة من خصائصها أنها لا تتكرر والكرامة قد تتكرر، والمعجزة يشترط إعلانها من قبل النبي، أما الكرامة فالأولى أن يكتمها الولي، وإن رآها أحد وفاتحه بها فعليه عدم التأكيد، والولي عليه الحذر حتى لا يكون الأمر استدراجاً وفتنة له وليس كرامة حقيقية.

وللسراج الطوسي بيان مفيد في هذا الأمر هو:

١ ـ «إن الأنبياء عليهم السلام مستعبدون بإظهار ذلك للخلق والاحتجاج بها على من يدعونهم إلى الله تعالى، فمتى ما كتموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى في كتمانها. والأولياء مستعبدون بكتمان ذلك عن الخلق وإذا أظهروا من ذلك شيئاً للخلق لاتخاذ الجاه عندهم فقد خالفوا الله تعالى وعصوه بإظهار ذلك.

٢ ـ والوجه الآخر في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام، أن الأنبياء عليهم السلام يحتجون بمعجزاتهم على المشركين، لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عز وجل. والأولياء يحتجون بذلك على نفوسهم حتى تطمئن وتوقن ولا تضطرب، ولا تجزع عند فوت الرزق لأنها أمّارة بالسوء جاحدة مشركة مجبولة على الشك، ليس عندها يقين بما يضمن لها خالقها من الرزق.

٣ ـ والوجه الثالث في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام أن الأنبياء كلما زيدت معجزاتهم وكثرت يكون أتمَّ لمعانيهم وأثبت لقلوبهم كما كان نبينا ﷺ قد أعطي جميع ما أعطي الأنبياء من المعجزات ثم زيادة أشياء لم يعط أحد غيره، مثل المعراج.. إن الأنبياء عليهم السلام كلما زيدت لهم من المعجزات، يكون أتمَّ لمعانيهم وفضلهم، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زيدت في كراماتهم يكون وجلهم أكثر، وخوفهم أكثر، حذراً أن يكون ذلك من المكر الخفي لهم والاستدراج، وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله تعالى.

هكذا إذن، المعجزة تأييد وشروطها الإعلان، والكرامة للولي شرطها الكتمان وقد تكون لتثبيت إيمان صاحبها، أو حجة ضد أعداء الدين، أو لحاجة المسلمين.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٠٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ٤٤٤.

* * *

المعراج

معجزة من معجزات النبي محمد ﷺ التي أيده الله تعالى بها، وقد كانت مقترنة برحلة الإسراء. وكانت معجزة الإسراء والمعراج بعد أن اشتد الحصار وقويت لمواجهة مكة المكرمة لرسول الله ﷺ من قبل مشركي قريش، وبعد وفاة نصيرين له هما عمه أبو طالب وزوجته خديجة.

وكأن المعجزة أتت وقتها تأييداً لرسول الله وتطييباً لنفسه ونفس أصحابه.

وحسب الحديث، فقد صحبه في هذه الرحلة الأمين جبريل عليه السلام إلا عندما بات رسول الله «قاب قوسين أو أدنى»، عندها قال له جبريل: تقدم بمفردك فلو تقدمت احترقت ولو تقدمت يا محمد ﷺ لافترقت، وما هذا إلا دليل على المكانة والتكريم لنبي الرحمة.

وحتى تكون هذه الرحلة المعجزة فلا بد أن بشرية محمد ﷺ قد تغيرت بطبيعة يمكنها أن تعرج وتبلغ ما بلغت، مما يناسب منازل الملأ الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى.

أما الحديث عن الرحلة، فالله تعالى القادر سبحانه المطلق القدرة، يطوي الأبعاد والمسافات فتكون سرعة الحركة مطلقة ولا زمن تستغرقه إلا أن ما كان من زمن للرحلة ما كان إلا كي يتلقى رسول الله الأمر بالصلاة، وكي يسلم على إخوانه من الرسل، وكي يرى ما أراد له الله تعالى أن يرى من الآيات والحالات.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم/ ٨ ـ ١٨]، والآية الأخيرة: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، تؤكد ما ذكر سابقاً، أي الزمن ليتسنى لرسول الله أن يرى، بينما كان الأمر عند المحطة الأولى في الإسراء إلى بيت المقدس أن رسول الله بالطبيعة البشرية أراه الله تعالى ولم ير هو عليه السلام بدليل قول الله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء/ ١].

وفي المعراج فرضت الصلوات الخمس في اليوم، وقد أراد الخالق سبحانه أن تشرع في السماء لتكون معراجاً يرقى بالناس ويعرج بهم إلى الله، وذلك نقيض ما كان حين تدلت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا. وفي الصلاة سجود يكون فيه العبد أقرب ما يكون إلى الله تعالى.

وإذا كانت معجزة المعراج للنبي ﷺ رحلة بالجسد والروح فإن أهل التصوف قالوا بالمعراج الروحي، وهو أن يتسامى العبد فوق أعراض الدنيا ويداوم على الذكر والعبادة حتى يكون له المعراج الروحي باتصال المريد بالمراد والمحب بالمحبوب، فيكون المرء عنده ممن أحبهم الله ونالوا الأنس والقرب.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٨، ١٩٧، ٢٩٩، ٣٨٦.

* * *

المعمدانيون

هم ينتمون إلى التيار البروتستانتي وإن اعتنقوا مذهباً خاصاً بهم. يؤمنون بأن المعمودية يجب أن تعطى، فقط، للذين هم على استعداد للاعتراف بإيمانهم بيسوع المسيح. أصولهم تعود إلى إنكلترة وويلز في القرن السابع عشر حيث انتشرت الكنائس المعمدانية وفيما بعد إلى الولايات المتحدة الأميركية، حيث نموا بشكل مطّرد في أواخر القرن التاسع عشر.

يشددون كثيراً في عباداتهم على قراءة وشرح الكتاب المقدس وعلى الوعظ. ترتبط هذه الجماعات، بعضها مع بعض، عبر مؤسسات وتحالفات تطلق على كل منها اسم كنيسة. لا يقبلون معتقدات غيرهم المسيحية بسهولة وإن كانوا يندمجون في الحركة البروتستانتية. موجودون في بقاع كثيرة من العالم بما فيها بعض بلدان العالم العربي.

بولس وهبة

المراجع: ٢٥٤، ٦١٤، ٦١٥.

* * *

المعمودية

هناك نوعان من المعمودية في العهد الجديد من الكتاب المقدس. الأولى هي المعمودية التي كان يوحنا المعمدان يعمِّد الخطأة بها للتوبة: «كان يوحنا يعمِّد في البريَّة ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا» (مر ١:٤). من هنا، فإن معمودية

يسوع على يد يوحنا تدل على عمق اتخاذه للطبيعة البشرية من حيث إنه خضع لكل ما يخضع له الناس حتى الخطأة منهم. يذكر إنجيل متى أن «يسوع جاء من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً: أنا محتاج أن أعتمد منك، أو أنت تأتي إليَّ؟ فأجاب يسوع وقال: إسمح الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بِرٍّ» (متى ٣:١٣ ـ ١٤).

أمّا النوع الثاني من المعمودية فهي تلك التي يخضع لها المرء لكي يصير مسيحياً. نقرأ في إنجيل مرقس على لسان يوحنا المعمدان: «أنا عمَّدتكم بالماء وأما هو فسيعمِّدكم بالروح القدس» (مر ١:٨). من هنا، فإن المعمودية في المسيحية هي التي تصيِّر الإنسان مسيحياً بواسطة معموديته بالماء الذي جرت عليه الصلاة باستدعاء الروح القدس عليه ليصير ماءً مقدساً. المعمودية هي سر من أسرار الكنيسة التي حدَّدتها الكنيسة الكاثوليكية بسبعة، والبروتستانت باثنين (المعمودية والمناولة المقدسة) فيما لم تقم الكنيسة الأرثوذكسية بتحديدها عددياً. هذا، وتختلف طرق التعميد من كنيسة إلى أخرى. ففيما تجري المعمودية في الكنيسة الأرثوذكسية بواسطة تغطيس المعمَّد ثلاثاً في الماء على اسم الآب والابن والروح القدس، تجري الكنائس الأخرى هذا الأمر بواسطة الرشم أو صب الماء على جبهة الرأس. كما أن هناك اختلافاً آخر لجهة عمر الإنسان الذي يجوز تعميده. ففي الكنائس البروتستانتية يقومون، غالباً، بتعميد البالغين فيما تقوم الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية بتعميد الأطفال مع وجوب وجود عرّابين لهم يكفلون تنشئتهم الكنسية والروحية.

بولس وهبة

المراجع: ٦١٩.

* * *

مغفرة

غفر: ستر، والغفر لأي شيء هو ستره. ونقل اللغويون قول العرب: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه؛ أي أجمل له وأغطى له. وغفرت المتاع: جعلته في الوعاء. ومنها: غفر الله ذنوب العبد؛ أي سترها.

ومن أسماء الله تعالى الحسنى: الغفور، الغفار. والاسمان من أبنية المبالغة في لغة العرب، ومعناهما أن الله تعالى هو الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن ذنوبهم وخطاياهم.

والمغفرة من الله تعالى للعبد أنه سبحانه يصون العبد من أن يمسَّه العذاب. وقد ورد في النص القرآني، وفي آيات كثيرة حضٌّ على الاستغفار أو طلب من العبد على شكل دعاء، من ذلك قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران/ ١٤٧]، وقوله تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة/ ٢٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [هود/ ٣] إلى آخر ما ورد في هذا السياق. وطلب المغفرة يكون بالقول والفعل.

ويذهب الجرجاني في «التعريفات» إلى القول: «المغفرة هي أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته». فالله تعالى يغفر لعباده. والمسؤول أو الرئيس يغفر للمرؤوس زلته أو خطأه، ولكن مسامحة الأدنى للأعلى لا تسمّى مغفرة.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٧٢، ٤٤٧، ٥١٤.

* * *

المغول

المغول والمنغول والمغل والتتر، كلمات أربع تستخدم للدلالة على تلك الموجة البشرية المدمرة التي اندفعت من صحراء منغوليا في أواسط القرن السابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي. فاتجه فرع

منها جنوباً إلى الصين، وفرع آخر دخل التركستان وإيران ووصل الشام، وفرع ثالث عبر إلى شرقي أوروبا أو وصل أواسطها. وكان على زعامة هذا المد البشري زعيم مغولي اسمه تيموجين بن يسوقي، وقد عرفه التاريخ باسم جنكيزخان. وقد استطاع جنكيزخان توحيد القبائل المغولية تحت سيطرته واتخذ لنفسه لقب جنكيزخان أي الملك صاحب القدرة والشأن. ونظم دولته القبلية من خلال قانون نشره صار لدى المغول أشبه بالكتاب الديني سماه اليسا أو اليسق، أي القانون الاجتماعي. وقد ذكر القلقشندي أنها كلمة ليس لها جذر في العربية، وأنها مشتقة من كلمة ياسة بعد إضافة السين في أولها، وتعني ثلاثة أي القوانين الثلاثة.

وقد توسع جنكيزخان أولاً في أراضي التنغيت من أهل التيبت في شمالي غرب الصين، وسنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٣م تجاوز أتباعه سور الصين المشهور وغزوا الصين ونهبوا بكين العاصمة سنة ٦١١هـ/ ١٢١٥م وقوضوا ما كان يتمتع به أباطرة الصين من القداسة والاحترام. ثم اتجه بجموعه إلى بلاد القره خطاي التركية فنهبها، وأطل على شمالي تركستان وكشغر فصارت له حدود مشتركة مع دولة الخوارزميين ومع البلاد الإسلامية سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٨م. وعبر بعد ذلك إلى ما وراء النهر وخراسان سنة ٦١٦ و ٦١٧هـ/ ١٢١٩ - ١٢٢٠م وقامت حرب إبادة وإرهاب ترجّع صداها في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

وبعد وفاة جنكيزخان سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م توزعت أمبراطوريته على أولاده الأربعة:

جوجي وهو الابن البكر، وقد توفي في حياة أبيه فأخذ ابنه باتو ميراثه في غرب سيبيريا وسهوب القفجاق الممتدة حتى جنوب آسيا، وقد أسس باتو القبيل المعروف بالأزرق وهو نواة القبيل الذهبي الذي تأسس فيما بعد.

أما الابن الآخر جغطاي فقد منح الأراضي الممتدة مما وراء النهر حتى تركستان الصينية، وكان أحفاد جغطاي هم الذي عملوا في نهاية الأمر على نشر الإسلام بين الترك وفي الصين، وظلوا أسياد المنطقة حتى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

أما الابن الثالث أوغوداي فقد اختير ليكون الخاقان الأعظم، وقد عمل على استكمال فتح الصين الجنوبية التي كانت تحكمها أسرة سونج، وأتم سيطرته على أراضي الخوارزميين، واحتل ديار بكر وإربل وأذربيجان وتفليس وأرمينيا الكبرى وارتكب أقسى الفظاع وأشدها هولاً سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م. وبعد وفاة أوغوداي سنة ٦٣٨هـ، اختير ابنه كيوك للخاقانية العظمى، فألقى مقاليد الحكم إلى وزيرين من النصارى، ونال لديه البوذيون الحظوة، ثم ما لبث هذا الفرع المغولي أن أسلم بالتدريج. وكان قبل ذلك قد حدث اضطراب في المركز وقامت الفتن حين أضحى مانغو بن تولوي سنة ٦٩٦ - ٧٥٥هـ/ ١٢٤٨م، خاقان المغول، وخلفه قوبلاي خان فآثر الاستقرار في الصين تاركاً بلاد فارس والشام وآسيا الصغرى لأخيه هولاكو الذي تم على يديه سقوط بغداد وزوال الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ثم انهزام جيشه في عين جالوت سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م على يد المماليك [راجع: عين جالوت في هذه الموسوعة].

أما أصغر أبناء جنكيزخان فكان نصيبه قلب الأمبراطورية، أي منغوليا نفسها. واتبع ابناه مانغو ثم قوبلاي (كوبلاي) خط أوغوداي كخاقانات عظام. ثم اعتنقا وأتباعهما البوذية وأدى تمسكهم بها إلى انشقاق مغول آسيا وروسيا الذين اعتنقوا الإسلام عنهم.

وأخذ أبناء هولاكو في إيران لقب الإيلخانات وانقطعوا في غربي آسيا عن أبناء عمهم في الصين.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٥٤٣.

* * *

المقام

المقام، لغة: الثبات على الشيء والتمسك به، وهو مصطلح استعمله أهل التصوف يقابلون به الحال. فالحال سمي حالاً لتحوله، والمقام مقاماً لثبوته واستقراره، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً. والحال هو معنى يرد على القلب من غير تعمد أو اكتساب، بينما المقام أن تتحول هذه المعاني الفاضلة إلى خلق يلازم صاحبه، ويحتاج ذلك إلى جهد ومجاهدة، وبذل وعمل فتصبح سجية في طبعه، مستمرة وثابتة في قلبه وهو من دلائل الصدق والإيمان.

واختلف المشايخ في أن العبد هل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذي هو فيه قبل إحكام حكم مقامه. فقال بعضهم: لا ينبغي أن ينتقل عن الذي هو فيه دون أن يُحكم حُكم مقامه. وقال آخرون: لا يكمل المقام الذي هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى ما دونه من المقام فيُحكم أمر مقامه.

بسام الصباغ

المراجع: ١٧٢، ٢٧١، ٣٦٥.

* * *

المكروه

المكروه في اللغة مأخوذ من الكريهة، وهي في استعمال العرب: النازلة والشدة في الحرب، ومنه قولهم: جمل كره، أي: شديد المراس. وفي معنى ذلك: الكراهة، والكراهية.

والمكروه من أحكام التكليف الخمسة، وحدُّه: ما طلب الشارع الكف عنه طلباً غير ملزم، بأن كان منهياً عنه واقترن النهي فقط بما يدل على أنه لم يقصد به التحريم. وهو بتعبير الشافعية: ما ثبت بدليل يحتمل التأويل. والمكروه شرعاً قد يطلق ويراد به: الحرام ـ كما عند الشافعي ـ، وقد يراد به ترك ما مصلحته راجحة، وإن لم يكن منهياً عنه، كترك المندوبات، وقد يراد به ما نهي عنه نهي تنزيه لا تحريم، كالصلاة في الأوقات والأماكن المخصوصة، وقد يراد به: ترك الأولى، كصلاة الضحى، لكثرة الفضل في فعلها، وقد يراد به ما وقعت الشبهة في تحريمه كاليسير من النبيذ. وقد يراد به ما في القلب منه حزازة.

والمكروه عند الحنفية نوعان: مكروه تحريماً ومكروه تنزيهاً. فالأول: ما كان إلى الحرام أقرب، ويسميه محمد بن الحسن: حراماً ظنياً، وذلك مثل الخطبة على الخطبة. والثاني: ما كان تركه أولى من فعله، وهو يرادف عندهم: ما هو خلاف الأولى، وذلك مثل الوضوء من سؤر الطير.

عبد الفتاح كبارة

المراجع: ١٦، ٥٦، ٥٧، ٩٣، ١٦٠، ٢٢٤، ٣٠٢، ٤٤١، ٥٣٤.

* * *

مكة

مكة المكرمة، المدينة المعروفة في الحجاز، تقع تقريباً على خط عرض ٢١,٢٨ درجة شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٣٨,٣٠ درجة شرق خط غرينتش، وترتفع عن سطح البحر ٢٨٠ متراً، وتبعد عن جدة على البحر الأحمر شرقاً حوالي ٧٥ كلم. وهي في وهدة تحيط بها الجبال، وقليلاً ما تهطل عليها الأمطار. مناخها حار، يعتدل ليلاً في أواخر الخريف وأوائل الربيع، ويميل إلى البرودة قليلاً في فصل الشتاء القصير، بحيث يكتفي الحاج بملابس الإحرام. وصفها الله عز وجل على لسان نبيه إبراهيم ﷺ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم/٣٧] لشح مياهها، ويشتهر فيها بئر زمزم، التي تكثر الروايات عن سبب تفجُّره في تلك البقعة القاحلة المباركة.

وقد ذكر ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» أن مكة اسم بيت الله الحرام، ويقال: مكة

اسم المدينة، وبكة اسم البيت، وقال آخرون: مكة هي بكة».

وجاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/ ٩٦]، كما جاء فيه: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح/ ٢٤]. والبيت هو في مركز مكة، التي يقال إنها النقطة المحورية للكرة الأرضية، بينما تشير الآية الثانية إلى موقع الحديبية حيث وقع الاتفاق بين المسلمين والمشركين، فالأرجح التمييز بينهما.

أما معنى الاسم، فقد ذكر صاحب لسان العرب: «إنهم كانوا يمكّون الماء فيها، أي يستخرجونه. وقيل: سميت مكة لأنها كانت تَمُكُّ من ظَلم فيها وألحد، أي تهلكه». وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أقوالاً كثيرة في سبب التسمية، منها أن العرب في الجاهلية كانت تقول: «لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فنمكُّ فيه، أي نصفر صفير المكّاء حول الكعبة. والمكّاء: طائر يأوي الرياض. والمُكاء: الصفير.

وقال قوم: سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هبطة بمنزلة المكوك...، وقال عبيد الله: «سميت مكة من ملكّ الثدي، أي مصّه، لقلة مائها لأنهم كانوا يمكّون الماء، أي يستخرجونه».

وقيل: سميت بكة لأن الأقدام تبكُّ بعضها بعضاً. ولها أسماء كثيرة ذكرها ياقوت في معجمه منها: الناسّة، والباسّة، والمقدسة، وأم رحم، والحاطمة، والحرم. وأسماها الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ في قوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين/ ١ - ٣]، وأم القرى في قوله: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام/ ٩٢]، والمسجد الحرام في آيات عدة منها: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة/ ١٤٤] وربما قصد الكعبة، التي ورد اسمها في القرآن الكريم البيت العتيق في قوله: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج/ ٢٩].

كان أهلها، قبل الإسلام، متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم، وكانوا يختنون أولادهم، ويحجون البيت، ويكفّنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، ويتزوجون بالصداق والشهود، ويطلّقون ثلاثاً. وكانوا تجاراً ماهرين لوقوع مدينتهم على الطريق بين اليمن وبلاد الشام. ولقد بلغ من تعظيم العرب مكة أنهم كانوا يحجون البيت ويعتمرون، فإذا أرادوا الانصراف أخذ واحدهم حجراً، فجعله صنماً على شكل أصنام البيت يتبرّك به، ثم تطورت الحال بهم إلى عبادته، ومن هنا جاءت عبادة العرب الحجارة في الجاهلية.

ويعود تعظيم مكة إلى وجود الكعبة قِبلة المسلمين فيها، فقد صلى المسلمون في بداية الهجرة متجهين إلى بيت المقدس حوالي السبعة عشر شهراً، وكان الرسول ﷺ يرغب بأن تكون الكعبة قبلته، فنزلت الآية الكريمة: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة/ ١٤٤]، فصلى المسلمون، ابتداء من ذلك التاريخ، باتجاه الكعبة.

وهكذا زاد تعظيمها بعد الإسلام، وحدِّد حرمها حيث يَحرم بداخله القتال، والصيد، وقطع الشجر ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران/ ٩٧].

وذكر ياقوت الحموي تحت عنوان الكعبة: «وقد جاء في الأخبار أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها، فهي سرّة الأرض ووسط الدنيا».

ويقال: إن آدم أقام فيها حتى توفاه الله، وكان يتخذ من الحجر الأسود مقعداً، فلما توفي بنى أولاده في مكان الكعبة بيتاً من الطين بقي حتى خرّبه الطوفان. فلما كان زمن إبراهيم أقام، هو وولده إسماعيل، البيت الحرام مكان البيت الطيني القديم. وأما كيفية معرفة إبراهيم ذلك المكان فلذلك قصة رواياتها مختلفة يرجع إليها في الكتب المختصة.

وقد اعتاد العرب كسوة الكعبة بأفخر أنواع القماش تعظيماً لها وتكريماً، ويقال: إن أول من كساها هو تُبَّع الحمْيَري ملك اليمن، ولا يزال المسلمون يجدّدون كسوتها سنوياً قبل مناسك الحج، حيث يقوم خادم الحرمين الشريفين، الملك، أو من ينيبه عنه، بالإشراف على غسل الكعبة، وتطييبها وتجميرها، وكسوتها كسوة جديدة. وقد خضع المسجد الحرام للتوسعة مرات عدة بسبب تكاثر المسلمين، ابتداء من عهد عمر بن الخطاب، ثم في العصر الأموي، فالعباسي، فالمملوكي، فالعثماني، حيث توقفت التوسعة حتى العهد السعودي، فأولت المملكة المسجد الحرام وما حوله اهتماماً كبيراً، وجرت فيه توسعة وتحسينات جعلته آية من آيات الجمال والفخامة تتلاءم ومكانة المسجد الحرام عند المسلمين.

بدأ العمل في التوسعة الجديدة في ٢٠/١١/ ١٩٥٥م واستمر حتى وقت قريب. فأصبح المسعى بعد عمارة المسجد الحرام يتألف من طابقين، ارتفاع الأرضي منها ١١,٥م والذي يعلوه ٩,٥م، والمبنى الكلي ٢١,١٠م، وطول المسعى بين الصفا والمروة من الخارج ٤٠٠م، ومن الداخل ٣٩٥م بعرض ٢٠م. والطابق الأرضي للسعي والأعلى للصلاة.

بلغ عدد أبواب المسعى ١٦ باباً بالطابق الأرضي و ٦ بالعلوي. وكُسيت أكثر الجدران والأعمدة بالرخام، وزُخرفت الأسقف، وزيد في عدد أبواب الحرم فأصبحت ٦٤ باباً منها ثلاثة رئيسة: باب الملك عبد العزيز، وباب العمرة، وباب السلام.

ويعلو كل باب من الأبواب الرئيسة منارتان (مئذنتان) ارتفاع كل واحدة منها ٩٢ متراً، ويوجد منارة سابعة فوق باب الصفا، وبجوارها سقف مقبّب مستدير تعلوه قبة بقطر ٣٥م، في أعلاها هلال من البرونز المطلي بالذهب، وزُينت من الداخل بالفسيفساء والآيات الكريمة. وبذلك وبعد أن كانت مساحة الحرم ٢٧,٠٠٠م² أصبحت ١٨٠٠٠٠م². وقد أُزيل بئر زمزم وأصبح يُنزل إليه على درج، فسمح ذلك بتوسعة المطاف أيضاً.

وزُوِّد المبنى كله بالمراوح الكهربائية، أو المكيفات الحديثة، فأصبح الحاج ينعم بالراحة التامة أثناء وجوده في الحرم، وتأدية مناسكه.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٩/ ١، ١٢٢، ٣٨٢/ ١، ٤٤١، ٤٦٦، ٤٩٢/ ١، ٥٠٠.

* * *

الملكانية

أحد المذاهب الكنسية المسيحية القديمة. وهم أصحاب ملكا الذي ظهر في أرض الروم، ومعظم الروم ملكانية. وقد كانوا من أوائل من قالوا بالتثليث وبالأقنومية. وقالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح. والكلمة هي أقنوم العلم. والروح القدس أقنوم الحياة. والأقنوم طريقة في الظهور أو الانبثاق وهو غير الجوهر.

وكان حكام الأمبراطورية البيزنطية ملكانيين، بدءاً من الأمبراطور قسطنطين الثاني، وفي عهده كان دستور الإيمان النيقاوي الذي أخذ بموقف الملكانيين القائل بأن اللاهوت والناسوت اتحدا في المسيح كاتحاد الماء باللبن، وأن المسيح إلّه حق من إلّه حق.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٤٥، ٣٨٠، ٥٢٤.

* * *

ملكي صادق

اسم معناه ملك البرِّ، وقد ورد ذكره، وفق دراسات الكتاب المقدس، على أنه كاهن وملك صالح. وكان أول ظهور له في الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين لجهة نصرة إبراهيم الذي

كان يدعونه أبرام وبعدها أصبح إبراهيم. عندما قاتل أبرام من أسروا لوطاً وحرَّره منهم وماله معه وسائر قومه، جاء النص الذي كتبوه في سفر التكوين يقول: «وأخرج ملكيصادق ملك شليم خبزاً وخمراً لأنه كان كاهناً لله العلي».

وهناك غموض في تحديد أصل ملكيصادق في نصوص الكتاب المقدس. ويرد في العهد الجديد بعد ذلك أن المسيح على رتبة ملكيصادق، ويضيف «قاموس الكتاب المقدس»؛ أنهما كاهنان ليس لكهنوتهما بداءة ونهاية معلومة، وهما ملكا البر والسلام. أما ملكيصادق فجاء عنه: والظاهر أنه كان محافظاً على سنَّة الله القديمة بين شعب وثني.

ويضيف واضعو «معجم اللاهوت الكتابي» قائلين في ملكيصادق: يظهر ملكيصادق في الكتاب المقدس بمثابة المدافع عن إبراهيم والسلف لداود والصورة المسبقة للمسيح. ولكن هناك من شكَّك في حقيقة ملكي صادق وعدَّ الاسم وصفاً وليس اسم علم لشخص بعينه، وقد ناقش الأمر سهيل ديب في كتابه: «التوراة بين الوثنية والتوحيد»، الصادر عن دار النفائس ببيروت، مبتدئاً بأن اعتماد الاسم إنما سببه خطأ في الترجمة ليس إلا.

فهو إما شخص أسطوري أو أن المسألة خطأ في الترجمة. ويستند سهيل ديب على نص ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين تتحدث عن ملكيصادق، ويقول: «الذي تفسير اسمه أولاً ملك البر، ثم ملك شليم أي ملك السلام، الذي ليس له أب ولا أم ولا نسب ولا له بداءة أيام ولا نهاية حياة».

وبالاستناد إلى ما أوردته الموسوعة اليهودية، يكمل سهيل ديب، تفنيد الفكرة، ويقول: وهذا ما جرى، على الأغلب، في كلمة ملكيصادق التي تكتب بالعبرية من مقطعين وليس مقطعاً واحداً: ملك صدق، ولعل الكلمتين التصقتا مع بعضهما في النص الذي جرت الترجمة السبعينية للعهد القديم منه فأشكل الأمر على المترجم اليوناني، وعوضاً عن ترجمتها: الملك الصادق، الملك المسالم أو ملك السلم، كما ترجمها ترغوم يوناثان إلى اللغة الآرامية من الأصل الذي يقول: ملك صدق ملك شلم، فقد ترجمها: ملكيصادق ملك شليم، مما جعل المتأخرين من المترجمين والعلماء التوراتيين يعتقدون أن شليم هي أورشليم؛ أي القدس، وأن الملك هذا هو ملك أورشليم.

وبذلك يدحض سهيل، الفكرة، وأن ملكيصادق عنده ليس سوى شخصية لا أساس لها، والاسم هو صفات عن الصدق والمسالمة في ملك عاصر إبراهيم عليه السلام، والإشارات التي وردت لملكيصادق في رسالة بولس إلى العبرانيين، برأي سهيل ديب، ليست سوى صفات رفيعة للسيد المسيح عليه السلام.

هذان رأيان حول ملكيصادق: الأول يشبه بناء لنصوص العهد القديم المتداولة وعلى هذا بنى واضعو «قاموس الكتاب المقدس» و «معجم اللاهوت الكتابي» وسواهم من الدارسين. والرأي الثاني هو الذي اعتمده سهيل ديب وفند على أساسه النصوص، وصولاً إلى القول: إن ملكي صادق شخصية غير موجودة، والاعتقاد بها سببه خطأ في الترجمة تداولها الناس بعد ذلك مسلِّمين بها.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٨٧، ٤٠٥، ٥٠٦.

* * *

ملوك الطوائف (القرن الخامس عشر)

امتد عصر ملوك الطوائف في الأندلس نحو ثمانين سنة، ما بين وفاة المظفر بن أبي عامر سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م، الذي كان مسيطراً هو وأبوه المنصور على الخليفة هشام المؤيد الصبي الصغير، وما بين ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م السنة التالية لسقوط طليطلة بيد الإسبان. وتمثل هذه الفترة دليلاً

على تمزق الدولة الواحدة، وتضارب بعضها مع البعض الآخر، واستعانة بعضها بالأجانب ضد بعض.

وقد ظهر في الأندلس في هذه الفترة ثلاث وعشرون دولة تقسمت البلاد ما بين إمارة صغيرة، لا تتعدى المدينة التي قامت فيها، وإمارات كبيرة واسعة مترامية الأطراف. ولم يكن لدويلة منْ ملوك الطوائف حدود ثابتة ولكنها تكبر وتصغر وتتشكل حسب الأحداث الحربية والسياسية التي تمر بها، ولم تكن ثابتة تقريباً إلا في إمارة سرقسطة التي كانت حدودها على حالها مع قطلونية وأراغون ونبرة حتى بداية عصر المرابطين في الأندلس سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م.

ومن أهم الأسر الحاكمة من ملوك الطوائف:

- بنو حمود، في مالقة والجزيرة ٤٠٠ - ٤٤٩هـ/ ١٠١٠ - ١٠٥٧م.
- بنو عباد، في إشبيلية ٤١٤ - ٤٨٤هـ/ ١٠٢٣ - ١٠٩١م.
- بنو زيري، بغرناطة ٤٠٣ - ٤٨٣هـ/ ١٠١٢ - ١٠٩٠م.
- بنو يحيى، بنبلة ٤١٤ - ٤٤٣هـ/ ١٠٢٣ - ١٠٥١م.
- بنو مزين، بشلب ٤١٩ - ٤٤٥هـ/ ١٠٢٨ - ١٠٥٣م.
- بنو رزين، بالسهلة ٤٠٢ - ٥٠٠هـ/ ١٠١١ - ١١٠٧م.
- بنو قاسم، بألفنت ٤٢٠ - ٤٨٥هـ/ ١٠٢٩ - ١٠٩٢م.
- بنو جمهور، بقرطبة ٤٢٢ - ٤٩١هـ/ ١٠٣١ - ١٠٩٧م.
- بنو الأفطس، ببطليوس ٤١٣ - ٤٨٧هـ/ ١٠٢٢ - ١٠٩٤م.
- بنو ذي النون، بطليطلة ٤١٨ - ٤٨٧هـ/ ١٠٢٧ - ١٠٩٤م.
- العامريون، ببلنسية ٤١٢ - ٤٨٩هـ/ ١٠٢١ - ١٠٩٦م.
- بنو صمادح، بالمرية ٤٣٠ - ٤٨٠هـ/ ١٠٣٩ - ١٠٨٧م.
- بنو نجيب وبنو هود، بسرقطة ولاردة وتطيلة وطرطوشة ودانية وقلعة أيوب ٤١٠ - ٥٣٦هـ/ ١٠١٩ - ١١٤٢م.
- بنو مجاهد وبنو غانية، في ميورقة ٤١٣ - ٦٠١هـ/ ١٠٢٢ - ١٢٠٥م.

ثم كان فتح المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين لإسبانيا الإسلامية سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٢٥٦، ٢٥٧.

* * *

المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٣٥٠ - ١٥١٧م)

المماليك الترك في مصر
من سنة ٦٤٨هـ - ٧٩٢هـ/ ١٢٥٠م - ١٣٩٠م

٦٤٨هـ	المعز عز الدين أيبك التركماني	١٢٥٠م
٦٥٥هـ	المنصور نور الدين علي	١٢٥٧م
٦٥٧هـ	المظفر سيف الدين قطز	١٢٥٩م
٦٥٨هـ	الظاهر ركن الدين بيبرس الأول البندقداري	١٢٦٠م
٦٧٦هـ	السعيد ناصر الدين بركة خان	١٢٧٧م
٦٧٨هـ	العادل بدر الدين سلامش	١٢٧٩م
٦٧٨هـ	المنصور سيف الدين قلاون	١٢٧٩م
٦٨٩هـ	الأشرف صلاح الدين خليل	١٢٩٠م
٦٩٣هـ	الناصر ناصر الدين محمد	١٢٩٣م
٦٩٤هـ	العادل زين الدين كتبغا	١٢٩٤م
٦٩٦هـ	المنصور حسام الدين لاجين	١٢٩٧م
٦٩٨هـ	الناصر ناصر الدين محمد (مرة ثانية)	١٢٩٩م
٧٠٨هـ	المظفر ركن الدين بيبرس الثاني الجاشنكير	١٣٠٩م
٧٠٩هـ	الناصر ناصر الدين محمد (مرة ثالثة)	١٣١٠م
٧٤١هـ	المنصور سيف الدين أبو بكر	١٣٤١م
٧٤٢هـ	الناصر شهاب الدين أحمد	١٣٤١م
٧٤٢هـ	الأشرف علاء الدين كجك	١٣٤٢م

٧٤٣هـ	الناصر عماد الدين إسماعيل	١٣٤٢م
٧٤٦هـ	الكامل سيف الدين شعبان الأول	١٣٤٥م
٧٤٧هـ	المظفر سيف الدين حاجي الأول	١٣٤٦م
٧٤٨هـ	الناصر ناصر الدين حسن	١٣٤٧م
٧٥٢هـ	الصالح صلاح الدين صالح	١٣٥١م
٧٥٥هـ	الناصر ناصر الدين حسن (مرة ثانية)	١٣٥٤م
٧٦٢هـ	المنصور صلاح الدين محمد	١٣٦١م
٧٦٤هـ	الأشرف ناصر الدين شعبان	١٣٦٣م
٧٧٨هـ	المنصور علاء الدين علي	١٣٧٧م
٧٨٣هـ	الصالح صلاح الدين حاجي الثاني	١٣٨١م
٧٨٤هـ	برقوق (من المماليك الجراكسة)	١٣٨٢م
٧٩١-٧٩٢هـ	المنصور ناصر الدين حاجي الثاني (مرة ثانية)	١٣٨٩-١٣٩٠م

المماليك الجراكسة

من سنة ٧٨٤هـ - ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢م - ١٥١٧م

٨٧٤هـ	الظاهر سيف الدين برقوق	١٣٨٢م
٧٩١هـ-٧٩٢هـ	حكم حاجي الثاني من مماليك الترك	
٨٠١هـ	الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق	١٣٩٩م
٨٠٨هـ	المنصور عز الدين عبد العزيز بن برقوق	١٤٠٥م
٨٠٩هـ	الناصر ناصر الدين فرج (مرة ثانية)	١٤٠٦م
٨١٥هـ	العادل المستعين بالله أبو الفضل العباس	١٤١٢م
٨١٥هـ	المويد سيف الدين شيخ	١٤٢١م
٨٢٤هـ	المظفر شهاب الدين أحمد ابن المؤيد شيخ	١٤٢١م
٨٢٤هـ	الظاهر سيف الدين ططر	١٤٢١م
٨٢٤هـ	الصالح ناصر الدين محمد بن ططر	١٤٢١م
٨٢٥هـ	الأشرف سيف الدين برسباي	١٤٢٢م
٨٤١هـ	العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي	١٤٣٨م
٨٤٢هـ	الظاهر سيف الدين جقمق	١٤٣٨م
٨٥٧هـ	المنصور فخر الدين عثمان بن جمقمق	١٤٥٣م
٨٥٧هـ	الأشرف سيف الدين إينال	١٤٦١م
٨٦٥هـ	المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال	١٤٦١م
٨٦٥هـ	الظاهر سيف الدين بلباي	١٤٦٧م
٨٧٢هـ	الظاهر تمربغا	١٤٦٧م
٨٧٢هـ	الناصر ناصر الدين محمد بن قايتباي	١٤٩٦م
٩٠١هـ	الناصر قانصوه	١٤٩٨م
٩٠٤هـ	الأشرف جانبلاط	١٥٠٠م
٩٠٥هـ	العادل سيف الدين طومان باي	١٥٠١م
٩٠٦هـ	الأشرف قانصوه الغوري	١٥٠١م
٩٢٢-٩٢٣هـ	الأشرف طومان باي	١٥١٦-١٥١٧م

إن الصراع الأسري بين الحكام الأيوبيين من جهة، وبينهم وبين بقايا السلاجقة من جهة أخرى، دفع هؤلاء الحكام إلى استقدام أعداد كبيرة من الرقيق الأبيض، عرفوا بالمماليك، مكوِّنين منهم عصبة تشد أزرهم وتدافع عنهم.

وينقسم المماليك، الذين حكموا مصر وسوريا بعد الدولة الأيوبية، قسمين: المماليك البحرية، وهؤلاء جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي جمع من المماليك ما لم يجمع غيره من أهل بيته، حتى كان أكثر أمراء العسكر من مماليكه، وبنى لهم قلعة بجزيرة الروضة وحشدهم بها، وكان معظمهم من الأتراك، واختار منهم فرقة للأسطول سميت الفرقة البحرية أو الفرقة الصالحية، ولهذا يسمَّى هؤلاء المماليك بالمماليك البحرية، أو المماليك الأتراك.

أما القسم الثاني، فمجموعة أخرى من المماليك مما لم يجلبه الأيوبيون، وإنما هم شراكسة اشتراهم السلطان قلاوون أحد المماليك البحرية، وقد كان يطمع في إقرار السيادة في ذريته وتمَّ له ما أراد، فقد حكم وأولاده وأحفاده أكثر من قرن (من سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٩م إلى سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)، ثم استولى أحفاد مماليكه البرجية على الحكم سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م وظلوا يحكمون مصر حتى سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وسمِّي هؤلاء شراكسة، كما سمُّوا أيضاً بالمماليك البرجية، وقد أطلق عليهم هذه التسمية السلطان خليل بن قلاوون عندما قسَّم المماليك إلى طوائف، وأسكن طائفة الشركس في أبراج القلعة.

عندما توفي السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وهو محاصر الصليبيين في دمياط، قادت زوجته شجرة الدر الأمور مع القواد بسبب غياب ابنه طوران شاه في الجزيرة في الشام، وحين عاد

طوران شاه حقد عليه قواده فقتلوه لجبروته وسوء رأيه فيهم، وسلطنوا عليهم شجرة الدر بوصفها زوجة الملك الصالح الأيوبي. بعد ذلك تزوجت شجرة الدر أحد قواد المماليك عندها، ويسمى أيبك، ليكون السلطان معها، ولما تبينت أنه يعمل للزواج من بعض أميرات البيت الأيوبي قتلته، فانتقم منها مماليكه بقتلها وتنصيب ابن أيبك علي الصغير سلطاناً.

مع ازدياد الخطر المغولي، ودخوله الموصل وحلب ودمشق، استغل المملوك قطز، أتابك السلطان الصغير علي، الفرصة ونصب نفسه سلطاناً بدعم من مماليكه وتلقب بالمظفر وخرج لطرد التتر، وانتصر عليهم في معركة عين جالوت الفاصلة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، وقتل قائد المغول كتبغا، مما جعل الحكم المملوكي يتوطد. وحاول المماليك توطيد شرعية حكمهم باستجلاب الخلافة العباسية إلى مصر، وبمتابعة حرب الصليبيين ثلاثين عاماً حتى اقتلعوهم من بلاد الشام.

وكان السلطان بيبرس، الذي قتل قطز وهو عائد من عين جالوت ونصَّب نفسه سلطاناً بدلاً عنه، هو بطل تلك التطورات مما أعطاه سمعة كبيرة في العالم الإسلامي. وبعد وفاة بيبرس سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، تسلطن ابنه السعيد ناصر الدين، ومن بعده أخوه سلامش، ثم استلم الحكم السلطان قلاوون ومن بعده ابنه خليل الذي أكمل إخراج الصليبيين من عكا سنة ٦٩١هـ/ ١٢٩١م، على الرغم من تحالفهم مع المغول، وألجأهم إلى قبرص، وخلَّص بلاد الشام ومصر من الخطر الصليبي والمغولي معاً.

ويمكن اعتبار عهد المماليك البحرية عهد الوراثة، في حين كان عهد المماليك البرجية (الشراكسة) عهد اللاوراثة. فقد حكم في العهد الأول السلطان قلاوون وأولاده وأحفاده، أما عهد المماليك الشراكسة البرجية فقد حكم منهم ٢٥ سلطاناً خلال ١٣٤ سنة، وكان منهم تسعة فقط متفرقي الأصل حكموا ١١٩ سنة بينما حكم الباقون، وهم ١٦ سلطاناً، مدة ١٥ سنة فقط. وأبرز هؤلاء السلاطين: برقوق وقايتباي وقانصوه الغوري الأخير؛ وفي عهودهم ثبت مبدأ اللاوراثة في العرش والاعتماد على أقدمية المملوك وكثرة إخوانه (خشداشية)، ولم يكن الابن يخلف أباه إلا ريثما يتفق المماليك على السلطان الجديد.

وفي القرن الخامس عشر الميلادي أصبح العثمانيون الأعداء الرئيسيين للمماليك. وكان آخر السلاطين المماليك ذوي الشأن الحقيقي هو قانصوه الغوري الذي قتل في معركة مرج دابق قرب حلب سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م مع العثمانيين، واحتل السلطان سليم الأول العثماني بعد ذلك الشام ومصر اللذين تحولا إلى ولايات للأمبراطورية العثمانية، مع أن الطبقة العسكرية من المماليك ظلت تسيطر على مصر سيطرة فعلية حتى قضى عليها محمد علي باشا في العام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م في مذبحة القلعة.

وفي أيام المماليك نعمت مصر والشام بالرخاء الاقتصادي عامة، وبالغنى العظيم خاصة بعدما عمل المماليك على إقامة علاقات ودية تجارية واسعة مع مختلف القوى المسيحية في حوض البحر المتوسط.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٣٥٦.

* * *

تعود ظاهرة جلب المماليك واعتمادهم في الجيش إلى عهد الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) الذي استقدمهم من تركستان لمجابهة تحديات العرب والفرس. ولكنهم، بمرور الوقت، تجاوزوا مهماتهم العسكرية وأخذوا يتحكمون في السياسة والإدارة وشكلوا مركز قوة مارست ضغوطاً متزايدة على مؤسسة الخلافة.

ثم ما لبثت ظاهرة الاستجلاب هذه أن ازدادت اتساعاً في العصور التالية، وتجاوزت التركستان إلى أقاليم أخرى في بلاد القوقاز والقفجاق وشبه جزيرة القرم وآسيا الصغرى وبلاد فارس وما وراء النهر، فأصبح فيهم، فضلاً عن الأتراك، الشراكسة والروم والأكراد وحتى الأوروبيين.

والمماليك، جمع مملوك، وهو الذي اشتري بالمال وأصبح ملكاً لشاريه. وكان المماليك يعتزون بهذه التسمية، ويخضعون لتدريب صارم عبر مراحل متعددة، ويتلقون قدراً مناسباً من التعليم ثم يلتحقون بخدمة سادتهم سواء في الإدارة أم الجيش. وكانوا يكوِّنون طبقة منفصلة عن سكان مصر والشام فلا يتزوجون منهم إلا نادراً، ويؤثرون الكلام برطانة تميزهم عن سائر السكان.

وقد اتفق المؤرخون على تقسيم المماليك إلى قسمين، يعرف أولهما بالمماليك البحرية، وهم الذين جلبهم الملك الصالح نجم الدين أيوب وبنى لهم قلعة بجزيرة الروضة وحشدهم بها ومعظمهم من الأتراك، واختار منهم فرقة للأسطول سميت الفرقة البحرية، ولذا سموا بالمماليك البحرية، وربما كانت تسميتهم بسبب إقامتهم في جزيرة الروضة. وقد حكم هؤلاء بين سنتي ٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢م. أما المجموعة الأخرى فهم شراكسة اشتراهم السلطان قلاوون لتثبيت ملكه وذريته من بعده، وحكموا بين سنتي ٧٨٣ ـ ٩٢٢هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م حيث هزموا أمام السلطان العثماني سليم الأول، وسموا بالشراكسة نسبة إلى بلادهم الواقعة في جورجيا (أو بلاد الكرج) بين بحر قزوين والبحر الأسود، وقد يسمون أيضاً بالمماليك البرجية نسبة إلى سكناهم في أبراج القلعة.

وقد أخذ نجمهم يلمع خلال الحملة الصليبية السابعة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع، والتي وصلت دمياط سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، وكان الملك الأيوبي الصالح أيوب قد استعد لها لكن المرض خانه فضلاً عن كثرة الصليبيين وقوة أسلحتهم الأمر الذي مكنهم من احتلال دمياط. وما لبث الصالح أن مات فاستدعي ابنه توران شاه من بلاد الشام. وتمكن قادة المماليك من ملء الفراغ، فجاهدوا الصليبيين بقوة وهزموهم شر هزيمة وأسروا ملكهم وقتلوا من جيشه أعداداً كبيرة. وعلى أثر ذلك ازدادت قوة المماليك وانقلبوا على توران شاه الذي لم يحسن التعامل معهم فقتلوه سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م ثم ما لبثوا بعد سنتين أن أزالوا الحكم الأيوبي بمصر وأنشأوا دولة جديدة هي دولة المماليك التي قدر لها أن تلحق، بعد أقل من عقد من الزمن، أول هزيمة منكرة بالمغول في عين جالوت بفلسطين (٦٥٩هـ/ ١٢٦١م) بقيادة سيف الدين قطز، والظاهر بيبرس، وأن تحمي مصر والبلاد الإسلامية من الانهيار والدمار.

ليس هذا فحسب، بل إن المماليك تمكنوا، بمعاونة من بقي من الأيوبيين في بلاد الشام، من طرد بقايا الصليبيين هناك، فحرروا طرابلس سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، وبعد سنتين (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) تم تحرير عكا، آخر أكبر المعاقل الصليبية في فلسطين.

عماد الدين خليل

المراجع: ٩٥، ١١٩، ٢٩٢، ٣٥٦، ٤٩٠، ٥٥٨.

* * *

منُّو سَمَرتي

إن الڤيدا عند الهندوس فيها نوعان:

ڤيدا سروتي: وقيل: إنها التعاليم التي تلقَّن مع المداومة والصبر.

ڤيدا سمرتي: والغالب أنها مجموعة التعاليم التي تمت كتابتها عن طريق التذكر للتعاليم المتوارثة، والتي كانت تنتقل شفهياً عبر الأجيال.

وكتاب منُّو سمرتي، أو شرع منُّو، هو الڤيدا سمرتي، ويتوزع في اثني عشر باباً، كل باب

مخصص لموضوع معين، وتؤلف مجموع هذه الأبواب ٢٦٨٥ فقرة.

يقول إحسان حقي عنه: «وإذا شئنا أن نصف منُّو سمرتي قلنا إنه مجموعة متناقضات، إذ بينما نراه يرتفع بتشريعه إلى أعلى درجات العقل والإدراك وسلامة الذوق والتفكير نراه ينحدر فجأة إلى درجة من السخافة والإسفاف المخجل. ولئن دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على أن هذا الكتاب كتب في أوقات متباعدة، وبأيدي أناس مختلفين اختلافاً كبيراً في العلم والعقل والإدراك».

أسعد السحمراني

المراجع: ٢٧، ٥٣٧.

* * *

مهاتما

لفظة هندية من مقطعين: مها ـ آتما، أو آتمن.

مها: معناها العظيم أو الأعظم، وآتما أو آتمن، معناها الروح.

وبذلك يكون معنى مهاتما: الروح العظيم. وهذا اللقب يطلقه الهنود على القديسين والصالحين، وقد أعطوه في أوائل القرن العشرين للمصلح غاندي فاشتهر باسم: المهاتما غاندي.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٤٦، ٣٩١، ٥٣٧.

* * *

المؤلفة قلوبهم

في اللغة: ألف الشيء، أو الرجل: أنس به. وألَّف بينهم أي جمع بينهم بعد تفرق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال/٦٣]، أي ما جمعت بين قلوبهم، وجعلت بعضهم يأنس ببعض. أما «المؤلفة قلوبهم» في المصطلح، فقد وردت الإشارة إليهم في الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة/٦٠]، وهم نفر من سادات العرب، ضعيفو الإيمان، أمر الله تعالى نبيه في أول الإسلام بأن يتألفهم لِيُرَغِّبوا من وراءهم بالإسلام، ولا يكونون عوناً لأعدائه. وأبرز مثل في تاريخ الإسلام على ذلك ما حدث يوم توزيع غنائم «غزوة حنين»، بعد فتح مكة، وكان عدد كبير من سادة قريش دخل في الإسلام يومها، وخرج في جيش الرسول ﷺ إلى حنين، فأعطاهم الرسول من تلك الغنائم حتى أرضاهم، الأمر الذي أغضب الأنصار، وهم كانوا أهل البلاء والصبر في حنين، فقال لهم ما معناه: (إني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم) ويشبه هذا دفع الأموال في العصر الحاضر إلى الصحف الأجنبية، ومحطات البث الفضائي، وأصحاب القرار في دول أخرى، لتدعو إلى قضايا دافع المال، وتتبنى وجهة نظره، وتدافع عنها.

وعندما عزَّ الإسلام، وانتشر، ولم يعد بحاجة إلى أمثال هؤلاء الناس أوقف دفع سهم المؤلفة قلوبهم، ويروى أن عمر بن الخطاب هو الذي أوقف الدفع لهم. وهذا لا يمنع أيَّة دولة مسلمة في المستقبل أن تتألف قلوب أعدائها، إن رأت مصلحة لها في ذلك.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٤٦٦، ١/٥٦٠.

* * *

الموارنة

ينتسب الموارنة إلى القديس مارون، وهو ناسك عاش في القرن الرابع في سوريا الشمالية. أتى ذكره في نصَّين، الأول لتاودوريطس، أسقف مدينة قورش، والثاني لبطريرك القسطنطينية يوحنا فم الذهب.

بعد وفاته حوالي سنة ٤١٠م، بنى أتباعه

الرهبان ديراً بالقرب من أفاميا على العاصي، حيث دفنوه، وأكملوا نمطاً رهبانياً كان قد رسمه لهم.

يقول أبو الفداء إن الدير بُني سنة ٤٥٢م، بأمر من الأمبراطور البيزنطي مرقيانوس، أما المسعودي فيقول: إن الدير كان مؤلفاً من ثلاثمئة غرفة.

منذ تأسيس هذا الدير حمل الرهبان الموارنة تراث المدرسة اللاهوتية الأنطاكية فكوَّنوا مذهباً فكرياً قبل أن يصبحوا طائفة، وتحوَّل دير مار مارون على العاصي مركز إشعاع ديني منذ أواسط القرن السادس، حيث تكاثرت أديرة الموارنة على ضفاف العاصي وبلغ عددها حوالي الثلاثين، فسمِّي رهبانها والمؤمنون الذين جاوروها لأول مرَّة موارنة.

من ناحية أخرى، بدأ رهبان مار مارون بالتوجه جنوباً بمحاذاة نهر العاصي حتى وصلوا إلى سهل البقاع، ومنه قصدوا الجبال اللبنانية التي كانت ما تزال ملجأً للوثنية، والفضل يعود إليهم بتحوُّل سكان جبل لبنان إلى المسيحية ابتداءاً من القرن الخامس. أشهر هؤلاء الرهبان إبراهيم القورشي الذي بشَّر في أعالي منطقة جبيل وأعطي اسمه فيما بعد لنهر إبراهيم بحسب التقليد.

بين القرنين الخامس والسابع كان رهبان الموارنة وأديرتهم رأس الحربة في الدفاع عن العقيدة المسيحية الكاثوليكية في وجه البدع التي نشأت في ذلك الوقت، وأدَّت إلى انقسامات في الكنيسة، وأهمها البدعة المونوفيزية، فاصطدموا مع دعاتها في سوريا الشمالية وأهمهم السريان اليعاقبة.

على أثر الزحف الفارسي على سوريا سنة ٦٠٩م خلا الكرسي الأنطاكي حتى سنة ٦٨٥م حيث دعا البابا إكليروس أنطاكية إلى انتخاب بطريرك، فانتخبوا يوحنا مارون أسقف البترون منذ سنة ٦٧٦م. لم توافق الدولة البيزنطية على هذا الانتخاب فأمر الأمبراطور بالقبض على البطريرك الذي لجأ إلى دير مار مارون على العاصي. عندها أرسل الأمبراطور حملة عسكرية لتنفيذ المهمة.

استنجد البطريرك بابن أخته إبراهيم الذي كان أميراً على جبل لبنان فأرسل إليه اثني عشر ألف مقاتل اصطحبوه إلى قلعة سمار جبيل في منطقة البترون.

وفي أواخر ربيع سنة ٦٩٤م وصلت الحملة البيزنطية إلى دير مار مارون فخربته وفتكت فيه بخمسمئة راهب، ثم اتجهت إلى طرابلس ومنها إلى الكورة حيث اصطدمت باللبنانيين الذين هزموها.

بعد خراب دير مار مارون، أنشأ البطريرك يوحنا مارون ديراً آخر على اسم القديس مارون في كفرحي في منطقة البترون ونقل إليه هامة القديس.

وبوصول العرب إلى سوريا في القرن السابع تحالفوا مع اليعاقبة، فبدأت المضايقات ضد الموارنة الذين بدأوا بالهجرة إلى لبنان، حيث تمكنوا من ممارسة شعائرهم الدينية بحرية. ومن أقدم الكنائس التي بنوها في لبنان وما زالت قائمة حتى اليوم، كنيسة مار مارون في إهدن سنة ٧٤٩م، كما توجَّه قسم من الموارنة إلى جزيرة قبرص حيث أسَّسوا أول دير لهم في القرن التاسع.

وفي أوائل القرن العاشر هدم السلطان الإخشيدي محمد بن طغج دير مار مارون على العاصي، فانتقل مقرُّ البطريركية المارونية نهائياً إلى جبل لبنان سنة ٩٣٩م بحسب الدويهي. والمرجح أن أول بطريرك استقرَّ في لبنان كان يوحنا الثاني الذي سكن دير سيدة يانوح.

منذ أن أقرَّ العرب الحقوق الزمنية لرؤساء الطوائف المسيحية، انتظم الموارنة تحت سلطة بطاركتهم الذين عاونهم الأساقفة والمقدمون في تنظيم المجتمع الماروني وقيادته سياسياً.

وعند وصول الصليبيين إلى الشرق سنة ١٠٩٩م أمدَّهم الموارنة بالمؤن والأدلاء لإرشادهم على الطريق الساحلي نحو القدس. وبعد تأسيس الدويلات الصليبية شملت كونتية طرابلس جميع المناطق المارونية من جبل لبنان التي امتدَّت من عكار شمالاً حتى نهر الكلب جنوباً.

في أيام الصليبيين تعزَّزت العلاقات بين الموارنة والكرسي الرسولي، ونَعِم الموارنة بطمأنينة نسبية. وكان البطريرك بطرس الأول قد انتقل إلى وادي إيليج في ميفوق سنة ١١٢١م، بعد أن بقي البطاركة في يانوح حوالي ١٨٠ سنة.

مرَّت العلاقات بين الموارنة والصليبيين بأزمات عدَّة منها ما كان لاهوتياً ومنها ما كان سياسياً، لكن الخلاف الأساسي كان على شكل الحكم الذي كان وراثياً عند الصليبيين، بينما كان شعبياً عند الموارنة؛ إذ أن البطريرك كان رأس النظام ويستمدُّ سلطته من الشعب الذي يوافق على انتخاب الأساقفة له. والمقدَّمون، حكام القرى الكبيرة، كانوا منتخبين من الشعب ويتبعون البطريرك مباشرة. كما أن الموارنة رفضوا محاولات الصليبيين امتصاص نزعتهم الاستقلالية وسعي الكنيسة الرومانية إلى السيطرة عليهم.

بالرغم من ذلك فقد دفع الموارنة ثمن الحكم الصليبي غالياً، خصوصاً بعد وقوع المنطقة تحت حكم المماليك الذين هاجموا جبَّة بشري سنة ١٢٨٢م، وقبضوا على البطريرك دانيال الحدشيتي الذي أُحرق بأمر من السلطان المنصور قلاوون.

تتالت بعد ذلك حملات المماليك على المناطق المارونية من جبل لبنان وبلغت ذروتها سنة ١٣٠٧م، وكان من نتيجتها نزوح عدد كبير من الموارنة إلى جزيرة قبرص حيث بلغ عددهم حوالي ثمانين ألفاً توزعوا على اثنين وسبعين قرية.

وعلى أثر الغارة التي قام بها بيار ده لوزينيان (Pierre De Lusignan) ملك الصليبيين في قبرص سنة ١٣٦٦م على الإسكندرية، قبض المماليك على البطريرك جبرائيل حجولا وأحرقوه في طرابلس في أول نيسان سنة ١٣٦٧م.

وفي سنة ١٤٤٠م انتقل البطريرك يوحنا الجاجي إلى وادي قنوبين بعد أن اتهمه المماليك بالتآمر ضدهم بعد إيفاده راهباً فرنسيسكانياً كي ينوب عنه في مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩م.

بقي البطاركة في دير السيدة في الوادي المقدس حوالي أربعة قرون، تعاقب خلالها على الكرسي ٢٤ بطريركاً إلى أن انتقل البطريرك يوسف حبيش إلى الديمان سنة ١٨٣٥م. أما بكركي فقد أصبحت كرسياً بطريركياً سنة ١٨٥٦م بقرار من البطريرك بولس مسعد.

في القرن الخامس عشر بدأ المرسلون الأجانب بالتوافد إلى لبنان، فاستغلوا علاقة الموارنة الوطيدة بروما واشتدَّت موجة اللّيتنة وبدأ تغرُّب الموارنة.

وفي أيام البطريرك ميخائيل الرزِّي، وصل إلى لبنان وفدان رسوليان، الأول سنة ١٥٧٨م، والثاني سنة ١٥٨٠م، تبعهما وفد ثالث سنة ١٥٩٦م، وكان من أهم نتائج هذه الزيارات تأسيس المدرسة المارونية في روما في سنة ١٥٨٤م بقرار من البابا غريغوريوس الثالث عشر الذي أوكل إدارتها إلى الآباء اليسوعيين، فخرَّجت رعيلاً كبيراً من رجال الدين الموارنة الذين نقلوا الفكر السرياني إلى الغرب ورجع قسم منهم إلى لبنان وتسلَّم إدارة الكنيسة المارونية وكان رائد النهضة في الشرق.

وكان من نتيجة هذه الزيارات أيضاً بدء مرحلة جديدة من العلاقات بين روما والكنيسة المارونية أدَّت إلى وضع أسس ليتنة منظمة لها، إذ عقد البطريرك يوسف الرزِّي مجمعاً سنة ١٥٩٨م اعتبر مفصلاً مهمَّاً في سلوك الكنيسة المارونية طريق اللّيتنة الكاملة.

وخلال القرن السادس عشر بدأ عدد من موارنة كسروان والشمال بالتمركز في مناطق عاليه والشوف بناء لطلب الدروز للاهتمام بزراعة الأراضي، وكانت علاقة متينة تشدُّ بين الجانبين. ولتثبيت الموارنة في أرضهم اعتنى الدروز بتشييد الكنائس لتمكينهم من ممارسة شعائرهم الدينية.

أما القرن السابع عشر فكان عهد ازدهار وتوسُّع بالنسبة للموارنة، إذ بدأ خريجو المدرسة المارونية يتسلَّمون مقاليد طائفتهم كالبطريركين جرجس

عميرة وأسطفان الدويهي، كما تنظمت الرهبانيات المارونية وأسّست المدارس في عدد كبير من القرى اللبنانية.

وفي سنة ١٧٣٦م انعقد المجمع اللبناني الذي أعطى الكنيسة المارونية شرعتها الدستورية. وكان البطريرك يوسف ضرغام الخازن قد طلب من روما إيفاد المونسنيور يوسف سمعان السمعاني إلى لبنان للإشراف على هذا المشروع الإصلاحي، الذي ارتكز على دراسة ثلاثة مواضيع أساسية هي: تثقيف الكهنة، تقسيم الأبرشيات والأديرة المختلطة. لاقى هذا المشروع معارضة أدّت إلى مشاورات مع الكرسي الرسولي انتهت سنة ١٧٤١م بإقراره نهائياً من قبل البابا بندكتس الرابع عشر.

أعطى هذا المجمع دستوراً كاملاً ونهائياً للكنيسة المارونية، وأصبح مثالاً أخذت عنه الكنائس الشرقية، الأخرى. فمنذ القرن السادس عشر لعب الموارنة دوراً مهماً في ارتداد قسم من الكنائس الشرقية وانضمامها مجدداً إلى الكنيسة الكاثوليكية عن طريق تسهيل عمل المرسلين، الذين عملوا على إعادة الوحدة إلى الكنيسة. ولما انضمت فئات أرمنية وبيزنطية وسريانية إلى الكنيسة الكاثوليكية شنّت عليها الفئات الأرثوذكسية حملات اضطهاد بالاتفاق مع الولاة العثمانيين، فالتجأت الفئات المضطهدة إلى جبل لبنان، واحتمت بالموارنة الذين ساعدوها روحياً ومادياً.

في القرن التاسع عشر، واجه الموارنة أوضاعاً صعبة بين سنتي ١٨٤٠م و ١٨٦٠م على أثر الأحداث التي عصفت بلبنان بسبب التدخلات الخارجية وأطماع الدول بأراضي الدولة العثمانية.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، كلف مجلس إدارة جبل لبنان البطريرك إلياس الحويك بالمطالبة باستقلال لبنان أمام مؤتمر الصلح المنعقد في باريس سنة ١٩١٩م، فاعترفت له فرنسا بحدود لبنان التاريخية وعرف بأبي الاستقلال.

وفي أيام الانتداب الفرنسي بقي البطريرك الماروني المرجع الأساسي للحياة السياسية ـ اللبنانية. تجدّد هذا الدور عند اندلاع الحرب الأهلية سنة ١٩٧٥م، وتشرذم القيادات السياسية المارونية التي بدأت صراعاً أدى إلى استبعادها عن مراكز القرار. وما يزال البطريرك الماروني حتى اليوم يجسّد القرار اللبناني الحرَّ في بكركي التي ما تزال مرجعية وطنية لجميع اللبنانيين.

كريستيان الحلو

المراجع:

* * *

الموحدون (٥٢٤ ـ ٦٦٨هـ/ ١١٣٠ ـ ١٢٦٩م)

دولة الموحدين

٥١٥ ـ ٥٢٢هـ	أبو عبد الله محمد بن تومرت	١١٢١ ـ ١١٢٨م
٥٢٤هـ	عبد المؤمن	١١٣٠م
٥٥٨هـ	أبو يعقوب يوسف الأول	١١٦٣م
٥٨٠هـ	أبو يوسف يعقوب المنصور	١١٨٤م
٥٩٥ ـ ٦١٠هـ	محمد الناصر لدين الله	١١٩٩ ـ ١٢١٣م
٦١١هـ	أبو يعقوب يوسف الثاني المستنصر بالله	١٢١٤م
٦٢٠هـ	أبو محمد عبد الواحد المخلوع	١٢٢٤م
٦٢١هـ	أبو محمد عبد الله العادل	١٢٢٤م
٦٢٤هـ	المأمون	١٢٢٧م
٦٣٠هـ	أبو محمد عبد الواحد الرشيد	١٢٣٢م
٦٤٠هـ	أبو الحسن علي السعيد المقتدر بالله	١٢٤٢م
٦٤٦هـ	أبو حفص عمر المرتضى	١٢٤٨م
٦٦٥هـ	أبو العلاء الواثق بالله	١٢٦٦م

يمثل الموحدون حركة احتجاج من الناحية الفكرية ضد المذهب المالكي السائد في المغرب والمتّسم بالتشدد والمحافظة، وضد مذهب المجسِّمة الذي يفسِّر الآيات القرآنية التي بها تشبيه للذات الإلَهية تفسيراً حرفياً، فاتجهوا اتجاهاً مخالفاً، خلاصته أن الله سبحانه وتعالى وحدة لا

يتصورها العقل الإنساني، وهو فوق التشبيه، وأن آيات التجسيم تحمل معنى مجازياً ليس غير، والله سبحانه منزَّه عن التشبُّه بالخلق، والقول بغير ذلك كفر. وقد درس مؤسس الحركة محمد بن عبد الله ابن تومرت، وهو من أهل السوس في المشرق، على الإمام الغزالي، الذي كان المرابطون الأخيرون قد أحرقوا كتابه «إحياء علوم الدين»، ورجع سنة ٥١٥هـ/ ١٠٢١م فعبر المغرب كله بأفكار أصلاحية أخلاقية تدعو للزهد والتقشف وقوة الإيمان، وترفض التشبيه والتجسيم السائدين والتعصب للنصوص، وتروِّج للمذهب الأشعري، ولقب نفسه بالمهدي. وبعد وفاته سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م، تولى تلميذه ومساعده عبد المؤمن بن علي الحركة، ولقب نفسه بأمير المؤمنين، وخليفة ابن تومرت.

وقد توسع الموحدون تدريجياً في المغرب سنة ٥٤٧هـ/ ١١٢٣م، وبدأوا بالحروب مع المرابطين ما بين سنة ٥٢١هـ و ٥٢٤هـ، وهزموا في هذه السنة هزيمة منكرة توفي من بعدها ابن تومرت وكتم أصحابه وفاته ثلاث سنوات، ثم بايعوا عبد المؤمن الذي دحر المرابطين بين سنة ٥٣٣هـ و ٥٣٨هـ، ثم استولى بعد ذلك على تلمسان ووهران وفاس وسبتة، ثم دخل مراكش سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م واتخذها عاصمة له.

وزحف بعد ذلك على الأندلس حيث ورث المرابطين هناك، كما ورثهم في الشمال الإفريقي. وقد سعى صلاح الدين الأيوبي إلى عقد حلف مع هذه الدولة وطلب منها المساعدة البحرية ضد الفرنجة.

وبعد الهزيمة التي نزلت بالموحدين في موقعة حصن العقاب بالأندلس عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م على أيدي تحالف الملوك المسيحيين في شبه جزيرة إيبيريا، دبَّ الضعف في جسم الدولة وعلا سلطان الوزراء، فآذن ذلك بتفكك الدولة، وظهر بنو حفص في تونس، وبنو زيان بتلمسان، وبنو مرين بمراكش. وقد احتل بنو مرين مراكش عاصمة الموحدين سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م وانتهت بذلك دولة الموحدين.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٣٦، ١٥٢، ٢٥٧، ٣٥٥.

المورمون

طائفة نصرانية منشقة عن الكنيسة المسيحية، تدعو إلى تطهير دين المسيح بالعودة به إلى الأصل، أي إلى كتاب اليهود. ذلك أن المسيح، في نظرهم، جاء لينقذ اليهود من الاضطهاد وليمكنهم من الأرض. إنها، كما تسمي نفسها، طائفة القديسين المعاصرين لكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة.

كان جوزيف سميث (١٨٠٥ ـ ١٨٤٤م) المؤسس الأول لكنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة عام ١٨٣٠م، كما يعتبر النبي الأول لها. وقد رحل سميث بأتباعه عن نيويورك إلى مدينة كيرتلاند المجاورة لمدينة كليفلاند بولاية أوهايو، حيث شيَّد هناك هيكلاً عظيماً، كما قام بعمل تبشيريٍّ واسع النطاق في تلك المنطقة وما جاورها، ثم آلت رئاسة الطائفة والنبوة بعده إلى بريجام يونغ الذي رحل بالقوم إلى جبال روكي، حيث قرر لهم مكان إقامتهم، فبنوا مدينة سولت ليك بولاية يوتاه. وقد تتابع أنبياؤهم الذين هم رؤساء الكنيسة، بعد يونغ، على النحو التالي:

٣ ـ جون تيلور. ٤ ـ ويلفورد وودروف. ٥ ـ لورينزو سنو. ٦ ـ جوزيف ف. سميث. ٧ ـ هيبر غرانت. ٨ ـ جورج ألبرت سميث. ٩ ـ دافيد مكاي. ١٠ ـ جوزيف فيلدينغ سميث. ١١ ـ هارولد لي. ١٢ ـ سبنسر كمبل، الذي ما زال نبياً ورئيساً لهم إلى الآن.

كتابهم المقدس هو «المورمون»، وهو سجل مقدس لبعض الناس الذين عاشوا في أميركا بين

٢٠٠٠ ق.م. إلى ٤٠٠م. وهو يروي قصة زيارة يسوع المسيح لشعب القارة الأميركية بعد قيامه من الأموات مباشرة، كما يعتقدون. وهذا الكتاب يعدّ الحجر الأساسي لديهم، وإن الإنسان المورموني يتقرب إلى الله بطاعة تعاليمه. وقد قام جوزيف سميث بترجمته إلى اللغة الإنكليزية بموهبة الله وقوته، وقد نزل به ملاك من السماء اسمه (موروني) على جوزيف سميث.

ومن الكتب المقدسة لديهم اليوم، إضافة إلى «المورمون»، «الكتاب المقدس» بعهديه القديم والجديد، وكتاب المبادىء والعهود، وهو مجموعة من الرؤى الحديثة التي تخص كنيسة يسوع المسيح كما أعيدت إلى أصلها في هذه الأيام الأخيرة، وهو يوضح تنظيم الكنيسة وأعمالها ووظائفها، وفيه نبوءات عن حوادث ستأتي، وفيه تعاليم الكتاب المقدس. و «الخريدة النفيسة» ويحتوي على: «سفر موسى»، وفيه بعض رؤى موسى وكتاباته كما كشفت لجوزيف سميث في العام ١٨٣٠م، و «سفر إبراهيم» وفيه ترجمة جوزيف سميث من درج بردي مأخوذ من مقابر المصريين القدماء، وكتابات جوزيف سميث ذاته التي تحتوي على جزء من ترجمة الكتاب المقدس، ومختارات من تاريخ الكنيسة المورمونية وبنود الإيمان لديهم ورؤية المملكة السماوية، و «رؤية فداء الأموات» وهي تروي زيارة يسوع المسيح للعالم الروحي، وهي رؤية أعطيت للرئيس جوزيف سميث في ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨م.

وهم يعتقدون بأن الله هو على شكل إنسان له لحم وعظام، ويؤكدون على أن الإلّه متطور عن الإنسان، وأن الناس يمكنهم أن يتطوروا إلى آلهة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ويعتقدون أن المسيح ضُرِب وعُذِّبَ ومن ثم صُلِب ليسجل انتصاره على الخطيئة، وقد ظل جسده ثلاثة أيام في القبر ثم عادت إليه روحه فقام متغلباً على الموت، وبعد قيامه بقليل ظهر في أميركا وأسس كنيسته ثم صعد إلى السماء. وقد دخلت الوثنية إلى العقيدة المسيحية، كما حارب رجال الدين بعضهم بعضاً مما استوجب نزول المسيح مرة أخرى مع الله، وهبوطهما على جوزيف سميث بغية إعادة العقيدة المسيحية إلى الأرض مرة أخرى كما كانت في الأصل.

وهم يقدسون يوم السبت لأن الله استراح فيه بعد انتهائه من خلق الكون، ولقد كان قيام المسيح بعد صلبه في يوم الأحد الذي صار محل تقديس عوضاً عن يوم السبت. كما يحرمون شرب النبيذ والمسكرات الروحية والتبغ والدخان بكل أنواعه ويمتنعون عن شرب القهوة والشاي، وينبهون إلى عدم الإسراف في أكل اللحم، من دون تحريم، ويبيحون تناول الفواكه والخضر والبقول، مركزين على القمح، كما يبيحون تعدد الزوجات، ويجيزون للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء لأن في ذلك إعادة لما شرعه الله في الأزمان الغابرة. وقد تخلوا عن التعدد، ظاهرياً، في عهد نبيهم الرابع ويلفورد، نتيجة للضغط الشديد الذي واجهوه من الطوائف الأخرى، وكذلك بغية تمكنهم من الانضمام إلى السلطات الاتحادية. ويحرمون الزنى تحريماً مطلقاً، والذي يخطىء يمكنه التوبة والرجوع عن كل خطاياه.

وقد آمن بفكرة المورمون كثير من النصارى، وقد بلغ عدد أفراد هذه الطائفة أكثر من خمسة ملايين، ثمانون بالمئة منهم في الولايات المتحدة الأميركية ويتمركزون في ولاية يوتاه، ولهم في معظم أنحاء العالم فروع ومكاتب ومراكز لنشر أفكارهم ومعتقداتهم ويوزعون كتبهم مجاناً. ودعوتهم تأتي خدمة لمصلحة إسرائيل وتأكيداً لأهدافها المرسومة حيث يتعانق الفكر الصليبي مع الفكر الصهيوني في نظرتهم إلى فلسطين وإلى القدس، عاملين على ربط صهيون، أو القدس الجديدة، بالأرض الأميركية المقدسة، حسب وصايا الرب، انتظاراً لعودة المسيح الذي سيعود

ليملك الأرض ويملأها جنات، فيقولون عن فلسطين في كتاب المورمون، في الإصحاح العاشر، الفقرة (٣١): «فاستيقظي وانتفضي من الثرى يا أورشليم، نعم، والبسي حللك الجميلة، يا ابنة صهيون...». ويقولون في الإصحاح الرابع عشر، فقرة (٦) مخاطبين المورمون: «لا تعطوا القوس للكلاب ولا تطرحوا دوركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت لتمزقكم». ويقولون: إنه ستكون هناك عاصمتان في العالم: الأولى في أورشليم، والثانية في أميركا؛ لأن صهيون تخرج من الشريعة، ومن أورشليم تخرج كلمة الرب.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٥٤٥، ٥٤٦.

* * *

المونوتولية

تعني الكلمة، في الأصل اليوناني، عقيدة الإرادة الواحدة.

وهي هرطقة انتشرت في محيط بطريرك القسطنطينية سرجيوس الأول خلال القرن السابع للمسيحية. ففي سعيه للتوفيق بين أنصار المونوفيزية، التي تنادي بالطبيعة الواحدة في المسيح، وأنصار المجمع الخلقيدوني الذي نادى بالطبيعتين، سعى سرجيوس الأول إلى إيجاد مفهوم توفيقي يجمع فيه بين طاقة الفعل في المسيح والطبيعتين.

وبتطور هذه النظرية اعتبر سرجيوس الأول أن الكلام على طاقتين في المسيح يؤدي إلى وجود إرادتين فيه تتناقضان وهما: الإرادة الإلّهية والإرادة الإنسانية. من هنا تأكيده بصورة ضمنية على الإرادة الواحدة في المسيح.

انتشرت هذه العقيدة في كنائس الشرق مما حمل البابا مارتينوس الأول سنة ٦٤٩م على إعلان وجود طاقتين في المسيح، وبالتالي إرادتين.

أدان مجمع القسطنطينية الثالث، المنعقد سنة ٦٨١م، هذه العقيدة المونوتولية، مؤكداً على الإرادتين في المسيح.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *

المونوفيزية

تعني كلمة مونوفيزية، في الأصل اليوناني، عقيدة الطبيعة الواحدة.

وهي هرطقة نشرها أوتيخوس في القسطنطينية في منتصف القرن الخامس للمسيحية. وفي تعليم هذا الراهب أن اتحاد الكلمة الأزلي مع الحقيقة الإنسانية في المسيح أعطى طبيعة واحدة فيه، أي أن إنسانية المسيح قد ذابت في ألوهيته كما تذوب نقطة من العسل في الأوقيانوس.

أدان المجمع الخلقيدوني، المنعقد سنة ٤٥١م، هذه العقيدة مؤكداً على الطبيعتين في المسيح. انتشرت المونوفيزية في كنائس الشرق الأوسط وخاصة لدى الأقباط في مصر والحبشة، ولدى اليعاقبة في سوريا والعراق ولدى الأرمن.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *



ناموس

ترد اللفظة، أيضاً، بمعنى «شريعة»، وهي التعليم الذي أعطاه الله للبشر لتنظيم سلوكهم. في العهد القديم الشريعة هي التوراة، أي الأسفار الخمسة الأولى التي ينسبها التقليد إلى النبي موسى. لذا، فإن العهد الجديد يطلق اسم «الشريعة» على النظام كله الذي كان هذا التشريع يشكل الجزء الأساسي فيه (رو ٥:٢٠) أو أحياناً، على العهد القديم كله من حيث أن غايته ـ بحسب منطق العهد الجديد ـ هو الهداية إلى المسيح (غل ٣:٢٣).

أما العهد الجديد فيتكلم عن «شريعة المسيح» (غل ٦: ١ ـ ..) الذي هو منشيء الشريعة الجديدة، شريعة المسيح المبنية على وصية المحبة (١ كو ٩:٢١، غل ٥:١٤).

ويرد مفهوم الشريعة أيضاً بمعنيين، فيقال: «الشريعة الطبيعية»، أي مشاركة الشريعة الأزلية في طبيعة الإنسان، علماً أن هذه المشاركة هي مبدأ عمل الإنسان، و «الشريعة الإلّهية» التي هي الشريعة الأزلية التي أقامها الله وأصدرها في الوحي.

بولس وهبة

المراجع: ٤٢٦، ٤٩٩، ٥٠٦.

* * *

نذر

النذر هو إيجاب فعل مشروع على النفس بالقول عند تحقق مطلوب، تعظيماً لله تعالى وشكراً.

١ ـ **حكمه**: النذر مكروه، لما فيه من معنى الاشتراط على الله تعالى، قال ﷺ: (لا يأتي ابنَ آدم النذرُ بشيء لم أكن قدَّرته له، ولكن يلقيه النذر وقد قدرته له، يستخرج به من البخيل).

٢ ـ **أنواعه**: النذر على أنواع هي:

أ ـ **النذر المنجَّز**، كقوله: «لله عليَّ صيام يوم كذا»، وهذا يجب الوفاء به، ولا كفارة له، إلا أن يعجز عن صيامه.

ب ـ **النذر بمعنى اليمين**: كقوله: «لله عليَّ الحج إن لم أفعل كذا»، وهذا إن حنث فيه فعليه كفارة يمين.

جـ ـ **النذر المعلق بشرط**: وهو على نوعين:

١) أن يحب الناذر حصول الشرط وحصول المنذور، كقوله: «إن شفى الله مريضي فلله عليَّ صيام شهر»، فهو يحب حصول الشفاء، ويحب أن يصوم شكراً لله تعالى على نعمة الشفاء، وهذا يجب الوفاء بالمنذور عند حصول الشرط، وهو هنا: الشفاء.

٢) أن لا يحب الناذر حصول الشرط ولا يحب حصول الجزاء، كقول القائل لزوجته: «إياك أن تخرجي من البيت هذا اليوم، وإن خرجت فلله عليَّ التصدق بجميع مالي»، فهو لا يحبها أن تخرج، ولا يحب التصدق بجميع ماله، وهذا النوع هو في حقيقته يمين، ولذلك فإنه إذا حنث فإنه يكون مخيراً بين الوفاء بما نذر ـ وهو التصدق بجميع ماله ـ وبين إخراج كفارة اليمين.

٣ ـ **الناذر**: النذر عبادة، ولذلك فإنه لا يُلزم به إلا من تلزمه العبادة، ولا تلزم العبادة إلا مسلماً

عاقلاً بالغاً. وهو إيجاب على النفس، ولا يملك الإيجاب إلا من كان مختاراً، ولذلك يشترط في الناذر أن يكون مختاراً، فلو أكره شخص على نذر، فإنه لا يلزمه الوفاء بهذا النذر.

٤ ـ المنذور:

أ ـ شروطه: يشترط في المنذور حتى يصح النذر به ما يلي:

١) أن يكون طاعة لله تعالى، من جنسه ما هو فرض أو واجب، كالصوم والصلاة والحج والصدقة، ونحو ذلك. وعلى هذا فإنه إن نذر أن يأتي معصية كشرب الخمر، لا يجب الوفاء به، بل يحرم الوفاء به، بل ينظر: فإن كان له بدل مشروع، وجب عليه أن يأتي بالبدل، كمن نذر أن يذبح ابنه، فإنه يذبح بدله كبشاً، وإن لم يكن له بدل مشروع وجبت عليه فيه كفارة يمين.

وإن نذر أن يأتي أمراً، فإنه لا يجب عليه الوفاء به، ويكون الناذر مخيراً بين الوفاء بما نذره، وبين كفارة اليمين، كمن نذر أن يسافر بأهله في رحلة ترفيهية إن قدم ابنه من السفر، فقدم، فهو مخير بين السفر، وبين إخراج كفارة يمين.

٢) أن يكون ممكن الوفاء به: فإن كان غير ممكن الوفاء به ـ كمن نذر ليشربن ماء البحر ـ فالواجب فيه كفارة يمين.

٣) لا يشترط في المنذور أن يكون معلوماً، بل لو نذر نذراً مبهماً، كما إذا قال: «لله عليَّ نذر» ولم يسمه، جاز نذره، ووجبت عليه كفارة يمين.

وإن نذر لشخص مخصوص فنسيه ولم يعرفه، صرف المنذور في مصالح المسلمين، وإن كان نذره له لفقره، صرف ما نذر على الفقراء والمساكين.

ب ـ إبدال المنذور: إذا نذر نذراً جاز له إبداله بما هو خير منه، فمن نذر أن يبني مسجداً في قرية كذا، وفي هذه القرية مسجد، جاز له أن يبنيه في قرية أخرى ليس فيها مسجد، ومن نذر أن يصلي في المسجد الأقصى، جاز له أن يصلي ما نذره في المسجد الحرام.

٥ ـ المنذور له: يجب أن يتمحض النذر لله تعالى، ولا يجوز النذر لغير الله تعالى، ويأثم من نذر لنبي أو ولي أو ضريح، ومن فعل ذلك مع علمه بالتحريم لزمه تجديد إيمانه، لما في ذلك من الشرك.

٦ ـ الوفاء بالنذر: الوفاء بالنذر واجب على الفور، فإن أخر الوفاء به أَثِمَ، فإن مات الناذر قبل أن يفي بنذره، وكان المنذور مما تصح فيه النيابة، وفاه عنه وليُّه، وإن كان لا تصح فيه النيابة لكونه عبادة بدنية محضة، كالصلاة والصوم، لم يصح أن ينوب عنه وليُّه فيه بعد موته.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

* * *

النساطرة

هم أتباع نسطور (٣٨٠ ـ ٤٥١م) بطريرك القسطنطينية الخارج على العقيدة المسيحية الصحيحة.

تلقى الراهب نسطور دروسه في أنطاكية حيث تأثر بالمنحى اللاهوتي الذي كان يشدد في مفهومه عن المسيح، على أنه الإنسان ـ الإلّه، وذلك عكس المنحى اللاهوتي لمدرسة الإسكندرية الذي كان يشدد على مفهوم الكلمة الذي صار جسداً.

كان نسطور يقول: إن في المسيح شخصين وهما الشخص الإلّهي والشخص الإنساني، عكس ما تعلمه الكنيسة من أن المسيح هو شخص واحد في طبيعتين إلّهية وإنسانية. ومع أن نسطور جدَّ في الحفاظ على وحدة وثيقة بين الحقيقتين الإلّهية والإنسانية في المسيح، إنما لم يستطع عملياً ومنطقياً أن يقبل إلاَّ اتحاداً معنوياً للكلمة الأزلي مع الإنسان، لا اتحاداً شخصياً حقيقياً.

أدان المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس سنة ٤٣١م النسطورية، واعتبرها خارجة

عن الإيمان القويم. وقد اعتنقت كنيسة بلاد الفرس النسطورية، بعد إدانتها بحوالي خمسين عاماً، فدُعيت الكنيسة النسطورية. وما لبثت أن امتدّت في القرون الوسطى إلى بلاد ما بين النهرين والهند وحتى الصين دون أن تجد لها سنداً رسمياً طوال تاريخها. تتواجد حالياً الكنيسة النسطورية في العراق وفي إيران ولا يتعدى أتباعها بضعة عشرات من آلاف المؤمنين.

تعرَّض النساطرة للاضطهاد خلال الحرب العالمية الأولى في شمالي العراق حيث أُبيد العديد منهم، وفي سنة ١٩٣٣م تعرَّضوا مجدداً للاضطهاد من قبل السلطات العراقية فهاجر العديد منهم إلى الولايات المتحدة بمن فيهم البطريرك حيث استقر مع أتباعه.

شاركت الكنيسة النسطورية في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بصفة مراقب، وهي حالياً عضو في المجلس المسكوني لكنائس الشرق الأوسط.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *

نسيئة

النسيئة هي تأخير استيفاء البدل في العقود.

أحكامها:

أ ـ ربا النسيئة: ربا النسيئة محرَّم، وهو على نوعين:

١) ربا النسيئة في الديون: وهو الزيادة المشروطة في الدين مقابل الأجل، كأن تقرض فلاناً ألفاً وتشترط عليه أخذها بعد سنة ألفاً ومائة، وهو محرم بنص القرآن الكريم، وهو ربا الجاهلية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/ ٢٧٨].

٢) ربا النسيئة في البيوع: وهو بيع مال ربوي بجنسه، أو بربويٍّ من غير جنسه مؤجلاً، كبيع كيل من الحنطة، بكيلين من الحنطة على أن يتم تسليم الكيلين بعد أسبوع.

ب ـ مقابلة النسيئة بمال في البيوع: يجوز في البيع ـ عدا بيع الربوي بربوي من جنسه أو من غير جنسه ـ مقابلة النسيئة بمال، فيجوز بيع سلعة بثمن حالٍّ بألف، وبنسيئة ـ أي بثمن مؤجل ـ بألف ومائة.

جـ ـ إذا باع الشخص سلعة نسيئة ـ أي بثمن مؤجل ـ فلا يجوز له أن يشتريها ممن باعه إياها بثمن أقل منه ولو كان حالاً، لأن ذلك ذريعة إلى الربا، فعن العالية بنت أَيْفَع بن شرحبيل أنها قالت: «دخلت أنا وأم ولد زيد بن أرقم وامرأته على عائشة، فقالت أم ولد زيد: إني بعت غلاماً من زيد بن أرقم بثمانمائة درهم إلى العطاء، ثم اشتريته منه بستمائة درهم، فقالت لها عائشة: بئس ما شريت، وبئس ما اشتريت، أبلغي زيد بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب»، وهو بيع العينة الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

وإن باع سلعة بثمن حال، ثم اشتراها نسيئة بأكثر منه جاز ـ فيما يرجحه الباحث من أقوال الفقهاء ـ.

د ـ المضارب إذا باع نسيئة بغير أمر صاحب المال، جاز، ولا يضمن ما ذهب من المال بذلك إن لم يكن متهاوناً، ـ فيما يرجحه الباحث من مذاهب الفقهاء ـ لأن إذن صاحب المال له بالتجارة والمضاربة ينصرف إلى التجارة المعتادة، ومن عادة التجار البيع نسيئة.

هـ ـ إن وكَّل وكيلاً بشراء سلعة معينة وعيَّن له الشراء بثمن حال، أو مؤجل، لم تجز مخالفته، وإن أطلق، فله أن يبيع وأن يشتري نسيئة، لأنه

أنفع للموكِّل، وليس له أن يبيع نسيئة لما في ذلك من الضرر على الموكِّل ـ فيما يرجحه الباحث من مذاهب الفقهاء ـ.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

* * *

نشيد الأنشاد

سفر من أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس، ويرقى عهده إلى القرن الرابع أو الثالث ما قبل الميلاد. إنه مجموعة أغاني حب الذي هو عطية من الله مسكوبة كحوار بين حبيب وحبيبة، أو بين الله والنفس البشرية التائقة أبداً إليه. وقد اعتاد اليهود أن يستعملوا هذه الرمزية، التي صارت فيما بعد تشير إلى رمزية الزواج، للتعبير عن حب الله لشعبه ولكل المؤمنين.

وقد رأت فيه المسيحية معنى رمزياً تمثيلياً وراء المعنى اللفظي من حيث إنه يتغنّى باتحاد الله (أو المسيح) بذويه مع أنهم كثيراً ما يكونون عاصين عاقِّين، لكن حب الله هو الغالب في النهاية (نش ٦:٨ ـ ٧).

بولس وهبة

المراجع: ٤٩٩، ١/٦٢٦.

* * *

النفاق

النَّفَق يدل على:

١ ـ انقطاع الشيء وذهابه. ومنه نفقت الدابة نفوقاً: ماتت.

٢ ـ وإخفاء الشيء وإغماضه.

٣ ـ ومضي الشيء ونفاده، ومنه نفق البيع نفاقاً: راج.

ونافق في الدين: ستر كفره وأظهر إيمانه، وهو الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من آخر.

وقد لعب المنافقون دوراً مهماً في بداية الإسلام، وتحديداً بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حيث تبين لهم استحالة مقاومة السيطرة الإسلامية، واستحالة التفاوض مع الرسول ﷺ على مكاسب شخصية لهم، فلجؤوا إلى إعلان إسلامهم، والعمل في صفوف المسلمين على هدم الدين الجديد: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء/ ١٤٢].

وكان من أوائل أعمالهم في المدينة بناء مسجد خاص بهم، يجتمعون فيه للتآمر على المسلمين، ففضح الله أمرهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة/ ١٠٧].

وكادوا أن يدمروا جيش المسلمين في أُحد، فبعدما خرجوا فيه، انخذلوا عنه في الطريق، وعادوا أدراجهم، وكان على رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، وكان لذلك أثره في نتيجة المعركة.

كذلك اغتنموا فرصة حصار المدينة في غزوة الخندق، فلما اشتد البلاء ظهر النفاق، وقالوا: «كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط».

ولكن الله نصر المسلمين، وخذل المنافقين، وفضح أمرهم، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة/٨].

واستمر نشاط المنافقين سراً، ليظهر علناً كلما سنحت لهم الظروف، فكان لهم دور كبير في فتنة مقتل عثمان، وفي الوقيعة بين المسلمين في وقعة الجمل.

والنفاق عموماً من طبيعة بعض البشر الذين يرغبون في الحصول على مكاسب شخصية من دون عناء كبير، ولذلك، نراهم يكثرون في حاشية معظم الملوك، ويحيطون بالأباطرة، والديكتاتوريين

والمتنفذين، وبخاصة إذا كان الحاكم نرجسي الطبع، يزهو بالمديح، فيحيط به المنافقون ويبتعد عنه النصحاء، فتهتز صورته، وتكثر أخطاؤه، وهو يعتقد صوابها لكثرة ما يُصوِّبها المنافقون ويثنون عليها وعليه.

والنفاق قد يكون متبادلاً بين الحاكم والمحكومين، فكثير من الحكام يتقربون إلى شعوبهم بوعود كاذبة، وسلوك ظاهري يخالف واقعهم، وكل هذا يعدُّ من النفاق الممقوت والمنهي عنه.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٦٦.

* * *

نفقة

النفقة هي الإدرار على الشيء بما فيه بقاؤه.

١ ـ حكمها: النفقة فرض عين على المنفق إذا توفرت شروط وجوبها، كالإنفاق على النفس أو الزوجة أو الأولاد، وقد تكون فرض كفاية، كالإنفاق على المسكين المستور إذا علم الغني بحاله، كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

٢ ـ الواجب في النفقة:

أ ـ ما تشتمله النفقة: تشتمل النفقة الطعام والشراب والكسوة والسكنى والأمور الضرورية الأخرى، كثمن المنظفات، وتكاليف الإنارة والتدفئة، التي جرى العرف بها، وتشتمل على التداوي الذي هو في مقدور المنفق ـ فيما يرجحه الباحث من كلام الفقهاء المعاصرين ـ.

ب ـ مقدارها: ليس للنفقة مقدار معين، بل هي مقدرة بالمقدرة المالية للمنفق، وبالعرف.

٣ ـ المُنْفَق عليه:

أ ـ النفقة على النفس: الإنفاق على النفس واجب، حتى ولو كان المرء صغيراً إذا كان موسراً، فينفَق على الصغير من ماله، ولا يكلف والده بالإنفاق عليه إن كان له مال، والنفقة على النفس مقدمة على غيرها من النفقات.

ب ـ النفقة على الزوجة: النفقة على الزوجة واجبة على الزوج سواء كان فقيراً أم غنياً، وتجب النفقة بمجرد انتقال الزوجة إلى بيت الزوجية، وليس بمجرد عقد النكاح، لأن الزوجة تستحق النفقة على الزوج باحتباس نفسها عليه، ولذلك فإنها تستحقها ولو كانت غنية، وإن كانت للرجل عدة زوجات وجب عليه التسوية بينهن في النفقة، لأن ذلك من العدل الذي أمر به الله.

والنفقة على الزوجة مقدمة على النفقة على الأولاد والأقارب، لأنها في مقابل الاحتباس.

وتسقط نفقة الزوجة بالنشوز، وذلك بترك الزوجة بيت الزوجية بغير إذن الزوج، وبغير مبرر شرعي، كما تسقط بامتناع الزوجة عن زوجها.

وإذا امتنع الزوج عن الإنفاق عن زوجته، أو أصبح غير قادر على النفقة، فللزوجة الخيار بين الإبقاء على الزوجية أو طلب فسخ النكاح.

جـ ـ النفقة على المعتدة: المعتدة إما أن تكون حاملاً، أو غير حامل.

فإن كانت حاملاً وجبت لها النفقة على زوجها فقيراً كان الزوج أم غنياً، وسواء كانت الزوجة معتدة من طلاق رجعي أو بائن، أو معتدة من وفاة.

وإن كانت غير حامل: فتجب لها النفقة إن كانت معتدة من طلاق، سواء كان هذا الطلاق رجعياً أم بائناً بينونة صغرى، أو بينونة كبرى ـ على ما يرجحه الباحث من أقوال الفقهاء ـ.

أما إن كانت معتدة من وفاة زوجها، فليس لها من النفقة شيء إلا السكنى، إلا أن تكون حاملاً، لأن المال قد صار بوفاة الزوج إلى الورثة، ولا حق لها على الورثة إلا برضاهم، أما إيجاب السكنى لها، فلحديث الفُرَيْعة حيث قال لها رسول الله ﷺ حين قُتِل زوجها وقد استأذنته للخروج إلى أهلها في بني خُدْرة: (امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتابُ أجلَه) أي: حتى تنتهي العدة.

د ـ **النفقة على الأقارب:** تجب النفقة على الرحم المحرم الوارث من الأقارب ـ على ما يرجحه الباحث من أقوال الفقهاء ـ إذا كان فقيراً وكان المنفِق غنياً، وتوزع النفقة بين الوارثين على قدر حصصهم من الميراث منه.

هـ ـ **النفقة على من ليس له قريب موسر:** من لم يكن له قريب موسر ينفق عليه، فإن نفقته واجبة على الدولة التي ينتمي إليها، فإن امتنعت الدولة عن الإنفاق عليه فإن نفقته على من يعلم بحاله من أغنياء المسلمين.

و ـ **النفقة لتحصيل الحق:** ما أنفقه صاحب الحق على تحصيل حقه من الظالم أو المماطل يتحمله كله من كان سبباً في منع وصول الحق إلى صاحبه.

محمد رواس قلعه جي

المراجع: ٥٤٧، ٥٤٩.

* * *

النقشبندية

طريقة صوفية أسسها محمد بن محمد بهاء الدين البخاري، الشهير بنقشبند، والكلمة فارسية معناها: (النَّقّاش)، أي كأنه ينحت في قلوب مريديه.

وقد ولد الشيخ في شهر محرم سنة ٧١٧هـ، في قرية قصر هندوان، والتي عرفت فيما بعد بقصر عارفان قرب مدينة بخارى. تولى رعايته الروحية الشيخ السماسي ثم الأمير كلال، وكان بالإضافة إلى التربية السلوكية يتنقل بين علماء الشريعة وحملة السنة النبوية الشريفة، وقد توفي رحمه الله ليلة الاثنين ٣ ربيع الأول سنة ٧٩١هـ، ودفن في بستانه بالقرية التي ولد فيها وبنى عليه أتباعه قبة عظيمة لا تزال تُزار. ولقد كان طوال حياته منقطعاً لتربية مريديه على منهج السنة المحمدية، فتخرج على يديه عشرات الآلاف من المريدين، ولا زالت هذه الطريقة منتشرة في بلاد فارس والصين وتركستان وقازان وتركيا وبلاد الشام.

والتصوف النقشبندي معتدل ووسط لما امتاز به من اعتدال السلوك واتباع الشريعة ويسر الطريق، فقد شاع وانتشر، ولا سيما بين علماء الدين، فقلب الصوفي النقشبندي لله وجسمه للناس.

وأهم ما يلفت النظر في هذه الطريقة هو السكون والبعد عن الصراخ، وترك الاعتماد على الترانيم والسماع الذي لا يخلو من الرياء.

والذاكر النقشبندي يجلس طاهراً مستقبلاً القبلة بعد الصلاة، ملصقاً لسانه بالفك الأعلى حتى ينصرف القلب مع حركة اللسان ويذكر الله بقلبه.

وتسمى هذه الطريقة بالصديقية نسبة لأبي بكر الصديق لأن سلسلتها ترتبط من مرشد إلى مرشد حتى تصل إلى الصديق رضي الله عنه، وهي طريقة الصحابة الكرام باقية على أصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا، وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً بكمال الالتزام بالسنة والعزيمة، وتمام اجتناب البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات.

وهي الحضور الدائم في حضرة الحق تعالى وترسيخ العقيدة الإسلامية ـ عقيدة أهل السنة والجماعة ـ واتباع سنة النبي الكريم ﷺ.

أحمد كفتارو

المراجع: ١٨٥، ٤٤٥، ٥٣٦، ٥٤٦.

* * *

نوح (النبي) عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ (إدريس) بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام.

كان الناس، زمن نوح عليه السلام، قد عبدوا الأصنام وأعرضوا عن عبادة الله الواحد، فجاءهم مرسلاً من الله تعالى ينذرهم، كما بيّنت الآية الكريمة: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن

قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح/١].

أما أنهم كانوا يعبدون الأوثان، فهذه مسألة بيّنها كلام الله تعالى في قوله الحق: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح/٢٣، ٢٤]. وأسماء هذه الأصنام تكررت عند العرب قبل الإسلام، وكان كل واحد منها معبوداً لقبيلة.

وقد طال الزمن الذي مارس فيه نوح عليه السلام دعوة قومه، وتنقل المصادر أنه بحدود تسعمائة وخمسين سنة، بحدود ستمائة سنة قبل الطوفان والباقي بعده.

ورغم هذه المدة الطويلة كان القوم يتمادون في ضلالهم، فكان قول الله تعالى بلسان نوح عليه السلام في سورة نوح: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح/٢٦].

وكان أمر الله تعالى بأن يصنع السفينة التي ركب فيها مع من أرادهم الله تعالى أن يكونوا من الناجين، وغرق من عداهم، في الآية الكريمة: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود/٣٧].

وكانت السفينة بثلاث طبقات، وحمل معه من أمره الباري عز وجل بحملهم، فهم بعض أبنائه، وقيل هم: سام وحام ويافث ونساؤهم، ومن ثم حمل زوجين من كل نوع من الأجناس كلها.

وفي هذا كان قول الحق سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود/٤٠].

بعد أن مضى أمر الله تعالى جاء الأمر بعد الطوفان للأرض بأن تبلع ماءها، ونزل نوح عليه السلام ومن معه وما معه، وكان ذلك يوم عاشوراء لذلك كان يصومه الناس قبل الإسلام.

وفي أيامنا هذه يدّعي الصابئة، الذين ينتشرون في منطقة البطائح على ضفاف دجلة في العراق وهم دون خمسين ألف نسمة ولا وجود لهم غير هذا، بأنهم على رسالة نوح عليه السلام.

ومن العبر في سيرة نوح عليه السلام حكاية ابنه كنعان الذي لم يكن على التزام بما جاء والده كسائر إخوته، ولذلك لم يركب السفينة وصعد إلى جبل ظاناً أنه يعصمه من الطوفان، ولأنه ما من أحد يغني عن أحد شيئاً، قال تعالى بحق ابنه كنعان: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود/٤٦].

وهذا بيان قاطع بأن النسب بين الناس لا يقوم على العصبية القائمة على قرابة الدم وإنما الأساس الإيمان وما يلتزم به الإنسان.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٨٠.

* * *



هارون (عليه السلام)

هارون بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

كان أكبر إخوته، وقد ولد قبل موسى عليه السلام بثلاث سنوات. قضى سني عمره الثلاث والثمانين دون أن يكون له مهمة أو دعوة، وعندما اشتد أذى فرعون على موسى عليه السلام وقومه، وكان السعي لإخراج القوم من مصر حيث الظلم لاحق بهم، ولما كان المطلوب إبلاغ فرعون بالعقيدة الصحيحة، فقد دعا موسى ربَّه سبحانه ليشدَّ أزره بأخيه هارون، فكان له ما طلب.

قال الله تعالى بلسان موسى عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي * هَٰرُونَ أَخِي * ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي * وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه/ ٢٩ ـ ٣٢].

وفي السورة نفسها قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه/ ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي * ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه/ ٤٢ ـ ٤٤].

لقد كان لموسى عليه السلام ما أراد، وخرج بقومه في رحلة التيه من مصر، وغرق فرعون وقومه في البحر، وكان هارون شريكه في الرحلة والدعوة مدة أربعين عاماً إلى حين وفاته عن عمر ناهز مئة وثلاث وعشرين سنة.

وكان هارون اليد اليمنى لموسى وشريكه الفعلي في الدور الرسالي، وكان يحمل عصاه في رحلاته ويقود قومه، وكان أشبه برئيس كهنة لموسى عليه السلام، لذلك بكاه القوم وافتقدوه وأحسُّوا بالحاجة إليه، وهم مشرَّدون مطاردون لأنه مثَّل حالة صمود في المواجهة.

ومما جاء في سفر الخروج من العهد القديم، حول موضوع بعثة هارون مؤازراً لموسى، ما يلي: «وقال الرب لهارون: اذهب للقاء موسى في البريَّة. فذهب ولقيه في جبل الله، فقبَّله. فأخبر موسى هارون بجميع كلام الرب الذي أرسله وجميع الآيات التي أمره بها. فذهب موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بني إسرائيل، وخاطبهم هارون بجميع الكلام الذي كلَّم الرب به موسى، وصنع الآيات على عيون الشعب. فآمن الشعب وفهم أن الرب قد افتقد بني إسرائيل ورأى مذلَّتهم، وجثوا له ساجدين».

لقد مات هارون في جبل هور، وقد ورد في سفر العدد من العهد القديم حول الحزن عليه: «ومات هارون هناك في رأس الجبل، ونزل موسى والعازار من الجبل، فلما رأت الجماعة كلُّها أن هارون قد فاضت روحه، بكى عليه جميع بيت إسرائيل ثلاثين يوماً».

والمحطة الأبرز في تاريخ دعوة هارون عندما تركه موسى مع القوم فإذ بهم يتحولون إلى عبادة العجل، فأراد موسى أن يحمِّل هارون المسؤولية إلى أن بيَّن له بأنه قد نهاهم عن ذلك فأصروا، وأراد أن يحفظ وحدتهم ريثما يعود إليهم موسى، وقد جاء في هذا قول الله تعالى بلسان هارون رداً على موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه/ ٩٤].

وفي أمر هارون عِبَرٌ هي:

١ ـ كل إنسان يحتاج للشورى ولمن يشترك معه

في أموره، والانفراد غير مجد، كما أن صاحب الرسالة والمشروع الدعوي يحتاج إلى من يشد أزره وينصره، وفي كل هذا نهي عن الانفراد والفردية.

٢ ـ الدعوة بالكلمة الليِّنة أمر بها الله تعالى أن تكون لفرعون، فالبديهي أن يعتمدها كل داعية لأنه ما من أحد بلغ حد طغيان فرعون إلا النادر عبر التاريخ.

٣ ـ أراد هارون أن يبقى قومه موحدين رغم أن وحدتهم كانت على الضلال، فلماذا يعتمد بعضهم تفرقة من هم على الإيمان؟.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٩٧، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٨٠.

* * *

الهبة

في اللغة هي التفضُّل والإحسان بشيء ينتفع به الموهوب له، أي المعطى له، سواء أكان ذلك الشيء مالاً، كهبة شخص لآخر فرساً، أو غير مال كقول الإنسان لآخر: ليهب الله لك ولداً، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم/٥]، وورد أيضاً: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

والهبة أيضاً هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سُمِّي صاحبها وهَّاباً، وهو من أبنية المبالغة، غيره الوهاب من صفات الله. وكل ما وهب لك من ولد وغيره، فهو موهوب، والوهوب: الرجل الكثير الهبات. ابن سيده: وهب لك الشيء يهبه وهباً، ووهباً بالتحريك، وهبة، والاسم الموهب والموهبة، بكسر الهاء فيهما، ولا يقال: وهبكه، هذا قول سيبويه.

وحكى السيرافي عن أبي عمرو: أنه سمع أعرابياً يقول لآخر: انطلق معي، أهبْك نبلاً، ووهبت له هبة، وموهبة ووهباً إذا أعطيته، ووهب الله له الشيء، فهو يهب هبة، وتواهب الناس بينهم، وفي حديث الأحنف: ولا التواهب فيما بينهم ضعة، يعني أنهم لا يهبون مكرهين.

والاستيهاب: سؤال الهبة، واتَّهب: قبل الهبة، واتهبت منك درهماً، افتعلت من الهبة. والاتهاب قبول الهبة. وفي الحديث: (لقد هممت أن لا أتَّهب إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي) أي لا أقبل هبة إلا من هؤلاء، لأنهم أصحاب مدن وقرى، وهم أعرف بمكارم الأخلاق، قال أبو عبيدة: رأى النبي ﷺ جفاء في أخلاق البادية، وذهاباً عن المروءة، وطلباً للزيادة على ما وهبوا، فخصَّ أهل القرى العربية خاصة بقبول الهدية منهم، دون أهل البادية، لغلبة الجفاء على أخلاقهم، وبعدهم عن ذوي النهى والعقول، وأصله: أوتهب، فقلبت الواو تاء، وأدغمت في تاء الافتعال مثل اتزن واتعد، من الوزن والوعد.

والموهبة: الهبة بكسر الهاء، وجمعها مواهب، وواهبه فوهبه يهبه، كان أكثر هبة منه، والموهبة: العطية.

وتواهبوا فيما بينهم، وفيهم التهادي والتواهب، وواهبني فوهبته كنت أوهب منه، وهذه هبة فلان، وموهبته وهباته ومواهبه. ومن المجاز كثرت المواهب في الأرض أي ماء السماء والقلات التي يجتمع فيها، الواحدة موهبة بالفتح، فرقوا بين هذه الهبة وبين سائر الهبات ففتحوا فيها وكسروا في غيرها. وغالبني في الهبة فغلبته، واستوهبه: سأله الهبة، والهبة: العطية الخالية من غرض أو عوض.

والهبة في الاصطلاح: تحويل إرادي للمتلكات من شخص إلى آخر، دون تعويض ودون ارتباط باتفاق أو عقد، والشخص المعطي هو الواهب، والشخص المتقبل هو الموهوب له. وهناك فرعان رئيسيان من الهبات، هبات بين الأحياء، والهبات المعلقة على الوفاة. أما الأول فتحويل عياني للمتلكات، وهو النوع المعتاد من الهبة، أما الهبة المعلقة على الوفاة فتشبه الوصية أو الميراث

بوصية، فهي من شخص يتوقع موتاً محققاً، ويقدمها بتسليم الأشياء أو الأوراق، أو ما يريد أن يهبه للشخص الموهوب له، وهذه الهبة ليست تامة حتى يموت الواهب، إذ يمكنه نقضها في أي وقت قبل وفاته، فإذا كتبت له الحياة استعادها دون تردد، فهي هبة مقيدة بشرط الوفاة، أما الهبة المعتادة بين الأحياء فتامة وغير مشروطة بمجرد تقديم الهبة. وطبيعة الهبة ذات أهمية بالغة في فرض الضرائب، وفي كلا النوعين من الهبة لا بد من التسليم الكلي والفعلي للشيء الموهوب، ويكون مناولة باليد إلى الموهوب له، أو بإعطائه لشخص آخر نائب عنه، والهبات تشمل كلاً من الأرض والممتلكات الشخصية.

وفي الغرب استعمل تعبير هدية، بالمعنى المصور، (هبة) سخية قدمت بإجلال لعامل، إما من ملك أو من مجموعة أو من شخص ذي مكانة عالية. وفي محاولة للتمييز بين أنواع العطاء المتعددة عرفت الهبة بأنها انتقال الملكية من شخص ذي مكانة اجتماعية عالية إلى أشخاص أقل مستوى من الشخص الواهب، والهدية على عكس الهبة، فهي انتقال الملكية من شخص أقل مستوى إلى أشخاص أرفع منه بغية أن ينال الأول حظوة لدى الشخص المهدي.

وابن قدامة، في «الشرح الكبير»، يعرِّف الهبة بأنها تمليك في الحياة بغير عوض. أما المادة (٥٠٤) من قانون الموجبات والعقود في لبنان فتعرِّف الهبة بأنها تصرُّف بين الأحياء بمقتضاه يتفرغ المرء لشخص آخر عن كل أمواله، أو عن بعضها، بلا مقابل. والنص الفرنسي أكثر جلاء ووضوحاً وهاكه:

La donation est la disposition entre vifs par laquelle une personne cède tout, ou une partie de ses biens à un autre sans contre prestation correspendante.

والهبة عقد يستلزم رضاء الفريقين، وهذا العقد يتكوَّن من عنصرين: الأول: مادي، والثاني: أدبي أو معنوي. وهي تبطل بناء على طلب الواهب، إذا ارتكب الموهوب له جنحة أو جناية على شخص الواهب أو على شرفه أو ماله، أو إذا ارتكب إخلالاً هاماً بالواجبات التي يفرضها عليه القانون للواهب أو لعيلته. ويمكن الرجوع عن الهبة أو تخفيضها إذا رزق الواهب بعد الهبة أولاداً ولو بعد وفاته، أو إذا كان للواهب ولد ظنَّه ميتاً وقت الهبة ثم ظهر أنه لا يزال حياً. أما الأشخاص الذين يمكنهم أن يهبوا أو يقبلوا الهبة، فطبقاً للمادتين (٥١٥) و (٥١٦) من قانون الموجبات والعقود اللبناني، كل شخص يستطيع التعاقد والتصرف في ملكه يمكنه أن يهب، ولا يحق للولي أن يتصرَّف بلا بدل في الأموال التي يتولى إدارتها، كذلك كل شخص لم يصرح القانون تصريحاً خاصاً بعدم أهليته لقبول الهبة يمكنه أن يقبلها، ويحرم أهلية القبول حرماناً نسبياً: الوصي بالنسبة إلى الموصى عليه، والطبيب في مدة مرض الموت إذا لم يكن من أقرباء المريض.

والهبة أنواع: منها ما يكون بعوض ينشئه عقد الهبة في ذمة الموهوب له لمصلحة الواهب أو لمصلحة آخر، ومنها ما تكون مستترة ويتوافر فيها شرطان: الأول: أن يكون العقد الذي يخفي الهبة منظماً وفاقاً للشروط الشكلية الواجبة لصحة العقد الظاهر. والثاني: أن تكون جميع الشروط الواجبة لصحة الهبة في الأساس موجودة، كأن يكون الواهب ممن يملك حق التبرع، وأن يكون الموهوب له أهلاً لقبول التبرع. ومنها: ما تكون غير مباشرة، وهي التي تنشأ من أي عقد قانوني غير عقد الهبة، من غير أن يكون التبرع الذي تحويه مخفياً، وقلَّما تميزها المحاكم عن الهبة المستترة، وهي التي نجدها تبعاً لعمل قانوني لا يرتدي طابع التبرُّع، ويكفي للكشف عنها، الرجوع إلى مضمون التصرف القانوني والظروف التي حصل فيها.

وهكذا فإن الهبة في الظاهر قضية بسيطة يظنها

البعض عملية إكرام أو مكافأة أو غير ذلك، لكن القانون يجتهد ليجعل منها مسألة معقدة يتفرَّع عنها غير وجه وشكل، لكن المسلَّم به أن الهبة عادة اجتماعية عرفتها المجتمعات على اختلافها، وهي مقبولة ومعمول بها في كل مكان.

حسن نور الدين

المراجع: ٣٣، ٣١٠/١، ٤٤١، ٤٥٠، ٥٤٦، ٥٦٣.

* * *

الهجرة

عندما أعلن النبي محمد بن عبد الله ﷺ دعوته أدرك زعماء قريش الخطر الذي يهددهم فشنوا عليه حرباً لا هوادة فيها، واتهموه بالسحر والكهانة والشعوذة، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، يؤذونه ويشتمونه، ونكَّلوا بأتباعه شرَّ تنكيل، حتى مات بعضهم تحت التعذيب. ومع ذلك لم تفتر همته وتابع دعوته، ولكنه، رأفة بأصحابه، نصحهم بالهجرة إلى أرض الحبشة فراراً بدينهم، فهاجر ثلاثة وثمانون رجلاً منهم إليها، وكانت هذه أول هجرة في الإسلام.

أما ما اصطلح على تسميته بالهجرة، فهو الهجرة إلى المدينة، وقصتها أن بعض أهل المدينة القادمين إلى مكة في موسم الحج بحسب المتبع في زمانهم سمعوا دعوة الرسول، واستجابوا لها، ثم وافاه عدد أكبر منهم في العام التالي، فأرسل معهم مصعب بن عمير، يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، فانتشر الإسلام في المدينة وكثر أتباعه، وعاد مصعب في الموسم التالي ومعه عدد من سادة الأوس والخزرج، وبايعوا الرسول ﷺ فيما سمي بـ «بيعة العقبة الثانية».

ولما اطمأن ﷺ إلى صلابة إيمانهم، وضمن نصرتهم، أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فأخذوا يخرجون إليها أفراداً وجماعات، ثم تبعهم هو ﷺ، فلاقى فيها الترحيب والنصرة. وكان من أوائل أعماله فيها إقامة مسجد يؤدي فيه المؤمنون صلاتهم، ويجتمعون فيه، للتداول في شؤونهم، ثم تنظيم العلاقات بين عناصر المجتمع الجديد. وانطلق منها ينشر دعوته، حتى استطاع، بعد ثماني سنوات، فتح مكة، وتبع ذلك توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام.

وهكذا كانت الهجرة بداية مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة، عدَّها المسلمون أهم حدث في تاريخهم. ولذلك لما تداولوا في عهد عمر بن الخطاب لاختيار يوم يبدأ فيه التاريخ الإسلامي، اختاروا يوم الهجرة، الذي يوافق يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول وقدموه على بدء الوحي، ويوافق ١ محرم سنة ١ هجرية ١٦ تموز (يوليو) سنة ٦٢٢م. وبقي المسلمون، يؤرخون، بالسنة الهجرية حتى وقت قريب، وجميع كتب التاريخ العربية القديمة تعتمده، ثم مع تقدم الغرب وتخلف المسلمين طغى التأريخ بالسنة الإفرنجية.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٢٥١/١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٤٦٦، ٥٥٣.

* * *

هرمجدون

يقع بين مرتفعات الجليل في شمال فلسطين والضفة الغربية سهل ضيِّق يُعرف باسم سهل مجيدو. عندما شاهد نابليون هذا المكان أثناء اجتياحه للشرق قال: إن هذا المكان سيكون مسرحاً لأعظم معركة في العالم. ذلك أن الكتاب المقدس يعلِّمنا أن آخر أكبر حرب في التاريخ سوف تجري في هذا المكان من العالم، وهي المعركة التي تحمل اسم السهل، وتُعرف في الأدبيات التوراتية باسم هرمجيدون.

كتب الرئيس السابق للقساوسة التوراتيين في الولايات المتحدة (س.س. كريب) في عام ١٩٧٧م يقول: «في هذه المعركة النهائية فإن

المسيح الملك سوف يسحق كلياً ملايين العسكريين المتألقين الذين يقودهم الديكتاتور المعادي للمسيح».

والمؤلف التوراتي هال ليندسي يفسّر تاريخ الشرق الأوسط والعالم كله في كتابه «الكرة الأرضية العظيمة السابقة»: «إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل».

ويقول ليندسي أيضاً في كتابه: «قبل أن يصبح اليهود أمّة لم يُكشف عن شيء، أما الآن وقد حدث ذلك فقد بدأ العدُّ العكسي لحدوث المؤشرات التي تتعلق بجميع أنواع النبوءات. واستناداً إلى النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط، وخاصة على إسرائيل في الأيام الأخيرة. إن كل الأمم سوف تضطرب وسوف تصبح متورِّطة بما يجري هناك. إن باستطاعتنا الآن أن نرى أن ذلك يتطور في هذا الوقت ويأخذ مكانه الصحيح في مجرى النبوءات، تماماً كما تأخذ الأحداث اليومية مواقعها في الصحف اليومية».

وفي كتاب آخر له، عنوانه «العالم الجديد القادم» يقول ليندسي: «فكروا في ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون جندي من الشرق مع ملايين أخرى من قوات الغرب يقودها أعداء المسيح من الأمبراطورية الرومانية المستحدثة (أوروبا الغربية)».

«إن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا مدينته القدس، ثم يضرب الجيوش المحتشدة في سهل مجيدو أو هرمجيدون. فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألجمة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس... وهذا الوادي سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء».

ويكتب ليندسي كذلك: «إن الأمر يبدو وكأنه لا يصدق! إن العقل البشري لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللاإنسانية من الإنسان للإنسان، ومع ذلك فإن الله يمكّن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها في ذلك اليوم».

ويضيف ليندسي في كتابه: «عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى، بحيث يكون كل شخص تقريباً قد قُتل، تحين ساعة اللحظة العظيمة، فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل. وفي هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية».

ويحسم ليندسي هذا السيناريو لنهاية التاريخ بقوله: «سيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودي على قيد الحياة بعد معركة هرمجيدون... وسينحني كل واحد منهم، الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح. وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناضجين سوف يبدأون التبشير ببشارة المسيح».

وينقل كاتب توراتي آخر هو جيري فولويل عن إصحاح زكريا ١١/١٢ و ١٦/١٦، وعن إصحاح إسحاق ٣٦/٣٥: «إن ساحة معركة هرمجيدون سوف تمتد من سهل مجيدو في الشمال إلى إيدوم في الجنوب، مسافة حوالي ٢٠٠ ميل، وتصل إلى البحر الأبيض المتوسط في الغرب وإلى تلال موهاب في الشرق، مسافة ١٠٠ ميل تقريباً. إن سهول جزريل والنقطة المركزية للمنطقة كلها ستكون مدينة القدس. استناداً إلى زكريا ١٤ الآية ١ و ٢».

و «ستجمّع في هذه المنطقة الملايين المتعددة من الرجال بحيث يصل عددهم إلى ٤٠٠ مليون بدون أي شك (؟) من أجل حدوث المأساة النهائية للإنسانية». وجاء في الإصحاح ٣/١٤: «إن الملوك في جيوشهم سيأتون من الشمال والجنوب ومن الشرق والغرب. وبشكل درامي مثير سيكون هذا الوادي وادي القرار حول مصير الإنسانية. لماذا ستدور المعارك هنا؟ ولماذا يقود أعداء المسيح جيوشهم في العالم ضد المسيح الإله؟».

ويجيب على هذه التساؤلات بقوله: «أولاً:

لأنهم يكرهون سيادة الله، فالمعركة كانت دائماً الشيطان ضدّ المسيح، تلك هي المسألة. ثانياً: لأن هذه الأمم سوف تأتي بسبب تضليل الشيطان. ثالثاً: بسبب كراهية الأمم «للإله» عيسى المسيح. شيء ما سيحدث خلال هذه المعركة، سيجف نهر الفرات (إصحاح ١٦/١٢ وسيتم تدمير القدس) في هذه الأثناء». يتابع فولويل استناداً إلى إصحاح يوحنا: «إن كل صقور السماء سوف تنهش من لحوم الملوك ومن لحوم كل الرجال الأحرار منهم والعبيد، الكبار والصغار».

ويستنتج فولويل: «إن يوحنا رأى وحشاً في منامه، ورأى ملوك العالم بجيوشهم مجتمعين لشنّ حرب ضد الإله المسيح الذي يبدو في رؤيا يوحنا رجلاً يمتطي حصاناً أبيض. وفيما تقترب هرمجيدون من نهايتها، وملايين الأموات على الأرض فإن الإله المسيح سيضرب الوحش والنبي الكذاب (المعادي للمسيح) ويلقي بهما في بحيرة من نار تغلي فيها الحجارة، وسيذبح المسيح كل أعدائه الآخرين الذين ينجون من هرمجدون».

الإيمان بهذه النظرية الهرمجيدونية ليس وقفاً على حفنة من رجال الدين الإنجيليين الأصوليين الذين يسيئون إلى الكنائس الإنجيلية العديدة في العالم العربي وفي العالم، ويتمتعون بنفوذ واسع النطاق في الولايات المتحدة خاصة، والذين ينشرون كنائسهم في أنحاء عديدة أخرى في العالم وخاصة في أميركا اللاتينية وآسيا. إن من معتنقي هذه النظرية شخصيات سياسية وعسكرية ودبلوماسية وأكاديمية أميركية كبيرة أيضاً، ولعل من أبرزها الرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان، فهو يقول: «إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجيدون قد مرَّت. ففي الفصل ٣٨ من حزقيال إن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنة، ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار معركة هرمجيدون والعودة الثانية للمسيح».

إن قادة اليمين الديني المتطرف في الولايات المتحدة، أمثال فولويل، وهول لندسي، وبات روبرتسون وغيرهم، يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية، أو الكوارث الطبيعية والانهيار الاقتصادي والفوضى الاجتماعية.

«إنهم يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل العودة الثانية، كما يعتقدون أنها مسجلة بوضوح في الكتاب المقدس. وقبل السنوات الأخيرة من التاريخ، فإن المسيحيين المخلَّصين سوف يُرفعون مادياً من فوق الأرض ويجتمعون بالمسيح في الفضاء، ومن هذه النقطة سوف يراقبون بسلام الحرب النووية والمشاكل الاقتصادية. وفي نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون ثانية مع المسيح كقائد عسكري لخوض معركة هرمجيدون، ولتدمير أعداء الله، ومن ثم ليحكموا الأرض لمدة ألف سنة».

محمد السماك

المراجع: ٥٥٧، ٥٩٣، ٦٢٥، ٦٢٨.

* * *

الهندوسية

ديانة ترتبط بتراث الهند، ومنها استمدت اسمها. كانت تسمى قديماً: درما Dharma، وسميت كذلك سانتانا Sentana، ومن ثم اتخذت اسماً «الهندوسية»، وباتت تشمل كل ما يتعلق بالهند من دين وحضارة وعادات وتقاليد، ولم تعد ديناً وضعياً بحتاً، بقدر ما هي حالة ثقافية.

والهندوس يؤمنون بتعدد الآلهة، ولا مكان عندهم لعقيدة التوحيد. وتعدد الآلهة عندهم يبدأ من أصل هو التثليث، وثالوث الآلهة الأساسي هو: برهما ـ فشنو (وِشنو) ـ شيفا (فِيْش).

وعندهم بعد ذلك آلهة ذات اختصاصات متعددة، ووجهة نظرهم، أن الفوضى عمت في مرحلة ما، فاقتضى الأمر هذا الظهور للآلهة كي يحققوا الحق ويقيموا العدل.

برهما عندهم هو الخالق، وقد نسجوا حوله أسطورة تفسر عملية الخلق حسب زعمهم، ولكنه مهمل في شعائرهم الدينية.

فشنو، أو وِشنو، ويسمونه الحافظ، وهو إله ممتلىء بالحب والرحمة حسب معتقداتهم، ويتخيلونه بصورة شخص جاء يقدم الخير والعون للبشر، وقد يساعده في مهمته آلهة آخرون مثل راما وكرشنا وسواهما.

شيفا، وينسب إليه الفناء والدمار وهو المهلك، ومهمته نقيض مهمة فشنو، وكل الأعمال البشعة والشريرة والمؤذية يلصقونها به.

بعد هذا الثالوث، ومن باب اختصاص الآلهة الأخرى قالوا مثلاً: إن كرشنا جاء لينشر السلام، وبوذا من أجل نشر المعرفة والتعليم.. الخ، أما كاليكي Kaluki فهو المنتظر عند الهندوس الذي لم يحن وقت ظهوره وتجلّيه.

أما عن مصير الإنسان بعد الموت فلا اعتقاد عندهم بجنَّة أو نار، وإنما الأنفس تنتقل بالتناسخ من بدن إلى بدن، وإذا ما بلغت حدّاً من التنزه والتطهر تصبح كاملة وتتحد بالروح الكلية. والنفس عندهم آتما Atma في البدن بمنزلة السائق من العربة، فهي الأساس وهي كاملة والبدن ليس كاملاً، ولذلك كان في طقوسهم إحراق البدن ليتحد بالاحتراق مع النفس. فالنفس عندهم لا خلود مستقل لها، وإنما تخلد في الروح الكلية بعد الاتحاد بها.

وطريق خلاص النفس يكون من خلال ممارسة رياضة قاسية تؤدي إلى تلاشي البدن وإماتة الشهوة هي «اليوغا». وهذه «اليوغا» هي التي تساعد على الاتحاد بالنفس أو الروح الكلية.

والهندوس يقدسون نهر «الغانج» حيث يحجون إليه سنوياً بقصد التطهر بمائه، ويلقون فيه رماد جثث الأموات المتبقي بعد احتراق الأبدان بنار يعدُّونها لهذه الغاية وفق طقوسهم.

والهندوس يقدسون الأبقار ولا يأكلون لحومها، ويتعاطون معها بشفافية وتقدير، والأبقار تنتقل عندهم في شوارع المدن حيث تشاء، ولا أحد يحق له إزعاجها حتى لو عطلت السير أو حصلت حوادث بسبب ذلك.

ويأكل الهندوس لبن الأبقار، والروث يستخدمونه وقوداً أو للسماد، أما بول البقر فهو عندهم للبركة، لذلك يكون مع كهنتهم في المعابد بول بقر في أوعية يرشونه على رعاياهم بعد أداء طقوسهم الدينية، والبقرة عند موتها تدفن تكريماً.

لا مكان للنبوة في ديانة الهندوس، والڤيدا عبارة عن مدوَّنة كبرى تحوي الكثير عن بلاد الهند ومنذ مدة طويلة، وكانت تنقل على شكل تعاليم شفوية، والتدوين حديث نسبياً حيث تتفاوت التجديدات، فبعضهم يرده إلى زمن يقرب من ٨٠٠ ق.م. والڤيدات أربعة كتب هي: الريج ڤيدا ـ ياجور ڤيدا ـ ساما ڤيدا ـ آثار ڤيدا.

والمعتمد عندهم ككتاب مقدس هذه الأيام، قسم يسمى (منُّو سَمَرتي) أو (شرع منُّو)، ومن مراجعة هذا الكتاب نلمس التناقض والتشويش في نصوصه مما يعني أنه قد تمّ تدوين أقسامه في مراحل متباعدة نسبياً.

ومن الأمور الأساسية عند الهندوس نظامهم الطبقي الذي يعطونه تفسيراً دينياً ويتشددون فيه. ومجتمع الهندوس حسب شريعتهم من أربع طبقات: البراهمة ـ كشاتريا ـ الفايشاش أو أمويش ـ الشودر.

البراهمة: هم الكهنة والقيادة الدينية وتضم هذه الطبقة حملة الثقافة وهم الكهنة والمعلمون، وهم الذين يدربون الناس على أداء الطقوس والشعائر الدينية، وهم الطبقة الأعلى والأولى.

كشاتريا: وهي طبقة تتولى أمر القيادة السياسية

ومقاليد الأمن بيدها، لذلك أصبح واجب أبناء طبقة كشاتريا أن يملكوا الكفاءة السياسية والعسكرية، ومهمتهم أكثر دقة من البراهمة الذين يقتصر دورهم على التعليم والتوجيه بينما كشاتريا هم القيادة الفعلية.

الفايشاش: طبقة تؤمّن الأمن الغذائي، وبيدها الاقتصاد، وحسب منُوسمرتي: «افرض على الويشاش سبعة أمور هي: حفظ الحيوانات ورعيها، وإعطاء الصدقات، والقيام بعبادة يكيه، وقراءة الويد، والعمل بالتجارة، والتعامل بالربا، والاشتغال بالزراعة».

شودر: وهي أدنى طبقات المجتمع، وأبناؤها أشبه ما يكونون بالعبيد، وواجبهم الخدمة.

ونظامهم الطبقي هذا مغلق، أي الإنسان عندهم يولد منتمياً إلى طبقته، ولا يحق له تبديلها انطلاقاً من فكرة التناسخ.

وعند الهندوسية نظام أخلاقي متشدد نوعاً ما، وسبب ذلك فلسفة تطهر النفس في أدوارها في الأبدان وصولاً إلى الاتحاد بالروح الكلية.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٩٤، ٤١٤، ٤٩٤، ٥٣٧، ٦٦١.

* * *

هود (النبي) عليه السلام

بعث الله تعالى هوداً في عادٍ، وعاد تعود بنسبها إلى عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. وعاد كانوا يقيمون بين عُمان وحضرموت على شاطىء البحر، واشتهروا بأنهم جبارون طوال القامة، وقد جاء في الكتاب العزيز قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف/ ٦٩].

وهود عليه السلام هو أول نبي بُعث بعد نوح عليه السلام، بعد أن كان قد انتشر الضلال مجدداً بين الناس، وقوم عاد أنفسهم كانوا، قبل بعثة هود، يعبدون أصناماً ثلاثة، فجاءهم هود يدعوهم إلى الإقلاع عن ذلك، وأن يعبدوا الله تعالى وحده. يقول الحق سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود/ ٥٠].

وقد حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين، ودعاهم هود إلى التوبة كي ينعم الله عليهم فلم يفعلوا، وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود/ ٥٢].

ولما اشتد طغيانهم حلَّ بهم غضب الله تعالى، وجاءتهم ريح اقتلعت كل أثر للحياة في مكان إقامتهم وقضت عليهم إلا هود عليه السلام ومن آمن معه. يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة/ ٦ ـ ٨].

وقد جاء في القرآن الكريم سورة باسم هذا النبي هي سورة هود. ولأن هذه السورة حملت من القصص والعبر ما حملت عن عاد وسواهم فإنها باتت تذكرة لها وقعها في نفس من يتلوها أو يستمع إليها. وفي حديث حسن أخرجه الترمذي ورد: (شيَّبتني هود والواقعة والمرسلات وعمَّ يتساءلون وإذا الشمس كورت)، وفي حديث آخر: (شيَّبتني هود وأخواتها).

وقد حذَّر رسول الله ﷺ من معاصٍ تتبع كحال عاد فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث: (يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير، ويصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد خُسف الليلة ببني فلان، وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام).

وقد عاش هود بعد أن هلك قوم عاد إلا من

آمن منهم معه، مدة من الزمن، وقد توفاه الله وعمره مئة وخمسون سنة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٩٧، ٤١٣، ٤٢٤.

* * *

هيكل

كلمة تداولها يهود كمكان مخصوص عندهم زعموا أنه قام في القدس، وأن من حدَّد موقعه داود، ومن بناه ابنه سليمان لذلك اشتهر باسم هيكل سليمان.

وحسب نصوص العهد القديم، قرَّر داود أن يكون هناك هيكل للرب للعبادة بدل خيمة الشهادة المتنقلة. والموقع - حسب زعمهم - هو على جبل المورية في القدس عند بيت أرنان، أو أرنان اليبوسي، واليبوسيون كنعانيون وهم سكان القدس الأصليون منذ آلاف السنين قبل الميلاد، واشتهر منهم حاكم المنطقة سالم اليبوسي حوالي سنة ٢٥٠٠ ق.م. ويزعمون أن سليمان بنى الهيكل مستعيناً بمهندسين أرسلهم له، مع أخشاب من لبنان، حيرام ملك صور الفينيقي، والعمل حسب تأريخهم كان بدأ حوالي سنة ٩٦٨ق.م. وقد دُمِّر هذا الهيكل على أيدي البابليين حوالي ٥٨٦ق.م.

ومسألة الهيكل من المحركات المعتمدة، عند الصهاينة اليوم من أجل استدرار العطف لمشروعهم في اغتصاب القدس وفلسطين، ويساعدهم في ذلك الحركة الماسونية التي أطلقت على نفسها «الماسون» أي «البناؤون»، انطلاقاً من مسألة بناء الهيكل. والماسون يؤسسون محافلهم، وهي أماكن اجتماعاتهم، على شكل الوصف الذي جاء للهيكل المزعوم في العهد القديم.

إن الأبحاث والحفريات التي قام بها علماء الآثار الإنكليز، أواخر القرن التاسع عشر وحتى العام ١٩٥٤م، والتي استأنفها يهود بعد احتلال القدس عام ١٩٦٧م وحتى يومنا هذا، لم تثبت أي أثر يدل على وجود هيكل سليمان في القدس أو جوارها لذلك قلنا الهيكل المزعوم.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٨٧، ٥٢٨.

* * *



الوأد

وأد: الواو والهمزة والدال كلمة تدل على إثقال شيء بشيء، يقال للإبل إذا مشت بثقلها: لها وئيد. قالت الزَّبَّاء:

ما للجمال مشيها وئيدا

أي مشياً بثقل. والوأد والوئيد: الصوت العالي الشديد، كصوت الحائط إذا سقط ونحوه، وفي حديث عائشة: «خرجت أقفو الناس يوم الخندق فسمعت وئيد الأرض خلفي». الوئيد: شدة الوطء على الأرض يسمع كالدويِّ من بُعْد.

ووأد ابنته يئدها وأداً: دفنها في القبر وهي حية، وامرأة وئيد ووئيدة وموؤدة، وهي المذكورة في القرآن العزيز: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير/ ٨]. قال المفسرون: كان الرجل من الجاهلية إذا ولدت له بنت دفنها حين تضعها والدتها حية مخافة العار والحاجة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء/ ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل/ ٥٨، ٥٩].

والموؤدة من هذا؛ لأنها تدفن وهي حية، فهي تثقل بالتراب الذي يعلوها، ومن ذلك قول الفرزدق يعني جده صعصعة بن ناجية:

وعمي الذي منع الوائدات
وأحيا الوئيد فلم يوأد

وفي الحديث: (الوئيد في الجنة)، أي الموؤد، فعيل بمعنى مفعول، ومن العرب من كان يئد البنين عند المجاعة، وكانت كندة تئد البنات.

وفي الحديث: (أنه نهى عن عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات).

وفي حديث العزل: (ذلك الوأد الخفي)، وفي حديث آخر: (تلك الموؤدة الصغرى)؛ لأن وأد البنات الأحياء الموؤدة الكبرى، وقد تخفف همزة الموؤدة فيقال: مودة، لئلا يُجمع بين ساكنين.

ويقال: تودأت عليه الأرض، وتكمأت، وتلمعت، إذا غيبته، وذهبت به. قال أبو منصور: هما لغتان: تَوَدَّأَتْ عليه، وتَوَأَّدَتْ على القلب.

والتؤدة ـ ساكنة ـ: التأني والتمهل والرزانة، قالت الخنساء:

فَتًى كان ذا حِلْمٍ رَزِينٍ وتُؤْدَةٍ
إذا ما الحُبَا من طَائِفِ الجَهْلِ حُلَّتِ

وقد اتأد وتوأد والتوآدُ منه، وقال الأزهري: وأما التؤدة بمعنى التأني في الأمر، فأصلها وُأَدَة مثل التكأة أصلها: وكأة فقلبت الواو تاء، ومنه يقال: اتئد يا فتى، وقد اتأد يتئد اتآداً إذا تأنى في الأمر.

وثلاثيه غير مستعمل، لا يقولون: وَأَدَ يئد بمعنى اتأد، ويقال: ايتَادَ، وتوأد، فإيتاد على افتعل وتوأد على تفعل، والأصل فيهما الوأد إلا أن يكون مقلوباً من الأود وهو الإثقال، فيقال: آدني يؤدني، أي أثقلني، ومنه في آية الكرسي: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة/ ٢٥٥]، والتأوُّد منه، يقال: تَأَوَّدَتِ المرأةُ في قيامها، إذا تثنت لتثاقلها، ثم قالوا: تَوَأَّد، واتأد إذا تَرَزَّنَ وتمهل، والمقلوبات في كلام العرب كثيرة، قال الأعشى:

فلو أنَّ ما أَبْقَيْتِ منِّي مُعَلَّقٌ
بِعُودِ ثُمَامٍ ما تَأَوَّدَ عُودُها

محمد الطيب الإبراهيم

المراجع: ١٠١، ٤٤١، ٥١٩.

واصل بن عطاء (٨٠هـ/٧٠٠م ـ ١٣١هـ/٧٤٨م)

هو واصل بن عطاء الغزّال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبَّة أو بني مخزوم، نشأ في البصرة. وقد لُقِّب بالغزّال لتردُّده على سوق الغزّالين في البصرة.

كان من أئمة البلغاء وأصحاب الكلام، وهو رأس المعتزلة. وقد نشر مذهب الاعتزال في الآفاق. وكان ممَّن بايع لمحمَّد بن عبد الله بن الحسن في خروجه على «أهل الجَور».

قيل: إنه كان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، فتجنَّب الراء في خطابه وحديثه حتى ضُرب به المثَل في ذلك، إذ كانت تأتيه الرسائل من هنا وهناك، فإذا قرأها أبدلَ كلمات الراء، منها بغيرها.

ولأبي محمد الخازن في مدح الصاحب بن عبّاد:

نَعَمْ، تجنَّبَ لا، يومَ العطاءِ، كما
تجنَّبَ ابن عطاءٍ لفظةَ الراءِ

له تصانيف عديدة، منها: أصناف المرجئة، المنزلة بين المنزلتين، معاني القرآن، طبقات أهل العلم والجهل، السبيل إلى معرفة أهل الحق.

نايف معروف

المراجع: ٦٣، ١١٧، ٤٨٠، ٥٨١.

* * *

الوحي

الوحي لغة: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك.

وفي المصطلح: ما يلقيه الله تعالى على قلب نبي من الأنبياء بوساطة ملَك أو من دون وساطة ملَك.

وفي اللغة أو المصطلح هناك موحٍ، وموحى إليه، وموحى به.

ولكن في اللغة يمكن أن يكون «الموحي» الله عز وجل، أو إنساناً، أو شيطاناً، أو غير ذلك.

وأما في المصطلح الشرعي فالموحي هو الله، والموحى إليهم هم الأنبياء أو عباد الله الصالحين.

قال الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى/ ٥١] ومعناه إما إلهاماً، أو رؤيا في المنام، أو ينزل عليه كتاباً، كما أنزل على موسى، أو قرآناً يتلى، كما أنزل على محمد ﷺ.

وقد ورد ذكر الوحي في القرآن الكريم في صيغة الفعل الماضي والحاضر أربعاً وستين مرة، كثير منها بالمعنى اللغوي، ففي قوله عن يحيى عليه السلام ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم/ ١١]، أي أشار، وقد تكون الإشارة باليد أو الكتابة أو بغير ذلك مما يفهم منه المراد.

وفي قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل/ ٦٨] إما إلهام أو تسخير.

وأما قوله عن الحواريين ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [المائدة/ ١١١]، وكذلك الوحي إلى أم موسى كما ورد في الآية [طه/ ٣٨] ففيه معنى القذف بالقلب أو الإلهام.

وقد يكون الوحي بمعنى الأمر، كما جاء في سورة الزلزلة عن الأرض ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة/ ٤، ٥].

وأما وحي الشياطين فهو: الوسوسة.

وسمى القرآنُ القرآنَ ـ الموحى به ـ وحياً فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى/ ٧] وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم/ ٤].

وفعل الإبلاغ هو الوحي أيضاً ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه/ ١١٤]، وملخص القول إن الوحي من الله عز وجل قد يكون إلهاماً أو قذفاً في القلب، أو بوساطة ملَك، أو رؤيا في المنام.

وفي آيات القرآن الكريم ما يفيد أن الملَك روح

يتصل بقلب النبي اتصالاً روحياً: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۞ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء/١٩٣ ـ ١٩٤].

أما كيفية حصول الوحي على رسول الله ﷺ فقد سأل الصحابي الحارث بن هشام الرسول ﷺ فقال: «يا رسول الله كيف يأتيك الوحي»؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) [رواه البخاري في كتاب بدء الوحي].

أحمد راتب عرموش

المراجع: ٢٦٤.

* * *

الوحي (من منظور مسيحي)

الوحي معرفة يعطيها الله عن طبيعته ونشاطه، وهي تتمّ بواسطة «موفدين» يحمّلهم بلاغاً يوصلونه إلى البشر. يتوجّه الوحي أولاً إلى شخص واحد أو إلى مجموعة قليلة، وبعد ذلك، يصل إلى البشرية كلها.

بدأ الوحي في المسيحية مع إبراهيم ووجد ذروته في المسيح. أما ما تركه الوحي فأسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. في الوحي يكشف الله عن ذاته، ويكشف عن قصده الخلاصيِّ، فيعبر عن هذا الوحي بوسائل البشر: بكلمة تعلن، بكلمة تكتب. وهذا الوحي يرافق البشرية خلال مسيرتها على الأرض، إلى أن تصل إلى السماء، فلا تعود تحتاج إلى واسطة بشرية، تبقى على مستوى الإيمان، عندئذ ينفتح الوحي على معاينة الله على ما يقول الإنجيل: طوبى لأتقياء القلوب فإنهم يعاينون الله.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

الوسطية

الوسطية قاعدة من ثوابت الإسلام، ولعل جلَّ المسلمين، خواصهم وعوامهم، في هذه المسألة ضائعون بين جانبي الإفراط والتفريط إلا من عُصِم، سواء في التصور أو في السلوك أو فيهما معاً.

ولقد عرَّف العلماء الوسط من كل شيء بأنه أعدله وخيارُه وأرفعه محلاً ورتبة، والتوسط في الاصطلاح العلمي: «حالة محمودة غالباً تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة، تعصمه من الميل إلى أحد جانبي الإفراط والتفريط».

وعلى ذلك قامت شواهد من الكتاب والسنة، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة/١٤٣]، وقال المفسرون: «الوسط هنا العدول». وقال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أي: الفضلى، لكونها متوسطة بين سائر الصلوات، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد: (الوسط العدل؛ جعلناكم أمة وسطاً). وقالت الحكماء: «أعدل بقاع الشيء وسطه» لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء واعتدال، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد، والأوساط محمية ومحوطة، وسمي الخلق الفاضل وسطاً من حيث إنه متوسط بين رذيلتين هما طرفا الإفراط والتفريط».

قال الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنها
نجاة، ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

أما الشريعة الإسلامية فجارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف إلٰهي حكيم جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال، فإن ورد شيء من

التشريع لأجل انحراف بعض المكلفين أو وجود مظنة انحرافهم عن الوسط إلى أحد الطرفين كان هذا التشريع راداً إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه. فقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وصحبه التبتل، وقال لمعاذ لما أطال بالناس الصلاة: (أفتان أنت يا معاذ؟» وقال: (إن منكم منفِّرين)، وقال: (سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا)، ورد على أصحابه الوصال في الصوم...، ثم إن للوسطية ضوابط في الفكر الإسلامي ومستثنيات ومعالم يضيق المقام عن ذكرها.

وقد جعل الله لكل شيء قدراً وحدوداً، والحقائق الشرعية منها كلها ذوات، فالنقص عن هذه الحدود تفريط، والزيادة على هذه الحدود غلو، والانحراف عنها في العمل معصية أو كفر، والتغيير في الحدود الدينية ابتداع وتحريف وقد يكون كفراً، وإن كان هذا التغيير في الأحكام والتشريعات فهو افتئات على الدين وتشريع بما لم يأذن الله به، وهو عدوان على خصائص الربوبية، وإن كان غلواً في عبادات أجناسها مشروعة والغلو فيها غير مشروع فهو رهبانية لم يأذن بها الله عز وجل.

الالتزام الديني منهج وسط لا يحيد، فكل من التفريط والغلو في الدين أمران مذمومان في الإسلام، لأن التفريط في الدين يكون بتقليص حدود الله والنقص من مساحة حقوق الدين، أو بمجافاة هذه الحدود وعدم القيام بأي حق من حقوقها، وهو إن لم يكن من مستوى الكفر والجحود فهو اتباع للهوى، وإيثار للشهوات، وحب للعاجلة، وقد يصل ذلك إلى مستوى الرغبة بالفجور. وأما الغلو في الدين فيكون بسبب المبالغة في الاندفاع القوي دون بصيرة مع رغبات دنيوية أخرى، فالغلو في الدين خروج عن حدود الله بالفعل مع زعم الانتماء إليه وشدة الولاء له، ويكون من سوء التصور وفساده، أو من الكيد للدين والمكر به، ويصحب الغلو دائماً جهل وتعصب وهوى، وكل من التفريط والغلو المذمومين يكون في العقائد والمفاهيم الدينية الأساسية تارة، وفي الأحكام الشرعية تارة أخرى، وقد يكون في السلوك الديني أو في الولاء للدين أو باسم الدين، وكل أولئك له قواعد وأمثلة يضيق المقام عن ذكرها، وما أحسن ما قاله الإمام الشاطبي الغرناطي صاحب الموافقات: «الوسط عظم الشريعة وأم الكتاب»، وجاء في كتاب الأخلاق للحكيم ابن مسكويه من حكماء الإسلام: «إن الفضائل أوساط بين أطراف، وهذه الأطراف هي الرذائل؛ كالكرم وسط بين البخل والإسراف». قلت: وهذه الأوساط هي محل تمدح الشعراء والأدباء وتكريم الحكماء.

هذا، وقد عُلم من الدين بالضرورة أنه لا يجوز لأحد من الخلق بعد رسول الله ﷺ أن يقول إن هذا مشروع أو محرم إلا بدليل شرعي، فيجب أن يضع المسلم نصب عينيه ما كان عليه رسول الله وأصحابه، فيتبع ولا يبتدع، ويتوسط ولا يغلو أو ينحل ويسير صراط الله المستقيم لا عوج فيه ولا أمت، وما أجمل قول الأعرابي للحسن رحمه الله ورضي عنه: «علمني ديناً وسوطاً، لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً».

محمد عبد اللطيف الفرفور

المراجع: ٥٧٨.

* * *

الوصايا العشر

بدأت حكاية هذه الوصايا في الظهور مع موسى عليه السلام، وقد أوحيت إليه عندما كان على جبل سيناء حين اعتزل قومه أربعين يوماً. وقد اعتبرت محوراً أساسياً عند يهود، وتمَّ حفظها حسب وثائقهم في تابوت العهد مع سائر أسفار الشريعة

التوراتية، وهذه الوصايا تركز على عقيدة التوحيد، وعلى ثوابت في ضبط السلوك الاجتماعي.

وهي، حسب سفر الخروج في السفر العشرين، على الوجه التالي:

«وتكلم الله بهذا الكلام كله قائلاً: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من دار العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى تجاهي. لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل، ولا مما في المياه من تحت الأرض. لا تسجد لها ولا تعبدها... اذكر يوم السبت لتقدسه... أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك إياها.

لا تقتل. لا تزنِ. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشتهِ بيت قريبك. لا تشتهِ امرأة قريبك ولا خادمه ولا خادمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك».

وقد ورد في العهد الجديد نصوص تماثل هذا النص، منها ما جاء في إنجيل مرقس في الإصحاح العاشر: «وبينما هو خارج إلى الطريق، أسرع إليه رجل فجثا له وسأله: أيها المعلم الصالح، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟، فقال له يسوع: لِمَ تدعوني صالحاً، لا صالح إلا الله وحده. أنت تعرف الوصايا: لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق. لا تشهد بالزور. لا تظلم. أكرم أباك وأمك».

وفي الإصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس نفسه استكمال لهذه الوصايا حيث جاء فيه: «فأجاب يسوع: الوصية الأولى هي: اسمع يا إسرائيل: إن الرب إلهنا هو الرب الأحد. فاحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قوتك. والثانية هي: أحبب قريبك حبك لنفسك».

وهذه المضامين نفسها أجملتها آيتان قرآنيتان فيهما قول الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥١، ١٥٢].

أسعد السحمراني

المراجع:

* * *

الوقف

حبس مال وصرف منفعته لجهة برٍّ وغيرها، وقد منع الإمام أبو حنيفة لزومه فيتصرف فيه الواقف وينتقل بالميراث، وقرر غيره لزومه. ويجوز مؤقتاً ومؤبداً عند الإمام مالك، ولا يجوز إلا مؤبداً عند غيره. ولا يجوز إلا في عقار عند أبي يوسف ومحمد بن الحسن، ولا يكون في المنقول إلا في أحوال استثنائية، وعند غيرهما يجوز في المنقول. ولا يجوز التصرف في الموقوف إلا لاستبدال غيره به، ويجوز في الخيرات ابتداء وانتهاء، ويجوز في غيرها ابتداء وينتهي بالخيرات. ويسمى وقفاً أهلياً أو ذرياً.

فالوقف لم يأخذ شكلاً معيناً، كتخصيص أرض أو عقار للوقف، بل شمل أيضاً المال غير المنقول عامة، والمنقول الذي يجوز وقفه وقفاً خيرياً إنما بشروط، وكذلك الجهد، وكل شيء له نفع أو قيمة مادية أو معنوية يساعد على ترابط المجتمع الإسلامي وسلامته.

وتعرف الأوقاف الخيرية في الأنظمة الوقفية في لبنان تحت اسم «الأوقاف المستثناة»، وذلك استناداً إلى نظام المسقفات والمستغلات الوقفية المؤرخ

في ٩ جمادى الآخرة ١٢٨٧هـ، والذي جاء فيه: «الأوقاف المستثناة، وهي التي تدار مباشرة من قبل متوليها بدون مداخلة إدارة الأوقاف، ويعود أمر الإشراف والرقابة عليها مع الأوقاف الفردية إلى المحاكم الشرعية التي تبتُّ في الدعاوى والخصومات العائدة لهذه الأوقاف وفقاً للقانون». ويكون متولي الوقف (سواء كان شخصاً أو مجلس إدارة أو مجلس أمناء) خاضعاً للمساءلة أمام القاضي الشرعي، ولا يملك القاضي الشرعي حل أو مصادرة الوقف أو تغيير الهدف من إنشائه، ولكنه يملك الحكم بعزل المتولي في حال ثبوت الانحراف عليه، ويتم تعيين متولٍ جديد حسب نظام الوقف المسجل في المحكمة الشرعية من قِبَل الوقف، وإذا كان الوقف بمقتضى وصية فيكتفى بقيد الوصية لدى المحكمة الشرعية.

محمد الإسكندراني

المراجع: ٤٠٤، ٥٤٩.

* * *

الوكالة

الوكالة عقد يفوض بمقتضاه الموكل إلى الوكيل القيام بقضية أو عدة قضايا، أو بإتمام عمل أو فعل أو جملة أفعال أو أعمال.

يجب لانعقاد الوكالة توافق الإيجاب والقبول على عناصر الوكالة، فيتم التراضي بين الموكل والوكيل على ماهية العقد والتصرفات القانونية التي يقوم بها الوكيل، والأجر الذي يتقاضاه إذا كان هناك أجر. ويجوز التعبير عن التراضي صراحة أو ضمناً. ويمكن أن يكون قبول الوكيل ضمنياً كما لو قام بتنفيذ الوكالة، كما يمكن أن يكون رضاء الموكل ضمنياً أيضاً، وهذا ما يقع عادة إذا كانت صلة الموكل بالوكيل من شأنها أن تسمح باستخلاص هذه الوكالة الضمنية من جانب الموكل، مثل الوكالة الضمنية الصادرة من الزوج لزوجته في شراء الحاجات المنزلية والمفروشات والأمتعة التي تقتضيها عادة الحياة الزوجية، وفي دفع المصروفات المدرسية للأولاد وأجرة الطبيب وثمن الأدوية، وغير ذلك مما يكون من المألوف أن تشتريه الزوجة لحساب الحياة الزوجية، وذلك في غير إسراف وبالقدر الذي يتناسب مع موارد الزوج المالية؛ وترك ذلك لتقدير محكمة الأساس. ولا تقوم الوكالة الضمنية إذا تركت الزوجة منزل الزوجية أو كانت ناشزاً، أو إذا أرسل الزوج إخطاراً للتاجر بأن زوجته ليست وكيلة عنه. وكذلك تقوم الوكالة الضمنية للأولاد القُصَّر عن أبيهم فيما يشترونه من حاجيات يومية. وقد يقع في بعض الأحيان أن يصدر الموكل توكيلاً ترك فيه بياضاً مخصصاً لاسم الوكيل، فلا يذكر وكيلاً معيناً بالذات، بل يترك البياض لكتابة اسم الوكيل فيما بعد، وهذا ما يسمى بالتوكيل على بياض، ويكون ذلك عادة عندما يكون العمل الموكل فيه محدود الأهمية، ولا يعني الموكل من يكون وكيله فيه، فأي شخص يصلح أن يكون وكيلاً. مثال ذلك قيام عضو في مجلس إدارة إحدى الجمعيات بالاعتذار عن عدم حضور الجلسة بشخصه فيرسل لمجلس الإدارة بتوكيل على بياض، فيملأ مجلس الإدارة البياض باسم أحد أعضاء المجلس ليكون وكيلاً عن العضو الغائب في خصوص أعمال هذه الجلسة المعينة. وكما يجوز ترك بياض لاسم الوكيل، فإنه يجوز أيضاً ترك بياض للتصرف القانوني، فيوكل شخص شخصاً آخر معيناً بالذات في تصرف قانوني لا يعينه، بل يترك بياضاً يقوم الوكيل بملئه بعد ذلك، ويعين بنفسه التصرف القانوني الذي وكل في إجرائه. والأصل في التوكيل على بياض في هذه الحالة أن يكون توكيلاً عاماً في عمل أو أكثر من أعمال الإدارة لم يستطع الموكل تحديدها مقدماً. فإذا جاوز الوكيل حدود التوكيل بحسب ما تفاهم عليه مع الموكل، لم يضار الغير حسن النية الذي تعامل مع الوكيل وهو

مجاوز لحدود وكالته ونفذ أمر التصرف في حق الموكل، وليس لهذا الأخير إلا أن يرجع على الوكيل لإساءته ملء البياض بما لا يطابق الواقع.

ويجب أن يتوافر في الوكالة الشكل الواجب توافره في العمل القانوني محل الوكالة ما لم يكن هناك نص قانوني مخالف. فالوكالة في الهبة يجب لانعقادها أن تكون في ورقة رسمية، والوكالة في عقد الشركة لا تنعقد إلا بورقة مكتوبة. وقد جرت العادة أن يدفع الموكل إلى الوكيل توكيلاً مكتوباً.

ويجب أن يكون الموكل أهلاً أن يؤدي بنفسه العمل الذي وكل فيه، فإذا لم يكن الموكل أهلاً لأن يؤدي التصرف القانوني محل الوكالة، كانت الوكالة باطلة فلا تضفي على الوكيل صفة النيابة، فإذا تعاقد مع الغير تنفيذاً للوكالة كان العقد باطلاً حتى لو كان الوكيل حسن النية، وحتى لو كان الغير الذي تعاقد معه حسن النية.

إلا أنه لا يجب توافر الأهلية بالوكيل لأن أثر هذا التصرف لا ينصرف إليه هو بل ينصرف إلى الموكل، وعليه يصح توكيل قاصر في بيع منزل لشخص تتوافر فيه أهلية التصرف.

ولا يجوز للوكيل أن يتعاقد مع نفسه، وهذا يعود إلى مجاوزة الوكيل لحدود وكالته فلا ينفذ في حق الموكل تعاقده مع نفسه.

والوكالة لا تجوز إلا في تصرف ممكن ومعين أو قابل للتعيين ومشروع، فإذا كانت الوكالة في تصرف مستحيل أو غير معين أو غير مشروع كانت باطلة.

إن أي تصرف قانوني، إذا توافرت فيه الشروط المبينة أعلاه، يصح أن يكون محلاً للوكالة. فيصح التوكيل في البيع والشراء والرهن والإيجار والوصية وفي سائر العقود الأخرى، كما يجوز التوكيل في الإدلاء باعتراف وفي توجيه اليمين وفي الدفاع أمام القضاء. وهذه كلها إجراءات قضائية تابعة لعمل قانوني هو إبداء الطلبات أمام القضاء نيابة عن الموكل.

والوكالة نوعان: عامة وخاصة.

الوكالة العامة: هي التي ترد في ألفاظ عامة، فلا يعين فيها الموكل محل التصرف القانوني المعهد به للوكيل، بل ولا يعين نوع هذا التصرف القانوني ذاته. فيقول الموكل للوكيل مثلاً: وكلتك في إدارة أعمالي، أو وكلتك عني في جميع أعمالي، أو حبستك مفوضاً عني، أو نحو ذلك من العبارات التي تشير إلى الإدارة أو لا تشير إليها، ولكنها حتى لو أشارت إليها تكون في ألفاظ عامة لا تخصيص فيها. ولا يجوز للوكيل أن يقوم بأي عمل من أعمال التصرف، تبرعاً كان أو معاوضة، إلا إذا كان هذا التصرف تقتضيه أعمال الإدارة.

الوكالة الخاصة: لا بد من وكالة خاصة في كل عمل ليس من أعمال الإدارة، وبوجه خاص في البيع والرهن والتبرعات والصلح والإقرار والتحكيم وتوجيه اليمين والمرافعة أمام القضاء. فالوكالة الخاصة لا تجعل للوكيل صفة إلا في مباشرة الأمور المحددة فيها، وما تقتضيه هذه الأمور من توابع ضرورية وفقاً لطبيعة كل أمر.

وهناك أحوال يدعم فيها حسن نية الغير مظهر خارجي، منسوب إلى الموكل، ويكون من شأن هذا المظهر أن يدفع الغير إلى الوهم الذي وقع فيه، فعند ذلك يكون الغير هو الأولى بالرعاية من الموكل لأنه لم يرتكب خطأ، أما الموكل فقد أوجد مظهراً خارجياً أوقع الغير في الوهم، فيضفي القانون حمايته على الغير دون الموكل، وسبيله إلى ذلك أن يجعل أمر التصرف الذي عقده الغير مع الوكيل ينصرف إلى الموكل، لا بموجب وكالة حقيقية فهي غير موجودة في الواقع، بل بموجب **وكالة ظاهرة**، فيعتبر الوكيل الظاهر في تعامله مع الغير باسم الموكل نائباً عنه. وينصرف أثر التصرف الذي عقده مع الغير من حقوق والتزامات إلى الموكل، كما لو كانت هناك وكالة حقيقية. من ذلك أن يكون نظام الشركة قد قيّد من سلطات مدير الشركة، فيخرج المدير على هذه

القيود في تعامله مع الغير، ويعتقد الغير، بحسن نية، أن المدير يعمل في حدود نظام الشركة.

فوزي أدهم

المراجع: ٥٦٨، ٥٧٩.

* * *

الولي

لغة، في أسماء الله تعالى: الوليُّ هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها. قال ابن الأثير: الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل. والولاية السلطان. والولاية النصرة.

وتستعار الولاية للتعبير عن القرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة، والنصرة والاعتقاد.

والولي والمولى في معنى الفاعل أي الموالي، ويقال للمؤمن هو ولي الله عز وجل.

وأولياء الله هم المؤمنون المتقون، سواء سُمِّي أحدهم فقيراً أو صوفياً أو عالماً أو تاجراً أو جندياً أو صانعاً أو أميراً أو حاكماً أو غير ذلك.

فالولاية لا تنحصر بفريق من المسلمين دون سواه، وتشمل كل مؤمن مجاهد في الله يفعل الخير، وكما قال ابن تيمية رحمه الله: «يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد وأهل السيف، ويوجدون في التجار والصناع».

يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس/ ٦٢، ٦٣].

وقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه حديثاً قدسياً يعتمد بشكل رئيس في تحديد منهج الولاية عند المسلمين وعند الصوفيين خصوصاً، جاء في هذا الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت، وأكره إساءته).

لقد ارتبطت الولاية بطاعة الله تعالى والتقرب إليه سبحانه حتى يبلغ العبد مرتبة الإحسان، وقد ذهب الجرجاني في «التعريفات» هذا المذهب حيث قال: الولي هو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، والولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات. والولي مجتنب للمعاصي مشغول بطاعة الله تعالى، معرض عن الشهوات، منهجه الزهد، ويكافأ بأنه يتوالى عليه إحسان الله تعالى وأفضاله.

لذلك كانت مرتبة الولاية أمراً مطلوباً لكل مؤمن، والمؤمن منهي عن اتخاذ الظالمين والمفسدين أولياء، والمؤمنون أولياء لبعضهم يشدون أزر بعضهم، استجابة لأمر الله تعالى.

أسعد السحمراني

المراجع: ١٦٩، ١٧٢، ٣٧٠، ٤٤١، ٥١٤.

* * *

الوهابية = (انظر: محمد عبد الوهاب).

* * *



يحيـى (النبي) عليه السلام

يحيى بن زكريا عليهما السلام، ولد لأبويه على كبر، وكان في مولده آية لمن أراد أن يعتبر. وتميَّز يحيى، منذ الصغر، بالجد حيث لم يشترك مع أقرانه في لهو، بل كان يسعى في الاطلاع والمعرفة، وكان في ذلك يستعد لدوره الرسالي في النبوة، وفي الفصل بين الناس، ووضع الأحكام في موقعها المناسب المحقق للعدل والإصلاح.

قال الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ١٢]. وقد عاش مع الزهاد والرهبان يكتفي بخشن الملبس والمأكل، ويدعو إلى الله تعالى، وقد أمر الله سبحانه أن يكون مبعوثاً في بني إسرائيل، فأمرهم بخمس خصال أو أمور هي: عبادة الله الواحد، الصلاة، الصدقة، الذكر، الصيام.

وكان في زمنه ملك ماجن قالت بعض المصادر أن اسمه هيرودس، وهذا الملك كانت له بنت أخ تعجبه ويريد أن يتزوجها، فنهاه يحيى عن ذلك، فحقدت أمها عليه وقالت لابنتها أن تطلب من الملك قتله، فكان ذلك، وجاؤوا برأسه بطست بعد أن تمَّ ذبحه، وكان مقتله قبل مقتل أبيه زكريا بقليل، وقد عاصرا زمنياً دعوة المسيح عيسى عليه السلام.

ويحيى في العهد الجديد يدعى: يوحنا المعمدان، وكانت ولادته قبل الميلاد بخمس سنوات في قرية عين كارم في ضاحية القدس، وكان، حسب الأناجيل، يقوم بتعميد التائبين في نهر الأردن: «وكان يقول للجموع التي تخرج إليه لتتعمد على يده: يا أولاد الأفاعي، من أراكم سبيل الهرب من الغضب الآتي؟ فأثمروا إذاً ثمراً يدل على توبتكم». وعند السؤال ماذا يعملون؟ قال لهم: «من كان عنده قميصان، فليقسمها بينه وبين من لا قميص له، ومن كان عنده طعام، فليعمل كذلك».

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤.

* * *

اليرموك (معركة)

بعد أن قضى الخليفة الأول، أبو بكر الصديق، على المرتدين وجَّه أربعة جيوش لفتح بلاد الشام، فانطلقت تلك الجيوش تحقق النصر تلو النصر حتى فتحت دمشق وحمص وبعلبك.

وكان على رأس الروم ملك يُعدُّ من أعظم ملوكهم هو هرقل، الذي أدرك بحسه الاستراتيجي حجم القوى العربية المسلمة المسلحة، التي تواجهه، فقرر أن يحشد إمكانات دولته كلها ليواجه المسلمين في معركة فاصلة، فحشد ٢٤٠ ألفاً، بحسب الرواية التي نرجحها، بقيادة خيرة قواده «ماهان» وترك له حرية الحركة.

فلما بلغت أخبار حشود الروم أبا عبيدة بن الجراح، قائد جيوش المسلمين، دعا إليه رؤوس المسلمين وأهل الرأي فيهم وعرض عليهم الأمر، واستمع إلى آرائهم. وبعد مناقشة الآراء جميعها تقرر الانسحاب من حمص ووسط سوريا، وحشد قوات المسلمين في منطقة الجابية، جنوب دمشق، لتكون تحت قيادة موحَّدة، وتشكل قوة كافية في مواجهة حشود الروم. ومما يذكر للمسلمين في

هذه المناسبة إعادة الجزية إلى أهل حمص لأن المسلمين أخذوها مقابل الدفاع عنهم، ولما لم يعودوا قادرين على الدفاع عنهم أعادوا إليهم ما أخذوه منهم. وبعد ذلك أرسل أبو عبيدة إلى أبي بكر يعلمه بقرار الانسحاب.

في هذه الأثناء انضم إلى جيوش المسلمين خالد بن الوليد بمن معه من خيرة فرسان المسلمين، بعد أن اجتاز بادية الشام قادماً من العراق، بمسيرة انتزعت ـ ولا تزال ـ إعجاب قادة العالم الاستراتيجيين. وبعد أيام من وصوله علم المسلمون أن جيش الروم تحرك من حمص إلى البقاع، واتجه جنوباً إلى الحولة في جنوبي سورية، فأدرك المسلمون أن هدف الروم هو الالتفاف على جيوش المسلمين وتطويقها. فاجتمع قادة هذه الجيوش: أبو عبيدة بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وعدد من كبار الصحابة، لدراسة الموقف.

تدارس قادة المسلمين في منطقة الجابية الوضع، وطرحت بين القادة فكرة الانسحاب من بلاد الشام، ولكن خالد بن الوليد كان له رأي آخر، وطلب من أبي عبيدة أن يوكل إليه القيادة العامة، فكان له ذلك. وبينما هم يتابعون اجتماعاتهم جاءهم خبر نزول جيش الروم وادي الرقاد (أحد روافد نهر اليرموك)، فحضر أبو سفيان اجتماع القادة، واقترح الانتقال إلى منطقة اليرموك، بحيث يكون اتصالهم مؤمناً مع المدينة، ولا يقطع الأعداء عنهم خط الإمداد. فارتحل جيش المسلمين إلى المنطقة التي نصح بها أبو سفيان، ونزلوا في مكان مناسب للمعركة، خلف اليرموك، وأذرعات (درعا) خلفهم. ولحق بهم جيش الروم ونزل وراء دير أيوب، وأصبح نهر اليرموك حاجزاً بين الجيشين، وكان ذلك في يوم الثلاثاء ٢١ جمادى الآخرة ١٥هـ/ ٣٠ تموز (يوليو) ٦٣٦م، وفق أرجح الروايات.

وكانت تعليمات هرقل إلى قائد جيش الروم (ماهان) عدم الاشتباك إلا بعد استنفاد جميع الوسائل المؤدية إلى السلام. فبعث هذا جبلة بن الأيهم، رئيس العرب الغساسنة، ليفاوض على الصلح، ولكنه رجع خائباً، فطلب ماهان الاجتماع بخالد. ودارت مفاوضات طرح فيها ماهان عروضاً رفضها خالد ففشلت المباحثات، وأدرك الطرفان حتمية المعركة. وبدأ كل جيش بالاستعداد للقتال، فعبأ خالد جيشه تعبئة جديدة، فخلط عناصر الجيوش الخمسة، ونظمها كراديس (كتائب) فأصبح له جيش واحد، بقيادة واحدة، مؤلف من ٣٦ ـ ٤٠ كردوساً، ثم قسم الكراديس إلى ميمنة وقلب وميسرة، ثم قسمها أربعة أرباع، وجعل على الربع الأيمن عمرو بن العاص، وإلى يساره شرحبيل بن حسنة، ثم أبا عبيدة بن الجراح، وعلى الربع الأيسر يزيد بن أبي سفيان. وجمع فرسان المسلمين وجعلهم تحت قيادته المباشرة، وجمع النساء في مؤخرة الجيش وأمرهم بضرب كل من يحاول الهرب بالحجارة وأعمدة الخيام.

واتبع الروم في تعبئتهم طريقة الصفوف المتراصة، فكان عدد صفوفهم عشرين صفاً، وعلى مقدمتهم جبلة بن الأيهم الغساني، وكان عدد المشاة في جيش الروم، بحسب مختلف الروايات، لا يقل عن ١٢٠ ألفاً، فإذا قسمناهم على عشرين صفًّا، يكون في كل صف ستة آلاف جندي يغطون جبهة عرضها ما بين ٨ ـ ١٠ كم، ولا يقل عمقها عن ٦٠ متراً.

وفي فجر يوم الاثنين ٥ رجب سنة ١٥هـ، الموافق ١٢ آب (أغسطس) سنة ٦٣٦م، بدأ القتال بالمبارزة، بين أبطال الفريقين، كالعادة في بدء القتال في ذلك الزمان، وبقي الحال كذلك حتى انتصف النهار، وأدرك قائد الروم أن لا مصلحة له في ذلك، حيث كان فرسانه يقتلون الواحد تلو الآخر، فقرر الزحف والاشتباك معتمداً على تفوّق جيشه العددي، بينما كانت خطة خالد الثبات ورمي المتقدمين بالنبال لخلخلة صفوفهم قبل التلاحم

معهم، والاحتفاظ بالخيالة احتياطاً متحركاً يمكن زجُّه في المعركة في الزمان والمكان المناسبين.

وضغط الروم على المسلمين فتخلخلت ميمنتهم وميسرتهم، وصمد قلب الجيش، وبقي خالد يراقب المعركة، وقد جمع نصف الخيالة بقيادته خلف جناح الجيش الأيمن، ونصفهم بقيادة قيس بن هبيرة خلف الجناح الأيسر، وعندما قدَّر أن اللحظة المناسبة حانت أعطى أوامره بالهجوم قائلاً: «يا أهل الإسلام، لم يبق عند القوم من الجلد والقتال والقوة إلا ما قد رأيتم. فالشدَّة الشدَّة، فوالذي نفسي بيده ليعطينَّكم الله الظفر عليهم الساعة. إني أرجو أن يمنحكم الله أكتافهم»، وتحقق ما توقعه خالد.

فقد وصلت خيالة المسلمين مرتاحة بينما كانت قوات الروم منهكة، فانقلب نصرها إلى هزيمة، وأدى القتال إلى انفصال خيالة الروم عن مشاتهم، فهربت الخيالة، وفسح لها المسلمون الطريق، وبانسحاب الخيالة فقد المشاة الدعم. ولما بدأ الليل يرخي سدوله، أعطى خالد أوامره بالهجوم المعاكس الشامل لعكرمة بن أبي جهل، والقعقاع ابن عمرو، وكانا على مجنبتي القلب، وهما من أشجع الفرسان. ولما بدأ المسلمون الزحف ذعر عسكر الروم وأخذ جدارهم البشري بالتحرك البطيء إلى الخلف، وكان وادي الرقاد خلفهم، فإذا هوى جندي لأي سبب جرَّ العشرة المربوطين معه إلى الوادي. وأخذت هذه الكتل البشرية تسقط في الوادي حتى بلغ عدد الساقطين المربوطين بالسلاسل وحدهم ثمانين ألفاً.

وكان بإمكان الروم سلوك طريق ضيِّقة للانسحاب من مخاضة على النهر، ولكن خالداً أرسل ضرار بن الأزور على رأس وحدة قطعت الطريق عن مخرج المخاضة، فحوصرت القوات غير المربوطة بالسلاسل بين حجارة ونبال قوات ضرار على ضفة الرقاد اليمنى وهجوم الجيش الرئيس، فأبيد بذلك ما يقارب الأربعين ألف جندي من مشاة الروم. وتوقف القتال مع تقدم الليل، وأشرقت شمس اليوم التالي على ما يقارب المئة وعشرين ألف جثة قتيل مبعثرة في وادي الرقاد وأطراف المعركة. ولم يكن نصر المسلمين هيِّناً أو رخيصاً، فقد كلَّفهم أكثر من أربعة آلاف شهيد بينهم عدد من خيرة فرسان المسلمين وقادتهم (مثل عكرمة بن أبي جهل)، ولم يخرج أحد تقريباً من دون جراح، ومع ذلك قرر خالد استثمار النصر فبدأ المطاردة فوراً، وتعقب الروم حتى وصل حمص من جديد، واستقبله أهلها بشروط المعاهدة السابقة.

لقد أراد كل من الطرفين أن تكون المعركة حاسمة، وكان كل من الطرفين يخشى الطرف الآخر، فجاءت النتيجة حاسمة، وحقق المسلمون الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه كل جيش، فقد دمَّر جيش المسلمين جيش العدو وحطمه تحطيماً شبه كامل، الأمر الذي جعل هرقل يغادر أنطاكية كئيباً حزيناً إلى عاصمته القسطنطينية ويقول جملته الشهيرة: «وداعاً يا سورية لا لقاء بعده». وهكذا كان، فقد دخلت سورية في الإسلام، وبعد سنوات غدت عاصمة الخلافة الإسلامية، ولا تزال حتى اليوم حصناً من حصون العروبة والإسلام.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٢٢، ٣٤٥/١، ٤٨٦/٢.

* * *

اليزيدية

ينسب اليزيديون مذهبهم للشيخ عديِّ بن مسافر المولود في قرية خربة قنفار في البقاع اللبناني سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، والذي انتقل بعدها إلى الهكارية من أعمال الموصل في العراق، وعاش هناك بين الأكراد. وقد عاش ومات ودفن في ليلش التي تعدُّ المكان ذا القداسة الأولى عند اليزيديين، وإليه يحجُّون.

والشيخ عدي كان صوفياً معتدلاً ولا خلاف على تقواه، وتعاقبت مسؤولية طريقته العدوية في أبناء شقيقه، لأنه مات عازباً، حتى كانت حالة الانحراف وتأسيس اليزيدية على يد حسن بن عدي ابن أبي البركات بن صخر بن مسافر، وبعدها تواصل منهج الغلو والانحراف.

وقد حصل خلاف بين المؤرخين للفِرَق حول أصل الاسم: يزيدية، والمفيد تجاوز الخلاف لنتعرف على الاسم من خلال ما يقرُّ، ويصرح به اليزيديون المعاصرون، وهؤلاء يعيدون الأصل في طائفتهم إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي. ومن الإجراءات على هذا الصعيد أن الحكومة في العراق، في الخمسينيات والستينيات، كانت قد أقرَّت بحقوق اليزيديين، وقد فتح أحد زعمائهم الأمير بايزيد إسماعيل بك چول مكتباً في بغداد أطلق عليه اسم: «المكتب الأموي».

وفي بيان صادر عن هذا المكتب في ٧/ ٣/ ١٩٦٩م قال الأمير بايزيد: «إن المكتب يتقبل كل الاستفسارات عن الأمويين، والإجابة عنها بكل صراحة للتعريف بحقيقتهم بعد أن شوِّهت».

واليزيديون الذين يتألفون من حوالي ٢٠٠ ألفاً ينتشر ما يزيد عن ثلثهم على ضفتي نهر دجلة في العراق في إقليمي سنجار وشيخان، وفي القرى النائية في قضائي دهوك وزاخو. وهناك قسم منهم في شمالي سوريا في منطقة حلب حول كلِّس وعينتاب ومنطقة ديار بكر وماردين وسواها، ويوجد قرابة ٦٠ ألفاً منهم في أرمينيا والباقي موزعون في مناطق أخرى في تركيا وسواها.

أما عن عقيدتهم، فإن الشيطان يتمتع بمكانة خاصة في معتقدات اليزيدية، فإنهم يقدسونه ويعلون مكانته ولكنهم لا يعبدونه. وسبب تقديسهم أنهم يرون الشيطان مسبباً للشر ولذلك يتجنبونه ويخشون شره، وفي عقيدتهم أنه في آخر الزمان سوف يتوب عن معصيته وصناعته للشر ويرجع إلى الله. والشيطان عندهم يسمى طاووس ملك. وفي طقوسهم أن مواكبهم الدينية يتقدمها طاووس من معدن يسمونه أحياناً «سنجق»، ويكون على حامل معدني تحته سبع وسائد ويرمز ذلك إلى الشيطان.

وفي جملة تقديسهم للشيطان أنهم فرضوا على أتباعهم عدم ترديد اسمه أو أية لفظة فيها حروف من اسمه، كما أنهم حظروا لعنه، فلا يلفظ اليزيدي كلمة شيطان ولا شط ولا بط ولا قبطان ولا ما شاكل ذلك.

ولدى سؤالهم عن مبرر تقديسهم للشيطان يجيبون: إن الله رحيم بالعباد لكن الشيطان الذي يفعل الشر لا بد من إظهار الولاء له اتقاءً لأذاه وتخلصاً من شره. عند اليزيدية كتابان مقدسان، وهما عبارة عن صفحات قليلة. الأول هو: «مصحف رش» والثاني: «كتاب الجلوة».

يزعم اليزيديون أن الشيخ عدي بن مسافر قد أسقط الصلاة والصوم وسائر العبادات. والحج عندهم يكون إلى ليلش حيث قبر عدي بن مسافر. وإذا ما أدَّوا صلاة هي على شكل أدعية، فهي حسب عريضة تقدموا بها إلى الدولة العثمانية في ٢٨/ ٢/ ١٨٧٢م، وذلك لإعفائهم من الخدمة العسكرية، يقولون، وبلغة ركيكة وتشوبها أخطاء لغوية: «لازم على كل فرد من طايفتنا كل يوم في وقت طلوع الشمس أن يزور موضع شروق الشمس بشرط أن لا يوجد واحد من المسلمين والنصارى واليهود أو غير ذلك وإذا ما يعمل واحد منهم ذلك يكفر».

والمعلوم أن كل يزيدي متدين يتوجه عند شروق الشمس وعند غروبها باتجاه مطلعها وغروبها ويلثم الأرض معفِّراً جبهته بالتراب، وهو يردد أدعية من كتابيهم، أو من أدعية يتناقلونها ولغتها مزيج من العربية والكردية، وأحياناً الفارسية.

والصيام عندهم له مواقيت وأيام مختلفة عن المسلمين، وعندهم حسب فئاتهم وتديُّنهم ولكنه يشبه صوم المسلمين لجهة الإمساك عن الطعام

والشراب طوال النهار. والصوم عندهم يلزمه أن يزور الصائم صباحاً شيخه ويبره، أي مرشده، وكذلك عند الإفطار.

والحج، كما مرَّ، هو إلى ليلش حيث هي كعبتهم، وفيها نبع ماء يعدونه كنبع زمزم في مكة المكرمة. وعند اليزيديين موقف من بعض الأطعمة، فإنهم لا يأكلون السمك ولا الخس ولا الملوخية ولا القرع ولا الملفوف ولا اللوبياء، كما أنهم لا يرتدون لباساً كحلي اللون، ولا يستخدمون أية أدوات سبق أن استخدمها شخص غير يزيدي.

ومن معتقدات اليزيديين الإيمان بالرجعة والمهدية، وهم يعتقدون بأن مهديهم المنتظر وهو شرف الدين، سيظهر قريباً ويلتقط ما ادَّخره له أصحابه من نقود ومكانها هو شق في جبل سنجار، ويستعين بها على تطهير الأرض من الرجس والفساد.

أسعد السحمراني

المراجع: ٥٢٦، ٥٨١، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٨، ٥٨٩.

* * *

اليسوعيون

اليسوعيون، جمع يسوعي وهو العضو في «جمعية يسوع»، وهي مؤسسة رهبانية أسسها أغناطيوس دو لويولا سنة ١٥٣٤م، وصادق عليها البابا بولس الثالث سنة ١٥٤٠م.

يهدف اليسوعيون إلى تجديد الكنيسة من الداخل بواسطة التوجيه الروحي، والتعليم، والرسالة. فهذه الجمعية هي في الأساس جمعية رسولية تضع ذاتها تحت سلطة قداسة البابا ويرأسها أب عام منتخب.

يؤدي المرشح للدخول إلى هذه الجمعية ثلاث نذورات وهي: الفقر، والعفة، والطاعة، ويزاد إليها نذر رابع هو الطاعة لقداسة البابا. يتابع المرشح سنوات دراسية طويلة قبل أن يُقبل في الجمعية، فيتمرس في العلم والفضيلة.

دُعي اليسوعيون «جنود الله» و «جيش البابا». ولكثرة تأثيرهم ونجاحهم في كافة الميادين قام حولهم الحسَّاد والمنافسون فنجح هؤلاء في النيل منهم، مما دفع البابا كليمنضوس الرابع عشر إلى اتخاذ قرار بحلِّ الجمعية سنة ١٧٧٣م، وما لبث البابا بيوس السابع أن أعاد السماح لها بممارسة نشاطها ابتداءً من سنة ١٨١٤م.

انتشر اليسوعيون في أقطار الأرض كلها، في أوروبا وأفريقيا، والشرق الأوسط، والهند، واليابان، والصين وأميركا اللاتينية والشمالية، وحيث حلُّوا كانوا يؤسسون المدارس والجامعات ودور العلم والثقافة. كان عديدهم سنة ١٩١٤م يوازي العشرين ألفاً، وسنة ١٩٧٠م حوالي ٣٤٠٠٠ ألفاً يضعون ذواتهم في خدمة الكنيسة في كافة أقطار الأرض.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *

يعقوب (النبي) عليه السلام

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ويسمَّى إسرائيل، والكلمة آرامية من مقطعين: إسرا - إيل، ومعناها عبد الإله.

ويعقوب توأم لشقيقه العيص أو عيسو، وكان بينهما شقاق...

وليعقوب اثنا عشر ولداً هم الأسباط، وهم: لاوي، يهوذا، يساخر، زبولون، يوسف، بنيامين، دان، نفتالي، كان، إشار، شمعون، روبيل.

وكان يعقوب يحب يوسف وشقيقه بنيامين أكثر من أولاده الباقين، وقد وقع الحسد، وما تبعه بسبب ذلك.

قال الله تعالى بلسان أبناء إسحاق: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف/ ٨].

قام يعقوب بالدعوة إلى الله تعالى نبياً، وارتبط جزء من حياته بتلك المؤامرة التي تعرَّض لها يوسف عليه السلام، أحب أبنائه إلى قلبه، وعاش حوالي مئة وأربعين سنة وقبضه الله تعالى وهو ببلاد مصر بعد أن اجتمع بيوسف، فحمله يوسف، ودفنه في فلسطين قرب قبر إبراهيم وإسحاق عليهما السلام.

ورد في «سفر التكوين من العهد القديم»: «وأوصاهم يعقوب وقال لهم: أنا منضم إلى أجدادي. فادفنوني مع آبائي في المغارة التي في حقل عفرون الحثِّي، المغارة التي في حقل المكفيلة، بإزاء حمَّرا، في أرض كنعان، والتي اشتراها إبراهيم مع الحقل من عفرون الحثِّي، مِلك قبر... فلما انتهى يعقوب من وصيته لبنيه، ضمَّ رجليه على السرير، وفاضت روحه، وانضم إلى أجداده».

وفي النص القرآني ورد بلسان يعقوب وصية لذريته بأن يلتزموا العقيدة السليمة، وأن يؤمنوا بالله تعالى، وعلى ذلك أخذ عهداً منهم. ونص الآية في سورة البقرة: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة/ ١٣٣].

فالدرس هنا: هو أن الوصية للأبناء والأحفاد لم تكن بشأن دنيوي أو معاشي، وإنما توجهت إلى الأولى، إلى العقيدة، إلى الإيمان بالله تعالى، فالعقيدة أساس حياة المؤمن.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤١٣، ٤٢٤، ٤٨٠.

* * *

اليعقوبية (اليعاقبة)

هم الجماعات المسيحية التي اعتنقت العقيدة المونوفيزية، المنادية بالطبيعة الواحدة في المسيح، والتي دعيت رسمياً بالكنيسة السريانية الأرثوذكسية.

فعلى أثر إدانة المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١م للعقيدة المونوفيزية، سعى أسقف مدينة أوديسا يعقوب برادايوس، ابتداءً من سنة ٥٤٢م، إلى سيامة العديد من الأساقفة، والكهنة الذين يدينون بالعقيدة المونوفيزية، فتشكلت حوله كنيسة دُعيت فيما بعد باسمه الكنيسة اليعقوبية أو اليعاقبة.

ومما ساعد في انتشار هذه الكنيسة عوامل عدة مجتمعية وسياسية، منها الرغبة في مناهضة السلطة الأمبراطورية والثقافة اليونانية. اتسع تأثير هذه الكنيسة فانضمت إليها سائر الجماعات السريانية في بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس، كما أنها أقامت علاقات مع الكنيسة القبطية.

استقبل العديد من اليعاقبة الفتح العربي سنة ٦٣٣م واعتبروه محرراً لهم من سطوة الأمبراطورية، ولكن بعد ذلك تعرَّضت هذه الكنيسة إلى الاضطهاد وإلى ضغوط مجتمعية إسلامية ساهمت في إضعافها وتبديدها.

وفي القرن الثامن عشر انضمت جماعات من اليعاقبة إلى سلطة كنيسة روما، وشكلت ما يُدعى اليوم بطريركية السريان الكاثوليك.

هنري كريمونا

المراجع: ٥٩٥، ٦٠١، ٦٠٨.

* * *

اليقين

اليقين: العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر.. واليقين نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل، تقول: علمته يقيناً.

في القرآن: جاءت كلمة اليقين وما يشتق منها في القرآن الكريم في سبع وعشرين آية، وقد وردت هذه الكلمة على أربعة أضرب، وهي التالية:

- اليقين: في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر/ ٩٩].

- علم اليقين: في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر/ ٥].

- عين اليقين: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر/ ٧].

- حق اليقين: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة/ ٩٥].

وقد اتخذت نوعين من المعنى:

المعنى الحقيقي: وهو الإيمان والتصديق.

المعنى المجازي: وهو الموت، في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر/ ٩٩].

في السنة الشريفة: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (لا ترضينَّ أحداً بسخط الله تعالى، ولا تحمدنَّ أحداً على فضل الله عز وجل، ولا تذمنَّ أحداً على ما لم يؤتك الله تعالى، فإن رزق الله تعالى لا يسوقه إليك حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره، وإن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط).

ما قالته المتصوفة في أنواع اليقين الأربعة:

جاء في الرسالة القشيرية: فاليقين هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف، ولا يطلق في وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف. فعلم اليقين هو اليقين. وكذلك اليقين نفس اليقين، وحق اليقين نفس اليقين. فعلم اليقين، على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان، وعين اليقين ما كان بحكم البيان، وحق اليقين ما كان بنعت العيان. فعلم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم، وحقُّ اليقين لأصحاب المعارف.

وقد أدلى أصحاب المعارف بدلوهم في هذا الشأن.

فقال سهل بن عبد الله يبين مراتب اليقين: ابتداء اليقين المكاشفة ثم المعاينة والمشاهدة.

وقال أبو عثمان الحيري: اليقين قلة الاهتمام لغد.

وقال الجنيد: اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب.

ويقول ذو النون المصري: ثلاثة من أعلام اليقين: قلة مخالطة الناس في العِشرة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزه عن ذمهم عند المنع. وثلاثة من أعلام يقين اليقين: النظر إلى الله تعالى في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

ويقول علي بن سهل: الحضور أفضل من اليقين لأن الحضور وطنات واليقين خطرات. كأنه جعل اليقين ابتداء الحضور والحضور دوام ذلك.

محمد الزعبي

المراجع: ٢٧١، ٤٤١.

* * *

يهود

الاشتقاق من كلمة«هاد»؛ أي تاب ورجع. وقال الشهرستاني: «هاد الرجل: أي رجع وتاب. وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف/ ١٥٦]، وهم أمة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء، أعني أنه ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمي كتاباً، بل صحفاً».

وعند ابن منظور في «لسان العرب»: «سُمِّيت اليهود من هادوا أي تابوا، وهوَّد الرجل: حوَّله إلى ملَّة يهود. والتهويد: أن يصير الإنسان يهودياً».

ويقول الراغب الأصفهاني: «قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم: هدنا إليك، وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح».

اليهودية عقيدة وشريعة، يزعم أتباعها أنهم

يتبعون موسى عليه السلام، وهم غير «بني إسرائيل»، فبنو إسرائيل نسب يعود إلى إسرائيل، أي يعقوب عليه السلام.

وفي دراسات الكتاب المقدس أن يهود تعود إلى يهوذا، وهو أحد أسباط بني إسرائيل الإثني عشر، وكانت عندهم مملكة في الجنوب من منطقة الضفة الغربية كانت عاصمتها أورشليم (القدس) قبل السبي البابلي ليهود.

وحسب الشريعة الإسلامية «يهود» أهل كتاب، وقد عوملوا على هذا الأساس لولا أنهم غدروا وتآمروا وانتهوا حالياً إلى الصهيونية، وهي حركة سياسية عنصرية اغتصبت أرض العرب ومقدساتهم، ولذلك صارت المواجهة معهم هي القاعدة.

أسعد السحمراني

المراجع: ٤٠٥، ٤٤١، ٥٠٣، ٥٢٤، ٥٢٨.

* * *

اليهودية (الديانة)

اليهودية: أقدم الرسالات السماوية الثلاث، وهي عقيدة يزعم أتباعها أنهم يتبعون الدين الذي أُنزل على موسى عليه السلام. كتابهم المقدس «التوراة» وهي قسم من العهد القديم ولكن بعضهم كالسامريين لا يأخذون إلا بها، ويسمونه «الناموس» [انظر: التوراة في مكان آخر من هذه الموسوعة]، ولكنهم يتبعون «التلمود» ويولونه أهمية أكثر من التوراة، وذلك لأنه أكثر تفصيلاً، وشرحاً، وانسجاماً مع طبيعتهم، وهو في نظرهم القانون الشفوي الذي نقله الحاخامات عن موسى جيلاً بعد جيل. [انظر: التلمود في مكانه من هذه الموسوعة].

وصلتهم بالمسيحية تقوم على أن عيسى عليه السلام ولد من أم يهودية هي مريم. جاء إلى بني إسرائيل ليصحّح انحرافهم عن عقيدة إبراهيم، فما كان منهم إلا أن قاوموا دعوته وعملوا على صلبه.

وبعضهم يرى أن المسيح الذي يؤمنون به لم يظهر حتى الآن، وهو لن يظهر حتى يُعاد بناء هيكل سليمان المزعوم. ويعتقد معهم هذا الاعتقاد فرقة معاصرة تعرف بـ «الصهيونية المسيحية» [انظر تفصيلاً عنها تحت هذا العنوان]. وهم يكنون عداء حاقداً للمسيحية، وتبادلهم الكنيسة هذا العداء. وقد تعرضوا للاضطهاد في معظم الدول المسيحية التي حلوا بها، وبخاصة لأنهم يفضِّلون العيش في «غيتو»، ولا يختلطون بغيرهم من السكان.

واليهودية دين توحيد، ولكن الإله، ويسميه اليهود «يهوه» في عقيدتهم هو إله خاص بهم، جبار بطّاش خلق الكون والبشر لخدمة بني إسرائيل، وفضّلهم على العالمين. ويطلقون على غير اليهود اسم «غوييم» وقد تترجم بـ «الأمميين». وبما أنهم يرون أن «الغوييم» كالبهائم والحيوانات خُلقت لخدمة اليهود «لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض» [تثنية الاشتراع ٦/٧]، فإن قتل الغوييم وأكل أموالهم والفسق بهم مباح لليهود.

والدين اليهودي يحرِّم أكل الخنزير، ويأمر بختان الذكور. وكانوا يطلقون على معبدهم اسم الهيكل، ثم حل محله «الكنيس»، ويُطلق على رجل الدين عندهم اسم «ربي» و «حاخام». وقد اعترى الديانة اليهودية من الانقسامات ما اعترى غيرها من الأديان.

وليصبح الإنسان يهودياً لا بد من أن يكون من أم يهودية، أما اعتناق الديانة اليهودية فهو أمر شبه مستحيل.

لذلك تُعدُّ اليهودية الحالية دعوة عنصرية أكثر مما هي دين. وأما الصهيونية فهي الوجه السياسي الحديث لليهودية.

وقد أخذت اليهودية شكلها «العقدي» النهائي

من بابل. فقد سُبي اليهود الذين كانوا في بعض مناطق فلسطين ونقلوا إلى العراق ما بين سنة ٥٧٦ق.م. و٧٢١ق.م، وهناك وضع زعمائهم ورجال دينهم الأسس والإجراءات الصارمة التي تحول دون انصهارهم بالمجتمع في المنفى، فمنعوا عليهم الزواج، والاختلاط، والطعام مع أي غريب بانتظار العودة إلى فلسطين. وهناك وُضعت أسفار العهد القديم.

ولما أطلق البابليون سراحهم إكراماً لـ «أستير» عادوا سنة ٤٤٠ق.م، وأعلنوا الدين بحلّته الجديدة المتكاملة.

ويصنِّف الإسلام اليهود على أنهم أهل كتاب، وعاملهم المسلمون على هذا الأساس، وعقد الرسول معهم، بعد هجرته إلى المدينة، اتفاقية عرفت باسم الصحيفة، ولكنهم نقضوها وتعاونوا مع كفار قريش فعاقبهم على فعلتهم، وأما، خلال حِقَب التاريخ المختلفة، فقد عوملوا في دول المسلمين مواطنين لهم حقوق وعليهم واجبات، وتعرضوا مع المسلمين إلى الاضطهاد والنفي من الأندلس وإسبانيا.

أما العداء الحالي فسببه عدوانهم على العرب والمسلمين، واغتصاب أرضهم، وتدنيس مقدساتهم.

أحمد راتب عرموش

المراجع: ١٨٣، ١٨٧، ١٨٩، ١/٥٩٠.

* * *

يهوذا الإسخريوطي

هو أحد رسل المسيح الإثني عشر، والذي أسلم يسوع إلى رؤساء الكهنة مقابل «ثلاثين من الفضة» (متى ١٤:٢٦ ـ ١٦) ثم شنق نفسه ندماً (متى ٣:٢٧ ـ ٥). وقد اعتبر تقليد الكنيسة أن يهوذا هذا، وهو غير يهوذا أو تدّاوس أحد الرسل الإثني عشر أيضاً أخو يعقوب الأصغر وابن عم يسوع (لو ١٦:٦، ومتى ٣:١٠ ومر ١٨:٣) وكاتب الرسالة التي تسمى «رسالة يهوذا»، وهي الرسالة العامة السابعة في العهد الجديد. كان ينتمي إلى فئة «الغيورين»، وهي كانت تضم شباناً مناهضين لحكم الرومان لليهود ومنتظرين مجيء المسيح بشكل قائد لكي يعمل على تحريرهم ولو بالقوة. ويقال: إن سبب تسليم يهوذا ليسوع كان خيبة أمله من عدم قيام المسيح بهذا.

بولس وهبة

المراجع:

* * *

يوحنا

ابن زبدي وصالومة، وشقيق يعقوب. كان أبوه صياداً ميسوراً، يملك سفينة وعمّالاً، وسوف تساعد أمّه المسيح بمالها، ولا تتورَّع من أن تطلب منه أماكن الصدارة من أجل ابنيها. أقامت العائلة في بيت صيدا، عند بحيرة طبريا، في فلسطين. وهناك دعا المسيح يوحنا وأخاه، فتركا والدهما والشباك وتبعاه. كان يوحنا تلميذ المعمدان، فتركه وسار وراء المسيح بطبعه الحدِّ الذي يريد أن ينزل ناراً من السماء على الذين رفضوا أن يستقبلوا الربَّ، لهذا سمي مع أخيه ابني الرعد. وتميّز يوحنا بتعلّق كبير بالمسيح بحيث رفض لأحد أن يعمل باسم المسيح، دون أن يلتحق به ويكون من المجموعة الرسولية. هناك تقليد يجعل من يوحنا التلميذ الحبيب الذي انحنى على صدر المعلم في العشاء الأخير (١٣:٢٣ ـ ٢٥)، وعرفه بعد القيامة وخلال العيد العجيب.

ترك يوحنا الإنجيل الرابع الذي سمي الإنجيل الروحاني، لأنه يفتحنا على عالم الروح، كما ترك ثلاث رسائل، تشدِّد بشكل خاص على محبّة القريب التي هي البرهان لمحبتنا لله، وارتبط باسمه سفر الرؤيا الذي دوِّن حوالي سنة ٩٨م خلال

اضطهاد الأمبراطور دوميسيانس للمسيحيين: شجّعهم الرسول وأفهمهم أن المسيح في النهاية هو الذي يغلب العالم.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

يوحنا الدمشقي (حوالي ٦٧٥ ـ ٧٤٩)

حفيد منصور بن سرجون، رئيس ديوان المالية على عهد الخليفة معاوية. وقد شغل يوحنا منصباً مهماً في البلاط الأموي كممثل للمسيحيين لدى الخليفة في دمشق، إلا أن ميله إلى الهدوء دفعه إلى اختيار طريق الرهبنة، فانضم إلى دير القديس سابا في القدس، وكان له إسهام مهم جداً في الدفاع عن الأيقونات المقدسة إبان فترة محاربة الأيقونات، وقد كتب دفاعاً مهماً في هذا الشأن ما يزال يعتبر في منزلة رفيعة إلى اليوم، وقد يكون أهم شرح للاهوت الأيقونة حتى الآن.

كما كتب القديس يوحنا ثلاثية «ينبوع الحكمة»، التي عالج فيها مواضيع فلسفية، ودافع عن الإيمان الأرثوذكسي داحضاً تعاليم الهراطقة في ذلك الوقت، فكان بذلك أول من ألف عملاً متكاملاً يشرح فيه اللاهوت والإيمان المسيحي.

إضافة إلى ذلك، يعتبر الدمشقي شاعراً مهماً، وناظم تسابيح ما يزال الكثير منها يستعمل في صلوات الكنيسة الأرثوذكسية حتى اليوم، وقد أعلنته الكنيسة «معلماً للمسكونة»، أي أباً من آبائها العظماء عام ١٨٩٠م.

بولس وهبة

المراجع: ٥٩٧.

* * *

يوحنا المعمدان

ابن زكريا الكاهن وأليصابات. أعلن مولده بشكل عجيب لأبيه، وتحدث النص مسبقاً عن نسكه وتقديسه، وهو في حشا أمه، ودوره كسابق للمسيح يدعو الناس إلى التوبة. وُلد قبل المسيح بست سنوات، ربما سنة ٦ق.م، في عين كارم، قرب أورشليم. أقام يوحنا في البرية بعض الوقت ثم بدأ يكرز، فافتتحت كرازتُه الأخبار الإنجيلية لحياة المسيح العلنية. مارس رسالته على شاطىء الأردن، فجاء كلامه بسيطاً: «ملكوت السماوات قريب». استند إلى كلام أشعيا النبي فأعطاه بعداً سيكلوجياً. دعا الناس إلى الارتداد والتوبة، إلى تبديل العقلية، تبديل الحياة، من له ثوبان فليعط من لا ثوب له.. لا ظلم ولا قساوة على القريب ولا سيما الفقير والضعيف. جمع يوحنا حوله تلاميذ سينتقل بعضهم إلى المسيح، والبعض الآخر يواصل رسالة المعلّم. انتهت حياة يوحنا بقطع رأسه على يد هيرودس، بعد أن وبّخه النبيُّ لأنه اتخذ امرأة أخيه. وهكذا مات المعمدان شهيد قوله الحقِّ، فكان في موته صورة مسبقة للمسيح، كما كان في الحبل به وولادته.

بولس الفغالي

المراجع:

* * *

يوسف (النبي) عليه السلام

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

لُقّب بالصدّيق، وهو كريم وآباؤه كرماء. وفي الحديث النبوي الشريف: (إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم صلوات الله عليهم).

وقد بشّره الله تعالى بأنه سيكون نبياً منذ صغره،

حيث جاء في سورة يوسف قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف/ ٤].

ولما أحسَّ إخوته بمحبة أبيه له ولشقيقه بنيامين، وقع الحسد في قلوبهم، وبيَّتوا كيداً له حملهم على إلقائه في الجبِّ، ومن ثم أخرجه سيَّارة من مصر وباعوه، ونشأ في بيت العزيز. ولما كبر راودته امرأة العزيز عن نفسه، ودخل السجن. وهكذا توالت المؤامرات والمكائد ضده إلى أن كان أميناً على خزائن مصر، وفي كل هذا يظهر جلياً أن تأييد الله تعالى لعبده يرد عنه كل أنواع الكيد والتآمر، فالله سبحانه، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف/ ٦٤].

وفي نصرة يوسف عليه السلام وتمكينه تأييد إلّهي رغم كل من تآمروا عليه، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/ ٢١].

وحول تسليمه الخزائن والسلطة من قِبل حاكم مصر ورد في سفر التكوين من العهد القديم: «وقال فرعون ليوسف: انظر قد أقمتك على كل أرض مصر. ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف. وألبسه ثياب كتَّان ناعم وجعل طوق الذهب في عنقه، وأركبه مركبته الثانية، ونادوا أمامه: احذر. وهكذا أقامه على كل أرض مصر».

أما حياته كما أورد النيسابوري فهي على الشكل التالي: أُلقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبودية، والملك والسجن ثمانين سنة، وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة، ومات وهو ابن مئة وخمس وعشرين سنة.

وبعد موته حنط المصريون جثته، حسب عاداتهم، ومن ثم نقل قومه رفاته، ونفذت وصيته بدفن رفاته في شكيم بجانب بئر يعقوب، وبعدها تم نقلها إلى جانب أجداده إبراهيم وإسحق.

وفي سفر الخروج من العهد القديم: «وصعد بنو إسرائيل من أرض مصر مسلحين. وأخذ موسى عظام يوسف معه، لأن يوسف كان قد استحلف بني إسرائيل قائلاً: «إن الله سيفتقدكم، فتصعدون عظامي من ههنا معكم».

تحمل سيرة يوسف درسين مهمين:

١ ـ إن الله غالب على أمره، وبالتالي على الإنسان أن يرجو الفرج من الله تعالى مهما اشتدت عليه الصعاب، ومهما تآمر عليه أهل الكيد والمكر.

٢ ـ إن الإنسان المؤمن من واجبه الاعتماد على كتمان ما ينعم الله تعالى عليه. فقد جاء في سورة يوسف قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف/ ٥].

وفي هذه الآية قال النبي ﷺ: (استعينوا على قضاء حوائجكم بالسِّرِّ والكتمان فإن كل ذي نعمة محسود).

أسعد السحمراني

المراجع: ٧٩، ١٧٩، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٨٠.

* * *

يوم كبُّور (عند يهود)

أو يوم الكفارة Yom Kippur

إنه يوم في السنة اعتمده يهود للتكفير عن الخطايا، وقد أصبح عيداً عندهم، ويوافق في العاشر من تشرين الأول (أكتوبر)، وهذا الشهر هو السابع في التقويم العبري المعتمد عند يهود.

وقد ورد الأمر عندهم في العهد القديم في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين (الأحبار) بقداسة هذا اليوم، واعتباره يوم عيد. والنص هو: «وكلَّم الربُّ موسى قائلاً: أما العاشر من الشهر السابع هذا فهو يوم الكفارة محفلاً مقدساً يكون لكم تذلِّلون فيه نفوسكم وتقرِّبون وقيدة للرب. وفي هذا اليوم عينه لا تعملوا عملاً

لأنه يوم كفّارة يكفَّر فيه عنكم بين يدي الرب إلّهكم. فكل إنسان لا يذلِّل نفسه في هذا اليوم عينه يقطع من شعبه... إنه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم في التاسع من الشهر من العشاء، إلى العشاء تسبتون سبتكم».

يقول الدكتور حسن ظاظا مفسراً هذا الطقس اليهودي، وأن هذا اليوم يبدأ «قبيل غروب الشمس من اليوم التاسع من شهر تشري (تشرين الأول)، ويستمر إلى ما بعد غروب شمس اليوم التالي، فمدته حوالي ٢٧ ساعة، يجب فيها الصيام ليلاً ونهاراً، وعدم القيام بأي شيء ما خلا العبادة، واسمه بالعبرية: يوم كبُّور».

ويعتقد يهود أن هذا اليوم محطة، يمكن لمن أراد أن يتطهر فيها من الخطايا أن يلتزم هذه الشعائر المرافقة، فيكون له ذلك.

في هذا اليوم يمكن لكل أتباع اليهودية، حسب اعتقادهم، أن يمارسوا التعبيد من خلال الاعتراف بالخطايا وطلب الغفران والتطهر منها. وكان من طقوسهم أن يرتدي رئيس الكهنة (الحاخاميين) ملابس كتانية بيضاء، ويقوم بتقديم ذبيحة قرباناً عن نفسه، ومن ثَمّ يقدم ذبيحة عن خطايا الشعب.

وقد ورد الحديث عن هذا اليوم في العهد الجديد في الرسائل، في رسالة بعنوان: الرسالة إلى العبرانيين، وفي الإصحاح التاسع منها ورد ما يلي: «فالعهد الأول أيضاً كانت له أحكام العبادة والقدس الأرضي. فقد نصبت خيمة هي الخيمة الأولى، وكانت فيها المنارة والمائدة والخبز المقدس، ويقال لها: القدس. وكان وراء الحجاب الثاني الخيمة التي يقال لها قدس الأقداس... ذاك كله على هذا الترتيب. فالكهنة يدخلون الخيمة الأولى كل حين ويقومون بشعائر العبادة. وأما الخيمة الأخرى فإن عظيم الكهنة وحده يدخلها مرة في السنة، ولا يدخلها بلا دم، الدم الذي يقرِّبه عن مجاهله ومجاهل شعبه».

لذلك كان هذا اليوم، يوم كبُّور، يوماً ذا قداسة معينة عند يهود.

أسعد السحمراني

المراجع: ٣٩٠، ٤٢٦، ٤٧٩، ٥٢٨.

* * *

مسرد المصادر والمراجع

أ

١ ـ **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي** ـ جمع وتقديم: د.أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٢ ـ **آثار البلاد وأخبار العباد** ـ القزويني.

٣ ـ **الآداب الشرعية** ـ ابن مفلح.

٤ ـ **آلاء الرحمن** ـ جواد البلاغي.

٥ ـ **أئمتنا** ـ علي محمد علي دخيل.

٦ ـ **أبحاث في الفكر اليهودي** ـ د.حسن ظاظا، دار القلم ـ دمشق، دار العلوم والثقافة، بيروت.

٧ ـ **الإبانة عن أصول الديانة** ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، دار النفائس، بيروت.

٨ ـ ابن باديس: **حياته وآثاره** ـ جمع وترتيب: د. عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، الجزائر.

٩ ـ **أبو حنيفة** ـ د.محمد يوسف موسى.

١٠ ـ **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة** ـ د. علي المحافظة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

١١ ـ **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا** ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي.

١/١١ ـ **الإتقان في علوم القرآن** ـ السيوطي.

١٢ ـ **أحكام الالتزام** ـ عبد المنعم فرج، القاهرة.

١٣ ـ **أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية** ـ د.سعد العتري، مكتبة الصحوة، الكويت.

١٤ ـ **الأحكام السلطانية** ـ أبو يعلى الفراء الحنبلي.

١٥ ـ **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ـ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، المكتبة التجارية، القاهرة.

١٦ ـ **الإحكام في أصول الأحكام** ـ الآمدي.

١٧ ـ **أحكام القرآن** ـ الجصاص.

١/١٧ ـ **أحكام القرآن** ـ ابن العربي.

١٨ ـ **إحياء علوم الدين** ـ الغزالي.

١٩ ـ **الأخبار الطوال** ـ أحمد بن داود الدينوري.

١/١٩ ـ **أخبار مكة** ـ محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي.

٢٠ ـ **الاختيار لتعليل المختار** ـ ابن مودود الموصلي الحنفي.

٢١ ـ **أخناتون** ـ د.سيد كريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٢٢ ـ **إخوان الصفا** ـ د.جبور عبد النور.

٢٣ ـ **إخوان الصفا** ـ د.عمر فروخ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٤ ـ **إخوان الصفا** ـ عمر الدسوقي.

١/٢٤ ـ **الإدارة الإسلامية** ـ د.فوزي أدهم، دار النفائس، بيروت.

٢٥ ـ **أدب الفتوى وشروط المفتي وصفة**

المستفتي ـ عثمان بن الصلاح الشهرزوري.
٢٦ ـ **الأدب في ظل التشيع** ـ عبد الله نعمة، دار التوجيه الإسلامي، بيروت.
٢٧ ـ **الأديان القديمة في الشرق** ـ د.رؤوف شلبي، دار الشروق، بيروت، القاهرة.
٢٨ ـ **أديان الهند الكبرى** ـ د.أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٢٩ ـ **الأذكار من كلام سيد الأبرار** ـ يحيى بن شرف النووي.
٣٠ ـ **الأربعين** ـ محمد باقر المجلسي.
٣١ ـ **إرشاد الفحول إلى علم الأصول** ـ محمد علي الشوكاني.
٣٢ ـ **الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة** ـ د.محمد كامل الفقي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.
٣٣ ـ **أساس البلاغة** ـ جار الله أبو القاسم الزمخشري.
٣٤ ـ **الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والإبراهيمي** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.
٣٥ ـ **الاستصلاح والمصالح المرسلة** ـ مصطفى الزرقا.
٣٦ ـ **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ـ السلاوي.
٣٧ ـ **الاستيعاب** ـ ابن عبد البر.
٣٨ ـ **الإسراء والمعراج** ـ الشيخ محمد متولي الشعراوي، دار الشروق، بيروت.
٣٩ ـ **أسرار الشريعة، أو الفتح الرباني والفيض الرحماني** ـ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي.
٤٠ ـ **إسلام بلا مذاهب** ـ مصطفى الشكعة.
٤١ ـ **الإسلام دين المدنية القادمة** ـ مصطفى الرافعي.
٤٢ ـ **الإسلام عقيدة وشريعة** ـ محمود شلتوت، دار الشروق.
٤٣ ـ **الإسلام في المغرب والأندلس** ـ ليفي بروفنسال.
٤٤ ـ **الأسماء والصفات** ـ البيهقي.
٤٥ ـ **أسنى المطالب (في أحاديث مختلفة المراتب)** ـ محمد بن درويش الحوت.
٤٦ ـ **أسهل المدارك شرح إرشاد السالك (في فقه الإمام مالك)** ـ أبو بكر حسن الكشناوي.
٤٧ ـ **الأشباه والنظائر** ـ ابن نجيم.
٤٨ ـ **اصطلاحات الفنون** ـ التهاوني.
٤٩ ـ **أصل الشيعة وأصولها** ـ محمد حسين كاشف الغطاء.
٥٠ ـ **الأصول** ـ د.محمد زقلام.
٥١ ـ **الأصول** ـ السرخسي.
٥٢ ـ **أصول الالتزامات** ـ سليمان مرقس، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة.
٥٣ ـ **أصول التشريع الإسلامي** ـ عبد الوهاب خلاف.
٥٤ ـ **أصول الدين وفروعه عند الشيعة الإمامية** ـ أحمد زكي تفاحة، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٥٥ ـ **الأصول العامة للفقه المقارن** ـ السيد محسن الحكيم، دار الأندلس، بيروت.
٥٦ ـ **أصول الفقه** ـ البرديسي.
٥٧ ـ **أصول الفقه** ـ محمد أبو زهرة.
٥٨ ـ **أصول الفقه** ـ مصطفى الشلبي.
٥٩ ـ **أصول الفقه الإسلامي** ـ د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.
٦٠ ـ **أصول القانون** ـ حسن كيره، مطبعة دار المعارف، مصر.
٦١ ـ **أضواء على المسيحية** ـ متولي يوسف شلبي، الدار الكويتية.
٦١/ ١ ـ **إعراب القرآن** ـ ابن النحاس.

٦٢ ـ **الأعلاق الخطيرة بذكر أمراء الشام والجزيرة** ـ عز الدين محمد بن علي بن شداد.
٦٣ ـ **الأعلام** ـ خير الدين الزركلي.
٦٤ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين** ـ ابن قيِّم الجوزية.
٦٥ ـ **الأعمال الكاملة** ـ جمال الدين الأفغاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
٦٦ ـ **الأعمال الكاملة** ـ عبد الرحمن الكواكبي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
٦٧ ـ **أعيان الشيعة** ـ محسن الأمين، مطبعة الإنصاف.
٦٨ ـ **الأغاني** ـ أبو الفرج الأصفهاني.
٦٩ ـ **إفحام اليهود** ـ السموأل بن يحيى المغربي، دار الهداية، القاهرة.
٧٠ ـ **الإفصاح في فقه اللغة** ـ حسين يوسف موسى، مطبعة المدني، القاهرة.
٧١ ـ **أقرب الموارد** ـ الشرتوني.
٧٢ ـ **الإقناع** ـ الشربيني.
٧٣ ـ **إكمال الدين وإتمام النعمة** ـ محمد بن علي ابن الحسين بن بابويه (الصدوق).
٧٣/ ١ ـ **ألواح سومر** ـ كريمر، ترجمة: طَه باقر، القاهرة.
٧٤ ـ **الأم** ـ الإمام الشافعي.
٧٥ ـ **الإمام الشافعي، فقيه السنة الأكبر** ـ عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق.
٧٦ ـ **الإمامة من أبكار الأفكار في أصول الدين** ـ سيف الدين الآمدي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٧٧ ـ **الإمتاع والمؤانسة** ـ أبو حيان التوحيدي.
٧٨ ـ **الإنباء في تاريخ الخلفاء** ـ محمد بن علي ابن العمراني.
٧٩ ـ **أنبياء الله** ـ أحمد بهجت.
٨٠ ـ **الانتقاء** ـ ابن عبد البر.
٨١ ـ **إنجيل بوذا** ـ ترجمة: عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت.
٨٢ ـ **الانحرافات الكبرى** ـ سعيد أيوب، دار الهادي، بيروت.
٨٣ ـ **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ـ القاضي مجير الدين الحنبلي، مكتبة المحتسب، عمان.
٨٤ ـ **الإنصاف في أسباب الاختلاف** ـ الدهلوي، دار النفائس ـ بيروت.
٨٥ ـ **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف** ـ علي بن سليمان المرداوي.
٨٦ ـ **أوائل المقالات** ـ محمد بن محمد بن النعمان (المفيد).
٨٧ ـ **الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية** ـ بسام العسلي، دار النفائس ـ بيروت.
٨٨ ـ **الأيديولوجية الصهيونية** ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت.
٨٩ ـ **إيران في عهد الساسانيين** ـ أرثر كرستنسن، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
٩٠ ـ **الإيقان** ـ بهاء الله، مطبعة البيان، بيروت.

ب

٩١ ـ **البابيون والبهائيون** ـ عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا (لبنان).
٩٢ ـ **البحر الرائق** ـ زين الدين بن نجم.
٩٣ ـ **البحر المحيط** ـ الزركشي.

٩٤ ـ **البداء في ضوء الكتاب والسنة** ـ الشيخ جعفر السنجائي، تعاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، طهران.

٩٥ ـ **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ـ محمد ابن أحمد بن إياس، المطبعة الأميركية، بولاق.

٩٦ ـ **بدائع الصنائع** ـ الكاساني.

٩٧ ـ **بداية المجتهد** ـ ابن رشد.

٩٨ ـ **البداية والنهاية في التاريخ** ـ ابن كثير الدمشقي.

٩٩ ـ **البدور المسفرة في نعت الأديرة** ـ شمس الدين محمد بن علي بن محمود.

١٠٠ ـ **بروتوكولات حكماء صهيون** ـ ترجمة وتقديم: د. إحسان حقي، دار النفائس، بيروت.

١٠١ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ـ الفيروزأبادي.

١٠٢ ـ **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني** ـ د.يوسف الحسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

١٠٣ ـ **بلغة السالك لأقرب المسالك** ـ أحمد الصاوي.

١٠٤ ـ **البهائية** ـ إحسان إلهي ظهير؛ إدارة ترجمان الحديث، لاهور (باكستان).

١٠٥ ـ **البهائية والقاديانية** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.

١٠٦ ـ **بهاء الله والعصر الجديد** ـ ج.أ.أسلمنت ـ مصر.

١٠٧ ـ **البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات** ـ ابن الباقلاني.

١٠٨ ـ **بيان الفرق بين الصدر والقلب والنواة واللب** ـ أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي.

١٠٩ ـ **البيان في تفسير القرآن** ـ أبو القاسم الخوئي.

١١٠ ـ **البيان والتبيين** ـ أبو عثمان عمرو الجاحظ.

١١١ ـ **البيعة عند مفكري أهل السنة** ـ د.أحمد فؤاد عبد الجواد عبد المجيد، دار قباء، القاهرة.

ت

١١٢ ـ **تأسيس النظر** ـ عبد الله بن عمر الدبوسي.

١١٣ ـ **التأمينات الشخصية والعينية** ـ عبد الفتاح عبد الباقي.

١١٤ ـ **التاج والإكليل على مواهب الجليل** ـ أبو أبو عبد الله محمد الغرناطي.

١١٥ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس** ـ محمد مرتضى الزبيدي.

١١٦ ـ **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ـ د.حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

١١٧ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير في الأعلام** ـ شمس الدين حمد بن أحمد الذهبي.

١١٨ ـ **التاريخ الإسلامي العام** ـ د.علي إبراهيم حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

١١٩ ـ **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية** ـ د.أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

١٢٠ ـ **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين** ـ د.فاروق عمر فوزي، مكتبة النهضة، بغداد.

١٢١ ـ **تاريخ الإمامية** ـ عبد الله فياض.

١٢٢ ـ **تاريخ الأمم والرسل والملوك** ـ محمد بن جرير الطبري.

١٢٣ ـ **تاريخ الانشقاق** ـ جراسيموس مسرة، بيروت.

١/١٢٣ ـ **تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام** ـ محمد سهيل طقوش ـ دار النفائس، بيروت.

١٢٤ ـ **تاريخ بغداد** ـ الخطيب البغدادي.

١٢٥ ـ **تاريخ التشريع الإسلامي** ـ الشيخ محمد الخضري بك.

١٢٦ ـ **تاريخ التشريع الإسلامي** ـ مناع القطان.

١٢٧ ـ **تاريخ التشريع الإسلامي ومصادره** ـ د.محمد سلام مدكور.

١٢٨ ـ **تاريخ جامع الزيتونة** ـ محمد عثمان الحشائشي.

١٢٩ ـ **تاريخ الجامعات الإسلامية** ـ محمد عبد الرحيم غنيمة، دار الطباعة المغربية، تطوان.

١٣٠ ـ **تاريخ جماعة الفرسان النيوتون** ـ د.حسن عبد الوهاب حسنين، دار المعرفة، الإسكندرية.

١٣١ ـ **تاريخ الحضارات العام** ـ أدوار بروي، منشورات عويدات، بيروت.

١٣٢ ـ **تاريخ الخلفاء** ـ السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية.

١/١٣٢ ـ **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت.

١٣٣ ـ **تاريخ دولة آل سلجوق** ـ محمد بن محمد ابن حامد عماد الدين الأصفهاني، مصر.

١٣٤ ـ **تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي** ـ د.خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، دار الكتب، جامعة الموصل.

١٣٥ ـ **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ـ محمد فريد بك المحامي، تحقيق: د.إحسان حقي، دار النفائس، بيروت.

١/١٣٥ ـ **تاريخ الدولتين النورية والصلاحية** ـ أبو شامة.

١٣٦ ـ **تاريخ سورية الدنيوي والديني** ـ المطران يوسف الدبس، منشورات جوكار.

١٣٧ ـ **التاريخ السياسي للدولة العربية ـ عصر الخلفاء الأمويين** ـ د.عبد المنعم ماجد، مكتبة الجامعة العربية، بيروت.

١٣٨ ـ **تاريخ الشعوب الإسلامية** ـ بروكلمان.

١٣٩ ـ **تاريخ الفرق الإسلامية** ـ محمد خليل الزين، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

١٤٠ ـ **تاريخ الفقه الإسلامي** ـ بدران أبو العينين بدران، دار النهضة العربية، بيروت.

١٤١ ـ **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام** ـ د. محمد علي أبو ريان، دار النهضة العربية، بيروت.

١٤٢ ـ **تاريخ الفلسفة الإسلامية** ـ هنري كوربان، منشورات عويدات، بيروت.

١/١٤٢ ـ **تاريخ الفلسفة الإسلامية** ـ د.ماجد فخري.

١٤٣ ـ **تاريخ الفلسفة العربية** ـ حنا الفاخوري و د.وهبة خليل الجر، دار الجيل، بيروت.

١٤٤ ـ **تاريخ قريش** ـ حسين، مؤنس.

١٤٥ ـ **تاريخ الكنيسة** ـ جون لوريمر، دار الثقافة، القاهرة.

١٤٦ ـ **تاريخ الكنيسة** ـ الخوري د.ناصر الجميل، بيروت.

١٤٧ ـ **تاريخ كنيسة أنطاكيا** ـ خريسوستموس بابا دوبولوس، دمشق.

١٤٨ ـ **تاريخ الكنيسة المسيحية** ـ ألكسندروس جحا، حمص.

١٤٩ ـ **تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر** ـ د.فيليب حتي، دار الثقافة، بيروت.

١٥٠ ـ **تاريخ الماسونية العام** ـ جرجي زيدان، دار الجيل، بيروت.

١٥١ ـ **تاريخ المذاهب الإسلامية** ـ محمد أبو زهرة.

١٥٢ ـ **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس** ـ عبد العزيز سالم، بيروت.

١٥٢/١ ـ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ـ محمد سهيل طقوش، دار النفائس، بيروت.

١٥٣ ـ **تاريخ اليعقوبي** ـ أحمد بن واضح اليعقوبي.

١٥٤ ـ **تبصرة الحكام (في أصول الاقضية ومناهج الأحكام)** ـ ابن فرحون المالكي.

١٥٥ ـ **التبصرة في أصول الفقه** ـ أبو إسحق الشيرازي.

١٥٦ ـ **التبليغ إلى مشايخ الهند ومتصوفية أفغانستان ومصر وغيرها من الممالك** ـ مرزا غلام أحمد، المكتبة الأحمدية «قاديان دار الأمان»، الهند.

١٥٧ ـ **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق** ـ فخر الدين الزيلعي.

١٥٨ ـ **تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة** ـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الإمام مسلم، بيروت.

١٥٩ ـ **التحرير** ـ الكمال ابن الهمام.

١٦٠ ـ **التحصيل من المحصول** ـ الأرموي.

١٦١ ـ **تحفة المحتاج** ـ الخطيب الشربيني.

١٦٢ ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** ـ جلال الدين السيوطي.

١٦٣ ـ **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** ـ زكي الدين عبد العظيم المنذري.

١٦٤ ـ **ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب** ـ المرتضى الزبيدي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت.

١٦٥ ـ **تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك** ـ جلال الدين السيوطي.

١٦٦ ـ **التسهيل لعلوم التنزيل** ـ ابن جزي.

١٦٧ ـ **التشريع الجنائي** ـ عبد الخالق النواوي، دار الثقافة، بيروت.

١٦٨ ـ **التشريع الجنائي الإسلامي** ـ عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٦٩ ـ **التصوف، منشؤه ومصطلحاته** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.

١٧٠ ـ **التطرف والمتطرفون** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.

١٧١ ـ **التعرف لمذهب أهل التصوف** ـ أبو بكر محمد الكلاباذي.

١٧٢ ـ **التعريفات** ـ علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧٣ ـ **تفسير السمرقندي** ـ السمرقندي.

١٧٤ ـ **تفسير القرآن العظيم** ـ ابن كثير.

١٧٥ ـ **التفسير الكبير** ـ الفخر بن عمر الرازي.

١٧٦ ـ **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ـ د. وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت.

١٧٧ ـ **التفكير الديني في العالم قبل الإسلام** ـ

د.حاج أورانج كاي رحمات بن داتو بحر الدين، دار الثقافة، قطر.

١٧٨ ـ **تقديم الكتاب المقدس للقارئ العربي** ـ القس د.عبد المسيح أسطفانس، اتحاد جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

١٧٩ ـ **التقريب** ـ النووي.

١٨٠ ـ **التقييد والإيضاح** ـ ابن الصلاح.

١٨١ ـ **تلبيس إبليس** ـ ابن الجوزي.

١٨٢ ـ **تلخيص الأصول** ـ حافظ ثناء الله الزاهدي.

١٨٣ ـ **التلمود، تاريخه وتعاليمه** ـ ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت.

١٨٣/ ١ ـ **تناسخ الأرواح** ـ مصطفى الكيك.

١٨٤ ـ **تنبيه الغافلين** ـ السمرقندي.

١٨٥ ـ **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب** ـ محمد أمين الكردي الأرلوجي.

١٨٦ ـ **تهذيب الفروق** ـ القرافي.

١٨٦/ ١ ـ **توبيخ الملحدين** ـ كليمنت.

١٨٧ ـ **التوراة بين الوثنية والتوحيد** ـ ترجمة: سهيل ديب، دار النفائس، بيروت.

١٨٨ ـ **التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم** ـ د.موريس بوكاي، بيروت.

١٨٩ ـ **التوراة، تاريخها وغاياتها** ـ ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس، بيروت.

١٩٠ ـ **التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية** ـ اللواء محمد مختار باشا.

١٩١ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف** ـ محمد عبد الرؤوف بن زين العابدين الحدادي.

ج

١٩٢ ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ** ـ ابن الأثير.

١٩٣ ـ **جامع البيان في تفسير القرآن** ـ محمد بن جرير الطبري.

١٩٤ ـ **جامع الزيتونة** ـ الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس.

١٩٥ ـ **جامع العلوم والحكم** ـ زين العابدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد ابن رجب الحنبلي البغدادي.

١٩٦ ـ **جامع كرامات الأولياء** ـ النبهاني.

١٩٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن** ـ أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي.

١٩٨ ـ **الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي** ـ محمد القطري، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٩٩ ـ **الجذور التاريخية للشعوبية** ـ د.عبد العزيز الدوري، دار الطليعة، بيروت.

٢٠٠ ـ **جرائم الاعتداء على الأموال** ـ محمود نجيب حسني، مطابع دار الطباعة اللبنانية، بيروت.

٢٠١ ـ **الجرائم الماسة بالنزاهة بين الشريعة والقانون** ـ عزت حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، قطر.

٢٠١/ ١ ـ **جهاد شعب الجزائر** ـ بسام العسلي، دار النفائس، بيروت.

٢٠٢ ـ **الجهاد في سبيل الله** ـ محمود شاكر، مكتبة العبيكان، الرياض.

٢٠٣ ـ **الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام** ـ ظافر القاسمي، دار العلم للملايين، بيروت.

٢٠٤ ـ **جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد** ـ الفضل بن الحسن الطبرسي.

٢٠٥ ـ **جواهر الإكليل شرح مختصر العلامة خليل** ـ الآبي الأزهري.

ح

٢٠٦ ـ **حاشية ابن عابدين** ـ ابن عابدين.

٢٠٧ ـ **حاشية الباجوري** ـ الباجوري.

٢٠٨ ـ **حاشية البجيرمي** ـ علي الخطيب.

٢٠٩ ـ **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير** ـ محمد عرفة الدسوقي.

٢١٠ ـ **حاشية الرملي على أسنى المطالب** ـ الرملي.

٢١١ ـ **حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي** ـ الشهاب الخفاجي.

٢١٢ ـ **حاشية الصاوي على الشرح الصغير** ـ الصاوي.

٢١٣ ـ **حاشية العدوي على كفاية الطالب** ـ العدوي.

٢١٤ ـ **حاشية الفناري على شرح السراجية** ـ الفناري.

٢١٥ ـ **حاشية قليوبي وعميرة على شرح منهاج الطالبين** ـ القليوبي وعميرة.

٢١٦ ـ **الحاكم بأمر الله** ـ عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢١٧ ـ **حاكمية الله وسلطان الفقيه** ـ د.عبد الغني عماد.

٢١٨ ـ **حالة أهل الحقيقة مع الله** ـ الشيخ أحمد الرفاعي، حلب.

٢١٩ ـ **الحج والعمرة والأدعية المأثورة** ـ أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت.

٢٢٠ ـ **حركات الشيعة المتطرفين** ـ محمد جابر عبد العال.

٢٢١ ـ **الحركة الصوفية في الإسلام** ـ د.محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٢٢٢ ـ **الحروب الصليبية** ـ وليم الصوري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٢٢٣ ـ **الحسبة في الإسلام** ـ ابن تيمية.

٢٢٤ ـ **حصول المأمول من علم الأصول** ـ صديق حسن خان.

٢٢٥ ـ **حضارة الإسلام (مجلة)** ـ بحث التبني للدكتور وهبة الزحيلي، سنة ١٧ العدد ٧ (١٩٧٦م)، دمشق.

٢٢٦ ـ **الحق الذي يقود إلى الحياة الأبدية** ـ بروكلين.

٢٢٧ ـ **الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية** ـ شاهين مكاريوس، مصر.

٢٢٨ ـ **حقائق عن التصوف** ـ عبد القادر عيسى، المطبعة الوطنية، بيروت

٢٢٩ ـ **الحقوق العينية الأصلية في القانون اللبناني المقارن**، بيروت.

٢٣٠ ـ **حقيقة البهائية والقاديانية** ـ د.محمد حسن الأعظمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٣١ ـ **حكمة التشريع وفلسفته** ـ الجرجاوي.

٢٣٢ ـ **حكمة الغرب** ـ برتراند راسل.

٢٣٣ ـ **حلية الأولياء** ـ أبو نعيم الأصفهاني.

٢٣٤ ـ **الحياة العلمية في الدولة الإسلامية** ـ محمد الحسيني عبد العزيز، وكالة المطبوعات، الكويت.

خ

٢٣٥ ـ **الخراج** ـ الإمام أبي يوسف.
٢٣٦ ـ **خزانة الأدب** ـ البغدادي.
٢٣٧ ـ **خلاصة الحضارة الكنعانية** ـ فؤاد فضول، دار كنعان، بيروت.
٢٣٨ ـ **الخلافة العباسية** ـ د.فاروق عمر فوزي، جامعة بغداد، بغداد.
٢٣٩ ـ **الخوارج والشيعة** ـ يوليوس فولهاوزن، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

د

٢٤٠ ـ **دائرة المعارف** ـ فؤاد إفرام البستاني.
٢٤١ ـ **دائرة المعارف الإسلامية المعربة** ـ دار المعرفة، بيروت.
٢٤٢ ـ **دائرة المعارف الشيعية** ـ محمد حسين الأعلمي الحائري، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٢٤٣ ـ **دائرة معارف القرن العشرين** ـ محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت.
٢٤٤ ـ **دائرة معارف ماسونية** ـ حنا أبي راشد، مكتبة الفكر العربي، بيروت.
٢٤٥ ـ **الدر المختار** ـ ابن عابدين.
٢٤٦ ـ **دراسات عن البابية والبهائية** ـ المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٤٧ ـ **دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها** ـ أحمد بدر، دمشق.
٢٤٨ ـ **دراسات في تاريخ الخط العربي** ـ صلاح الدين المنجد.
٢٤٩ ـ **دراسات في التصوف الإسلامي: شخصيات ومذاهب** ـ د.محمد جلال شرف.
٢٥٠ ـ **دراسات في حضارة الإسلام** ـ هاملتون جب، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٥١ ـ **دراسة تحليلية للسيرة النبوية** ـ د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت.
١/٢٥١ ـ **دراسة في السيرة** ـ د.عماد الدين خليل، دار النفائس ـ بيروت.
٢٥٢ ـ **الدروز في التاريخ** ـ نجلاء أبو عز الدين، دار العلم للملايين، بيروت.
٢٥٣ ـ **دروس من القرآن** ـ الإمام محمد عبده.
٢٥٤ ـ **دليل كنائس الشرق الأوسط** ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط.
٢٥٥ ـ **دور أهل الحل والعقد في النموذج الإسلامي لنظام الحكم** ـ فوزي خليل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة.
٢٥٦ ـ **دول الطوائف في الأندلس** ـ محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٥٧ ـ **دولة الإسلام في الأندلس** ـ محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٥٨ ـ **الدولة العباسية** ـ محمد الخضري.
٢٥٩ ـ **الدولة العربية وسقوطها** ـ يوليوس فولهاوزن، مطبعة الجامعة السورية، دمشق.
٢٦٠ ـ **الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية** ـ محمد مبارك.
٢٦١ ـ **الديارات** ـ أبو الحسن علي بن محمد الشابشتي.
٢٦٢ ـ **الديارات** ـ أبو الفرج الأصبهاني.

مسرد المصادر والمراجع

٢٦٣ ـ **الديارات النصرانية في الإسلام** ـ حبيب زيات، بيروت.

٢٦٤ ـ **الدين والوحي والإسلام** ـ مصطفى عبد الرزاق باشا، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

٢٦٥ ـ **ديوان ابن الفارض** ـ ابن الفارض.

ر

٢٦٦ ـ **رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي** ـ د.محمد رأفت عثمان، دار القلم، دبي.

٢٦٧ ـ **رحلة ابن بطوطة** ـ محمد إبراهيم اللواتي (المعروف بابن بطوطة)، دار صادر، بيروت.

٢٦٨ ـ **رد المحتار على الدر المختار** ـ ابن عابدين.

٢٦٩ ـ **الرسالة** ـ الشافعي.

٢٧٠ ـ **رسالة الإثبات** ـ أحمد نشأت، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٧١ ـ **الرسالة القشيرية** ـ أبو القاسم عبد الكريم ابن هوزان القشيري النيسابوري، دار الخير، دمشق.

٢٧٢ ـ **رسوم البناية الحرة ـ الدرجة الأولى للطريقة الأسكوتلاندية** ـ تعريب: شكري الفاخوري، مطبعة البلاغة، طرابلس.

٢٧٣ ـ **الروتاري في قفص الاتهام** ـ أبو إسلام أحمد عبد الله، بيت الحكمة، القاهرة.

٢٧٤ ـ **روتاري والصهيونية** ـ حمدي طنطاوي، بيت الحكمة، القاهرة.

٢٧٥ ـ **روح التشيع** ـ عبد الله نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت.

٢٧٦ ـ **روح الخط العربي** ـ كامل البابا، بيروت.

٢٧٧ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ـ الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي.

٢٧٨ ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار** ـ الحميري.

٢٧٩ ـ **روضة الطالبين** ـ النووي.

٢٨٠ ـ **روضة الناظر وجنة المناظر** ـ ابن قدامة.

٢٨١ ـ **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والزنكية** ـ ابن شداد.

٢٨٢ ـ **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب** ـ د.أسد رستم.

ز

٢٨٣ ـ **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** ـ أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٨٤ ـ **الزواج المدني** ـ عبد الفتاح كبارة، دار النفائس، بيروت.

٢٨٥ ـ **الزواج المدني الاختياري في لبنان** ـ أنطوان الناشف، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس.

٢٨٦ ـ **الزواجر عن اقتراف الكبائر** ـ ابن حجر الهيثمي.

٢٨٧ ـ **الزيدية: نشأتها ومعتقداتها** ـ القاضي إسماعيل ابن علي الأكوع.

س

٢٨٨ ـ **سبل السلام** ـ الصنعاني.

٢٨٩ ـ **السر المصون في شيعة الفرسون** ـ الأب لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.

٢٩٠ ـ **السلاجقة في التاريخ والحضارة** ـ د. أحمد كمال الدين حلمي، الكويت.

٢٩١ ـ **السلطان محمد الفاتح** ـ د. عبد السلام عبد العزيز فهمي.

٢٩٢ ـ **السلوك لمعرفة دول الملوك** ـ تقي الدين المقريزي، تحقيق: د. حمد مصطفى زيادة، ود. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب المصرية.

٢٩٣ ـ **السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث** ـ محمد الغزالي.

٢٩٤ ـ **سنن ابن ماجه** ـ أبو عبد الله بن يزيد ابن ماجه.

٢٩٥ ـ **سنن الترمذي** ـ محمد بن عيسى الترمذي.

٢٩٦ ـ **السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية** ـ فان فلوتن، مطبعة السعادة، القاهرة.

٢٩٧ ـ **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية** ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

٢٩٨ ـ **سير أعلام النبلاء** ـ محمد بن أحمد الذهبي.

٢٩٩ ـ **السيرة النبوية** ـ ابن هشام.

ش

٣٠٠ ـ **الشاهنامة** ـ أبو القاسم الفردوسي.

٣٠١ ـ **شرائع الإسلام في الفقه الإسلامي الجعفري** ـ جعفر بن حسن المحقق الحلي، منشورات دار الحياة.

٣٠٢ ـ **شرح البدخشي على منهاج الوصول إلى علم الأصول (شرح الأسنوي)** ـ محمد ابن الحسن البدخشي.

٣٠٣ ـ **شرح التلويح على التوضيح** ـ التفتازاني.

٣٠٤ ـ **شرح الروض الأنف.**

٣٠٥ ـ **شرح الزرقاني على الموطأ** ـ سيد محمد الزرقاني.

٣٠٦ ـ **شرح السراجية في علم المواريث** ـ زين الدين الجرجاني.

٣٠٧ ـ **شرح صحيح مسلم** ـ النووي.

٣٠٨ ـ **الشرح الصغير على أقرب المسالك** ـ أحمد الدردير.

٣٠٩ ـ **شرح فتح القدير** ـ الكمال ابن الهمام.

٣١٠ ـ **شرح قانون العقوبات ـ الجرائم المضرة بالمصلحة العامة** ـ محمود نجيب حسني.

٣١٠/١ ـ **شرح قانون الموجبات والعقود، عقد الهبة** ـ زهدي يكن.

٣١١ ـ **الشرح الكبير** ـ الدردير.

٣١٢ ـ **شرح الكنز** ـ الزيلعي.

٣١٣ ـ **شرح المحلي على المنهاج** ـ المحلي.

٣١٤ ـ **شرح النخبة** ـ ابن حجر العسقلاني.

٣١٥ ـ **الشريعة الإسلامية والقانون المصري** ـ محمد سعيد العشماوي، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٣١٦ ـ **الشريعة والفقه والقانون** ـ عبد الهادي بوطالب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة ندوات ومحاضرات.

٣١٧ ـ **الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية** ـ د.عبد الله سلوم السامرائي، دار الرشيد، بغداد.

٣١٨ ـ **الشفعة** ـ زهدي يكن.

٣١٩ ـ **شهود يهوه ذئاب خاطفة** ـ عطا ميخائيل، دار منهل الحياة، بيروت.

٣٢٠ ـ **شهود يهوه: نشأتهم وأفكارهم** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.

٣٢١ ـ **شهود يهوه ومسألة الدم** ـ منشورات شهود يهوه، بروكلين.

٣٢٢ ـ **الشورى بين النظرية والتطبيق** ـ قحطان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الأمة، بغداد.

٣٢٣ ـ **الشورى وأثرها في الديمقراطية** ـ د.عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت.

٣٢٤ ـ **الشيعة: أصلها وأصولها** ـ محمد حسين كاشف الغطاء.

٣٢٥ ـ **الشيعة بين الحقائق والأوهام** ـ محسن الأمين.

٣٢٦ ـ **الشيعة في التاريخ** ـ محمد حسين الزين، دار الآثار، بيروت.

٣٢٧ ـ **الشيعة في الميزان** ـ محمد جواد مغنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٣٢٨ ـ **الشيعة والتشيع** ـ محمد جواد مغنية.

٣٢٨/١ ـ **الشيعة والحاكمون** ـ محمد جواد مغنية، دار الجواد، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

ص

٣٢٩ ـ **الصابئون في ماضيهم وحاضرهم** ـ السيد عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا (لبنان).

٣٣٠ ـ **الصابئون المندائيون** ـ الليدي دراوور، مكتبة الأندلس، بغداد.

٣٣١ ـ **الصحاح** ـ الجوهري.

٣٣٢ ـ **صحيح البخاري** ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

٣٣٣ ـ **صحيح مسلم** ـ أبو الحسين مسلم بن الحجاج.

٣٣٤ ـ **صفوة التفاسير** ـ محمد علي الصابوني.

٣٣٥ ـ **صفة الصفوة** ـ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ابن الجوزي).

٣٣٥/١ ـ **الصليحيون والحركة الفاطمية في مصر** ـ حسن سليمان محمود، القاهرة.

٣٣٦ ـ **الصهيونية غير اليهودية** ـ ريجينا الشريف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

٣٣٧ ـ **الصهيونية المسيحية** ـ محمد السماك، دار النفائس، بيروت.

٣٣٨ ـ **الصواعق** ـ أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر).

ض

٣٣٩ ـ **الضمان في الفقه الإسلامي** ـ الشيخ علي الخفيف، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة.

٣٤٠ ـ **ضوابط المصلحة** ـ د.محمد سعيد رمضان البوطي.

ط

٣٤١ ـ **طائفة القاديانية** ـ محمد الخضر حسين، المطبعة السلفية، القاهرة.
٣٤٢ ـ **طبقات الشافعية** ـ السبكي.
٣٤٣ ـ **طبقات الصوفية** ـ أبو عبد الرحمن السلمي.
٣٤٤ ـ **الطبقات الكبرى** ـ ابن سعد.
٣٤٥ ـ **الطريق إلى الخلافة** ـ أبو المعالي عبد الملك ابن عبد الله الجويني، دار النهضة الإسلامية، بيروت.
٣٤٥/ ١ ـ **الطريق إلى دمشق** ـ أحمد عادل كمال، دار النفائس ـ بيروت.

ع

٣٤٦ ـ **عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة** ـ فوزي محمد حميد، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا.
٣٤٦/ ١ ـ **العبقريات** [أبو بكر، عمر، علي]، عباس محمود العقاد.
٣٤٧ ـ **عبقرية الإسلام في أصول الحكم** ـ د.منير العجلاني، دار النفائس، بيروت.
٣٤٧/ ١ ـ **العثمانيون** ـ محمد سهيل طقوش، دار بيروت المحروسة، بيروت.
٣٤٨ ـ **عجائب المخلوقات** ـ القزويني.
٣٤٩ ـ **العدل الإلهي والتناسخ** ـ أحمد عمران، بيروت.
٣٥٠ ـ **العدة شرح العمدة** ـ ابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي.
٣٥١ ـ **العذب الفائض في أحكام الفرائض** ـ ابن الفرضي.
٣٥٢ ـ **العذراء القديسة مريم** ـ الأب متى مسكين، وادي النطرون.
٣٥٣ ـ **العذراء مريم** ـ يوسف بشارة وبولس الفغالي، دار الكتاب المفضل، لبنان.
٣٥٤ ـ **العرب واليهود في التاريخ** ـ د.أحمد سوسة، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق.
٣٥٥ ـ **عصر المرابطين والموحدين** ـ محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٣٥٦ ـ **العصر المماليكي في مصر والشام** ـ د.سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، القاهرة.
٣٥٧ ـ **عقد الكفالة** ـ سليمان مرقس.
٣٥٨ ـ **عقد الكفالة** ـ منصور مصطفى منصور.
٣٥٩ ـ **العقوبات الشرعية وأسبابها** ـ الشيخ علي قراعة.
٣٦٠ ـ **العقيدة الإسلامية** ـ عبد الرحمن حبنّكه.
٣٦١ ـ **عقيدة الشيعة** ـ دونلدسن.
٣٦٢ ـ **عقيدة الشيعة في الإمام الصادق وسائر الأئمة** ـ حسن يوسف مكي العاملي.
٣٦٣ ـ **العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع** ـ الشيخ علي العزيز الإبراهيم ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت
٣٦٤ ـ **عن رسائل إخوان الصفا** ـ عارف تامر.
٣٦٥ ـ **عوارف المعارف** ـ عبد القاهر عبد الله السهروردي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٦٥/ ١ ـ **العودة إلى التجسد** ـ رؤوف عبيد.
٣٦٦ ـ **عون المعبود** ـ أبو داود.
٣٦٧ ـ **عيوب الإرادة في الشريعة الإسلامية** ـ محمد بحر العلوم، دار الزهراء.

غ

٣٦٨ ـ **الغدير** ـ الشيخ عبد الحسين الأمين.
٣٦٩ ـ **الغنية لطالبي طريق الحق** ـ عبد القادر الجيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

ف

٣٧٠ ـ **الفتاوى** ـ ابن تيمية.
٣٧١ ـ **الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان** ـ الشيخ نظام.
٣٧٢ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ـ ابن حجر العسقلاني.
١/٣٧٢ ـ **فتح البيان في مقاصد القرآن.**
٣٧٣ ـ **فتح القدير** ـ الشوكاني.
٣٧٤ ـ **فتوح البلدان** ـ أبو الحسن البلاذري.
٣٧٥ ـ **الفتوحات المكية** ـ ابن العربي.
٣٧٦ ـ **فجر الإسلام** ـ أحمد أمين.
٣٧٧ ـ **الفَرْق بين الفِرَق** ـ عبد القاهر بن طاهر ابن محمد البغدادي.
٣٧٨ ـ **فرق الشيعة** ـ الحسن بن موسى النوبختي.
٣٧٩ ـ **الفروق** ـ القرافي.
٣٨٠ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنِحَل** ـ أبو محمد علي بن أحمد (ابن حزم).
١/٣٨٠ ـ **فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال** ـ ابن رشد.
٣٨١ ـ **الفصول في الرسائل المختارة** ـ أبو الطيب محمد بن عبد الله اليوسفي.
٣٨٢ ـ **فضائح الباطنية** ـ أبو حامد الغزالي.
١/٣٨٢ ـ **فضائل مكة** ـ عاتق بن غيث البلادي، دار مكة، مكة.
٣٨٣ ـ **فضح التلمود** ـ زهدي الفاتح، دار النفائس، بيروت.
٣٨٤ ـ **الفقه الإسلامي وأدلته** ـ د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.
٣٨٥ ـ **فقه الخلافة وتطورها** ـ د.عبد الرزاق السنهوري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
١/٣٨٥ ـ **فقه الزكاة** ـ يوسف القرضاوي، دار الإرشاد، بيروت.
٣٨٦ ـ **فقه السيرة** ـ محمد الغزالي، مؤسسة عالم المعرفة، بيروت.
٣٨٧ ـ **فقه السيرة النبوية** ـ د.محمد سعيد البوطي، دار الفكر المعاصر، دمشق، بيروت.
٣٨٨ ـ **الفقه على المذاهب الأربعة** ـ عبد الرحمن الجزيري.
٣٨٩ ـ **الفقيه والمتفقه** ـ الخطيب البغدادي.
٣٩٠ ـ **الفكر الديني الإسرائيلي** ـ د.حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.
٣٩١ ـ **الفكر الشرقي القديم** ـ جون كولر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
٣٩٢ ـ **فلاسفة الشيعة، حياتهم وآراؤهم** ـ عبد الله نعمة، دار الفكر اللبناني، بيروت.

٣٩٣ ـ **فلسفة الصوم** ـ مصطفى السباعي.

٣٩٤ ـ **الفلسفة الهندية** ـ أبو الريحان البيروني.

٣٩٥ ـ **فهرس الكتاب المقدس** ـ دار الثقافة.

٣٩٦ ـ **الفهرست** ـ ابن النديم.

٣٩٧ ـ **في التصوف الإسلامي ـ مفهومه وتطوره وإعلامه** ـ قمر كيلاني، المكتبة العصرية، بيروت.

٣٩٧/ ١ ـ **في سبيل شباب مسلم متحرر** ـ أحمد راتب عرموش، دار النفائس ـ بيروت.

٣٩٨ ـ **فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة** ـ أبو حامد الغزالي.

٣٩٨/ ١ ـ **في ظلال القرآن** ـ سيد قطب، دار الشروق، بيروت.

٣٩٩ ـ **الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية** ـ إسماعيل القادري، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة.

ق

٣٩٩/ ١ ـ **القادسية** ـ أحمد عادل كمال، دار النفائس، بيروت.

٤٠٠ ـ **القادياني والقاديانية** ـ أبو الحسن الندوي، الدار السعودية، جدة.

٤٠١ ـ **القاديانية** ـ الحافظ إحسان إلهي ظهير، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٤٠٢ ـ **القاديانية** ـ د.أحمد محمد عوف، دار النهضة العربية، القاهرة.

٤٠٣ ـ **القاديانية فئة كافرة** ـ تعريب: محمد بشير، مكتبة دار العلم، فيصل أباد، الباكستان.

٤٠٤ ـ **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً** ـ سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق.

٤٠٥ ـ **قاموس الكتاب المقدس** ـ بطرس عبد الملك، دار الثقافة، القاهرة.

٤٠٦ ـ **قاموس الكتاب المقدس** ـ نخبة من الأساتذة، مكتبة المشعل الإنجيلية، بيروت.

٤٠٧ ـ **القاموس المحيط** ـ الفيروزآبادي.

٤٠٨ ـ **القانون القضائي الخاص** ـ حلمي الحجار.

٤٠٩ ـ **القدس** ـ إصدار الهيئة اللبنانية لنصرة القدس، بيروت.

٤١٠ ـ **القديس يوحنا الذهبي الفم** ـ ألكسندروس جحا، حمص.

٤١١ ـ **قراءة في وثائق البهائية** ـ د.عائشة عبد الرحمن، مركز الأهرام للترجمة والنشر والتأليف، القاهرة.

٤١٢ ـ **قصص الأنبياء** ـ عبد الوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤١٣ ـ **قصص الأنبياء (عرائس المجالس)** ـ النيسابوري.

٤١٤ ـ **قصة الحضارة** ـ ول ديورانت، دار الجيل، بيروت.

٤١٥ ـ **القضاء في الإسلام** ـ عارف النكدي.

٤١٦ ـ **قطر الولي على حديث الولي** ـ محمد بن علي الشوكاني.

٤١٧ ـ **قواعد الأصول ومعاقد الفصول** ـ صفي الدين الحنبلي.

٤١٨ ـ **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث** ـ محمد جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت.

٤١٩ ـ **القواعد في الفقه الإسلامي** ـ ابن رجب الحنبلي.

٤٢٠ ـ **القوانين الفقهية** ـ ابن جزي.

٤٢١ ـ **قيادة الرسول السياسية والعسكرية** ـ أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت.

ك

٤٢٢ ـ **الكافي في الحساب** ـ أبو بكر محمد بن الحسن الكرخي، معهد تاريخ العلم العربي، جامعة حلب، حلب.
٤٢٣ ـ **الكافية في الجدل** ـ الجويني.
٤٢٤ ـ **الكامل في التاريخ** ـ ابن الأثير.
٤٢٥ ـ **الكامل في اللغة** ـ أبو العباس محمد المبرد.
٤٢٦ ـ **الكتاب المقدس** ـ دار المشرق، بيروت.
٤٢٧ ـ **كشاف اصطلاحات الفنون** ـ التهانوي.
٤٢٨ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل** ـ محمود بن عمر الزمخشري.
٤٢٩ ـ **كشاف القناع** ـ منصور البهوتي الحنبلي.
٤٣٠ ـ **كشف الأسرار شرح البزدوي** ـ البخاري.
٤٣٠/ ١ ـ **كشف الخفاء**.
٤٣١ ـ **الكفالة** ـ هاري أدوار نجيم، بيروت.
٤٣٢ ـ **كفاية الطالب الرباني** ـ محمد أحمد همام.
٤٣٣ ـ **الكليات** ـ أبو البقاء الكفوي.
٤٣٤ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ـ المتقي الهندي.
٤٣٥ ـ **الكنز المرصود في قواعد التلمود** ـ د.أغسطس روهلنج، مطبعة المعارف، مصر.
٤٣٦ ـ **كنوز التلمود** ـ ليفي، دار التراث، القاهرة.
٤٣٧ ـ **الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر** ـ تيموثي وير، منشورات النور، بيروت.
٤٣٨ ـ **كنيسة أنطاكية** ـ د.أسد رستم، منشورات النور، بيروت.
٤٣٩ ـ **الكواكب الدرية شرح الشيخ محمد بن أحمد الأهدل على متممة الآجرومية** ـ الشيخ محمد ابن محمد الرعيني الشهير بالحطاب.
٤٤٠ ـ **كونفوشيوس** ـ د. حسن شحاتة سعفان، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

ل

٤٤١ ـ **لسان العرب** ـ جمال الدين محمد بن مكرَّم ابن منظور، دار صادر، بيروت، دار المعارف، القاهرة.
٤٤٢ ـ **لطائف الإشارات** ـ القشيري.
٤٤٣ ـ **لمحات في أصول الحديث** ـ د.محمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٤٤ ـ **اللمع في التصوف** ـ أبو نصر عبد الله الطوسي.

م

٤٤٥ ـ **ما هي الطريقة النقشبندية** ـ الشيخ أمين علاء الدين النقشبندي.
٤٤٦ ـ **ما هي القاديانية** ـ أبو الأعلى المودودي، دار القلم، الكويت.

٤٤٦/ ١ ـ **الماسونية: نشأتها وأهدافها** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.
٤٤٧ ـ **الماسونية: قديماً وحديثاً** ـ خليل إبراهيم حسونة ـ جمعية الدعوة العالمية الإسلامية، طرابلس (ليبيا).
٤٤٧/ ١ ـ **مباحث الحكم عند الأصوليين** ـ محمد سلام مدكور، دار النهضة العربية، القاهرة.
٤٤٨ ـ **المبسوط** ـ السرخسي.
٤٤٩ ـ **المتعة في الإسلام** ـ حسين يوسف المكي العاملي، بيروت.
٤٥٠ ـ **متن اللغة** ـ الشيخ أحمد رضا.
٤٥١ ـ **المجتمع اليهودي** ـ زكي شنودة، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٤٥٢ ـ **مجمع البحرين** ـ فخر الدين الطريحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٥٣ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن** ـ أبو علي الطبرسي.
٤٥٤ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ـ علي بن أبي بكر الهيثمي.
٤٥٥ ـ **المجموع** ـ النووي.
٤٥٦ ـ **مجموعة الشرع الكنسي** ـ الأرشمندريت حنانيا كساب، منشورات النور، بيروت.
٤٥٦/ ١ ـ **مجموعة الفتاوى الشرعية** ـ وزارة الأوقاف الكويتية.
٤٥٦/ ٢ ـ **مجموعة قوانين الكنائس الشرقية** ـ المكتبة البوليسية.
٤٥٦/ ٣ ـ **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** ـ محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت.
٤٥٧ ـ **محاضرات في قانون العقوبات** ـ عاطف النقيب، الجامعة اللبنانية، بيروت.
٤٥٨ ـ **محاضرات في النصرانية** ـ الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٥٩ ـ **المحصول في علم الأصول** ـ الرازي.
٤٦٠ ـ **المحلى** ـ ابن حزم الأندلسي.
٤٦١ ـ **محيط المحيط** ـ بطرس البستاني.
٤٦٢ ـ **مختار الصحاح** ـ الرازي.
٤٦٢/ ١ ـ **مختارات من السنة** ـ قاسم الشماعي الرفاعي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٦٣ ـ **مختصر تفسير ابن الأثير** ـ ابن الأثير.
٤٦٤ ـ **مختصر تفسير ابن كثير** ـ الشيخ محمد كريم راجع، دار المعرفة، بيروت.
٤٦٥ ـ **مختصر تفسير القاسمي** ـ (ريُّ الغليل من محاسن التأويل)، صلاح الدين أرقه دان ـ دار النفائس، بيروت.
٤٦٦ ـ **مختصر سيرة ابن هشام** ـ إعداد: محمد عفيف الزعبي، دار النفائس، بيروت.
٤٦٦/ ١ ـ **مختصر صحيح البخاري** ـ زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، دار النفائس ـ بيروت.
٤٦٦/ ٢ ـ **مختصر صحيح مسلم** ـ المنذري.
٤٦٧ ـ **المختصر النافع في فقه الإمامية** ـ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي.
٤٦٨ ـ **مدارج السالكين** ـ ابن قيم الجوزية.
٤٦٩ ـ **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ـ أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي.
٤٦٩/ ١ ـ **مدخل إلى العقيدة المسيحية** ـ كوستي بندلي.
٤٧٠ ـ **المدخل إلى العلوم القانونية** ـ توفيق حسن فرج، الدار الجامعية، بيروت.
٤٧١ ـ **المدخل الفقهي العام** ـ مصطفى الزرقا.
٤٧٢ ـ **المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية** ـ د.عبد الكريم زيدان.
٤٧٣ ـ **المدخل للعلوم القانونية** ـ ألبير فرحات، مطبعة المتني، بيروت.
٤٧٤ ـ **المذاهب الإسلامية** ـ محمد أبو زهرة، المطبعة النموذجية.
٤٧٥ ـ **مذاهب الإسلاميين** ـ د. عبد الرحمن بدوي.

٤٧٦ ـ **مذهب الدروز والتوحيد** ـ عبد الله النجار.
٤٧٧ ـ **مراقي الفلاح بإمداد الفتاح شرح نور الإيضاح** ـ حسن بن عمار الشرنبلاني.
٤٧٨ ـ **مرشد الحيران** ـ قدري باشا.
٤٧٩ ـ **المرشد المصور للعهد القديم** ـ إصدار كنيسة السيدة العذراء، القاهرة.
٤٨٠ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ـ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي.
٤٨١ ـ **مريم أم المسيح** ـ الأب فان دي ميرش، دار الكلمة، بيروت.
٤٨٢ ـ **مساجد القاهرة** ـ أحمد فكري، دار المعارف، القاهرة.
٤٨٣ ـ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ـ ابن فضل الله العمري.
٤٨٤ ـ **المستصفى في علم الأصول** ـ أبو حامد الغزالي.
٤٨٥ ـ **مستمسك العروة الوثقى** ـ السيد محسن الحكيم.
٤٨٦ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ـ أحمد بن حنبل.
٤٨٦/ ١ ـ **مشاهير الخلفاء والأمراء** ـ بسام العسلي، دار النفائس، بيروت.
٤٨٦/ ٢ ـ **مشاهير قادة الإسلام** ـ بسام العسلي، دار النفائس ـ بيروت.
٤٨٧ ـ **المشروع الصهيوني الجديد** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.
٤٨٨ ـ **المصابيح في صلاة التراويح** ـ السيوطي.
٤٨٩ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ـ أحمد بن محمد بن علي الفيومي.
٤٩٠ ـ **مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة** ـ إبراهيم علي طرخان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
٤٩١ ـ **مطالب أولي النهى في الجمع بين الاقتناع والمنتهى** ـ مرعي بن يوسف الحنبلي، المكتب الإسلامي.
٤٩٢ ـ **المعارف** ـ عبد الله بن مسلم بن قتيبة.
٤٩٢/ ١ ـ **معالم مكة التاريخية والأثرية** ـ عاتق ابن غيث البلادي، دار مكة، مكة.
٤٩٣ ـ **معاهد التربية الإسلامية** ـ سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٩٤ ـ **المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة** ـ جفري بارندر، سلسلة عالم المعرفة، أيار، الكويت.
٤٩٥ ـ **معجزة القرآن الكريم** ـ د.رشاد خليفة، دار العلم للملايين، بيروت.
٤٩٦ ـ **معجم الأدباء** ـ ياقوت الحموي.
٤٩٧ ـ **معجم ألفاظ الصوفية** ـ د.حسن الشرقاوي، مؤسسة مختار، القاهرة.
٤٩٨ ـ **معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي** ـ فؤاد صالح السيد، دار العلم للملايين، بيروت.
٤٩٩ ـ **معجم الإيمان المسيحي** ـ الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت.
٥٠٠ ـ **معجم البلدان** ـ ياقوت الحموي.
٥٠١ ـ **المعجم العربي الأساسي** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (جامعة الدول العربية).
٥٠٢ ـ **معجم الفرق الإسلامية** ـ يحيى بن شريف الأمين، دار الأضواء، بيروت.
٥٠٢/ ١ ـ **معجم المصطلحات الفلسفية** ـ عبده الحلو.
٥٠٣ ـ **معجم مفردات ألفاظ القرآن** ـ الراغب الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٠٤ ـ **معجم مقاييس اللغة** ـ أحمد بن فارس بن زكريا.
٥٠٥ ـ **معجم اللاهوت الكاثوليكي** ـ كارل راهنر، هربرت فورغريملر، دار المشرق، بيروت.
٥٠٦ ـ **معجم اللاهوت الكتابي** ـ دار المشرق، بيروت.

٥٠٧ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ـ محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب، القاهرة.

٥٠٨ ـ **معركة عين جالوت** ـ د.محمد ضاهر وَتَر، دمشق.

٥٠٩ ـ **معين الحكام** ـ علاء الدين بن حسن الطرابلسي.

٥١٠ ـ **المغني** ـ ابن قدامة.

٥١١ ـ **مغني المحتاج** ـ الرملي.

٥١٢ ـ **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج** ـ محمد الشربيني الخطيب.

٥١٣ ـ **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ـ ابن واصل.

٥١٤ ـ **مفردات غريب القرآن** ـ أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (الراغب الأصفهاني).

٥١٥ ـ **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ـ علي جواد.

٥١٦ ـ **مقارنة الأديان المسيحية** ـ د.أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٥١٧ ـ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين** ـ أبو الحسن الأشعري.

٥١٨ ـ **المقالات والفرق** ـ سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي.

٥١٩ ـ **مقاييس اللغة** ـ ابن فارس.

٥٢٠ ـ **مقدمة ابن خلدون** ـ ابن خلدون.

٥٢١ ـ **مقدمة التفسير** ـ ابن تيمية.

٥٢٢ ـ **المقدمة الحضرمية** ـ عبد الله بن عبد الرحمٰن بافضل الحضرمي.

٥٢٣ ـ **المقدمات** ـ ابن رشد.

٥٢٤ ـ **الملل والنحل** ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت.

٥٢٥ ـ **من أعلام الفكر والقيادة المرجعية** ـ محمد حسين فضل الله.

٥٢٦ ـ **من قاموس الأديان (الصابئة، الزرادشتية، اليزيدية)** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.

٥٢٧ ـ **من قاموس الأديان (الهندوسية، البوذية، السيخية)** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.

٥٢٨ ـ **من اليهودية إلى الصهيونية** ـ د.أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت.

٥٢٩ ـ **مناظرة علنية مع شهود يهود** ـ الأب جورج عطية، منشورات النور، بيروت.

٥٣٠ ـ **مناقب الشافعي** ـ البيهقي.

٥٣٠/ ١ ـ **مناهل العرفان**.

٥٣١ ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ـ ابن الجوزي.

٥٣٢ ـ **المنتقى على الموطأ** ـ محمد بن علي الشوكاني.

٥٣٣ ـ **المنقذ من الضلال** ـ أبو حامد الغزالي.

٥٣٤ ـ **منهاج الوصول في علم الأصول** ـ البيضاوي.

٥٣٥ ـ **منهج النقد في علوم الحديث** ـ د. نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق.

٥٣٦ ـ **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي** ـ بدر الدين الكناني.

٥٣٧ ـ **منو سمرتي، أو شرع منُّو** ـ تعريب وتقديم: د.إحسان حقي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٣٨ ـ **المهذب (في فقه الشافعي)** ـ الفيروزأبادي.

٥٣٩ ـ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ـ تقي الدين المقريزي.

٥٤٠ ـ **الموافقات في أصول الشريعة** ـ أبو إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي.

٥٤١ ـ **مواهب الجليل شرح مختصر خليل** ـ محمود خطاب.

٥٤٢ ـ **موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين** ـ جوزف نيدهام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٥٤٣ ـ **الموسوعة الإسلامية** ـ د.فاطمة محجوب، مكتبة مدبولي، القاهرة.

٥٤٤ ـ **موسوعة تاريخ العلوم العربية** ـ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

٥٤٥ ـ **الموسوعة العربية العالمية** ـ الرياض.

٥٤٦ ـ **الموسوعة العربية الميسرة** ـ محمد شفيق غربال، دار الشعب، القاهرة.

٥٤٧ ـ **موسوعة فقه السلف** ـ د.محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، بيروت.

٥٤٨ ـ **الموسوعة الفقهية** ـ وزارة الأوقاف الكويتية.

٥٤٩ ـ **الموسوعة الفقهية الميسرة**، ـ د.محمد رواس قلعه جي، دار النفائس ـ بيروت.

٥٥٠ ـ **الموسوعة الفلسطينية** ـ القسم العام، دمشق.

٥٥١ ـ **الموسوعة الفلسطينية** ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

٥٥٢ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة** ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

٥٥٣ ـ **الموطأ** ـ الإمام مالك بن أنس.

٥٥٤ ـ **موقع الإسلام في صراع الحضارات** ـ محمد السماك، دار النفائس، بيروت.

٥٥٥ ـ **الميزان في تفسير القرآن** ـ الطباطبائي.

ن

٥٥٦ ـ **نبذة من تعاليم حضرة البهاء** ـ ترجمة: فرج الله زكي الكردي، القاهرة.

٥٥٧ ـ **النبوءة والسياسة** ـ غريس هالسل، دار الشروق، القاهرة.

٥٥٨ ـ **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة** ـ ابن تغري بردي.

٥٥٩ ـ **نصب الراية** ـ الزيلعي.

٥٦٠ ـ **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي** ـ ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت.

٥٦٠/ ١ ـ **نظرات في اجتهادات الفاروق عمر بن الخطاب** ـ محمد محمد المدني ـ دار النفائس، دار الفتح، بيروت.

٥٦١ ـ **نظرية الالتزام في القانون المدني الجديد** ـ أحمد حشمت أبو شيت، القاهرة.

٥٦٢ ـ **نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الإسلامي** ـ فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٦٢/ ١ ـ **نظرية الحرب في الشريعة الإسلامية**، إسماعيل أبو شريعة، مكتبة الفلاح، الكويت.

٥٦٣ ـ **نظرية الصورية في القانون المدني** ـ دراسة مقارنة ـ بيروت.

٥٦٤ ـ **نظرية الضمان في الفقه الإسلامي** ـ محمد فوزي فيض الله، مكتبة دار التراث، الكويت.

٥٦٥ ـ **نظرية الضمان في الفقه الإسلامي** ـ وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.

٥٦٦ ـ **النظرية العامة للالتزام** ـ جميل الشرقاوي.

٥٦٧ ـ **النظرية العامة للالتزام** ـ عبد الحي حجازي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.

٥٦٨ ـ **النظرية العامة للموجبات والعقود** ـ جورج سيوفي.

٥٦٩ ـ **نظرية العقد الوسيط** ـ عبد الرزاق السنهوري.

٥٧٠ ـ **النظم الاجتماعية والتربوية عند الأباضية**

في شمال أفريقية ـ د.محمد عوض خليفات، عمان.

٥٧٠/ ١ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ـ أحمد بن محمد المقري التلمساني.

٥٧١ ـ **النهاية** ـ ابن الأثير.

٥٧٢ ـ **نهاية المحتاج في شرح المنهاج** ـ الشافعي الصغير محمد بن أحمد.

٥٧٣ ـ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار** ـ محمد ابن علي الشوكاني.

هـ

٥٧٤ ـ **الهاشميات** ـ الكميت، بريل.

٥٧٥ ـ **الهداية شرح بداية المبتدي** ـ أبو الحسن علي الميرغيناني.

و

٥٧٦ ـ **الوافي بالوفيات** ـ الصفدي.

٥٧٧ ـ **الوجيز في أصول التشريع الإسلامي** ـ د.حسن هيتو.

٥٧٨ ـ **الوسطية في الإسلام** ـ د. محمد عبد اللطيف صالح الفرفور، دار النفائس، بيروت.

٥٧٩ ـ **الوسيط في شرح القانون المدني** ـ عبد الرزاق السنهوري، دار النهضة العربية، القاهرة.

٥٨٠ ـ **وعاظ السلاطين** ـ علي الوردي.

٥٨١ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ـ ابن خلكان.

٥٨٢ ـ **ولاية بيروت** ـ رفيق الميمي ومحمد بهجت، دار لحد خاطر، بيروت.

ي

٥٨٣ ـ **اليابان: العادات والتقاليد وإدمان التفوق** ـ عبد الفتاح محمد شبانة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٥٨٤ ـ **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ـ الثعالبي.

٥٨٥ ـ **اليزيدية** ـ سعيد الديوه جي، بغداد، ١٩٧٣م.

٥٨٦ ـ **اليزيدية: أحوالهم ومعتقداتهم** ـ د.سامي سعيد الأحمد، بغداد.

٥٨٧ ـ **اليزيدية: عقائدها، تشريعاتها، مجتمعها** ـ كلية الإمام الأوزاعي، بيروت.

٥٨٨ ـ **اليزيديون، في ماضيهم وحاضرهم** ـ عبد الرزاق الحسيني.

٥٨٩ ـ **اليزيديون، واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم** ـ د.محمد ألتونجي.

٥٩٠ ـ **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر** ـ عبد الوهاب الشعراني.

٥٩٠/ ١ ـ **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية** ـ إيليا أبو الروس، دار الاتحاد، بيروت.

591 - **All in the Name of the Bible** - Donald Wagner and Hassan Haddad, Amana Books, 1986.
592 - **American Zionism and U.S. Foreign Policy 1942-1947** - Richard P. Stevens, The Institute of Palestinian Studies, 1962, Beirut.
593 - **Apocalypse, On the Psychology of Fundamentalism in America** - Charles Strozier, Beacon Press, 1994, Boston.
594 - **BAB** - Ali Mohamad, Librairie Paul Geuthner, 1911, Paris.
595 - **Catéchisme de l'Eglise Catholique Name/llon** - 1992, 676 pages.
596 - **Chiisme Le nouveau Dictionnaire encyclopédique** - Breghel Chury, 1992, Editions. N.D.E.
597 - **Cohn-Sherbock**
598 - **Confucius** - Etiemble, Editions Gallimard, 1986, Paris.
599 - **Confucius et l'Humanisme chinois** - Dink, Pierre, Maitres Spirituels, 1994, Paris.
600 - **Dictionnaire biblique** - J.Dheilly, Paris, Desclée, 1964.
601 - **Dictionnaire culturel du Christianisme** - Nicole le Maître - M.Th.Quinson, Cerf-Nathan, 1994, 333 pages.
602 - **Dictionnaire de la Bible** - F. Vigouroux, Letouzey et Ané - Paris, 1895.
603 - **Dictionnaire des religions** - Marguerite-Marie Thiollier, Larousse, Paris, 1966.
604 - **Diziouarrio degli istituti di Perfezione**, Guerrino Pellicia et Giancarlo Rocca, val 5, Edizione - Paoline, 1978 Roma, Italia.
605 - **Encyclopedia** - The matique universelle, Bordas, 1972, Paris.
606 - **Encyclopedia Americana**.
607 - **Encyclopedia Britanica**.
608 - **Encyclopedia, Universalis.**
609 - **Encyclopédie des religions** - Fréderic Lender & Ysé. T.Masque lier, Bayard éditions, 1997, Paris.
610 - **Essai sur le Baha'isme** - Dreyfus, Hippolyte, 1973, Paris, Press, Université de France.
611 - **Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse,** tom 6, Paris.
612 - **La F.M. d'après ses documents secrets,** Leon De poncins - Monteuil diffusion de la pensée Française, 1972.
613 - **La Société des Missionnaires d'Afrique (Pères Blancs)** - J.Mercui, 1867-92, Maison Carré, 1935.
614 - **Larousse.**
615 - **Larousse Dictionary of Beliefs & Religions,** 1992.
616 - **Le grand Livre des réligions du monde** - Peter, B.Clarke et autres auteurs, Edition Solar, 1995, Paris.
617 - **les Moines Blancs, Histoire de l'ordre de citeaux**, Marcel Pacaut, Fayard, Paris, 1993.
618 - **Les Sikhs** - Michel Delahoutre, Edition Breples, 1988, Paris.
619 - **Of water and the spirit** - Alexander Schmemann, St.Vlademir. Press, Crestwood, N.Y. 1974.
620 - **On the Psychology of Fundamentalism in America** - Charles Strozier, Apocalypse, Beacon Press, 1994, Boston.

621 - **Radical Islamic Fundamentalism** - Ahmad Moussalli, A.U.B. 1992, Beirut.
622 - **Sacred Origins of Profond things** - C.Panati, 1996, Penguin.
623 - **The catholic Encyclopedia: White Fathers** - copyright by the Encyclopedia press, Inc, 1913.
624 - **The European Reformation** - Vivian Green, 1928, Sutton.
625 - **The Evangelicals: The Story of a Great Christian Movement** - Billy Graham, Baker, Books House, 1989, U.S.A.
626 - **The formation of the New Testament** - Robert M.Grant, 1965, London.
626/1- **The Hebrew Scriptures** - Sandmet.
627 - **The Institute of Palestinian Studies**, Richard P.Stevens, 1962, Beirut.
628 - **The Late Great Planet Earth** - Hall Lindsay, Bantam Books, 1990, N.Y.
629 - **The New Encyclopédia Britannica.** Volume 10, Micropaedia 15 édition.
630 - **The New testament in the Christian Church** - E.C.Moore, 1904, N.Y.
631 - **The Oxford History of Christianity.**
632 - **The Sacrement of Love** - Paul Evdokimov, SVP Press, Crestwood, 1985, N.Y.
633 - **The White Fathers and their Mission,** Bouniol, London, 1923.
634 - **The White Fathers**, D. Attwater, London, 1937.
635 - **The White Fathers**, Glenn D.Kittler, 1957.
636 - **Truman, the Jewish Vote and the Creation of Israel** - John Snetsinger, Hoover Institution Press, Stanford University, California, U.S.A.
637 - **Une experience de petite colonisation indigène en Algérie** - J.Tiquet, Les colons Arabes chrétiens du Cardinal La vigerie, 1936.
638 - **Who's who in Christianity** - L.Cohn-sherbok, Routledge, 1998.
639 - **Who's who in the New Testament** - R.Browning, 1993.